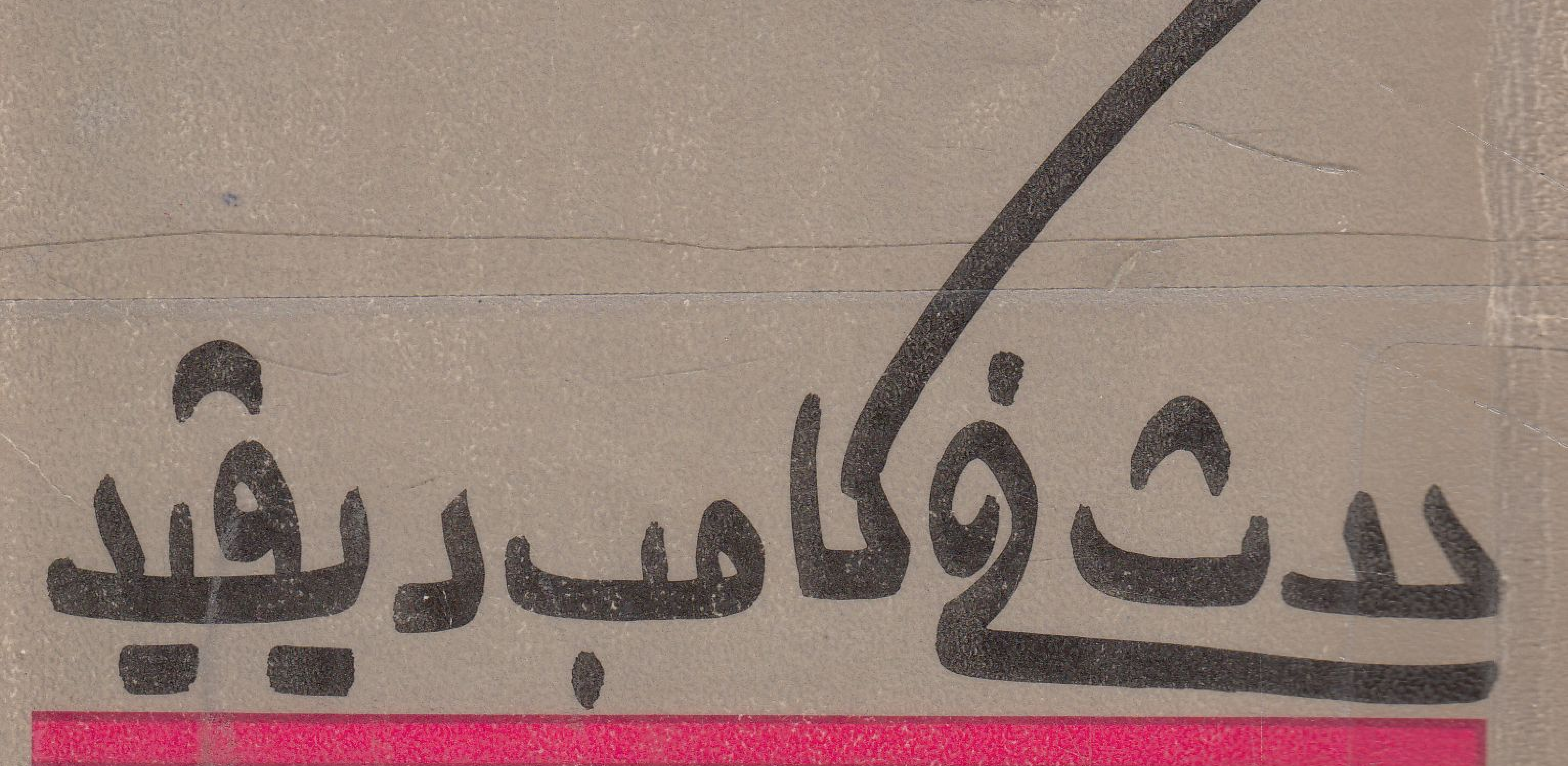
كتاب **الأهالي** رقم ١٠

ايتان هابر / زيف شيف / ايهود يعاري

ترجمة وتوثيق : إبراهيم منصور



المفاوضة على الطريقة الساداتية

طبقا للروايات : اسماعيل فهمي / محمد ابراهيم كامل / كارتر / كوانت / بريزنسكي / ديان / فايتسمان

كتاب الأهالى رقم ١٠

يوليو ١٩٨٦

كتاب الأهالي
كتاب غير دوري
٥

كتاب الاهالى : يصدر عن جريدة الاهالى

حزب التجمع الوطني التقدمى الوحدوى

المراسلات : ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت ــ القاهرة

هذه ترجمة كاملة لكتاب

THE YEAR OF THE DOVE

تأليف

EITAN HABER, ZEEV SCHIFF
AND EHUD YAARI

(Abantam Book - November 1979)

الغلاف هدية من الفنان محيي اللباد

كتاب **الأهالي** رقم ١٠

ايتان هابر / زئيف شيف / ايهود يعاري

ترجمة وتوثيق : ابراهيم منصور



طبقاً لروايات : إسماعيل فهمي / محمد ابراهيم كامل

كارتر / كوانت / بريزنسكي / ديان / فايتسمان

١

سأذهب إلى القدس

فى القدس : كان رئيس الوزراء « **مناحيم بيجين** » وزوجته « **اليزا** » ـ مثلهما مثل العديد من الاسرائيليين ـ يشاهدان فيلم « جونجادين » ، الذى كان يقدمه التليفزيون ٠

... ...

وفى القاهرة : أدار غالبية الذين يمتلكون أجهزة تليفزيون مؤشرات اجهزتهم الى القناة الثانية التى كانت تعرض فيلما سينمائيا محليا ٠ اما الباقون ، فقد كانوا يشاهدون الفيلم الأمريكى الذى تقدمه القناة الأولى ، والذى يقوم ببطولته « انتونى كوين » ٠

ولم يكن سكان القاهرة كلهم يجلسون أمام شاشات التليفزيون ٠ فقد كانت قاعة المجلس النيابى المصرى ، المسمى بـ « مجلس الشعب » ، تزدحم بالأعضاء والزوار فى تلك الليلة ٠٠ ليلة ٩ نوفمبر ١٩٧٧ ٠ وكانت قد مضت ساعتان ، والرئيس « **أنور السادات** » لا يزال يتحدث ٠ والسادات يلقى خطبا كثيرة ، والمتحدثون باسمه يصفون كل خطبة من خطبه هذه بانها « هامة » ، ولكن أحدا لم يتبين ،

حتى ذلك الحين ، أى تغير « هام » عن ما كان يقال فى الماضى . ولكن « **عبد الغنى الجمسى** » : وزير الحربية المصرى ، لاحظ أن الرئيس « السادات » قد كف عن الالقاء من الخطاب المعد سلفا ، ومال « **الجمسى** » على وزير الخارجية ، « **أسماعيل فهمى** » الذى كان يجلس بجانبه وهمس فى أذنه :

ــ « يبدو أنه سوف يلقى قنبلة » .

ورد عليه « **اسماعيل فهمى** » معترضا :

ــ « لن تكون هناك أية قنابل ... فلقد استنفدنا ذخيرتنا كلها .. » ولم يكن أيا منهما يعرف ما الذى سوف يقوله السادات .

وكانت قاعة « **مجلس الشعب** » صامتة تماما ، وصوت **السادات** . الذى كان وحده يخترق هذا الصمت ، يقول : « ... اننى على استعداد لأن أذهب الى آخر الأرض ، اذا كان ذلك سوف يحول دون اراقة دم جندى واحد من ابنائى » .

كان قد قال ذلك فى العديد من المرات فى اجتماعات « **مجلس الأمن القومى** » المغلقة (١) . ولكنه استطرد قائلا :

ــ « ما أقوله الآن هو اننى مستعد لأن أذهب الى آخر الأرض ، وسوف تدهش اسرائيل حين تسمعنى أقول لكم : اننى مستعد لأن أذهب اليهم .. الى الكنيست نفسه ، كى اناقشهم هناك » .

اهتزت القاعة الرحبة المستديرة بتصفيق مدو . ومرة أخرى ، مال « **الجمسى** » على « **اسماعيل فهمى** » هامسا :

ــ « هذه هى القنبلة » !

ورد عليه « **أسماعيل فهمى** » :

ــ لا . انها مجرد فكرة قديمة ، وقد رفضها منذ زمن »(٢)

... ...

سمع «بيجين» النشرة الأخيرة للانباء ،التى اوردت ملخصا للخطبة أشار الى عرض الذهاب الى « **الكنيست** » بشكل عابر • ثم أوى الى فراشــــه • واتصل « **نفتالى لافى** » ، مستشار وزير الخارجيـــة الاسرائيلية ، تليفونيا برئيسه « **موشيه دايان** » ، وقال له :

– « ربما كان هذا لا يخــرج عن الكلام المعتـاد الذى يقــوله السادات ••• ولكن رد فعلنا يجب أن يكون دقيقا ••• وسريعا » •

– وقال « **دايان** » :

– « سوف نرى مدى جدية ذلك غدا وبعد غدا » •

... ...

وكان « **ياسر عرفات** » ، رئيس « منظمة التحرير الفلسطينية » ، احـــد الذين صفقوا فى قاعة مجلس الشعب ، فى القاهرة • ويبدو انه ظن أن الدعوة لا تعدو أن تكون بلاغة انشائية !! (٣)

... ...

لم تكن كلمات « **السادات** » مجرد بلاغة انشائية ، ولا مجرد طلقة فى الظلام (٤) • فقد ظل الجانبان أشهرا عديدة – منذ اسفرت الانتخابات فى اسرائيل عن وصول « **بيجين** » وحزب « **ليكود** » الى السلطة فى شهر مايو – يحومان حول فكرة اللقاء المباشر وكانت الحكومــة الاسرائيلية الجديدة ، مثل الحكومات التى سبقتها ، مفتونة بفكرة المفاوضات المباشرة (٥) • وكان **السادات** يشعر ، وهو يعلم انه يواجه خصما يصعب التنبؤ بما سوف يفعله ، بأن الموقف الجديد فى اسرائيل يتطلب تغييرا فى التكتيك المصرى •

وكان **السادات** يعرف أن « **بيجين** » يعارض بشــدة أية تســوية لا تتضمن توقيع معاهدة سلام نهائية • وكان « **بيجين** » – حتى وهو وزير فى حكومة الوحدة الوطنية – يعارض الاتفــاقات الجزئيــة ، ويعتبرها مجرد حيلة للحصول على انسحاب اسرائيلى ، دون تقديم أى شىء فى مقابله •

كان « **بيجين** » ، فى الحقيقة يحاول العثور على قنــاة للاتصــال المباشر مع مصر • ففى شهر يونيو ، ولم يكن قد مضى سوى وقت قصير على اجراء الانتخابات ، كان « بيجين » ضيفا على « صمويل لويس » ، سفير الولايات المتحدة الجديد الى اسرائيل •

وقال « **بيجين** » ، الذى لم يكن قد اقسم اليمين القانونية بعد :

– « ســوف يكون هــدفى الأول ، كرئيس للوزراء ، أن اجــرى مفاوضات مع مصر من أجل التوقيع على معاهدة للسلام • وانا واثق أن الولايات المتحدة سوف تتيح لنا استخدام مساعيها الحميدة » •

ولم يجد « **لويس** » ما يقوله ردا على ذلك • فقد كان يعرف ان حكومة الولايات المتحدة تسعى الى اعادة عقد مؤتمر « جنيف » ، الذى سوف تشارك القوى العظمى فى اعماله •

ومر شهر على ذلك • وفى حفل الاستقبال الذى أقيم بمناسبة العيد القومى الأمريكى (٤ يوليو) فى مقر السفير الامريكى ، المترامى الاطراف الذى يطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط فى ضــاحية « هرزليا » ، كان **بيجين** – الذى كان قد اصبح الآن رئيسا للوزراء بشكل رسمى – يختلط بالمدعوين ، الذين كانوا يتابعون كل خطوة يخطوها • وكان « **بيجين** » يبدو بالغ السعادة بمنصبه الجديد ، وبالتبجيل والاحترام اللذان يحوطانه • وبجانب حمام السباحة ، التقى بـ « **جون كوفاسكو** » ، سفير رومانيا فى اسرائيل ، وامسك « **بيجين** » بذراعه ، وقال له فى صوت خفيض : « **يا سعادة السفير ، سوف يكون كرما بالغا من الرئيس شاوشيسكو ان يدعونى لزيارة بوخارست ، وسوف أكون سعيدا بتلبية دعوته** » •

ودهش « **كوفاسكو** » ، ولكنه اجاب : « سوف اباشر الامر فورا » •

وفى نفس الشهر ، اكتشف الاسرائيليون ما يدل على وجود مؤامرة ليبية لاغتيال السادات ، فابلغوا الامر الى مصر عن طريق المغرب ،

الذى كانت للعائلة المالكة به علاقات وثيقة باليهود . واحبطت المؤامرة ، ولكن اسرائيل لم يصلها اعتراف بذلك من مصر .

وفى شهر اغسطس ، اصبحت زيارة رومانيا حقيقة واقعة . وكانت رومانيا هى الدولة الشيوعية الوحيدة التى لم تغلق سفارتها فى « تل أبيب » فى اعقاب الحرب العربية ـ الاسرائيلية عام ١٩٦٧ . واذا كانت رومانيا تؤيد الموقف العربى ، فانها ـ رغم ذلك ـ كانت تحاول الحفاظ على سلامة علاقاتها مع اسرائيل ، ولا تدخر جهدا من أجل المساهمة فى اقرار السلام فى الشرق الاوسط . كما كان هناك فى رومانيا ايضا ، طائفة يهودية تتمتع بالاحترام . وكانت تربط بين البلدين علاقات تجارية وسياحية نشطة الى حد معقول .

وكان الرئيس الرومانى « **نيكولاى شاوشيسكو** » يبذل كل ما فى وسعه من أجل أن يسجل اسمه فى دفاتر التاريخ كزعيم كبير . وكان يقوم ، فى سبيل ذلك ، بأكثر مما يتطلبه الواجب . كما كانت له ايضا مصلحة شخصية فى تشجيع جانبى الصراع العربى ـ الاسرائيلى على التوصل الى تسوية . كان يخاف من الروس ، الذين كان يؤمن بأنهم سوف يزاحون جانبا ، اذا أصبحت منطقة الشرق الأوسط أكثر استقرارا . وزيادة على ذلك ، فانه اذا نشبت حرب جديدة ، فربما فرض الروس على رومانيا قبول اعداد كبيرة من القوات السوفيتية ، تهيئة للتدخل فى الشرق الاوسط . **وكان « شاوشيسكو » قد حاول ، فى عام ١٩٧٣ ، ترتيب لقاء بين « جولدا مائير » ، رئيسة وزراء اسرائيل آنذاك ، وبين السادات** . ولبت مائير الدعوة ، وذهبت الى بوخارست ، ولكن **السادات** لم يحضر . وحدس الاسرائيليون أن رومانيا قد ذهبت الى ابعد مما يجب فى دورها كوسيط ، دون أن تحصل على موافقة الرئيس المصرى . واسف الاسرائيليون لضياع تلك الفرصة السانحة .

واستقبل « **بيجين** » بفتور لدى وصوله الى بوخارست فى شهر

اغسطس ١٩٧٧ · وقام رئيس وزراء رومانيا ، رغم المناسبة التى كانت تتطلب شيئا من المجاملة بانتقاد سياسة اسرائيل ·

واستشاط « **بيجين** » غضبا · فلم يكن ما قاله رئيس الوزراء « **مانيامانشيسكو** » ليتفق وتقاليد الضيافة · وكان رد الزعيم الاسرائيلى ، لذلك ، حادا بعض الشىء ، كما فكر مساعدوه فى تقصير امد الزيارة ، التى بدا فشلها مؤكدا ·

ولكن الشمس سطعت مشرقة فى اليوم التالى · ففى « **سناجوف** » ، التى تبعد ١٥٠ ميلا عن بوخارست ، وقف الرئيس الرومانى يحيى « **مناحيم بيجين** » ويشد على يده فى حرارة · وكان قد سمع بحادثة رئيس وزراءه · وكان يرى ، رغم تأييده المطلق لـ « **مانشيسكو** » ، انه يجب القيام بمحاولة لتصحيح الانطباع السىء الذى تولد عند ضيفه · وفى مقر الرئيس الرومانى ، الذى تحوطه عدة أفدنة من حدائق الورود وعشرات من جداول المياه والبحيرات ، دعا « **شاوشيسكو** » ضيفة لرحلة على مياه احدى البحيرات · واستقل الزعيمان اليخت « **زرويلا** » (الفجر) ، وتتبعتهما مجموعة صغيرة من المراسلين على مبعدة ، لم تتح لها ، بطبيعة الحال ، ان تسمع كلمة واحدة من الحديث الذى دار بين الرجلين ·

كان « شاوشيسكو » ــ وهو ليس بالمتحدث الطلق ــ يتحدث عن طريق مترجم · واستمر الحديث سبع ساعات ، حتى أوشكت الشمس على المغيب · وتبادل الزعيمان طويلا ذكرياتهما عن سنوات مقاومة النازى ·· ثم ، اخيرا ، وصلا الى المواضيع السياسية ·

قال « **بيجين** » :

ــ « **اننى على استعداد لأن اذهب الى أى مكان ، وفى أى وقت ،** للقاء قادة البلدان المجاورة · **اننى أود لقاء الرئيس السادات · واننى وأثق أن ذلك سوف يكون بالغ الفائدة فى اقرار السلام فى الشرق الأوسط** » ·

وكان « **شاوشيسكو** » قد سمع تصريحات مماثلة لذلك فى الماضى من « جولدا مائير » ومن زعماء اسرائيليين آخرين · وكان « بيجين » يعرف أن « **شاوشيسكو** » على اتصال مباشر بالسادات ، وان عليه – أى على « **بيجين** » – ان يثبت صدق نواياه · وأخذ « **شاوشيسكو** » يوجه اليه اسئلة مطولة تتعلق بمواقفه واتجاهاته · ولم يخف الرئيس الرومانى انه اقتنع بجدية « **بيجين** » ، ولكنه مع ذلك سأله :

– « واذا وافق **السادات** على اللقاء الذى تقترحه ، فهل ستكون هناك تنازلات من جانبكم » ؟

واجاب **بيجين** :

– « بلا شك » ·

ولم يعط الرئيس الرومانى لضيفه فرصة للراحة · وتحدث طويلا عن ضرورة اقامة دولة فلسطينية ، وعن وجوب الانسحاب الكامل من الأراضى المحتلة ، وهى موضوعات لم يكن استعداد بيجين لمناقشتها كبيرا على الاطلاق · واعاد رئيس الوزراء الاسرائيلى عرض رأيه فى انه لا يوجد مكان لدولة فلسطينية ، وفى انه ليست هناك جدوى من مناقشة انسحاب اسرائيلى كامل ·

واصل « **بيجين** » ومضيفة الجدل · ولكن « **بيجين** » كان ، عن وقت لآخر ، يلقى بجملة لم تفت اهميتها على الرئيس الرومانى : « سوف يكون كل شىء قابلا للمناقشة اثناء المفاوضات » ·

وكانت النتيجة التى وصل اليها « **شاوشيسكو** » بعد انتهاء النزهة البحرية الطويلة هى أن ضيفه شخص عنيد وليس سهلا ، لكنه ليس من المستحيل التفاهم معه ·

وقال الرئيس الرومانى لبيجين :

– « **فى المرحلة القادمة ، يمكن أن يلتقى ممثلوكم بممثلى**

السادات ، وربما امكن اعداد لقاء شخصى بينكما فى المستقبل القريب » ·

وكان بيجين يأمل فى أن يحاول مضيفه الرومانى ، بشكل ما ، اقناع السادات · وقرر أن ينتظر ·

. . ..

وكان السادات يشعر ان الوقت يمر بسرعة ، دون التوصل الى حل · وفى أوائل شهر سبتمبر ، كان يتحدث مع نائب رئيس الوزراء . « حسن التهامى » · وكان الرجل ، المفتول العضلات ذو القامة الطويلة ، والذقن المدببة والشعر الفضى والنظارات الطبية ، قد أصبح مستودع أسرارا السادات ·

وكان الرجلان يجلسان فى صالون الضيوف بقصر الرئاسة فى « القناطر الخيرية » ، وهى قلعة بناها « محمد على » فى القرن التاسع عشر بالقرب من سد قديم مقام على النيل · وقد اصبحت هذه القلعة ، التى تحيط بها حديقة مترامية الاطراف ، المقر المفضل للسادات (٦) ·

وكان السادات والتهامى يناقشان ضرورة كسر الجمود فى الموقف فى الشرق الأوسط فى شهر سبتمبر ١٩٧٧ · وكان « السادات » يشعر أن الموقف يتطلب اجراءا جسورا جديدا (٧) · ووافقه التهامى ·

ظلا صامتين ما يقرب من ٣٠ ثانية ، مرت وكانها دهر كامل · ثم قال « السادات » بلا اكتراث تقريبا :

— « ربما ذهبت مباشرة الى القدس » ·

ذهل التهامى · ثم أخذ يفكر فى المزايا الهائلة المكنة لمثل هذا العلاج بالصدمة · وقد عرض « السادات » هذه الفكرة ، فيما بعد ، على « حسنى مبارك » نائب رئيس الجمهورية ، وعلى وزير خارجيته

« **اسماعيل فهمي** » ، ولكنه لم يناقشها بشكل تفصيلي ، ولذا فان الاثنين لم يحملاها محمل الجد الخالص • كذلك الح السادات ، مرة أخرى ، وهو يتحدث الى « مجلس الأمن القومي » الى امكانية قيامه بزيارة القدس ، ولكن اعضاء المجلس لم يأخذوا الامر بشكل جدى ، ربما لأن الكلام كان عاما ومبهما بعض الشيء •

كان **السادات** يقلب الفكرة فى رأسه ، محاولا ايجاد الوقت المناسب والمكان المناسب • ذلك ان العملية يجب أن تكون بطيئة حذره ، ويجب ادخال الفكرة فى اذهان الناس بشكل تدريجى • واستدعى **السادات** مدير جهاز مخابراته ، اللواء « **كمال حسن على** » ، وطلب منه استطلاع الآراء بين ضباط الجيش المصرى ، وبين الموظفين المدنيين • وكان **السادات** يريد أن يعرف طبيعة رد الفعل ازاء فكرة الاتفاق مع اسرائيل •

وأجرى اللواء « كمال حسن على » استطلاع الرأى فى سرية بالغة • وكانت النتيجة كما ابلغها للسادات هى : « ان رد الفعل يتسم بالايجابية » •

وبدأ **السادات** ، بالتدريج ، يتحمس للفكرة • واصبح الموضوع وكأنه اختبار شخصى له • وقد قال فيما بعد :

ـ « من المستحيل تغيير الواقع دون أن يكون هناك تغير حقيقى فى الآراء • وقد ادركت ، عندئذ ، ان المسئولية التى اتحملها تجاه شعبى ، وتجاه هذا الجيل والاجيال القادمة ، تفرض على أن اقوم بواجبى دون ان ادخل فى حسابى المنصب الذى اشغله ••• ولو اننى تهربت من هذا الالتزام ، لكنت مخطئا فى حق نفسى ، وفى حق ربى ••• » •

والسادات رجل متدين مشبع بالتقاليد الاسلامية (كذا !!) وكان ينظر الى السلام ، كرجل تلقائى ، بوصفه رسالة دينية ووطنية فى آن واحد • وبدأت الرحلة الى القدس تتخذ السمات الاسطورية التى

كانت تكون ، منذ حداثته ، جانبا كبيرا من شخصيته · وقد وجد السادات فى « التهامى » شريكا مؤمنا بالفكرة · وذات مرة ، اثناء الاسابيع التى كان السادات يصوغ قراره اثناءها ، جلس الرجلان ينصتان باهتمام الى أحد زملائهما (٨) وهو يحكى كيف أنه رأى النبى محمد فى الحلم ، وكيف أن النبى أمره أن يجلب السلام الى الشرق الاوسط ·

وكان السادات يعرف كيف يتصل باسرائيل · وعندما قرر أن الوقت قد حان لعقد أول لقاء استكشافى ، وقع اختيار السادات على المغرب كى يكون محلاً له ، وعلى « **التهامى** » **كى** يكون الرجل الذى يمثله · وابلغ المصريون المغاربة ان « **موشيه دايان** » ، **وزير خارجية** اسرائيل ، هو اكثر الاشخاص صلاحية لاقامة الاتصال (٩) ·

ولم يقع الاختيار على المغرب اعتباطا أو بطريق الصدفة · ذلك ان العائلة المالكة فى المغرب لها تاريخ طويل فى رعاية اليهود واقامة علاقات تتسم بالود معهم · وقد رفض « **محمد الخامس** » ــ والد الملك الحالى ــ اثناء الحرب العالمية الثانية ، تطبيق القوانين المعاديه للسامية التى أصدرتها حكومة « فيشى » على الرعايا اليهود فى المغرب · ولم يكن اليهود يعاملون معاملة طيبة فى المغرب فقط ، بل انهم ، ومنذ القرن السابع عشر ، كانوا يشغلون عددا من الوظائف الهامة فى البلاط الملكى · ولم تجر ابدا أية حملات اضطهاد ضد اليهود المغاربة ، الذين كانوا يكونون طائفة مزدهرة تسبغ الدولة عليهم حمايتهــا ·

وهكذا ، فقد كان للمغرب ، على عكس الدول العربية الأخرى ، علاقات خاصة مع اسرائيل · ورغم تأييد المغرب للقرارات التى يجمع العرب عليها ، ورغم أن قوات مغربية قد قاتلت بجانب السوريين فى مرتفعات الجولان فى حرب ١٩٧٣ ، فان المغرب كان يتبع خطا سياسيا يتميز بالاعتدال تجاه الصراع مع اسرائيل ، كما سمح

بهجرة اليهود المغاربة ، بشكل جماعى ، الى اسرائيل فى الخمسينات والستينات من هذا القرن • وقد تدعمت هذه العلاقة الخاصة بعد نشوب النزاع حول الصحراء الغربية • **فقد ساعدت اسرائيل – سعيا وراء تنمية روابطها بالمغرب – الملك الحسن عن طريق تقديم النصح اليه فيما يتعلق بادارة الحرب فى الصحراء • كذلك قام الخبراء الاسرائيليون بتدريب الجنود المغاربة على كيفية قتال رجال العصابات الصحراوية** • وكان الحسن يسعى للحصول على التأييد الدولى ، لمواجهة القوات الجزائرية وقوات جبهة « بوليساريو » • وقد قرر الملك أن يحصل على ذلك عن طريق الطائفة اليهودية • **وبدأ يدعو علنا الى مزج « العبقرية اليهودية بالقوة العربية »** • كما دعا اليهود المغاربة الذين هاجروا الى اسرائيل لزيارة المغرب ، بل والى العودة للاقامة هناك • وفى نفس الوقت ، كان يحاول اقناع السادات والامراء السعوديين ، الذين كانوا كثيرا ما يقومون بزيارته ، بالسعى للوصول الى تفاهم مع اسرائيل •

وهكذا ، فان صداقة المغرب مع المملكة العربية السعودية ومع مصر قد جعلت من الملك الحسن حلقة وصل هامة بين اسرائيل وبين الدول العربية المعتدلة •

وبهذه الخلفية فى الاعتبار ، اقترح « دايان » على بيجين احياء المبادرة التى كان سلفه ، **اسحق رابين** ، قد بدأها فى المغرب • ووافق « **مناحيم بيجين** » •

هوامش الفصـــل الأول

(١) الغريب ــ والخطير من الناحيـــة الأمنيـــة ــ ان ذلك ما يؤكده السيد / اسماعيل فهمى ، وزير خارجية مصر آنذاك ، فى كتابه « التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط » (جون هوبكنز يونيفرستى برس ، بالتيمور ، ماريلاند ، ١٩٨٣) . على أن اسماعيل فهمى لا يورد فى كتابه المذكور غير مرة واحدة أعرب فيها الســـادات عن عزمه على زيارة اسرائيـــل . وتمضى رواية وزير الخارجية الأسبق لهذه الحادثة على النحو التالى :

« ... عنـــدما عدت أنا والرئيس السادات من جولتنـــا فى بوخارست وطهران والرياض ، دعا السادات مجلس الأمن القومى لعقد اجتماع فى ٥ نوفمبر (١٩٧٧) لمناقشة نتائج هـذه الرحلة . وبدا السادات حديثه بعرض عام لهذه الزيارات ، ثم اشـــار الى تفاصيل محادثاته مع الرئيس شاوشيسكو ، والى الاطار العـــام لاقتراح بيجين حول الخطوط العامة للكيان الفلسطينى الجـــديد . واخيرا ، وبشكل عابر ، أضاف قائلا : انا مستعد أن اذهب الى القدس ، وان القى خطابا فى الكنيسيت الاسرائيلى ، اذا كان ذلك يمكن أن يحقن دم أولادى » .

« وران على الاجتماع صمت كامل بعد هذا القول . ويبـــدو ان احدا لم ياخذ هذا القول بشكل جدى . كما ان الســـادات لم

يوضح تماما ماذا يعنيه . وربما كان ذلك لأنه لم يكن قد اتخذ بعد قرارا نهائيا فى هذا الموضوع ، أو ربما لأنه لم يرد أن يعطينا فرصة التعليق على ما قاله ، أو مناقشته (فهمى ، ((التفاوض)) ، ص ٢٦٦ و ٢٦٧) .

... ...

(٢) يروى اسماعيل فهمى ما دار بينه وبين اللواء الجمسى فى مجلس الشعب عندما أعلن السادات عن استعداده لزيارة القدس على النحو التالى :

((همس وزير الحربية اللواء الجمسى فى أذنى قائلا :

ـــ ((ها هو يقولها مرة أخرى)) .

وبعد ان يروى ما دار فى اجتماع مجلس الأمن القومى ، والوارد فى الهامش السابق (رقم ١) يستطرد قائلا :

((ولم يقطع هذا الصمت سوى اللواء الجمسى ، الذى صاح فجأة ، وهو يلوح بذراعه :

ـــ ((لا كنيسيت ... لا كنيسيت ... ليس هذا ضروريا)) .

((وكان الجمسى ، عادة ، من الرجال الذين يلتزمون النظام بصرامة تامة . فلم يكن يتدخل فى الحديث ابدا ، قبل ان يستأذن السادات اولا . بل انه لم يكن يشعل سيجارته دون الحصول على اذن بذلك . ولكنه يبدو أنه أحس بقلق بالغ ، لخشيته أن يكون السادات يعنى ما يقول)) .

((ومرة اخرى ، ران الصمت على الاجتماع . ولم ينبس أحد بكلمة واحدة (؟ . فتأمل) . ومضى السادات يتكلم عن مواضيع اخرى ، وكأنه لم يسمع ما قاله الجمسى على الاطلاق)) .

... ...

(٣) يخالف ذلك رواية اسماعيل فهمى عن رد الفعل الذى احدثه تصريح السادات فى نفس الزعيم الفلسطينى . اذ تقول رواية الوزير المصرى الأسبق :

« قررت ـ تأكيدا لالتزام مصر باتخاذ موقف عربي موحد ـ وبعد موافقة السادات ـ دعوه ياسر عرفات الى زيارة القاهره في ٩ نوفمبر ١٩٧٧ . وكان من المقرر أن يلقى السادات ، في ذلك اليوم ، خطابا هاما (راجع ما قاله المؤلفون بشأن الوصف التقليدى لخطاب السادات) في مجلس الشعب . ودعى ياسر عرفات ، لاول مره ، لحضور هذه الجلسة التى يعقدها مجلس الشعب . وقبل ياسر عرفات الدعوة الى زيارة مصر . وارسلنا طائرة عسكريه خاصة كى تقله الى القاهره . ومن الغريب أن يختار السادات هذه المناسبه كى يعلن عن استعداده لزياره القدس » .

« وكان من المفروض أن يلقى السادات خطابه (الهام) في مجلس الشعب من نص مكتوب . ولكنه ، فجأة ، وضع النص المكتوب جانبا ، واعلن ، فيانفعال ، عن استعداده للذهاب الى اى مكان في العالم ... » .

« ... واصيب ياسر عرفات بالذهول . وتساءل غاضبا : ما معنى هذا ؟ هل يتعمد السادات أن يقول ذلك في حضورى ؟ هل دعوتمونى الى القاهرة كى أسمع مثل هذا الكلام ؟ » .

« وأكدت له ان الأمر ليس متعمدا ، وان الأمر لا يعدو أن يكون مجرد زلة لسان . ولكننى أنا نفسي ، لم أكن واثقا تماما من ذلك » .

(فهمى ، « التفاوض » ، ص ٢٦٥ و ٢٦٦)

... ...

(٤) وبرغم ذلك ، فان اسماعيل فهمى يقول :

« وبعد انتهاءه ، من القاء الخطاب ، توجه الرئيس السادات الى البهو الملحق بالمجلس ، وهناك ، قال لى صائحا أمام الجميع :

« ـ لقد كانت زلة لسان .. أرجوك يا اسماعيل أن تحذف هذه الجملة من الخطاب » .

« وأصدرت ، على الفور ، التعليمات بحذف هذه الفقرة من الخطاب . وهكذا فان العبارة الخاصة بزيارة القدس والكنيست

لم ترد فى الخطاب عند نشره فى الصحف الحكومية فى اليوم التالى.
ولكن المراسلين الأجانب ، الذين كانوا يحضرون جلسة مجلس الشعب ، ادرجوها بشكل بارز فى برقياتهم)) .

(فهمى ، « التفاوض » ، ص ٢٦٧)

... ...

(٥) يقول وزير خارجية مصر الأسبق اسماعيل فهمى حول تحركات حكومة الليكود الرامية الى تدبير لقاء مباشر بين السادات وبيجين ، والتى سبقت اجتماع حسن التهامى مع موشى دايان فى المغرب :

((حدثت اول ايماءة تشير الى ان الاسرائيليين كانوا يسعون الى تدبير شىء ما ، فى شهر اغسطس (١٩٧٧) ، عندما تلقيت برقيات من سفاراتنا فى فيينا واشنطن ولندن تفيد ان عددا من قادة حركة الصهيونية العالمية قد أبدوا رغبتهم فى تدبير اجتماعات سرية مع الرئيس السادات . وكان من المستبعد ، الى حد كبير ، ان يكون توقيت هذه الرغبات فى نفس الوقت مجرد مصادفة . ومع ذلك ، فلم يكن واضحا ما يعنيه ذلك . وقمت بنقل هذه الطلبات ، حائرا ، الى الرئيس السادات . وقلت له اننى ارى انه لا يجب السماح لهؤلاء الأشخاص بالقدوم الى مصر ... ووافقنى السادات على ذلك . فأرسلت التعيمات الى سفاراتنا الثلاث بأن يبلغوا هؤلاء (القادة الصهاينة) اسفنا ان الرئيس السادات لم يوافق على ذلك)) .

وبالرغم من كل ما تلى ذلك من احداث ، فان اسماعيل فهمى يستطرد قائلا :

((هل اوعز بيجين الى هؤلاء القادة الصهاينة بأن يطالبوا مقابلة السادات ، كى يقترحوا عليه عقد اجتماع بينه وبين بيجين ؟. لازلت ، حتى الآن (نشر كتابه عام ١٩٨٣) لا أعرف الاجابة على هذا السؤال)) .

(فهمى ، ((التفاوض)) ، ص ٢٥٢)

والذى يزيد من غموض موقف وزير الخارجية المصرى الأسبق ان الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر يقول انه عندما اجتمع بمناحم بيجين فى واشنطون اثناء زيارة الأخير الولايات

المتحدة فى شهر يوليو ١٩٧٧ ، وعده بيجين « بأن ينظر الى القضايا الخلاقية (الخاصة بالنزاع العربى — الاسرائيلى) بعقل مفتوح ، وصرح لى بأنه يقوم بوضع خطط استطلاعية لعقد لقاءات مباشرة بينه وبين السادات » (جيمى كارتر ، « الحفاظ على العهد ، مذكرات رئيس » ، بانتام بوكس ، نيويورك ، نوفمبر ١٩٨٢ ، ص ٢٩١) . بل ان كارتر يقول ، زيادة على ذلك : « كان السادات قد أبلغ وزير الخارجية فانس مؤخرا بأنه يريد الاجتماع مع بيجين » . ولكن كارتر لا يحدد متى أبلغ السادات فانس بذلك . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ، ص ٢٩٦) .

... ...

(٦) أغلب الظن ان مصدر هذه المعلومات التاريخية «الرائقة» هو احد اعلام المغامرات « التاريخية » التى تنتجها هوليوود . ومن المؤكد أن « ساكن الجنان » محمد على برىء تماما من هذه « القلعة » الوهمية التى نسب اليه بناءها ، وان كل ما انشأه فى القناطر الخيرية هو هذه القناطر التى تنظم مياه الرى . اما « القلعة » التى يشير اليها مؤلفوا الكتاب ، فهى استراحة كانت سلطات الاحتلال الانجليزى قد اقامتها ، فى الأصل ، كى يقيم بها مفتش الرى الانجليزى الذى يشرف على أعمال هذه القناطر .

... ...

(٧) أنظر الفصل الثانى من هذا الكتاب (ص ٢٦) حيث يشير المؤلفون الى رسالة سرية بعث بها كارتر الى السادات يحثه فيها على القيام باجراء جسور لتحطيم الجمود القائم آنذاك .

... ...

(٨) أغلب الظن انه حسن التهامى نفسه .

... ...

(٩) هل هى محض مصادفة أن يكون دايان وزيرا للدفاع اثناء حرب أكتوبر ، وزيرا للخارجية ، مرة اخرى ، اثناء المفاوضات التى أعقبت « مبادرة » السادات ؟ . و « دايان » ، كما هو معروف ، أحد رجال امريكا البارزين فى اسرائيل .

٢

حلقة الوصل المغربية

حينما تولى « دايان » منصبه فى تلك المجموعة من الاكواخ القديمة التى تضم مكاتب وزارة الخارجية الاسرائيلية ، طلب الاطلاع على كافة الوثائق المتعلقة بجهود السلام والحديثة منها بوجه خاص . ومن بين هذه الوثائق الاخيرة ، كانت هناك وثيقة تحمل توقيع « اسحق رابين » ، وتبين ، بشكل تفصيلى ، اتصالاته بالمغاربة .

وكانت الصحف الأجنبية (أى غير الاسرائيلية) قد نشرت انباء مفادها أن « اسحق رابين » قام ، فى شهر اكتوبر ١٩٧٦ ، بزيارة رسمية للمغرب بناء على طلب الملك الحسن ، الذى ابلغ رابين انه قد أصبح يخشى من الاتجاهات الراديكالية فى العالم العربى . وقال الحسن انه يعتقد أن السادات سوف يضطرا الى العودة ، ان آجلا أو عاجلا ، الى منطقة النفوذ السوفييتى ، اذا لم تتحطم الدائرة المغلقة التى يدور فيها الصراع العربى ـ الاسرائيلى .

وسأل « رابين » مضيفة عن السبب الذى جعله يدعوه ، وهو

رئيس وزراء اسرائيل ، لزيارته فى قصره الملكى • وابتسم «الحسن» وقال :

ـ « فى عام ١٩٥٨ ، وكنت لا أزال وليـا للعهد ، دعوت فى أحـد مؤتمرات القمة(١) **الى قبول اسرائيل عضوا فى الجامعة العربية** • وكاد الرؤساء العرب أن يسقطوا من مقاعدهم من الدهشة لما قلت • ولكن ، قل لى ، كم عدد اليهود فى دولة اسرائيل ؟ مليونان ونصف المليون يهودى ؟ ان ذلك لا يعدو أن يكون جزيرة صغيرة فى المحيط العربى ، بالاضافة الى أن نصف تعداد سكانكم من الشرقيين أمثالنا»

واقترح الملك الحسن أن يلتقى رئيس الوزراء الاسرائيلى بولى العهد السعودى الامير فهد ، الرجل القوى ، ووريث العرش السعودى • ووافق رابين • وقال الحسن أنه سوف يبلغ الامير فهد ، الذى يمتلك قصرا فى المغرب ، يقضى فيه أجازاته أحيانا • كما اتفق الرجلان على أن يلتقيـا مرة أخرى • وقبـل أن يغـادر « رابين » المغرب الى باريس فى طريقه الى اسرائيل ، ترك سؤالين مكتوبين فى ورقة صغيرة وضعت على مكتب الملك الحسن • وكان السـؤالان الموجهـان الى الرئيس السـادات هما :

١ ـ ما الذى تريده مصر فى مقابل انهـاء حالة الحرب ؟ •
٢ ـ ما الذى تريده مصر فى مقابل معاهدة سلام ؟ •

وفى شهر سبتمبر ١٩٧٧ ، غادر « دايان » اسرائيل فى طريقه الى نيويورك • ولكن طائرة شركة « العـال » ، التى كان يسـتقلها ، توقفت فى باريس ، حيث كانت طائرة الملك النفاثة الخاصة من طراز « ميستير ٢٠ » تقف فى انتظـار « دايان » ومساعدوه فى المطـار • وخلع « دايان » الرباط الأسود الذى يضعه على عينـه ، وارتـدى نظارة شمس ، حتى لا يتعرف عليـه أحـد • وأقلعت الطـائرة « الميستير ٢٠ » من باريس فى اتجـاه طنجة • أما طائرة « العال » فقد واصلت رحلتها الى نيويورك بدون « دايان » (٢) •

وفى طنجــة ، أخذ « دايان » الى أحد قصور الحسن ، حيث أخــذ الملك ووزير الخارجية الاسرائيلى يتبادلان الاحاديث العادية انتظارا لقــدوم ضيف آخر · وسرعان ما فتح باب مكتب الملك ، ودخل نائب رئيس الوزراء المصرى ، حسن التهامى · ووقف الرجال الحاضرون وقام مستشار الملك « بن سودة » بتقديم « دايان » الى « التهامى » ·

وابتسم « التهامى » ، وقال :

ــ « ليست هناك ضرورة لتقــديم السيد « دايان » ، فانا أعرفه جيدا ·

تصافح الرجــلان · ودخل « دايان » الى الموضوع مباشرة · فقد سأل التهــامى :

ــ « هل تريدون السلام حقــا ؟ »

وأجاب التهامى :

ــ « نريده بقــدر ما تريدونه أنتم ، على الأقل » ·

وقال دايان :

ــ « اننى أقترح ترتيب لقــاء بين بيجين والسادات ، كما اقترح بيجين على شاوسيسكو فى رومانيا » ·

ورد عليه التهامى قائلا :

ــ « لن يضع السادات يده فى يد بيجين طالمــا كان هناك جنــدى اسرائيلى واحد فى الأراضى المحتلة » ·

وانتقــل الحــديث ، بعــد ذلك ، الى ذكريات المــاضى البعيد · وتجادل « دايان » و « التهامى » حول من يقع عليه اللــوم فى عــدم اقرار السلام حتى ذلك الحين ·

وتحــدث « التهامى » عن الانسحاب من سيناء بوصــفه يمثــل الحــد الأدنى من الشروط لعقــد لقــاء بين السادات وبيجين · وعندما

ادرك أنه ذهب الى ابعـد مما يجب ، طالب باصدار تعهـد اسرائيلى بالتخلى عن سيناء كشرط لعقـد مثل هذا اللقـاء ٠

وأجـاب « دايان » :

ـ هذا مستحيل ٠ ان كل شيء قابل للمناقشة دون أيديولوجية ٠ وربمـا استطاع السادات اقناع بيجين بالانسحاب من سـيناء ٠ ولكن ذلك لا يمكن سوى أن يكون نتيجة لاتفـــاق ، وليس شرطـا لعقـد اللقـاء » ٠

وفسر التهامى هذه الملاحظـة بأنها تأكيـد بالانسحاب ٠ ونقـل هذا التفسير ، فيمـا بعـد الى السادات ٠ (مقارنة مع زيارة شمس بدران الى موسكو قبـل حرب يونيو) ٠

وكان المساء قـد حل ٠ وكان الجو طيبا ، وطعام العشاء أكثر من ممتـاز ٠ وكان الملك الحسن يأتى ويذهب بين الحين والآخر ٠ وكان كثيرا ما يترك الرجـلان وحـدهما أثنـاء المناقشة ٠ وكان التهامى ، بين الفينه والفينه ، يستعيد ذكريات المـاضى ٠

وكانت هناك لحظـات مرحة أيضـا ، ففى أثنـاء حديثهما ، كان التهامى قـد تحـدث بمرارة عن نظـام عبد الناصر ، وعن عبد الناصر نفسه ٠ ولكنه ، أثنـاء تناول العشاء ، قال لدايان موبخـا :

ـ « هل تريـد أن تقول لى انكم لم تكونوا على اتفـاق تام مع عبد الناصر ، أو أنه لم يكن يتقاضى منكم راتبا ؟

ورد عليه « دايان » هاتفا :

ـ « هل أنت مجنون ؟ » ٠

وحكى التهامى عن الاجهاد العقلى والبدنى الذى أصاب عبدالناصر بعـد انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة فى عام ١٩٦١ ٠ وأشار الى ضرورة وقف الروس ٠ وألمح الى أن مصر تريد المسـاعدة

من اسرائيل فى صراعها مع ليبيا ، اذا سنحت الفرصة للتحـرك ضد حاكمهـا معمر القذافى ٠

وضـــع « دايان » مشاكل اسرائيل الدفاعية أمام التهامى ، قائلا :

ــ « اننـا لا مصلحة لنـا فى حكم نابلس أو غزة ٠ والسبب فى وجودنـا هنـاك هو أن الجيش الاسرائيلى يسـتطيع الـدفاع عن اسرائيل من هنـاك » ٠

وكان التهامى يقفز من موضوع الى آخـر ٠ فقـد عرض آراءه الدينية على « دايان » وقـال انه يؤمن بأن الشرق الاوسط الذى كان مهدا لثلاثة أديان كبرى قـد تدهور تدهـورا كبيرا ، ولكـن هـذا التـدهور قـد أصبح الان على وشك التوقف ، وان المنطقـة سوف تستعيد أمجـادها السابقة ٠ واستطرد التهامى يقول :

ــ « يجب أن نزيح من طريقنـا كافة العقبات ، ومن بينها الحرب التى تحول دون تحقق الازدهـار الروحى الهائل والرخاء الاقتصادى العظيم فى المنطقـة » ٠

وقال التهامى أنه بعـد تحقيق هذه الانجـازات ، فان المنطقـة سوف تحتل المكـانة التى تنبأ بها الانبياء والرسل ، وان الطريق سوف يكون عندئذ ممهدا لنشوب الحرب الحتمية بين « يأجـوج » و « مأجوج » ، وعندها سوف ينتصر أبناء النور على أبناء الظـلام ٠ وعلى اسرائيل أن تقرر أى معسكر تريـد أن تكون فيه ٠

كان « ديان » متشككا فى امكانية التعاون بين البلدين ضد الروس، ونقـل الحديث الى الامور الاكثر الحاحا ومباشرة ٠ وألمح الى التهامى أن اسرائيل قـد تقبل ضم منظمة التحرير الى عملية السلام ، أو انـه ، هو على الأقـل ، لا يرفض هـذه الامكـانية فى وقت ما فى المستقبل ٠ وهكذا فاز التهامى بالانطباع بأنه يمكن تجاهل الفيتو الاسرائيلى فيمـا يتعلق بمنظمة التحرير ٠

وبعـد سبع ساعات من المناقشات ، ودع دايان والتهامى أحدهما الاخر فى حضور الملك الحسن • وضغط ديان على التهـامى كى يؤكـد الاخير أن الاتصالات بين اسرائيل ومصر سوف تستمر • وأيـده الملك الحسن فى ذلك ، ونصح التهامى بتجنب العناد ، وان يدرك أن المسألة الاساسية هى استعداد اسرائيل للدخـول فى حوار ، وتأكيـد دايان بأن « كل شىء قابل للمفاوضة » •

وسأل « دايان » التهامى :

– « هل سنلتقى مرة أخرى ؟ فى واشنطون أو المغرب أو القدس ؟»

وأجـاب التهـامى :

– « لست واثقـا على الاطلاق أن أحدنا سوف يرى الاخر مـرة أخـرى »(٢) •

وقـد زعم التهامى ، فيما بعـد ، أنه ضلل دايـان عمـدا عنـد افتراقهما ، لانه لم يكن يريـد أن يلمح الى مبادرة الرئيس السادات السلامية المقترحة • وكان التهامى قـد عرف ، قبل قيامه برحلتـه المغربية ، ان السادات ينوى اتخـاذ خطوة جسورة نحو السلام • وكان قـد التقى بوزير الخارجية الاسرائيلى كى يحاول أن يعرف اذا كانت مثل هذه الخطوة سوف تلقى ردا اسرائيليا معقولا • وهو لم يكن يريد مناقشة تفاصيل الاتفـاق مع دايان • وقـد كان الانطباع الذى تولد لدى التهامى هو أن هنـاك أساسا للقيام بمبادرة سلام ، وأبلغ ذلك للرئيس السـادات • **كذلك ابلغ التهـامى المسـؤولين السعوديين باجتمـاعه مع دايان •**

وقـد وجـد التهامى انه من الصعب تقييم شخصية « دايان » • ففى أثنـاء لقاءهما الطويل ، أثارت معرفة دايان بالتفاصيل اعجابه ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يفرق ، بشكل حاسم ، بين آراءه الحقيقية

وبين الآراء التى يعرضها لأغراض المساومة • **وقد قال التهامى ، فيما بعـد ، أنه شعر أن هنـاك نوع من التفـاهم بينه وبين دايان ، وأن هذا التفاهم كان أعمق بكثير مما أمكن تحقيقه أثنـاء المحادثـات بين مصر واسرائيل •**

ولكن تفسير دايان لمحادثاته مع التهامى كان أكثر محدودية بمـا لا يقـاس من تفسير الأخير ، كذلك عبر « دايان » عن آراء بالغـة الانتقـــاد للتهـامى •

وعاد « دايان » الى باريس ، حيث أرسل من هنـاك برقيـة بالشفرة الى بيجين • وأدرك رئيس الوزراء من قراءته لمحتـويات البرقية ان النقـاش لم يسفر عن شىء جديد بشكل خاص ، وذلك فيما عدا اللقـاء نفسه بالطبع ، **والذى كان أول لقـاء من نوعه مع نائب رئيس وزراء مصر •**

كان دايـان فى طريقه الى الولايات المتحـدة ، ولكنه فضـل أن يعود الى اسرائيل ، كى يرفع بنفسه تقريره عن المحادثات الى بيجين • وأثارت عودته غير المتوقعـة انتباه وسائل الاعلام • وازداد التوتر حـدة حين بقى اللغز دون حل • وتنافست الصحف والاذاعةو التلفزيون فى التخمينـات والاستنتاجات ، والخيالات فى كثير من الاحيـان • وكـان السؤال الذى رددته وسائل الاعلام هو : هل التقى دايـان بحـاكم افريقى أم بزعيم عربى ؟

وفى القـاهرة ، غضب التهامى من الضجة التى أثارتها عودة دايان الى اسرائيل • ولم تنشر الصحف المصرية بكلمة واحـدة ـ بل وحتى فيمـا بعـد (أى بعـد المبـادرة) عن هـذا اللقاء ، وذلك لتجنب الاعتراف بأن الأرض قد مهـدت لمبادرة السادات •

وقد كان هناك ، فى القدس أيضا ، ضيق بعودة دايان • وادعى خصوم دايان ، داخل الوزارة وخارجهـا ، انه فعل ذلك كى يفـوز

بقـدر كبير من الدعاية • ولم يتفوه دايان بكلمة واحدة ، ورحل فى اليـوم التالى الى الولايات المتحـدة •

وفى الأسبوع الثانى من شـهر أكتوبـر ، بعث الرئيس كارتـر برسالة سرية الى السادات تتعلق بالازمة التى تواجه الجهود لعقد مؤتمر « جنيف » وكتب كارتر فى هذه الرسالة يقول : **ان هذا الجمود لن يحطمه سوى خطوة جسورة** ، وتساءل كارتر : ما الذى يمكن عمله من أجل الوصول الى حل وسط يرضى الجانبين ؟ » •

وقد قال السادات فيما بعد : « **منذ تلك اللحظة ، بدأت أفكر فى التحرك بسرعة • وقررت أن أنظر الى الموقف من زاوية جديدة ، وأن أحلله من جديد** » •

ولم يكن أقرب مساعدى السادات يعرفون ، بعد ، ما يدور فى ذهنه حول التغير القـادم • وقـد قال السادات : « لقـد توصلت الى نتيجة مفـادها أن أى تغير يجب أن يحدث فى ذات طبيعة موقفنـا • فقـد تعودنا ـ كما تعلم جيل كامل أن يتعود ـ على فكرة أن اسرائيل هى نوع من « التابو » ، أو شىء تحول تداعياتنا العاطفية دون الاقتراب منه • واذا كنا نريد حقا أن نواجه طبيعة النزاع ، لكى نقيم السلام ، فيجب أن نجد أسلوبا جديدا يتيـح التغلب على كافـة الاجـراءات الرسمية ، وكسر حاجز فقـدان الثقـة المتبادل » •

وفى أواخر شهر أكتوبر ، اصـطحب السـادات وزير خارجيتـه اسماعيل فهمى ، لزيارة رومانيا • وعقـد هنـاك محادثات مطـولة مع الرئيس شاوشيسكو ، الذى أبلغه بالمناقشات التى أجراها مع بيجين منذ شهرين مضيا • وسأل السادات الرئيس الرومـانى عن انطبـاعه عن ذلك النقـاش • وأجاب شاوشيسكو :

ـ « ان بيجين يريد الوصول الى تسوية » •

وقال السادات :

ـ « هل تريـد حكومة اسرائيل الحـالية التى يرأسها بيجـين

زعيم حزب ليكـود المتعصب ـ هل تريـد هذه الحكومة السلام ؟ هل يمكن لمتطرف مثل بيجين أن يريد السلام حقا ؟ ٠

وأجـاب شاوشيسكو :

ـ « اسمح لى أن أؤكـد لك ، ودون أى تردد ، ان بيجين يريـد السلام فعلا » ٠

ورفض السادات اقتراح الرئيس الرومانى بترتيب لقـــاء بين وزيرى خارجية مصر واسرائيل ، أو بينـه وبين بيجين ٠ وقـال السادات :

ـ « لقد سمعت كل ما كنت أريد معرفته » (٤) ٠

ويقـول السادات أنه أثنـاء رحلة العودة ، التى توقف أثناءهـا فى طهران والرياض ، كانت الافكار تروح وتجيىء فى ذهنه ٠

... ...

وفى القـدس ، خمن بيجين أن الرئيس الرومانى قـد تحادث طويلا عن السلام مع السادات ، فأرسل خطابا الى شاوشيسكو يستفسر فيه منه عن التطورات التى حدثت فيما يتعلق باللقـاء ٠

ورد عليه الرئيس الرومانى يبلغه بمواصـلة الجهـود فى هـذا الشأن ٠

... ...

وفى القـاهرة ، كانت أفكـار الرئيس السادات قد تركزت حول قيامه بزيارة شخصية الى القدس كى يؤدى صلاة عيد الاضحى فى الجامع الاقصى ، وذلك بوصف أن هذه الزيارة تمثل الخطوة الاولى فى عمليـة سياسية سوف تؤدى الى احـداث تغـير جذرى فى قواعـد المفاوضات ٠

وقـد قال السادات فيما بعـد :

ـ « لقـد قلت انني مستعد للذهاب الى أى مكـان بحثـا عن السـلام ، فهل كنت أستطيع ، حينئذ ، الغـاء اسرائيل ؟ •

وأضـاف السادات :

ـ « لقـد كنت أريـد أن أضع الكرة فى ملعبهم » •

هوامش الفصــل الثانى

(١) من المســتحيل ان يكون ما نقله المؤلفون عن الحسن الثانى صحيحا . ذلك ان أول مؤتمر قمة للرؤساء والملوك العرب انعقد فى صيف عام ١٩٦٤ بفندق فلسطين بالاسكندرية ، بنــاء على دعوة الرئيس الراحل جمال عبــد الناصر ، وذلك لمناقشــة موضوع تحويل مياه نهر الاردن .

... ...

(٢) فى كتابه « الاختراق » (وايدن فيلــد أند نيكلسون ، لندن ، ١٩٨١) يقول « موشى دايان » انه قام ، قبل زيارته المغربية هذه ، بزيارة اخرى للمغرب فى ٤ سبتمبر ١٩٧٧ ، وان هذه الزيارة تمت بناء على دعوة من الملك المغربى . ويقول دايان أنه اقترح على الحسن الثانى ، فى زيارته الأولى هــذه ، ترتيب لقاء بين بيجين أو دايان وبين السادات أو نائبه الرئيس الحالى حسنى مبارك ، وان الملك المغربى وعده بأن يرسل فورا مبعوثا شخصيا عنه الى القاهرة لعرض هذا الاقتراح على السلطات المصرية المسئولة . ويستطرد دايان قائلا انه لم تكد تمر اربعة ايام على وعد الملك حتى تلقت السلطات الاسرائيلية فى ٩ سبتمبر ١٩٧٧ « رســالة تفيــد بموافقة السلطات المصرية على عقد اجتماع على أعلى المستويات فى اقرب وقت ممكن . واقترح المصريون عقد اجتماع بين الرئيس

المصرى السادات وبين رئيس الوزراء الاسرائيلى ، مناحيم بيجين ، أو بين نائب رئيس الوزراء المصرى ، حسن التهامى ، وبينى » .
ولكن دايان يعود ، بعد ذلك ، ويقول ان السلطات المصرية عدلت فيما بعد عن اقتراحها بشأن عقد اجتماع بين بيجين والسادات ، وطلبت أن يكون هذا الاجتماع بين تهامى ودايان .

كذلك يقول دايان فيما يتعلق باجراءات السرية التى أحاطت بزيارته الثنية الى المغرب والتى التقى فيها بحسن التهامى ، أنه قام أولا ، وبرفقة زوجته ، بزيارة المملكة البلجيكية ، حيث عقد اجتماعا مع « ألكسندر هيج » ، قائد قوات حلف الأطلنطى آنذاك (والذى لعب دورا هاما فيما بعد فى العلاقات المصرية الاسرائيلية ، حين شغل منصبى وزير الخارجية ومستشار الأمن القومى) . ويستطرد دايان قائلا :

« خرجت من مكتب هيج ، كى أواجه كاميرات التليفزيون واسئلة المراسلين البلجيكيين والفرنسيين . ثم اتخذت طريقى مع « راحيل » (زوجة دايان) وبقية المرافقين الى المطار . وبينما واصل هؤلاء طريقهم الى المطار ، حيث استقلوا الطائرة الى نيويورك ، انحرفت سيارتى الى طريق جانبى ، وأخذت الى منزل خاص ، حيث استسلمت مرة أخرى لخبراء التنكر ، الذين وضعوا باروكة من الشعر الطويل فوق رأسى ، وشاربا أنيقا تحت أنفى ، ونظارة شمس قاتمة على عينى . ثم خرجت من باب خلفى للمنزل ، وتوجهنا الى حيث كانت تنتظرنا سيارة أخرى ، نقلتنا ، بدورها ، الى سيارة ثالثة . وبعد مزيد آخر من التنقل بين السيارات ، توجهنا بالطريق البرى الى باريس ... وكان أصدقاءنا المغاربة فى انتظارنا حين وصلنا الى باريس ، حيث توجهوا بنا مباشرة الى طائرتهم » .

(دايان ، « الاختراق » ، ص ٣٨ — ٤٣)

... ...

(٣) يورد دايان فى كتابه (« الاختراق ») عرضا مطولا لما دار فى اجتماع الرباط بينه وبين حسن التهامى (والذى يضفى

عايه — دون سبب واضح — لقب الدكتور) . وينهى دايان عرضه هـــذا بقوله :

((وبمباركة الملك ، اتفقنا ، أنا والتهـــامى ، على التحركات الثلاث الآتية :

١ — أن يقوم الطرفان فورا برفع تقريريهما عن الاجتماع الى رئيسـيهما كى يحصـلا على موافقتهمـا على عقـد مزيـد من الاجتماعات . وسوف أقوم أنا بالاشارة فى تقريرى الى بيجين الى ما طلبه الســادات بشأن ضرورة أن تعلن اسرائيــل التزامهـا بالانسحاب من الأراضى (المحتلة) ، بوصف هــذا الطلب يمثل شرطا مسبقا لاستئناف المباحثات .

٢ — أن يقوم الطرفان بتبادل وثائق مقترحات السلام ، التى يقوم كل طرف باعدادها ، وذلك لدراستها قبـل موعد اجتماعنا القادم ، وأن يخطرا الولايات المتحدة بفحواها .

٣ — فى حالة موافقة رئيسا الدولتان على هذه المقترحات ، فســوف ينعقد اجتماعنا القـادم فى المملكة المغربيـــة فى خلال أسبوعين)) . (دايان ، ((الاختراق)) ، ص ٤٤ — ٥٢) .

أما فيما يتعلق بما قاله حسن التهامى عن الرئيس الراحـل جمال عبد الناصر ، فان دايان يقول :

((روى لى التهـــامى حكاية تتعلـــق بحرب الأيام الســـتة عام ١٩٦٧ . قال ان المخابرات الحربية المصرية كان لها جاسوس يحتل منصبا هاما فى الجيش الاسرائيلى ، وان هذا الجاسوس قد أمدهم بمعلومات تفيد ان الهجوم الاسرائيلى سوف يقع فى الفترة بين ٣ و ٦ يونيو . وسألته : لمـــاذا ، اذن ، لم تتخذ قيادة الجيش المصرى ، وقيـــادة القوات الجـــوية المصرية بوجـــه خـــاص ، الاستعدادات الـــلازمة لمواجهـــة ذلك ؟ . فنظر الى التهامى ، وسألنى فى جـــدية تامة : قل لى بصراحة ، الم يتآمر عبد الناصر معكم فى ذلك الحين ؟ . والا فكيف أمكن أن تحل هذه الكارثة بنا ؟ . ولمـــاذا بعث عبد الناصر بقائد الجيش عبد الحكيم عامر كى يطير الى سيناء لزيارة وحدات الجيش هناك فى نفس الوقت الذى بدأتم فيـــه هجومكم ؟ . ولاحظت انه حين ذكر اسم عبـــد الناصر كانت

شفتاه ترتعشان غضبا واحتقارا . والمح الى إنه يعكف حاليا على كتابة كتاب عن عبد الناصر ، وان هذا الكتاب سوف يكشف حقيقة هذا الرجل المجنون الذى دفع بمصر الى هاوية الخراب » .

(دايان ، « الاختراق » ، ص ٥٢)

كذلك يقول « دايــان » ، أنه حين التقى بالسادات أثناء زيارته للقدس ، وتطرق الحــديث الى السبب الذى دفعه الى ايفــاد حسن التهامى الى الرباط للاجتماع بدايان ، قال له الســادات : الواقع اننى ارسلت التهامى كى يمابلك لسبب آخــر تماما . ففى ذلك الوقت ، كانت الاستعدادات تجرى لعقــد مؤتمر جنيف . وكانت مهمة التهامى أن يسعى الى تحقيق نوع من التفاهم بين مصر واسرائيل قبل انعقاد المؤتمر ، حتى لا ينتهى هذا المؤتمر بالفشل . ولم يكن الهدف من مباحثات التهامى معك ، هو تدبير لقاء بينى وبين بيجين » .

(دايان ، « الاختراق » ، ص ٨٨)

ومن ناحية اخرى ، يقول اسماعيل فهمى بصدد ذلك :

« على ان الأمر الذى لا يزال غير واضح لدى هو ما اذا كانت هناك صـــلة مباشرة بين ذهاب التهامى الى الرباط وبين مبــادرة السادات وزيارته للقــدس . فقد أنكر السادات أن تكون مباحثات الرباط تمهيدا لزيارته للقــدس ، أو حتى تمهيدا لعقد اجتماع بينه وبين بيجين فى مكان آخــر » .

(فهمى ، « التفاوض » ، ص ٢٥٢)

... ...

(٤) يقول اسماعيل فهمى ان السادات قــد صرح له عقب اجتماعه هذا بالرئيس الرومانى برغبته « فى الذهاب الى القــدس لالقاء خطاب فى الكنيسيت » .

(فهمى ، « التفاوض » ، ص ٢٥٦)

٣

الطريق المسدود

تمثلت قنوات الاتصال المباشر التى أدت الى مبادرة السـلام فى المغرب ورومانيا • ولكنه كان واضحا ، منذ بداية ، ان الولايات المتحـدة هى التى يجب أن تلعب الدور الرئيسى ، ليس فقط كقنـاة للاتصال ، بل ، وايضا ، كوسيط ايجابى تتم العملية تحت رعايته • ذلك أنه لم يكن من الممكن احداث أى تقدم بدون مساعدة دولة عظمى • واذا كانت مصر واسرائيل لم يستعينا بالامـريكيين فى المراحـل الأولى ، فان كل من الدولتين كانت تبلغ الولايات المتحـدة سرا بما يدور • اذ أن كل من البلدين كان فى حاجة الى ضمانات من البيت الأبيض • وكلاهما ، أيضا ، كان يعتمـد على الولايات المتحـدة (فسكان البلدين يطعمان يوميا من المعونة المـالية الأمريكية) وينظر الى عملية المفاوضات بوصفها مثلثـا ، والى رئيس الولايات المتحدة بوصفه صاحب دور البطولة فيهـا • ذلك أنه لم يكن ممكنا تجاهل واشنطون على الاطـلاق • ولكن الولايات المتحدة كانت قد انتخبت رئيسـا جديدا ، وكان كل من الجـانب يريـدان التعرف اليه والى مسـاعديه أيضـا •

وفى شهر مارس ١٩٧٧ ، قرر « اسحق رابين » ، الذى كان لا يزال رئيسا لوزراء اسرائيل ، انه من المفيد عقد اجتماع مبكر مع « جيمى كارتر » ، الذى كان قد تم تنصيبه رسميا كرئيس للولايات المتحدة فى شهر يناير ١٩٧٧ • ولقى « رابين » لدى وصوله الى واشنطون استقبالا وديا حارا ، وأسبغت عليه كافة مراسم الترحيب الرسمية •

قال « كارتر » لـ « رابين » وكانت القهوة لم تأتى بعد :

ـ « انني أقترح أن نصعد الى غرفتى » •

ودهش « رابين » • وظل بقية الضيوف جالسين الى مائدة العشاء ، بينما صعد رئيس الولايات المتحدة ورئيس وزراء اسرائيل الى الطابق العلوى ودلفا الى احدى غرف كارتر الخاصة ، وجلسا بجوار المدفأة •

... ...

قال « كارتر » لـ « رابين » :

ـ « ها نحن نجلس بجانب المدفأة كأفضل الاصدقاء ، وأنا أريدك أن تقول لى ما هى آراءك الحقيقية بشأن حل النزاع » •

دهش « رابين » مرة ثانية ، وانتابه الشك فى أن « كارتر » يحاول ايقاعه فى كمين • وقد اعتقد « رابين » أن الرئيس الامريكى يريده أن يقرر ما هى المواقع التى يمكن أن تنسحب اليها اسرائيل ـ أو أى آراء أخرى مماثلة ـ بحيث يستطيع أن يقول فيما بعد أن اسرائيل لها موقفان : واحد للاستهلاك العلنى ، والثانى خاص وسرى • وأحس « رابين » بشىء من الضيق ، وقال :

ـ « سيدى الرئيس ، لقد قلت لك آرائى الحقيقية منذ برهة ، ونحن نتناول العشاء بالطابق السفلى ! وليس لدى آراء أخرى •

وانهى « كارتر » مناقشة الأمر ٠

وفى أثنـاء زيارة البيت الأبيض ، وبينما كان « رابين » يحضر حفلا اقيم لمنحه درجـة الدكتوراه الشرفية من الجامعة الامريكيـة فى واشنطون ، عقد « كارتر » مؤتمرا صحفيا لمراسلى وسائل الاعلام فى البيت الأبيض للاجابة على أسئلتهم التي كان من المفروض أن تقتصر على الشئون الداخلية ٠ ولكن السؤال الثانى الذى وجه للرئيس ـ وهو سؤال كان واضحا أنه موحى به من البيت الابيض ـ كان يتعلق بالموقف فى الشرق الأوسط ٠ وقال الرئيس الامريكى ، ردا على هذا السـؤال : انه يؤيد انسحـاب اسرائيل الى حدود عام ١٩٦٧ مع بعض التعديلات الطفيفة ، كما يؤيـد حل المشكلة الفلسطينية ٠

وهكذا انتهك كارتر الاتفـاق الذى تم التوصل اليه بنـاء على اقتراح أمريكى بابقـاء المحادثات « سرا عائليا » ٠ وقد انتهك كارتر الاتفـاق ، وضيفه لا زال موجودا فى واشنطن ٠

وحين عاد « رابين » من الجامعة الى «بلير هاوس» (قصر الضيافة)، درس تصريحات « كارتر » بعناية ، وحين قابل وزير الخـارجية الأمريكى « سيروس فانس » بعـد ذلك بوقت قصير ، سأله :

ـ « ما الذى دفع الرئيس الى أن يقول كل ذلك ؟ لقـد كنت أظن أننا اتفقنا على أن نبقى المسألة سرا عائليا » ٠

ورد عليه « فانس » قائلا :

ـ « ما الذى تتحدث عنه ؟ »

وأضاف أنه لا يعرف شيئا عن تصريحات الرئيس ٠ وفى غضون دقائق قليلة ، كان نص تصريحات الرئيس الأمريكى أمام « فانس » الذى صاح بعـد قراءتها مذهولا :

ـ « أوه ، لا! لا! »

وترك « رابين » « واشنطون » وهو فى حالة غضب شديد ، فقـد اعتبر تصرف كارتر اهانة شخصية وجهت اليه ٠ واعتقد « رابين »

ان الرئيس الأمريكى الجديد يؤمن بآراء مسبقة ، وان التعاون معه سوف يكون مستحيلا ، وأن أساليبه فى العمل شديدة الغرابة ، وأنه لا يفى بوعوده ، وانه مغرم بالمفاجآت غير السارة •

وقال « رابين » لنفسه :

ـ « لن يكون هذا الرئيس فى مصلحة اسرائيل » •

... ...

وعلى العكس من ذلك ، فقد نشأت علاقة صداقة حارة وفورية بين كارتر والسادات منذ أول لقاء • وقد وعد « كارتر » بالعمل من أجل الوصول الى تسوية مبكرة ، وتعهد بزيادة المعونة الامريكية لمصر ، كما ألمح الى أنه سوف يحاول أن يقترب اكثر من منظمة التحرير الفلسطينية • وكان السادات يتوقع أشياء طيبة من كارتر ، الذى كان دائما يصفه بانه « رجل شريف » ، والذى كان يعتقد انه رئيس غير عادى سوف يتمكن ، خلال فترتين رئاسيتين ، من تغيير سياسات واشنطون التقليدية • وقد اعجب السادات وكارتر ببعضهما منذ أول لقاء ، فقد كانت دوافعهما الدينية وميولهما التبشيرية توحد بينهما • وهو الامر الذى خلق على الفور ـ من وجهة نظر اسرائيل ـ جوا مختلفا عن الموقف الأمريكى التقليدى من اسرائيل •

كان السادات مستعدا للحديث عن السلام ، ولكن بدون تطبيع للعلاقات ، وبدون تغيير فى الموقف العربى الجوهرى الذى كان يرفض الاعتراف بحق اسرائيل فى الوجود • وكان يتحدث عن تسوية شاملة وليس عن صلح منفرد بين مصر واسرائيل • وقد قال لشعبه ، وهو يرد على انتقادات المتطرفين :

ـ « من يريد محو اسرائيل من الوجود ، فليتفضل ! وصدقونى اننى سوف اكون أول من يصفق له • ولكننى قلت فيما سبق ، ولازلت أقول ان اسرائيل حقيقة واقعة » •

وكان الرئيس المصرى قد اختار فن الممكن • وقد غيرت سلسلة من التسويات الجزئية ـ اسفرت عنها دبلوماسية هنرى كيسنجر « المكوكية » ـ خريطة المنطقة • فقد أزالت جانبا من خطـر الحرب ، وخلقت قوة دفع للتفاوض والاتفاق • كذلك فقد تعودت اسرائيـل على فكرة أنه يتعين عليها أن تنسحب تدريجيا من جزء من الأراضى المحتلة على الأقل • كذلك قامت الولايات المتحـدة بـدور الوسيط الايجابى •

ولكن تحقيق تسويات أكثر من ذلك فى المستقبل ، كان قد أصبح الآن أمرا أكثر صعوبة •

كان قد اقترح ، اثناء محادثات سرية عقدت فى عام ١٩٧٦ ، تحقيق تسوية أخرى تقضى بانسحاب اسرائيل الى خط العريش ـ رأس محمد فى مقابل انهاء حالة الحرب ، الامر الذى يعنى مقايضة ثلثى المنطقة باتفاق يحقق أقل من السلام الكامل • وكان من المفروض ،وفقا لهذا الاقتراح ، أن يتم الاتفاق على السـلام فى وقت غير محـدد فى المستقبل فى مقابل الانسحاب الكامل •

وكان كل من « كيسنجر » و « رابين » يؤمنان بأن هـذا هـو الطريق الذى يجب اتباعه •

وعندما تولى « بيجين » منصبه كرئيس للوزراء ، شعر بأن مرحلة الاتفاقيات الجزئية قد انتهت ، وكان يريد اختبار مواقف ادارة الرئيس كارتر بنفسـه ، كمـا كان يريد ، ايضـــا ، لقاء الرئيس الامريكى • وقد فهم من محادثات كارتر ـ رابين ، انه لم تعد هناك جدوى من مواصلة أسلوب التشاور المسبق والتوفيق المتبادل بين المواقف والذى كان متبعا فى المـاضى بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وخاصة فى عهد كيسنجر •

وفى أواخر شهر يوليو عام ١٩٧٧ ، وقبل أن يقوم بزيارة رومانيا ، وصل بيجين الى واشنطـون • وكان « زبيجنيو برزيزنسـكى » ،

مستشار كارتر لشئون الأمن ، قد نصح الرئيس الامريكى بتجنب أى صراع مع بيجين أثناء هذه الزيارة • فقد كانت المعلومات القادمة من اسرائيل تشير الى أن حكومة « بيجين » تبدو متحدة الى أقصى حد ، والى أن أية محاولة للمواجهة آنذاك لن تؤدى سوى الى توحيد الشعب الاسرائيلى أكثر فأكثر ، وكان قرار البيت الابيض هو جعل « بيجين » على علم بذلك • ولكن البيت الابيض لم يحجم ، بالرغم من ذلك ، عن تقديم خططه وآراءه بخصوص التوصل الى حل شامل فى الشرق الاوسط ، وذلك عن طريق السيناتور اليهودى من ولاية « كونكتيكت » ، «ابراهام ربيكوف» • وفى لقاء عقد فى « بلير هاوس »، قال السيناتور اليهودى الامريكى لـ « بيجين » انه قد أعد شخصيا اقتراحا يحوى خطوط ارشاد نحو التوصل الى حل للصراع ، واضاف :

ـ « ••• ولقد عرضت هذ الاقتراح على وزير الخارجية فانس » •

وقد كان « بيجين » واثقا أن وزارة الخارجية الأمريكية تقف وراء هذا الاقتراح •

واستطرد « ربيكوف » مفسرا :

ـ « ان هدف المفاوضات هو الوصول الى تسوية شاملة • وسوف يكون هذا السلام كاملا ، يتضمن اقامة العلاقات الدبلوماسية ، والعلاقات التجارية وحرية التنقل » •

وكان الثمن الذى يتعين على اسرائيل أن تدفعه فى مقابل السلام والذى نص عليه فى النقطتين الثالثة والرابعة من خطة ربيكوف هو :

« تقوم اسرائيل بالانسحاب الى حدود معترف بها على جميع الجبهات » • وكانت الخطة تقضى بأن يكون هذا الانسحاب تدريجيا وعلى مراحل ، وان يسير متوازيا مع ترتيبات للامن تقام فى المنطقة • اما النقطة الخامسة من الخطة فقد كانت تقتصر على معالجة المشكلة الفلسطينية ، وكانت تقضى باقامة كيان فلسطينى فى الضفة الغربية

ـ التى سوف تصبح منطقة منزوعة السلاح ـ تقوم بينه وبين اسرائيل علاقات اقتصادية · وفى المرحلة الاولى ، تقوم فى الضفة الغربية « ادارة وصاية » تشترك فيها كل من اسرائيل والاردن · وبعد خمس سنوات ، يجرى استفتاء فى الضفة الغربية لتقرير مستقبلها وطبيعة العلاقات بين الكيان الفلسطينى وبين كل من الاردن واسرائيل ·

وقد تبين « بيجين » ، فى وضوح ، انه بالرغم من أن هذا البرنامج لم يمح امكانية اقامة الكيان الفلسطينى المشار اليه فى اطار دولة الاردن ، فانه قد ترك ، مع ذلك ، لسكان الضفة الغربية فرصة اقامة دولة فلسطينية ، وهو الامر الذى كان يتعارض ، بشكل مباشر ، مع خطط « بيجين » وآراءه · .

وفى نفس هذا اليوم ، أى ١٩ يوليو ١٩٧٧ ، عقد « بيجين » و « كارتر » اجتماعا لم يجر فيه ذكر لاقامة دولة فلسطينية · وقدم رئيس الوزراء الاسرائيلى لـ « كارتر » اقتراحا من تسع نقاط اسماه : « اطار لعملية صنع السلام بين اسرائيل وجيرانها » · وكانت النقطة الاساسية فى هذا الاقتراح هى استعداد اسرئيل للاشترك فى مؤتمر جنيف للسلام ، الذى كان من المقرر عقده فى يوم العاشر من اكتوبر · كذلك قرأ « بيجين » لـ « كارتر » الفقرة الخاصة بالشرق الاوسط فى برنامج الحزب الديموقراطى لعام ١٩٧٦ ، والتى تقول انه ليس هناك بديل عن المفاوضات المباشرة ·

وقال بيجين :

ـ « سوف أكون ممتنا غاية الامتنان لاية مبادرة لعقد لقاء مباشر كهذا » · .

وقد غادر « بيجين » اجتماعه مع « كارتر » وهو ممتلىء بالحبور · وهتف ـ مبتهجا ـ لدى عودته الى اسرائيل :

ـ « ليس هناك صراع ! »

والحقيقة أن الصراع بينه وبين الرئيس الامريكى الجديد كـان قد تأجل فقط •

... ...

كان البيت الابيض قد حدد ، فى صيف عام ١٩٧٧ ، موقفـا واضحا فيما يتعلق بالشرق الاوسط • وكان هذا الموقف قد تحدد وفقا لمقترحات تقدم بها الى البيت الابيض كل من « فانس » و « برزيزنسكى » واللذان استلهما آراءهما من تقرير أعده فريق من الخبراء يتكون معظمـه من اعضـاء الحزب الديموقراطى العـاملين فى « معهد بروكنجز » • وكان هـذا التقرير الموجـز ـ الذى نشر أولا فى شهر ديسمبر ١٩٧٥ ، ثم تم تحديثه بعد عام من ذلك ـ يمثل الاسـاس الايديولوجى الذى تضع ادارة الرئيس « كارتر » على أساسـه مقترحاتها لحل النزاع فى الشرق الاوسط • واصبح « تقرير بروكنجز » « انجيلا » لكل من يريد أن يفهم المصدر الذى يستوحى منه الرئيس الامريكى أفكـاره •

وكانت نقطة الانطلاق التى يرتكز عليها « تقرير بروكنجز » هى انه قد اصبح من الضرورى العمل بشكل عاجل من أجل التوصل الى تسوية شاملة كلية ، ذلك لان الاتفاقيات الجزئية لن تستطيع حـل الصراع الاساسى • وحدد التقرير المشكلة الاساسية بانها المسالة الفلسطينية ، التى يجب أن تجد لها التسوية المشار اليها حلا • وسوف يؤدى اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير ، وفقا للتقرير ، الى اقامة دولتهم المستقلة (التى سوف يتعين عليها احترام الالتزامات الناشئة عن معاهدة السلام) أو الى اقامة نوع من الوحـدة الفيدرالية مع الاردن •

كذلك وضع التقرير قواعد لحل مشكلة من اكثر المشاكل حساسية وهى مشكلة وضع مدينة القدس • وكان المبدء هو عدم اعادة تقسيم

المدينة المقدسة ، وأن يسمح بحرية الحركة بين جميع اقسامها وكذلك الى اماكنها المقدسة ، التى يجب وضعها تحت اشراف المؤسسات الدينية • كذلك ، وهو الاهم من كل شىء ، اعطاء كل مجموعة قومية من سكان المدينة الحق فى الحكم السياسى الذاتى داخل أراضيها •

وكان كارتر قد قرر أن يكون على العرب ، فى مقابل ذلك ، أن يعطوا اسرائيل سلاما حقيقيا ، بكل ما يعنيه ذلك •

ولكن ذلك لم يكن يتفق مع آراء السادات الذى كان يؤمن بأن السلام الحقيقى والعلاقات الطبيعية لن يحققهما « الا الجيل القادم فقط » •

ولم يكن ذلك هو كل ما يسبب القلق للرئيس المصرى ، الذى لم يكن يحس بالارتياح ازاء جهود واشنطون الواضحة لاحداث تقارب مع دمشق • وكان يعتقد أن « كارتر » يرتكب أخطاءا تكتيكية جسيمة • ذلك انه لما كان الامريكيون يسعون للتوصل الى حل شامل ، فقد كانوا يحاولون الوصول الى تفاهم مع السوريين ، ومع العناصر المعتدلة فى منظمة التحرير ، وكذلك ــ من أجل اقناع منظمة التحرير بالاشتراك فى عملية السلام ــ مع الاتحاد السوفييتى ، الذى كان من المفروض أن يلعب دورا ايجابيا •

وكان السادات يخشى ذلك • فهو لم يكن يريد أن يتعاون مع خصومة الناصرين للسوفييت ، كما كان يخاف أن يتآمر السوفييت ضده •

وقد كان الغزل الامريكى لسوريا واضحا تماما • وكانت الولايات المتحدة قد قبلت التدخل السورى فى لبنان على أساس انه سوف يكبح من جماح المتطرفين فى منظمة التحرير ، ويضع حدا للحرب الاهلية فى لبنان • وكان السادات يعرف أن واشنطون تحاول تهدئة اسرائيل ، واقناعها بعدم اتخاذ اجراء عسكرى • كذلك فانه عقب

اللقاء الذى تم بين « كارتر » وبين الرئيس السورى « حافظ الاسد » فى سويسرا ، صرح متحدث أمريكى بأن « الطريق الى السلام الشامل لابد وأن يمر بدمشق » .

وقد فسرت القاهرة ذلك بانه محاولة أمريكية لنقل مركز الثقل من مصر الى سوريا ، أو على الاقل أقامة مركز ثقل آخر .

وكان الرئيس المصرى على يقين بأن الطريق الامريكى لن يؤدى الى عقد اتفاقيات فى جنيف ، وانما سوف يؤدى الى تدمير المؤتمر .

كذلك فقد كان لدى الرئيس السورى أسبابا وجيهة لمعارضة الخط السياسى الذى تتبعه القاهرة . فقد كان يخشى أن يؤدى اتباع ذلك الخط الى الاسراع بعقد اتفاق منفرد بين مصر واسرائيل . وقد نقل مخاوفه تلك الى الملك « حسين » ، الذى اقتنع بوجاهتها . كذلك كان « الأسد » يرفض اقتراح الحل الوسط الذى تقدم به « السادات » ، والذى كان يقضى بتشكيل لجنة عمل تحضيرية للاعداد لمؤتمر « جنيف » .

ثم تضاعف أسى السادات سبع مرات ، فى أوائل شهر أكتوبر ، وذلك عندما أذيع اعلان أمريكى - سوفيتى مشترك من مقر الامم المتحدة ، أعطت واشنطون بمقتضاه لموسكو مركزا متساويا فى عملية اقرار السلام . كذلك دعا الاعلان المشترك الى اعادة عقد مؤتمر « جنيف » فى موعد لا يتجاوز شهر ديسمبر القادم . فلم تكن اسرائيل وحدها هى التى يساورها القلق من أن تكون ادارة الرئيس كارتر قد ساعدت موسكو على دعم موقعها فى الشرق الاوسط . ذلك أن الرئيس المصرى كان يشاركها الخوف من عودة النفوذ السوفيتى من الباب الخلفى .

ثم تزايد حرج السادات عندما أعلنت ، بعد ذلك بعدة أيام ، ورقة عمل تمت صياغتها فى واشنطون بعد مفاوضات ، امتدت الى

الساعات الاولى من الصباح ، بين الرئيس « كارتر » ووزير الخارجية الاسرائيلى ، « موشيه دايان » ، ووافق « دايان » بمقتضاها على اشتراك ممثلين فلسطينيين بدون هوية فى الوفد العربى الموحد الذى كان من المفروض أن يحضر افتتاح المؤتمر • كذلك فقد كان من المفروض ، وفقا لورقة العمل هذه ، أن يسمح لممثلى الفلسطينيين بالاشتراك فى لجان العمل عند مناقشة المسائل المتعلقة بالقضية الفلسطينية •

وبعد أن تم التخلى عن فكرة عقد اتفاقية جزئية للانسحاب من قسم من شبه جزيرة سيناء فى مقابل سلام جزئى ، وبعد خروج كل من « كيسنجر » و « رابين » من مسرح الأحداث ، لم يصبح هناك بديل عن مواجهة المشاكل الصعبة المتعلقة بالتسوية الشاملة • وبدلا من محاولة الوصول الى أهداف محدودة واضحة المعالم ، أصبح على الاطراف المعنية أن تواجه الخلافات التى تبدو وكأنها غير قابلة للحل والمتعلقة بالمسألة الفلسطينية ، وبنطاق انسحاب اسرائيل النهائى ، وبطبيعة السلام ، وبدور الروس وحلفاءهم من العرب ، وكذلك التعقيدات الاخرى الناشئة عن التنافس بين مصر وسوريا • وكانت هناك هوة واسعة تفصل بين موقفى كل من « السادات » و « بيجين » ، كما لم يكن يبدو هناك أى أمل فى التوصل الى حل وسط للخلافات بين مصر وسوريا والمتعلقة بقواعد العمل التى سوف يسير عليها مؤتمر « جنيف » •

كان التزام « كارتر » العلنى بالتوصل الى حل شامل مهددا بالانهيار ، وكان السادات قد زاد قلقه حتى وصل الى الحد الأقصى • ذلك أن انهيار الجهود الرامية الى عقد مؤتمر « جنيف » ، بالاضافة الى التخلى عن دبلوماسية الخطوة ـ خطوة ، يمكن أن يدفع باستراتيجيته السلامية باكملها الى النقطة التى بدأت منها •

كذلك فهو لا يستطيع عقد تصالح مع السوريين أو مع السوفييت ، ولا يستطيع أيضا أن يقبل البقاء لامد طويل فى هذا الطريق المسدود . وقد كان الطريق الى « جنيف » يبدو مليئا بالعقبات ، مما جعل السادات يشعر بأن المؤتمر قد وصل الى طريق مسدود حتى قبل أن يتم انعقاده . وهو طريق مسدود قد يؤدى الى نشوب حرب ربما فقدت مصر فيها كل ما كسبته من حرب عام ١٩٧٣ .

وقد كانت هذه الأزمة هي التي تولدت عنها فكرة مبادرة السادات الجديدة ، وزيارته لاسرائيل .

٤

مسدس تحت الوسادة

كانت عادة السادات فى ضم ورقه الى صدره وهو يلعب ، ودون أن يستشير أى من العاملين معه ، تسبب الضيق للمقربين منه ٠ وقد تعود أيضـا ، عندما يكون مطالبا باتخاذ قرار هام ، أن يعتكف فى أحد قصور الرئاسة وحـده لمدة عدة أيـام ٠ وفيما بعـد ، وعنـدما يكون قـد وصل الى قرار ، فانه يدعو مساعديه كى يبلغهم بـه ٠ وسرعان ما أدرك وزراءه المخضرمين الفروق بين السادات وسـلفه جمال عبد الناصر ، الذى لم يكن يقوم أبـدا ــ وبالرغم من كبريـاءه وثقته الهـائلة بنفسه ــ باتخـاذ القرارات وحـده ٠ وكان عبدالناصر يفكر فى الأمور بالاشتراك مع أعوانه ومساعديه ، وكان يتردد كثيرا قبل اتخـاذ قراره النهـائى ٠ كما كان فى قدرة المحيطين بعبد الناصر أن يؤثروا فيه ، وأن يقيموا لأنفسهم مراكز سلطة مستقلة ، الامـر الذى أدى الى نشوء حلقة من الرجـال الأذكيـاء الأقويـاء ، والى نشوب تنافس لا يهدأ ولا ينى فى بلاطه ٠

أما هرم السلطة الذى أقامه السادات فلم يكن يقف عليه سوى رجل واحـد ، رجل لا يحب قراءة التوصيات والتقارير ، ويسره أن

يصيب مساعديه بالدهشة (وطرد الخبراء السوفييت فى عام ١٩٧٢ ، وحرب عام ١٩٧٣ مثلان على ذلك) · وقـد كان مستشاروا السادات يدعونه ، فى مجالسهم الخاصة ، بـ « فرعون الجديد » ، وذلك بالرغم من مشاعر الحب والاحترام التى يحملونهـا له ·

وبعـد أن ألقى السادات بقنبلته التى حواهـا خطابه أمام « مجلس الشعب » قفل راجعـا الى قصره ، تاركا مساعديه يحاولون حل اللغز المبهم دون أية مساعدة منه ·

وفى مكتبه بوزارة الخارجية ، كان اسماعيل فهمى مجتمعا برجاله الذين استدعاهم للحضور على عجل · وكان الوقت متأخرا ، حـين طلب « اسماعيل فهمى » من مساعديه الاتصال بالصحف تليفونيا ، وابلاغ رؤساء تحريرها بعـدم ابراز ما قاله السادات بخصـوص الذهـاب الى « الكنيست » ، وأضاف « فهمى » مستدركا :

ـ « ·· بل قد يكون من الأفضل ، اذا أمكن ، حذف الجملـة برمتهـا » ·

... ...

كان « يهييل كاديشاى » ـ وهو يجلس فى شقته بالطابق العلوى من أحد العمارات الشاهقة فى شارع « بن زيون » فى « تل أبيب » ـ يظن ايضا ، أن الامر « ليس جديا » ، وأنـه لا يعـدو أن يكون « احـدى حيل السادات » · وكان مدير مكتب « مناحيم بيجين » ـ الذى عرف بنشاطه وولاءه الشديد لرئيسه ـ قـد سمع النبأ من الاذاعة · وقـد ظل مترددا بعض الوقت فيما اذا كان من الافضل أن يتصل تليفونيا بمنزل « بيجين » فى القدس كى يلفت انتباهه الى تصريح السادات ، ولكنه قرر أخيرا أن التصريح ليس بهذه الأهمية ، وأنه لا يزيـد عن كونه مجرد بلاغة انشائية ·

... ...

علا رنين جرس التليفون فى منزل « بيجين » فى الساعة السابعة من صباح اليوم الذى تلا خطاب السادات · وكان الرئيس السادس لوزراء اسرائيل قد استيقظ فى الخامسة صباحا (كما تعود منذ ما يقرب من ٣٥ عاما ، عندما كان يقود منظمته السرية) واستمع الى نشرة أخبار الاذاعة البريطانية ثم قرأ صحف الصباح · وكان مصدر المكالمة التليفونية هو « شلومو نكديمون » ، وهو صحفى ظل لسنوات طويلة وثيق الصلة بـ « بيجين » ، وكان يريد أن يعرف رد فعل رئيس الوزراء ازاء عرض الرئيس المصرى بالقدوم الى القدس

تنهد « بيجين » ، وقال :

ـ « ليس لدى النص الكامل لخطاب السادات ، ولذا فلن استطيع أن أجيب على سؤالك ··· وأنا أقترح أن تنتظر حتى يصلنا النص الكامل للخطاب » ·

وأحس « نكديمون » أن ضربته الصحفية على وشك أن تنهار ، فقال لـ « بيجين » بسرعة :

ـ « ان لدى النص الكامل لما قاله » ·

وبعد أن استمع بيجين ، قال :

ـ « بخصوص استعداد السادات لمقابلتى ، حتى ولو كان ذلك فى الكنيست بالقدس ، واذا لم يكن ذلك مجرد بلاغة انشائية ، فاننى أعلن ترحيبى باستعداده هذا ، وأكرر تصريحى الذى أدليت به عند توليتى لمنصب رئيس الوزراء ، وهو اننى على استعداد لمقابلة السادات فى أى مكان ، حتى ولو كان ذلك المكان هو القاهرة ، وذلك من أجل التفاوض لاقرار سلام حقيقى فى الشرق الأوسط » ·

وقد كان من الواضح أن موضوع القاء السادات لخطاب امام الكنيست ، كان يبدو له أمرا لا يمكن تصديقه ، وقد كان رئيس

وزراء اسرائيل ، مثله مثل المسـؤولين فى الولايات المتحــدة وباقى الوزراء الاسرائيليين أيضا ، لا يزال يرى شعاعا من الامل فى مؤتمـر « جنيف » • ولذا فقـد صرح ردا على سؤال وجهته اليه صـحيفة اسرائيلية مسائية فى صباح اليوم نفسه :

ـ « يستطيع السادات أن يأتى الى جنيف • ويستطيع أن يعرض موقفه ، كمـا سنقوم نحن بعرض موقفنا • ولكنه لا يجب أن يقوم أى من الجانبين بتحويل موقفه الى شرط مسبق » •

ورفض « بيجين » مطالبة السادات بالانسحاب الى حدود ٤ يونيو عام ١٩٦٧ ، وباقامة دولة فلسطينية •

... ...

وكانت الساعة قـد بلغت الثامنة صـباحا حين دخـل « بيجين » الغرفة الداخلية المؤدية الى مكتبه ، حيث كان معاونوه يجلسون فى انتظـاره • وكانوا قـد سمعوا توا تصريحـاته التى نقلتها الاذاعة • وسألهم « بيجين » :

ـ « هل كنت على ما يرام ؟ »

ولمـا أكـدوا له أنه كان كذلك ، بدأ « بيجين » فى ممارسة عمله اليومى الروتينى والسرور يملا قلبه •

كانت مشاعر بيجين تجاه السادات مزيجـا من الاحتقار والخوف • وكان كثيرا ما يضحك هو ومعاونوه على حساب السادات ، الذى كان « بيجين » يطلق عليه عددا من الالقـاب الفكاهية ، كان أفضلها لديه هى لقب « زوداك » ، وهى كلمة روسـية تعنى « الوغـد » أو « المنحط » •

... ...

كان « الوغد » مستغرقـا فى النوم فى تلك السـاعة المبكـرة من الصباح • وكان قـد عاد الى مقره فى الجيزة فى ساعة متـأخرة من

مساء اليوم السابق • وكانت زوجته « جيهـان » فى انتظـاره ، فقد كانت تعلم بقنبلة زوجها قبـل أن يقـوم بالقاءها بأربعة وعشرون ساعة ، كمـا كانت قـد أعلنت له ترحيبها وتأييدها لقراره • وقـد لاحظت « جيهان » أنه رغم هدوء السادات ، فانـه بدأ يضع مسدسا تحت وسادته ساعة النوم • ولم يدهشها ذلك • أن زعيما عربيـا آخر ، هو عبد الله ملك الاردن السابق ، كانقد اغتيل منـذ عـدة سنوات ، لانه أجرى محادثات لاقرار السلام مع اسرائيل •

وفى ذلك اليوم ، ظل السادات نائما ـ كعادته ـ حتى السـاعة الحـادية عشر قبـل الظهر • ثم قام ، فيما بعـد ، بنزهته اليومية على الأقـدام ، والتى يقطع أثناءها مسافة ٤ كيلو مترات • ذلك أن الأزمة القلبية التى أصابته مرتين ، قـد جعلت الرئيس المصرى يهتم بصحته اهتمـاما بالغـا • بجانب شـعوره بأنه يؤدى رسـالة تاريخية ، كان السادات يشعر أيضا بضيق الوقت • وقـد قرر ، عنـدما بلغ السابعة والخمسين من عمره ، أن يهب نفسه للاهـداف الكبرى ، وأن يترك القضـايا الصغيرة للاخرين • وكان يحس بنفور شديد من الروتين الحكومى اليومى ، ولـذلك فقـد كان يخصـص ساعات عمله القليلة ـ من الحادية عشر صباحا حتى الرابعة بعـد الظهر ـ للمسائل الهـامة فقط •

وفى صباح نفس اليوم ، سمع « محمد حسن التهامى » الأنبـاء المذهلة وهو فى « المدينـة » (المنورة) بالمملكة العربية السعودية ، حيث كان قـد قـدم كى يؤدى فريضـة الحج • وكان التهامى ، بوصـفه أحـد المقربين الى السادات ، يعلم بنيته فى أن يقول شيئا حـول « استعداده للذهاب الى أقاصى الارض » ، ولكن المعلومات الضـئيلة التى نشرتها الصحف المحلية ، كانت تشير الى أن السادات قد غير الخطـاب الذى كان التهـامى يتصور أنه سوف يلقيه •

وكان التهـامى ، على عجل ، فقـد كان عليه ، بعد بضع دقائق ،

أن يؤدى أحـد مراسم الحج الهـامة · وهناك ، التف حوله بعض الحجـاج الذين تعرفوا عليه ، وسألوه أن يوضح لهم ما يحـدث فى القـاهرة · فقـال « محمد حسن التهامي » :

ــ « الا تذكرون ما يقوله القرآن الكريم بوضوح ؟ ان الله سبحانه وتعـالى يقـول فى سورة الاسراء أنه سوف يعيـد الشعب اليهودى ذات يوم الى أرضه جمـاعة بعد جمـاعة ، وأنه سـوف يمتحنهم هناك امتحانا نهائيا ··· (سورة الاسراء ، الآيات : ٣ و ٤ و ٥، و ٦ و ٧ و ٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤) ·

توقف « التهامى » عن الحديث برهة ، وعيون الناس شـاخصة اليه تلتهم كلمـاته ، ثم استطرد يقـول :

ــ « ··· وقد كان انتصار اسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ تحققا لنبوءة القرآن عن النجاحات التى سوف يحققها اليهود · وقـد حـان الآن موعد الامتحـان · والسادات هو الرسول الأجنبى الذى تتمثل مهمته فى تحـذير اليهود ، حتى لا يحتجون بأن أحـدا لم يبلغهـم شيئا قبـل ادخالهم الامتحـان ··· » ·

لم ينطق أحـد بكلمة واحـدة · وواصل « التهـامى » حديثـه قائلا :

ــ « والامتحان هو : هـل اسرائيل على استعـــداد لاعادة الاماكن المقدسة الى المسلمين ··· ؟ » ·

ورغم أن « مانشيتات » الصحف المصرية كانت تدور كلهـا حول خطـاب السادات ، فان الجملة القصيرة التى أعلن فيها اسـتعداده لالقـاء خطاب أمام « الكنيست » ضاعت وسط بحر الكلمات الأخرى ، أو لم تنشر على الاطـلاق ·

وكان نفس الشيء ينطبـق على الصـحف السـورية واللبنـــانية والأردنية أيضا ·

... ...

كانت زيارة السادات للقدس تبدو كالحلـم : يـرفض العـرب والاسرائيليون أيضـا أن يصدقوه ٠

فمنذ عامين فقط ، أراد رئيس تحرير جريدة « السياسة » الكويتية أن يقوم بزيارة لاسرائيل لكتابة سلسلة من التحقيقات ، ولكنـه اضطر للتخلى عن الفكرة بعـد أن اتهم بالخيـانة ، ووجهت اليـه التهديدات بالقتـل ٠

وكانت آخر مرة يقوم فيهـا مواطن عربى بزيارة اسرائيل علنـا فى عام ١٩٥٥ ، عندما قضى الصحفى المصرى « ابراهيم عزت » بضعة أيـام هنـاك ٠ وكان الاسرائيليون قـد تعـودوا أن ينظـروا الى التصريحـات العربية عن السلام على أنهـا مجرد كلام أجوف ٠

اما فى مكاتب وزارة الخارجية الامريكية فى واشنطون ، فقد كان رد الفعل ازاء تصريحـات السادات مختلفا ٠ فلان التصريحات كـانت مفاجئة ، فقد كان استقبالها لها يتسم بالفتور وعدم الفهم ٠

أما فى اسرائيل ، فقد بدأ الموقف يتغير بمرور الوقت ٠ ففى مساء ذلك اليوم نفسه ، اجتمع « بيجين » بعدد من أعضاء لجنة القـوات المسلحة بالكونجرس الامريكى ، الذين سألوه عن رأيه فى تصريحات الرئيس المصرى ٠ فرد عليهم « بيجين » قائلا :

ـ « اذا قرر رئيس مصر أن يقـدم الى القدس ، فانه سـوف يستقبل بكـافة مراسم الترحيب المعـدة لرؤساء الدول » ٠

ثم اضـاف « بيجين » قائلا :

ـ سوف أكون سعيدا بزيارة القاهرة ورؤية الأهرام ٠٠٠ » ٠

ثم قرر « بيجين » أن يظهر على شاشات التليفـزيون فى اليـوم التالى كى يخـاطب الـ ٣٨ مليونا من المصريين مباشرة ٠ وكـان كلما أمعن تفكيره فى هذه الفكرة ، كلما ازداد اعجابه بها ٠ **وكـانت فكرة القـاء بيجين لخطـاب فى التليفزيون موجه الى الشعب المصرى**

قد نوقشت من قبل ، بل وحدد لها موعدا هو يوم ١٠ اكتوبر ١٩٧٧ • ولكن النوبة القلبية التى أصابت « بيجين » جعلته يتخلى عن الفكرة •

ثم ماهو الوقت الوقت المناسب لتنفيذ الفكرة قد حان •

كان بيجين ـ الذى كان يرتدى أفضل حلله الرمادية ـ يواجه أنوار الكشافات وعدسات آلات التصوير وأقلام المراسلين الصحفيين المشرعة • وكان الوقت : بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ١١ نوفمبر ١٩٧٧ •

وبدأ بيجين يتحدث بالانجليزية قائلا :

« أيها المواطنون المصريون ! هذه هى أول مرة أتحدث فيها اليكم ولكنها ليست المرة الاولى التى أفكر فيها فيكم ، أو التحدث فيها عنكم ، فأنتم جيراننا ، وسوف تبقون كذلك دائما • وقد نشب بين بلدينا ، خلال التسعة والعشرون عاما الماضية ، صراع مأساوى وغير ضرورى على الاطلاق •• » •

ثم استعرض « بيجين » التاريخ المشبع بالدم الذى اتسمت به العلاقات بين مصر واسرائيل • ثم مضى يقول :

ـ « اننا نحن الاسرائيليون نمد يدنا اليكم • وهذه اليد ، كما تعرفون ، ليست ضعيفة • وسوف ندافع عن أنفسنا اذا هوجمنا ، كما فعل أسلافنا المكابيون ، وسوف ننتصر • ولكننا لن نسعى الى التصادم معكم • لنقل لبعضنا اذن ، وليكن ذلك قسما صامتا بين أمتينا : لا حروب بعد اليوم ، ولا سفك للدماء بعد اليوم ، ولا تهديدات بعد اليوم •• » •

وقد أصبحت هذه الجملة الاخيرة شعار لمبادرة السلام ، ولكن السادات كان هو الذى أسبغ عليها القوة والمعنى •

وواصل « بيجين » حديثه الى المصريين ، وختم حديثه بتذكيرهم ببعض الآيات من الكتـاب المقدس عند المسلمين • قال « بيجين » :

ـ « تذكروا ما يقوله كتابكم المقدس ، اذ يقول على لسان موسى • (واذ قـال موسى لقومه يا قوم أذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين • يا قوم أدخلوا الأرض المقـدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ـ سورة المـائدة) •

... ...

احتل خطـاب « بيجين » « مانشتات » صحف العـالم • وقطعت اذاعة وتليفزيون القـاهرة برامجهما ، كى يذيعا بيانامن المتحـدث المصرى الرسمى الذى قـال :

ـ « ان مصر ترحب بالخطـاب فى حد ذاتـه » •

ولكن المتحـدث المصرى الرسمى مضى ينتقـد حقيقة أن بيجين قـد وجه خطـابه الى مصر فقط ، ولم يوجهه الى جميـع البلـدان العربية ، واستطرد يقول متهكما :

ـ « لقـد استشهد بيجين بآيات من القرآن كى يدعم مزاعمه ، ولكنه تجـاهل الآيات الكريمة التى تناقضها » •

لم يكن الصحفيون المصريون قـد أبلغوا بعـد بالدلالات الهامة فى خطـاب السادات • وقـد انعكس ذلك فى مقـالاتهم ، التى كـانت توحى بأنهم لم يستقروا بعـد على الموقف الذي يجب عليهم اتخاذه •

وواصل السادات تصعيد جو التوتر السائد • فقـد أعاد ترديـد استعداده للذهاب الى اسرائيل « لبضعة أيام » ، كى يتحـدث الى أعضاء الكنيست حول اقامة سلام حقيقـى بين اسرائيـل والـدول العربية • وقـد أدلى بهذا التصريح أمام عدد من أعضاء الكونجـرس

الأمريكى كانوا يزورون مصر بعد قيامهم بزيارة اسرائيل فى اليوم السابق ٠

وامتلأ الأمريكيون فخرا ، فهاهى الدراما التاريخية تكتب أمام أعينهم ٠

ومثل مدير المسرح الموهوب ، أعد السادات الجو للحظة الذروة ٠ وأخذ يكشف ، تدريجيا ، عن جدية نواياه ٠ وكان فى كل تصريح يدلى به يكشف جزءا من حقيقة نواياه ، تاركا لنفسه ، فى نفس الوقت ، ثغرة يتراجع منها ، اذا كان ذلك ضروريا ٠ وبهذه الطريقة استطاع أن يحوز انتباه الجميع ، وأن يركز الأضواء على نفسه استعدادا للحدث المتوقع ٠

وقيل أنه قال لمساعديه :

ــ « سوف ندع اليهود يتخبطون فى الظلام ، وسوف نمسك بأيدينا أعنة اللعبة ، ولن نتركها أبدا » ٠

وقد كان السادات حريصا على الا يكشف خططه كلها حتى اللحظة الاخيرة ٠ ولكنه كان يدرك ، مع ذلك ، أن عليه أن يدلى كل يوم بشىء جديد حتى يحصل على أكبر قدر ممكن من الاستجابة ٠

ولكن الاستجابات ، لم تكن كلها مشجعة ٠ وكان الفلسطينيون هم أول من أفاق من الصدمة ، وكان ردهم على تصريحات السادات مليئا بالعداء ، كما كان متوقعا ٠ فقد وصف المتحدث باسم « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » السادات بأنه « معتوه يلعق الأحذية » ٠

... ...

وفى ليلة السبت ، عندما وصل بيجين الى « هيلتون تل أبيب » لحضور حفل أقيم هناك تكريما لوفد فرنسى ، كان عشرات الصحفيين والمراسلين الاجانب يقفون فى انتظاره ٠ وكانت البهجة

تملأ نفسه وهو يرى غابة الميكروفونات التى كانت تمتد أمام ناظريه ثم قـال :

ـ « باسم حكومة دولة اسرائيل ، أوجه الدعوة رسميا الى رئيس جمهورية مصر للقـدوم الى القدس ••• » •

ودوت القـاعة بالتصفيق •

واضـاف بيجين :

ـ « هذه هى الدعوة » !

ومرة أخرى ، دوت القـاعة بالتصفيق •• الذى نقلته الميكروفونات وكاميرات التليفزيون الى ملايين المشاهدين فى جميع أنحـاء العالم •

وختم « بيجين » حديثه قائلا باللغة العربية :

ـ « أهـلا وسـهلا » •

٥

يشــرفنى أن ..

لم يدهش الصحفى « **اسرائيل هاريل** » حين تلقى ـ وهو فى منزله باحدى المستوطنات الجديدة فى « ساماريا (الضفة الغربية) ـ مكالمة تليفونيــة من « **موردخاى جــور** » ، رئيس اركــان حــرب الجيش الاسرائيلى • ذلك أن « هاريل » كان احد جنود المظلات المخضرمين ، وقد اشترك فى معركة « القدس » اثناء حرب الأيام الستة (١٩٦٧) ، كما اشترك فى عملية عبور قناة السويس اثناء حرب « يوم الغفران » (١٩٧٣) • وهو ، بالاضــــافة الى ذلك كله ، صــــديق شخصى لـ « **جور** » ، وقد ساعده فى كتابة عدد من كتبه •

طلب « موتاجور » ، كما يسمى الاصدقاء الرئيس العاشر لأركان حرب الجيش الاسرائيلى ، من « **هاريل** » أن يأتيه فى منزله فورا • وتوفيرا للوقت ، أرسل اليه « جور » احدى السيارات الموضوعة تحت تصرفه لاحضاره • ولم يوجه « هاريل » الى « جور » سؤالا واحدا ، وانما هرع ينفذ ما طلبه منه صديقه •

وكان رئيس الاركان الوسيم المتين البنيان معروفا بسلاطة لسانه

وثقته غير المحدودة فى نفسه ، كما كان ، ايضا ، قد تعود الادلاء بارائه فى الشئون السياسية ٠

تحدث « جور » الى صديقه فى حزم وصراحة ٠ ولم يكن رئيس الاركان يعرف بعد ـ فى تلك الساعة المبكرة من مساء الاحد ـ اذا كان السادات سوف يأتى الى « القدس » أم لا ٠ ومنذ البداية ، لم يكن « جور » معجبا بفكرة دعوة الرئيس المصرى لزيارة اسرائيل ٠ وكان قد قال ، فى احد مجالسه الخاصة ، انه كان يجب قبل توجيه الدعوة ، ان تقوم الحكومة بالاستفسار من الولايات المتحدة عن اسس مواصلة الحوار بين مصر واسرائيل بعد ان يعود السادات الى بلاده ٠ ورغم انه لم يكن من اختصاصات وظيفته أن يهتم بمثل هذه المسائل ، فان « جور » كان كثيرا ما يقول لمساعديه أن زيارة القدس سوف تسبغ على السادات شهرة عالمية بوصفه رجل سلام ، الامر الذى سوف يجعل الرأى العام العالمى يلقى على اسرائيل مسئولية حدوث أى فشل ٠

واقترح « جور » على صديقه أن يجرى معه حديثا لصحيفته ٠ وكان من المفروض ، وفقا للوائح ، أن يحصل « جور » على اذن من وزير الدفاع ، قبل الادلاء بأى تصريحات للصحف ٠ ولكن رئيس الأركان لم يطلب مثل هذا الاذن فى تلك المرة ، فهو لم يكن مستعدا لان يطلب اذنا بأى شىء من « ايزر وايزمان » ٠

بدأ « جور » حديثه الصحفى قائلا :

ـ « يجب أن يكون واضحا للرئيس السادات انه لن يستطيع ان يخدعنا مرة اخرى ، كما فعل فى حرب « يوم الغفران » ٠ فنحن نعرف ان الجيش المصرى يستعد لشن الحرب ضد اسرائيل فى عام ١٩٧٨ ، وذلك بالرغم من كل تصريحات السادات عن استعداده للقدوم الى القدس » ٠

ذهل الصحفى من صراحة « جور » الخشنة ، وساله :

ـ « لماذا تستخدم مثل هذه النبرة ؟ وما هو الاساس الذى بنيت عليه شكوكك ؟ » ٠

واجاب « **جور** » :

ـ « ان من يريد السلام ، لا يجرى مناورات عدوانية فى نفس الوقت » ٠

ثم اخذ يدلى للصحفى الاسرائيلى بتفاصيل المناورات الاخيرة التى اجراها الجيش المصرى ، والتى لم يكن « هاريل » يعلم شيئا عنها ، اذ ان وسائل الاعلام الاسرائيلية لم تشر اليها بكلمة واحدة ٠

... ...

قبل ذلك بعدة أسابيع قليلة ، كانت قد وصلت معلومات ، بأن السادات يخطط لشن حرب فى شهر فبراير أو مارس ١٩٧٨ ٠ وكانت هذه المعلومات قد نوقشت بجدية فى اجتماع عقده مجلس الوزراء ، اعلن فيه « **وايزمان** » :

ـ « اذا كان لابد ان ندخل الحرب ، فان الافضل ان نفعل ذلك الآن » ٠

وانهى « **بيجين** » النقاش باصدار تعليمات للجيش الاسرائيلى باتخاذ الخطوات اللازمة لتجنب المفاجآت ٠

وكان الاسرائيليون قد لاحظوا قيام وحدات من الجيش المصرى باجراء مناورات على طول جبهة قناة السويس ، فقاموا ـ بهدوء ـ بحشد قواتهم على طول خط المواجهة ٠ وقامت قيادة الجيش بزيادة عدد طلعات الاستطلاع الجوى ، كما ارسلت عددا اضافيا من الوحدات المدرعة ووحدات جنود المظلات الى سيناء ٠

وابلغ الرئيس المصرى بأنباء التعزيزات الاسرائيلية ، فاصدر تعليماته الى اللواء « **الجمسى** » بالتزام الحذر ٠ فقد خشى المصريون

ان يقوم « **بيجين** » بشن حرب وقائية • وساد جو من التوتر بسبب حرب الاعصاب هذه بمناوراتها ومناوراتها المضادة •

... ...

وواصل « **جور** » حديثه الى الصحفى قائلا :

ـ « سوف اكون سعيدا اذا كان وراء قدوم السادات الى القدس رغبة حقيقية فى اقامة السلام ، ولكن المعلومات المؤكدة التى وصلتنا تشير الى عكس ذلك •• » •

كان الحديث الصحفى قد وصل الى نهايته ، واعاد « **اسرائيل هاريل** » وضع اوراقه فى حقيبته الجلدية ، وقال ، وهو لا يزال مذهولا من صراحة « **جور** » :

ـ « لو اننى كنت رئيسا للوزراء ، لفصلتك على الفور بسبب هذه التصريحات » •

واجابه رئيس الاركان ، ـ الذى كان سلفه قد فصل من وظيفته بسبب اتهامه بأنه اخذ على غرة فى حرب ١٩٧٣ :

ـ « اذا كان على ان اختار بين تحمل مسئولياتى كرئيس لاركان الحرب ـ خاصة بعد حرب يوم الغفران ـ وبين خوفى من الفصل أو التقريع ، فان اختيارى ، بلا ادنى شك ، سوف يقع على البديل الأول » •

... ...

صباح يوم الاحد كان لا يزال هناك قدر كبير من الحيرة يسود القدس • ورغم ان الاذاعة لم تكن تكف عن بث التعليقات والاخبار حول زيارة **السادات** القادمة لاسرائيل ، فان اعضاء الحكومة الاسرائيلية لم يكونوا يعرفون بالضبط ماذا يريد **السادات** : هل سيأتى ؟ ومتى سيأتى ؟ ولماذا سوف يأتى ؟ وما الذى سوف يفعله ؟ •

كانت مخاوفهم هائلة وبلا حـد ٠

وكانت وسائل الاعلام فى اوروبا والولايات المتحدة تهلل **للسادات** ، وتصف زيارتــه المقبلة بانهـا « خطـوة تاريخيـة » و « مثـيرة » و « مذهلة » ٠ واحتلت انباء المراسلات بين القاهرة والقدس جميع مانشتات الصحف ٠ وكان **السادات** مسرورا بشكل خاص لان انباء رحلته المقبلة الى « القدس » كانت مفاجأة كاملة ٠ وقد قال للصحفيين الذين التقى بهم فى هذا اليوم :

ـ « عندما اعلنت عزمى على زيارة اسرائيل ، اصيب مساعدى بالفزع ، ولكننى فى حالة سلام مع نفسى ٠٠ » ٠

ولم يكن **السادات** يكل ابدا من اعلان ان رحلته الى القدس لن تكون « ميونيخ » أخرى ٠ فهو لا ينوى ان يتخلى لاسرائيل عن شبر واحد من الأراضى التى تم احتلالها عام ١٩٦٧ ، وانما هو ذاهب الى هناك كى « يواجه الاسد فى عرينه » ٠

... ...

وفى القاهرة ، ارســل وزير الحربيــة المصرى ، اللواء «**عبد الغنى الجمسى**» ، استدعاءا عاجلا بالحضور لمكتبه الى الجنرال الفنلنـدى « **انزيو سيلازفيو** » ، قائد قوات الامم المتحدة فى الشرق الاوسط ٠ ولاحظ الجنرال ان هناك تغيرا فى الجو وان الناس يتحـدثون عن السلام وكأنه قد بات وشيكا وفى متناول اليد ٠

استقبل « **الجمسى** » الجنرال « **سيلازفيو** » فى مكتبه بوزارة الحربية فى حى مصر الجـديدة ٠ كـان يريد من الجنرال ابــلاغ المسئولين الاسرائيليين بأنه قـد تم العثـور على ثلاث جثث اخـرى لجنـود اسرائيليين ٠ وكان المصريون يقومون بازالة بعض المواقع المحصنة التى كان الجيش الاسرائيلى ـ فيما مضى ـ يتمركز فيها على طول قناة السويس ، والتى كان المصريون يعدون العدة لتوسيعها ٠ وقـد

عثر المصريون على هذه الجثث تحت انقاض أحد هذه المواقع التى كانت تشكل ما كان يسمى بـ « **خط بارلييف** » •

وكان « **الجمسى** » يريد ابلاغ الاسرائيليين بأنه سوف يتم تسليم هذه الجثث اليهم فى اسرع وقت ممكن • **وتذكر** « **سيلازفيو** » انه ، فى المرات السابقة ، لم يكن المصريون يسلمون جثث الجنود الاسرائيليين التى يعثرون عليها دون ان يطلبوا شيئا فى مقابل ذلك • وكانوا يطلبون عادة اطلاق سراح بعض الفدائيين أو **الجواسيس** •

ولكن المصريون لم يطلبوا شيئا هـذه المرة •

... ...

وفى مساء يوم ١٣ أو ١٤ نوفمبر ، واثناء انعقاد أحد المؤتمرات فى فندق « هيلتون تل أبيب » ، كان « **بيجين** » يتبادل المذكرات مع رجال اجهزة الامن الذين ترددوا على الفندق ـ جيئة وذهابا ـ عدة مرات • وفى احدى هذه المذكرات ، وافق « **بيجين** » على اجراء مقابلة تليفزيونية مشتركة مع الرئيس المصرى •

وكان الوقت قد بلغ منتصف الليل فى اسرائيل ، عندما دلف « **بيجين** » ـ متوترا ومنهكا ـ الى حجرة مدير فندق « هيلتون تل ابيب » الخاصة • وكانت كاميرات التليفزيون قد بدأت تدور ، وكانت الكشافات تلهب الجو فى الحجرة •

وفى نيويورك ، بدأ معلق « شركة اذاعة كولومبيا » (سى•بى•اس) المعروف « وليم كرونكيت » يتحدث ، عن طريق القمر الصناعى ، الى الزعيمين ، كما لو كان كل منهما يواجه الآخر مباشرة :

وسأل « **كرونكيت** » **السادات** :

ـ « متى تنوى القيام بالزيارة يا سيادة الرئيس ؟ » •

واجاب **السادات** :

ـ « فى اقرب وقت ممكن » •

وعاد « **كرونكيت** » يسأل **السادات** :

ـ « هل يمكن ان نقول انك سوف تقوم بها خلال اسبوع ؟ » .

واجاب **السادات** :

ـ « نعم ، يمكنك ان تقول ذلك » !

وفى حجرة مدير فندق « هيلتون » ، كان « **بيجين** » ينصت الى الحوار عن طريق السماعات .

... ...

واستهل صباح يوم الثلاثاء ١٥ نوفمبر ١٩٧٧ بانفجار غاضب . فقد كان وزير الدفاع الاسرائيلى « **ايزر وايزمان** » يدق مكتبه بقبضة يده فى حنق . واتصل به رئيس الوزراء عدة مرات ، كما انهال على مكتبه سيل من المكالمات التليفونية من الوزراء واعضاء الكنيسيت والاصدقاء ، بينما كان يدور فى انحاء المكتب وهو يشتعل غضبا وحيرة .

وكانت صحيفة « **يديعوت احارونوت** » قد نشرت حديث الجنرال « **جور** » مبرزة بالبنط الكبير تحذيره الذى يقول : « يجب على السادات أن يعرف انه اذا كان ينوى خداعنا ، فاننا سوف نكون على استعداد لمواجهته » . ولم يكن قد مضى اكثر من اثنى عشر ساعة على اعلان السادات عن استعداده للقدوم الى اسرائيل خلال اسبوع واحد . وكان من الواضح ان « **جور** » لم يتصور ان حديثه سوف ينشر بعد ان يكون قد اصبح واضحا ان السادات مستعد ، حقا ، للقدوم الى القدس .

وبدأ ، فى أول الامر ، وكأن تصريحات « **جور** » سوف تنسف امكانية قيام **السادات** بزيارته المرتقبة ، الامر الذى سوف يلحق باسرائيل ضررا اعلاميا هائلا .

واتى رد الفعل سريعا من القاهرة •

فقـد أعلن المتحدث المصرى الرسمى :

ــ ان جـور رجل ساذج ، وليس لديه أى فهم سياسى » •

اما « وايزمان » فقـد كان يزأر صارخا :

ــ « سوف أفصله ! » •

وفى هذه الأثنـاء ، كان رئيس الاركـان على بعد آلاف الأميـال • وأصدر « وايزمان » أوامره بأن يعود « جور » فورا الى اسرائيـل • وكان قـد قرر أنه اذا لم يقـدم « جور » تفسيرا مقنعا لتصرفـاته ، فسوف يطلب منـه انهـاء مدة خدمته كرئيس للاركان فى آخر شهر ديسمبر ١٩٧٧ ، بدلا من شهر أبريل ١٩٧٨ (حين يكون قـد أمضى أربعة أعوام كاملة فى وظيفته) •

... ...

فى صباح يوم ١٥ نوفمبر ١٩٧٧ ، أملى « بيجين » رسالتين على أحـد موظفى مكتبه •

كانت الرسالة الاولى موجهة الى الرئيس السادات ، تحمل اليه دعوة رسمية لزيارة اسرائيل • وكان من المقرر أن تقوم الولايات المتحـدة بايصـال هذه الدعوة الى السادات •

أما الرسالة الثانية ، فقـد كانت عبارة عن خطاب شخصى موجه الى الرئيس « كارتر » •

ثم توجه « بيجين » ، بعد ذلك ، الى مبنى « الكنيسـيت » كـى يحصل على موافقته رسميا على توجيـه الـدعوة للـرئيس المصرى لزيارة اسرائيل •

وكان صوت « بيجين » مشحونا بالانفعال والاهمية وهو يقول :

ـ « سوف نتحدث أنا والرئيس المصرى عن السلام . وأنا سعيد لان أى من الجانبين لم يضع شروطا مسبقة للقيام بهذه الزيارة » .

كان الوزراء يرتدون ـ على غير عادتهم ـ حللا كاملة . فقد كانوا يعرفون أن كاميرات التليفزيون سوف تنقل ما يدور فى قاعة « الكنيسيت » الى العالم بأكمله . كما كان الأعضاء يحاولون ـ بين الحين والآخر ـ جذب انتباه كاميرات التليفزيون اليهم . ولكن الكاميرات ظلت طيلة الوقت ، تركز عدساتها على وجه رئيس الوزراء .

قال « بيجين » ، مخاطبا أعضاء «الكنيست» :

ـ « ان توجيه هذه الدعوة الى السادات لا يعنى أننا نحاول بذر بذور الفرقة والخلاف بين الشعوب العربية . وأنا على استعداد لاجراء مفاوضات من أجل السلام ومن أجل عقد معاهدة صلح مع جميع جيراننا ... و « ... نحن نعتقد أنه ليس هناك من سبب يبرر العراك بيننا وبين مصر . ولقد كان الصراع بيننا طويلا ومأساويا وغير ضرورى . وأنا أدعو السادات للمجىء الى هنا كى نبدأ المفاوضات من أجل السلام ... » .

وكان الصمت يسود القاعة وصوت « بيجين » يمضى قائلا :

ـ « ... وأنا أوجه نفس الدعوة أيضا الى الرئيس السورى ، والى الملك حسين ، والى الرئيس اللبنانى ... » .

وفجأة ارتفع صوت « **مائير ويلنر** » ، ممثل الحزب الشيوعى ـ الذى يؤيد اقامة دولة فلسطينية ـ مقاطعا :

ـ « ... وهل ستوجه الدعوة أيضا الى رئيس منظمة التحرير التحرير الفلسطينية ، « **ياسر عرفات** » ؟ .

ورد عليه « **بيجين** » وهو يبتسم :

ـ « ليست هنــاك ضرورة لان تدفعنى يا **ويلنر** • وآمل حين يقدم السادات هنــا ألا تقــاطعه كما تفعل الان ••• » •

وضجت قاعة « الكنيست » بالضحك •

ورفض « **بيجين** » قراءة فحوى الدعوة بصوت عال قائلا :

ـ « ليس من اللائق اعــلان الدعوة حتى يقرأها الرئيس المصرى » •

وحين أجرى الاقتراع ، بعــد انتهاء الاعضاء من مناقشة الدعوة ، ظهر أن ٨٨ عضوا يؤيدون اقتراح « **بيجين** » بتوجيه الدعوة للرئيس المصرى لالقــاء خطــاب أمام الكنيسيت •

أما الاعضاء الثلاثة الذين يمثلون الحزب الشيوعى الاسرائيلى فقد صوتوا ضد الاقتراح •

ثم قام « **بيجين** » بعــد ذلك ، أمام عدسات كاميرات التليفزيون ، بتسليم الدعوة الى « **صمويل لويس** » قائلا :

ـ « ها أنذا ، يا سعادة السفير أسلمك خطابا شخصيا موجهــا منى الى **السادات** أدعوه فيه للقدوم وزيارة بلادنا ••• »

وسرعــان ما كان جهاز « التليبرنتر » ، بالقنصلية الامريكية فى القــدس ، يدق فى عجلة ناقلا الدعوة الى القاهرة •

« عزيزى الرئيس :

بالنيابة عن حكومة دولة اسرائيل ، يشرفنى أن أوجه اليكم هذه الدعوة الصادرة من القلب بالقــدوم الى القدس ، وزيارة بلادنا ••• واسمحوا لى ، يا سيادة الرئيس ، أن أؤكد لكم أن المجلس النيابى والحكومة وشعب اسرائيل سوف يستقبلونكم بحماسة حارة •• »

٦

عملية شاعار

كان « بيجين » لا يزال يحس بالخوف من المجهول وغير المتوقع • وهو لم يكن يعرف بعد ، على وجه الدقة ، متى سيقدم الرئيس السادات الى اسرائيل ــ هذا اذا كان سوف يقدم فعلا • وكان حواره مع السادات لا يزال يدور عن طريق أجهزة الاعلام • كما كان يحيره ، أيضا ، اصرار **السادات** على أن تصله دعوة شخصية مكتوبة ، وعدم اكتفاءه بالدعوات التى حوتها خطب « **بيجين** » العلنية • واستنتج « **بيجين** » من ذلك أن السادات يخشى أن يفسر عدم توجيه دعوة مكتوبة اليه بأنه امتهان لكرامته • ذلك أن قيام الحكومة الاسرائيلية باصدار دعوة مكتوبة للسادات يلزمها استقباله استقبالا لائقا • وقرر « **بيجين** » انه اذا قدم السادات الى اسرائيل فانه سوف يستقبل استقبال رؤساء الدول وبكل المراسم المطلوبة وكأنه لايوجد عداء بين البلدين •

... ...

كانت أول مكالمة تليفونية يتلقاها « **بيجين** » فى منزله بالقدس من السفير الامريكى ، الذى اتصل به فى السادسة صباحا وقال له :

- « أعتقد اننا سوف نتلقى - قبل يوم الجمعة القادم - معلومات مؤكدة عن موعد زيارة الرئيس **السادات** لاسرائيل » ٠

وفي حديث أدلى به للتليفزيون البريطاني ، قال **السادات** :
- انني أذهب الى اسرائيل بلا خوف ٠ ولن يعوقني أن تكون حكومة **بيجين** مكونة من الصقور ٠ فأنا لا أخشى الحكومات القوية ، كما لا أخشى أيضا « الدول العظمى » ٠

... ...

كان بيجين قد حدد موعدا لمقابلة « **وايزمان** » بعد ظهر ذلك اليوم ، وذلك بناء على طلب الاخير تحديد موعد عاجل للقاء رئيس الوزراء ٠ وقد استنتج « **بيجين** » أن « **وايزمان** » يريد أن يناقشه في التحذير الذي وجهه « **جور** » الى الشعب الاسرائيلي بخصوص زيارة الرئيس السادات ٠ وكان هذا الحديث الصحفي قد سبب الحرج لـ « **بيجين** » أيضا ، ولكن غضبه كان أقل من ذلك الذي انتاب « **وايزمان** » ٠

كان الجو السائد في مكتب « **وايزمان** » في تل أبيب يتميز بضبط النفس وبالتوتر وبالهدوء في نفس الوقت ٠ وكان « **وايزمان** » يكبح جماح غضبه في صعوبة بالغة ٠ وكان رئيس الأركان « **جور** » قد وصل منذ نحو الساعة ٠ وكان قد علم وهو في طريقه من مطار « بن غوريون » الى مكتب « وايزمان - عن طريق موظفي مكتبه وكذلك احدى الصحف المسائية - أن وزير الدفاع ينوي انهاء مدة خدمته كرئيس للاركان قبل موعد انتهائها - ملغيا بذلك قرارا كان قد أصدره قبل أسبوع واحد فقط ٠

وكانت العلاقات بين « **وايزمان** » و « **جور** » تتأرجح بين التوتر والمودة المتحفظة ٠ فقد كان « **جور** » من الضباط القدماء المخضرمين ذوي الخبرة العريضة ، بينما كان « **وايزمان** » جديدا نسبيا ٠ كذلك

فقـد كانت ثقـة « **جور** » بنفسه بلا حدود ، بينما كان « **وايزمان** » يتصف بالتردد وعدم الحسم ٠

سأل « **وايزمان** » جـور :

ـ لمـاذا فعلت ذلك ؟

وشرح له « **جور** » كيف أنه قرر أن يعبر عن آرائه علانية بسبب احساسه بالمسئولية القوميـة التى يفرضـها عليه منصـبه كرئيس للاركـان ٠ وقـال أنـه لم يطلب أذننا باجراء الحـديث حتى لا يدخل العصبية الحزبية فى الأمر ٠

ورفض « **وايزمان** » قبول هذا التفسير ، وقرر توجيه اللـوم الى « **جور** » مع انهــاء مدة خدمته فى آخر شهر ديسمبر ١٩٧٧ ٠

وغضب « **جور** » وقال انه سوف يقدم استقالته فورا ٠ وقـال « **وايزمان** » انه سوف يستشير « بيجين » قبـل أن يصـدر قـراره النهـائى ٠

ثم ذهب « **جور** » الى منزله فى احدى ضواحى « تل أبيب » كى يستبدل ملابسه المدنية ببزته العسكرية ، لكى يعـود لعمله كرئيس للاركان ، بينما توجه « **وايزمان** » فى سيارته الى القدس كى يستشير رئيس الوزراء ٠

وفى الطريق الى القـدس ، وبالقرب من « مقلب » كبير للقمامـة يقع خارج « تل أبيب » ، كان أحد المـارة يحاول عبور الطريق ٠ وأدار « **اسحق أزولاى** » ، سائق سيارة وايزمان ، عجلة السيارة الى اليمين ، فخرجت السيارة عن الطريق ، وانقلبت ، وأصيب كل من « **وايزمان** » وسائقه بجروح ٠ ونقلتهما احدى السيارات المـارة الى أقرب مستشفى ، حيث أدخل « **وايزمان** » على الفور حجرة الأشعة ، خشية أن تكون جراحة خطيرة ٠

وكان « **جور** » قد فرغ من ارتداء زيه الرسمى ، حين اتصل به مدير مكتبه تليفونيا وأبلغه نبأ اصابة « **وايزمان** » فى حادث وقع لسيارته • وأسرع « جور » على الفور الى المستشفى •

كذلك كان « **بيجين** » قد اتصل بقسم الاشعة فى المستشفى من مكتبه بالقدس كى يستفسر عن حالة « **وايزمان** » •

وفى المستشفى ، خارج قسم الأشعة ، التقى « **جور** » بـ «**رويمان وايزمان** » ، زوجة وزير الدفاع ، فقال لها وهو يهز أصبعه أمام وجهها •

ـ « هذا هو العقاب الذى ناله » •

ولا ضرورة لان نقول أن الزوجة قد دهشت !

وفى المساء ، وصل ضابط برتبة مقدم الى مكتب « **بيجين** » وهو يحمل تقرير تقييم موقف أصدرته المخابرات العسكرية •

وكان البريجادير « **شولومو جازيت** » ، مدير مخابرات الجيش ، قد استهل تقريره بالسؤال التالى :

ـ هل حدث تغيير فى موقف مصر من السلام ؟

وانتهى فى تقريره الى أنه لم يحدث أى تغيير فى موقف مصر من السلام » •

وختم مدير مخابرات الجيش تقريره قائلا :

ـ لقد غير السادات أسلوبه ، ولكنه لم يغير موقفه أو مطالبه »

... ...

كان السادات ـ مثل « بيجين » ـ متوترا • وكان قد طار الى سوريا فى زيارة قصيرة لزميله الرئيس « **حافظ الأسد** » •

وقد سأله « الأسد » :

ـ « هل تعني حقــا ما قلته فى خطبتك ؟ هل ستذهب حقــا الى القــدس ؟ » •

ورد عليه السادات قائلا :

ـ « بالطبع ، سوف أذهب • فأنا لا أقــول أبدا ما لا أعنيه •

وهتف به الأســد :

ـ « ولكن كيف ؟ كيف يمكنك أن تفعلها ؟ »

واستمر اجتمـــاع الرئيسين نحو أربع ساعات • وعنــد نهــاية الاجتمــاع ، صافح الرئيس المصرى الرئيس « **الأسد** » الــذى كــان غاضبا وعصبيا •

وقال له السادات :

ـ « اسمع ، اذا كان هذا هو آخر شيء افعله كرئيس للجمهورية ، فانني لن اتردد فى فعله • واذا فشلت ، فسوف اعترف اننى كنت مخطئا ، وانك كنت على صواب •• وسوف أقدم ، عندئذ ، استقالتى الى مجلس الشعب • وانا شخصيا ، مقتنع اقتناعا كاملا بضرورة هذه المبادرة » •

وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده السادات فى دمشق بدون حضور الرئيس السورى ، سأله احد الصحيفيين :

ـ « ما الذى تتوقعه من زيارة اسرائيل ؟ » •

فرد عليه السادات قائلا :

ـ انتظر وسوف ترى ! اننى لم اعد شيئا سوى خطابى الذى سوف القيه هناك ، ولم اطلب الاجتماع بأعضاء الحكومة •

ثم ، سؤال آخر :

ـ هل ستذهب حقا الى القدس ؟ •

وصاح السادات :

ــ لا اله الا الله ! هذه هى المرة الالف التى يوجه لى فيها مثل هذا السؤال : والاجابة هى : نعم ! فانا لا اقول سوى ما اعنيه ! » ٠

وفى نهاية المؤتمر ، قال السادات فى محاولة لتلطيف الجو :

ــ « اننى والرئيس **الاسد** متفقان على الاستراتيجية ، ولكننا نختلف فقط على التكتيك الذى يجب اتباعه » .

وقد قال **الاسد** فيما بعد :

ــ « ان ما يسبب لى حزنا بالغا هو اننى لم انجح فى اقناعه » ٠

فقد كان يرى فى خطوة الرئيس المصرى خيانة للقضية العربية ٠

... ...

فى قاعدة ابو صوير « الجوية بالقرب من قناة السويس » ، التقى السفير الامريكى الى مصر ، « **هيرمان الينس** » بالرئيس المصرى عندما هبطت طائرته هناك ، وسلمه دعوة « **بيجين** » الرسمية ٠

وقال السادات « لممثلى اجهزة الاعلام الذين كانوا يحيطون به من كل جانب » :

ــ ان الاسد لا يستطيع ان يفرض اراءه علي ، كما اننى لا استطيع ان افرض ارائى عليه » ٠

كان الشقاق بين مصر وسوريا قد بدا ٠

كان هناك تاريخ طويل من سوء الفهم بين « **محمد انور السادات** » و « **حافظ الاسد** » ٠ وتعود بداية هذا التاريخ الى الوقت الذى كان فيه « **الاسد** » لا يزال طيارا شابا يعيش فى منفى مريح بمدينة الاسكندرية ، اثناء الوحدة المصرية ــ السورية القصيرة الأمد (١٩٥٨ ــ ١٩٦١) ٠ وكان « **الاسد** » ، الذى نشأ فى احدى القرى

الجيلية السورية والذى ينتمى الى طائفة العلويين الصغيرة ، قد شب كى يكون رجلا صامتا كثير التامل ٠

ولم تكن شخصية السادات تعجبه على الاطلاق ٠

فقد كان مغامرا افاقا بلا مبادىء ، هدفه الحقيقى هو الوصول الى تسوية تناسب مصر (كذا ؟ !) حتى ولو كان ذلك على حساب الدول العربية الاخرى ٠ وكانت المناورات السورية ، خلال الاعوام القليلة السابقة ، تهدف الى منع السادات من تحقيق ذلك ٠ ولم ينجح التحالف الذى قام بين الرئيسين ، إثناء حرب « يوم الغفران » فى تبديد هذه الشكوك ٠ بل ان العكس هو ما حدث ، فقد كان كل من الرئيسين منذ بداية الحرب ، يظن ان الآخر يعمل من وراء ظهره ٠ وقد غضب « **السادات** » حين وافق « **الاسد** » على وقف اطلاق النار قبل ان تكمل القوات المسلحة المصرية عبور قناة السويس ٠ بينما كان « **الاسد** » واثقا ان **السادات** قد استغل الهجوم الاسرائيلى المضاد فى « مرتفعات الجولان » من أجل تعزيز مواقع قواته فى سيناء ٠

وقد ادان **الاسد** بشدة كافة اتفاقيات سيناء بفض الاشتباكات ، بينما انتقد السادات تدخل سوريا فى الحرب الاهلية اللبنانية ٠ وكان الاثنان يتنافسان علانية من أجل احتلال موقع القيادة بين الدول العربية ٠ وكان السوريون يطمحون فى اقامة محور جديد يمتد من بيروت ، على ساحل البحر المتوسط ، الى مدينة « العقبة » الاردنية الواقعة على خليج البحر الاحمر ٠ كذلك حاولت مصر ، دون نجاح ، اجتذاب الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية الى جانبها ٠ وقد كان كل ما فعلته الوساطة السعودية فى مؤتمر الرياض ـ الذى عقد فى شهر اكتوبر ١٩٧٦ ـ هو انها دارت بالورق الشفاف هذه الخلافات العميقة الجذور ٠

كان « **الاسد** » مؤمنا بعدم منطقية الجرى بجنون وراء تحقيق تسوية مع اسرائيل ٠ وكان القادة السوريون يرغبون فى كسب مزيد

من الوقت لاجل احكام قبضتهم فى لبنان ، حيث كانت ثلاث فرق من القوات المسلحة السورية تواجه « مليشيا » المسيحيين ومقاتلى منظمة التحرير الفلسطينية • وكان من رأى « **الاسد** » أن السادات يرتكب خطأ بالغا بمحاولة الوصول على تسوية تحت المظلة الامريكيــة ، وباستبعاده للاتحاد السوفيتي من المفاوضات ، وهو الامر الذى كان يبدو للسوريين على انه تضحية بحليف هام فى مقابل لا شىء • وقد ظل « الاسد » ملتزما بمبدأ حزب البعث ، وهو المبدأ الذى يقــول ان العرب على استعداد لاقرار السلام مع اسرائيل فقط اذا انسحبت الاخيرة انسحابا كاملا من الأرض المحتلة ، وبدون أى التزام عربى بالاعتراف بها ، أو بتطبيع العلاقات معها •

وفى القاهرة ، استدعى السادات وزير الدولة للشئون الخارجيــة **محمد رياض** ، كى يعرض عليه منصب وزير الخارجية •

ففى اثناء اجتماع لوزراء الخارجية العرب ـ كان وزير الخارجية المصرى ، اسماعيل فهمى يقول لكل من يسأله ، انه لا يعتقد ان السادات ينوى حقا الذهاب الى القدس • ولكن اسماعيل ايقن ، عقب زيارة السادات لسوريا مباشرة ، ان السادات سوف يفعلهـــا • **واحس اسماعيل فهمى انه قد خدع** •

وفى صباح نفس هذا اليوم ، صرح « اسماعيل فهمى » فى حــديث صحفى اجرى معه ، انه يؤيد عقد مؤتمر جنيف •

وفى مساء اليوم التالى ، بعد عودة الرئيس السادات من سوريا ، قدم « اسماعيل فهمى استقالته » والتى قال فيها :

« فى هذه المرحلة الصعبة التى تمر بها بلادنا • وتمر بها الامة العربية ، وبسبب الموقف الطارىء الذى نشأ ، فاننى اشعر أننى لا استطيع مواصلة القيام بمهــام منصبى بالاشتراك فى تحمــل مسئولية ••• » •

وقد كان « **اسماعيل فهمى** » دبلوماسيا محترفا مستقل الرأى • وهو يعتبر ، بوجه عام ، أحد مهندسى الخط السياسى المعادى للسوفيت الذى كانت مصر تتبعه • كذلك فقد كان من المنادين بـ « تحييد » الولايات المتحدة من أجل حرمان اسرائيل من مساعداتها الايجابية ، فى نفس الوقت الذى لم يكن يحبذ فيه وضع البيض المصرى برمته فى السلة الامريكية ، كما كان السادات يحاول ان يفعل • فقد كان « **اسماعيل فهمى** » يؤمن بأن اخراج الامريكيين من المنطقة افضل من السماح لهم بالتدخل فى شئونها اكثر مما يجب •

وقد كانت هناك مسألتان تشغلان فكر « **أسماعيل فهمى** » بشكل خاص ، المسألة الاولى هو الهجرة الى اسرائيل ، اما الثانية فهى مسألة القنبلة الذرية • فعندما كان السادات يتحدث عن السلام الكامل فى عام ١٩٧٧ ، كان « **أسماعيل فهمى** » يحرص دائما ان يضيف الى ذلك شرطا غير مقبول ، وهو ان توقف اسرائيل الهجرة اليها لمدة عدة حقب • وقد كان ذلك يثير ردود فعل غاضبة داخل اسرائيل ، ويبطىء من سير عملية بناء الثقة المعقدة •

وقد كان ذلك ، ايضا ، هو موقف « **أسماعيل فهمى** » فيما يتعلق بمسألة القنبلة الذرية • فقد ازاح السادات جانبا مسألة قيام اسرائيل بتصنيع الاسلحة الذرية ، وذلك لايمانه بان الوقت لم يحن بعد لاتخاذ موقف بهذا الشأن •

ولكن « **اسماعيل فهمى** » كان يتجاهل توجيهات السادات فى هذا الشأن • وقام ، بالاشتراك مع « **محمد حسنين هيكل** » بتقديم سلسلة من المطالب بشأن مزاعم امتلاك اسرائيل للقنابل الذرية • ولكن السادات ، عندما سئل حول هذا الموضوع ، طرحه جانبا فى ازدراء ، والمح علانية الى ايمانه بأن **اسماعيل فهمى** لم يكن مصيبا فيما قال •

وقد شجع « هيكل » « اسماعيل فهمى » على تقديم استقالته ، بينما كان السادات لا يزال فى دمشق ، وقد حاول « **اسامة الباز** »

مدير وزارة الخارجية (الصحيح انه كان يشغل منصب مدير مكتب وزير الخارجية) ، دون جدوى ، اقناع « **اسماعيل فهمى** » بتأجيل تقديم الاستقالة . **وربما لم تكن استقالته مفاجأة للسادات ، ولكنها لا شك قد اربكته** .

ثم اعقبت تلك الضربة ضربة اخرى . فقد رفض « **محمد رياض** » ان يحل محل « **اسماعيل فهمى** » وقدم ، على الفور استقالته من منصب وزير الدولة للشئون الخارجية الذى كان يشغله .

وتصاعدت موجة الاحتجاجات على مبادرة السادات . ففى بغداد ، ظهرت الصحف العراقية وهى مكلله بالسواد . ووصفت المبادرة بانها « مجزرة قومية » ، وخرج آلاف المتظاهرين الى الشوارع يهتفون ضد السادات ويدينونه بالخيانة .

كذلك اعلنت سوريا ان يوم الزيارة سوف يكون « يوم حداد قومى » وظلت اذاعة دمشق تذيع ــ طيلة اليوم ــ برقيات التعازى فى وفاة الرئيس المصرى .

وفى القاهرة ، كانت محطة اذاعة منظمة التحرير الفلسطينية تهاجم **السادات** ، ووزعت المنشورات التى تدين المبادرة ، **كما عقد الطلاب** مؤتمرات احتجاج تلقائية .

وبالرغم من ذلك ، فقد كانت هناك المئات من رسائل التأييد تنهال على مكتب السادات . واتصل به « **مصطفى خليل** » السكرتير الأول لحزب الاتحاد الاشتراكى العربى الحاكم ، تليفونيا ، ليقول له انه قد سمع باستقالة « **اسماعيل فهمى** » و « **محمد رياض** » ، وانه ــ ادراكا منه للمخاطر التى تهدد السادات ــ فاننى اطلب منك ان تضمنى الى المجموعة التى سوف ترافقك الى القدس .

ورد عليه « السادات » قائلا :

ــ « اشكرك ، انت صديق حقيقى » .

وفى يوم ١٧ نوفمبر ، اتصل **كارتر** تليفونيا بكل من **السادات** و « **بيجين** » • وقال الرئيس الامريكى للسادات :

ـ اننى اهنئك على قرارك الشجاع بالذهاب لمقابلة بيجين فى اسرائيل • ان انظار العالم كله تتركز عليك •

وفى بعد ظهر نفس اليوم ، اجتمع السفير الامريكى الى اسرائيل مع « بيجين » مرة أخرى ، وابلغه بتسليم دعوته الى الرئيس المصرى ، الذى اكد انه سوف يزور اسرائيل فعلا •

وقد كان « بيجين » هو الاسرائيلى الوحيد الذى كان يعرف بالضبط موعد قدوم السادات الى القدس • ففى حديث سابق ، كان السفير الامريكى قد سأله عن موعد انتهاء « السابات » (الصيام) اليهودى • فقد كان « حسنى مبارك » ، نائب الرئيس المصرى ، يريد ان يعرف إذا كان وصول السادات فى الساعة السادسة والنصف من مساء يوم السبت يمكن ان يعتبر انتهاكا لصيام يوم السبت • وقال بيجين ، بعد استشارة مساعديه ، انه يعتقد انه من الافضل تأخير موعد وصول الرئيس المصرى الى الساعة السابعة والنصف مساءا ، بعد انتهاء صيام يوم السبت ، حتى يمكن اجراء المراسم اللائقة لاستقباله •

ثم وصلت برقية للقدس من القاهرة تقول :

ـ « الساعة الثامنة هى افضل الاوقات بالنسبة لنا » •

... ...

تساءل الدكتور « الياهوين اليسار » ـ مدير مكتب رئيس الوزراء الملتحى ذو الـ ٤٥ عاما ـ :

ـ ما هو نوع الاستقبال الذى يتعين علينا اعداده للرئيس السادات : حار أم فاتر ؟ •

وكان رد « بيجين » :

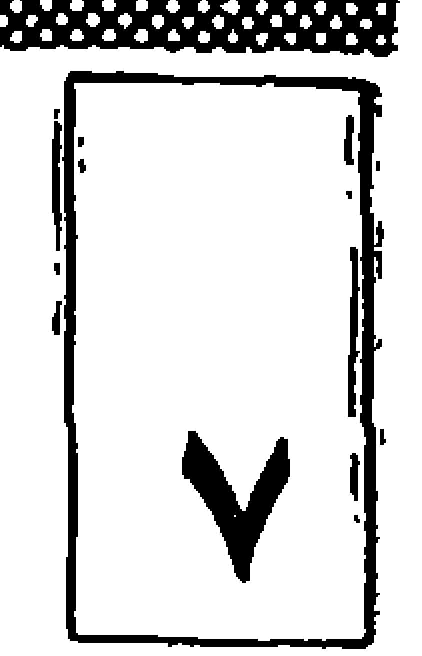
ـ حمار ! ·

وتساءل الكولونيل « افرايم يوران » « مستشار » بيجين العسكرى ورئيس لجنة الاستقبال :

ـ ما هى المراسم التى سوف نجريها عند وصول الرئيس المصرى ؟

واجاب بيجين :

ـ « سوف نستقبله وكأنه رئيس دولة صديقة ! » ·



ستار من الرمال

لم يكن « بيجين » غافلا عن مقدار الشجاعة التى كانت تتطلبها زيارة القدس من السادات، ولكنه كان ينظر أيضا الى تصرف السادات بوصفه تصرفا يدل على الضعف ، بل وعلى اليأس ايضا . وكان « بيجين » يعتقد أن الرئيس المصرى لم يكن ليجرؤ على مثل هذه الخطوة اذا كان لديه بديل آخر . وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان لدى « بيجين » شكوك خطيرة حول جدية نوايا السادات . وكان بعض مستشاروا رئيس الوزراء الاسرائيلى قد حذروه من ان كل ما يريده السادات فى الواقع ، هو القيام باستعراض تليفزيونى مبهر ، بهدف ايقاع اسرائيل فى فخ احكم اعداده .

وكان السادات يدرك جيدا مدى حيرة الاسرائيليين ومقدار الشكوك التى تنتابهم ، ولكنه كان يامل فى أن تكون زيارته بمثابة الصدمة للرأى العام الاسرائيلى ، وفى أن يثبت « بيجين » انه « ديجول » اسرائيلى ، وان يكون قويا بما يكفى لاتخاذ القرارات المتعلقة بالانسحاب والتنازلات ، كما فعل « ديجول » فى الجزائر .

وكان كل من الزعيمين يحاول قراءة ما يحور فى ذهن الآخر • وقد قال السادات :

ـ « لقد درست بيجين كما يدرس الملاكم خصمه قبل المباراة » •

كذلك اعاد السادات قراءة كتاب « التمرد » الذى كتبه بيجين ، والذى قام بدوره باعادة قراءة كتاب السادات « ثورة على النيل » ، هذا بالاضافة الى قراءة « البورتريهات » النفسية ، وتقارير اجهزة المخابرات ، وتوصيات الخبراء •

وقد كانت هناك جدران من الدم والكراهية، وايمان كل جانب بصحة موقفه ، تفصل بين الرجلين ، الذى كان لدى كل منهما احساس عميق برسالته التاريخية ، كما كانا يشتركان فى التمسك بتراثهما الدينى • وكان السادات ، ايضا ، لا يكف ، فى جميع خطبه ، عن ذكر السبعة آلاف عام التى هى عمر الحضارة المصرية • أما بيجين ، فلم يكن يدع فرصة واحدة تمر دون أن يتباهى بتراث الانبياء اليهود • واذا كان السادات يستشهد بالقرآن (الكريم) فى معظم خطبه واحاديثه ، فان « بيجين » يفعل نفس الشىء ايضا بالنسبة الى العهد القديم • ورغم انه لا يمكن النظر الى أى منهما بوصفه من المتدينين المتزمتين (الارثوذكس) • بالمعنى المعتاد ، فان من الممكن اعتبارهما من المؤمنين • وبالرغم من افكارهما التى تصطبغ احيانا بالطابع الميتافيزيقى الصوفى ، فان لكليهما خبرة واسعة باساليب السياسة القذرة •

كذلك فقد كان كلاهما هدفا للهجوم والتشويه فى بلده • فقد كان بيجين يوصف بانه « ديماجوجى » و « فاشى » بسبب اراءه المتطرفة • ولم يكن (بن غوريون) يشير اليه باسمه أبدا ، وانما كان يقول عنه : « ذلك الرجل الذى يجلس بجانب عضو الكنيسيت بادير » • أما السادات فقد كان يوصف بانه « مغامر افاق » ، وكان عبد الناصر يدعوه بـ « البكباشى نعم ، نعم » (ايوه ،ايوه) •

ولم يكن « بيجين » أو « السادات » يعرف شيئا عن الخلفية التى نشأ الآخر فى ظلها • فبيجين لم يزر مصر ابدا ، كما انه لم يتحدث الى عربى ولو مرة واحدة فى حياته تقريبا •

كذلك لم يزر السادات اسرائيل من قبل ، وكان ، ايضا ، يكاد لا يعرف شيئا عن يهود اوروبا الشرقية ، الذين ينتمى « بيجين » اليهم ، مثله فى ذلك مثل معظم زعماء الصهيونية الآخرين •

وكانت مدينة « بريست ليتوفسك » ـ والتى تدعى بـ « بريسك » احيانا ـ فى الحقبة الاولى من هذا القرن هى العاصمة الاقليمية لمقاطعة « بوليسنى » • وفى هذه المدينة ، فى عام ١٩١٣ ، ولد « مناحيم بيجين » • وقد مر سكان المدينة ـ ذوى الديانات والجنسيات المختلفة ـ بسلسلة طويلة من تعديلات الحدود ، جعلت مدينتهم تتبع روسيا احيانا ، وبولندا احيانا اخرى ، بل والمانيا فى بعض الاوقات ايضا • وتشتهر المدينة بانها كانت المكان الذى تم فيه التوقيع على معاهدة للصلح بين المانيا والنظام البلشفى الجديد فى روسيا بعد الحرب العالمية الاولى ، وهى المعاهدة التى وضعت حدا للقتال فى الجبهة الشرقية •

أما « محمد أنور السادات » فقد ولد فى شهر ديسمبر ١٩١٨ بقرية « ميت ابو الكوم » بمحافظة المنوفية ، والتى كان سكانها ـ مثل سكان باقى القرى الـ ٤ آلاف فى مصر ـ يعانون من الفقر المدقع ، ويتسمون بالتدين والورع • وكان صبيان القرية ـ المعزولة تماما عن تيارات القرن العشرين الحضارية ـ يشبون وقد انطبعت فى اذهانهم سيرة الاعمال الاسطورية التى قام بها البطل الشعبى « ابو زيد الهلالى » •

وكان « بيجين » الشاب يتميز بشهيته النهمه الى التعليم ، بينما لم يكن السادات ، كما قال هو نفسه ، « تلميذا ناجحا » •

وقد انضم « بيجين » فى صباه ، الى حركة الشباب التى كان

يتزعمها « زييف يابوتنتسكى » وارتدى زيها الموحـد ، استعـدادا للهجرة الى فلسطين • وكانت مقدرته كخطيب متمكن قادر على اثارة الجماهير ، قد وضحت منذ سنيه الباكرة •

أما السادات ، فقد كان يشترك آنذاك فى مظاهرات الطلاب ضد الاحتلال الانجليزى •

وقد بدأ كل من السادات وبيجين حياتهما السياسية نحو اواخـر الثلاثينات من هذا القرن •

فقد عين « بيجين » قائدا لحركة الشباب التى كونها الصهيونى « زيف يابوتنتسكى » فى بولندا ، والتى يقال ان عدد اعضاءها كان يربو على مائة الف عضو •

وفى عام ١٩٣٦ ، كان السادات واحدا من اوائل الشبان الذين ينتمون الى الطبقات الدنيا الذين تم قبولهم فى « الكلية الحربية » الارستقراطية فى مصر •

وفى اثناء الحرب العالمية الثانية ، فر بيجين من الاضطهاد النازى لليهود البولنديين ، والذى أسفر عن مقتل ابويه واخواته • وفى مدينة « قلينيوس » الروسية ، حيث حط رحاله ، حاول ان يجمع حوله بقايا زملاءه فى « حركة الشباب » • ولم تكن السلطات الروسية راضية عن نشاطه السياسى • وهكذا ، فبينما كان يلعب الشطرنج ذات يوم ، طرقت الشرطة السرية باب منزله ، وقبضت عليه ، ثم ارسلته الى احد معسكرات العمل •

أما « أنور السادات » ، فقد كان ، حين نشبت الحرب العالميـة الثانية ، ضابطا صغيرا فى سلاح الاشارة بمعسكر الجيش المصرى فى « منقباد » بأسيوط • وكانت أحاديثه مع زملائه من الضباط الشبان تدور دائما حول مناهضة الاحتلال الانجليزى لمصر • وقد انضم السادات ، بعد عودته الى القاهرة الى حلقة تجسس كان يديرها العميل

النازى « ابلر » من احدى العوامات الراسية على شاطىء النيل • وكان السادات يتابع تقدم قوات « روميل » التى كانت تقترب من الحدود المصرية • واشترك فى عدد من العمليات التى كانت تهدف الى اقامة الاتصال برجال « روميل » •

وفى عام ١٩٤٢ ، اكتشفت السلطات البريطانية امره ، فالقت القبض عليه • واودع السجن ، تاركا زوجته الاولى وبناته الثلاث بدون عائل (١) •

وفى نهاية عام ١٩٤٢ ، وصل بيجين الى فلسطين ـ بعد ان اطلق الروس سراحه ـ حيث وجد زوجته والعديد من اصدقائه • وسرعان ما تزعم هناك منظمة « ارجون زفاى ليومى » السرية التى كان هدفها القضاء على الحكم البريطانى فى فلسطين ، واقامة دولة يهودية هناك •

وادى استخدام منظمة « الارجون » لاساليب الارهاب ضد القوات البريطانية ، الى قيام الاخيرة بمطاردة زعيم المنظمة « بيجين » ، الذى اضطر الى التنكر تحت صفات مختلفة • ولم تنجح السلطات البريطانية ، ابدا ، فى إلقاء القبض عليه •

كذلك تزعم السادات مجموعة صغيرة كانت تمارس النشاط الارهابى ضد البريطانيين فى مصر • وقد القى القبض عليه ، بعد فترة ، واودع سجن القاهرة المركزى (٢) •

وقد اشتركت مصر فى الحرب العربية ـ الاسرائيلية فى اللحظة الاخيرة (٣) ، ليس بسبب احساسها بالمسئولية تجاه عرب فلسطين ، وانما لخشيتها من أن يؤدى عدم اشتراكها فى الحرب الى أن يجنى « عبد الله » ملك القدس ثمار النصر وحده (٤) • وقد كان قسم كبير من الطبقة الحاكمة المصرية يعارض فى دخول الحرب (٥) •

وقد غذت الهزيمة المهينة التى لقيتها الجيوش العربية فى هذه الحرب جو القلق والسخط الذى كان يسود دوائر الضباط فى الجيش

المصرى ، والجيوش العربيـة الأخرى أيضا •

وقـد قدم السادات الى المحاكمة بعـد انتهاء حرب عام ١٩٤٨ ، واطلق سراحه بعد أن قضى ٣١ شهرا فى السجن (٦) •

وقد عمل السادات ، كضابط فى سلاح الاشارة المصرى ، فى مدينة «العريش» •ومنذ ذلك الحين،غدت اسرائيل بالنسبة اليه ـ كما كانت بالنسبة للعديد من العرب ـ هدفا لا يتغير • وقد كان كان محو عار هزيمة عام ١٩٤٨ احدى العوامل الرئيسية المحركة للنشاط السياسى فى ذلك الوقت • وقد استمع السادات الى قصص الفساد والرشوة اللذان كانا يشلان حركة القوات المصرية • كمـا تابع ايضـا محاكمـات الضباط الذين اتهموا بشراء أسلحة فاسدة فى مقـابل الرشـاوى والعمولات • وأصيب بالدهشة حين اكتشف مقـدار الاخطـاء التى ارتكبت فى ادارة الحرب • وأخذ ، هو وأصدقاءه ، يعدون للثورة •

برز « بيجين » ، فى دولة اسرائيل الشابة ، كخطيب ملهم • وكان حزبه قـد فاز بـ ١٤ مقعدا فقط من مقاعد الكنيست التى يبلغ عددها ١٢٠ مقعـدا • ورغم ذلك ، فقـد كان يتحـدث فى حماس عن تحقيق الحرب لاقل ممـا كان من المفروض أن تحققه • وقـد أدانه خصومه بالغلو والتعصب ، كمـا أن مظاهرات الاحتجاج التى نظمها فى تـل أبيب والقدس وضمت عشرات الالاف من الاسرائيليين ، قد دفعت به الى الجـانب البعيـد من المنشور الضوئى السياسى • وكـانت أغلبية المواطنين الاسرائيليين ينظرون اليه بوصفه سياسيا لا يمتلك الحس بالمسئولية • كذلك يربط العرب اسمه بالمذبحة التى وقعت لاخوانهم فى « دير ياسين » ، وهى قرية احتلها جنود « الارجون » فى بداية حرب عام ١٩٤٨ (٧) •

وقـد كان « بيجين » ، ايضـا ، ينـادى باحتلال ضفتى نهـر الاردن •

كان السادات فى القاهرة فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حين قامت الثورة • وقد كان عضوا نشيطا فى مجموعة الضباط الاحرار التى كانت تعمل من أجل الاطاحة بالملك فاروق • وقد ساهم السادات فى الثورة ، كان هو الذى قرأ بيانها الأول من اذاعة القاهرة (٨) •

وكانت الاصوات ترتفع ، هنا وهناك ، فى القاهرة تطالب بايجاد وسيلة ما لاقرار السلام مع اسرائيل • وقد كتب الكاتب المصرى سلامة موسى يقول : اعقدوا السلم مع اسرائيل ، وخفضوا الميزانية • قودوا الامة بدلا من أن تكونوا ضحايا لشعارتها »(٩) • ولم تعد القضية الفلسطينية مجرد مشكلة واحدة من مشاكل السياسة الخارجية المصرية العديدة ، وانما أصبحت هى مركز النضال الوطنى • وتم تجنيد كافة وسائل الدعاية ومعاهد التعليم والتنظيمات الاجتماعية من أجل اعطاء هذا النضال عمقا أيديولوجيا ، ولكى يدرك الرأى العام المصرى مدى أهميته •

... ...

وفى اسرائيل ، حلت الهزيمة بالخط المعتدل الذى كان « موسى شاريت » يتبعه ، وأصبح للصقور اليد العليا •

وقد كانت تلك السنوات هى التى صاغت شخصية اسرائيل كبلد واقع تحت الحصار • وقد كان الدافع الاساسى لـ « بن جوريون » هو احباط الخطط العربية لتدمير اسرائيل ، وجعل اسرائيل أعتى قوة عسكرية فى منطقة الشرق الاوسط • وقد كان يستخدم ، فى سبيل تحقيق هذه الاهداف ، كافة الوسائل التى تقع تحت يده • وقد وجد حزبه ، الذى كان يربى شبابه على قيم الاشتراكية الديمقراطية الاوروبية ، انه قد أصبح يرضعهم لبن « العسكرية » • وأسبغت سياسة الحكومة قدرا كبيرا من الشرعية على ما كان ينادى به«مناحيم بيجين » ، والذى كانت الحكومة تنفذ ، فى هدوء ودون اقرار بذلك ، كل ما كان ينادى به • وكان رئيس الاركان « موشيه دايان » يؤمن

بحتمية نشوب القتال بين اسرائيل ومصر • وأخذ يعمل فى ذلك الاتجاه ، مؤيدا ، طيلة الوقت ، من جانب عضو الكنيسيت «بيجين» •

وفى ذلك الوقت ، كان السادات أحد قادة المنادين بأن تكون الوحدة العربية هدفا من الاهداف الرئيسية للسياسة المصرية ، الأمر الذى كان يعنى دخول مصر بشكل مباشر فى الصراع ضد اسرائيل ، بوصفه حجر الاساس فى السياسة القومية •

وهكذا ، فقد كان كل من السادات وبيجين ، فى ذلك الوقت ، من دعاة الحرب •

وفى خريف عام ١٩٥٦ ، نشبت الحرب مرة أخرى ، بين مصر واسرائيل ، التى شنت هجوما على شبه جزيرة سيناء بالتنسيق مع الحملة الانجلو ـ فرنسية العسكرية للسيطرة على قناة السويس ـ التى كانت قد تم تأميمها قبل ذلك بوقت قصير • وكان « بن غوريون » قد استدعى «بيجين» ، عشية الحرب ، الى منزله ، حيث كان طريح الفراش يعانى من حمى شديدة • وحين انتهى بن غوريون من اطلاع غريمه القديم على الخطط العسكرية الخاصة بالحرب المقبلة ، نهض « بيجين » من على مقعده واتجه الى فراش بن غوريون ، وهز يده فى حرارة قائلا :

ـ « أهنئك على قرارك الشجاع ، الذى سوف ينال تأييدنا بغير تحفظ » •

وفى ميدان القتال ، تقابل بعض من تلاقوا ، بعد مرور عشرين عاما ، فى ميدان السلام • فقد كان « دايان » هو مهندس حرب السويس • أما السادات ، فقد كان يقف بجوار عبد الناصر طيلة هذه الساعات العصبية • وكان التهامى ، الكفء ذو الاعصاب الباردة ، هو الذى يجلب الاخبار السيئة من الجبهة للقادة المصريين بوصفه مدير مكتب عبد الناصر (١٠) •

كذلك اشترك « ايزر وايزمان » ، الذى كان يقود احدى القواعد الجوية ، فى هجومين جويين ، شن أحدهما ضد مدمرة مصرية كانت تقصف ميناء حيفا ، وأسرتها وحدات البحرية الاسرائيلية بعد ذلك مباشرة • وبالاضافة الى ذلك ، كان هناك « الجمسى » الذى كان يقود ، فى ذلك الوقت ، أحد الألوية المدرعة فى منطقة قناة السويس •

ولم تتعد خسارة الجانب الاسرائيلى فى حملة سيناء عام ١٩٥٦ ، ١٨٠ قتيلا • أما الثمن الذى دفعه للمصريين فقد كان أعلى من ذلك بكثير ، فقد وصل عدد القتلى من الجنود المصريين عدة آلاف ، كما أسر الاسرائيليون نحو ٥٥٠٠ رجلا من القوات المصرية •

واضطر « بن غوريون » ، فى عام ١٩٥٧ ، أن يعلن أن اسرائيل سوف تنسحب من شبه جزيرة سيناء • فقد أدرك ، وهو السياسى العملى ، انه لا يستطيع أن يعصى أمرا أمريكيا ــ سوفيتيا مشتركا ، الأمر الذى أدى الى انقطاع شهر العسل القصير العمر بين «بن غوريون» و «بيجين» ، الذى أغضبته « انهزامية » بن غوريون ، واتهمه بالتفريط فى ثمار النصر العسكرى • وقام الالاف من أنصار « بيجين » بالتظاهر فى الشوارع المحيطة بمقر الحكومة •

وقد أوضحت حرب عام ١٩٥٦ لقادة اسرائيل انه لن يسمح لها بالحاق الهزيمة ببلد عربى واحد فى ميدان المعركة (١١) وقد تلقت اسرائيل ، بعد الحرب ، من الولايات المتحدة تاكيدات بضمان حرية المرور فى خليج « ايلات » (خليج العقبة) ومضيق « شرم الشيخ » • وهكذا تم فتح باب الطريق المؤدى الى افريقيا والخليج الفارسى (العربى) • واضطرت مصر الى أن توافق على نزع سلاح شبه جزيرة سيناء ، وعلى تمركز قوات تابعة للامم المتحدة على طول الجانب المصرى من الحدود •

وقد وضع انتصار اسرائيل عام ١٩٥٦ نهاية لامال التوصل الى حل وسط لعدد من السنوات على الاقل • وتدعمت الروابط بين مصر

والصراع العربى ـ الاسرائيلى فى أعقاب الحرب ، التى اشتركت اسرائيل فى شنها مع فرنسا وبريطانيا اللذان كانا يعرقلان نضال مصر من أجل التحرر الوطنى ٠

قررت مصر ، بعد انسحاب الجيش الاسرائيلى من سيناء ، أن تلتزم بوقف اطلاق النار ، رغم ما كان يسببه ذلك من حرج شديد للقادة المصريين : وكان عبد الناصر يبرر سياسته تلك بأنه ينتظر الوقت المناسب لتوجيه ضربته ٠ وكان يقارن بين الصهاينة والصليبيين ، ويقول للجماهير العربية « ان الامة العربية لم تنجح فى تحرير فلسطين الا بعد مرور ٨٠ عاما من احتلال القدس بواسطة الصليبيين » ٠ ولكن المصريون كانوا قد وصلوا الى قناعة بأن اسرائيل تمثل خطرا يتهددهم باستمرار ، بالاضافة الى كونها شريكا مقاتلا لـ « القوى الامبريالية الآفلة » ٠

وازدادت مصر قربا من الاتحاد السوفيتى ٠

كانت الحدود بين مصر واسرائيل تمر بفترة من الهدوء ٠ وكانت الحركة الناصرية قد أصبحت تمثل ، بالنسبة للشباب ، دواءا سحريا ناجحا يصلح لكل شىء ٠ وقد كانت الناصرية تضم كافة العناصر الفكرية التى تنظر الى اسرائيل بوصفها العدو الرئيسى للاسلام وللبلاد العربية ولمصر ٠ وكان عبد الناصر يشعل خيال الجماهير بأحلام العظمة التى تحيط بالوحدة العربية ، وبـ « روشتة » التغيير الاجتماعى ٠ وهكذا ، أخذت الجهود تتركز على تجنيد قوى العرب كلها للحرب ضد اسرائيل ٠ وكان الشعار الشعبى السائد فى تلك الفترة هو « سوف نلقى باليهود الى البحر » ٠

وقد اشترك أنور السادات ، بوصفه رئيسا لمجلس الشعب (كان يطلق على المجلس النيابى المصرى فى ذلك الوقت اسم « مجلس الأمة ») ، وعلى أعلى المستويات ، فى الحرب الكلامية ضد اسرائيل ٠ وهو لم يكن يعجب كثيرا بالامة اليهودية

(كـذا !) التى كان يصفها « بالغلظـة والجـلافة حتى تجاه الههـا » وكانت كتبه ومقالاته الصحفية وخطبه العامة تفيض بالعداء لاسرائيل • وقد كتب فى كتابه « القصة الكاملة للوحدة » يقول :

ـ « لم تخلق اسرائيل بمحض الصدفة ، وانما لاجل أن تهـدد وجود الامة العربية ، وتمهد الطريق لتقسيمها وتفرقتها ، وسـلب ثروتها ••• ان اسرائيل هى رأس رمح موجه الى قلب الأمة العربية »

قبل أن يصافح السادات بيجين بعشرين عاما ، كـان رئيس مجلس الأمة المصرى ينظر الى زعيم المعارضة فى « الكنيست » بوصفه يمثل الصهيونية « ذات الوجه السافر » • وقد اتهم السادات بيجين فى أحد كتبه بأنه يطمع فى ان تمتد دولة اسرائيـل من النيـل الى الفرات (١٣) • وقد عبر السادات بوضوح عن رأيه آنذاك فى اسرائيل حين كتب يقول :

ـ « ان اسرائيل تمثل خطر واضحا صريحـا يتهدد كل عربى فى بيته ، وفى ثروته ، وفى أراضيه ، وفى السماء التى تظله » •

وقد كان من الصعب دائما التأكـد من حقيقـة موقف « بيجين » نحو العرب ، رغم وفرة المواد المنشورة المتعلقة بذلك • ولكنه ، كرجل غربى ، كان ، مثل غالبية الاسرائيليين ، لا يلقى بالا لحضـارة الشرق ، ولكنه لم يقل ذلك علانية أبدا • ويكتفى حزب « بيجين ـ حيروت ـ بمجرد التأييد اللفظى لفكرة التعايش السلمى مع العالم العربى • كذلك فان « بيجين » ـ كرجل يدعى الليبرالية ، لا يـزال يزعم أن المواطنين العرب فى اسرائيل يتمتعون بنفس الحقوق التى يتمتع بها باقى المواطنين • ولكنه يرفض ، بشكل قطعى ، فكرة اقـامة دولة فلسطينية بجـانب دولة اسرائيل • كمـا أن أعضـاء حزبه يؤمنـون ، فى مكنون قلوبهم ، بأن دولة اسرائيل لا يجب أن تضم سوى اليهود فقط ، وبعض المتطرفين منهم يعلنون ذلك صراحة •

وبالاضافة الى ذلك ، فانه لم يسمع عن « بيجين » انه زار ، قط ، قرية عربية . وهو يميل الى تجنب اعطاء العرب أهمية خاصة .

وقد أثارت الثورة المصرية آمالا جديدة فى اسرائيل أيضا . وبدا كما لو أن صفحة جديدة سوف تفتح فى العلاقات بين مصر واسرائيل . واقترح « دايفيد بن غوريون » فتح حوار بينه وبين جمال عبد الناصر . ورغم أن « بن غوريون » قد استقال بعد ذلك بمدة وجيزة ، فان عبد الناصر عبر عن أمله الكبير فى خليفته « موسى شاريت » .

وقد لاحظ السادات ، الذى كان يرافق عبد الناصر أحيانا فى جولاته فى مصر ، ان الجماهير تتبع خطب عبد الناصر باهتمام ، ولكنها لا تتحمس الا عندما يبدأ الزعيم المصرى فى الحديث عن اسرائيل . بل ان الجماهير فى مدينة « بنزرت » التونسية البعيدة ، كانت تقاطع الخطاب الذى القاه عبد الناصر هناك بهتافات تقول : « لا تنسى فلسطين يا عبد الناصر » .

وفى عام ١٩٧٠ ، عقب هزيمة حرب الايام الستة ووفاة جمال عبد الناصر ، ورث السادات حكم مصر الذليلة التى كانت تقترب بسرعة من الافلاس الاقتصادى . وكان الاسرائيليون يعاملون مصر بازدراء صريح . وقد وصف أحد كبار المستشرقين الاسرائيليين مصر فى تقرير سرى بأنها « تدمن الحشيش وتسبح فى الأوهام » . وكان معظم المراقبين يتفقون على أن حكم السادات لن يستمر طويلا .

ولكن السادات نجح ، فى غضون بضع سنوات قليلة ، فى تدعيم موقفه كحاكم . وقد أكسبته حرب عام ١٩٧٣ مكانة هائلة . وبدأ السادات ، تدعمه هذه المكانة ، فى تغيير مصادر الثورة المصرية . ومرت مصر بعملية تغيير فى جميع الميادين تقريبا . ورغم أن السادات كان يزعم أنه لا يفعل أكثر من تصحيح التجاوزات ، فان ما كان يفعله فى الواقع ، كان يمثل تراجعا كاملا عن الناصرية .

وكان السادات يشعر بقـوة مركزه فى الداخل عشية رحلته الى القـدس (١٤) ٠

فلم يكن هناك خطر عاجل يهدد نظامه ، وكان المصدر الأسـاسى لقلقه يكمن فى التآكل المستمر لمركز مصر القيادى فى العالم العربى ٠ ذلك أنه رغم ايمان السادات بأن « العرب لا يستطيعون حربا أو سلاما بغير مصر » ، فان الزعماء العرب الآخرون لم تكن لديهم نفس القناعة ٠ وأخـذ يظهر فى خطبه بالتدريج شعور بالاحباط تجـاه البلدان العربية الأخرى ، التى كانت تطـالب مصر بأن تدفع وحـدها ثمن الصراع مع اسرائيل ٠ كمـا أنه قـد أصبح واضحا لديه أن بلاده تتجه نحو أزمة اقتصادية عنيفة لن تؤدى الا الى مضاعفة معاناتها المـالية ٠ ولقـد كان واثقـا ، على أية حال ، انهم سوف يحذون حذوه ان آجلا أو عاجلا ، بعـد أن يدركوا أنهم لا يستطيعون شيئا بدون مصر ٠

كان السادات وبيجين يعدان للقاءهما القـادم بوصفه يمثل اختبارا للنوايـا ٠

فقـد كان السادات يريد أن يعـرف ما اذا كـانت اسرائيـل على استعداد لان تسلم بالحـد الادنى من المطالب المصرية كثمن لتحقيق حلمهـا باقرار السلم مع جيرانها ٠ وقد قال السادات بوضوح :

– « ان اسرائيل لا تستطيع أن تحوز الكعكة وأن تأكلها أيضا ، وعليهـا أن تختـار بين السلام وبين الأرض » ٠

أما « بيجين » فقـد كان يريد أن يعرف ما اذا كـان يسـتطيع الحصول على السلام دون أن يتنازل عن الضفة الغربية ٠

اى أن السادات كـان يريـد السـلام لمصر دون أن يتخـلى عن الفلسطينيين ٠ وكان بيجين يريد العكس ٠

وقد تركت هذه المواقف المتناقضة اثارها الواضحة على مبـادرة السلام كلهـا ٠

ولكن رائحة التفاعل الحلوة كانت ، قبل يومين من رحلة القـدس ، تغرق كل شىء فى بحر من الآمال والمنى ٠

هوامش الفصـــل السابع

(١) بعد القبض على الســادات مع أعضــاء حلقــة التجسس التى أشار اليها المؤلفون ، اكتفت السلطات البريطانية بفصله من الجيش المصرى ، بدلا من تقديمه الى المحاكمة بتهمة العمالة لألمــانيا النازية ، وذلك بعد توسط الفريق عزيز المصرى . (أحمد حمروش، « تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ، مؤسسة الدراسات العربية ، بيروت ») .

... ...

(٢) هناك ملاحظتان على هــذه الفقرة :

الملاحظة الأولى ، هى انه لم يكن يوجد آنذاك سجن مركزى خاص بالقاهرة ، كما لا يوجد مثل هذا السجن فى الوقت الحاضر . وقد كان يوجد بالقاهرة فى الوقت الذى تتحدث عن هــذه الفقرة ثلاثة سجون هى : ســجن مصر ، وســجن الاستئناف ، وسجن الأجانب . ولم يبق من هذه السجون الآن غير سجن الاستئناف . وهناك سجن آخر بجانب ذلك السجن ، هو سجن القلعة ، الذى يتبع ادارة مباحث امن الدولة ، ويكاد أن يكون سجنا خاصــا ، لا يخضــع للوائح الســجون العمومية ، ولا لتفتيش الجهــات القضــائية .

والملاحظة الثانية تتعلق بالنشاط الســياسى للرئيس الراحل انور الســادات فى تلك الفترة . ومن اهم مظاهر هــذا النشاط

اشتراك السادات فى عمليتين من اعمال الارهاب السياسى ، تكشف اهدافهما عن حقيقة القوى التى كان السادات يعمل فى خدمتها .

العملية الأولى من هاتين العمليتين هى محاولة اغتيال الزعيم الوطنى مصطفى النحاس ، الذى كان آنذاك ، وبعد اقالته من الوزارة ، يمثل الركيزة الأساسية فى حركة مقاومة الاحتلال الانجليزى ، والعقبة الكؤود التى كانت تقف فى وجه محاولات السراى لفرض هيمنتها السياسية على البلاد .

ويروى وزير الخارجية الأسبق محمد ابراهيم كامل فى كتابه « السلام الضائع فى أتفاقيات كامب دافيد » (دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، آيار ١٩٨٤) قصة هذه العملية ، فيقول انه كان آنذاك عضوا فى جماعة كونها مجموعة من الشبان حديثى السن كانت تقوم باغتيال جنود جيش الاحتلال الانجليزى وشن الهجمات على معسكراتهم ، وانه فى منتصف عام ١٩٤٥ ، اتصل السادات بجماعتهم مدعيا أنه يمثل جماعة وطنية سرية تتماثل أهدافها مع اهداف جماعتهم ، ومقترحا أن تقوم الجماعتان بتنفيذ عمليات مشتركة . ونجح السادات فى اقناع الجماعة بعدم فعالية عملياتهم ضد قوات الاحتلال ، وبأن «« الطريقة الفعالة لتحقيق اهدافنا هى القضاء على الزعماء المصريين المتعاونين مع الانجليز »» (كامل ، «« السلام الضائع ص ١٢) . واقترح السادات أن تكون أولى عملياتهم هى اغتيال الزعيم الوطنى مصطفى النحاس . وفى سبيل اقناعهم بذلك ، قدم لهم ما يمثل اغراءا لا يمكن مقاومته . فقد كانت الجماعة بسبب ضعف امكانياتها تعانى من نقص ما لديها من اسلحة ومتفجرات ، وهكذا ، كما يقول محمد ابراهيم كامل .. «« سلمنا أنور السادات طردا يحتوى على مسدسين ماركة برتا عيار ٩ ملليمتر وبعض الطلقات وقنبلتين يدويتين من طراز انجليزى . (كامل «« السلام الضائع »» ، ص ١٣) . ولكن المحاولة منيت ، مثلها مثل محاولات أخرى مماثلة ، بالفشل . ويقول محمد ابراهيم كامل : «« .. الا ان حسين توفيق عندما

توجه الى المكان المتفق عليه بعد محاولة الاعتداء ، لم يجد أثرا لأنور السادات أو للسيارة حسبما كان متفقا عليه)) ثم يضيف فى عبارة كاشفة : ((وعدنا جميعا بعد ذلك الى منازلنا ، دون أن يتطرق الشك الى اى منا)) .

وقد كان الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه ((خريف الغضب)) (دار خياط ، بيروت ، ١٩٨٣) أكثر صراحة . فهو يقرر أنه عقب حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، قرر رئيس الديوان الملكى آنذاك ، أحمد حسنين باشا ، الانتقام من كل من الزعيم الوطنى مصطفى النحاس وأمين عثمان ومكرم عبيد ، وانه كلف القائمقام يوسف رشاد ، طبيب الملك الخاص ، بتشكيل تنظيم سرى خاص باسم ((الحرس الحديدى)) يضم اليه عدد من الضباط الشبان المستعدين للفداء دفاعا عن الملك فاروق ، وذلك للقيام بسلسلة من عمليات الاغتيال الموجهة الى أعداء الملك المذكور . ويلمح هيكل الى أن السادات قد انضم الى هذا التنظيم الملكى المتطرف (والذى ربما كان هو التنظيم الذى ادعى السادات لمحمد ابراهيم كامل انه ينتمى أليه) بحكم العلاقة التى كانت تربطه بالمرحوم الدكتور يوسف رشاد أثناء خدمتهما معا فى الصحراء الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكذلك عن طريق صديقه قائد الجناح السابق حسن عزت الذى كان عضوا فى هذا التنظيم . ويقول هيكل أيضا انه عقب زيارة قام بها زائر غامض الى معتقل « ماقوسة » بمحافظة المنيا ، والذى كان السادات نزيلا به عقب كشف النقاب عن حلقة التجسس الألمانية التى كان السادات يتعاون معها ، استطاع السادات الهروب من المعتقل حيث ذهب الى قصر عابدين لكى يسجل اسمه فى دفتر التشريفات الملكية .

ويفيد الأستاذ هيكل أن السادات بعد ذلك قفل راجعا الى المعتقل ، لكى يهرب منه مرة أخرى بعد اقالة حكومة الوفد عام ١٩٤٤ ، وذلك من أجل تدبير المحاولة الأولى الفاشلة لاغتيال الزعيم الوطنى مصطفى النحاس ، والتى أشرنا اليها فى السطور

السابقة . ثم يمضي الأستاذ هيكل ، مستشهدا بتقرير عثر عليه بعد الثورة عن نشاط تنظيم الحرس الحديدى ، كي يذكر انه فى ابريل عام ١٩٤٨ ، انجح هذا التنظيم السرى الملكى فى تهريب السادات من السجن الذى كان متحفظا عليه فيه لاتهامه فى اغتيال امين عثمان ، وذلك كي يشترك فى محاولة اخرى لاغتيال النحاس بالاشتراك مع ضابط آخر يدعى عبد الرؤوف نور الدين ، وانهما استخدما سيارة تابعة للسراى كان يقودها ضابط آخر يدعى حسن فهمى عبد المجيد . ويذكر هيكل كذلك أن التقارير السرية ، المشار اليها فيما سبق ، تفيد أن السادات وعبد الرؤوف نور الدين قد اشتركا مع اليوزباشى مصطفى كمال صدقى فى المحاولة الثالثة الفاشلة التى دبرها تنظيم الملك فاروق السرى لاغتيال مصطفى النحاس ، والتى وقعت بعد مرور شهر على العملية الأخيرة ، عن طريق تفجير سيارة محملة بالديناميت أمام منزل الزعيم الوطنى فى جاردن سيتى . (هيكل ، «خريف الغضب»، ص ص ٥٢ ــ ٥٧) .

هذا عن العملية الأولى ، اما العملية الثانية فهى اغتيال امين عثمان . وقد كان امين عثمان من السياسيين المصريين الذين كانوا يدينون بثقلهم السياسى لصلاتهم الوثيقة بسلطات الاحتلال الانجليزى . وربما كان يلعب ، بحكم موقعه هذا ، دور همزة الوصل بين حزب الوفد وبين دار المندوب السامى البريطانى . وقد كان لدوره هذا وزنا كبيرا فى حادثة ٤ فبراير ، التى اجبر فيها الانجليز الملك فاروق على تكليف الوفد بتشكيل الحكومة ، وهو الأمر الذى اثار حفيظة الملك عليه (كما اشرنا من قبل نقلا عن « خريف الغضب ») . كذلك فقد ادرك اعداء حزب الوفد ــ اى السراى واحزاب الأقلية ــ ان ازالة امين عثمان باشا من المسرح السياسى سوف يكون له أثر كبير فى تقليم اظافر حزب الوفد ، والحد من نفوذه ، عن طريق قطع همزة الوصل بينه وبين الانجليز . وبالاضافة الى ذلك ، فان وزير الداخلية الأسبق ،

مرتضى المراغى باشا يقـول فى مذكراته المنشورة فى بيروت ، ان تدبير عملية اغتيال أمين عثمان باشا قـد تم فى شقة السيدة ناهد رشاد ، زوجـة المرحوم الدكتور يوسف رشاد ، المطلة على النيل .

وقد كان انضمام الرئيس السابق أنور السادات لتنظيم الحرس الحديدى ومساهمته النشطة فى عملياته هو السبب فى اعادته الى الخـدمة بالقوات المسلحة بعد فصله منها لاتهـامه بالتجسس لحساب المـانيا النازية . وقد رد السـادات ما اسبغه عليـه المرحـوم يوسف رشاد من رعاية وما أغدقه عليـه من أمـوال ساعدته فى اتمام زواجه من السيدة جيهان ، والانفـاق على أولاده من زوجته الأولى التى انفصل عنهـا بعد ذلك . فقد نجح السادات بعد ثورة ٢٣ يوليـو فى تعيين المرحـوم الدكتور يوسـف رشاد مديرا لاحدى شركات الصيد التابعة للدولة فى مدينة الغردقة بعد أن فصلته نقـابة الأطباء من عضويتها لصلاته بالحرس الحديدى .

... ...

(٣) من الواضح أن ما يعنيه المؤلفون بقولهم هذا هـو مغالطة القارىء الأوروبى ـــ الأمريكى ، الذى كتب الكتاب له فى الأصل ، وزرع الانطباعات الخاطئة فى نفسه . وما يريده المؤلفون هو الايحاء لهذا القارىء بأن القضية الفلسطينية لم تكن أبدا تمثل أمرا هاما بالنسبة الى مصر . وهـو زعم يدحضه التاريخ . فقد نظـرت مصر الى فلسطين وسوريا ، طوال تاريخها الطـويل ، باعتبارهما يمثلان حجر الزاوية فى استراتيجية الدفاع عن مصر ذاتها . ومن المعروف أن القوات المسلحة المصرية دخلت الأراضى الفلسطينية فى صبيحة يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ مع بقية القـوات المسلحة للدولة العربيـة الأخرى ، وفى نفس اليوم الذى أعلن فيه قيام الدولة الصهيونية .

... ...

(٤) لم يكن لقب « ملك القـدس » يطلـق أبدا على الملك عبد الله ، الذى كان لقبه الرسمى هـو ملك شرق الأردن . واذا كان المؤلفون يقصدون الفكاهة ، فان ذلك يكون وسيلة غير مأمونة على الاطلاق للوصول الى هدفهم .

... ...

(٥) اطلاق الفتاوى الخاطئة بهـذه الثقة كان دائما سـمه ملحوظة فى معظم الكتابات الغربية عن الشرق . والمؤلفون لم يعنو بذكر المصدر الذى استقوا منه حكمهم هذا الذى يفتقر الى الصحة. فوفقا لمحضر الجلسة السرية التى عقدها مجلس الشيوخ المصرى لمناقشة دخـول مصر الحرب ضد اسرائيل ـ والذى نشرته مجلة ((الطليعة)) القاهرية فى عددها الصـادر فى شهر فبراير ١٩٧٠ ـ فان عضوا واحـدا فقط هو المرحوم اسماعيل صدقى باشا ـ هو الذى عارض دخـول مصر هذه الحرب . ومما هو جدير بالذكر ، لدلالته على ((فراسة)) وبعد نظر ((نمر)) السـياسة المصريـة صدقى باشا انه برر معارضته لدخـول مصر الحرب بدعوى أن اسرائيل لا تمثل خطرا ما على مصر ، وانه من الأمور المفـرقة فى الخيـال ان يتصور المرء أن تقـوم اسرائيل باحتـلال شـبه جزيرة سـيناء .

... ...

(٦) هذا غير صحيح .

... ...

(٧) مرة أخرى ، فان هذه الفقرة تقـدم مثلا واضـحا لعملية غسيل المخ المكثفة التى يتعرض لهـا القـارىء الغـربى من جانب كتاب الصهيونية . فمؤلفوا الـكتاب يحاولون القـاء مسئولية ربط اسم بيجين بمذبحـة دير ياسين على العـرب ، رغم أن بيجين نفسه يعترف فى كتابه ((التمرد)) بتدبير المذبحة . كذلك فانه من غير المحتمل ان يجهل المؤلفون تاريخ وقوع هـذه المذبحة ـ التى قام بهـا بيجين وعصابته فى اليـوم الأول لحـرب عام ١٩٤٨ ، اى فى ١٥ مايو ، ويستعملون عبـارة ((بداية)) الغامضة ، الا اذا كان هدفهم من ذلك هو ايهـام القـارىء ان مذبحـة دير ياسين قد وقعت فى سياق الحرب ، وانها بالتـالى يمكن ادراجها فى قائمة ((الحوادث المؤسفة)) ، التى لا تخلو اى حرب أخرى منها ، وان ضحاياها كانوا من الجنود المحـاربين ،

وليسوا من الفلاحين العزل من السلاح ، الذين نبحهم وحوش الاربون الفاشيين ، المدججين بالسلاح .

... ...

(٨) الواقع ان مساهمة السادات في الثورة قد اقتصرت على مجرد « قراءة » هذا البيان . وقد اعترف هو نفسه بذلك ، في وضوح ، في الحديث الذى أجراه معه التليفزيون المصرى بمناسبة عيد ميلاده في شهر ديسمبر ١٩٧٦ . فقد روى السادات ، في هذا الحديث ، كيف انه وصل الى مقر قيادة الجيش بكوبرى القبة في نحو الساعة الثانية والنصف من صباح يوم ٢٣ يوليو ، بعد أن كان المرحوم المقدم يوسف صديق قد تمكن من احتلالها ، وكيف أنه كلف بادارة « سويتش » التليفون - بوصفه ضابطا في سلاح الاشارة (فتامل) — الذى يقع في بدرون مبنى القيادة ، وكيف أنه نتيجة لذلك قد توسل الى زملاءه أن يكلفوه بعمل شيء ذى أهمية (أو كما قال : « ادونى حاجة أعملها ») ، فطلبوا منه عندئذ قراءة بيان الثورة الأول في الاذاعة ، وهو البيان الذى لم يشارك — باعترافه — حتى في صياغته .

ويقودنا ذلك الى الحديث عن تحركات السادات الغامضة في ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . فقد روى ، رحمه الله ، في الحديث التليفزيونى المشار اليه ، كيف انه قدم الى القاهرة من العريش بناء على استدعاء عاجل من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر متوقعا ان يجده في انتظاره في محطة السكك الحديدية الرئيسية بالقاهرة . ولكن عبد الناصر — الذى كان معروفا بدقة مواعيده ، فما بالك في ليلة كهذه — لم يكن هناك . فاتجه السادات عندئذ الى منزله بحى المنيل ، حيث استبدل ملابسه العسكرية بملابس مدنية ، واصطحب زوجته الى احدى دور السينما الصيفية بحى المنيل . ويقول السادات انه حين عاد الى منزله ، بعد انتهاء العرض السينمائى ، نحو منتصف الليل ، اخبره البواب ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد مر عليه وترك له بطاقة ،

فهم — رحمه الله — منها أن موعد الثورة هو نفس الليلة . فسارع، مرة أخرى ، باستبدال ملابسه المدنية بزيه العسكرى الرسمى ، وخرج بعد أن أنذرته السيدة جيهان — وقد استنتجت أنه سوف يشترك فى عمل خطير — بأنها لن تسأل عنه اذا أدى اشتراكه فى هذا العمل الى القبض عليه (والغريب ان السيدة جيهان نفسها كانت قد صرحت لمجلة ((حواء)) القاهرية فى مارس ١٩٧٤ ، انها قبلت الزواج من السادات بسبب اعجابها بنضاله الوطنى) .

وتتفق رواية المغفور له السادات ، فى خطوطها العامة ، مع روايات عدد كبير من الذين لعبوا أدوارا هامة فى هذه الليلة ، اللهم الا فى تحفظ واحد . ذلك انه من الثابت أن المرحوم توجه ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى نقطة شرطة النيل حيث تقدم بشكوى — تم تحريرها فى سجلات الشرطة الرسمية — ضد عدد من الشبان زعم أنهم تعرضوا لزوجته بشكل غير لائق فى دار السينما . والسؤال هنا هو : هل يمكن أن تكون لهذه الشكوى المسجلة فائدة ما فى حالة فشل محاولة الانقلاب ، خاصة وانها تثبت تواجد السادات فى دار السينما وقت التحرك لتنفيذه ؟ . كما تجدر الاشارة ايضا الى أنه يقال أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ألف ، حين كان السادات يعارض فى أمر من الأمور ، أن يشير عليه بتقديم شكوى رسمية الى قسم شرطة .

... ...

(٩) يصعب التأكد من حقيقة صدور مثل هذا القول عن المرحوم سلامة موسى ، وخاصة أن المؤلفين لم يذكروا مصدر هذه الفقرة . ويلاحظ ، على اية حال ، أن الجملة تبدو وكأنها قد اقتطعت عنوة مما سبقها ومما لحقها ، وأنها تبدو خالية تقريبا من أى معنى ، وهو أمر لم يعهد فى المرحوم سلامة موسى ، الذى كان يطالب دوما بتجنب الانشائيات البلاغية الخاوية ، وتوخى الاقتصاد ووضوح التعبير . كذلك فانه من الغريب ايضا أن يصدر عن سلامة موسى قول تفوح منه رائحة احتقار الشعب والتقليل

من أهمية رأيه ، كما توحى عبارة ((بدلا من أن تكونوا ضحايا لشعاراتها)) ، وهو الكاتب الذى لم يكف ابدا عن الدفاع عن الديمقوقراطية والدعوة الى احترام مشيئة الجماهير .

واخيرا ، فان الأمر الأكثر غرابة هو الا يقع اختيار المؤلفون الا على الكاتب « القبطى » سلامة موسى كى يضعوا هذا الكلام على لسانه ، وقد كان امامهم ، على سبيل المثال رجل يتمتع بأهمية سياسية كبيرة مثل اسماعيل صدقى ينقلون عنه ما شاؤوا ، دون أن يتحملوا مظنة الكذب . ألا يدعو ذلك الى الظن بان نقل هذه العبارة ، التى يصعب تصديق صدورها عن قلم المرحوم سلامة موسى ، يخفى وراءه رغبة نسبقة فى الايحاء الكاتب بأن المواطنين الأقباط كانوا يعارضون دخول مصر الحرب ضد اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، وبأن الصراع العربى — الاسرائيلى هو ، فى جوهره صراع دينى بين المسلمين واليهود ، ولا دخل فيه للمسيحيين ؟ .

... ...

(١٠) لم يكن السيد/حسن التهامى يشغل فى اى وقت من الأوقات منصب مدير مكتب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

... ...

(١١) وردت هذه العبارة هكذا فى الأصل . ومن الصعب معرفة المقصود منها .

... ...

(١٢) ليس من الصعب تبين محاولة مؤلفى الكتاب أن ينسبوا ، بشكل غير مباشر ، شعار اسرائيل الكبرى التى تمتد من النيل الى الفرات الى مناحيم بيجين وحده ، متجاهلين حقيقة ان هذا الشعار معلق فى مكان بارز بمبنى الكنيست الاسرائيلى ، بوصفه يمثل احد الأهداف القومية الأساسية لدولة اسرائيل .

٨

نطلب الإذن بالهبوط

حتى صباح يوم الجمعة ١٨ نوفمبر ١٩٧٧ ، أى قبل ٣٦ ساعة من الموعد المحدد لوصول السادات ، كان عدد كبير من المواطنين الاسرائيليين لا يصدقون بعد أن الرئيس المصرى سوف يقوم فعلا بزيارة بلادهم (وكذلك أغلبية المواطنين المصريين) • فقد كانت الاخطار الكامنة فى الزيارة ، وخاصة فى حالة فشلها ، تجعل الكثيرين يعتقدون أن السادات لن يغامر بالقيام بها •

... ...

وكان الجنرال « جازيت » ، مدير المخابرات الاسرائيلية (المعروفة باسم « الموساد ») والذى كان يتزعم المتشككين فى الزيارة ، يحاول أن يتصور ماذا سوف يحدث لو ظل الجانبان على عداوتهما السابقة ولم يبرما معاهدة سلام بعد الزيارة • وكان « جازيت » ، ومعه آخرون ، يتحدثون عن الاخطار التى قد تهدد دولة اسرائيل • وكانوا يزعمون أن زيارة السادات قد تبذر بذور الفرقة بين افراد الشعب الاسرائيلى ، وأن الامة قد تنقسم حول عدالة وشرف الموقف الاسرائيلى بصدد الصراع مع العرب •

وقد كانت وجهة النظر الاسرائيلية المقبولة والمتفق عليها من الجميع تقريبا ، تفترض ان تجنب العرب للمفاوضات المباشرة مع اسرائيل هو أقوى دليل على عدم رغبتهم فى السلام ، وان كل ما يريدونه ، فى الواقع ، هو انسحاب اسرائيلى تعقبه ترتيبات معينة لا تصل الى حد ابرام السلام • وقد هز اعلان السادات عن زيارته للقدس هذا المفهوم • وزيادة على ذلك ، فقد كان تحرك السادات يوحى بتطبيع العلاقات حتى قبل بدء المفاوضات • وهكذا ، وبأكثر الوسائل ادهاشا ، تمت الاستجابة لمطالبة اسرائيل ، والتى امتدت زمنا طويلا ، باجراء مفاوضات مباشرة وبلا وسطاء بين العرب واسرائيل •

... ...

وفى الساعة التاسعة من صباح نفس اليوم (الجمعة ١٨ نوفمبر ١٩٧٧) هبطت طائرة مصرية من طراز « بوينج ٧٣٧ » فى مطار « بن غوريون » فى « اللد » • وقبل أن يغادر المواطنون الاسرائيليون منازلهم فى صباح ذلك اليوم لمباشرة أعمالهم ، اداروا أجهزة التليفزيون كي يشهدوا المعجوزة بأعينهم : أول طائرة مصرية تهبط ، بتصريح رسمى ، فى مطار اسرائيلى • والتليفزيون الاسرائيلى لا يقدم ، عادة ، برامج صباحية ، ولكن أهمية الحدث التاريخية فرضت هذا الاستثناء •

وراقب ملايين الناس فى اسرائيل ، وفى جميع انحاء العالم ايضا ، الطائرة التي تحمل بعض اعضاء الوفد المصرى وهي تهبط فى المطار الاسرائيلى •

وصفق المشاهدون فى حماسة عندما توقفت الطائرة البيضاء ذات الشرائط الصفراء والبرتقالية فى نهاية الممر • وتجمد العاملون فى المطار فى اماكنهم وهم يحدقون فى العلم المصرى الذى كان يرفرف على ذيل الطائرة « البوينج ٧٣٧ » وتركزت كل العيون على باب الطائرة :

وبعد فترة ، اخرج مضيف الطائرة المصرى رأسه ، وحدق بدوره فى مبنى المطار ، ثم ادخل رأسه ثانية • ثم خرج أول شخص من الطائرة ، بعد تثبيت السلم ، وكان « حسن احمد كامل » ، مدير مكتب رئيس الجمهورية المصرى • ووقف برهة بلا حراك ، بينما عيناه تحاولان التعود على الضوء الساطع ، وابتسامة مرسومة على شفتيه فى محاولة لاخفاء اضطرابه • وهبط السلم فى بطء ، وعندما وصل الى نهايته ، توقف حائرا مرة اخرى ، وهو يحاول أن يحل مشكلة أى يد يصافحها أولا • واقترب منه شخصان هما : الدكتور « الياهوبن اليسار » ، المدير العام لمكتب رئيس الوزراء ، و « افرايم ايفرون » مدير عام وزارة الخارجية • وحل « بن اليسار » المشكلة التى كانت تواجه « حسن كامل » ، ومد اليه يده أولا •

... ...

كان الاضطراب والحيرة يحيطان بكل شيء • وقد ظل الحال هكذا طوال للثمانى والاربعون ساعة الماضية ، منذ أن تسربت الانباء بموعد الزيارة • ولم تكن قد اتخذت اية استعدادات • أى انه كان يجب البدء من الصفر •

وفى اجتماع عاجل عقد فى مكتب « بيجين » ، تذكر أحدهم ان اروع استقبال اقيم فى اسرائيل كان ذلك الذى لقيه « ريتشارد نيكسون » عندما قام بزيارة البلاد فى اوائل السبعينات •

وتقرر نفض التراب عن ملف زيارة « نيكسون » القديم •

... ...

كانت أصعب المشاكل هى مشكلة الامن • فقد كان هناك الكثيرين الذين يودون اغتيال السادات ، كما أن جانبا من المليون عربى الذين يقطنون الاراضى المحتلة كانوا ينظرون الى زيارة الرئيس المصرى باعتبارها خيانة • وتقرر احاطة السادات ومرافقيه

بحزام أمنى يفوق فى احكامه كل اجراءات الامن التى شاهدتها اسرائيل من قبل • وقد وضعت الدبابات فى وسط الآلاف من جنود الشرطة والجيش ، الذين انضم اليهم المئات من رجال اجهزة الامن المختلفة • وتمركزت اعداد كبيرة من الجنود على طول الطريق من المطار الى المدينة ، التى احتشدت فيها ايضا اعداد كبيرة من الجنود • وبذلت جهود هائلة من أجل سد أى ثغرة ممكنة فى هذه الاحتياطات الامنية • فقد ظلت طائرات الهليوكبتر - حتى قبل مغادرة الرئيس المصرى لبلاده - ساعات طويلة وهى تحوم على ارتفاع منخفض فوق صحراء « جوديا » ومنطقة القدس ، من اجل اكتشاف اية محاولة لاقامة منصات اطلاق صواريخ الكاتيوشا • وطوال ساعات الليل ، كان رجال اجهزة الامن المختلفة يدقون ابواب منازل معينة فى الاراضى المحتلة ، ويقتادون اصحابها من الزعماء العرب المعروفين ، لوضعهم تحت التحفظ ، وذلك للحيلولة دون قيام مظاهرات أو أعمال شغب أو تخريب • وقد أبلغ العرب المعتقلين بأنه سوف يتم اطلاق سراحهم فور انتهاء زيارة الرئيس المصرى (١) •

كان المشرفون على الفرقة الموسيقية التابعة لجيش الدفاع الاسرائيلى يتصلون تليفونيا بباريس ولندن ونيقوسيا وأثينا ، فى محاولة للحصول على النوتة الموسيقية الخاصة بالنشيد القومى المصرى • وأخيرا ، قام أحدهم بتسجيل النشيد من الاذاعة ،واعتمدت الفرقة على هذا التسجيل فى القيام بأولى « البروفات » على النشيد • وكانت الاعلام المصرية تنتزع انتزاعا من ماكينات احدى ورش الحياكة فى القدس ، كى يتم تعليقها فورا فى أنحاء المدينة •

وكان التوتر الشديد يرتسم على وجوه مجموعة رجال الامن الذين قدموا فى الطائرة المصرية • ولما كانت التعليمات الصادرة اليهم تقضى بعدم التحدث مع مراسلى الصحف ، فانهم لم يشاركوا فى الجو الملىء بالحيوية والترقب الذى كان يسود مبنى المطار • ورغم التصفيق

الحار الذى صاحبهم حتى مطعم المطار ، فان ابتسامة واحدة لم ترتسم على وجوههم •

وتساءل مدير ادارة المراسم المصرى عن الامكنة التى سوف يتعين على الرئيس المصرى القيام بزيارتها فى اسرائيل ، وفقا للوائح « الاتيكيت » التى تحكم زيارات رؤساء الدول •

وأجابه « بن اليسار » على الفور :

- « يادفا - شيم » •

وسأله الموظف المصرى :

- « وما هذا ؟ » •

- أنه أكبر نصب تذكارى أقامته اسرائيل تخليدا لضحايا المذبحة التى أقامها النازى أثناء الحرب العالمية الثانية » •

ويضم هذا النصب التذكارى ، الذى أقيم على قمة تل يقع فى ضواحى مدينة « القدس » ، الوثائق والصور الفوتوغرافية التى تسجل قصة قيام النازى بقتل ستة ملايين يهودى أثناء سنوات الحرب • ومن التقاليد الواجبة الاتباع، أن يقوم رؤساء الدول الاجنبية الذين يزورون اسرائيل بقضاء بعض الوقت فى مبنى « يادفا - شيم »•

وكان « بيجين » ، أكثر من أى رئيس وزراء آخر ، يضفى أهمية كبيرة على زيارة هذا النصب التذكارى •

ووافق مدير مكتب الرئيس المصرى على الفور • وأصيب « بن اليسار » بالدهشة من السرعة التى تمت بها الموافقة •

وأضاف « بن اليسار » أنه من المعتاد أيضا أن يقوم رؤساء الدول الزائرون بوضع اكليل من الزهور أمام شعلة النار الابدية التى تحترق فى ميدان « الكنيسبت » أمام نصب الجندى الاسرائيلى المجهول •

واقترح أن يقوم السادات بذلك أيضا ·

ولم تكن هنـاك مشكلة فى ذلك أيضا ·

كذلك كان « بن اليسار » يريد أن يعرف الوقت الذى ينوى الرئيس المصرى أن يقضيه فى اسرائيل · ولكن كان عليه أن يفتح هذا الموضوع فى لبـاقة بحيث لا يثير استياء ضيوفه ، فقـال :

ــ « اننا نرحب بكم ضيوفا طوال فترة بقـاءكم بيننا ، ولكننا نود أن نعرف مقـدار الوقت الذى سوف تستغرقه الزيارة ، وذلك حتى يمكننـا اتخـاذ الاجراءات الضرورية » ·

ورد عليه « حسن كامل » :

ــ « سوف نبقى فى اسرائيل حتى بعـد ظهر يوم الاثنين القادم · ولكننا نود اتخـاذ الترتيبات بحيث تهبط طائرتنا فى القـاهرة قبل حلول الظـلام ·· »

فقـد كان المصريون يريدون أن تهبط طائرة السادات فى ضـوء النهـار ، لكى يسهل ذلك تنظيم استقبال شعبى للرئيس المصرى لدى عودته من اسرائيل ·

... ...

وفى وقت متأخر من بعـد ظهر اليوم نفسه ، عاد الوفد المصرى الى بلاده ، تاركا رجال الأمن المصرى فى اسرائيل · وقـد تمت كـذلك استعارة سيارة « ليموزين » مصفحة من السفارة الامريكية ، وزودت مستشفى « الهاداشاه » بالقـدس بكميـات احتياطية من الدماء التى تماثل فصيلتها فصيلة دم السادات ومرافقوه ·

وكان المصريون قـد أصروا على أن يتم نقل الزيارة بأكملها على الهواء الى مصر ، الامر الذى جعـل المسؤولين الاسرائيليين يدركـون أن السادات قد أعـد العـدة كى تصبح زيارته لاسرائيل برنامجـا

تليفزيونيا مثيراً • وكان التليفزيون المصرى قد عرض على شاشته وصول أول طائرة مصرية الى اسرائيل ، كى يرى ملايين المشاهدين المصريين فى القاهرة والمدن المصرية الاخرى هذا الحدث التاريخى •

... ...

ظل كل من المصريين والاسرائيليين حريصا ، لعدة أيام على تجنب القيام بأية نشاطات تجسس خاصة بالقرب من الحدود • كما أوقفت رحلات التصوير الفوتوغرافى الجوية أيضا • وأصدرت قيادة الجيش الاسرائيلى ووزارة الحربية المصرية التعليمات بعدم القيام بأى عمل قد يفسره الجانب الآخر بأنه عمل عدائى •

ومع ذلك ، فانه فى مساء ذلك اليوم ، اندفع نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع بالنيابة « ايجال يادين » ، داخلا الى مكتب رئيس الوزراء ، واستدعى سكرتير رئيس الوزراء للشئون العسكرية « افرايم بوران » وسكرتير مجلس الوزراء « آرييه ناعور » الى غرفة خاصة ، وقال لهما فى توتر :

ـ « لقد أتيت توا من اجتماع مع رئيس الاركان ••• لقد أعلنت حالة الطوارىء فى الجيش المصرى ! »

وساد الغرفة صمت متوتر ، بينما مضى « يادين » ، الذى كان عضوا فى اللجنة التى شكلت للتحقيق فى الاخطاء والتجاوزات التى ارتكبتها قيادة الجيش فى ادارتها لحرب الغفران ، والذى كان يعانى ـ مثل العديد من المواطنين الاسرائيليين ـ من الصدمة النفسية التى خلفتها هذه الحرب ـ مضى يقول :

ـ « ربما كان الأمر كله مجرد خدعة ! »

واقترح « يادين » استدعاء عدد كبير من قوات الاحتياط فورا • وأبلغه « بوران » و « ناعور » أن ذلك يستدعى ابلاغ كل من رئيس

الوزراء « بيجين » ووزير الدفاع « ايزر وايزمان » • واستخدم«بوران» خطا تليفونيا مباشرا للاتصال بالرجلين •

ورفض « بيجين » ، وبشكل قاطع ، استدعاء قوات من الاحتياط • فقد كان يشعر أن انبـاء استدعاء قوات الاحتياط سوف تتسرب الى أجهزة الاعـلام ، الأمر الذى سوف يثير ضجة كبرى ، بل وقد يؤدى الى الغـاء زيارة السادات نفسها •

أما « وايزمان » ، الذى كان لا يزال طريح الفراش عقب حادث سيارته ، فقد صرخ فى سماعة التليفون غاضبا :

ـ « سوف أعود الى وظيفتى كوزير للدفاع فورا ، ولن أسمح لهذا الحمار الاصلع أن يستدعى قوات الاحتياط كلها » •

والحقيقة أن الجيش المصرى كان قـد وضع فعلا فى حالة طوارىء ، ولكن ذلك كان بسبب اعلان حالة الطوارىء فى الجيش الاسرائيلى طوال فترة زيارة الرئيس المصرى لاسرائيل ، وهى خطوة اتخذتها قيادة « قوة الدفاع الاسرائيلية » (كما يطلـق على الجيش الاسرائيلى) تحسبا من وقوع مفاجآت من جانب مصر أو الدول العربية الاخرى أو المنظمات الفلسطينية • وكان وزيـر الحـربية المصرى ، اللواء « الجمسى » قد أصدر التعليمات الى قواته الامامية ، عقب ابلاغـه بتحركات القوات الاسرائيلية ، باعلان حالة الاستعداد •

وقد كان سوء الفهم المتبادل هذا مثالا نموذجيا يصـور مـدى التهـاب برميـل البارود الذى تعيش منطقـة الشرق الأوسط فوقه •

... ...

كان الأمر يبدو وكأن السـادات ، الـذى كان يقيـم فى مدينـة الاسماعيلية على شاطىء قناة السويس فى ذلك الوقت ، قـد وصل الى طريق مسدود • وكـانت استقالات كبار معاونيه تمثل ضربـة

عنيفة موجهــة اليه • وكان يعلم انه لن يستطيع ترك هذه المناصب شاغرة ولو لبضع ساعات قليلــة ، فقــام فــورا بتعيين الدكتــور « بطرس غالي » وزيرا للخــارجية بالنيابة • وكان على « بطــرس غالي » أن يعــد نفسه ، فى بحــر عدة ساعات قليلة ، كي ينضم الى الحاشية التى سوف ترافق السادات فى رحلته التاريخية الى القدس• وقــد كان « بطرس غالي » جاهزا فعلا ، وحقق الآمال التى عقــدت عليه •

وكان للرجل الذى أضاف بعــدا ايديولوجيا الى مبادرة السادات ، عالمــا أكاديميــا طويل القامة نحيلها ، أكتافه محدبة قليلا ، ويرتدى نظــارات سميكة • وهو ، رغم أنه كان من الشخصيات المرموقــة فى دوائر المثقفين المصريين(٢) ، بلا خبرة على الاطلاق فيما يتعلق بأمور الادارة الحكومية • وقــد كان « بطرس غالي » فى الواقع يبدو غريبــا وسط حاشية الساداتـ المباشرة ، التى كانت تتسم بادعاءات الفخامة والمهــابة • ولكن دوره ، فى الحقيقة ، كان أن يضيف قدرا من طلاء الاصــالة والذوق السليم الى أسلوب السادات الغليظ •

وكان « بطرس غالى » هو أول مصرى ــ بل يكــاد يكون المصرى الوحيــد ــ يناقش مفهوم السلام والاتفــاق مع اسرائيل ، لا بوصفه مجرد شعار دبلوماسى ، بل كامكانية عملية • وكان ، بوصفه رئيسا لتحرير احــدى المجلات الفصلية ذات النفــوذ (مجــلة « السياســية الدولية » التى تصدر عن مؤسسة الأهرام) ، قــد بــدأ يقوم بعملية اعادة تقييم لفحوى وأهداف استراتيجية السلام المصرية ، بعــد حرب اكتوبر مباشرة • وقــد استخدم ، فى البداية ولبعض الوقت فقط ، غطــاءا شفافا يداري بــه أهدافه ، وهو التظاهر بأنه لا يفعل شيئا أكثر من مجرد القيــام بتدريبات ذهنية للتنبؤ بالمستقبل • ولكنــه سرعان ما وصل ، بالتدريج ، الى مناقشة ما كان يسميه بالمواجهــة فى مرحلة السلام ، والتى تتميز بالتعايش السلمى المسلح • وقــد

اقترح التوصل الى تسوية تضع حدا للصراع العسكرى الايجابى ، ولكنها لا تنهى سباق التسلح ، وذلك عن طريق توجيه بؤرة الصراع الى الميادين الثقافية والاقتصادية والسياسية •

وقد كتب يقول آنذاك : ولن يكون الهدف بالضرورة هو تصفية دولة اسرائيل ، وانما قد يكون صراعا من أجل انقاذ أرواح سكانها ، وجذب اليهود منهم بعيدا عن الصهيونية ، وصهرهم فى بوتقة القومية العربية » •

... ...

وكانت الحياة قد زودت « بطرس غالى » بالمؤهلات اللازمة كى يلعب دوره فى الصراع العربى ـ الاسرائيلى • فهو ينتمى الى أسرة قبطية ارستقراطية ، احتلت مكانا مركزيا فى ميدان السياسة المصرية لمدة قرن من الزمان • وفى عام ١٩١٩ ، اغتيل جده ، الذى كان رئيسا للوزراء آنذاك ، بواسطة المسلمين المتعصبين ، وذلك بسبب علاقاته الوثيقة بسلطات الاحتلال البريطانى (٣) •

وكان المسلمون دائما يشكون فى مشاعر الاقباط الفاترة تجاه القومية العربية ، وفى تعاطفهم مع الغرب ، وفى انحيازهم الى اسرائيل فيما بعد • كذلك فانه ليس من الصعب تبين مظاهر التفرقة والعداء تجاه الاقباط فى مصر اليوم • بل انه حتى السادات لم يقم بالغاء قوانين التفرقة ضد الاقباط (٤) •

وكان « بطرس غالى » متزوجا ، منذ فترة طويلة ، من سيدة يهودية ، وهو أمر غير عادى فى مصر • وكان والد زوجته السيدة « لياه نادلر » ، قد فر من رومانيا بسبب اضطهاد اليهود هناك ، واستقر فى مصر ، حيث اقام مصنعا كبيرا للحلوى (ولا يزال هذا المصنع يعمل حتى الآن بعد أن قامت الحكومة بتأميمه) • كما ترجع جذور عائلة والدتها الى مدينة « صفد » فى اسرائيل • وقد التقى

الدكتور « غالى » بزوجته عندما كان يطلب العلم فى باريس • وبمرور الوقت ، غادرت عائلة زوجة الدكتور « غالى » كلها مصر ، واتجه بعض افرادها الى الاقامة فى اسرائيل بعد اعتناقهم للصهيونية • وقد استمد الدكتور « غالى » معلوماته عن المشكلة اليهودية من عائلة زوجته مباشرة ، وتوصل ، على أساس هذه المعلومات ، الى ما يعتقده حلا للمشكلة وهو : ايجاد بديل لا صهيونى لاسرائيل •

... ...

وبقدوم يوم السبت لم يكن يمكن لاية محطة اذاعة أو تليفزيون فى العالم أن تتجاهل زيارة السادات القادمة الى اسرائيل • وتجمع فى مدينة القدس ما يزيد عن ١٠٠٠ مراسل أجنبى ، لم يتركوا اتفه التفصيلات دون تصويرها من مختلف الزوايا ، وامتلأت موجات الاثير بتعليقات المعلقين الذين يحللون الاحداث التى توشك أن تقع •

وكانت الاستعدادات قد انتهت تقريبا •

وفى الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم ، عقد « بيجين » فى منزله اجتماعا لمناقشة قائمة المدعوين الى مأدبة العشاء الرسمية ، والتى كان مقررا اقامتها مساء يوم الاحد •

وكان الجو فى منزل « بيجين » يشبه جو الاعياد : فقد كان هناك نبيذ أحمر وكعك قامت بخبزه السيدة حرم رئيس الوزراء • وفى اللحظة الاخيرة ، قرر « بيجين » تعديل الطريق الذى سوف يتبعه السادات من « اللد » إلى « القدس » • فقد استدعت دواعى الامن ان يأخذ موكبه طريقا لم يكن قد فتح بعد لاستخدامه من جانب الجمهور •

وقال « بيجين » للمفتش العام للشرطة ، « حاييم طابورى » :

ـ « سوف نسير فى الطريق العام » !

واستدعى تنفيذ هذا القرار نقل الآلاف من جنود الشرطة والجيش عددا كبيرا من الاميال لتامين سلامة الطريق الرئيسى العام ٠

***

وفى مساء نفس اليوم ، وفى قاعدة « ابو صوير » الجوية (بالقرب من مدينة الاسماعيلية) كان هناك احتفال قصير ، لم يكن مهيبا بشكل خاص ، قبل القيام بالرحلة الجوية القصيرة الى « اللد » ٠

وكان السادات يبذل جهدا كبيرا كى يحتفظ بهدوءه ورصانته ٠

... ...

وفى غرفة المراقبة بمطار « بن غوريون » سمع العاملون هناك ، عن طريق السماعات التى احكموا وضعها على آذانهم ، صوتا يتحدث الانجليزية بلكنة عربية ٠

كان الطيار المصرى الذى يقود طائرة « البوينج » التى تقل السادات يقول :

ـ « الطائرة المصرية ٠٠٠ الرحلة الخاصة رقم ٥١ ٠٠٠ تطلب الاذن بالهبوط » ٠

وكانت الطائرة المصرية قد وصلت قبل دقيقتين من موعدها ٠ وتساءل الطيار المصرى عما اذا كان سوف يسمح له بالهبوط فورا ، أو يقوم بالتحويم فوق المطار حتى حلول الموعد المقرر لوصوله ؟

وصدرت له التعليمات بالهبوط فورا ٠

وفى الساعة الثامنة والدقيقة الواحدة ، لامست عجلات الطائرة ـ رحلة خاصة رقم ٥١ ـ ممر الهبوط الاسفلتى ٠ وبعد ثلاثة دقائق ، كانت الطائرة تقف فى منطقة الاستقبال ٠ وكان اثنى عشر كشافا كهربائيا تسلط ضوءها المبهر على الطائرة « البوينج » البيضاء ، التى رسم العلم المصرى على ذيلها ٠

... ...

كان أول من خرج من الطائرة امرأة بدينة بعض الشيء ، نزلت سلم الطائرة بسرعة وجسدها يهتز ، ثم اندفعت تعدو رأسا نحو منصة الصحفيين • كانت هذه السيدة تمثل التليفزيون المصرى ، الذى كان يقوم بنقل وصول السادات على الهواء •

ثم تبعها عشرات من المصورين والمراسلين المصريين ، ظلوا محتشدين حول الطائرة ، الامر الذى أدى الى انتصاب حاجز بشرى بين الطائرة وبين رئيس جمهورية اسرائيل ورئيس وزراءها وغيرهما من كبار الضيوف •

وكانت ملايين العيون تحدق ، وكأنها قد ألصقت بالصمغ ، فى باب الطائرة الأمامى ••• ولكن أحدا لم يخرج !

وبعد مرور برهة وجيزة مشحونة بالتوتر ، مرت وكأنها دهر ، ظهر ياور السادات العسكرى مرتديا بزته الرسمية التى لن تستطيع أن تجد بها غلطة واحدة •

ثم حدثت ضجة هائلة أحدثها دوى الطبول والتصفيق الحماسى وخطا رئيس مصر ، محمد أنور السادات ، الخطوة الأولى على التراب الاسرائيلى •

هوامش الفصـــل الثامن

(١) زعم السادات آنذاك ــ وشاركته فى ذلك اجهــــزة اعلامه ــ ان زيارته للقدس سوف تبعث البهجة والانشراح فىقلوب مئات الأمهات الحزانى اللائى سوف تطلق سلطات الاحتلال الصهيونى سراح أولادهن احتفالا بهذه الزيارة ٠

... ...

(٢) هذا قول من الصعب ــ ان لم يكن من المســتحيل ــ اثباته ٠ اللهم الا اذا كان المؤلفون يعتقدون ان رئاسة تحرير مجلة الأهرام الاقتصادى ــ التى كانت اشبه آنذاك بمجلة سرية لا يزيد توزيعها عن عدة مئات من النسخ ــ والقاء المحــاضرات علــى عدة عشرات من الطلاب بكلية التجــارة يجعلان الدكتور بطرس غالى من الشخصيات المرموقة فى دوائر المثقفين المصريين ٠

... ...

(٣) تحفل هذه الفقرة بقدر كبير من الأخطاء والمغالطات ، وذلك النحو التالى :

١ ــ ان القــول بأن أسرة الدكتور بطرس غالى قد احتلت مكانا مركزيا فى ميدان الســياسة المصرية لمدة قرن من الزمان ،

هو قــول يفتقر الى الدقة الى حد كبير . فبجانب بطرس غالى ، الذى كان رئيسا للوزراء فى الفترة من ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ الى ٢٠ فبراير ١٩١٠ ، وواصف باشا غالى ، الذى شغل منصب وزير الخارجية فى احدى وزارات الوفد القصير العمر فى الثلاثينيات ، لا نجد احــدا آخر من هذه الاسرة لعب دورا بارزا فى ميــدان الســياسة المصرية .

ب ــ فى عام ١٩١٩ ، الذى ذكر المؤلفون أن بطرس باشا غالى قتل فيه ، كان قد مضى على اغتياله عندئذ نحو ٩ سنوات . فقــد أطلق ابراهيم الوردانى الرصاصات التى اودت بحيــاته فى ٢٠ فبراير ١٩١٠ .

جـ ــ كان الدافــع المباشر لاغتيال بطرس باشا غالى تأييده الحماسى لمشروع مد امتياز شركة قنــاة السويس مدة ٤٠ عاما اخرى ، فى مقابل تعويض مالى هزيل . وكانت خسارة الخزينــة المصرية الناتجة عن تنفيذ هذا المشروع تبلغ نحــو ٢٤١ مليــونا من الجنيهات بأســعار ذلك الزمان ــ كما قدرتهــا اللجنة التى شكلتها الجمعية التشريعية لدراسة هذا المشروع . (انظــر : مصطفى النحاس جبر ، ((سياسة الاحتلال تجــاه الحركة الوطنية من ١٩٠٦ الى ١٩١٤)) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٨١) .

ومن ناحية اخرى فان اوراق التحقيق مع ابراهيم الوردانى تكشف عن تشبعه بالكثير من الأفكار الاشتراكية ، الأمر الــذى يبعد عنه مظنة التعصب الدينى .

وعلى ذلك ، فقد كان الدافع الى اغتيال بطرس باشا غالى دافعــا وطنيا خالصا ، ولا علاقة له البتة بالتعصب الدينى كمــا يزعم المؤلفون .

والواقع ان سلطات الاحتلال الانجليزى بذلت جهــودا مضنية من اجل بذر بذور الفرقة بين المواطنين المسلمين والمواطنين الأقباط فى مصر . وكان اجبــار الخديوى عباس حلمى الثــانى

على تكليف بطرس باشا غالى بتشكيل الوزارة من جانب هذه السلطات جزءا من هذه الجهود ، وكان يمثل استفزازا متعمدا لمشاعر المسلمين التى كانت جهود سلطات الاحتلال السابقة قد أشعلتها فعلا . (بجبر ، «سياسة الاحتلال» ص ٩٧ — ١٣١) .

د — كذلك فان القول بأن بطرس باشا غالى قد أجرى مباحثات مع تيودور هيرتزل — الأب الروحى لمفهوم الدولة اليهودية — بشأن السماح لليهود باستيطان منطقة العريش ، هو قول يفتقر أيضا الى الكثير من الدقة . فقد قدم هيرتزل الى مصر فى شهر مارس ١٩٠٣ ، وأقام بها حتى ٤ إبريل ١٩٠٣ ، وذلك بغرض اتمام المباحثات التى كان ((جرينبرج)) ، مندوبه فى مصر ، يجريها مع سلطات الاحتلال البريطانى حول استيطان اليهود للعريش . ولم يقابل هيرتزل ، اثناء فترة اقامته فى مصر ، أحدا من المسئولين المصريين ، واكتفى بمقابلة اللورد كرومر ، المندوب السامى البريطانى لمحاولة اقناعه بالموافقة على المشروع الصهيونى . ولا يعدو دور بطرس غالى باشا — الذى كان يشغل آنذاك منصب وزير الخارجية — انه قام فى ٢٢ فبراير ١٩٠٣ — اى قبل وصول هيرتزل الى القاهرة — برفض المشروع الصهيونى رفضا رسميا صريحا . (انظر : ديزموند ستيوارت ، ((تيودور هيرتزل)) ، مؤسسة الدراسات العربية ، بيروت ، ١٩٧٥ ، الفصلان ٢٩ ، ٣٠) .

... ...

(٤) للأسف فان هذا ليس مجال الرد على هذه الادعاءات المسمومة بشكل مفصل ، كما ان دماء المواطنين الأقباط التى بذلوها على ارض المعارك المتعددة ضد اسرائيل تكفى لدحضها .

٩

لاحرب بعد الآن

فى الساعة الثامنة وثلاث دقائق ، صعد « ريهابام أمير » ، مدير المراسم بوزارة الخارجية الاسرائيلية ، سلم الطائرة لتحية السادات ·

وقـال له الرئيس المصرى ، والاثنان ينزلان السلم فى اتجاه كبار المستقبلين :

ـ « أنا تحت أمرك » ·

ووفقـا لقواعد البروتوكول ، صافح السادات الرئيس « افـرايم كاتزير » أولا ، بينما كان حماس « بيجين » وتوتره يزدادان ·

وقال « بيجين » عندما حل دوره لمصافحة للسادات :

ـ « **أنا فى انتظارك يا سيدى · ووزرائى ينتظرونك أيضا** » · **وللحظـة ، التحمت عينا السـادات بعينى « بيجين » · ولـم** يكشف « بيجين » أبدا ما كـان يدور فى ذهنـه فى لحظـات اللقـاء العاصفة الاولى · أما « السـادات » فانه يقول أنه يتذكـر أنـه قال لنفسه :

ـ « ان الناس مذهولون تماما ! » ·

... ...

عزفت الفرقـة الموسيقية السلام الوطنى المصرى ، ثم الســلام الوطنى الاسرائيلى ، وأطلقت المدافع ٢١ طلقة ، واصطف حـرس الشرف العسكرى لتحيـة الرئيس المصرى •

وكـان كبـار المستقبلين يقفون صفوفا فوق بساط أحمر • طلب السادات تقـديمه للسيدة جولدا مائير ، وقال لهـا وهو يشد على يدهـا بحراره :

ـ « لقـد تطلعت طويلا الى لقـائك •

فردت عليه قائلة :

ـ « ولكنك لم تأت ••• »

فقاطعها :

ـ « ••• حسنا ، ها أنذا قد أتيت ! »

وتبادل الخصمان السابقان ابتسامتين دافئتين •

... ...

واصل السادات فى بطء مصافحة كبار المستقبلين ، متعـرفا على الكثيرين منهم •

وقال لوزير الزراعة الجنرال « آريل شارون » •••

ـ « كنت قد وضعت خطة لأسرك هنـاك » •

كان الاثنـان يعلمان أن الرئيس المصرى يشير الى الضفة الغربية لقنـاة السويس ، والتى كان شارون قـد احتلها أثنـاء حرب أكتوبر •

ورد عليه « شارون » على الفور :

ـ •• « وأنا سعيد بأن أرحب بك هنا ! »

... ...

وقال السادات لـ « موتاجور » :

ـ « لم أكن أحاول خداع أحـد » !

وقهقه « جور » ضاحكا • وعلت ابتسامة وجه السادات •

... ...

ولم يكن لدى السادات ، عندما واجه « موشيه دايان » ، ما يقوله وهو يهز يده غير :

ـ « موشيه ••• »

... ...

أما « حسن التهامى » نئب رئيس الوزراء المصرى ، الذى كان يسير خلف السادات مباشرة ، فقـد توقف أمام الرجل الذى اجتمع به فى المغرب ، وقـال له :

ـ « كنت قـد قلت انك فى انتظار مكالمة تليفونية منـا •• »

ثم أضـاف ، وهو يبتسم ابتسامة عريضة :

ـ •• وهانحن هنا بأنفسنا !

وكانت الصحف ، بعـد حرب الأيام الستة ، قد أثـارت ضـجة كبيرة حول تصريح أدلى به « دايان » وقال فيه انه ينتظر مكـالمة تليفونية من العرب ، كى تبدأ محـادثات السلام ؛ وكثيرا ما كـان يستشهد بهذه العبـارة للتدليل على الصلف الاسرائيلى بعـد نصر ١٩٦٧ •

... ...

لاحظ السادات كما لاحظت حاشيته أيضا ، غياب ممثلى الاراضى المحتلة من صفوف المستقبلين فى المطـار •

وكان ذلك مثل ملعقـة من الدواء المر •

... ...

جلس الرئيسان ، « السادات » و « كاتزير » ، على الأريكة الخلفية فى السيارة « الليموزين » السوداء التى استعارتها الحكومة الاسرائيلية من السفارة الأمريكية ٠

كانت هناك لحظة من الحرج ٠ وساد الصمت السيارة السوداء الكبيرة ، وهى تمرق ـ كالسفينة ـ الى خارج المطار ، فى طريقها الى القدس ٠

وكان السادات هو الذى كسر الجليد ٠ قال :

ـ« سيادة الرئيس ٠٠ انه لامر غريب حقا ٠٠ ان هذه أول مرة اصافح فيها اناسا حاربتهم طيلة حياتى ، وبكل ما املك من قوة وايمان ٠٠ كيف استطيع ٠٠ كيف امكن لذلك أن يحدث ؟ ٠

وظل « كاتزير » صامتا ٠

ومرة أخرى ، قطع السادات الصمت متسائلا :

ـ ٠٠ « اريك شارون ٠٠ ما الذى يفعله الآن بالضبط ؟ » ٠

ـ « انه وزير الزراعة ٠ ونحن نحترمه كثيرا لشجاعته واقدامه »

فقال السادات فى **تأمل :**

ـ **« آه ٠٠ لو اننى امسكت به آنذاك ، عندما عبر القناة** عام ١٩٧٣ ٠٠ انا لا أحسده الآن ! » ٠

فقال « كاتزير » :

ـ « كان سلوكه أثناء حرب ١٩٧٣ يطابق سلوك الجميع اثناء الحرب » ٠

ونظر « السادات » مباشرة فى عينى الرئيس الاسرائيلى ، وقال :

ـ « آه ٠٠ هؤلاء العسكريون العدوانيون ذوو الشجاعة والاقدام ٠٠ صدقنى ، يا سيادة الرئيس ، ان رجل الدولة الجاد يجب أن يكون شديد الحذر مع امثالهم ٠٠٠ وانا شخصيا اعامل ابطالى الشجعان بحذر لا حدود له » ٠

ومضى السادات يتحدث عن نفسه ·· وعن اصوله الريفية ·· وعن كيف انه لا يعتبر نفسه رجل دولة ولا قائد عسكريا ·· وانما مجرد فلاح ·

ثم أخذ يتحدث عن زوجته ··· وعن مواهبها الكبيرة المتعددة ··· وعن مدى عمق حبها له ··· ثم قال :

ـ « انها حريصة غاية الحرص على التقدم فى دراستها ، بحيث انها لا تكاد تبقى فى البيت · ولكن الحب ، كما نعرف جميعا ، يعوض كل شيء ! » ·

حل الليل ، بينما القدس تنتظر وصول السادات · وكان هواء ليل العاصمة ذو البرودة الحادة قد ابقى مئات الآلاف من سكانها فى منازلهم ، يرقبون الدراما الكبرى وهى تنبسط امامهم على شاشات اجهزة التليفزيون · وكان صوت معلقى الاذاعة والتليفزيون ينطلق عاليا من وراء أبواب الشقق المغلقة ، بينما اصطف الآلاف على ارصفة الشوارع لتحية الموكب الطويل وهو يشق طريقه فى شوارع العاصمة الاسرائيلية الرئيسية ·

كذلك كان هناك ، وسط الجماهير ، آلاف أخرى من رجال الأمن الذين كان يتملكهم التوتر والقلق ·

وفى نفس هذه اللحظة ، كان جمع غاضب ، يحمل صورة ملوثة بالوحل للسادات ، يخترق شوارع دمشق · وتوقف المتظاهرون برهة ، وشكلوا حلقة كبيرة ، اشعلوا النيران فى منتصفها ، ثم القوا بدمية تمثل الرئيس المصرى فى اللهب المشتعل ·

أما فى ليبيا ، فقد هوجمت دار السفارة المصرية من قبل جمع من الغوغاء كانوا يرفعون علم الاتحاد الفدرالى (بين مصر وسوريا وليبيا) ·

وهم يصيحون : السادات ـ كوهين سوف يعيد بناء المعبد لليهود ·

كذلك كانت هناك فى مصر نفسها مظاهر للمعارضة ، فقد نظم الطلبة الفلسطينيون مظاهرة فى أحد ضواحى القاهرة ، سارت وهى تدفع أمامها تابوتا للموتى وتصيح : « سوف نحفر قبرك يا سادات »• وتعرض عدد من الشبان المصريين للمظاهرة وفرقوها بالقوة ، وجرى المتظاهرون وهم يهتفون ، قبل أن يختفوا فى الحوارى المظلمة : « لا اله الا الله ، السادات عدو الله »(١) •

كانت المخاوف تنتاب السادات بشأن ما كان يقال من أن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لا تنظر الى مبادرته غير العادية بحبور كبير • وكان قد بلغه ما صرح به رئيس الاركان « موتاجور » فى الحديث الذى أجرى معه ، وتوصل الى قناعة بان تلك التصريحات ليست الا أول مظاهر التعبير الملموسة من تيارات تحتية معينة • وعندما وصلت الى اسماعه انباء حادث السيارة الذى تعرض له « وايزمان » ، ظن أن انباء الحادث لا أساس لها من الصحة ، وان « وايزمان » ــ وهو احد كبار الصقور فى الحكومة الاسرائيلية ــ انما يحاول استخدامه كعذر لتغيبه عن حضور استقبال الرئيس المصرى • وقد كان السادات يعلق أهمية كبيرة على الفوز بتأييد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية •

وقد زالت مخاوفه وهو فى طريقه الى القدس ، فقد ابلغه الرئيس « كاتزير » أن وزير الدفاع قد اصيب حقا ببعض الجروح نتيجة للحادث الذى وقع لسيارته (٢) •

... ...

وكان « وايزمان » قد شاهد ، وهو يرقد على سريره فى المستشفى ، وصول الرئيس المصرى واستقباله على شاشة جهاز للتليفزيون أحضره من منزله خصيصا لذلك • وكان أطباؤه قد أمروه بأن لا يغادر فراشه فى اليوم التالى ايضا ، وهو اليوم الذى سوف يلقى فيه السادات خطابه امام الكنيست •

وقرر « وايزمان » ان لا تفوته هذه الفرصة التاريخية • فاستدعى اطباءه وقال لهم :

ـ « سوف اذهب الى الكنيست غدا » •

وطلب منهم ، ايضا ، ان يعدوا له مسكنا للألم ، كى يحقنوه به فى الغد ، كما اصدر التعليمات الى موظفى مكتبه باعداد طائرة هليوكبتر لنقله الى مبنى الكنيست •

... ...

وعندما وصل الموكب الى فندق « الملك داود » فى القدس ، صحب « بيجين » الرئيس المصرى الى غرفته بالطابق الخامس • وكان الوقت متأخرا ، وكلا الرجلين يعانى من الاجهاد العصبى • وأغلق الباب على السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلى ، واصدر « بن اليسار » التعليمات الى ضباط الامن بان لا يسمحوا لأى احد بدخول غرفة السادات •

وكعادته ، لم يحتفظ « بيجين » بسجل مكتوب لحديثه مع الرئيس المصرى ذلك المساء ، كذلك فانه لم يتحدث الى أحد بشكل مفصل عما دار بينه وبين السادات • ولذلك فأن كل ما نستطيعه هنا هو أن نورد « كروكيا » لتفصيلات هذا الاجتماع :

ابتسم السادات ، ثم قال :

ـ « لقد زرت موسكو ثلاث مرات ، وفى كل مرة كان كوسيجين يقول لى : انت ضيف هنا ، فهل تتفضل ببدء الحديث ؟ حسنا ، ها أنذا هنا ! » •

ودار الحديث فى جو يتسم بقدر من الاسترخاء • وابلغ السادات رئيس وزراء اسرائيل انه لن يستطيع أن يعقد سلما منفصلا ، وانه قدم الى اسرائيل كى يناقش القضية الفلسطينية •

وعبر « بيجين » عن امله فى زيارة القاهرة فى المستقبل القريب • فقد كان يعتبر أن توجيه مثل هذه الدعوة اليه ، هو عمل تقتضيه اللياقة والمعاملة بالمثل •

ولم يكن ذلك يتفق مع رأى السادات ، الذى لم يكن يعتقد ان « بيجين » سوف يلقى استقبالا حماسيا فى القاهرة ، بل ان حياته قد تتعرض للخطر ايضا اثناء مثل هذه الزيارة •

ورغم أن بيجين قال السادات : « اننا نحب بعضنا » ، فان ذلك كان بلا جدوى ، ولم يوجه الرئيس المصرى الدعوة الى رئيس وزراء اسرائيل لزيارة القاهرة •

ويبدو ان موضوع اعادة السيادة المصرية الى سيناء قد اثير ايضا • وقد قيل ان « بيجين » ابلغ السادات باستعداد اسرائيل الى اعادة سيناء كلها الى السيادة المصرية •

ويبدو ان « السادات » قد عجز عن فهم الفرق الدقيق بين « اعادة سيناء كلها ، وبين التعبير الذى استخدمه بيجين وهو : اعادة السيادة عليها » • وكان « بيجين » قد ظل ، لسنوات عديدة ، يعارض الانسحاب الكامل من شبه الجزيرة •

وقال السادات :

ـ اننى اود أن اسكن قلقك ••• لذا فاننى اقول لك ان قواتى الضاربة لن تتحرك شرق المرات ، بعد انسحابكم من سيناء » •

... ...

بعد أن انتهى « بيجين » من حديثه مع السادات ، التقى بعد ذلك مباشرة مع « ايجال يادين » الذى كان يجلس فى حجرة مجاورة • وقال له « بيجين » :

ـ « اسمع ما حدث : لقد شرحت موقفنا الامنى فى سيناء للسادات • وفى البداية ، قال انه يوافق على اقامة منطقة منزوعة

السلاح تمتد مسافة ٣٠ أو ٤٠ كيلو مترا من الحدود الدولية • وعندما شرحت له ، مرة أخرى ، ان هذه المسافة لا تكفى لاخراج الاهداف الاسرائيلية من مدى نيران المدافع المصرية ، وافقنى وقال : « لابد أن أبقى جيشى فى المنطقة التى تمتد حتى الممرات (والتى تبعد ٣٠ كيلو مترا عن قناة السويس ـ المؤلفون) ، اما باقى شبه الجزيرة ، فمن الممكن أن تكون منطقة منزوعة السلاح » •

... ...

ويعتقد البعض أن الوعد باعادة شبه جزيرة سيناء الى السيادة المصرية ، كان قد تم الالتزام به ، قبل ذلك ، اثناء اجتماع « دايان » مع حسن التهامى » فى المغرب •

وقد قال « التهامى » ، فيما بعد ، ان « دايان » أبلغه فيما يختص بسيناء :

ـ يمكنكم ان تأخذوها ••• انها كلها لكم ! •

ويقول من يصدقون ذلك ان ذلك كان الشرط المسبق الذى وضعه السادات لزيارة القدس •

وايا كان الامر ، فان العديد من الالتباسات قد حدثت فيما بعد بصدد مسألة نية اسرائيل فى الانسحاب من خط دفاع « رفح » ، وكذلك بصدد الوجود العسكرى المصرى شرق ممرات سيناء •

ولم يكن الموضوع قد طرح ، على الاطلاق ، للمناقشة فى مجلس الوزراء الاسرائيلى • بل ان المجلس ووجه بما تم الاتفاق عليه كامر واقع لا رجوع فيه • ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى يتخذ فيها رئيس الوزراء بمفرده قرارا فى مسألة خطيرة كهذه دون استشارة وزراءه أو الحصول على موافقة مجلس الوزراء • ولم يسلم بيجين ، بالطبع ، من الانتقادات الحادة المعتادة •

... ...

انتهى اجتماع السادات وبيجين بتبادل المجاملات ٠

قال السادات :

ـ « ٠٠ سوف نظل أصدقاء ٠٠ مهما حدث ! » ٠

وهز « بيجين » يد السادات بحرارة ، وقال وهو يستدير كى يغادر الحجرة :

ـ « صدقنى ، اننى من الرجال الذين يلتزمون بوعودهم ! » ٠

... ...

وعاد « بيجين » الى منزله ، حيث كانت اسرته وعدد من أصدقاءه فى انتظاره كى يسمعوا تفاصيل لقاءه الاول مع السادات ٠

قال لهم « بيجين » :

ـ « لقد قربت المناقشة احدنا الى الآخر ٠٠٠ وقد اصبحنا أصدقاء ٠٠٠ يصدق أحدنا الآخر ٠٠ لقد نمت علاقة حقيقية بيننا ٠٠٠ كما تبادلنا النكات ٠٠ وحكيت له عن تمردنا ضد بريطانيا ، كما روى هو بعض ذكرياته ٠٠ كانت الجلسة شخصية جدا ! » ٠

... ...

استيقظ السادات مبكرا فى صباح اليوم التالى ، الاحد ٢٠ نوفمبر عام ١٩٧٧ ٠

كان ذلك اليوم هو أول ايام عيد الاضحى ، الذى يحل عقب انتهاء شهر رمضان (! ؟ ـ المترجم) ، والذى يحتفل به ملايين المسلمين فى جميع انحاء العالم ٠

وكان السادات قد تعمد اختيار هذه المناسبة لأداء الصلاة فى الجامع الاقصى ، الذى قيل له انه لن يصرح بدخوله ، بجانب حاشية الرئيس

المصرى ، الا لنحو ٥٠٠ نسـمة من العرب ، وذلك لاسباب تتعلق بالأمن ، ورغم ان المسجد ، والميدان الذى يحيط به ، يتسعان لنحو ٢٠٫٠٠٠ شخص ٠

وكان السادات يخشى ان يفسر هذا الجمع الصغير من المصليين بانه انتصار لمنظمة التحرير الفلسطينية التى كانت قد دعت الى مقاطعة الصلاة فى الجامع الاقصى ٠

وطلب السادات عدم منع أحد من دخول المسجد ، الامر الذى أدى الى احتشاد نحو ٦٠٠٠ مسلم لأداء الصلاة مع الرئيس المصرى ٠

... ...

وبعد أداء الصلاة ، توجه السادات الى نصب « يا دفا ـ شيم » ، الذى اقيم احياء لذكرى ضحايا النازى من اليهود اثناء الحرب العالمية الثانية ٠

وعندما وصل السادات الى النصب التذكارى ، قدموا له « طاقية » فتساءل :

ـ « ما هذا ؟ » ٠

فاجابه « بيجين » :

ـ انه « كبة » ٠٠ أى غطـاء للرأس ٠٠ فمن عادتنـا أن نغطى رؤوسنا عند تأدية الصلاة ، أو عند دخول المعبد ٠

وكان السادات يكتفى بالانصات ، ولم يتحدث الا قليلا ، وقـد سأل فقط عن كيفية حصـول اسرائيل على نسـخة من الاتفـاقية الروسية ـ الالمـانية حول تقسيم بولندا ٠

وانتهز « بيجين » هذه الفرصة كى يلقن السادات درسا للمستقبل :

ـ « لقد عانينا ذلك كله لاننا كنا بلا دولة ولا وطن ، ولذلك لم يكن لدينا ما نحتمى به » ٠

وهز « السادات » رأسه ، وكتب فى سجل الزيارات :

ـ « لنضع حدا لكل معاناة الجنس البشرى » ٠

... ...

وكان اجهاد السادات يبدو واضحا عندما وصل لتنـاول طعـام الغذاء مع القادة الاسرائيليين ٠ وعلى المـائدة كانت الشكوك المتبادلة تفصل بين الزائر ومضيفيه ٠ وقد ادرك الاسرائيليون ، منذ اللحظة الاولى ، ان السادات لا يثق بهم ٠ وقدكان الطعام الذى يتناولونه قد اعده الطباخ الخاص للسادات ، الذى كان قد احضر معه ، ايضا ، أدوات المطبخ الخاصة به (٣) ٠

... ...

تبادل السادات وبيجين الحديث عن حالة قلبيهما ٠

قال السادات :

ـ « انك تبدو فى صحة جيدة بالنسبة لمن يصاب بما انت مصاب به » !

فرد عليه « بيجين » قائلا :

ـ « وانت ايضا تبدو على ما يرام تماما بالرغم من مرضك ! » ٠

ثم حذر السادات مضيفه قائلا :

ـ « لا تأكل هذا البطيخ ٠٠ انه يضر المعدة ! » ٠

وبعد الغذاء ، صعد السادات الى غرفته كى يراجع الخطاب الذى سوف يلقيه ، بعد قليل ، امام « الكنيست » ٠

.. ..

كان القلق يتصاعد فى صفوف أعضاء مجلس الوزراء الاسرائيلى ٠ فرغم ان الوزراء كانوا يشاركون بقية الاسرائيليين حالة النشوة والاغتباط السائدة ، فان بعضهم كان يشعر بالقلق ٠ فقد كان واضحا

لكل الوزراء تقريبا ، انه ليس من الممكن اعادة السادات الى بلاده حاوى الوفاض · وكان وزير الزراعة « شارون » قد اقترح ، اثناء اجتماع لمجلس الوزراء فى الاسبوع الذى مضى ، ان تسلم مدينة « العريش » للادارة المدنية المصرية ، وان يمنح المصريين حق استخدام الطرق الصحراوية المؤدية الى المدينة ، وذلك كدليل على حسن النية ، لدى وصول السادات الى اسرائيل ·

وكانت الفكرة قد راقت لبيجين ، ولكن « دايان » عارضها ، وقال :

ـ « ان السادات لن يأتى الى هنا كى يأخذ بعض الفتات » · وصرف النظر عن الموضوع ·

وكان « بيجين » يريد أن يعرف مقدما ما الذى سوف يقوله الرئيس المصرى امام الكنيست ، حتى يستطيع أن يعد الرد المناسب ·

ولكن المصريون رفضوا ذلك تماما ·

... ...

وكان الجو السائد فى الكنيست مزيجا من الابتهاج والتوتر · وكان قد سمح للاعضاء ، لأول مرة فى تاريخ الكنيست ، بالتصفيق لأحد الضيوف ، كما وضعت قواعد للمراسم خصيصا لهذه المناسبة ، ولم يدخر جهد من أجل التدليل على الاحترام الذى تكنه اسرائيل للرئيس المصرى ·

... ...

كان دخول الرئيسان : المصرى والاسرائيلى ، يخطف الانفاس · وحيا نداء النفير وصول الرئيس المصرى لمبنى الكنيسيت ، الذى ظل أعضاؤه يصفقون فى حماسة لوقت طويل ·

ولم يلحظ أحد ، تقريبا ، أن عددا من أعضاء الكنيسيت ظلوا جالسين على مقاعدهم ممتنعين عن التصفيق ·

... ...

وكان « ايزر وايزمان » يجلس بين زملاءه الى المائدة المخصصة للوزراء • ورغم أنه كان يبتسم للجميع ، فقد كان واضحا أنه عاجز عن اخفاء آلامه • وكان قد جيء به الى مدخل القاعة ، وهو يجلس على كرسي متحرك ، ولكنه أصر على أن يسير على قدميه حتى كرسيه بمساعدة عصاة غليظة •

... ...

اتجه السادات الى المنصة • وكان مكبر الصوت قد جهز دون أن يعرف بجهاز لقياس درجة توتر الأصوات •

وقد وجد ، فيما بعد ، أن ابرة الجهاز قد قفزت قليلا عندما كان السادات يتحدث عن التسوية والتصالح • وكان الاعضاء يتابعون الخطاب الذى كان الرئيس المصرى يلقيه باللغة العربية ، عن طريق الترجمة الفورية من السماعات •

... ...

أكد السادات على الجوانب الانسانية لزيارته الجريئة • وقال :

« اننا جميعا لا نزال نعانى من أربعة حروب قاسية خلال ثلاثين عاما ، بل أن أسر ضحايا حرب ١٩٧٣ لا تزال تعيش فى الترمل ، وفقد الأبناء واستشهاد الأباء والأخوات » •

ثم مضى يقول « ويكفى أن أشهرا طويلة ، كان يمكن أن يحل فيها السلام ، قد ضاعت سدى ، فى خلافات ومناقشات لا طائل منها حول اجراءات عقد مؤتمر جنيف ، وكلها تعبر عن الشك الكامل ، وفقدان الثقة الكامل » •

ألهبت الكلمات الساخنة عن المعاناة والحروب مشاعر الحاضرين ، ولكن السادات سرعان ما اتخذ نبرة أكثر حدة :

« ان واجب المصارحة يقتضى أن أقول لكم ما يلى :

أولا : أننى لم أجى اليكم لكى أعقد اتفاقا منفردا بين مصر واسرائيل،

ليس هذا واردا فى سياسة مصر ، فليست المشكلة هى مصر واسرائيل وأى سلام منفرد بين مصر واسرائيل أو بين دولة من دول المواجهة واسرائيل ، فانه لن يقيم السلام الدائم العادل فى المنطقة كلها . بل أكثر من ذلك فانه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها واسرائيل ، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية ، فان ذلك لن يحقق السلام الدائم العادل الذى يلح العالم كله اليوم عليه .

ثانيا : أننى لم أجىء اليكم لكى أسعى الى سلام جزئى ، بمعنى أن ننهى حالة الحرب فى هذه المرحلة ، ثم نرجىء مشكلة برمتها الى مرحلة تالية .. فليس هذا هو الحل الجذرى الذى يصل بنا الى السلام الدائم . ويرتبط بهذا اننى لم أجىء اليكم لكى نتفق على فض اشتباك ثالث فى سيناء ، أو فى سيناء والجولان والضفة الغربية ، فان هذا يعنى أننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل الى أى وقت مقبل ، بل هو يعنى أننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام ، وأننا أضعف من أن نتحمل أعباء ومسئوليات السلام العادل .

رشف السادات من كوب الماء أمامه ثم استطرد قائلا :

« يجب أن تتخلوا نهائيا عن أحلام الغزو وأن تتخلوا أيضا عن الاعتقاد بأن القوة هى خير وسيلة للتعامل مع العرب . ان عليكم أن تستوعبوا جيدا دروس المواجهة بيننا وبينكم ، فلن يجديكم التوسع شيئا . هناك أرض عربية احتلتها – ولا تزال تحتلها – اسرائيل بالقوة المسلحة ، ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية ، التى كانت وستظل التجسيد الحى للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث . وليس من المقبول أن يفكر أحد فى الوضع الخاص لمدينة القدس ، فى اطار الضم والتوسع . وانما يجب أن تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين . وأهم من كل هذا فان تلك المدينة ، يجب ألا تنفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرا

ومقاما لعـدة قرون ، وبدلا من ايقاظ الحروب الصليبية ، فاننا يجب أن نحيى روح عمر بن الخطاب وصلاح الدين ، أى روح التسـامح واحترام الحقوق • ان دور العبادة الاسلامية والمسيحية ليست مجرد أماكن لأداء لفرائض والشعائر بل انهـا تقـوم شـاهد صـدق على وجودنا الذى لم ينقطع فى هذا المكـان سياسيا وروحيا وفكريا •• وهنـا يجب ألا يخطىء أحـد تقـدير الاهمية والاجلال اللذين نكنهما للقدس نحن معشر المسيحيين والمسلمين » •

ساد التوتر قاعة الكنيست •• كان واضحا أن السادات لا ينتقى كلمـاته ، أو يصبغها بطـابع المجاملة ، وأدرك الوزراء وأعضـاء الكنيسيت الذين ظنوا أن السادات سوف يقصر خطابه على ما هو موضع اتفـاق مشترك ، انهم كانوا غارقين فى الوهم ••

وأضاف السادات :

ـ « دعونى أقول لكم دون أدنى تردد ، انى لم أجىء اليكم تحت هذه القبة لكى أتقدم برجاء أن تجلوا قواتكم من الارض المحتلة ، أن الانسحاب الكامل من الارض العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ ، أمر بديهى ، لا نقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لأحد •• أو من أحـد » •

لم يتردد السادات فى اللجوء الى العبارات القاسية ، كى يصـل الى لب خطبته ، أى المشكلة الفلسطينية ، وأنصت ديان بعنـاية وتركيز ، فقد كان يريد أن يعرف اذا كان السادات قـد أخذ بنصيحته بالامتنـاع عن ذكر منظمة التحرير الفلسطينية ، فقـد كان جـانب كبير من نجـاح خطبته ، وربما نجاح زيارته بأكملهـا تتوقف على ذلك ••

ولم يذكر السادات منظمة التحرير • قال :

ـ « أما بالنسبة للقضية الفلسطينية ، فليس هناك من ينكر أنها

جوهر المشكلة كلها ، وليس هنـاك من يقبل اليوم فى العالم كلـه شعارات رفعت هنا فى اسرائيل تتجاهل وجود شعب فلسـطين بـل وتتساءل أين هو هذا الشعب ؟ ! • ان قضية شعب فلسطين وحقوقه المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل أو انكـار من أحـد ، ولذلك فاننى أقـول لكم أيها السيدات والسادة ، انه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطينى وحقوقه فى اقامة دولته وفى العودة » •

وواصل السادات خطابه مقدما شروطه لاقرار السلام : « انهـاء الاحتـلال الاسرائيلى للاراضى التى أحتلتَ عام ١٩٦٧ والاعتـراف بالحقوق الاساسية للشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير المصير بما فى ذلك حقـه فى اقامة دولته ، وحق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام داخل حدودها الآمنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية ، بالاضافة الى الضـمانات الـدولية المناسبة ، وأن تلتزم كل دول المنطقة بادارة العلاقات بينها طبقـا لاهداف ومبادىء ميثاق الامم المتحدة ، وبصفة خاصة عدم الالتجاء الى القوة وحل الخلافات بينهم بالوسائل السلمية ، وأخيرا انهاء حالة الحرب القائمة فى المنطقة » •

لم يكن هنـاك جـديد فى هذه الشروط ، وقد كان اجماع كامل فى اسرائيل ، حول عدم العودة الى حـدود عام ١٩٦٧ ، أو السـماح للفلسطينيين باقامة دولة مستقلة لهم ••

مال « وايزمان » تجاه « ديان » ووضع أمامه ورقة كتب عليها :

ـ يجب أن نستعد للحرب ••

وازدادت قسمات وجه بيجين تجهما ، وهمس بصوت مسـموع • ان هذا يعـد انذارا !

ومضى السادات يقـول :

ـ « قولوا لأولادكم ان الحرب المـاضية كانت آخر الحروب ·· ونهـاية الآلام · وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة للحياة الجديدة، حيـاة الحب والخير والحرية والسلام »

اقتصرت استجابة الحاضرين فى الكنيسيت ، وقد صدمتهم صراحة السادات ، على تصفيق فاتر ، يفتقد للحماس ، بل أن بيجين وشارون وجور لم يشاركوا حتى فى هذا التصفيق غير الحماسى !

وقد يكون تعليق وزير الداخلية « جوزيف بورج » ، اكثر تحديدا للمشكلة · فقـد قال « بورج » : « لقد كان خطاب السادات صريحا ، وقد عرض موقفه فى وضوح · وكذلك كان خطاب « بيجين » · ومهمتنا الآن هى ان نبنى جسرا بين الخطابين » ·

... ...

اتجـه موكب السـادات من مبنى الكنيسيت الى مكتب رئيس الوزراء حيث قدم « مناحيم بيجين » وزير الدفاع « ايزرا وايزمان » الى الرئيس المصرى · وتقدم « وايزمان » وهو يظلع ، مستندا على عصاه ، كى يحيى السادات · ونجح وزير الدفاع ، وهو رجل يتمتع بقدر كبير من السحر والجاذبية ، فى اقامة علاقة شخصية دافئة على الفور مع الرئيس المصرى ، الذى بذل عندئذ ـ كما سوف يفعل فى المستقبل ـ جهدا خاصا من أجل الفوز بمودة « وايزمان » · وقد كان السادات حريصا على توثيق علاقته بوايزمان ، الذى كان معروفا بانه ينتمى الى مجموعة الصقور ، وبانه ايضا احد المرشحين لخلافة « بيجين » · وكان الرئيس المصرى يأمل ان يعرف ، عن طريق وزير الدفاع ، كنه التقييم الذى توصلت اليه المؤسسة العسكرية بصـدد مبادرته السليمة ·

. . . .

وقد قال السادات عن « وايزمان » فيما بعد :

ــ « انه صحبة ممتعة ، فهو مرح بالسليقة ، ولكن هناك خلف هذه الخفة الظاهرية ، قلقا عميقا يبدو على وجهه ، بسبب الحياة السياسية التى يفضل عليها الحياة العسكرية كثيرا • والحقيقة ان مرحه يخفى مأساة حقيقية،فقد كان لديه ابن مقاتل أصيب بجروح خطيرة عند خط « بارليف » اثناء حرب اكتوبر ••• فكيف يمكن لرجل كهذا ان لا يريد السلام ؟

... ...

والتقى السادات و « وايزمان » مرة أخرى فى مأدبة أقيمت فى نفس اليوم فى فندق « الملك داود » • ولم تفد عبارات المجاملة التى وجهت للسادات بمناسبة مولد حفيدته ، فى تخفيف حدة التوتر الذى احدثته الخطب الصريحة التى ألقيت فى « الكنيسيت » قبل بضع ساعات • ولم يكن الضيوف يعرفون ما يقولون ، وكان الجو مقبضا الى اقصى حد •

... ...

وحاول « وايزمان » التخفيف من حدة التوتر • فروى فكاهة عن مدة خدمته فى سلاح الجو الملكى البريطانى فى مصر اثناء الحرب العالمية الثانية • ثم انتقل من ذلك الى الحديث عن مغامراته مع الفتيات المصريات •

وكانت النتيجة : مزيد من الحرج والتوتر •

... ...

ثم تحدث صهر السادات عثمان أحمد عثمان عن اعادة فتح قناة السويس ، وانتقل الى حديث مطول عن اعادة بناء مدن القناة التى دمرت أثناء حرب الاستنزاف •

وقال « وايزمان » :

ـ « اننى اعرف هذه المنطقة جيدا ، فقد اصاب أحد القناصة المصريين ابنى ـ الذى كان يخدم هناك ـ برصاصة بين عينيه » ٠

فقال السادات :

ـ « الحرب هى الحرب ٠ ولكننا الآن نحاول اقامة السلام ، ونحن نتمنى له شفاء عاجلا » ٠

وتدخل « حسن التهامى » فى الحديث قائلا :

ـ لقد قتل شقيق سيادة الرئيس الاصغر ايضا ، فقد اسقطت طائرته المقاتلة فوق « بير جحافه » اثناء حرب الغفران ٠

فاضاف « بيجين » :

ـ هناك وزيران على هذه المائدة فقدا شقيقيهما فى حرب عام ١٩٤٨ ، وهما دايان ويادين (٤) ٠

... ...

ثم التفت « يادين » الى « التهامى » وسأله :

ـ « ألا تعتقد ان اصدار بيان مشترك قد يكن عملا مفيدا ؟ » ٠

فرد عليه التهامى قائلا :

ـ « هذه فكرة رائعة » ٠

ـ « انكم سوف ترحلون غدا ٠ فلنحاول صياغة هذا البيان الآن » ٠

. . . .

وأحضر أحد السقاة فوطه ورقية ، ناولها « يادين » الى « التهامى » قائلا :

ـ « اكتب انت ٠٠ فاننى عندئذ سوف اعرف ما تريدون ! » ٠

. ...

واقترح « التهامى » وصف زيارة السادات بانها « زيارة سماوية مقدسة » ٠

ولكن « يادين » اعترض فى أدب ، وقال :

ـ « اذ كنت مصرا ، فانني اقترح استبدال كلمة « سماوية » بكلمة مباركة ٠

ثم سأله « يادين » ، قبل أن يعطي الفوطة الورقية الى « بيجين » ، عما اذا كان يمكنه ان يقول ان الرئيس المصرى يوافق على هـذه الصياغة ٠

فقال التهامي :

ـ « حسنا ، ان الرئيس لم يقـرأها بعـد ٠ ولكنني ، بقـدر ما استطيع قراءة أفكار سيادته ، استطيع ان اقول ان هذا هو ما كان سوف يكتبه لو كان مكلفا بذلك » ٠

فعاد « يادين » يسأله :

ـ « ٠٠ ولمـاذا تريد استخدام كلمة « سماوية » أو « مباركة » ؟

فرد عليه « التهامي » :

ـ « ٠٠ يجب أن تعرف ان هـذا هو المفتاح لفهم هـذه الزيارة برمتها ٠ فنحن ننظر الى هذه الزيارة بوصفها رسالة دينية مقدسة » ٠

... ...

أعطى « يادين » الفوطة الورقية الى « دايان » بعـد أن كتب عليها :

ـ « ما رأيك ؟ » ٠

وقرأها « دايان » ثم كتب اجابته :

ـ « لا تعليق » ٠

... ...

وبعد ذلك فقط ، وصلت الفوطة الورقية الى « بيجين » الذى رد عليها مباشرة بتعليق :

ـ « لا أحب كلمة مباركة » ٠

ثم عرض الفوطة الورقية على السادات ، الذى شطب كلمة « مباركة » ووضع محلها كلمة « شجاعة » ٠

... ...

واستدعى « بيجين » على الفور مستشاره « يهودا افنير » ، ذو الخبرة الطويلة فى صياغة مثل هذه البيانات ، وطلب منه ان يعيد كتابة مسودة البيان بلغته الانجليزية التى كان « بيجين » يصفها بانها « شكسبيرية » ٠

وقال « التهامى » :

ـ « أرأيتم ، لقد نجحنا ، بالرغم من كل شىء ، فى التوصل الى شىء ما » ٠

وكان يشير الى ما ورد فى البيان عن تأكيد استمرار المحادثات بين البلدين ٠

انتهت مأدبة العشاء ، واقترح « بيجين » على « السادات » ان يعقدا اجتماعا على الفور لمواصلة المحادثات ٠

وكان « يادين » على وشك مغادرة الفندق الى منزله ، عندما دنا منه « بطرس غالى » وقال :

ـ « لقد ذهب رئيسانا كى يتحدثا على انفراد ، و « مصطفى خليل يريد ان يتحدث اليك انت ووايزمان » ٠

وكان « مصطفى خليل » ، الصديق المقرب من السادات ، يشغل آنذاك منصب سكرتير الاتحاد الاشتراكى العربى ، الحزب الحاكم فى مصر ٠

***

ظل الاربعة يتحدثون حتى الساعات الاولى من الصباح(٥)٠

ورسم المسئولان المصريان صورة قاتمة لمشاكل مصر . فقد قال « بطرس غالى » :

ـ « هل تعلمان ان نحو مليون طفل يولدون فى مصر كل عام ؟ وهل تعرفان ايضا ان هناك نحو مليون مصرى يعملون فى المهن المختلفة ـ من التدريس الى الدعارة ـ فى البلدان العربية الاخرى » .

وكان « مصطفى خليل » يركز حديثه على المسائل العسكرية ، إذ قال : ـ

ـ « نحن نعرف ان فرص انتصارنا فى حرب ضدكم ضئيلة جدا ، كما نعرف ايضا انكم تمتلكون قنابل ذرية . ومصر ليس لديهـا بديل عسكرى ، ولذا فان علينا أن نبحث عن حل آخر .. ولذا فلابد أن تصدقوا السادات » .

وشرح « وايزمان » رؤيته الصهيونية لشئون الامن ، مركزا ، اساسا ، على الضفة الغربية . ورد عليه « مصطفى خليل » قائلا :

ـ « ان هذه المسألة تمثل بالنسبة الى مصر مشكلة من الطراز الاول ... حتى لو كنت مصيبا فيما قلت » .

وقبل أن يفترق الرجـال الاربعة ، قال « مصطفى خليـل » ان السادات طلب منه ان يقدم اليه تقريرا عن الاجتماع فور انتهاءه ، ثم اختفى وراء باب غرفة الرئيس المصرى المغلق .

... ...

فى صباح اليوم التالى ، وجد احد الحراس الشخصيين للرئيس المصرى ، ميتا فى فراشه بفندق « الملك داود » . ودب الذعر فى قلوب الاسرائيليين خشية القاء مسئولية وفاة الحارس عليهم . وبعـد ان فحص طبيب اسرائيلى الجثة ، قرران الحارس قد توفى اثر نوبة قلبية فاجأته اثناء نومه . واكد تقرير طبيب الوفد المصرى تشخيص الطبيب الاسرائيلى لسبب الوفاة .

واتفق الجانبان على أن تسرب انباء وفاة الحارس قد تثير اشاعات وشكوك لا نهاية لها ، كما قد تؤدى الى تبادل الاتهامات بين الطرفين ، ولذا ، فقد استقر الرأى على اخفاء الأمر ، وضرب ستار محكم من السرية حوله ٠

ولكن كيف يمكن نقل الجثمان الى الطائرة بدون اثارة فضول هذا العدد الهائل من المراسلين الاجانب والصحفيين المحليين ؟

وضع المصريون جثمان زميلهم فى صندوق كبير نقلوه مع متاعهم الى المطار ، ثم وضع الصندوق الذى يخفى الجثمان ، بعد ذلك ، فى طائرة الشحن التى كانت ترافق طائرة الرئيس المصرى الخاصة ٠

ضاعفت وفاة الحارس الخاص من اكتئاب السادات ٠ وكانت الترجمة الدقيقة لخطاب « بيجين » فى الكنيسيت قد وضعت امامه ٠ ولكن قراءتها لم تهز ايمانه بعناد « بيجين » وتصلبه ٠ وقد كان اسلوب « بيجين » ، وليس كلماته ، هو الذى احدث الضرر ٠ وقد ابلغ الصحفيون المصريون بذلك ٠ وسرعان ما علم جميع المراسلين الاجانب بأنباء خيبة أمل السادات ، وعن طريقهم عرف العالم كله ذلك ٠

... .

ولكنه اذا كانت علاقة السادات مع « بيجين » لم تصل الى الحد المطلوب ، فان علاقة السادات مع « وايزمان » كانت تزداد دفئا بسرعة ٠

وفى الصباح الثانى ، والاخير ، لزيارة القدس ، دعى « وايزمان » ــ بعلم « بيجين » ــ الى الجناح الملكى بالفندق ٠

وكان « وايزمان » لا يزال يظلع معتمدا على عصاه ٠ وعندما وصل الى باب حجرة السادات ، ادى له التحية العسكرية بعصاه وكأنها بندقية ، وصاح فى مرح :

ـ « تحياتى واعجابى بمفاجآتك لنا فى حرب الغفران ! » •

ودخلت البهجة الى قلب السادات ، فقد مس « وايزمان » وترا حساسا فى نفس الرئيس المصرى ، الذى لم يترك فرصة واحدة ، منذ شهر اكتوبر ١٩٧٣ ، دون أن يتغنى بالمدائح التى يوجهها الى نفسه على المفاجأة التى اوقعها بالاسرائيليين •

ورنا السادات الى وزير الدفاع ذو القامة الطويلة وقال :

ـ « أشكرك ، ولكننى اقترح ان لا نتحدث عن الحرب » •

فقال له « وايزمان » :

ـ لقد كان خطابك بالامس فى الكنيسيت عنيفا جدا • وأرجو ان يكون الامر شأن المساومات التجارية •• حيث يبدأ المرء بسعر مرتفع ، ثم يخفضه تدريجيا » •

وقاد « وايزمان » السادات الى النافذة ، وقال مشيرا الى مدينة القدس القديمة :

ـ « •• لقد تغير الكثير فى هذه المنطقة ، وأعيد بناء العديد من المبانى • انك لا تستطيع أن تعود فجأة أحد عشر عاما الى الوراء • فهناك اليوم واقع مختلف » •

وتناول الحديث اتفاقيات السلام واحترام الالتزامات السياسية وقال « وايزمان » :

ـ « ليس هناك من شك ، على أية حال ، فى أن الصراع بيننا لم يبدأ بحرب ١٩٦٧ • فقد قاتلت أنا ، على سبيل المثال وسنى لا يتعدى الرابعة عشر الا ببضعة شهور ، والاتفاقيات توقع بين الأمم ، وليس فقط بين القادة •

كان « وايزمان » يلمح للسادات الى أنه حتى لو أنه عقد معاهدة سلام مع « بيجين » ، فان ذلك لا يعنى ، فى نفس الوقت ، ان مثل هذه

المعاهدة سوف تستمر طويلا بالضرورة • ولكن هل فهم السادات ما كان وزير الدفاع يريد ايصاله اليه ؟

قال السادات :

ـ « ايزرا » (وهو يصر دائما على أن يناديه بـ « ايزرا » وليس « ايزر ») ، تستطيع أن تصدقنى وأن تضع ثقتك فيما أقول • أننى ألتزم بكل ما أقوله • فهذه هى طريقتى وأسلوبى » •

فرد عليه وايزمان قائلا :

ـ « أرجو أن تعيش حتى العشرون بعد المائة من العمر • ! »

مرة أخرى ، كان « وايزمان » يلمح للسادات أنه لن يعيش الى أبد الدهر ، وان اتفاقية السلام قد لا تساوى شيئا بعد وفاته •

وقال السادات (متظاهرا بعدم الفهم ؟) :

ـ « هذا عمر أطول مما يجب » •

فقال « وايزمان » :

ـ « اذن أدعو الله أن تعيش حتى تبلغ سن المائة ، وأن تبدو وكأنك لا زلت فى العشرين من عمرك ! » •

... ...

وقضى السادات صباح ذلك اليوم فى اجتماعات مع ممثلى الاحزاب المختلفة فى الكنيسيت • ولم يحدث فى تلك الاجتماعات ما يستحق الذكر •

ولكن السادات انفعل بعمق باجتماعه مع عدوته القديمة « جولدا مائير »

قالت « مائير » :

ـ « رغم اننى قد تقدمت فى السن ، فاننى آمل أن أعيش حتى أرى يوم السلام » •

وأجابها السادات :

- « لا زال أمامك العديد من السنوات » •

فردت عليه « جولدا » على الفور :

- « آه ، لقد كنت أنت الذى يدعونى بـ « السيدة العجوز » •

وانفجر السادات ضاحكا • فالواقع أنه كثيرا ما هاجم فى خطبه ، عناد « السيدة العجوز فى اسرائيل » • وقد ردت عليه « جولدا » باعطاءه هدية لحفيدته المولودة حديثا ، وعلبة سجائر فضية له •

... ...

وفى بعد ظهيرة ذلك اليوم ، جلس السادات و « بيجين » على خشبة « مسرح القدس » ، يواجهان ٢٠٠٠ ممثلا لأجهزة الاعلام •

وكان السؤال الأول متوقعا ، وقد تكرر توجيهه عدة مرات أثناء المؤتمر الصحفى •

كان السؤال الأول هو :

- « متى ستدعو بيجين لزيارة القاهرة ؟ » •

وقد كان واضحا منذ بداية زيارته ، ان السادات لا ينوى توجيه الدعوة الى بيجين لزيارة القاهرة ، حيث أن مثل هذه الخطوة كانت تبدو له تزيدا لا مبرر له ، طالما أن « بيجين » لم يقبل شروطه لتوقيع معاهدة السلام •

وكان السادات يعرف ان « بيجين » يريد ، وبشكل قوى ، الذهاب الى القاهرة فى أقرب وقت ممكن ، كما كان يعرف أيضا أنه لا يمتلك ردا مناسبا على السؤال المشار اليه •

وكان بيجين قد قال له فى احدى المناسبات ، محاولا الحصول على دعوة لزيارة القاهرة :

- آمل أن نلتقى قريبا كى نواصل حديثنا عن السلام •

فرد عليه السادات قائلا :

- « بالتأكيد • سوف نلتقى فى سيناء ونواصل الحديث » •

فقــال « بيجين » :

ـ « ولمــاذا لا نلتقى فى القــاهرة ؟ ان الظروف فى سيناء لا تجعلها صالحة لمثل هذا اللقاء » .

فقال السادات متنازلا :

ـ « حسنا ، يمكننا أن نلتقى فى منزلى فى مدينة الاسماعيلية . وتكريما لك سوف أجلب أعضاء مجلس الشعب الى هنـــاك حتى تستطيع الحديث اليهم » .

... ...

وعاد السادات الى القاهرة . وشــاهده المــلايين على شــاشات التليفزيون وهو يعبر شوارعها ، مارا تحت أقواس النصر ، وهو يلوح بذراعيه فى جميع الاتجاهات ، ممتلئا بالغبطة والحبور لمــا استطاع تحقيقه من انتصارات .

أما اسرائيل فقــد كانت تحاول العودة الى حياتها اليومية العادية . وكانت أرقــام الانتاج الاسرائيلى قد سجلت هبوطا ضــخما بلغت قيمته نحو نصف مليون ليرة اسرائيلية . وأحس الاسرائيليون كما لو أن عجلة التاريخ قــد دارت دورة كاملة .

وبعد ذلك بعدة أيام ، كان « ايزر وايزمان » يعقــد اجتمــاعا مع عدد من كبــار ضباط الجيش الاسرائيلى . وعندما سئل عن تقييمه لأحداث الأيام الأخيرة ، قال : « ان الموقف به الكثير من الأخطـــار الكــامنة . ولست ممن يبالغون فى التفاؤل ، ولكننى فى نفس الوقت لست متشائما . ومن ناحية أخرى ، فان فشل هذا التحرك ســوف يعنى اندلاع الحرب ... » .

وختم وزير الدفاع الاسرائيلى حديثه قائلا :

ـ ... ان السادات رجل غاية فى الشجاعة ، ولقد غامر بحياته . ولو كنت أمثل شركة « لويد » للتأمين لرفضت أن أصدر له وثيقــة بالتأمين على حياته » (٤).

هوامش الفصـــل التاسع

(١) هذه القصة خيالية مائة فى المـــائة ، ولا اســـاس لها من الصحة . ويكفى القول بأن عدد الفلسطينيين المشتغلين بالسياسة الباقين فى القاهرة ، والذين لم يطردوا من البلاد أو يوضعوا تحت التحفظ ، لم يكن يزيد عن أصابع اليد الواحدة .

... ...

(٢) يقـــول دايان :

« .. سارت سياراتنا الى القدس فى موكب طويل . وكان معى فى سيارتى ، بطرس غالى ، وزير الدولة للشئون الخارجية ، وهو رجل نحيل ذو بشرة شاحبة وسحنة تنسم بالجـــدية . وكانت تلك أول مرة نلتقى فيها ، وكان يبـــدو عليه شىء من التوتر . ولكننى عرفت فيما بعد أن هذا التوتر لا يفارقه قط ، حتى وهو يبتسم . وفى طريقنا الى فندق « الملك داود » فى القدس ، لم نضيع وقتـــا طويلا فى تبادل عبارات المجاملة . فقد سألنى عن نشاطى فى ميدان البحث عن الآثار ، وقال لى أنه يمتلك مجمـــوعة من آثار العصر البطلمى . وسرعان ما تناولنا القضايا التى تحتل المقام الأول من اهتمامنـــا .

« تحدث غالى عن ردود الفعل الغاضبة ازاء مبادرة السادات

السلمية من جانب القادة العرب الآخرين ، الذين ادعوا أنه نسف الجبهة المتحدة التى كان العرب يأملون أن يواجهوا اسرائيل بها فى مؤتمر جنيف . وأكد غالى ان على مصر أن تتفادى عقد صلح منفرد معنا . مهما كان الثمن ، وانه ترتيبا على ذلك ، فان أى ترتيب يتم التوصل اليه يجب ان يشمل الفلسطينيين والأردن ايضا .

((وقلت لغالى اننى على علم بمعارضة العالم العربى لتحركات السادات ، وانفهم المشاكل التى يجب على مصر مواجهتها من جراء ذلك ، ولكنه فى حدود معلوماتى ، فانه لا يوجد أدنى أمل فى أن ننجح فى اجتذاب الأردن والفلسطينيين الى مائدة المفاوضات . وانه ، بناء على ذلك ، فان على مصر أن تكون على استعداد لتوقيع اتفاق سلام معنا ، حتى ولو لم يلحق بها الآخرون)) .

((أثار حديثى القلق بشكل واضح فى نفس غالى . فقد كان يؤمن بأن زيارة السادات سوف تحطم ((الحاجز النفسى)) وان طيبة قلب اسرائيل سوف تدفعها الى التراجع الى ما خلف حدود عام ١٩٦٧ ، وان الفلسطينيين والأردن سوف يشتركان فى التوقيع على اتفاقية السلام . وكان من الواضح أنه فسر ما قلته بوصفه الهدف الذى أسعى الى تحقيقه، وليس على أنه مجرد تقييم للموقف . فقال : اننى آسف جدا لأن تكون تلك هى نظرتك الى المشكلة . وبالرغم من استيائه ، فاننى لم ار ان هناك ما يدعو الى اسدال ستار من الضباب على حدود الواقع الواضحة . ولقد كنت أنا ايضا ، مثل السادات وغالى ، اود لو انه كان ممكنا عقد تسوية سلمية ليس مع مصر فقط ، بل مع كافة جيراننا . ولكنه كان من الواضح لى ، على اية حال ، ان الهوة التى كانت تفصل بين غالى وبينى كانت تتمثل اساسا فى مفهومه حول الثمن الذى يتعين على اسرائيل أن تدفعه فى مقابل السلام ، وهو : الانسحاب الكامل واقامة دولة فلسطينية)) .

((وقد تناولنا فى حديثنا ايضا مسألة منظمة التحرير الفلسطينية .

والمحت له انه من الأفضل الا يطالب السادات بأن تتفاوض اسرائيل مع هذه المنظمة . لأنه لو فعل ، فانه سوف يتلقى ردا بالرفض القاطع . ووعد غالى بأن ينقل ذلك الى رئيسه . وبالفعل، فانه عندما القى السادات خطابه فى الكنيسيت ، لم يحو هذا الخطاب اية اشارة الى منظمة التحرير الفلسطينية)) .

(دايان ، ((الاختراق)) ، ص ٧٧ ، و ٧٨)

... ...

(٣) يقدم دايان فى كتابه صورة أكثر تفصيلا لحفل الغداء هنا ، فيقول (دايان ، ((الاختراق)) ، ص ٧٩ و ٨٠) :

((كان أول اجتماع مع السادات شاركت فيه هو غذاء عمل أقيم فى اليوم التالى (لوصول السادات) . وكان عدد الحاضرين ستة فقط . وكان مع السادات : مصطفى خليل الذى كان يشغل آنذاك منصب الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى ، وبطرس غالى . أما بيجين فقد كان هناك ، بجانبى ، البروفيسير ايجال يادين ، نائب رئيس الوزراء . ودعا بيجين السادات كى يفتتح المناقشة . ووافق السادات ، وروى لنا انه زار الكرملين ٤ مرات ، وفى كل مرة كان مضيفيه من الروس يقولون له ان واجبات الضيف أن يكون أول من يتحدث . ولكن السادات سرعان ما استطاع أن يعيد الكرة الى ملعبنا حين قال : أنتم تعرفون فعلا كل ما أود أن أقوله ، فقد عبرت علانية عن وجهات نظرى فيما يتعلق بشروط عقد الاتفاق . وحاول يادين الالحاح عليه ، وسأله عما اذا لم يكن هناك شيء آخر ، بجانب ما أفضى به علانية ، يمكن أن يقوله لنا . وتدخل مصطفى خليل وقال اننا يجب ان نفهم انهم لا يريدون أن يخلقوا انطباعا بأن مصر تجرى مفاوضات مباشرة معنا . وكانت هذه الملاحظة موجهة الى بيجين الذى أعلن فى بداية حفل الغداء عن اقتراح باقامة ((خط تليفونى ساخن)) بين القاهرة والقدس ، يماثل ذلك الخط الذى أقيم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وحثنا مصطفى خليل ايضا ان لا نتقدم باى مقترحات يمكن أن توحى

بأن مصر تنتوى عقد سلام منفصل . ثم امسك بيجين بحبل الحديث وقال بعض الملاحظات العامة ، مفادها ان الوقت قد حان كى نقيم السلام ، وان المشكلات التى امامنا عديدة ومعقدة ، وانها لذلك يجب أن نحدد أسلوبا وآلية لسير المناقشات . وبدت على السادات ، عندئذ ، علامات خيبة الأمل . فهو لم يكن يريد اجراءات ، وانما كان يريد الجوهر ، ولم تكن أوراق العمل تثير اهتمامه ، كذلك فانه لم يكن يعتقد ان « الاستعدادات المناسبة » التى اقترحها بيجين كانت ضرورية » .

« كانت كلمات السادات واضحة تماما فى روحها ، ولكنها لم تكن تحوى معنى محددا . ما الذى كان يقترحه بالضبط وبشكل عملى ؟ . وسألته عما اذا يرغب فى مناقشة القضايا الجوهرية مثل القضية الفلسطينية او مرتفعات الجولان او عقد اتفاق مع الأردن ، الآن واثناء زيارته الحالية ؟ . وكان رده فى حزم بالايجاب ، وانه قدم الى القدس من اجل هذا الغرض بالضبط . وعدت أسأله : الا يرغب فى مثل هذه الحالة فى تحديد نظام اجرائى ، مثل اقامة هيئة مشتركة ، يمكن أن تستمر المباحثات عن طريقها ؟ . فأجاب بسرعة بالنفى ، فان مثل هذه الهيئة لن تكون لها اية ضرورة ، وان الأمور الجوهرية هى التى يجب أن نركز عليها اهتمامنا ، وانه يريد ان يعرف منا ما الذى نستطيع أن نقدمه ، وما الذى لا نستطيع ان نقدمه » .

« كان الرئيس المصرى غاضبا ، كما كان حبل صبرى على وشك النفاذ أيضا . وقلت له باقتضاب خشن انه اذا كان غرضه هو مناقشة القضايا الأساسية ، فان برنامج زيارته لا يسمح بالوقت اللازم لذلك ، لأنه يمتلىء بالاحتفالات والزيارات . (وبعد ان عدد دايان له فقرات برنامجه الحافلة بالمواعيد ، يسأله :) متى اذا يظن انه يمكن عقد مثل هذه المباحثات الجادة ، والتوصل الى اتفاق بشأن هذه القضايا الخطيرة ؟ » .

« ورق السادات بعض الشىء . وقال انه فى هذه الحالة فاننا يجب على الأقل ان نبدأ محادثات عملية توا ، وأن نواصلها بعد

عودته الى مصر . وقال ان المهم هو ان نذهب الى مؤتمر جنيف ببرنامج متفق عليـــه)) .

((وسالته : ولكن من هى الأطراف التى سوف تعد هذا البرنامج المتفق عليه ؟ . السوريون ؟ . الأردنيون ؟ . الفلســطينيون ؟ . الولايات المتحدة ؟ . ومرة اخرى ، فقد السادات اعصابه . ومرة أخرى لم تكن اجابته تتميز بالوضوح . قال : انا لا ابالى من هى هـــذه الأطراف ، ولا ابالي إيضا بمن يأتى الى المؤتمر . من يريـــد ان يحضر فأهلا به ، ومن لا يريد أن يحضر فليبق فى وطنه ، وسوف نواصل مباحثاتنا بدونه . كلمات عائمة غامضة . فلو كانت هناك حقا مباحثات مسبقة تفصيلية تؤدى الى اتفاق حول جميع القضايا، فما الحاجة اذن الى عقد مؤتمر جنيف .....)) . ((وانتهى غذاء العمل دون الوصول الى اية قرارات عملية . ولكن الهدف الذى كان السادات يسعى الى تحقيقه عن طريق زيارته كان قـــد أصبح واضحا . فقد كان يريد الحصول على رد فعل واضح منـــا ازاء خطته للســـلام ، التى كان سيقدمها الى الكنيسيت بعد ظهر هذا اليـــوم ...)) .

اما وايزمان ، فانه روايته لمـــا دار فى حفل العشاء هذا تمضى على النحو التالى :

((... عندما دخلت قاعة الاحتفالات ، احسست على الفـــور بشبوط العزم . فقد كانت المـــائدة أكبر مما يجب ، وكان المدعوون يجلسون متباعدين . كيف يمكن ان ادير حوارا من هـــذه المسافة الكبيرة ؟ . لم يول احد هذه التفاصيل ادنى عناية ، رغم ان اهمالا من هذا النوع يمكن ان يسبب إضرارا جسيمة)) .

((كان يبدو وكأن جميع الجالسين الى المـــائدة ــ المصريين والاسرائيليين معا ــ قد عادوا لتوهم من تشييع احدى الجنازات . فقد القت خطبة السادات فى الكنيسيت ظلالها الكئيبة على هـــذا اللقاء الأول حول مائدة الطعام بين القادة المصريين والاسرائيليين .

كانوا جميعا يحدقون فى اطباقهم وكأن السبب الوحيد الذى دفعهم للالتقاء معا بعد كل سنوات العداء هذه ، كان اختبار مقدرة الطهاة وبراعتهم . وكنت قد سمعت بالفعل ان السادات قد احضر معه طاهيه الخاص ، بل وحتى الكوب الذى يشرب منه . فهل كان ذلك مجرد عادة اعتادها ، او انها كانت تعكس فقدان الثقة فى الاسرائيليين ؟ . » .

« وحاولت أن اراقب السادات دون ان يلحظ ذلك . كان يبدو خائر العزم مقطوع الرجاء . وكان بيجين يجلس الى جانبه متوترا . وبدأ الاثنان وكأنهما قد تقوقعا داخل نفسيهما ، تقصى الأفكار التى تدور فى رأسيهما احدهما عن الآخر . كان خطابيهما يتسمان باثارة الملل . وكان الصمت الذى يلف المائدة ممتدا ومليئا بالدلالات » .

« كنا طوال كل هذه السنوات الماضية نقول انه لا يوجد احد نتحدث معه . وها نحن الآن قد وجدنا عربا نتحدث اليهم ، ولكن المشكلة انه كان يبدو أنه لا يوجد شىء نتحدث عنه » .

« وألقيت بنظرى على الجالسين بجوارى . كانت اعينهم تلتصق بأطباقهم ، وكانوا يبذلون جهدا كبيرا كى يبقوا رؤوسهم محنية الى اسفل » .

« لم تكن شهيتى مفتوحة للطعام . فهناك ولائم يكون الطعام فيها رديئا ، ولكن الصحبة فيها تكون ممتلئة بالود . وهناك ولائم على العكس من ذلك » .

« ثم ادركت انى كنت احدق فى المصريين وكأنهم قد قدموا من الفضاء الخارجى . ما الذى كنت أظنه فيما سبق ؟ . هل كنت أتوقع ان تختلف طريقة اكلهم وشرابهم عن بقية البشر العاديين . ووجدت نفسى أنتظر مترقبا أن أراهم وهم يمسحون أفواههم فى مفرش المائدة » .

(٤) يقول دايان فى تقييمه النهائى لزيارة السادات الى القدس:
« .. كان مجرد وجـود السادات فى القـدس ، عملا سياسيا ضخما ، بالرغم من أنه لم يجر اية مباحثات متعمقة أثناء اقامته . وقد عقد هو وبيجين اجتماعا هاما واحدا ، لم يتم تسجيل محضره. وفى هذا الاجتماع توصل القائدان الى الاتفاق على ثلاث مبادىء :
(١) لا حروب اخـرى بين البلـدين .
(٢) اعادة السيادة المصرية رسميا على شبه جزيرة سيناء .
(٣) نزع سلاح معظم سيناء ، مع ترك قوات مصرية محدودة تتمركز فى المنطقة المجاورة لقناة السويس ، وأن يشمل نزع السلاح هذا ممرى متلا والجـدى » .
(دايان ، « الاختراق » ، ص ٩١)

١٠

الـــزلـــزال

كالزلزال كان أثر زيارة السادات على اسرائيل • وسادت النشوة انحاء البلاد • وكتبت مئات الآلاف من الكلمات حول التعاون المقبل بين البلدين فى ميادين الزراعة والتجارة والصناعة والسياحة • ونشرت احدى شركات السياحة فى تل ابيب عشرات الاعلانات فى الصحف عن تنظيم رحلات لزيارة الاهرام والتنزه بالقوارب فى نيل مصر • واحتلت الاغانى التى تدور عن السلام المراكز الاولى فى قائمة الاغانى المفضلة • وعقدت الندوات والمناقشات العامة حول موضوعات مثل : « ما هى التغيرات التى سوف يجلبهـا الســلام ؟ » و « العلاقات الاسرائيلية المصرية » و « اندماج اسرائيل فى المنطقة » •

وكانت نشوة الفرح تتصاعد كل يوم • وقال « ايزر وايزمان » : « ان مزاج الرأى العام فى اسرائيل يتارجح ، مثل بندول الساعة ، بين الاحساس بقرب وقوع كارثة وبين الرغبة فى اقامة كرنفالات الابتهاج • وبالامس ، كان هناك شعور بقرب وقوع كارثة ، اما اليوم فانهم يقيمون كرنفالات الابتهاج » •

وفى مصر ، ادخلت تعديلات فورية على خط الاعلام والدعاية الرسمى · ولم يعد المذيعون فى اذاعة القاهرة يستخدمون كلمة « العدو » عند الاشارة الى اسرائيل ، واستبدلوها بكلمة « الخصم » · كذلك استبدل برنامج « صوت المعركة » اليومى فى اذاعة القاهرة ، ببرنامج آخر يدعى « رايات السلام » · كذلك كفت اجهزة الاعلام عن وصف « منظمة التحرير الفلسطينية بانها الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى »

وكان المصريون يخشون ان يهين الاسرائيليون الرئيس المصرى ، أو حتى يقدموا على محاولة لاغتياله · ولكن الجموع الغفيرة التى احتشدت فى شوارع القدس للترحيب بالسادات ، والتصفيق الحماسي الذى قوبل به فى « الكنيسيت » ، أقنعت المصريين بأن الاسرائيليين ليسوا بهذا القدر من السوء · وانهال سيل من برقيات التأييد الحماسية على مكتب رئيس الجمهورية · وكان أكثر الناس حماساهم المثقفون والكتاب الذين كانوا قد دعوا السادات ، فى عام ١٩٧٢ ، الى السعى للتوصل الى تسوية للنزاع بدلا من قبول وضع « تلقى فيه الدرجات الجامعية على رمال أرض المعركة »(١)

ولكنه كانت هناك ايضا اصوات معارضة فى مصر · وعلى سبيل المثال فقد قال « اسماعيل فهمي » ، الذى استقال من منصبه كوزير للخارجية احتجاجا على مبادرة السادات عن الرئيس المصرى : « انه يريد افتتاح مصحة نفسية لعلاج الاسرائيليين · ولكن هناك فرقا بين القيام بمبادرة احكم تدبيرها وطال التفكير فيها مليا ، وبين القيام باستعراض تليفزيونى » ·

كذلك ، استقال أيضا الدكتور « مراد غالب » ، سفير مصر فى يوغوسلافيا من منصبه احتجاجا على زيارة الرئيس المصرى للقدس ·

اما فى واشنطون ، فقد استمرت الحيرة والتردد · ذلك ان الدول العظمى ، كما قال اسماعيل فهمي « لا تحب المفاجآت » · وكان الرئيس

كارتر ومستشاروه يخشون أن تفسد زيارة السادات الخطة الامريكية لاعادة عقد مؤتمر « جنيف » • ولم يكن البيت الابيض ولا وزارة الخارجية قد تخليا بعد عن فكرة اعادة عقد هذا المؤتمر باشتراك الدولتين العظميين ودول المواجهة العربية وممثلين عن الفلسطينيين •

وكان الامريكيون يخشون ايضا ـ رغم انها لم يقولوا ذلك علانية ـ من اخراجهم من عملية التفاوض • فقد كان واضحا للقادة الامريكيين انه اذا لم تتوفر لديهم معلومات كاملة وموثوق بهـا عن كل ما يدور ، فانهم سوف ينقادون وراء الاحداث ، بدلا من السيطرة عليها(١) •

اما الروس ، فلا حاجة لان نقول ان حنقهم على السادات قد بلغ ذروته • فقد اصبح واضحا لهم انه لم يعد امامهم سبيل للتأثير على مفاوضات السلام • وخشيت واشنطون من أن يكون للتحرك المصرى تأثير سلبى على الوفاق •

كان السادات يتطلع ـ بأمل الحصول على بعض التأييد فى العالم العربى ـ الى المملكة العربية السعودية التى كان نفوذها السياسى والاقتصادى قد تصاعد كثيرا فى السنوات الاخيرة • ولذلك فانــه سارع ، فور عودته الى القاهرة من القدس ، بارسال تقرير عن زيارته الى رجل السعودية القوى ، الامير « فهد بن عبد العزيز » ، وذلك بأمل أن يؤدى تزويد السعوديين بشكل دائم بالمعلومات عما يدور الى توريطهم فى مبادرته •

ولكن رد الفعل من جانب السعودية اتسم بالفتور • وظلوا وقتـا طويلا لا يتخذون موقفا حاسما •

وأصدرت الحكومة السعودية بيانا عبرت فيــه عن اصرارها على الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ، وعلى الانسحاب الكامل الى حدود عام ١٩٦٧ ، وعلى اعادة شرقى مدينة القدس الى السيــادة العربية •

وهكذا ، فان السعودية لم تحرك اصبعا سواء لايذاء أو لمساعدة السادات(٣) ٠

وكانت جميع أطراف النزاع فى الشرق الاوسط تدرك جيدا ان السلام يتوقف على ايجاد حل لمشكلة الضفة الغربية ٠ وكانت هذه المنطقة ، التى ظلت اسرائيل تديرها منذ عام ١٩٦٧ ، يسكنها مئات الالوف من العرب ٠ ولكن كثيرا من الاسرائيليين ، وخاصة انصار « بيجين» ، كان ينظرون اليها بوصفها جزءا لا يتجزأ من أرض اسرائيل التاريخية ، والتى وعد اليهود بها فى الكتاب المقدس ٠ كذلك فقد كان لدى اسرائيل اسباب وجيهة تتعلق بالامن للتمسك بهذه المنطقة ٠

ولم يعد لدى السادات ، بعد رحلته الى القدس ، امل فى التعاون مع « منظمة التحرير الفلسطينية » ، والتى كانت اسرائيل ترفض ايضا اجراء أى اتصال معها ٠

وهكذا ، فقد اضطر السادات الى العودة الى أحد افكاره القديمة ، وهى اعادة الضفة الغربية الى السيادة الاردنية لفترة انتقال ٠

وطلب السادات عقد لقاء عاجل مع الملك حسين ٠ وتقابل الحاكمان العربيان فى شهر ديسمبر ١٩٧٧ ٠ وحاول السادات اقناع العاهل الاردنى بالمزايا التى سوف تعود عليه من وضع الضفة الغربية تحت السيادة الاردنية لفترة انتقال ، وقال للملك :

ـ « ان هذه المزايا تبرر قبول المخاطر التى يتضمنها المشروع » ٠

تردد الملك حسين ٠ وكان قد ساءه ان السادات لم يبلغه مقدما بعزمه على زيارة القدس ٠ كذلك لم يكن ملك الاردن راغبا فى أن يثير عليه غضب العالم العربى ، الذى كان ملوكه ورؤساءه قد اعلنوا فى مؤتمر القمة العربى فى « الرباط » ، ان حسين لا شأن له بالضفة الغربية ٠

لم يرفض العاهل الاردنى مقترحات السادات ، ولم يقبلها ايضا ،

وقبع فى عمان ينتظر أن تقوم اسرائيل ـ تحت الضغوط الأمريكية والمصرية ـ باصدار « اعلان بالمبادىء » يصلح لان يكون اساسا لاشتراك الاردن فى محادثات السلام •

وأصدر « حسين » بيانا امتدح فيه شجاعة الرئيس المصرى ، وأكد فيه ايضا ضرورة التضامن العربى • فقد كان العاهل الاردنى يخشى ان تفشل مبادرة السادات ، كما كان عليه ايضا ان يأخذ تهديدات سوريا ومنظمة التحرير فى الاعتبار (٢) •

وكانت اجتماعات الملك حسين السرية بالقادة الاسرائيليين قد بدأت قبل حرب ١٩٦٧ • وكان أول زعيم اسرائيلى يجتمع بالعاهل الاردنى ، هو « ايجال ألون » ، وزير العمل الاسرائيلى آنذاك ، الذى كان قد اعد مشروعا لحل مشاكل ادارة الضفة الغربية فى ظل السلام • وفى الاجتماع الذى عقده « آلون » مع حسين ، عرض عليه مشروعه ، مستعينا بخريطة حائط كبيرة لشرح نقاطه الجوهرية • وكان المشروع يهدف الى ضمان السيطرة الاسرائيلية على وادى نهر الاردن وعلى الممرات المؤدية الى الضفة الغربية ، مع التنازل عن الحكم الاسرائيلى لسكان الضفة •

وقد كان حسين صريحا ، الى أقصى حد ، فى محادثاته مع الاسرائيليين • فقد قال ـ مكررا ومؤكدا لموقفه الاساسى :

ـ « لكى اوقع اتفاقية سلام مع اسرائيل ، فلابد أن استعيد كل شىء •• وحتى آخر سنتيمتر مربع من الاراضى المحتلة ، وبما فى ذلك مدينة القدس ، بل وخاصة مدينة القدس » •

واضاف الملك انه اذا لم يكن الاسرائيليين راغبين فى اعادة كل شىء ، فان عليهم ان يبتلعوا كبرياءهم ويجروا المفاوضات مع « ياسر عرفات » ! •

وكان جميع القـادة الاسرائيليين تقريبـا قد اجتمعوا بالعاهـل الاردنى ، سواء كان ذلك فى « النقب » أو فى « تل ابيب » • وكان رئيس الوزراء الاسرائيلى السابق ، « اسحق رابين » ، قد اجتمع بالملك حسين ثمانى مرات على الاقل •

وقد اهدى الملك الى « آلون » سيفا وعباءه ، كما اهدى « ابا ابيان » قلما ذهبيا • اما هدية « رابين » الى حسين فقد كانت بندقية من انتاج المصانع الحربية الاسرائيلية •

وكان الاسرائيليون يقومون ، من وقت لآخر ، بعرض مشروع « آلون » على الملك الذى كان يكرر تأكيد موقفه •

وأخيرا كف القادة الاسرائيليون عن عـرض المشروع عنـدما قال رئيس الوزراء الاردنى « زيد الرفاعى » لوزير العمل الاسرائيلى :

ـ « ايجال ، انا لا أريد أن اسمع مزيدا عن مشروعك ! ثق انه لا فائدة ! » •

كما حذر الملك « رابين » من السادات قائلا :

ـ « سوف يخونكم السادات ، كما خاننى » •

وكان يقول دائما عن السادات « انه لئيم » •

ولكنه فى الوقت الذى كان ينصح فيه الاسرائيليين بعدم الثقـة بالسادات ، كان كثيرا ما يبلغ السادات بفحوى اتصالاته السرية مع اسرائيل •

وكان حسين قد توصل الى اتفاق سرى مع « آلون » بصدد مشروع طموح ، لم يتم بعد تحقيقه ، يقضى بحفر قناة تصل نهر الاردن بالبحر الابيض المتوسط ، تصلح لمرور السفن الخفيفة ، وتقام عليها محطات لتوليد الكهرباء • وكان من أهداف هذا المشروع منع نضوب البحر الميت الذى كان الجانبان يستخرجان منه الفوسفات والبرومين •

كذلك كان حسين قد نجح فى التوصل الى ترتيبات عديدة بشأن الضفة مع اسرائيل ، وذلك مثل الجسور المفتوحة لتنقل العرب والسائحين الاجانب ، واقامة علاقات تجارية عادية بين الأردن والضفة الغربية ٠٠٠ الخ ٠

ولكن « حسين » كان غاضبا على اسرائيل بسبب سماحها لمؤيدى منظمة التحرير بأن يشغلوا عددا من المناصب الهامة التى كان يتولاها انصاره فى الضفة الغربية ، وكذلك لعدم السماح له بالاشتراك فى الاتفاقيات الجزئية التى عقدت فى ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ٠

ولكن حكومة « رابين » كانت تخشى أن القيام بأى انسحاب على هذه الجبهة قد يستلزم اجراء استفتاء لا تستطيع ضمان نتائجه ٠

ورغم أن ملك الاردن كان أول حاكم عربى يجرى محادثات مباشرة مع اسرائيل ، ورغم تواصل هذه المحادثات ، فانه كان حريصا على الاحتفاظ بسريتها ٠

وقد بلغ غضب العالم العربى على السادات ذروته فى مؤتمر القمة العربى ، والذى انعقد فى شهر ديسمبر من نفس العام فى طرابلس بليبيا ، وذلك لمناقشة الطرق والوسائل اللازمة لاحباط المفاوضات المصرية الاسرائيلية ٠ وكانت الانقسامات والخلافات تمزق المؤتمر منذ بدايته ٠ وتبودلت الاتهامات الحادة بين العراق وسوريا ، وبين منظمات المقاومة المختلفة وبين القذافى وبقية المشتركين فى المؤتمر ٠

وانتهى المؤتمر الى حالة من الفوضى ٠ فقد غادره العراقيون احتجاجا على رفض مقترحاتهم ، كما تغيب « ياسر عرفات » عن حضور الجلسة الختامية ، وندب أحد مساعديه للتوقيع ، نيابة عنه ، على الاعلان المشترك ٠ وقد أعلن هذا « الاعلان المشترك » عن اقامة « جبهة رفض» (٢) ، وعقد معاهدة الدفاع المشترك بين جميع الأعضاء ما عدا العراق ٠ كذلك تم الاتفاق أيضا على تجميد

العلاقات الدبلوماسية مع مصر ، بالاضافة الى توسيع نطاق المقاطعة العربية لاسرائيل كى تشمل مصر أيضا • كما طالب المؤتمر بنقل مقر الجامعة العربية من القاهرة ، ومقاطعة اجتماعاتها حتى يتم تنفيذ ذلك •

وكان السادات قد استقر رأيه ، حتى قبل أن يقوم بزيارة القدس على أن يدعو لانعقاد مؤتمر فى القاهرة ، فور عودته من هناك • وكان قد أسقط بعض التلميحات بخصوص هذا الامر ، أثناء محادثاته مع « بيجين » ، ولكن أيا من الرجلين لم يناقشا الموضوع بجدية • فقد كان الافتراض السائد فى كل من اسرائيل والولايات المتحدة هو أن الخطوة القادمة هى الدعوة الى اعادة انعقاد مؤتمر « جنيف » •

ولكن الرئيس المصرى أصدر ، عقب عودته الى القاهرة ببضعة أيام ، نداءا بالدعوة لعقد مؤتمر فى القاهرة لوضع خطة عمل لمؤتمر جنيف • وحاول السادات اجتذاب بقية الدول العربية الى مائدة المفاوضات ، وذلك بأن قام بتوجيه الدعوة لحضور المؤتمر الى جميع الدول التى حضرت مؤتمر جنيف الاول •

ولكن السادات لم يكن من السذاجة بحيث يعتقد أن خصومه فى العالم العربى ، وروسيا كذلك ، سوف يلبون دعوته للقدوم الى القاهرة • فقد كان واثقا تقريبا ، منذ البداية ، ان اسرائيل فقط ، وربما الولايات المتحدة أيضا ، هما وحدهما اللذان سوف يوافقان على الاشتراك فى المسرحية التى يقوم فيها بدور مدير المسرح •

ولذلك ، فانه فى نفس الوقت الذى قام فيه باغلاق جميع مراكز الكتلة الشرقية الثقافية فى القاهرة ، وكذلك بقطع علاقات مصر الدبلوماسية مع جميع الدول العربية التى اشتركت فى مؤتمر طرابلس قام بفتح أبواب مصر على مصراعيها للصحفيين الاسرائيليين •

وبينما كانت أول مجموعة من الصحفيين الاسرائيليين تتجول فى شوارع القـاهرة ، فى شهر ديسمبر ١٩٧٧ ، كان وزير الخارجية الاسرائيلى « موشيه دايان » ، يزور المغـرب مرة أخـرى ، لعقـد اجتماع سرى ثان مع نائب رئيس الوزراء المصرى « حسن التهامى »

وكان الجو السائد فى هذا الاجتماع أفضل كثيرا من جو الاجتماع السابق • كمـا كانت المحادثات ، أيضـا ، صريحـة وفى صـميم الموضـوع •

وتقدم دايان بما أكده أنـه مجـرد « اقتـراح » وليس «عرضا»(٢) ويقضى باعـادة السيادة المصرية على شبه جزيرة سيناء بأكملها •

« واقترح » دايان أيضا اقامة منطقة منزوعة السلاح شرقى الممرات مباشرة ، والسماح للمستوطنات الاسرائيلية فى سيناء بالبقاء تحت علم الامم المتحـدة •

وختم « دايان » حديثه قائلا :

ـ اذا رفضتم هذا الاقتراح ، فسوف يتعين علينـا أن نفكر فى طريقـة أخرى » •

وكان « التهامى » قد قـدم وحده الى الرباط ، ولم يكن مهتمـا حتى بكتـابة مذكرات عن ما يدور فى الاجتماع ، على عكس مساعدى « دايان » الذين كانوا يدونون كل ما يقـال •

ولذلك فقـد كتب « دايان » على عجل قائمة بـ « الاقتراحات » ، وطلب من « التهامى » ايصالها الى السادات •

ورفض التهـامى • فقـد شـك فى أن يكون « دايان » يهدف الى أن يكون ذلك سابقة وتقليدا للاتصال عن طريق الرسائل ، بدلا من الولايات المتحدة •

وأخــذ « التهامى » يحــدق فى القائمة التى كتبها « دايان » ، ثم قال :

ـ « لست فى حاجة لايصال هذه القائمة الى سـيادة الرئيس • انني أستطيع أن أعطيك الاجابة على الفور » •

وأخذ ، وهو يشير بأصبعه الى الورقة ، يحدد الموقف المصرى من كل فقرة •

وكان الانطباع الذى خرج به « دايان » من اجتماعه مع « حسن التهـامى » هو أن اقتراحاته يمكن أن تستخدم كأساس للمفاوضات المقبلة •

وقــد حدث نقاش بينه وبين « التهامى » ، فيما بعد ، بصدد ماقيل فى الرباط ، وخاصة فيما يتعلق بمسألة الوجود العـربى فى مدينــة القــدس •

فقــد أبلغ « موشيه دايان » زملاءه فى مجلس الوزراء الاسرائيلى بــأن التهامى أصر على أن تنسحب اسرائيل انسحابا كاملا من شبه جزيرة سيناء •

ولكن « دايان » كما قال لمجلس الوزراء ، اتخذ موقفا صلبا فيمــا يتعلق بمسألة المستوطنات ، مؤكدا للتهامى أنه لا يرى أن هنــاك ما يحول بين المواطنين الاسرائيليين وبين الاقامة فى سيناء ، وموضحا له أن اهتمام اسرائيل بشبه الجزيرة قاصر على شئون الامن ، من أجل تجنب وقوع هجوم مفاجىء على اسرائيل •

وقال « دايان » انه قال للتهامى :

ـ « ان أى حل يضــــمن لنــا ذلك ، ســوف يكــون مقبــولا من جانبنا »(٤) •

وفى القــاهرة ، أدرك السادات أن تحــدى رفض اسرائيل السماح

لممثلى منظمة التحرير بالاشتراك فى مفاوضات السلام ، قد يؤدى الى نسف المبادرة برمتها •

ولذلك قرر الرئيس المصرى أن أفضل طريقة للاستسلام للرفض الاسرائيلى ، دون أن يكــون ذلك واضـحا ، هو تجنب التعـــرض للمشكلة •

ثم أرسل السادات ، عشية افتتاح مؤتمر القــاهرة ، رســالة الى « ياسر عرفات » ، يسأله فيها اذا كان يوافق على السماح لمنـدوبين فلسطينيين ، من أعضـاء منظمة التحرير ، بالاشتراك فى أعمـــال المؤتمر ، على أن يكون ذلك أساسا لبدء المفاوضات بين الجـانبين • وكانت اسرائيل قـد وافقت على ذلك دون ضجة •

واستطرد الرئيس المصرى يقول فى رسالته :

– « اننى أقترح عليك أن تقبل هذا العرض ، وأن تجعله بمثابة نقطـة الانطـلاق لك • وثق انه ، فيما بعـد ، سوف تسير الأمور كمـا يريـد العرب » •

ولكن « ياسر عرفات » رفض تلبية هذا النداء • وكتب يقـول فى رسالة خاصة الى السادات :

« يجب أن تتذكر أن المدافع السورية توجه فوهاتها الى نافـذة مكتبى • وليست هناك أية ضغوط سياسية يمكن أن تفوق مثل هذا النوع من الضغوط » •

وظلت القــاهرة تنتظر ، بعـد أن وجهت الدعوات لعقد المؤتمر ، طيلة ثلاثة أيــام دون أن يصلها رد رسمى على هذه الدعوات من أحـد •

وكان الصمت العميق يسود أيضا البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية •

... ...

تتوافق تلقي « بيجين » للدعوة لحضور مؤتمر القاهرة مع دخول الدكتور « الياهو بن اليسار » الى مكتبه · وكان المدير العام لمكتب رئيس وزراء اسرائيل قد أحضر بعض الاوراق لعرضها على «بيجين» وقال له « بيجين » :

– « ايلى ، سوف ترأس الوفد الاسرائيلى الى مؤتمر القاهرة » ·

وذهل « بن اليسار » · ولكن الواقع أن اختيار هذا الموظف الكبير الملتحى الانيق الملبس ، كان اختيارا حكيما · فقد كان « بن اليسار » بمظهره المهيب ولباقته ، وكونه بمثابة ممثل شخصى لرئيس الوزراء أصلح من يؤدى الغرض ·

ولكن الرئيس المصرى انتابه الغضب حين علم باختيار «بن اليسار» لتمثيل اسرائيل فى المؤتمر · فقد كان يأمل أن يقع الاختيار على شخصية أكثر أهمية · وشعر أنه ليس هناك أمل فى اجراء مفاوضات مجدية داخل مثل هذا الاطار ·

واستدعى السادات سفيره الى الأمم المتحدة،وخريج «السوربون» ، الدكتور « عصمت عبد المجيد » ، وعينه رئيسا لوفد مصر الى المؤتمر ·

ولم يكن واضحا للاسرائيليين ما الذى يريد المصريون مناقشته فى القاهرة · ذلك أن المصريين لم يكونوا يقولون شيئا فيما يتعلق بذلك ·

وقبل أن يغادر « بن اليسار » بلاده بوصفه أول ممثل اسرائيلى رسمى الى القاهرة ، سلمه « موشيه دايان » خطابا ، فهم « بن اليسار » بعد قراءته انه ليس أمامه فى القاهرة ما يفعله غير القليل الهين ·

فقد وضع « دايان » حدودا صارمة على حرية « بن اليسار » فى التفاوض ، كما حظر عليه معالجة الموضوعات الثلاث التالية :

* المشكلة الفلسطينية
* التنازل عن الأراضى
* اعادة عقد مؤتمر جنيف

كذلك فقد كان مطلوبا منه أن لايتناول بالمناقشة تفصيلات أية مسألة قد تؤدى الى ادخال دولة اسرائيل فى نزاع ما ٠

وهكذا ، فقد كان الموضوع الوحيد الذى ترك له حرية مناقشته مع المصريين هو : نص معاهدة السلام ٠

وكان هناك جو من التهيب يخيم على الاعداد لرحيل أول وفد اسرائيلى الى القاهرة ٠ فقد كان هناك شعور بأن أعضاء الوفد قد يتعرضون لخطر الاعتداء البدنى من جانب الفلسطينيين أو الليبيين أو العرب الآخرون الذين يعارضون مبادرة السادات ومن بينهم عدد كبير من المصريين ٠

ووعد المصريون بالتعاون الى أقصى حد فيما يتعلق بأمور الأمن ٠

وكان الوفد الاسرائيلى ، يضم بجانب رئيسه ، المستشار القانونى لوزارة الخارجية الدكتور « مائير روسين » ، وكذلك رئيس ادارة التخطيط التابعة لأركان حرب الجيش الاسرائيلى ، الجنرال « افراهام تامير » ، الذى كان يقصد من ضمه الى الوفد الايحاء الى المصريين بأن اسرائيل تتخذ ، حتى فى هذه المرحلة المبكرة ، الاجراءات اللازمة لمنع نشوب حرب بطريق الصدفة ٠

وكان « وايزمان » يخشى أن ينشب قتال نتيجة حدوث سوء فهم ما ٠ وقد أبلغ وزير الدفاع الاسرائيلى الجنرال « تامير » بأنه يوافق على اقامة خط تليفونى ساخن بين وزارتى دفاع البلدين ، وكذلك على تخفيض حجم قوات البلدين فى المناطق القريبة من الجبهة ،

بالاضافة الى موافقته على اجراء التدريبات والمناورات العسكرية بعيدا عن الخطوط الامامية .

وذلك أن « وايزمان » لم يكن قد نسى أن نائب رئيس وزراء اسرائيل كان يريد ، بسبب سوء فهم ، استدعاء جانب كبير من قوات الاحتياط قبل ٢٤ ساعة فقط من زيارة السادات لاسرائيل .

ولمدة يوم أو يومان ، عادت اسرائيل لتعيش تلك الساعات الرائعة التى مرت بها أثناء زيارة الرئيس المصرى .

وقع الاختيار على ثلاثة من طيارى شركة العال ، كانوا قد وقعوا فى أسر المصريين أثناء خدمتهم فى سلاح الجو الاسرائيلى خلال حرب أكتوبر ، ليقوموا بقيادة أول طائرة اسرائيلية تهبط فى مطار القاهرة .

وكتب على أحد جانبى الطائرة كلمة « السلام » بحروف كبيرة وباللغتين العبرية والعربية .

وفى الصباح الباكر من يوم ١٣ ديسمبر ١٩٧٧ ، أقلعت طائرة من طراز « بوينج » تابعة لشركة العال ، واتجهت الى مطار القاهرة .

هوامش الفصـــل العاشر

(١) فيما يتعلق برد الفعل الأمريكى ازاء زيارة الســادات القدس ، يقول كارتر :

((كانت زيارة الرئيس السادات الى القدس فى الفترة من ١٩ الى ٢١ نوفمبر ، والخطاب الذى القاه فى الكنيسيت من أخطر الأحداث الدرامية فى التاريخ الحديث . وقد إقمنا قداسا خاصا فى الصباح الباكر فى كنيسة ((فيرست بابتسيت)) فى واشنطون بهذه المناسبة ، وصليت فيه علانية من اجل السلام ، ثم تفرق المصلون كى يعودوا الى منازلهم لمشاهدة احتفالات الوصول على شاشات التليفزيون . وقد القى السادات خطابا عظيما حدد فيه بوضوح ما يطلبه العرب من اجل تحقيق تسوية ســلمية . ولكن معانى كلماته كانت تخفيها حقيقة إنه يقف هناك وحيدا ، امام اعــدائه القدماء ، مادا اليهم يده بغصن الزيتون . وكان ترحيب الاسرائيليين به كبيرا حقــا ....)) .

ويمضى كارتر ناقلا عن يومياته قائلا :

((.. لم تصلنا بعد اية تقارير من سفيرينا فى مصر واسرائيل، كما لم يصــلنا شىء من الرئيس (المصرى) أو رئيس الــوزراء (الاسرائيلى) . وهناك حيرة عامة فى منطقة الشرق الأوسط حول

ما يجب أن نفعله ، على وجه التحديد ، بعد ذلك . كما ان نفس الحيرة تسود البيت الأبيض ــ اليوميات ، ٢٣ نوفمبر ١٩٧٧)) .

((ماذا بعد ؟ . لم يكن هنـاك وقت لاستشارات مسـبقة او ترتيبات لمباحثات مقبلة . وفى نشوة اللحظة ، لم يبد من الملائم أن نعود الى المناقشات التى عفا عليها الزمن حول كيفية ترتيب عقد مؤتمر السلام ، أو ما هى الأطراف التى سـوف تحضره . وكان الافتراض الذى لم يتغير هو اننا جميعا سوف نمضى قدما ، فى وقت ما ، نحو عقد مؤتمر متعدد القوميات فى جنيف . وقـد ابلغنى الرئيس الرومانى تشاوشيسكو ورئيس الوزراء الفرنسى ريمون بار أنهما سوف يعملان على حث العرب الأكثر راديكالية على ابداء قدر أكبر من التعاون . وكان السادات يريد أن ينقل مؤتمر السلام المتعدد القوميات الى القاهرة . ولكنه حين أصبح واضحا ان أحدا لن يحضر ، اقترح فى النهاية عقد مؤتمر فى القاهرة للاعداد لمؤتمر جنيف)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٢٩٧ و٢٩٨).

ولكن الرئيس الأمريكى السابق يقول ايضا إنه عندما التقى بشاه ايران المخلوع لأول مرة فى نوفمبر ١٩٧٧ حثه على تأييـد السادات ((وهو ما فعله ، ولكنه حـذرنى أن لا أتوقع أن يرضى السـعوديون عن الزيارة . وفعلت كل ما استطيع لاقناع القـادة الأجانب بالامتناع عن ابداء الانتقادات حتى يمكن تقييم نتائج زيارة السادات)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٢٩٦) .

... ...

(٢) يقول كارتر فيما يتعلق بموقف الدوائر الحاكمة فى المملكة العربية السعودية ازاء سياسة السادات :

((فى ٣ يناير (١٩٧٨) أجرينا مباحثات مثمرة الغـاية مع السعوديين برئاسة ولى العهد الأمير فهد .... وقد عرضت عليهم الخطوط العريضة لموقفنا ازاء مشاكل الشرق الأوسط ، ووجـدت من السعوديين اذانا صاغية وروحا بناءة . وقد عبروا عن تأييدهم

القاطع للسادات ، لأنهم يرغبون فى اقرار السلام والاستقرار فى المنطقة • ولكنهم اكتفوا بمجرد الابتسام عندما الححت عليهم ان يجعلوا تأييدهم هذا معروفا عن طريق تصريحات علنية • فلم يكونوا راغبين فى اغضاب العرب الأكثر تطرفا)) (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٠١) •

... ...

(٣) فيما يتعلق بموقف الملك حسين ، فان الرئيس الأمريكى السابق يقول انه عندما اجتمع به فى طهران ليلة رأس السنة (٣١ ديسمبر ١٩٧٧) تناقش هو والشاه المخلوع معه حول زيارة السادات الى القدس • ويقول كارتر نقلا عن يومياته :

((اتفق ثلاثتنا على انه يجب علينا تأييد السادات ، وان يكون قرارى الأمم المتحدة رقمى ٢٤٢ ، و٣٣٨ هما اساس التسوية السلمية فى الشرق الأوسط ، وعلى انه يجب اجراء تعديلات طفيفة فى حدود ١٩٦٧ الاسرائيلية ، وعلى انه يجب منح سكان منطقة الضفة الغربية وغزة حق تقرير المصير ، ولكنه لا يجب اعطائهم حق ادعاء الاستقلال ••• وقال كل من الشاه والملك حسين انهما يرغبان فى زيارة المملكة السعودية ومصر ، بعد أن افعل انا ذلك ، من اجل التعبير عن تأييدهما للسادات ــ اليوميات، ١ يناير ١٩٧٨)) • (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٠٠) •

(٤) اغلب الظن ان المؤلفين يشيرون الى البيان الذى عرف بـ ((بيان توفيق الحكيم)) ، والذى صدر فى أوائل عام ١٩٧٣ وليس فى عام ١٩٧٢ ، كما يقول النص المترجم • ولما كنت واحدا من الذين اشتركوا فى صياغة هذا البيان وفى جمع التوقيعات عليه ، فاننى واثق من انه لم يكن يدعو الى ما يوحى به المؤلفون • ويكفى للتدليل على ذلك ، انه من بين نحو ١٥٠ كاتبا ومثقفا وقعوا البيان، لم يؤيد مبادرة السادات منهم سوى ثلاث كتاب ، هم ، على وجه التحديد : توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت اباظة •

... ...

(٥) اعلن مؤتمر القمة العربى الذى انعقد فى طرابلس فى ديسمبر ١٩٧٧ ، اقامة « جبهة الصمود والتصدى » وليس « جبهة الرفض » ، كما يقول النص المترجم .

(٦) الفرق بينهما هو أن « الاقتراح » يتم تقديمه بفرض التفاوض بشأنه فقط ، ومن حق من قدمه ان يسحبه فى حالة رفضه من جانب الطرف الآخر ، بينما يلتزم مقدم «العرض» به ، حتى فى حالة رفضه .

... ...

(٧) يقول دايان ان الاجتماع السرى الثانى الذى تم بينه وبين التهامى قد عقد بناء على طلب من السادات ، وتم توصيله الى الجانب الاسرائيلى عن طريق سفارتى الولايات المتحدة فى القاهرة وتل ابيب . ويحدد دايان موعد هذا اللقاء بيومى ٢ و ٣ ديسمبر ١٩٧٧ . ويقول دايان ان الاجتماع الأول فى هذا اللقاء الثانى الذى عقده دايان لم يسفر الا عن تعهده بوضع ورقة توضح رأى اسرائيل بشأن الأساس الذى تقوم عليه معاهدة السلام بين البلدين . ويستطرد دايان قائلا إنه فى الاجتماع الثانى الذى عقد صباح اليوم التالى ، سلم التهامى الورقة التى تعهد باعدادها ، التى كان من المفروض أن تكون المحور الأساسى الذى تدور حوله هذه المباحثات التى حضرها الملك الحسن الثانى .

ويمضى دايان قائلا :

« .. وقبل ان نبدأ المناقشة ، قلت لهما ان رئيس الوزراء بيجين يقوم باعداد مشروع حول موضوع الفلسطينيين ، وانه سوف يقدمه الى الرئيس السادات بعد ان ينتهى منه وبعد موافقة مجلس الوزراء عليه . ولكننى ، على اية حال ، استطيع ان اؤكد لهما ان هذا المشروع سوف يدخل تغيرات بعيدة المدى فى الوضع الحالى القائم فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وان هذه التغيرات سوف تمكن العرب الفلسطينيين من التمتع بالحكم الذاتى وبحق تقرير المصير . ولكن المشروع لن يتضمن اقامة دولة فلسطينية مستقلة فى هذين القطاعين ، ولن يتضمن ايضا انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية او السكان الاسرائيليين المدنيين منهما . اما بشأن القدس ، فاننا نعتبرها قضية منفصلة ، ونعتقد انه يمكن

التوصل بشأنها الى حل يرضى جميع الأطراف : عربا ، ومسيحيين ويهـودا)) .

((وكانت ورقتى توضح بجلاء ان الأفكار المتضـمنه فيها ترتكز على افتراض عقد معاهدة سلام كاملة بين مصر واسرائيل ، تؤدى الى تطبيع كامل للعلاقات بين الدولتين ، وان ما نعنيـه بالتطبيع هـو ان تحوى هـذه المعاهدة بنـودا تنص على تبـادل التمثيل الدبلوماسى والثقافى ، وحرية المرور ، وتبادل العلاقات التجـارية والسياحة . كذلك فان من بين الافتراضات الأخـرى التى ترتكز عليها نظرتنا ان يتم عقد هـذه المعاهدة بسرعة فى ظرف شهرين أو ثلاثة أشهر ، وان لا يكون عقدها مشروطا بعقد معاهدات سلام اخرى بيننا وبين الدول العربية الأخرى ..... واخبرت التهامى والملك ان الآراء التى أعرضها عليهم لم يجر التصديق عليها من قبل الكنيسيت ، ولكن الهدف من اجتماعنا ، كما تم الاتفـاق مع رئيس الوزراء بيجين ، هو معرفة رد الفعل المصرى ازاء هذه الآراء . فاذا كان رد الفعل هذا ايجابيا ، فسوف تتم صياغة هـذه الآراء فى عرض محـدد ، واذا تمت الموافقة على هذا العرض من جانب مجلس الوزراء ، فسوف ندخل فورا فى مباحثات عملية حول هـذا العرض مع الحكومة المصرية . اما اذا رفضت مصر هـذه الآراء فسوف يتعين على اسرائيل ، عندئذ ، ان تعيد تقييم موقفها)) .

((وكانت الآراء التى تضمنتها الورقة ترتكز على التزامين تعهد بهما الرئيس السـادات لرئيس الوزراء بيجين اثناء محادثاتهما فى القـدس ، وهما : انه اذا انسـحبت اسرائيل من سـيناء فان السادات سـوف يعلن ان مضايق شرم الشيخ تعتبر من الممرات الملاحية الدولية ، وان يتم نزع سلاح كل المنطقة الواقعة شرقى ممرى متلا والجـدى ...)) .

((... وعنـدما فرغ الملك والتهامى من قـراءة واعادة قراءة الورقة ، اخذا يلقيان الأسئلة ويعبران عن ردود فعلهما . والغريب ان الشـعور بالحرج كان هو السمة الواضـحة للأسئلة وردود الأفعال تلك . فقد بدا ــ لا على الملك فحسب ، بل على التهامى

أيضا – مظاهر واضحة لفقدان الثقة ، بعد ان كان الاحساس بالثقة هو الذى يميز موقفهما فى الاجتماع السابق . وكان واضحا انهما تأثرا بقوة من ردود الفعل الغاضبة من جانب الدول العربية ازاء زيارة السادات لاسرائيل ، وكذلك من ردود الفعل المماثلة داخل مصر ، والتى تمثلت ، على سبيل المثال ، فى استقالة وزير الخارجية اسماعيل فهمى . فحتى فيما يتعلق بأسئلة اجرائية ، مثل الهدف من عقد مؤتمر القاهرة للسلام الذى كان من المقرر عقده بعد ١١ يوما ، لم يستطع حسن التهامى تقديم اجابات واضحة . وكان يعتذر بأنه كان بعيدا مدة عدة أيام عن القاهرة ، وانه لذلك لم يكن مطلعا على أحدث التطورات . وقال انه يعتقد ، على اية حال ، اننا يجب ان نواصل مباحثاتنا السرية فى المغرب ، ورجانا ان لا نخطر الولايات المتحدة بمباحثاتنا هذه حتى تتم تسوية كل الخلافات القائمة بيننا . وكانت النقطة التى تثير قلق كل من التهامى والملك هى ان يكون ما نريده هو عقد اتفاق سلام منفصل . فقد كانا يؤمنان ان نستطيع احراز أى تقدم فى المحادثات المصرية – الاسرائيلية الا اذا اجرينا محادثات مماثلة مع دول عربية اخرى » .

« أما انا ، فقد بقيت صامدا . وطفقت أسأل التهامى عما اذا كانت مصر على استعداد لعقد اتفاق سلام معنا حتى ولو لم تحذ البلدان العربية الأخرى حذوها . واستشهدت بالدعوة التى وجهها السادات الى البلدان العربية لحضور مؤتمر السلام فى القاهرة ، وكيف رفضت سوريا والأردن ومنظمة التحرير قبول هذه الدعوة . ثم سألت : ما الذى يحدث بعد ذلك ؟ . وأجاب التهامى بأن علينا ان ننتظر ما يحدث من تطورات ، وانه اذا أصرت الدول العربية على رفضها الالتحاق بعملية السلام ، فانه يعتقد انه يمكن خفض مستوى الوفود المشتركة فى مؤتمر القاهرة ، وانه يتعين مواصلة المباحثات المصرية – الاسرائيلية على مستوى عال ، وبشكل سرى ، وفى مكان آخر غير القاهرة ، واننا سوف نكون فى موقع افضل لتقرير ما نفعله بعد ان تتضح مواقف الاتحاد السوفيتى والدول العربية ، وانه فى الظروف الحالية ، فانه لا يمكن التفكير فى

عقــد اجتماع بين بيجين والسادات . وحاولت ان نصــل ، على الأقل ، الى تسوية بعض القضايا التى تهم مصر واسرائيل وحدهما . واقترحت ، على ســبيل المثــال ، ان تقــوم دوريات مصرية ـــ اسرائيلية مشتركة بالاشراف على نزع سلاح منطقة سيناء . وقال التهامى انه ناقش هــذا الموضوع مع السادات ، وان ما اقترحته ليس ممكنا . وكان ذلك هو موقفه ايضا فيما يتعلق بالمســتوطنات الاسرائيلية فى سيناء .... » .

« ... وبعد مناقشة الورقة التى قدمتها ، اخرج التهامى ورقة مكتوبة بالعربية بخط اليد ، وبدا يقرا بصوت عال ، محددا الموقف المصرى . ولمــا طلبت منه ان يعطينى اياها ، كمــا اعطيته انا ورقتى ، قال إنه لا يســتطيع إن يفعل ذلك ، حيث انها وثيقــة خاصة اعطاها له الرئيس السادات » .

« وكانت الوثيقة المصرية تحوى اربعة نقاط . وكانت النقطــة الأولى تقضى بان الاتفاق الذى سوف نتوصل اليه يجب ان يتضمن تسوية النزاع مع كافة الدول العربية الأخرى ، وانها لذلك لا يجب تقديمها بوصفها اتفاقية ثنائية ... » .

« ... وكانت النقطة الثانية تعالج نوع ضــمانات الأمن التى يجب توفيرها لاسرائيل فى سيناء وفى الجبهات الاخــرى مع جيران اسرائيل . واقترحت مصر ان يتم توفير ذلك عن طريق قوات دولية او امريكية ... » .

« ... وفيما يتعلق بسيناء والحدود المصرية ـــ الاسرائيلية ، كانت مصر ترى انه من الضرورى عقد مباحثات تفصيلية حولها ، والتوصل الى اتفاق مكتوب حول كل ياردة مربعة ... » .

« ... واخيرا ، كانت وثيقة التهامى تطالب بمعرفة مقترحات اسرائيل بصدد التعاون مع مصر ، سريا كان ام علنيا . وعلى سبيل المثال ، كنت قد اقترحت مساء امس ان تقوم مصر بالحاق احــد دبلوماسييها فى السفارة الأمريكية فى اسرائيل . وقال التهامى انه من الغريب ان وثيقته تحتوى اقتراحا مماثلا ـــ اى ان تقوم اسرائيل

بالحاق أحد دبلوماسييها فى السفارة الأمريكية فى القاهرة)) .

(دايان ، ((الاختراق)) ، ص ٩١ — ٩٦)

وفيما يتعلق برد السادات على المقترحات الاسرائيليـــة السالفة الذكر ، يقـــول دايان انه سأل وزير الخارجيـــة الأمريكية آنذاك سيروس فانس ، والذى زار اسرائيـــل عقب زيارة قام بها الى القاهرة — سأله عن رد فعل السادات ازاء هذه المقترحات :

((ران صمت محمل بالحرج لعدة دقائق . ثم قال أحـــدهم (أى احد أعضاء الوفد الأمريكى) وهو يختار كلماته بعناية فائقـــة ، انه قد تولد لديهم الانطباع ، أثناء مباحثاتهم مع الســـادات ، بأنه يقبل مقترحاتنا بوصفها تمثل نقطة انطلاق للمفاوضات التى يجب أن تبحثها بالتفصيل . وأحسست بالارتياح البالغ ، واختلست النظر الى كاتب محضر الجلســـة ، كى أتأكد من قيامه بتسجيل هـــذه النقطـــة)) .

(دايان ، ((الاختراق)) ، ص ٩٩)

١١

يـد الـزمـن

استقبلت رياح الشتاء العاصفة أول مجموعة من الاسرائيليين تهبط فى مطـار القـاهرة الدولى • وكان البرد قارسا ، والاستقبال ذاته متواضعا • فلم يكن هناك غير حفنة من الصحفيين وصغار الموظفين هى التى وقفت لتشهد هذا الحدث التاريخى • وأحاطت مجموعـة كبيرة من الجنود ورجال الامن بطائرة شركة « العـال » • ولم يجـر ترحيب أو تبادل للتحيات • ولولا حالة الانفعـال التى كانت تسود المجموعة ، لاعتبروا ذلك اهانة موجهة اليهم •

وظلت القاهرة هادئة باردة ، وأسطول الأتوبيسات الصغيرة يشق شوارعها المتربة فى طريقه الى فندق « مينا هاوس » ، الذى يرقـد فى ظـلال الاهرامات • وكان عواء عربات الشرطة العصبى هو وحده الذى يشير الى مجوعة الزوار الغرباء الذين كانوا يشاهدون القـاهرة للمرة الاولى فى حياتهم • وكان المئات من رجال الشرطة يقفـون متلاصقين على الطريق الذى تحف به الاشجار والـذى يؤدى الى الفنـدق • كمـا وضعت حراسة مكثفة ومحكمة على بوابة الفندق الانجليزى الطـابع •

... ...

حالما وجه السادات الدعوة الى اسرائيل لحضور مؤتمر القاهرة حتى سارع الصحفيون الاسرائيليون بالبحث عن طريقة لدخول مصر • ولما لم تكن هناك رحلات جوية مباشرة بين تل أبيب والقاهرة ، فقد طار معظمهم الى القاهرة عن طريق أثينا •

وكان من بين هذه المجموعة السالفة الذكر ، « ايحود يعارى » ، مدير الشئون العربية بالتليفزيون الاسرائيلى (وأحد الثلاثة الذين اشتركوا فى تأليف هذا الكتاب) الذى غادر البلاد ـ وبصحبته المخرج التليفزيونى « أليكس جيلادى » ـ دون الحصول على اذن صريح من المدير العام للاذاعة والتليفزيون •

وعندما أوشكت الطائرة الامريكية الضخمة على الهبوط ، أرسل الرجلان رسالة قصيرة الى احدى المضيفات تقول :

« نحن صحفيان اسرائيليان ، ولكننا لا نتوقع حدوث أية متاعب بصدد دخولنا الى مصر • ولكننا نرجو ابلاغ قائد الطائرة ، كى يضع ذلك فى اعتباره » •

وفى المطار ، وضع الرجلان جوازى سفرهما الازرق ـ والذى يحمل شعار دولة اسرائيل ـ على طاولة ضابط الجوازات • كان الاثنان يرتعشان من الانفعال • وأمسك الضابط ، بلا مبالاة ، بجوازى السفر ، ثم فحصهما ، وقال وهو يبتسم ابتسامة عريضة :

ـ « أهلا ، أهلا ! »

وصهرت التحية الدافئة التوتر الذى كان يسود الجو •

ولوح الضابط بجوازى السفر وهو يصيح :

ـ « لقد وصل الاسرائيليون ! »

وخيم الصمت برهة على صالة الوصول • ثم انفجر التصفيق •

... ...

كانت هناك مجموعة كبيرة من ضباط المباحث العامة (يطلق عليهم الآن ضباط مباحث أمن الدولة) ترافق الصحفيين الاسرائيليين في جولاتهم في القاهرة • وكان هؤلاء الضباط يلعبون دور الحراس والمرشدين والمراقبين في آن واحد•وكانوا يقومون ، كل ساعة ، بابلاغ رئاستهم بادارة مباحث أمن الدولة تليفونيا بتحركات الصحفيين الاسرائيليين ، كما كانوا يكتبون أيضا تقارير يومية تفصيلية • ورغم أن هؤلاء الضباط كانوا يتميزون بتدريبهم الممتاز ، وبالهدوء والأدب الجم ، ورغم أنهم كانوا يساعدون الصحفيين الاسرائيليين على كسر الحواجز الورقية والبيروقراطية في مختلف الادارات الحكومية ، فانهم كانوا ــ وفقا لتعليمات قيادتهم ــ يحدون أيضا من حرية هؤلاء الصحفيين • وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان هؤلاء الضباط هم أقرب ممثلين للشعب المصري للصحفيين الاسرائيليين • وكانوا يحاولون ، عن طريق الاحاديث المطولة والسلوك المتسم بالمجاملة ، أن يكسبوا هؤلاء الصحفيين الى جانب بلادهم ، وأن يحولوا بينهم ، أيضا ، وبين مواجهة الجوانب السلبية ، مثل أعداء السادات السياسيين ، ومظاهر البؤس والمعاناة في الأحياء الفقيرة • وكانوا يحرصون كذلك على أن يسلك كل من يتصل بالصحفيين الاسرائيليين السلوك الواجب •

ولقد أدرك الصحفيون ، عن طريق هؤلاء الضباط ، ان مصر لازالت دولة بوليسية ، حتى بعد الاجراءات الليبرالية التي أدخلها السادات • فقد كان ابراز بطاقة الشرطة كافيا لصنع المعجزات والأعاجيب أينما كان ذلك ضروريا • بل انه حتى كبار الصحفيين المصريين والموظفين الحكوميين كانوا يعاملون هؤلاء الضباط باحترام وتوقير بالغين • فلم يكن هناك من يريد الدخول في متاعب أو مشاكل مع هؤلاء بالذات •

ولم يشارك الجمهور الاسرائيلي الصحفيين الاسرائيليين في القاهرة

خبراتهم الأولى فى هذه المدينة ، حيث أن الحكومة الاسرائيلية منعت اذاعة البرامج التى كان يرسلها « يعارى » و « جيلادى » عن طريق القمر الصناعى ٠

وكان « موشيه دايان » غاضبا على الصحفيين الاسرائيليين بسبب تسرعهما فى الذهاب الى مصر ٠ وقد ادعى أن الصحفيين قد أفسدا جو المفاوضات ، وطالب باعادتهما فورا الى اسرائيل ، لتقديمهما الى المحاكمة ٠ كذلك زعم « دايان » فى اجتماع لمجلس الوزراء أن وصول الصحفيين الاسرائيليين قد أحرج الحكومة المصرية ٠

وتبع ذلك عاصفة ، استمرت يومين من النقاش والتهديد بالاضراب والضغوط المضادة ٠ وقد كان النقاش غريبا ٠ فقد كانت الحكومة المصرية تبذل كل جهدها من أجل تسهيل الاذاعة مباشرة من القاهرة، بينما كانت الحكومة الاسرائيلية تعارض فى ذلك ٠

وفى النهاية ، تراجعت الحكومة ٠ وبلغ عدد أولئك الذين شاهدوا البرامج الأولى المرسلة من القاهرة أرقاما قياسية ٠ وأحدثت مناظر أقواس النصر ولافتات الترحيب والمظاهرات السابقة الاعداد أثرا طيبا فى الجمهور الاسرائيلى ٠

ولم تكن المظاهرات المشار اليها تلقائية ، وانما كان يتم اعدادها وتنظيمها فى أماكن العمل ٠ ورغم أن العاملين فى الحكومة لم يتم اجبارهم ، نظريا ، على الاشتراك فى المظاهرات ، فان مجرد اشتراك رؤساءهم فيها كان كافيا ٠ ولكنه كان هناك ، مع ذلك ، قدر ما من الاخلاص والفرحة الحقة فى هذه المظاهرات ٠ فقد كانت فكرة السلام تمس وترا حساسا فى نفس المواطن المصرى العادى رغم انها لم تكن تلهب خياله أو تشعل حماسه ٠ كما كان جهاز الاعلام القومى يعمل بكامل طاقته من أجل القيام بغسيل مخ الجماهير ، وذلك بموالاة التكرار الذى لا يتوقف وبأسلوب رتيب

لأفكار السادات • هذا بالاضافة الى أنه فى نظام شمولى مثل ذلك القائم فى مصر ، فان الجماهير تطيع ما تمليه السلطة بدافع من الحذر الغريزى • ومع ذلك ، فان السادات لم يكن ليستطيع أن يغير أفكار الجماهير على هذا النطاق الواسع بمجرد الضغط على زرار • ولقد كان التحول فى الرأى العام من الحدة بحيث أنه لا يمكن أن يكون نتيجة لاملاء من جانب القلة •

وعلى أية حال ، فان السلام كقيمة أخلاقية ، وبوصفه أيضا يمثل النهاية لحرب منهكة والخلاص من الأزمة الاقتصادية ـ لقى استجابة واسعة النطاق فى مصر • وقد أحس الصحفيون الاسرائيليون ، فى بعض الأوقات أن السلام ـ على النحو الذى يفهمه المصريون ـ ليست له علاقة باسرائيل ، وانه على الرغم من الاستقبالات الحارة والمظاهرات الحماسية ، فانه لا يزال هناك العديد من التحفظات فيما يتعلق باسرائيل والاسرائيليين •

وكان الصحفيون المصريون يطاردون الصحفيين الاسرائيليين لاجراء الأحاديث الصحفية معهم • وكان كل ما يهم الصحفيين المصريين هو الحصول على تأكيد من الصحفيين الاسرائيليين بوجود رد فعل ايجابى فى اسرائيل تجاه مبادرة السادات • وكانت اجابات الصحفيين الاسرائيليين تعاد كتابتها قبل نشرها ، هذا اذا لم تحذف كلية • أما التسجيلات الاذاعية فقد كان يتم « طبخها » (أى ادخال التعديلات عليها عن طريق عمليات المونتاج) قبل اذاعتها •
وكانت أية اشارة الى ضرورة قيام كل من الطرفين بتقديم التنازلات تحذف كقاعدة • وكان الخط الذى تركز عليه أجهزة الاعلام المصرية هو أن اسرائيل ، مثل مصر ، قد أرهقتها الحرب ، وان زيارة الرئيس المصرى كان لها وقع الزلزال على الرأى العام الاسرائيلى ، الذى يضغط على حكومته من أجل أن تعدل عن سلوكها المعوج •

لم يدخر المصريون جهدا كى يحولوا بين الاسرائيليين وبين رؤية الجانب القبيح فى القاهرة ، ومن أجل تقديم مصر فى ضوء ايجابى فى أجهزة الاعلام الاسرائيلية ، التى كانوا حريصين على أن لا تقوم بتصوير مصر وكأنها تشحذ السلام • وكان السادات يؤكد ذلك فى كل خطاب يلقيه ، وكان مرافقوا الصحفيين الاسرائيليين يرجونهم أن يصدقوه ، وأن يثقوا أن مصر تعرض السلام على اسرائيل بدافع من الكرم والثقة بالنفس والامتياز الخلقى •

وكان بعض رجال الأمن الذين يرافقون الصحفيين الاسرائيليين يعتبرون اهتمامهم بالجانب الاكثر اظلاما من الحياة فى مصر تصرفا تنقصه اللياقة • وقد قال أحد موظفى مصلحة الاستعلامات المصرية لصحفى اسرائيلى :

– « عندما يمد أحدهم يده اليك كى تصافحها ، فانك لا تفحص يده لترى اذا كان قد قلم أظافره أم لا ! » •

ولكن كل ذلك كان بلا جدوى • ذلك أن الصحفيين الاسرائيليين لم يقدموا الى مصر لمجرد تغطية محادثات السلام ، وانما أيضا من أجل « فتح » مصر للرأى العام الاسرائيلى كى يشاهدها بشكل أكثر وضوحا • ولذلك فقد رفضوا باصرار أن يغرقوا فى بحر الرحلات السياحية المنظمة • وقد كان أمامهم ، فى الواقع ، فرصا عديدة للتعرف على البلاد • وقد صدم الاسرائيليون لرؤية مدى الفقر الذى تعانيه الأغلبية الساحقة من المصريين ، ومن العراقيل البيروقراطية وباقى مظاهر التخلف • وقد رفض بعضهم أن يصدق أن هذه هى نفس الامة التى عبر جيشها قناة السويس فى أكتوبر ١٩٧٣ •

ولم يكن فى كتابات الصحفيين الاسرائيليين ما يولد حس احترام لمصر التى بدت بلدا غريبا تعسا •

وقـد كانت تلك مرحلة حتمية فى عملية التقارب ·

ومن أجل منع الصحفيين الاسرائيليين من رؤية جانب مصر المظلم ، حدت السلطات المصرية من حريتهـم على الحـركة خـارج الفنـدق · وفى نفس الوقت ، لم تدخر هذه السلطات جهـدا من أجل جعل اقـامتهم داخل الفنـدق مليئة بالراحة والامتاع : وجبـات الطعـام الأوروبية المجـانية ، والاستعراضات الغنـائية والرقص الشرقى فى المسـاء ·

لم يكن لمؤتمر القـاهرة أهمية سياسية تذكر · وقـد أدرك مئات المراسلين الاجانب هذه الحقيقة من أول وهلة ، ولذلك أخـذوا يركزون اهتمامهم على الأحداث الصغيرة ، التى كان يتم تضخيمها حتى تحتل المـانشتات الرئيسية فى الصحف ·

وعلى سبيل المثـال ، فقـد لاحظ الاسرائيليون ، أثنـاء قيـام المصريين باعداد احـدى قاعات الفنـدق لعقـد اجتماعات المـؤتمر ، انهم وضعوا بين اللافتـات المكتوب عليهـا أسماء الدول على المـائدة المستديرة ، لافتة كتب عليها « منظمة التحرير الفلسطينية » ·

وطلب « بن اليسار » رفع هذه اللافتة · ورفض المصريون · ولكن « بن اليسار » لم يتراجع · فاقترح المصريون حـلا وسـطا ، هو استبدال « منظمة التحرير الفلسطينية » بـ « فلسط ين » ·

وكان رد « بن اليسار » على ذلك هو :

ــ « اذا وضعتم هذه اللافتة على المـائدة ، فان الوفد الاسرائيلى لن يدخل قاعة الاجتماعات » ! ·

وهكذا أوشك المؤتمر أن يفشل قبل أن يبدأ · ووصلت أنباء هذه الازمة الى الرئيس المصرى · وكان الجانبان يريدان تجنب حـدوث مواجهة ·

واقترح « بن اليسار » ان يكتب على اللافتة « العرب الفلسطينيون » وهو التعبير الذى يستخدمه « بيجين » • ورفض المصريون •

وبعد ان استمر النقاش حول ذلك الامر يوما باكمله ، انتهى الامر برفع اللافتة كلية ودون استبدالها بشىء آخر •

ولكن هذه الازمة لم تكد تنتهى ، حتى نشأت ازمة جديدة • فقد قام موظفوا الفندق برفع اعلام الدول المدعوة لحضور المؤتمر عند مدخل المبنى الرئيسى للفندق • وكان من بين الاعلام التى رفعوها علم قطاع غزة الذى يماثل العلم الفلسطينى •

واستخدم الاسرائيليون الطرق الدبلوماسية • وبعث الوفد الاسرائيلى مذكرة تقول :

ـ « لقد لاحظ الوفد الاسرائيلى وجود علم غير مألوف لا ينتمى الى أية دولة من الدول المدعوة لحضور المؤتمر ، أو الى أية دولة من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة » •

ولم يصدر من المصريين أى رد فعل لذلك • فاضطر « بن اليسار » ان يكون اكثر حزما ، وان يعلن فى صراحة :

ـ « لن يفتتح مؤتمر القاهرة حتى تتم ازالة هذا العلم الغريب » •

وانتهى الامر بازالة جميع الاعلام •

وافتتح المؤتمر وسط صخب وضجيج اعلامى • ولكنه كان واضحا أن الاطراف الثلاثة التى لبت الدعوة لحضور المؤتمر ـ وهى مصر واسرائيل والولايات المتحدة ـ حريصة ، رغم اختلاف الاسباب ، على جعل النبرة المنخفضة هى السائدة •

فقد كان السادات غاضبا لأن اسرائيل أرسلت وفدا من الموظفين متوسطى الاهمية •

اما الامريكيون الذين حاولوا تأجيل عقد المؤتمر ، فانهم لم يكونوا قد وصلوا بعد الى تقييم نهائى للمبادرة ٠

أما الوفد الاسرائيلى ، فقد كانت لديه تعليمات بعدم عقد اى اتفاقيات ٠

ادرك الاسرائيليون ، من المؤتمر ، ان وزارة الخارجية المصرية تمثل الخط المتشدد ٠ فقد كان ممثلوا الوزارة يدفعون رئيس الوفد المصرى للتركيز على القضية الفلسطينية ، وعلى ضرورة التوصل الى تسوية شاملة ٠

كذلك شعر الاسرائيليون بأن العاملين فى مكتب رئيس الجمهورية يمثلون خطا اكثر اعتدالا ٠

وقد كان الانجاز السياسى لمؤتمر القاهرة انجازا نفسيا تمثل فى تحقيق أول لقاء بين الاسرائيليين والشعب المصرى ٠ وقد قال بعض اعضاء الوفد الاسرائيلى أن القادة المصريين قد ذهلوا ايضا من مدى تعطش الشعب المصرى للسلام ٠ ولم يكن ذلك حبا فى اسرائيل ٠ فقد كان المصريون يعتقدون أن السلام سوف يجلب فى اعقابه تحسنا فوريا فى مستوى معيشتهم ٠ وكان السلام مع اسرائيل يتجسد فى احلامهم فى صورة سقف يظل رؤوسهم ، وطعام يسد جوعهم ، وملابس تستر عريهم ٠ ولذا ، فقد كانت اللقاءات المصرية ـ الاسرائيلية تتراوح بين الحماسة والتحفظ ٠ وكان الاسرائيليون يستقبلون فى محلات التحف والانتيكات بترحيب حار وتخفيضات كبيرة فى الاسعار ، بينما كان استقبالهم فى الشارع يتسم بالتحفظ ٠

وكان الوفد الاسرائيلى ، من جانبه ، يحاول بكل الطرق ادخال البهجة فى نفوس مضيفيه ٠

وفى اجتماع عقده « بن اليسار » مع « حسن احمد كامل » ، مدير مكتب رئيس الجمهورية ، طلب « بن اليسار » السماح للوفد

الاسرائيلى بزيارة القرية التى ولد فيها السادات • وكان « بن اليسار » يعرف مدى تعلق السادات بهذه القرية • وكان رد « حسن كامل » ايجابيا وفوريا ، وزار الوفد الاسرائيلى قرية « ميت ابو الكوم » بصحبة جيش من المصورين •

... ...

كان الممثلون العسكريون فى الوفدين المصرى والاسرائيلى اسعد حظا من زملاءهم المدنيين ، فقد عثروا على موضوع يشتركون معا فى الاهتمام به وهو : حرب اكتوبر •

وكان البريجادير « افراهام تامير » ، ممثل الجيش الاسرائيلى فى المؤتمر ، يشغل منصب مدير ادارة التخطيط التابعة لاركان حرب الجيش • ولم يكن ذلك أول لقاء له مع الجيش المصرى • فقد كان أسير حرب فى الاردن فى عام ١٩٤٨ ، كما كان ايضا عضوا فى الوفد الاسرائيلى فى مؤتمر « جنيف » وكان هو الذى قام باعداد ترتيبات التسوية التى تقدمت بها الاركان العامة للجيش الاسرائيلى •

وكان هناك ضابطان كبيران فى الجانب المصرى لعبا دورا هاما فى المباحثات التى سبقت التسويات السابقة •

وكان اللواء « طه المجدوب » ، صديقا ومساعدا لوزير الحربية المصرى ، « عبد الغنى الجمسى » ، كما شارك فى التخطيط لحرب عام ١٩٧٣ ، وعين بعدها سكرتيرا لمجلس الامن القومى الذى يرأسه السادات • وقد رأس اللواء « المجدوب » الوفد المصرى فى المباحثات العسكرية التى عقدت فى « جنيف » فى اطار اتفاقيات فض الاشتباك المرحلية • كذلك عمل مستشارا للوفد السورى فى مباحثات فصل القوات فى مرتفعات الجولان •

أما العقيد « محمد هريدى » فقد كان ضابطا المعيا ذا كفاءة عالية ، ومحدثا بارعا •وهو يعمل فى جهاز المخابرات، ولذلك فقد كانت معلوماته عن اسرائيل وفيرة • وقد اشترك فى معظم الحروب التى نشبت بين

مصر واسرائيل كضابط فى احدى وحدات سلاح المشاه ·

وكان الاسرائيليون يتجنبون الحديث ، فى حضوره ، باللغة العبرية ، التى كان يجيدها فى الغالب ·

وكانت المحادثات بين الوفدين العسكريين ، رغم اتسامها بالحذر ، تسير دون عوائق · وكان كل من الجانبين يخرج مجساته (أو قرون استشعاره) كى يعرف ما هى الشروط العسكرية التى يضعها الطرف الآخر لتحقيق السلام · كذلك لم يبد أى من الجانبين اهتماما كبيرا بالمسائل السياسية ، أو بمشكلة فلسطين أو بالبلاد العربية الاخرى ·

وكان الوفد المصرى العسكرى قد اعد مقترحات تفصيلية لانسحاب القوات الاسرائيلية من شبه جزيرة سيناء · وقد ألمح الضابطان المصريان الى أنهما قد أعدا أيضا مقترحات بصدد الخطوط المرحلية للانسحاب · كما أبلغا الجنرال « تامير » برغبتهما فى اتمام الانسحاب الاسرائيلى فى أسرع وقت ممكن ، وذلك حتى تؤدى المحادثات الى نتائج محددة وواضحة وسريعة · ولم يكن يطوف بذهنيهما أبدا أنه يجب على مصر أن تتنازل عن شىء ما · وكان اللواء « المجدوب » يردد دائما :

– « انه امر يتعلق بالمكانة والشرف · ولذا لا يمكننا التنازل عن أية شىء ·· ولن نسمح لانفسنا بذلك » ·

ولم تكن الحماسة التى تسود جو الفندق تجرف الضابطان المصريان · وقد اكتشف الجنرال « تامير » ان افكارهما بشأن السلام بين مصر واسرائيل تختلف كثيرا عن آراءه وآراء زملائه الاسرائيليين· فقد كان « المجدوب » و « هويدى » ينظران الى السلام بوصفه عملية بطيئة وتدريجية · وقد قال اللواء « طه المجدوب » : ـ ان الامر يشبه عملية بناء منزل · فعليك ،أولا، أن تتخذ قرارا بشأن البدء فى عملية البناء ، ثم عليك بعد ذلك أن تضع الاساس ، وتقيم فوقه البناء ، ثم تقيم السقف ، ثم تقوم بتركيب الابواب والنوافذ ··· الخ ، ثم

اخيرا ، وبعد أن ينتهى ذلك كله ، يمكنك ان تقطن ذلك المنزل • ونفس الشىء ينطبق على عملية السلام • فسوف نبدأ بالتوقيع ، ثم تقومون انتم بالانسحاب ، وفقط عندما تنتهى العملية كلها سوف يكون هناك سلام كامل وحقيقى » •

ثم فى خضم هذا الهدوء السائد ، اصيب الصحفيون الاسرائيليون ، مثلهم مثل بقية المراسلين الاجانب ، بذهول حقيقى ، عندما اعلنت اذاعة القاهرة ذات مساء ان « ايزر وايزمان » ، وزير الدفاع الاسرائيلى ، قد اجتمع بالرئيس المصرى فى مدينة « الاسماعيلية » •

وكان السادات قد وعد « وايزمان » ، اثناء زيارته للقدس ، ان يرتب اجتماعا بينه وبين وزير الحربية المصرى ، عبد الغنى الجمسى • وبعد عودة السادات الى القاهرة بقليل ، بعث بدعوة الى وايزمان ، الذى لم يستطع تلبيتها ، بعد ابلاغها اياه عن طريق السفارة الامريكية فى تل ابيب ، بسبب ساقه التى كانت لاتزال موضوعة فى الجبس • ولم يشأ « وايزمان » الا تطأ قدميه الاثنتان الأرض المصرية فى أول زيارة له للبلاد •

وتم ، عن طريق السفارة الامريكية ايضا ، تحديد موعد آخر للزيارة فى شهر ديسمبر •

وكان وايزمان ، الذى كان فى الثالثة والخمسين من عمره ، قد وصل الى القمة • وكان تعيينه وزيرا للدفاع دورة متوقعة لماضيه السياسى والعسكرى • وهو ينتمى الى واحدة من اعرق العائلات وأشهرها فى اسرائيل • فقد كان عمه الدكتور « حاييم وايزمان » أحد قادة الحركة الصهيونية ، كما كان أول رئيس لدولة اسرائيل •

وكان « ايزر وايزمان » قد تطوع ، اثناء الحرب العالمية الثانية ، فى سلاح الجو الملكى البريطانى ، وكان من الاسرائيليين القلائل الذين رقوا الى رتبة ضابط • والتحق ، بعد عودته ، بسلاح الجو الاسرائيلى الضئيل الحجم •

وقد شغل « وايزمان » منصب قائد سلاح الجو الاسرائيلى لفترة امتدت ثمان سنوات • وهو يعتبر المهندس الذى قام ببناء هـذا السلاح ، الذى سرعان ما اصبح أفضل سلاح فى الجيش الاسرائيلى • وقد مهدت قيادته الشخصية الطريق للانتصار الهائل الذى احرزه سلاح الجو الاسرائيلى فى حرب الايام الستة • ويقول البعض أن آرائه السياسية اليمينية المتطرفة قد حرمته من ان يشغل منصب رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلى •

وفى اواخر « الستينات ، انضم « وايزمان » الى حزب « حيروت » الذى يتزعمه « بيجين » • وشغل منصب وزير النقل فى حكومة الوحدة الوطنية التى شكلتها « جولد مائير » • وبعد خروج حزب « حيروت » من هذه الحكومة الائتلافية ، كان « وايزمان » احد القلائل الذين حاولوا التمرد على زعامة « بيجين » للحزب • ولما فشل فى ذلك ، وجه اهتمامه الى ميدان الاعمال • ثم عاد الى نشاطه السياسى فى حزب « ليكود » عشية انتخابات عام ١٩٧٧ ، وقام بادارة حملة الحزب الانتخابية • ولما كان « بيجين » يلازم الفراش معظم الوقت بسبب مرض القلب المصاب به ، كان « وايزمان » يقوم بادارة الحملة الانتخابية بمفرده ، وقاد حزبه الى النصر •

ويستمتع « وايزمان » بشعبية عريضة ربما كانت تفوق شعبية « بيجين » نفسه • وهو معروف بجاذبية شخصيته الجارفة ، وبمرحه ، وبصراحته التى تقرب من الغلظة والجلافه •

وكان المصريون قد طلبوا من الحكومة الاسرائيلية الحفاظ على سرية اجتماع السادات مع « وايزمان » • ولم يفض « وايزمان » بنبأ زيارته القادمة للقاهرة الا لحفنة من اقرب اصدقائه • وقد كلف أحد هؤلاء ، وهو « دافيد كوليتز » ، بان يقوم نيابة عنه بشراء هدية

مناسبة للسادات ، على اساس افتراضه انه سوف يلقاه اثنــــاء اجتماعه مع « عبد الغنى الجمسى » ٠

وبعد ان طاف « كوليتز » وزوجته بمحلات شارع « اللنبى » فى « تل أبيب » ، قاما بشراء ساعة جدارية دفعا ١٢٥ دولارا ثمنا لها ٠ وحفر « وايزمان » على ظهر الساعة اهداء يقول : « الى الرئيس السادات ، الذى حرك عقارب الزمن الى الأمام » ٠

واتصل « وايزمان » تليفونيا ايضا بصديقه مدير شركة « العال » الجنرال « مورد خاى هود » ، الذى خلف « وايزمان » فى منصب قائد السلاح الجوى ٠ وكان « هود » يقوم آنذاك بزيارة قصيرة للندن ، عاد بعدها ومعه غليون من افضل الانواع ، كما طلب منــه « وايزمان » ٠

وقد عرضت الولايات المتحدة ان تتولى عملية نقل « وايزمان » وحاشيته الى القاهرة ٠ وفى صباح يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٧٧ ، هبطت طــائرة عســـكرية امريكيـــة من طراز « د ٠ س ٩٠ » قادمة من « فرانكفورت » فى احدى المطارات العسكرية فى المنطقة الوسطى من اسرائيل ، وسرعان ما اختفى « وايزمان » ورفاقه بداخلها ٠ وكــان برفقة « وايزمان » البريجادير « هيرتزل شابير » رئيس الاركان العامة ، والبريجادير « شلومو جازيت » ، مدير المخابرات ٠

وهبطت الطائرة الامريكية فى مطار غرب القاهرة الدولى ، حيث كان وزير الحربية المصرى يقف فى انتظارها ٠

وقال « عبد الغنى الجمسى » لوزير الدفاع الاسرائيلى :

ــ « لقد سمعت الكثير عنك من الرئيس السادات » ٠

فقال « وايزمان » :

ــ « ان لديكم رئيسا عظيما » !

واخبره « الجمسى » ان المحادثات بينهما سوف تعقد فى مزرعة كبيرة تقع بالقرب من مدينة الاسكندرية ·

والفريق « عبد الغنى الجمسى » هو أحد ضباط سلاح المدرعات المخضرمين ، وهو رجل كتوم ومتزمت ، ولكنه يحسن التصرف فى المجتمعات ، كما أنه يمتلك حسا راقيا بالفكاهة · وكان قد التقى بالضباط الاسرائيليين من قبل فى محادثات الكيلو ١٠١ التى عقدت فى نهاية عام ١٩٧٣ ·

وكان « الجمسى » قد قدم استقالته من الجيش عقب هزيمة عام ١٩٦٧ ، تعبيرا عن سخطه وغضبه على غباء قيادة الجيش · ولكنه سحب استقالته فى أواخر العام نفسه ، وشغل فى البداية منصب قائد جبهة قناة السويس ، ثم عين بعد ذلك رئيسا للعمليات بالاركان العامة ·

وبعد وفاة راعية وصديقه الفريق « أحمد اسماعيل على » ، شغل « الجمسى » منصبه كوزير للحربية ·

وفاجأ « الجمسى » « وايزمان » قائلا :

— « ولكننا قبل أن نبدأ مباحثاتنا ، سوف نطير الى الاسماعيلية، فالرئيس يريد ان يراك » ·

وكان لقاء السادات مع « وايزمان » قد عقد بين الرجلين اواصر علاقة شخصية · فقد كان الرئيس المصرى يخاف من عدوانية الصقور الاسرائيليين اكثر من أى شىء آخر · كذلك كان السادات يعتبر أن مؤسسة الدفاع الاسرائيلية ، والتى يرأسها « وايزمان » ، تمثل البؤرة التى تتجمع فيها الأفكار «الصقرية» فى اسرائيل · ولكن النقاش الذى جرى فى القدس بين « وايزمان » وبين مساعدى السادات ومع الرئيس المصرى نفسه قد اثبت ان الامر ليس كذلك · فقد كان « وايزمان » أكثر اعتدالا مما يصور فى اسرائيل وفى العالم العربى ·

استقبل الرئيس المصرى « وايزمان » بسرور واضح • وبدأ الحديث معه قائلا :

ـ « اننى آمل وانتظر سلاما حقيقيا ، ويجب ان يصــدقنى الاسرائيليون » •

ولكن المناقشة سرعان ما احتدت • فقد دهش « وايزمان » من الحزم العنيد الذى اظهره السادات • فقد قرر بوضوح أن على اسرائيل أن تدرك انه لا يستطيع ان يقيم السلام « طالما لا تزال اسرائيل تحتل الاراضى العربية •• وانا اعرف ما يمكن أن يقبله الشعب المصرى ، وما يمكن أن يرفضه • واذا اجبرت الشعب على قبول أمر غير منطقى ، فسوف يكون رد فعله عدوانيا فى المستقبل » •

وكان الحديث يجرى فى فناء قصر السادات فى مدينة الاسماعيلية • ولم يكن حاضرا سوى اثنين من المصريين هما نائب الرئيس المصرى ، « حسنى مبارك » ووزير الحربية « عبد الغنى الجمسى » •

ووضع السادات أوراقة على الطاولة • كانت مطالبه ، كما عرضها ، تتلخص فى انسحاب اسرائيل الكامل الى حدود عام ١٩٦٧ ، والاجلاء التدريجى للمستوطنات الاسرائيلية من منطقة « رفح » •

ولم تكن هذه المطالب هى التى ادهشت وزير الحربية الاسرائيلى • ذلك انهـا لم تزد عن أن تكون تكـرارا لما اعلنـه الســادات فى « الكنيست » • ولكن النبره العدوانية التى كان الرئيس المصرى يتحدث بها هى التى خيبت آماله • فقد كان يتوقع ان يتخذ السادات خطا أكثر اعتدالا ، على الأقل فى الاجتماعات الخاصة(١) •

ولكن محادثات « وايزمان » مع « الجمسى » بالقرب من الاسكندرية كانت اكثر بعثا للامل •

وقد بدأ « الجمسى » الحديث بتأكيد امتنانه لـ « وايزمان » لقدومه

الى مصر · ثم أبلغه بالتأثير الطيب الذى أحدثه الاستقبال الحار الذى قوبل به السادات فى القدس على الشعب المصرى · وأضاف قائلا :

ـ « ينبغى ان تعلموا اننا نتطلع شوقا الى السلام ، واننا نأتى اليكم بقلوب مفتوحة » ·

ورد عليه « وايزمان » قائلا :

ـ « اننى مؤمن بصراحتكم وبرغبتكم فى السلام · ولكنه ينبغى على أن اقول لكم اننا دولة صغيرة · ولقد هاجمتمونا فى حرب « يوم الغفران » قبل أن يتيسر لنا تعبئة قواتنا الاحتياطية · ولا شك انكم تستحقون الاحترام بسبب المفاجأة التى اوقعتموها بنا فى هذه الحرب · وجيشنا كما تعلمون صغير رغم كفاءته ، وهو اذا خسر حربا واحدة ، فان ذلك يعنى بالنسبة الينا خسارة كل شىء ، ولقد قلت للرئيس السادات ايضا انه رغم ان لدينا سلاحا جويا كبيرا ، فان عدد مطاراتنا لا يزيد عن خمس أو ست مطارات · بينما لديكم انتم والسوريون والاردنيون نحو اربعين مطارا » ·

وقرر « وايزمان » أن يكرر جانبا مما قاله للسادات فى القدس · ولكنه قام ، قبل ذلك ، بتهنئة الوفد المصرى على مبادرة السادات ، وأكد أنه يدرك أن الرئيس المصرى يواجه صعابا ضخمة فى العالم العربى · ولكنه اضاف انه يجب ايضا اخذ الصعوبات التى تواجه « بيجين » فى الاعتبار أيضا · ثم استطرد قائلا :

ـ « ولكننا يجب ان نتذكر دائما ان معاهدات السلام تعقد بين الامم وليس بين قادة هذه الامم ، فالافراد زائلون ، كما نعلم » ·

ولم يكن « وايزمان » واثقا من ادراك مضيفيه لما كان يلمح اليه · وكان يريد أن يوضح لهم ان اسرائيل ليس لديها ضمانات لامنها ،

وان هذه الضمانات لا تتعلق بعدة سنوات قليلة • ولذلك فانه يتعين أن يمتد السلام حتى بعد أن يشغل منصب رئيس الجمهورية رجل آخر غير السادات •

وجاء دور « الجمسى » الذى استهل حديثه قائلا :

ـ « اننا ندرك مشاكل الامن التى تواجهكم • فقد احاطنا الرئيس علما بها بعد عودته من القدس • ولكننى يجب أن أؤكد أن كلا الطرفين يواجهان نفس هذه المشاكل • ذلك أن الامن يجب ان يكون متبادلا • وكما قلت انت نفسك ، يا مستر وايزمان ، فان لديكم سلاحا جويا كبيرا ، ولذا فاننا نحتاج لضمان امننا ايضا فى مواجهته » •

ثم استطرد وزير الحربية المصرى يقول :

ـ « اننا لا نستطيع أن نقبل ما أشرتم اليه بشأن تعديلات الحدود •• ليس الآن على وجه التأكيد • ولو أثيرت هذه المسألة بعد مرور ثلاثون عاما على توقيع معاهدة السلام ، فربما تكون الأوضاع قد تغيرت • هذا بالاضافة الى أن أى تغيير فى الحدود اليوم سوف يفسر على أنه استيلاء •• استيلاء اسرائيلى على أراضى مصرية » ••

خيب ظن « وايزمان » • فلم يكن ليرضيه مثل هذا الوعد المبهم • وكان يريد الدخول فى التفاصيل • فاثار مسألة كانت محل اهتمام كبير من جانب جميع قادة الجيش الاسرائيلى ، وهى مسألة الحاجة الى ضمان أن يكون تمركز غالبية القوات المصرية بعيدا قدر الامكان عن الحدود المصرية ـ الاسرائيلية • كذلك كان وزير الدفاع يريد أن يعرف ما اذا كانت هناك نية لتخفيض حجم الجيش المصرى • لأنه اذا كان الأمر كذلك ، فان اى تحرك للجيش المصرى ، أو أية زيادة فى عدد وحداته ، يمكن أن تكون بمثابة انذار •

قال « وايزمان » :

ـ « حتى عام ١٩٦٧ كانت غالبية قواتكم المسلحة تتمركز حـول القـاهرة • ولكن هذه القوات تتمركز الان فى منطقة القناة • فلماذا لا تقررون نقل هذه القوات الى المؤخرة ؟ •

فأجابه « الجمسى » :

ـ « ان الجيش المصرى فى حالة طوارىء كاملة منذ عام ١٩٦٧ • ولكنـه اذا حل السلام ، فلن تكون هنـاك ضرورة لابقاء قوات كبيرة بالقرب من قنـاة السويس • ويمكننى أن أبلغك رسميا أنه فى اللحظة التى يتم فيها التوقيع على معاهدة السلام سوف نقوم فورا بانقاص حجم قواتنا المسلحة ، كما سوف نقـوم أيضا بتعديل استراتيجية توزيع القوات » •

فسأله « وايزمان » :

ـ « هل يمكننى ابلاغ هذه المعلومات رسميا الى حكومتى ؟ »

الجمسى :

ـ « نعم ، ولكن ذلك يتطلب وجود معاهدة سلام رسمية »

وايزمان :

ـ « هل سيحدث ، عندئذ ، تخفيض كبير فى حجم الجيش المصرى؟

الجمسى :

ـ « بالطبع ، قد تبقى بعض قواتنا على طول القناة ، ولكننـا سوف ننقلها الى منطقة القـاهرة بعـد مرور الوقت • وسوف يكون توزيع قواتنا متجهـا نحو افريقيا » •

كان تصريح وزير الحربية المصرى يمثل تاكيدا هامـا يتعلـق بموضـوع حساس • وانتهز « الجمسى » هذه الفرصة كى يطـالب

بموافقة الحكومة الاسرائيلية على تمركز عدد من الوحدات العسكرية المصرية فى مدينة « العريش » ، وكذلك على تواجد سرب أو سربين من المقاتلات المصرية فى سيناء ٠

ورد وزير الدفاع الاسرائيلى قائلا :

ـ« سوف يكون علينا أن نناقش ثانية مسألة المطارات التى نحتاجها فى سيناء ٠ كذلك يجب على أن أذكرك بأن الرئيس السادات قد وعد رئيس الوزراء « بيجين » أن الجيش المصرى لن يتحرك غربى المرات » ٠

فقال « الجمسى » :

ـ « صحيح أن الرئيس السادات قد وعد بذلك ، ولكن الرئيس ، كما تعلم ، ليس رجلا عسكريا (؟!) ٠ والمسألة بالنسبة الى هى كيف يمكننى أن أدافع عن بلادى ؟ »

واقترح « وايزمان » أن يقوم البريجادير « شابير » بالرد على « الجمسى » فيما يتعلق بأفضل الطرق التى يستطيع بها الجيش المصرى أن يضمن أمن قناة السويس ، وكذلك أمن البلاد فى مواجهة أى هجوم قد يشن من جهة سيناء ٠

وقام « شابير » بشرح ما طلب منه ٠ وفهم « الجمسى » من اجابته انه حتى بعد توقيع معاهدة السلام ، فان اسرائيل تنوى الحد من حجم القوات التى تستطيع مصر الابقاء عليها فى منطقة القناة ، وكذلك تحديد طبيعة تسليح هذه القوات ٠

وقال « الجمسى » أنه سوف يعترض على تخفيض القوات السلحة المصرية المتمركزة على طول قناة السويس ٠ كما انه لن يوافق على تحديد حجم هذه القوات وعلى اسرائيل أن تكتفى بوعد مصر ألا تبقى قوات كبيرة هناك ٠

وأضاف وزير الحربية المصرى :

ـ « .. وكذلك فاننى أعارض نزع السلاح . ذلك أن نزع السلاح يمثل انتهاكا لسيادة مصر .. » .

وقاطع اللواء « الجريدلى » رئيسه قائلا :

ـ« ... وهل توافقون أنتم على نزع سلاح ايلات أو بئر سبع ؟ اننا نأمل فى أن ننجح فى تنظيم قواتنا الاحتياطية مثلكم ، ولكننا لم نحقق ذلك حتى الان » .

فرد عليه « وايزمان » قائلا :

ـ « سوف نساعدكم ! »

فقال « الجريدلى » :

ـ « ولكن ينبغى أن تعرف أنه حتى ذلك الحين ، فان فرض أية قيود سوف يثير لنا مشاكل نفسية » .

وقد أدهش « الجمسى » وزير الدفاع الاسرائيلى ، حين قال أثناء المناقشة انه لا يعترض على الابقاء على المستوطنات الاسرائيلية فى منطقة « رفح » ، وكذلك تلك الموجودة على طول خليج ايلات (العقبة) ولكنه استدرك قائلا :

ـ هذا اذا أراد سكان المستوطنات ذلك ، وبشرط أن يكون واضحا لهم ولكم أنهم سوف يعيشون على أرض مصرية ، وانهم سوف يكونوا خاضعين للحكم المصرى ، مثلهم مثل يهود القاهرة » .

وقد كان موقف « الجمسى » هذا يتعارض مع موقف السادات . وقد افترض آنذاك أن ذلك كان راجعا لانعدام التنسيق بين الرجلين .. ولكن بعض أفراد الوفد الاسرائيلى كانوا يعتقدون أن كلا من

لسادات والجمسى قد اتفقا على أن يلعب الاول دور « الفتى الشرير» وأن يلعب الثانى دور « الفتى الطيب » .

ولكنه لم يكن هناك شك فى استحالة اتخاذ أية قرارات على أساس موقف « الجمسى » الايجابى ، ذلك أن الرئيس ، فى بلد مثل مصر ، هو وحده الذى يتخذ هذا القرار .

وبعد سبع ساعات من المباحثات ، أثار وزير الحربية المصرى مسألة هامة ، اذ قال :

ـ « اننا لم نبحث بعد موضوع التهديد النووى فى المنطقة . ونحن نعلم أن لديكم أسلحة نووية ، أو انكم تتمتلكون امكانيات صناعتها على الاقل . ويجب أن نفكر فى عقد اتفاقية تحد من انتشار هذه الأسلحة .

وحدق « الجمسى » مباشرة فى عينى « وايزمان » . كان يريد أن يتبين من تعبير وجهه ما اذا كان ما قاله صحيحا أم لا .

ولكن وجه « وايزمان » كان قناعا مصمتا . ثم قال :

ـ « انى أقترح أن تحادث العراقيين والليبيين بخصوص ذلك » .

فقال « الجمسى » :

ـ « أنهم لا يمتلكون أسلحة نووية »(٣) .

ولم تكن تلك أول مرة يثار فيها هذا الموضوع فى الاجتماعات التى عقدت بين المصريين والاسرائيليين . فعندما كان السادات فى « القدس » ، حدثت اشارة لهذه المسألة فى الحديث الذى دار بين « وايزمان » و « يادين » و « مصطفى خليل » و « بطرس غالى » .

وعندما انتهت المباحثات فى وقت متأخر من بعد الظهر ، دهش « وايزمان » ورفاقه حين علموا أن اذاعة القاهرة قد أعلنت نبأ

المباحثات الجارية فى نشرتها الاخبارية • فقد كان المصريون قد طلبوا ابقاء نبأ هذه الاجتماعات سرا ، وهاهم الان يذيعون النبأ ، بل ويحيطونه بضجة اعلامية •

لماذا ؟ كان ذلك هو السؤال الذى يحير الوفد الاسرائيلى •

وكان الاجتماع الثانى الذى عقده الرئيس المصرى مع « وايزمان » فى اليوم التالى ، أكثر تخييبا للامال •

فقد كان السادات حازما وواضحا ، وكأنه لا يريد أن يكون فى ذهن وزير الدفاع الاسرائيلى أى شك فيما يتعلق بموقفه •

قال السادات :

ــ « لا بد من ازالة المستوطنات الاسرائيلية ، ذلك أن بقاءها يمثل انتهاكا لسيادة مصر ، وأنا لا أوافق على ذلك » •

كذلك لم يوافق السادات على أن يكون الانسحاب عن سيناء تدريجيا • وأصر على أن يكون الانسحاب دفعة واحدة ، وعلى الفور

كما اعترض أيضا على وضع قوات للامم المتحدة فى شبه جزيرة سيناء • فقد قال أكثر من مرة أثناء النقاش :

ــ « ان وجود هذه القوات سوف يكون انتهاكا للسيادة المصرية »

ولم يستطع أعضاء الوفد الاسرائيلى اكتشاف السبب الذى دفع السادات لأن يغير موقفه بهذا الشكل الحاد والمفاجىء(٣) •

وكان من بين التكهنات التى شاعت بهذا الصدد ، أن السفير الأمريكى فى القاهرة « هيرمان اليتس » ــ والذى كان قد اجتمع بالسادات قبل اجتماع الاخير مع « وايزمان » ــ قد اطلع الرئيس المصرى على مشروع « بيجين » الجديد الذى كان قد قدمه الى الحكومة الأمريكية •

وهكذا ، ربما كان الرئيس المصرى يريد أن يبعث الى بيجين ، عن طريق « وايزمان » برسالة واضحة وحازمة •

هوامش الفصل الحادى عشر

(١) يقول وايزمان عن هـذا اللقاء الثانى الذى تم بينه وبين السادات :

((كانت المودة قد نمت بينى وبين السادات عنـدما تقابلنا لأول مرة فى القـدس . والآن ، ها آنذا ، بعـد رحلة بالطائرة استغرقت ٨٩ دقيقة ، فى الاسماعيلية ، فى قصر السادات ، كى التقى به للمرة الثانية . ماذا اقول له ؟ . (مع الاعتذار للسيدة نجاة الصغيرة) . كيف يجب أن ادير الحديث ؟ . ان أغلب الاحتمالات ، ان كلماتنا الأولى سوف تلعب دورا كبيرا فى تشكيل طبيعة علاقتنا، وسوف تأثر حتما تقريبا على جو اللقاء نفسـه)) .

((فبشكل ما ، فان اللقاء الثانى مـع الرئيس المصرى يماثل اللقاء الثانى مع امراة . فعادة ما يتسم اللقاء الأول بين رجل وامراة بالتلقائية . وفيما بعد ، يكون لدى كل من الطرفين الوقت الكافى للتفكير فى الآخر — وعن ما يعجبه فيه — وللتخطيط بعناية للقـاء الثـانى)) .

((وهذا بالضبط ما فعلته قبـل لقائى الثانى مع السادات . فلقد خططت ، بل وقمت باجراء بروفات ، وحاولت التنبؤ بالمسائل التى يمكن أن تثار فى مجرى الحديث ، واعددت اجاباتى عليها .

وعلى سبيل المثال : ماذا يجب ان يكون رد فعلى اذا شرع يفخر بقوة جيشه فى حرب يوم الغفران ؟ . هل انكره بأن قواتنا توقفت، فى النهاية ، على مبعدة ١٠١ كيلو مترا من القاهرة ؟ . مهما حدث ، فقد رأيت أنه من الضرورى ان اقول شيئا ، لا يتضمن رأيا ، عن الحروب وسفك الدماء فى الماضى ، وان أعبر عن أملى فى ان لا يتكرر ذلك مرة أخرى)) .

((وعاملنى السادات كما لو كنا زميلين من عهد الدراسة . فقد وضع ذراعه على كتفى ، بينما لوح بالأخرى فى اتجاه السماء ، وقال : كيف وصلت الى هنا ؟)) .

((وحكيت له عن طيراننا عبر البحر الأبيض المتوسط وفوق الدلتا . وكانت اعرف أنه يعرف كل هذا ، وان سؤاله كان من قبيل المجاملة فقط)) .

(((وقال السادات) . لقد قدمت الى الاسماعيلية عبر الطريق الطويل . لماذا لا تعود الى وطنك مباشرة عن طريق سيناء ؟)) .

((ثم أضاف السادات ، وكأنه لا يوجد شىء أكثر من ذلك وضوحا : عندما يعقد السلام بين مصر واسرائيل ، فسوف تقدم طائرات العال أيضا الى هنا)) .

((وقد يكون الشك قد ارتسم على وجهى من أن تسمح مصر لطائرات شركة خطوطنا الجوية القومية بالتحليق فى مجالاتها الجوية ، لأنه إضاف : انى أعنى ذلك جادا)) .

((ولم أقل شيئا . كان يتحدث كرجل يهدف الى تحقيق السلام الكامل ، ذلك النوع من السلام الذى حلمنا به دائما . وتذكرت أغنية كتبها ناعومى شيمر ، أكثر مؤلفى الأغنى شعبية فى اسرائيل ، عن المدمرات التى تنقل شحنات البرتقال . ولكننى منذ بضع ساعات قليلة فقط ، وانا اطير فى الأجواء المصرية ، كنت أنظر تحتى بعيون الطيار المقاتل الذى يفكر فى افضل الطرق لتجنب شبكات الرادار الملحقة ببطاريات الصواريخ المصرية المستعدة على الدوام)) .

« وقال السادات ، وهـو يتأمل حلتى : انك تبـدو انيقا . ولاحظت أنه كان يرمقنى من اعلى الى أسفل » .
« وقلت على الفور ، ردا على المجاملة : يجب أن أكون أنيقا حين ألتقى بأعظم القادة العرب » .

« منذ البداية ، كان الجو مفعما بالود . وقد يكون الطقس قـد ساعد فى تحقيق ذلك . فعلى الرغم ان الوقت كان شتاءا ، الا أن الطقس كان ربيعيا ، والسماء صافية » .
« ثم انتقل السادات الى الحديث عن حالتى الصحية ، وهـو ينظر الى ساقى المصابة . ثم قال : انى سعيد بقدومك ، وارجـو ان تتاح لك فرصة أخرى لرؤية مصر » .

« كان لا يزال غريبا ان اسمعه يقول شيئا كهذا . والظاهر ان أذنى الاسرائيليتين لم تتعودا بعد على سماع أشـياء كهذه . وحدقت فى الرجل الذى رأيته مؤخرا فى القدس . كان يبـدو أكثر هدوءا من الناحية العصبية ، عما كان عليه فى فندق الملك داود . ربما لأنه ، هذه المرة ، كان يلعب فى ملعبه » .

« وقال السادات ، وهـو يشير الى المبنى الذى يقف على حدود الحديقة التى كنا نسير فى انحائها . هل ترى هذا المنزل ؟ . انى أريد أن أعرف اسم الضابط الذى اصـدر الأوامر بقصـفه عام ١٩٧٠ » .
« وقلت : سيدى الرئيس ، اذا كنت تريد أن تعرف حقا ، فأنا على استعداد لاجراء تحقيق فى سلاح مدفعيتنا » .
« وانفجر السـادات ضاحكا » .
« كان قصره يطل على بحيرة التمساح ، حيث ظلت السـفن المصرية محتجزة الى ما بعـد حرب عام ١٩٧٢ . وعلى الضـفة الأخرى ، كنت استطيع أن أتبين بقايا خط بارليف » .
« وقلت وانا أشير بذراعى : هل ترى تلك النقطـة المحصنة

على الضفة الأخرى ؟ . لقد تعرضت هناك لأسـوا قصف مر فى حياتى . لقد نجوت باعجوبة من الموت هناك)) .

((ومرة اخرى ، انفجر السادات ضاحكا)) .

((.... وحسب ما اذكر ، فانه بعد هـذه الاشارة الموجزة للمواجهات السالفة ـــ والتى لم تتعد جملتين او ثلاث جملات ـــ لم يثر موضوع المـاضى مرة اخرى)) .

((وبالفعل ، فقد انطلق يتحدث عن المستقبل . وازداد التعبير المرتسم على وجهه جـدية ، وقال : سوف تذهب من هنـا الى جناكليس مع الجمسى وزير الحربية اجتمعا .. وتباحثا .. وتبادلا آراء .. واتخذا القرارات ـــ واى شيء تتفقان عليه ، يمكن ان تعتبر كما لو كنت قـد وافقت عليه بنفسى . انا اريد ان اتحرك بسرعة . فوق كل شيء : العلاقات الكاملة ، والتطبيع الكامل . كـل شيء .. وبسرعة . ويجب ان ننجز السلام الحقيقى باسرع ما يمكن)) .

((وحاولت مقاطعته قائلا : ولكن هناك مراحل ...)) .

((ـــ انا لا اريد اية مراحـل . وانا على استعـداد كى ابـدا بفتح طريق جوى للطيران المدنى عبر سيناء)) .

((ـــ وماذا عن السـفراء ؟)) .

((ـــ نعم ، والسفراء ايضـا . انا مستعد لتعيين سفير فى القدس . وانا اريد منك فقط ان تقول لبيجين انه لكى تسير الأمور بسرعة ، فانه يجب ان يعلن موافقته على مبدا الانسحاب من جميع الأراضى المحتلة ، وحل المشكلة الفلسطينية)) .

((ـــ سيدى الرئيس ، ليس ذلك سـهلا . ان لدى رئيس الوزراء متاعبه الخاصة . وانت لا تستطيع تغيير كل شيء بهـذه السرعة بعد كل هذه السنوات العديدة)) .

((ـــ اننى ، بالفعل ، قد غيرت الأمور بسرعة . وانا اريد منك ان تفهم : لقد حدث تغير جوهرى . وانا اقترح عليك ان تبـدا فى النظر الى شعبى ليس بوصفه عدوا ، بل بوصفه حليفا)) .

« ــ واذا افترضنا بالفعل اننا توصــلنا الى اتفاق معكم ، فماذا عن السوريين ؟ . ولا تنس الأردنيون » .

« ــ سوف يحذو الأردنيون حذونا . وكذلك ســوف يفعل السوريون . ان الأمور تحدث في العالم العربي وفقا لمــا تقــرره مصر » .

ــ « ان السوريون يقومون حاليا بحشد قواتهم » .

« وقال السادات : هل تذكر ما حدث لهم عام ١٩٧٣ ؟ » . كانت تلك مجاملة كبيرة لجيشنا على نجاحه في صد الهجوم السوري في مرتفعات الجولان » .

« .. ولكنني تجاهلت تملقه . وذكرت العراقيين .

« وقال السادات : انهم مربوطون بالجبهة الايرانية . وعلى اية حال ، فما الذي يقلقكم هكذا ؟ . ان لديكم جيشــا قويا ، وقواتكم موزعة توزيعا جيدا ، كما يمكنكم استدعاء قوات الاحتياط بسرعة بالغة ، ولديكم سلاحا قويا للطيران ، وطائراتكم أفضل من طائراتنــا » .

« كانت دلالات ما قاله واضحة . فلكي يفند الحجج العسكرية التي كنا نبرر بها احتفاظنا بالأراضي المحتلة ، كان السادات يؤكد على قوة وكفاءة قواتنا المسلحة ، كي يحصل منا على أكبر قــدر ممكن من التنازلات » .

ويمضي وايزمان ليروي عن الاســتعدادات التي اتخــذت ، والمشاورات التي أجريت ، والتعليمات التي صــدرت ، للتحضير لزيارته للقاهرة ، ثم يعود مرة أخــرى كي يقم روايته لاجتمــاعه بالسادات قائلا :

« والآن ، وانا أجلس في مواجهة السادات في الحديقة المحيطة بقصره ، كنت أستطيع تأكيد دقة التوقعات التي كانت تقول ان مصر أن تتخلى أبدا (فتأمل !) عن ما تدرك أنه المشكلة الرئيسية وهي: الانسحاب الاسرائيلي الشامل . ولكنني ، على اية حال ، لم أكن لاستطيع أن اتفافل عما كان السادات يعرضه في مقابل ذلك وهو :

السلام الكامل ، وتبادل السفراء ، وفتح الخطوط الجوية ، والتطبيع الكامل للعلاقات بين الدولتين . ولم أكن أتوقع ان يتحدث السادات بمثل هذا الالتزام عن السلام الكامل ، او ان يؤكد انه يرغب فى تحقيقه فى أسرع وقت ممكن)) .

((وقد كان معه الآن نائبه ، حسنى مبارك ، والجمسى وزير الحربية ، وهما الرجلان اللذان يقال انهما وضعا الخطط لحرب عام ١٩٧٣ . وكنت ، وأنا أعطيهم الهدايا التى اخترتها بكل هذه العناية ، احاول معرفة ما يدور فى ذهنيهما)) .

((وتساءل السادات : هل يعرف الناس فى اسرائيل انك قدمت الى هنا ؟)) .

((وقلت : لا ، فقد ابقينا ذلك سرا ، وفرضنا الرقابة على هذا النبأ)) .

((ــ ليست هذه بالفكرة السيئة على الاطلاق)) .

((ــ سيدى الرئيس ، ان الأمر متروك لكم)) .

((وقال السادات : سوف نبقيه سرا)) .

((وكنت آمل فيما بينى وبين نفسى، أن يتسرب الخبر بطريقة ما. ذلك ان خبر وجود وزير الدفاع الاسرائيلى على الأرض المصرية ، هو خبر يصعب على المصريين أن يتملصوا منه ، وسوف يؤدى الى زيادة التزامهم بعملية السلام ، والتى كانت لا تزال فى مهدها)) .

((وقلت ، عائدا الى الموضوع الرئيسى : سيادة الرئيس ، انك تقول اننا لا نستطيع البقاء على الأرض العربية ، فماذا ، اذن، عن مستوطناتنا فى رفح ؟)) .

((ورد السادات بحزم : يجب اجلاؤها)) .

((كان هناك تعبير متجهم يرتسم على وجهه . واحسست كما لو كنت قد ضربته بشىء ثقيل على رأسه . وكان خبراء الشئون المصرية قد اخبرونى ، وانا اجلس فى مكتبى فى تل أبيب ، بأن ذلك سوف يكون المطلب المصري . وقد كنت آمل أن يكونوا مخطئين .

ولكننى ، وقد سمعت ذلك من المصدر الأول ، لم يكن امامى سوى الاقتناع برايهم » .

« ... واضاف الرئيس المصرى قائلا : يجب ان اؤكد اننا لا نناقش اقامة سلام منفرد بين مصر واسرائيل . فبعد ان نتوصل الى اتفاق معكم ، سيكون عليكم ان تعقدوا مباحثات منفصلة مع كل الدول العربية » .

« وبدت جملته الثانية وكأنها تحوى احتمالا بعيد التحقق الى اقصى حد . ففى ذلك الوقت ، لم يكن عقد معاهدة سلام كامل مع مصر يبدو امرا فى متناول اليد . وها هو السادات يتحدث عن التفاوض مع دول عربية أخرى . كان الأمر يبدو امرا فى متناول اليد . وهاهو السادات يتحدث عن التفاوض مع دول عربية أخرى . كان الأمر يبدو خاليا جدا » .

« وحاولت ان لا يرتسم على وجهى اى تعبير . فلم اكن اريد ان يستطيع المصريون معرفة ما يدور فى ذهنى . وودعت الرئيس السادات ، وانا عاقد العزم على ان اكون متفائلا ، بالرغم من قسوة مطالبه » . (وايزمان ، « معركة السلام » ، ص ٨٦ — ٩٣) .

... ...

(٢) تتفق رواية وايزمان لمباحثاته مع الجمسى فى جناكليس مع رواية المؤلفين فى خطوطها العامة وفى الكثير من تفاصيلها . (انظر : وايزمان ، « معركة السلام » ، ص ٩٤ — ١٠٤) .

... ...

(٣) يقول وايزمان عن لقائه الثانى بالسادات بعد انتهاء مباحثاته مع الجمسى :

« عند وصولنا الى مطار الهيلكوبتر فى الاسماعيلية ، رايت السفير الأمريكى (فى القاهرة) هيرمان اليتس . ولم اعلق ، آنذاك ، اهمية كبيرة على وجوده هناك ، لاننى لم اكن عندئذ ، كما اصبحت فيما بعد ، مهتما بتتبع مدى التدخل الأمريكى فى عملية السلام » .

« وكان السادات ينتظرنا فى قصره الآخر فى الاسماعيلية . فهو يمتلك قصرين فى هذه المدينة . وفى تلك المرة ، لم يكن فى

انتظارى عند المدخل ، بل ولم يخرج للترحيب بى . ووقفت هناك للحظة او لحظتين . وربما لم يكن لهــذا التاخير اية دلالة ، ولكن القلق الذى كان يعتورنى حمل ذلك التاخير بالدلالات الرمزية)) .

((كان مع السادات نائبه حســنى مبارك . وكان الرئيس المصرى يبدو غاضبا ومتعكر المزاج)) .

((وصاح السادات بصوت عال جــدا : انكم مصرون على التمسك باساليبكم القديمة . انكم عاجزون عن ادراك مدى عظمة اللحظات التى نمر بها . انتم لا تفهمون ما قمت به ، والمجازفة التى اقدمت عليها . واذا لم نخرج من هــذا بشىء ، فانا مســتعد للاستقالة ، وسوف يتولى حسنى زمام الأمور بعدى)) .

((كان يبدو عصبيا جــدا)) .

((واستطرد قائلا : انا مستعد لعقد معاهدة ســلام كامل ، تقضى بتبادل السفراء ، وبحرية الملاحة ، وبكل شىء . ولكن يجب ان تخرجوا من سيناء . وهذا يشمل المستوطنات . يجب اجلاؤها . وهذا يشمل الجيش ايضا . لا يجب ان يبقى جنــدى اسرائيلى واحد فى سيناء . واذا اردتم تحويل القواعد الجوية الى مطارات مدنية ، فلا باس . ولكنها يجب ان تكون تحت السيادة المصرية . واذا كنتم تريدون ان تخدم هذه المطارات ايلات ، فلا بأس ايضا ، وليس لدى مانع . واذا كنتم تريدون ان تحرثوها ، فسوف نحرثها . واذا كنتم تعتقدون ان سلاحكم الجوى يحتاج الى مطارات فى هذه المنطقة ، فابنوها ، اذن ، على الجانب الآخر من الحدود)) .

((وقلت : سوف يستغرق بناؤها وقتا طويلا)) .

((ــ انكم تستطيعون بناء المطارات فى ثلاثة او اربعة اشهر . ولقد بنى لى حســنى (مبارك) مطارا فى مرسى مطروح فى ثلاثة اشــهر)) .

((وفى محاولة لانقاذ الموقف ، قلت : ربما كان من الممكن نقل مطار ايتام ، ولكن ليس مطار اتزيون القريب من ايلات . فنحن فى حاجة لمطار اتزيون كضمان لحرية الملاحة فى مضيق باب المندب)) .

« وهز السادات راسه فى غضب ، وقال : وبالاضافة الى ذلك ، فان القوات المصرية سوف تتخذ مواقع لها شرقى قناة السويس » .

« لم أكن مستعدا لذلك ، وقلت : لماذا تحتاجون الى قوات هناك ؟ . ما الذى يمكن أن تفعله هذه القوات ؟ » .

« وأجاب السادات : تحدينا منكم » .

« وتساءلت بصوت عال : ألسنا نرتكب خطأ غبيا ؟ » .

« وادركت ، فى مجرى هذا الحوار الخشن ، ان السادات قد أبلغ بكافة تفاصيل مباحثات اليوم السابق . ولابد ان الجمسى قد رفع اليه تقريرا عنها الليلة الماضية » .

« وتساءل السادات : فيم احتاج الى الأمم المتحدة ؟ . وفيم تحتاجون الأمم المتحدة ؟ . أيا كان الاتفاق الذى سنتوصل اليه ، فلن نكون بحاجة الى الأمم المتحدة .. لا فى شرم الشيخ ، ولا على طول الحدود . واذا وقعنا معاهدة سلام فسوف نبقى الممر المائى الدولى مفتوحا .. يمكنكم ان تثقوا فى الجيش المصرى » .

« وقلت له أن الوقت لا زال مبكرا كى نثق فى الجيش المصرى . ولكن السادات لم يبتسم » .

« ولم إكن استطيع أن افهم ما الذى احدث هذا التغير العنيف فى مزاجه . قد يكون قد تلقى تقاريرا عن مشروع بيجين الجديد السلام فى سيناء ، والذى كان قد تم تسليمه للادارة الأمريكية فى اليوم السابق . وقد يكون السادات قد أراد أن يستخدمنى فى نقل رسالة مقتضبة تتميز بالخشونة الى رئيس الوزراء الاسرائيلى » .

« وقال السادات : أنا اعرف انكم لو لم تكونوا فى السلطة لعارضتم الأمر برمته » .

« كانت لهجته الخشنة مفاجأة كاملة لى . فقد كانت تتناقض تماما مع حديثنا الودى فى اليوم السابق » .

« وقال : انى أعرف انّ على ان الاحقكم » .

« — انا لا افهم ما تعنيه » .

« — اذا لم يتمحض هـذا عن شىء ، فسوف يكون هنـاك انفجار » .

« كانت نبرته قوية . كان يهددنا بالحرب . ولم اكن استطيع ان أسمح له بأن يخيفنى » .

« — لقد لاحقناكم بالفعـل من قبـل : فى ١٩٤٨ وفى ١٩٥٦ وفى ١٩٦٧ . ولقد قمت بنفسى بقصف أحـد طوابيركم (المدرعة) جنوبى تل ابيب . ونحن لا نريـد أنّ تفعل ذلك مرة أخرى . انظر ماذا حدث لسلاحكم الجوى فى عام ١٩٦٧ » .

« كنت اعرف انى قد لمست جرحا موجعا » .

« وقال السادات متراجعا : أوه ، نعم .. انا لا أريـد ان اتحدث عن ذلك » .

« وحلت لحظة صمت ، قبل ان يستطرد فى لهجة أكثر اعتدالا : انا اتحـدث معك عنّ السلام الشامل . وصـدقنى أن عليكم ان تكسبوا قلب الشـعب المصرى . وأنا اعرف الشعب المصرى . انه شعب لا يرغب فى الحرب » .

« وقلت : ان ما تريده هو العودة الى حدود عـام ١٩٦٧ . افرض انك اختفيت (من على خشبة الاحداث) ، وان احدا آخر تولى مكانك .. ؟ » .

« واكتسى وجه السادات بتعبير جاد » .

«واضفت قائلا : ان مافعله عبد الناصر يبين مايمكن أنّ يحدث . فقد قام ، بدون أى انذار ، بارسال ٧٠٠ دبابة الى سيناء . وأغلق

مضايق تيران فى عام ١٩٦٧ . وأنا لا أريد ان نعيد فعل ما فعلناه ردا على ذلك . صحيح أن لدينا اليوم الجنرال « الطيب » الجمسى ، ولكن ماذا يمكن ان يحــدث اذا كان لدينـــا الجنــرال الجمسى « الشرير ؟ » .

« وقال السادات : تلك مجازفة . وعليكم أن تقدموا على هذه المجازفة لأننى قمت باداء واجبى » .

« وعبرت له عن اسفى لأننى اتركه فى هذه الحالة المزاجية السيئة . وصــحبنى حتى الباب الخارجى ، حيث تبادلنا العناق والقبلات ، ولكن ذلك كله كان من باب المجاملة فقط » . (وايزمان، « معركة السلام » ، ص ١٠٤ ــ ١٠٧) .

١٢

مشروع كراسة صفراء اللون

كان الاكتئاب ظاهرا على وجه « وايزمان » عندما وصل الى منزل « بيجين » فى القدس كى يدلى له بتقرير شفهى عن مباحثاته مع السادات • فقد فوجىء بتصلب الموقف المصرى ، وقد قال لـ «بيجين» :

ــ « لن تكون المفاوضات سهلة • فنحن نواجه موقفا مصريا صلبا » •

ظل « بيجين » ، طيلة عدة حقب ، يحارب من أجل ، ويحلم بفكرة الأراضى التى لا تقبل التقسيم أو الانتقاص (أى اسرائيل الكبرى التى تمتد من النيل الى الفرات) بوصفها أكثر من مجرد رؤية يوتوبية أو خيالية .•

كذلك فان الناخبين الذين أعطوه أصواتهم كانوا يؤمنون بأنه قد يحقق أحلامه أخيرا بوضع الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الحكم الاسرائيلى المباشر •

وبالرغم من ذلك ، فقد كان هناك كثيرا من الأسرائيليين ، ومن

بينهم أيضا بعض أنصار « بيجين » نفسه ، يخشون أن يؤدى ضم الضفة الغربية الى المزيد من سفك الدماء •

وهكذا أيقظ واقع السياسة الدولية « بيجين » من أحلامه ، حالما تولى منصبه كرئيس وزراء دولة اسرائيل • وكان رد الفعل الغاضب الذى أحدثه وصوله الى هذا المنصب فى جميع أنحاء العالم ، بالاضافة الى زيارة السادات لمدينة « القدس » والضغوط الدولية التى تلتها ، قد أدى الى خلق هوة بين « بيجين » وبين أحلامه • وأدرك أن ساعة الحقيقة قد حانت ، وان عليه أن يواجه ما نجح كل رؤساء وزراء اسرائيل فى تجنبه ، وهو الخيار بين « السلم أو الأرض » •

وحاول « بيجين » أن يجد مخرجا من حيرته • فقد كان يريد التمسك بالضفة الغربية التى تحتل مكانة خاصة فى نفسه ، وأن يجد فى نفس الوقت حلا للمشكلة الفلسطينية واحتياجات اسرائيل الدفاعية •

واستدعى « بيجين » الى مكتبه اثنين من أقرب معاونيه وهما مدير مكتبه « يهييل كاديشاى » وسكرتيره العسكرى « افرايم بوران » •

وقال بيجين :

ـ « ان الحل الوحيد الممكن هو الحكم الذاتى • فهو يعطينا الأمن ثم السيطرة بعد ذلك •

وأخرج « كاديشاى » من حقيبة أوراقه الجلدية كراسا أصفر اللون ، وبدأ يكتب ما يمليه عليه « بيجين » ، الذى كان يذرع الحجرة جيئة وذهابا •

وكان « بيجين » يؤمن دائما بحق اليهود فى الاستيطان فى أى مكان

فى اسرائيل الكبرى ، وخاصة فى الضفة الغربية التى ظلت تحت الاحتلال الاسرائيلى منذ حرب الايام الستة • وكان حتى توليه السلطة ، يؤيد اقامة المستوطنات فى كافة أرجاء أرض اسرائيل التاريخية ، وذلك من أجل تأكيد حق الشعب الاسرائيلى فى هذه الأرض • ولكن حزبه ـ بسبب النقص الحاد فى القوى البشرية الذى كان يعانيه ـ لم ينجح الا فى اقامة عدد ضئيل من المستوطنات فى الأراضى المحتلة • بينما استطاع الحزب الحاكم الاكثر اعتدالا أن يقيم أكثر من ٧٠ مستوطنة فى هذه الاراضى • وكان عرب الاراضى المحتلة وقادة الدول العربية حانقين أشد الحنق من اقامة المستوطنات فى وادى نهر الاردن وفى الضفة الغربية • وكان الهدف من ذلك واضح تماما • ذلك أن مشروع الحكم الذاتى هذا يمكن اسرائيل من مواصلة سيطرتها على الضفة الغربية ، فى الوقت الذى يمنح فيه الفلسطينيين قدرا محدودا من الحكم الذاتى • كما كان المشروع يبقى لاسرائيل الحق فى شراء الاراضى واستيطانها فى منطقة الحكم الذاتى • وفى نفس الوقت ، كان المشروع يمنح للفلسطينيين حقا مماثلا فى شراء الاراضى واستيطانها داخل اسرائيل •

وكان مشروع « بيجين » يترك لعرب الضفة الغربية حق الاحتفاظ بالجنسية الاردنية أو التجنس بها • وكان فى مقدور أولئك الذين يختارون الجنسية الاردنية أن يرشحو أنفسهم للمجلس النيابى الاردنى ، وأن يدلوا بأصواتهم فى الانتخابات التى تجرى لاختيار أعضاءه • كما كان لهم أيضا حق التنقل بحرية داخل اسرائيل ؛ وكذلك حق اقامة نظام اقتصادى خاص بهم •

وكان مشروع « بيجين » التفصيلى يترك للعرب المقيمين ادارة الشئون الداخلية وحدهم تقريبا ، وذلك عن طريق مجلس ادارة مكون من احدى عشر عضوا يتم اختيارهم بالانتخاب الحر ، ويكون مقره فى « بيت لحم » أو « رام الله » ، وليس فى القدس •

وكانت المشكلة السكانية تمثل بالنسبة الى « بيجين » ـ مثله مثل العديد من الاسرائيليين ـ مصدرا كبيرا للقلق • وكان «بيجين» يخشى أن تؤدى الهجرة ـ بالاضافة الى الانفجار العربى السكانى ـ الى أن يصبح العرب أغلبية فى اسرائيل الكبرى • كما كان المهاجرون الفلسطينيون الذين فروا من اسرائيل أثناء حرب عام ١٩٤٨ يمثلون المصدر الاكبر للقلق بالنسبة الى « بيجين » • فقد كان يخشى أن يقوم هؤلاء الفلسطينيون ـ الذين يقيمون فى البلاد العربية ـ بتفسير الحكم الذاتى على أنه يعني ان فى مقدورهم العودة بحرية الى أرض آباءهم • ولذلك فقد نص مشروعه على أن تقوم لجنة اسرائيلية ـ أردنية مشتركة ، بالاضافة الى المجلس الادارى ،بالا شراف على عودة هؤلاء اللاجئين •

وقد كان لمشروع الحكم الذاتى مزايا كبرى من وجهة نظر « بيجين» ذلك أن المشروع لم يكن يسمح للاردن بترسيخ نفوذه فى الارض المحتلة ، فى نفس الوقت الذى كان يترك فيه لاسرائيل بمفردها السيطرة الكاملة فى مجالى الدفاع والسياسة الخارجية ، كما ينقل مركز الثقل من « منظمة التحرير الفلسطينية » الى سكان الضفة العرب •

وقد كانت مزايا المشروع فى الواقع ، واضحة بجلاء تام : فالفلسطينيون المقيمون فى الاراضى المحتلة لن يكونوا سادة أنفسهم • صحيح انهم سوف يصبحون أحرارا فى اتخاذ القرارات المتعلقة بأفضل الاماكن لوضع أنابيب المجارى فى منطقة « حيرون » ، مثلا ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يقيموا جيشا ، أو يرفعوا علما ، أو أن تكون لهم عملتهم الخاصة ونشيدهم القومى الخاص •

ولكن مقترحات بيجين فيما يتعلق بالتسوية مع مصر بخصوص سيناء كانت أقل تعقيدا • فقد كانت هذه المقترحات تعترف بسيادة مصر على شبه الجزيرة بأكملها ، وتوافق على الانسحاب الى الحدود

الدولية • ووفقــا لهذه المقترحات ، فان هذا الانسحاب سوف يتــم على مرحلتين ، وكان للغرض من المرحلة الاولى هو ارضاء المصريين وتعويض الاسرائيليين • ولذا فان خط الانسحاب فى المرحلة الاولى يمتــد من مدينة العريش الى منطقة « راس محمد » ، الامر الــذى يعطى مصر أحــد المدن الهــامة فى سيناء (العــريش) ممــا يؤكــد سيطرتها العملية على المنطقــة ، فى نفس الوقت الذى تترك فيه « شرم الشيخ » لاسرائيل ، وذلك لضمان مرور سفنها المتجهة الى خليج « ايلات » (العقبة) •

أما المرحلة الثانية من الانسحاب العسكرى ، فقــد كانت أكثــر تعقيــدا شيئا ما ، بسبب تضمينها مشاكل صعبة سوف تنشأ عندما يعود الجيش الاسرائيلى الى حدوده القديمة • وكان « بيجين » ينوى الاحتفــاظ بالمستوطنات المقــامة على مشارف « رفح » والمطــارات العسكرية الثلاث هنــاك ــ وكلها تقع فى المنطقة التى سوف توضــع باكملها تحت اشراف الامم المتحدة ــ حتى عام ٢٠٠١ •

وكان « بيجين » يظن أنه لانه لم يتردد فى الاعتراف بحق مصر فى حكم شبه الجزيرة فان السادات سوف يوافق على هذه التحفظات • ووفقــا لخطــة « بيجين » أيضا ، فقــد كان من المفروض أن تستغرق المرحلة الاولى من ٣ الى ٥ سنوات من وقت توقيع الاتفاق ، الــذى كانت الخطة تقضى بمراجعته فى عام ٢٠٠١ •

وانقضت الايــام التالية فى مشــــاورات سريــة مع الاصــــدقاء والمستشارين وبعض موظفى الحكومة حول خطة الحكم الذاتى ، حتى انتهت الى شكلها الاخير ، دون علم معظم الوزراء •

وكان « بيجين » يؤمن ، بشكل عام ، ان التنسيق المسبق مع الولايات المتحدة قــد يجلب ضغوطا لا داعى لها • ولكنه بدا له انــه من الافضل ، هذه المرة ، عرض المشروع على الرئيس « كارتر » أولا •

وأثناء الزيارة الرسمية التى قام بها « بيجين » لبريطانيا ، تشاور مع سفير اسرائيل الى الولايات المتحدة « سيمحا دينتز » ، حول هذا الموضوع •

وقال له « دينتز » :

ـ « أنا لا أعتقد أنه يمكن الوصول الى تسوية بدون تاييد الولايات المتحدة • ولذلك فانه من الافضل عرض الخطة على كارتر أولا للفوز بمباركته لها • هذا بالاضافة الى ذلك سوف يسهل له الاغضاء عن فكرة عقد مؤتمر جنيف ، التى لا تزال تشغل باله » •
وقرر بيجين أن يذهب الى واشنطن •

عرض « بيجين » الخطة التى وضعها للسلام ، عشية سفره الى واشنطون ، على وزراءه الذين لم يكونوا ـ باستثناء موشيه دايان ـ يعرفون عنها شيئا •

ولم يقدم « بيجين » لهم الخطة كتابة ، وانما عرض لهم خطوطها الرئيسية شفهيا •

ولم يتعرض أحد لمناقشة خطة التسوية الخاصة بسيناء •

ولما لم يكن مجلس الوزراء قد أخطر مسبقا بما سوف تتم مناقشته فى اجتماعه ، فلم يكن أمامه غير الموافقة على « الامر الواقع » الذى واجههم به « بيجين » •

وقال « ايجال يادين » :

ـ « ان فكرة الحكم الذاتى فكرة رائعة ، وأنا أؤيدها مائة فى المائة ، ولكننى لا استطيع أن اتحدث نيابة عن حزبى ، ولابد ان أتشاور مع زملائى » •

واستمر الاجتماع سبع ساعات • وقد أنهاه « بيجين » محذرا بقوله :

ـ « أننى أريد الابقاء على هذا الموضوع فى سرية تامة ، حتى أقابل كارتر وأعرض عليه المقترحات الاسرائيلية • وأنا أعلم أن الخطة ربما كانت تحتوى على بعض المجازفة ، ولكننا يجب أن نكون على استعداد للمجازفة من أجل السلام » •

فقد كان « بيجين » أيضا ، يعلم أن خطته لا تمثل حلا نموذجيا ، ولكنها كانت أفضل من لا شىء • وقد ينتهى الامر باقامة السلام مع مصر ، دون اتخاذ قرار نهائى بصدد الضفة الغربية •

... ...

لم يعلم رئيس أركان الجيش الاسرائيلى بأنباء خطة « بيجين » للسلام ، الا فى وقت متأخر • ذلك أن رئيس الوزراء الاسرائيلى لم يستشر الماجور جنرال « جور » ، كما لم يتحدث مع رئيسه وزير الدفاع « وايزمان » •

وكان « جور » يريد أن يصحب بيجين فى زيارته الى واشنطن كمستشار عسكرى يقدم اليه النصح فى مباحثاته مع كارتر •

ورفض « وايزمان » بموافقة بيجين الضمنية ، الموافقة على طلب « جور » •

وشعر « جور » أن رفض طلبه يمثل اهانة شخصية وجهها اليه وزير الدفاع ، انتقاما من تصريحاته عشية زيارة السادات الى اسرائيل •

ولم يحتفظ « جور » بآرائه لنفسه • وأخذ يشكو فى مجالسه الخاصة من أن عملية اتخاذ القرار ، فيما يتعلق بزيارة السادات ومفاوضات السلام بوجه عام ، اعتورها الكثير من جوانب النقص • كما أن الموقف الحالى لا يتيح فرصا لاقامة سلام دائم ، لان المشكلة الفلسطينية سوف تبقى بدون حل •

وعلى ذلك ، وفقا لرأى رئيس أركان الجيش الاسرائيلى ، فان ما يتطلبه الامر هو عقد تسوية جزئية مع مصر تترك لاسرائيل

السيطرة على سيناء • وهو الامر الذى يتيح للجيش الاسرائيلى الاحتفاظ بحريته فى المناورة فى حالة نشوب حرب •

ولم يسعد القادة الجدد الذين تولوا مسئولية نظام الدفاع الاسرائيلى عندما سمعوا بما يقوله « جور » • وأدلى « موردخاى زيبورى » ، نائب وزير الدفاع ، بتصريح غاضب قال فيه :

ـ « أحب أن يكون مفهوما ، الان وفى أى وقت آخر ، أن الجنرالات ليسوا هم الذين يديرون شئون البلاد » •

... ...

عرض « بيجين » على « كارتر » خطته للسلام فى شكل مكتوب ، بعضه على الالة الكاتبة وبعضه الآخر باليد • وقد كانت تلك أول مرة تتقدم فيها اسرائيل الى الحكومة الامريكية خطة شاملة للسلام •

وكان كارتر ينصت باهتمام • ومن وقت لاخر كان يقول « أوافق على ذلك » • ولم يبد هو ، ولا أحد آخر من مساعديه ، أية تحفظات عندما عرض « بيجين » خطة التسوية الخاصة بسيناء •

ولكن رد الفعل فيما يتعلق بالحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزه ، كان أكثر اعتدالا : « اسهام هام » و « تقدم هام » ••• الخ •

وانهال كارتر على بيجين بالاسئلة :

ـ هل ستبقى قوات الدفاع الاسرائيلى فى المنطقة ؟ وماذا عن المستوطنات ؟

وأجاب بيجين :

ـ أنا لا أريد حدوث احتكاك مع سكان الأراضى المحتلة • ولذلك فسوف أنقل الجيش من المدن الى بضع قواعد قليلة •

وأضاف دايان قائلا :

ـ بل ان القوات الاسرائيلية فى الوقت الحالى لا تتمركز داخل المدن نفسها •

أما فيما يتعلق بالمستوطنات ، فقد قال « بيجين » :

ـ سوف تبقى المستوطنات فى المنطقة • فنحن نريد أن نعيش معا •

ولكن الاسئلة التى كان يوجهها « زيجنيو برزنسكى » ، مستشار الرئيس الامريكى لشئون الامن ، كانت تسبب الضيق لرئيس الوزراء الاسرائيلى •

فقد ساله « برزينسكى » :

ـ « ما هى الجنسية التى سوف يحملها سكان الأراضى ؟
فرد بيجين قائلا :

ـ « سوف تكون لهم حرية اختيار الجنسية التى يريدونها : سواء كانت الجنسية الاسرائيلية أو الاردنية أو المحلية » •

فعاد مستشار الامن القومى يسأل :

ـ « وهل سيكون لهم حق الانتخاب والترشيح للكنيست ؟ •

فأجاب « بيجين » :

ـ « لا ، سوف يكون هذا الحق قاصرا على الذين يختارون الجنسية الاسرائيلية » •

فقال برزينسكى معلقا :

ـ سوف يكون ذلك مثل جنوب افريقيا • انك ، بهذا الشكل ، تنتزع منهم الحق فى الانتخاب •

فصاح بيجين غاضبا من المقارنة :

ـ « وهل يستطيع السود فى جنوب أفريقيا اختيار الجنسية التى يريدونها ، أو ترشيح أنفسهم للمجلس النيابى ؟ اننا نقول أن لاى منهم الحق فى اختيار الجنسية الاسرائيلية والتمتع بكافة حقوق المواطنة • اننا لا نفرض عليهم شيئا ، ولا تنتزع منهم شيئا » •

وأقترح وزير الخارجية الامريكى ، « سيروس فانس » ، تأكيد الصلة بين الضفة والاردن فى خطة الحكم الذاتى ، الامر الذى قد يغرى الملك حسين بالانضمام الى عملية السلام •

وقال بيجين فى زهو ان هذه هى أول مرة يعرض فيها على « العرب الفلسطينيين » اقامة كيان خاص بهم • (وبيجين يرفض استخدام تعبير « الشعب الفلسطينى ») •

وانتهت المناقشة المطولة بسؤال وجهه بيجين الى « كارتر » :

ـ « سيدى الرئيس ، ألا تعتقد أن هذه الخطة تمثل أساسا عادلا للمفاوضات ؟ »

فرد عليه الرئيس الامريكى قائلا :

ـ بالتأكيد ، بالتأكيد !

وقد استنتج « بيجين » من ردود فعل الرئيس الامريكى ، وملاحظات معاونيه الذين حضروا النقاش ، ان واشنطون توافق على الخطة الاسرائيلية • ولكنه لم يحاول اخفاء ان خطته هذه كانت لا تزال بحاجة الى الحصول على موافقة مجلس الوزراء الاسرائيلى •

وفى اليوم التالى ، اجتمع « بيجين » مع أربعة من كبار أعضاء مجلس الشيوخ الامريكى ، وأخبرهم بأن الرئيس الامريكى يقول ان خطته ـ أى خطة « بيجين » ـ تمثل أساسا عادلا للمفاوضات » •وكان البيت الابيض قد قام بابلاغ الرئيس السادات بالمبادىء التى احتوتها الخطة الاسرائيلية •

وفى النهاية ، كان « برزينسكى » هو أكثر مساعدى « كارتر » حماسا لمقترحات « بيجين » . وقد قال مستشار الامن القومى لمساعديه معلقا على الخطة الاسرائيلية :

- « انها بداية طيبة ، كما انها تتفق مع خطتى . وأنا سعيد بأن بيجين هو الذى تقدم بها . وفى المرحلة الثانية يمكن ان يؤدى الحكم الذاتى الي اقامة دولة فلسطينية (١) .

كذلك عرض « بيجين » مقترحاته على عدد من قادة البلدان الاوربية. وقد زعم ، فيما بعد ، انهم جميعا « أثنوا عليها ثناءا بالغا » .

ولكن الامر كان مختلفا فى اسرائيل . فعندما تسربت الانباء ببعض ما ورد فى الخطة ، عارضها قسم كبير من الرأى العام ، ومن بينهم بعض أفضل أصدقاء « بيجين » . كذلك تناولها أعضاء حزب العمل الذين لا يؤيدون اقامة دولة فلسطينية ، بالنقد الحاد . فقد شعروا أن خطة « بيجين » تمثل « مدخلا لاقامة دولة فلسطينية » . وكانوا لذلك ، يفضلون صيغة أكثر امانا ، وهى التوصل الى تسوية اقليمية مع الاردن .

ولمدة سبع ساعات كاملة ، ظل مجلس الوزراء الاسرائيلى يناقش الخطة فى اجتماع عقده فى الاسبوع الاخير من شهر ديسمبر وحضره كل من « وايزمان » و « جور » . وقد عارض « وايزمان » الخطة بحرارة ، ولكنه استسلم ، أخيرا ، لضغوط « بيجين » .

والواقع ، أن خطة « بيجين » كانت مليئة بالثغرات الواسعة ، التى نتجت عن رفضه الاستعانة بفريق حكومي لوضعها . ومن بين المسائل التى أغفلتها الخطة ، على سبيل المثال ، موضوع مصادر اسرائيل من المياه ، والتى تقع أساسا فى الضفة الغربية .

وقد انتهى اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى بارسال برقية عاجلة الى السفير الاسرائيلى فى واشنطون تطلب منه ابلاغ البيت

الأبيض أن اسرائيل تريد ادخال احدى عشر تعديلا على الخطة التي قدمها « بيجين » لكارتر ٠ وكان بعض هذه التعديلات يمثل تغييرات جوهرية ، وكان عشرة منها تتعلق بالحكم الذاتي فى الضفة الغربية ٠ كما تم أيضا اضافة خمسة أقسام جديدة لم تكن موجودة فى الخطة الاصلية ٠

وعندما تمت موافقة مجلس الوزراء الاسرائيلي على خطة « بيجين » فى ٢٣ ديسمبر ١٩٧٧ كان عدد أقسام الخطة قد بلغ ٢٦ قسما ٠

وكانت التعديلات الجديدة تحوى عددا من الاعلانات التي تنص على أن اسرائيل لن تتولى فقط مسئولية حفظ السلام فى منطقة الحكم الذاتي ، وانما مسئولية الحفاظ على النظام والأمن العام أيضا ، كما أن عودة اللاجئين سوف تكون قاصرة على عدد معقول ، وبشرط التوصل الى قرار جماعي فى اللجنة المشتركة ٠ كذلك نصت التعديلات على اقامة لجنة لبحث موضوع السلطة التشريعية ، وأن تكون قرارات هذه اللجنة بالاجماع أيضا ٠ وزيادة على ذلك ، فقد كانت هذه التعديلات تقضى بأن المواطنين الاسرائيليين أو العرب الذين يختارون الجنسية الاسرائيلية هم وحدهم الذين سوف يكون لهم حق شراء الاراضي ٠ كما أضيف أيضا نص يؤكد أن تنفيذ الخطة رهن باقامة السلام ٠

أما فيما يتعلق بسيناء ، فقد قضت التعديلات الجديدة بوضع المستوطنات الجديدة التي سوف تقام على مشارف « رفح » تحت الادارة الاسرائيلية ، وأن تكون خاضعة للقوانين الاسرائيلية ٠ كذلك حدت التعديلات من درجة الحكم الذاتي ، وزادت من سلطة الاعتراض (الفيتو) التي سوف تتمتع بها اسرائيل فى فترة الانتقال ٠

وغضبت واشنطون عند ابلاغها بالتعديلات الاسرائيلية الجديدة ، والتي جعلت كل من البيت الابيض وزارة الخارجية الامريكية يبدون

كالبلهاء فى عين الرئيس المصري ، والذى كان قد تم ابلاغه بخطة « بيجين » الاصلية ٠

وكانت تلك أول حلقة فى سلسلة من وقائع سوء الفهم بين « كارتر » و « بيجين » ٠

وكان « بيجين » قد عبر عن رغبته ، اثناء وجوده في واشنطون ، فى تقديم خطته بنفسه للرئيس المصرى ، وكان قد اقيم خط تليفوني مباشر بين البيت الابيض والقصر الجمهورى فى القاهرة ٠ وتم الاتفاق على أن يلتقى « بيجين » و « السادات » فى الاسماعيلية ٠ وقد وافق السادات على ذلك بعد أن أصبح واضحا أن مؤتمر « مينا هاوس » قد وصل الى طريق مسدود ٠ وقد مارس السفير الامريكى في القاهرة « هيلمان اليتس » ، ضغوطا على السادات كى يجعله يعترف بهذه الحقيقة ٠

وكان « هيرمان اليتس » يتمتع بقدر كبير من النفوذ لدى السادات ٠ وكان السفير الامريكى فى القاهرة ، احد الذين كانوا موضع ثقة الدكتور « هنرى كيسنجر » ، وقد عمل ، قبل تعيينه في القاهرة ، فى كل من لبنان والمملكة العربية السعودية ٠

و « هيرمان اليتس » ، رجل طويل القامة ، ذو شارب رفيع ، وابتسامة تعلو شفتيه بصفة دائمة ، وهو بالاضافة الى طبيعته الهادئة الوديعة ، رجل متحفظ غاية التحفظ ٠ فطوال مدة خدمته فى القاهرة ، لم يتحدث ولو مرة واحدة ، الى الصحف ٠ وكان السادات معجبا به ، كما كان الاتصال بين الرجلين يتم يوميا عن طريق خط تليفونى خاص ٠ وكان « اليتس » ، دائما ، يجيب على اسئلة السادات على الفور ، حتى ولو لم تكن هذه الاجابات مرضية ٠

وكان « هيرمان اليتس » منذ تعيينه سفيرا للولايات المتحدة فى القاهرة ، يعتبر نفسه شريكا ايجابيا فى عملية بناء السلام ٠ وقد قال ذات مرة :

ـ « سوف أبقى هنا حتى بعد تحقيق السلام » وقد فضل البقاء فى القاهرة ، حتى بعد أن عرضت عليه الترقية كى يشغل منصب مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الاوسط ٠

وكان « اليتس » يعتقد أن السادات يحتاج الى « ورقة شجرة جميز » وليس « شجرة جميز » كاملة ، كى يصل الى تسوية مع اسرائيل ٠ كما كان يعتقد ايضا أن اعلانا عاما بالمبادىء سوف ينبثق عن اجتماع الاسماعيلية ، الامر الذى سوف يجعل عجلة السلام تبدأ فى الدوران ٠

وكان السفير الامريكى فى القاهرة يعتقد ، بالاضافة الى ذلك ، أن نقطة الضعف الرئيسية فى الرئيس المصرى تتمثل فى انه لا يخطط تحركاته بشكل تفصيلى ، وانما يكتفى برسم الخطوط العريضة لخططه ، ثم يترك لمعاونيه مهمة ملء التفاصيل ٠ وكثيرا ما يؤدى معاونيه مهمتهم التكميلية هذه بطريقة لا ترضى السادات ٠ وكان الرئيس المصرى يعتقد أن المفاجأة التى احدثتها زيارته للقدس سوف تولد صدمة تؤدى الى حدوث تغير جذرى فورى ٠

وتقرر أن ينعقد مؤتمر القمة بين « السادات » و « بيجين » فى يوم عيد الميلاد ٠ وتصاعد التوتر في القدس ٠

أما فى مصر ، فقد كان كل شىء هادئا ٠ ولكن شوارع مدينة الاسماعيلية زينت بالاعلام المصرية ، واقواس النصر ، وصور فوتوغرافية ضخمة للسادات وهو يرتدى الزى العسكرى ٠ ولم تكن هناك صورة واحدة لرئيس وزراء اسرائيل ، ولا كلمة تحية واحدة للضيوف القادمين ٠

وقد قال أحد كبار موظفى وزارة الخارجية الامريكية لراسل جريدة « نيويورك تايمز » تعليقا على ذلك :

ـ « ان السادات وبيجين صاروخان غير موجهان ٠ ومن الصعب أن يتنبأ المرء بنتائج اجتماع كهذا » ٠

هوامش الفصل الثانى عشر

(١) يقول كارتر عن زيارة بيجين هذه لواشنطون :

« عندما وصل بيجين ، أثار مشروعه بشأن منطقة سيناء اعجابنا واهتمامنا ، فقد كانت اكثر مرونة من اية مقترحات سابقة . وقد ذهب بيجين ابعد بكثير مما ذهب اليه اى من اسلافه من حزب العمل ، حين عبر عن استعداده لاعادة هذا الجزء من سيناء من شرم الشيخ على ساحل ايلات (هكذا فى الأصل — المترجم) وأن بسحب القوات الاسرائيلية ، اذا قام السادات بنزع سلاح المنطقة التى تقع شرقى ممرى الجدى ومتلا فى سيناء . ولكن مقترحاته فيما يتعلق بالضفة الغربية لم تكن مقبولة ، رغم اننى اعتبرتها آنذاك خطوة فى الاتجاه الصحيح » .

« وقد اطلق بيجين على مشروعه اسم : مشروع الحكم الذاتى : وقال انه على استعداد ان يوقف دعاوى اسرائيل بالسيادة على الضفة الغربية لفترة محدودة ، وان يمنح سكان الأراضى المحتلة سلطات تقرير شؤونهم الداخلية . كما أكد انه يريد اقامة السلام مع كافة جيرانه ، وانه لن يكون هناك صلح منفصل مع مصر » .

ثم يمضى الرئيس الأمريكى السابق وينقل من يومياته التى كتبها آنذاك قائلا :

« اجرينا مناقشات طويلة وتفصيلية ، واعربت عن قلقى من ان مقترحاته غير كافية ، وان ذلك قد يؤدى الى سقوط السادات، وحثثته ان لا يدلى بأية تصريحات حول هذه المقترحات الى ان تتاح للسادات فرصة تقييمها ، وقد وعد ان يفعل ذلك — اليوميات ، ١٦ ديسمبر ١٩٧٧ » .

ثم يستطرد كارتر قائلا :

« ابتهج بيجين عندما قلت له فى اليوم التالى ان مبادرة السادات بالذهاب الى القدس تشبه مبادرات معبود بيجين زئيف جابوتنسكى — وهو قائد صهيونى حارب من اجل اقامة دولة اسرائيل — فى إجسارتها وفى سعيها للتوصل الى حل نهائى بدون اللجوء الى مفاوضات جزئية ، وكنت آمل ، بطبيعة الحال ، ان يفعل رئيس الوزراء (الاسرائيلى) نفس الشىء ، ولكن كل ما وافق على قوله هو انه بالنسبة الى الضفة الغربية : « فان الحكومة الاسرائيلية سوف يتم الغاءها ، كما وافق ايضا على انه ايا كانت حقوق الاستيطان فى الضفة الغربية التي يزعمها اليهود ، فان للعرب الفلسطينيين نفس الحقوق في شراء العقارات في اسرائيل والاستيطان بها ، وقد بدا بيجين اكثر مرونة فيما يتعلق بالضفة الغربية مما توقعت بكثير ، ولكننى اكتشفت فيما بعد ان كلماته الطنينة كان لها اكثر من معنى واحد ، وهو الأمر الذي لم افهمه انا ولا مساعدي فى ذلك الوقت ، وقد وعد بالتزام الحذر الشديد فيما يتعلق بتصريحاته حتى لا يسبب الحرج للسادات » .

ثم يختتم بيجين تعليقاته حول زيارة بيجين بالنقل مرة اخرى من يومياته قائلا :

« اننى اشعر بالرغبة فى حماية السادات . وبشكل غريب ، فان ذلك هو ما يشعر به بيجين ايضا ــ اليوميات ، ١٧ ديســمبر ١٩٧٧ » .

« ذلك ان السادات سوف يكون فى حاجة الى كل ما نستطيع ان نقدمه له من حمــاية . وفى الأيام القليلة التالية ، وفيمــا كان بيجين يعرض مشروعه على رئيس الوزراء كالاهان فى لندن ، ثم على المصريين ، تم تعــديل هــذا المشروع بشــكل جوهرى . كذلك فقــد ابلغنى انه ســوف يضطر الى تغيير موقفه بشأن حق العرب فى تملك الأراضى فى فلســطين ، مدعيا ان مجلس الوزراء (الاسرائيلى) لن يوافق على ما وعدنى به » . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ، ص ٢٩٩ و ٣٠٠) .

١٣
أزمة على ضفاف القناة

كان رئيس وزراء اسرائيل « مناحيم بيجين » منهكا ، ولكن روحه المعنوية كانت عالية وطائرته تحلق فوق البحر الابيض المتوسط فى رحلتها من مطار « بن جوريون » الى مدينة الاسماعيلية ٠

وحين كانت الطائرة توشك أن تدخل المجال الجوى المصرى ، تجاه مدينة « بورسعيد » ، اتجهت مضيفة الطائرة الى « بيجين » ، وقالت له فى صوت خفيض حزين :

ـ « كان من الفروض أن نحتفل اليوم بعيد ميلاد زوجى ، الذى قتل فى مصر اثناء حرب « يوم الغفران » ٠

وترقرقت عيناها بالدموع ، فربت « بيجين » ـ العاطفى بطبيعته ـ على كتفها فى تأثر ٠ وعندما تمالكت المضيفة نفسها ، قالت لرئيس الوزراء :

ـ « ان الامة تتطلع اليكم ٠ اننا نرجو ان تجلب لنا السلام »

وحين دخلت الطائرة المجال الجوى المصرى ، قال « بيجين » لحاشيته :

ـ لقد قام « موسى » برحلة مماثلة لرحلتنا هذه منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة عام ، ونحن نقتفى اليوم أثره ، ولكن بقدر من السرعة اكبر بكثير ، وفى الاتجاه المعاكس » .

وبعد رحلة استغرقت نحو ٤٠ دقيقة ، هبطت الطائرة التابعة لشركة « العال » فى قاعدة « ابو صوير » الجوية ، بالقرب من مدينة الاسماعيلية ، التى كانت قد تعرضت لقصف عنيف اثناء حرب الايام الستة والتى لم يبدأ استخدامها ، مرة أخرى ، الا بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وهبط « بيجين » سلم الطائرة فى تثاقل ، وقد تملكه الانهاك . فقد بدأ النشاط المكثف الذى قام به ، فى الاسابيع الاخيرة الماضية ، يحدث أثره المتوقع . ولم يكن قد حظى فى الليلة السابقة ، الا بقسط ضئيل من الراحة .

وكان الاستقبال فى المطار المصرى فاترا . ولم تكن هناك أعلام ولا خطب ترحيب ، ولا عزف للنشيدين القوميين للبلدين ، ولا اطلاق للمدافع . وتمت مراسيم الاستقبال فى عجلة .

ومما زاد الامر سوءا ، ان احد الفنيين العاملين فى التليفزيون المصرى قد احدث « ماسا » فى كابلات الصوت ، الامر الذى نتج عنه استحالة نقل استقبال رئيس الوزراء الاسرائيلى على الهواء .

ولكن المشهد فى مدينة الاسماعيلية كان اكثر حرارة ، حيث امتلأت شوارعها بالآلاف من اقواس النصر الملونة ، والاعلام المصرية ، والصور الفوتوغرافية الضخمة للرئيس المصرى ببزته العسكرية ، واللافتات التى كتب عليها « السادات بطل العبور » و « السادات بطل السلام » .
ورغم ذلك ، فقد همس « دايان » لبيجين قائلا :

ـ « ليس هناك لافتة واحدة ترحب بنا ! »

وكان السادات ينتظر ضيوفه فى شرفة « فيلته » ذات الطابقين التى تقع على مشارف مدينة الاسماعيلية • وكان المئات من رجال الشرطة والا من يحيطون بالسياج المنخفض الذى يفصل المنزل عن الشارع •

وتقدم السادات ، الذى كان يرتدى حلة انيقة قاتمة ، ومد يده كى يصافح « بيجين » ، الذى تطلع اليه برهه ، ثم قال :

— « سيدى الرئيس ، انك تبدو فى صحة جيدة • فهل انت على ما يرام

فرد السادات قائلا :

— « نعم • ولكننا سوف نرى كيف تسير الامور » •

وقد كان السؤال الذى يشغل ذهن « دايان » آنذاك هو : كيف ستسير الامور ؟ وكان قد طرح هذا السؤال على « بيجين » فى كلمات قليلة اثناء الاجتماع الذى عقده مجلس الوزراء فى اليوم السابق • وقد كان « دايان » متشائما اثناء زيارة السادات للقدس ، وزاد تشاؤمه بعدها • فقد كان واثقا ، منذ البداية ، من أنه لا مصر ولا الولايات المتحدة سوف يقبلان الموقف الاسرائيلى ، وان اسرائيل سوف تطالب بدفع الثمن غاليا •

ولكل ذلك ، ولغيره ، كانت الكآبة ، بلونها المعتم ، تخيم على مشاعر « دايان » وهو يهز يد الرئيس المصرى مصافحا •

كذلك كان القلق يتملك وزير الدفاع « وايزمان » ، الذى لم يكن يتوقع أن يصحبه « بيجين » فى زيارته للاسماعيلية • وقد كان هناك شعاع من الامل يخترق سحب تشاؤمه ، وهو يقدم الى « بيجين » تقريرا عن اجتماعاته مع السادات والجمسى •

وكان قد صرح عقب هذه الاجتماعات بقوله :

ـ « سوف يتقرر فى اجتماع الاسماعيلية ما اذا كانت المفاوضات بين اسرائيل ومصر سوف تستمر أم لا • وانا ارجو أن تستمر ! » •

وكان « وايزمان » يحمل فى حقيبته ملفات اعدها له معاونوه ، تحوى اقتراحات بحدود الانسحاب ، وبالترتيبات المتبادلة ، وكذلك دلالات عمليات الانسحاب من الناحية الامنية ، بالاضافة الى تكلفتها •

اما بيجين ، فقد كان يؤمن بصدق المدائح التى انهالت على خطته للسلام ، ولكن الشقوق الاولى فى جدار ايمانه بدأت فى الظهور حتى قبل أن يغادر القدس فى طريقه الى الاسماعيلية •

ذلك أن « صمويل لويس » ، سفير الولايات المتحدة فى اسرائيل ، عبر فى اجتماع عقده العاملين فى السفارة فى تل ابيب ، عن تشاؤمه من امكانية قبول مصر لخطة السلام الاسرائيلية • وقد استشاط « بيجين » غضبا حين بلغه ذلك •

بل ان الرئيس المصرى كان قد صرح ، حتى قبل وصول « بيجين » الى الاسماعيلية ، بانه لا يمكن ان يوافق على بقاء الوجود العسكرى الاسرائيلى فى مناطق الحكم الذاتى • وهكذا فان تصريحاته العلنية كانت تتفق مع ما قاله « وايزمان » اثناء اجتماعه السابق به •

وبالرغم من كل ذلك ، فقد كان « بيجين » واثقا ، حين غادر القدس ، ان مباحثاته فى الاسماعيلية سوف تدور على أساس خطته للسلام • ولكن السادات كان يدخر له مفاجأة لم يتوقعها •

كانت الروح المعنوية لكل من « بيجين » والسادات عالية • وأخذ بيجين يلقى النكات حول طبيبه الخاص ، الدكتور « لويس جاتسمان » ، وكيف انه ـ أى « بيجين » ـ يسأله كل صباح : « كيف حالك اليوم يا دكتور ؟ » • بينما كان السادات يبتسم ، فى أدب ، طيلة الوقت •

وفوجىء « بيجين » بانه يجلس فى غرفة ليس بها سوى مصريين •

ثم ادرك انه يشهد ــ كضيف ــ مراسيم توليه « محمد ابراهيم كامل » منصب وزير الخارجية ، خلفا لاسماعيل فهمى(١) • وبعد انتهاء مراسم تولية وزير الخارجية الجديد ، عقد السادات و « بيجين » اجتماعا منفردا ، فى غرفة جانبية ، دام نحو ٢٢ دقيقة • وعندما فتح باب الغرفة الجانبية ، بعد انتهاء الاجتماع ، خرج « بيجين » وعلى وجهه ابتسامة عريضة ، بينما كان وجه السادات جامدا لا يحمل أى تعبير •

واعلن « بيجين » للقادة المصريين والاسرائيليين الذين احتشدوا خلف الباب المغلق :

ــ « لقد اتفقنا على اقامة لجنتين : لجنة سياسية ، ولجنة عسكرية •••

وهرع مئات الصحيفين الذين امتلأت بهم حجرات مركز الاعلام الكبير الذى اقيم خصيصا لهذه المناسبة ــ هرعوا الى أجهزة التليفون ــ التى لا تعمل ــ فى محاولة لنقل هذا النبأ الى العالم •

وتحسن الجو • وبدا للكثيرين ان هذا الاعلان يمثل بداية مبشرة للمباحثات •

وجلس أعضاء الوفدين حول مائدة طويلة اقيمت فى البهو المستطيل الشكل ، وصفق السادات بيده مرتين ، فدخل ساقى يرتدى قفازا أبيض اللون ، وأخذ يصب شايا أخضر للرئيس المصرى وضيوفه الاسرائيليين •

وقال السادات ، وهو يرتشف الشاى :

ــ « لقد شربت شايا افضل من ذلك فى القدس » •

وادخلت هذه المجاملة السرور على قلب « بيجين » •

ثم وقف السادات على قدميه ، وبدأ يتحدث :

ـ « اسمحوا لى بالاصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن شعبى وحكومتى ان اقدم لكم ترحيبنا الحار بكم ٠ أن استقبالنا لكم هنا يسبب لنا ما يفوق السعادة ذاتها ٠ ويجدر بى ان اضارحكم بأننى اعتبر هذه الايام افضل ايام حياتى ٠ ولذا فانه يجب علينا أن نعمل من اجل محو الخلافات بين شعبينا ٠ ولقد عبر شعبى عن عواطفه وعن اماله فى السلام المبنى على العدل ٠٠٠ » ٠

وكان الجو فى البهو المزدحم ، خانقا شديد الحرارة ٠ واشار السادات الى ما وراء النافذة المغلقة وقال :

ـ « لم يحدث ، منذ عبر موسى البحر بالقرب من هنا ، ان اجتمع ممثلوا شعبينا كما يحدث الآن ٠ ونحن نرجو أن تزول الكراهية التى دامت بين شعبينا مدة ٣٠ عاما ٠ ويجب أن ندرك أن انظار العالم كله تتركز علينا ، فلنر العالم ، اذن ، طريقا جديدا لاقامة السلام » ٠

ثم أشار السادات الى « وايزمان » وقال :

ـ لقد اجرينا ، أنا ووايزمان ، مباحثات مثمرة ، ولقد اتفقنا على بعض النقاط ، واختلفنا على البعض الآخر ٠٠٠

وجاء دور بيجين ، الذى وقف ، هو الآخر ، على قدميه ، وبدأ حديثه قائلا :

ـ أود أن انتهز هذه الفرصة ، يا سيادة الرئيس ، كى اقدم لكم التهانى بعيد ميلادكم التاسع والخمسين ٠٠٠

فقد كان بيجين قد استذكر دروسه جيدا ، وتوهج وجه السادات بالسرور والسعادة ، وواصل « بيجين » حديثه قائلا :

ـ « ٠٠ لقد ولدتم ، يا سيادة الرئيس ، فى قرية صغيرة ، وارتفعتم ـ بفضل نضالكم وتضحياتكم ـ الى ارفع المناصب القومية

والدولية • ونحن نكن لكم ، بوصفكم قائدا وزعيما للشعب المصرى ، احتراما كبيرا • ولقد عاش موسى حتى بلغ عمره ماية وعشرون عاما ، ونحن نرجو لكم حياة طويلة كحياته ، وعلى ذلك تكون يا سيادة الرئيس قد بلغت نصف عمركم فقط • وعندما خرج موسى الى الصحراء استغرقت رحلته اربعون عاما • وحين قدمنا اليكم اليوم ، لم يستغرق الامر اكثر من اربعين دقيقة كى نتفق على مواصلة المفاوضات •

« ان مصر ، والعالم كله ، بحاجة لكم • وأنا آمل ان نتمكن من تحقيق السلام قبل بلوغكم سن الستين • فنحن نأتى اليكم بقلب مفتوح مفعم بالثقة • ونحن نريد سلاما شاملا • ونحن نرغب ان ينضم جميع جيراننا الى مجمع الثقة هذا الذى بنيناه • ولقد قلتم ، بحق ، ان انظار العالم كله تتطلع الينا • وذلك اننا نمر الآن بزمن عظيم • ونأمل ، من كل قلوبنا ، ان لا تكون هناك بعد الآن حروب أو كراهية أو سفك للدماء • باختصار : دعونا نكن اصدقاء •• » •

وبعد هذه المقدمة الطويلة ، المليئة بعبارات المديح والثناء المبالغ فيها بعض الشيء دخل « بيجين » فى الموضوع قائلا :

ـ « لقد احضرت معي هنا خطة اسرائيل لتحقيق السلام •• »

وكان السادات بطبيعة الحال ، يعلم بالخطوط الرئيسية لهذه الخطة • ولم تكن التفاصيل تمثل اية اهمية بالنسبة له •

وظل بيجين مدة ساعة كاملة وهو يتلو خطته للسلام على السادات ومعاونيه • وكان يقرأ كل جملة بصوت واضح وفي بطء ، مؤكدا على كل كلمة يقرأها •

وبدأ الملل يغزو نفوس الحاضرين ، الذين اخذوا يتململون فى اماكنهم • وكان واضحا ان « وايزمان » يشعر بالقلق • وهمس « دايان » فى اذن جاره :

ـ « انا لا أفهم لماذا يتلو كل هذا الكلام » ؟

ولكن بيجين واصل تلاوته ، دون أن يعير ملل الحاضرين أى اهتمام .

وقال بيجين ، محاولا أن يلفت نظر السادات الى مقدار التنازلات التى تقدمها اسرائيل :

« لقد قررنا ، عملا ، ان نلغى كل القرارات التى اتخذتها الحكومات الاسرائيلية بعد عام ١٩٦٨ بصدد سيناء . ونحن لا ننوى ان نطلب منكم التوقيع على معاهدة صلح فى الوقت الذى لا تزال فيه اجزاء من سيناء تحت سيطرتنا . ذلك أن معاهدة الصلح التى ننشدها يجب أن تكون صالحة لعدة أجيال قادمة .. وأنا اقترح ان يمتد امد المعاهدة حتى عام ٢٠٠١ ، ثم يعاد النظر فيها بعد ذلك ...

وطلب السادات من أحد السقاه أن يملأ غليونه بالطباق . وكانت تبدو على ملامحه مظاهر نفاذ الصبر بشكل متزايد .

وختم « بيجين » حديثه قائلا :

ـ « اننا نقوم بمجازفة ، ولكننا نثق فيكم كما نثق فى وعودكم . ونحن نقبل الاقدام ، على هذه المجازفة ، ونحن على ثقة من أن اطفالنا سوف يحيون والابتسامات تشع من وجوههم ... الخ » .

تنهد الوزراء والمعاونون فى ارتياح عندما بدا أن « بيجين » قد اوشك على الانتهاء من محاضرته . ورفع السادات ذراعه فوق رأسه ، فهرع أحد المعاونين الى جانبه ، واشعل له غليونه . وكانت المائدة مزدحمة باطباق الكعك والبرتقال . ولم يكن أحد قد مس « التورتة » التى ارسلتها « هيئة قناة السويس » بمناسبة عيد ميلاد الرئيس .

وقال « بيجين » :

ـ هل تود يا سيادة الرئيس ، التعليق على مقترحاتى بخصوص سيناء الآن ؟ أم تراكم تفضلون سماع الخطة الثانية » ؟

وبدت الدهشة على وجه السادات ، وقال :

ـ خطة ثانية ؟ ما الذى تتعلق به هذه الخطة الثانية ؟

فرد بيجين قائلا :

ـ « انها تتعلق بمقترحاتنا بصدد الحكم الذاتى فى يهودا والسامره وقطاع غزه » ...

فقال السادات :

ـ تفضل بمواصلة الحديث . لنسمع ما يتعلق بهذا الموضـوع ايضا .

وبدا كما لو أن « بيجين » سوف يبدأ من البداية مرة أخـرى . فقد استهل حديثه قائلا :

ـ « ان اسرائيل لها مطـالب تتعلق بالسيـادة على « يهـودا » و « السامرة » فهذه أرض أسلافنا . ولكن ....

ووضع « دايان » رأسه بين يديه . بينما راح « وايزمان » ، للمرة الألف يتفحص وجوه الحاضرين . ولكن الحياة دبت فى موظفى وزارة الخارجية من اعضاء الوفد المصرى . فقد كان ذلك هو الموضوع الذى يحتل المرتبة الاولى فى اهتمامهم .

واستطرد بيجين يقول :

ـ « ولكن حيث ان هناك آخرون لديهم ايضـا مطـالب تتعلق بالسيادة على هذه الاراضى ، فاننى اقترح ان نترك هذا الموضوع مفتوحا ...

وكان بيجين يتحدث بثقة هائلة ، مؤكدا على كل حرف ينطقه ، وهو يقول :

ـ واذا تمت الموافقة ، على هذه الخطة ، فسوف تكون هذه هى أول

مرة فى التاريخ ، يتمتع فيها عرب هذه الاراضى بالادارة الذاتية ٠. اما نحن ، فسوف نحصل على الامن » ٠

وصفق السادات بيديه ، فهرع أحد الخدم الى جانبه ، ثم أسرع يفتح نوافذ البهو ٠ فقد جعل دخان الطباق جو الحجرة خانقا ٠

وانهى بيجين عرض خطته قائلا :

ـ « واود ان ابلغكم ايضا ، اننى قد عرضت هذه الخطة على كل من الرئيس كارتر ونائب الرئيس « مونديل » ووزير الخارجية « سيروس فانس » ٠ وقد اكدوا لى ، كما فعل ايضا عدد كبير من اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى ، ان هذه الخطة عادلة الى اقصى حد ممكن ٠ ولكن الامر كان مختلفا فى اسرائيل ٠ فقد تمرد قسم كبير من الرأى العام فى بلادنا ضد مقترحاتى ٠ وقد نظموا المظاهرات عند مكتبى ومنزلى ايضا » ٠

وقاطع « وايزمان » الحديث مؤيدا لـ « بيجين » ، وقال :

ـ « نعم ، هذا صحيح ٠ ولقد زارنى وفد عبر لى عن معارضته الحازمة لهذه الخطة ٠

ولم يبدو ان بيجين قد سعد كثيرا بمحاولة وايزمان لمساعدته ، فقد قال :

ـ « انت محظوظ يا « ايزر » فهم يرسلون لك الوفود ، اما انا فانهم يبعثون لى بالمظاهرات المعادية ٠٠٠

كان الظهر قد حل ٠ وكان أعضاء الوفد المصرى يشعرون بالقلق ٠ وبدا كما لو أن ـ زيارة بيجين للولايات المتحدة تشكل ضغطـــا سيكولوجيا بالنسبة لهم ٠ وكانوا يخشون ان يكون بيجين قد حصل على تأييد كارتر لخطة اسرائيل للسلام ٠

كذلك كان السادات ، أيضا ، يخشى من اقامة جبهة امريكية ـ اسرائيلية ضده ٠ وكان واضحا ان ما سمعه لم يدخل السرور على قلبه فقد قال :

ـ « لقد خاب ظنى يا سيدى رئيس الوزراء » •

فقال « بيجين » بسرعة :

ـ لا تتضايق ، فهذه هى المفاوضات !

وبدأ السادات رده على « بيجين » قائلا :

ـ « لقد تحدث رئيس الوزراء « بيجين » فى صراحة ، وقد استمعنا الى مقترحاته • وسوف نتقدم نحن بمقترحات مضادة اثناء المفاوضات • ونحن نختلف حول عدد من النقاط ، ولكننى أعتبر أن اجتماع اليوم قد حقق نجاحا كبيرا • ومهما كانت الخلافات بيننا •••

وانطلقت تنهيده ارتياح من الجانب الذى يجلس فيه الوفد الاسرائيلى • وبدت السعادة واضحة على وجوه « بيجين » وزملاءه • ولاحظ للسادات الاثر الذى تركته ملاحظاته على للوفد الاسرائيلى ، فاستطرد يقول :

ـ « لقد تحدثتم عن المصاعب التى تواجهكم ، وأنا ايضا أواجه عددا من الصعوبات : ذلك ان لدى مصر التزامات معينة تجاه العالم العربى ، مثل القرار الخاص بوجوب انسحاب اسرائيل الى حدود عام ١٩٦٧ ، وضرورة حل المشكلة الفلسطينية • ويجب مناقشة ذلك بشكل مطول • وسوف نناقش ذلك عندما نتعرض لصياغة مسودة اعلان المبادىء » •

وهكذا أخذ الوفد الاسرائيلى على غره • صحيح انه كانت هناك تلميحات ، سمعوها قبل مغادرتهم القدس ، عن رغبة السادات فى مناقشة اعلان المبادىء ، ولكن احدا لم يكن يتوقع منه أن يقلب الخطة الموضوعة للاجتماع رأسا على عقب ، وأن يفرض هو الموضوع المركزى فى جدول الاعمال •

واصبح واضحا أن حدوث مواجهة بين الجانبين قد غدا امرا لا يمكن

تجنبه • ذلك أنه على حين كان الجانب الاسرائيلى يريد مناقشة « خطة بيجين » للسلام ، فان الجانب المصرى كان يريد صياغة مسودة لاعلان المبادىء • وبدا انه سوف يصعب ايجاد حل وسط بين ما يريده الجانبان •

ومضى السادات يقول ان اصدار اعلان بالمبادىء سوف يؤدى الى تدعيم مؤتمر القاهرة ، وان كل شىء يجب اعداده جيدا ، وان ما تجب مناقشته هو الجوهر وليس الاجراءات ، وانه قد يكون ممكنا الذهاب الى مؤتمر جنيف ، ولكنه من الممكن ايضا نقل المباحثات الى القاهرة ، فقد كانت زيارة القدس تمثل محاولة للوصول الى المشاكل الجوهرية •

وكشف السادات عن نفاذ صبره حين قال منهيا حديثه :

ـ « انني اقترح ان يتبادل الوفدان وجهات النظر حول اصدار اعلان بالمبادىء ، وسوف نجتمع مرة أخرى فى وقت متأخر من بعد ظهر اليوم لمواصلة المناقشة » •

وبدأ السادات فى النهوض من مقعده ، وأصبح واضحا للاسرائيليين أن السادات يريد أن تكون له الكلمة الاخيرة فى هذا الاجتماع •

ولكن الجانب الاسرائيلى لم تكن لديه أى نية لمناقشة اصدار اعلان بالمبادىء • وقد كان « موشيه دايان » هو الذى اعاد السادات الى مقعده حين قال له :

ـ سيادة الرئيس ، هل توافق على اننا قد توصلنا ، فيما يختص بالمسالة الفلسطينية ، الى اتفاق بمناقشة الموضوع ، ولكن ليس هنا ، ذلك ان من رأيى أنه من الافضل أن لا نناقش هذا الموضوع فى الاسماعيلية » •

ورد عليه السادات قائلا :

ـ وأنا أريد أن نصل فقط الى اتفاق عام حول المبادىء ، وهناك مسائل لن نكون بحاجة الى مناقشاتها هنا ، مثل ترتيبات الامن فى الضفة

الغربية ٠٠ أو الترتيبات فى مرتفعات الجولان ٠٠ وتلك مسألة تخص سوريا ٠ ولكنه فيما يتعلق بالفلسطينيين فان الامر مختلف تماما ، فانا انوى أن نصل الى اتفاق مبدئى حول هذا الموضوع هنا ٠ وهذا أمر فى منتهى الاهمية ! » ٠

وسأل « دايان » السادات :

ـ ومتى يتعين على اللجنتين البدء فى العمل ؟

فأجاب السادات :

ـ حالما نصل الى اتفاق حول المبادىء ، فاننا نستطيع تحريك اللجنتين على الفور ٠

وهكذا ظهر الفخ بوضوح تام ٠ وبعد أن بدا كما لو ان اقامة اللجنتين كانت انجازا هامة حققه « بيجين » ، فقد ظهر كما لو أن الدخان المنبعث من غليون السادات قد أخذ يغلف هذا الانجاز ويخفيه ، واصبح واضحا أن السادات قدم انذارا خفيا : لا اعلان بالمبادىء = لا لاقامة اللجنتين ٠

وحاول « ويزمان » الانتقال بالمناقشة الى موضوع آخر ، ونجح فقد قال :

ـ سيادة الرئيس ، لقد ادركت من محادثاتى مع الجنرال الجمسى انكم تريدون الابقاء على قوات عسكرية شرقى الممرات فى سيناء ، وقد قال الجنرال الجمسى أن ذلك أمرا ضروريا من أجل الدفاع عن الـ ويس ٠٠ كما اننا نحن ايضا ، نحتاج الى عدد من المطارات فى سيناء ٠٠ » ٠

وقد قاطعه السادات متسائلا :

ـ ولماذا تريدون هذه المطارات ؟

فرد وايزمان :

ـ من اجل الدفاع عن أنفسنا •

السادات : السنا نقيم السلام ؟

وايزمان : اذن لماذا تحتاجون انتم وجود قوات لكم شرقى القنـــاة ؟

السادات : للدفاع عن قناة السويس •

وايزمان : ضد من ؟

السادات : ضدكم

وايزمان : ولكننا نقيم السلام الآن ••

السادات : انت مصيب ، فان ذلك يكبدنى أموالا طائلة ، وأنا لست فى حاجة الى اكثر من لواء واحد ، فأنا لا أريد تكبد النفقات الباهظة التى يتطلبها الابقاء على قوات كبيرة هناك • ولم يكن لدينا قبل عام ١٩٦٧ ، فرقة واحدة فى سيناء • واذا حققنا السلام ، فلن نكون بحاجة الى وجود جندى واحد فى المنطقة كلها •

وقطع النقاش دخول أحد معاونى السادات ، الذى اتجه اليـه وهمس فى اذنه بشىء • وعلى الفور ظهر الانفعال على وجه السادات ، الذى لا يحمل تعبيرا ما عادة •

كان رئيس الولايات المتحدة الامريكية يريد محادثة الرئيس المصرى تليفونيا •

ورفع السادات سماعة التليفون الى اذنه ، ولكنه لم يسمع شيئا • فصاح قائلا : « هالو هالو ، هالو ••• » ، ولكنه لم يتلق ردا • وفى خجل ، اعاد الرئيس المصرى سماعة التليفون الى مكانها (٢) •

واختفى التوتر الذى تصاعد بين الوفدين وهم يتناولون طعام الغداء • ودار حديث ودى بين أعضاء الوفدين وهم يأكلون سلاطة عش الغراب ، وورق العنب المحشو ، ولحم العجل الوليد ، وعصير التفاح • وأخذ « بن اليسار » ، الذى قدم من القاهرة ، و « وايزمان » ، الذى كانت هذه زيارته الثانية لمدينة الاسماعيلية ، يتبادلان النكات حول اسرار نظام التليفونات المصرية • بينما انهمك آخرون فى التكهن بما كان الرئيس « كارتر » يريد أن يقوله للسادات وبيجين •

... ...

وفى الخارج ، كان مئات الصحفيين يصبون اللعنات على رأس الزعيمين ، فقد افسدا عليهم عطلة عيد الميلاد ، ودون أن يقدموا اليهم شيئا يبعثون به الى صحفهم ووكالاتهم • وكان الصحفيون محتجزون فى مبنى هيئة قناة السويس ، وذلك لمنعهم من الاقتراب من « الفيللا » التى تدور فيها المباحثات •

وفجأة دب نشاط عنيف بين مصورى الصحف • فقد اتجه السادات الى عربته السوداء الكبيرة المصفحة وهو يقول لـ « بيجين » :

ـ « سيدى رئيس الوزراء ، ارجو ان تجلس بجانبى »

ثم التفت الى « ديان » و « ايزمان » وقال لهما :

ـ أما انت يا موشيه وانت يا ايزرا ، فارجو أن تجلسا فى المقعد الخلفى » •

ثم جلس الرئيس المصرى خلف عجلة القيادة ، وقاد السيارة السوداء المصفحة الى شوارع مدينة الاسماعيلية • وهرع رجال الأمن ، الذين أصابهم الذهول ، وراء السيارة ، وطارد المصورون ، بأقصى سرعتهم ، رجال الأمن ، والرئيس المصرى وضيوفه •

... ...

قضى الوفد الاسرائيلى ساعات ما بعد الظهر ، فى الاسماعيلية ،

فى استعراض الوضع . وكان أعضاء الوفد على قناعة تامة بأن السادات كان ينوى ، منذ البداية ، الضغط من أجل اصدار اعلان بالمبادىء . وكانوا يدركون ما يكمن وراء هدف السادات الظاهر البراءة . فقد كان العالم العربى بأكمله يتهم السادات بانه يسير فى اتجاه عقد صلح منفصل مع اسرائيل . وقد انكر الرئيس المصرى ذلك بشده . ووعد بانه سوف يقدم الى العالم العربى صيغة جديدة لتسوية شاملة . كما انه التزم ، امام العالم باكمله ، بايجاد حل للمشكلة الفلسطينية . ولذا فقد كان الهدف من اعلان المبادىء الذى كان يأمل فى استخلاصه من رئيس وزراء اسرائيل ، هو ان يتحرر من كل هذه الاعباء .

ولكن « بيجين » لم يكن فى مقدوره ان يزود الرئيس المصرى بصيغة يمكن ان ترضى العالم العربى . ذلك أن رئيس الوزراء الاسرائيلى كان يعلن دائما ان اقامة دولة فلسطينية بين اسرائيل والاردن سوف تكون أشبه ببرميل بارود يمكن أن يحيق اضرارا بالغة باسرائيل . وقد كان واضحا انه من المستحيل الحصول من « بيجين » على اعلان بالمبادىء بخصوص القضية الفلسطينية ، حتى لو أدى ذلك الى انهيار مفاوضات السلام .

وهكذا ، فان الجو فى المدينة الصغيرة الواقعة على شاطىء قنال السويس كان يسوده احساس قوى بقرب حدوث كارثة .

وكان عزاء « بيجين » هو الانجاز الذى نجح هو فى تحقيقه . وهو اقامة لجنتين ، احدهما سياسية والاخرى عسكرية .

وقد كانت الاسباب التى جعلت « بيجين » ينظر الى اقامة هاتين اللجنتين باعتبارها انجازا هى ، كما قال لمعاونيه :

أولا : اختيار القدس ، عاصمة دولة اسرائيل ، مقرا للجنة السياسية ، وقد كانت موافقة الرئيس المصرى على اجراء المفاوضات السياسية فى القدس امرا لم تعتده اسرائيل حتى من اقرب حلفاءها -

وقد كان يمكن تفسير هذه الموافقة بانها تمثل اعترافا بالقدس الموحدة عاصمة لدولة اسرائيل ٠

ثانيا : ان الطريقة المقترحة لاجراء المباحثات تكاد أن تكون مفاوضات مباشرة ، خالية من اية ضغوط خارجية ، وفى اطار يمكن الطرفان من محاولة تسوية الخلافات القائمة بينهما ٠ وهكذا نجحت اسرائيل فى تحقيق مطلب كانت تنادى به منذ امد بعيد وهو : اجراء مفاوضات مباشرة مع جيرانها ، أو على الاقل مع احدهم ٠

وفى الساعات الأولى من بعد الظهر بدا وكان حلا للازمة قد بدأ يظهر فى الافق ٠ فقد اقترح « بيجين » صيغة لاعلان المبادىء فيما يتعلق بالمشكلة الفلسطينية ٠ ورغم ان هذه الصيغة لم تكن تحوى الا القليل ، فان « بيجين » كان يأمل ان تكون مرضية للرئيس المصرى ٠

وكانت الصيغة التى اقترحها بيجين كما يلى :

« سوف تتم مناقشة قضايا الضفة الغربية وغزة بواسطة مجموعة عمل تضم ممثلين عن اسرائيل ومصر والاردن والعرب الفلسطينيين ، وذلك لايجاد حل عادل للمشكلة الفلسطينية » ٠

والغريب ان رد فعل السادات ازاء صيغة « بيجين » ، الفاترة التى لا لون لها ، كان ايجابيا ٠ وبدا كمالو انه قد تم التوصل الى طريقة لنزع فتيل القنبلة الزمنية التى كانت تهدد بتدمير مؤتمر الاسماعيلية ٠

ولكن « بيجين » علم قبل عقد اجتماع المساء ، الذى كان من المفروض ان يكون الاجتماع الختامى للمحادثات ، ان موظفى وزارة الخارجية المصرية قد اقنعوا السادات برفض الصيغة التى قدمها بيجين لاعلان المبادىء ٠ وكان « بيجين » وحاشيته قد استنتجوا ، من اجتماع الصباح ، ان موظفى الخارجية يضغطون على السادات كى يحصل من « بيجين » على اصطلاحات مرضية ٠ فقد كان الرئيس المصرى ، اثناء الاجتماع ، يراقب ردود افعالهم اثناء القاء خطابه ،

كما كانوا يهمسون فى اذنه بلا انقطاع حين كان « بيجين » يتحدث ٠

....

وكان السادات متوترا وهو يفتتح الاجتماع المسائى ٠ وقد بـدأ حديثه قائلا :

ـ « دعونا نتحـدث بصراحة ودون مواربـه ، فليس هناك شئ نخفيه ٠٠ » ٠

وكان الاحساس بالفشل يخيم بثقله على جو الاجتماع ٠ وكان النادل ذو الحلة البيضاء يقدم الشاي الأخضر مرة أخرى ، بينمـا كان السادات يستطرد قائلا :

ـ « ٠٠ ويجب ان اذكر مرة اخرى ، اننى كنت عازما ، عندما قمت بزيارة القدس ، على ازالة كل حواجز عدم الثقة بيننـا ٠٠٠٠ وانا اريد منكم ان تعلموا ان شعبى يقف ورائى ضد العالم باجمعه ٠ ولقد خرج خمسة ملايين مصرى لتحيتى عند عودتى الى القاهرة من القدس ٠ وعندما رأيت ذلك ، قلت لنـائبى حسنى مبـارك ولرئيس الوزراء ممدوح سالم : لقد حدث شئ ما هنا ٠ فمن المستحيل ان تتجاوب الجماهير بهذه الحماسة ٠ فانه حتى حين امم عبد الناصر قنـال السويس ، لم تكن الحماسة بهذا الشكل ٠٠٠ » ٠

ثم اكتسب صوت السادات بعض الخشونة وهو يستطرد قائلا .

ـ « ٠٠ ولكن هذا الشعب لن يرضى بأى شروط غير مقبولة ٠ ولقد قلت لـ ايزر وايزمان ان شعبى لن يقبل اية شروط بالنسبة لاستعادة سيناء ٠٠٠ اننا سوف نناقش كل شئ ، ولكن بدون شروط ٠

ثم مضى السادات ، مثيرا ذكريات ماضية :

ـ « ٠٠ ان صراعنا اليوم سببه ما فعله بن جوريون ، وما كان ينادى به ٠ فقد كان يحاول ان يفرض السلام على العرب ٠ وعندما كنت اعمل بالصحافة اثناء الخمسينات ، أسست صحيفة يوميـة

هنا فى القاهرة(٣) ، وكتبت فيها حول هذا الموضوع · وقد كنا نخاف اسرائيل دائما ، بينما كان بن جوريون يخشى السلام ، ويعارض احلال السلام » ·

ثم ، فجأة بدأ السادات يمطر المدائح على اليهود والمصريين معا :

ـ « ·· لقد قيل لى انكم حين قمتم بزيارة المعبد اليهودى ، فى القاهرة ، كان يصحبكم احد ضباط الجيش ، وان المصريين الذين تجمعوا هناك احتضنوا هذا الضابط وانهم لوا عليه بالقبلات ، حتى كادوا يخنقونه(٤) · ولا ريب ان تلك اشارة واضحة تدل على مشاعر الصداقة التى يكنها المصريون نحوكم · ذلك اننا جميعا ننحدر من صلب ابراهيم · فنحن ابناء عمومة · وشعبنا يمتلك تقاليد حضارية عمرها آلاف السنين · وقد اصبحت مصر الآن دولة ديمقراطية مثل اسرائيل · وقد اسسنا صحفا تنشر كل ما تريد · ونحن اذا نظرنا حولنا ، فسوف نجد انه ، باستثناء مصر ، فان البلاد العربية كلها ملكيات وديكتاتوريات ··· » ·

ثم ، مرة اخرى ، انتقل السادات من المديح الى الكلمات الخشنة :

ـ « ·· اننى اذا قلت لشعبى ان بيجين يريد ان يترك المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء ، وانه يريد ان يقوم الجيش الاسرائيلى بحماية هذه المستوطنات ، فانهم سوف يرجموننى بالحجارة · ان اقتراح بيجين لا يكفينى وانا اواجه العالم العربى باكمله · ومصر هى زعيمة العالم العربى ، ولذا فانها لاتستطيع ، حتى لو ارادت ، ان تعقد صلحا منفردا مع اسرائيل · وبالرغم من ذلك ، فاننا سوف نناقش مقترحاتكم ومقترحاتنا ايضا » ·

وعاد السادات يعرض مقترحاته الاصلية :

ـ « ان ما طلبناه منكم ، عن طريق الولايات المتحدة ، هو اصدار اعلان بالمبادىء · وانا لا اريد ان اناقش مسائل لا تهمنا · ولقد

قلت لمعاونى ان بيجين خليق بأن يضعنى فى موقف صعب اذا سألنى كيف يحل مشاكله الامنية فى الضفة الغربية • ذلك انه ليس لدى اجابة مرضية لهذه المشكلة • ولكننا نستطيع ان نناقش مشاكلنا بطريقة متحضرة ، وليس هناك ما يدعو لان تقوم الدولتين العظميين بالتفاوض نيابة عنا • وأنا أريد أن يحوى اعلان المبادىء اقرار صريحا، لا لبس فيه، بانهاء احتلال الاراضى العربية،وبحل كافة جوانب القضية الفلسطينية • ويمكن لاى طرف من اطراف الصراع ، بجانب مصر واسرائيل ، ان يتفاوض فيما بعد مع اسرائيل حول القضايا الامنية • وانا اوافق تماما على حقك يا مستر بيجين فى طلب ضمانات بالامن منى • وانا اريد اصدار اعلان بالمبادىء يمكن ان يرضى الحد الادنى مما يشعر شعبى انه حقه » •

ثم استطرد الرئيس المصرى يقول :

ـ « لقد سألنى ايزر وايزمان عن موقفى فيما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية بين بلدينا • ولقد قلت له اننى لا اؤيد فقط تطبيع العلاقات ، واقامة علاقات دبلوماسية بين بلدينا ، بل اننى اؤيد ايضا اقامة علاقات اقتصادية مفتوحة بين البلدين • ويجبان نفتح ممرات جوية بين بلدينا • ان اعين العالم كله تتركز علينا • وانا عازم على ان اضع نهاية للحروب وسفك الدماء بين شعبينا ، وهذا هو ما قلته لمستشارى قبل ان احضر الى هنا • وانا جاهز لتطبيع العلاقات ولاقامة العلاقات الدبلوماسية ، بل ولأى شىء ! ولقد قلت لـ ايزرا اننى لا ارغب ولا احتاج قوات الامم المتحدة فى سيناء • بل على العكس ، فاننى اريد تشكيل دوريات مصرية ـ اسرائيلية مشتركة على جانبى الحدود (٥) » •

ثم عادت النغمة الخشنة مرة اخرى :

ـ « ان ما سمعته حتى الآن من جانبكم قد خيب آمالى • واظن انه ينبغى احالة المقترحات الى احدى اللجنتين لمناقشتها • ولا تحاولوا

ان تفرضوا شيئا على شعبى · لان ذلك سوف يكون خطأ كبيرا · ولا شك ان اصدار اعلان جيد بالمبادىء سوف يساعد على الانور فى صراعى مع جبهة الرفض · وحتى لو خسرت ، فسوف يكون بمقدورى ان اقول ان ذلك كان من اجل مصلحة الشعب المصرى » ·

وكانت كلمات الرئيس المصرى الختامية دافئة يعطرها الود ، وختاما طيبا لخطاب طويل كان فى مجمله دفاعا عن موقف السادات بصدد الاراضى العربية المحتلة والمسألة الفلسطينية :

ـ « سوف يكون شعبنا صديقا طيبا لكم · ولقد قلت لـ ايزرا :

يجب أن تحاولوا الفوز بتأييد الشعب المصرى ، لانكم اذا نجحتم فى هذا ، فانه سوف يكون انجازا هائلا · وانا ، من ناحيتى ، لن انسى ما حييت مشاعر الصداقة والود التى اظهرها لى الشعب الاسرائيلى · ولقد رأى الشعب المصرى ذلك بعينيه ، وانا واثق انه سيكون صديقا وفيا لكم · فليس هناك طريق آخر غير طريق الصداقة ، سواء بالنسبة لهذا الجيل ، أو بالنسبة الى الاجيال الآتية · وسوف اقول ذلك ، واكرره ، حتى لو اضطررت الى الاستقالة » ·

اراد « بيجين » ان يجيب على السادات بنفس الطريقة · وكان قد ادرك الاشارات المقنعة ، والمطالب الصعبة ، وسار فى نفس الطريق الذى شقه الرئيس المصرى ·

قال « بيجين » :

«لقد كنتم على حق حين قلتم اننا نواجه اليوم لحظة من أهم لحظات حياتنا ، فلقد حارب شعبنا من أجل أن ينال استقلاله ، ولم يقدمه له أحد على طبق من ذهب · ونحن ، وانتم يا سيادة الرئيس ، نمثل شعبين عريقين ، وقد سنحت لنا فرصة كبرى لتحقيق السلام بين هذين الشعبين العريقين · كذلك فاننى شخصيا ، على استعداد لأن اطير غدا الى دمشق لمقابلة الرئيس الاسد · ولكنكم ينبغى ان تعرفوا

اننا لا نستطيع ان نتفاوض مع سوريا ، بينما هى ترفض التفاوض والجلوس معنا حول مائدة مستديرة ..

كانت اشارة « بيجين » واضحة تماما . فقد كان يقترح ، فى الواقع ، أن يفكر السادات فى امكانية عقد تسوية منفصلة مع اسرائيل ، وهو امر كان الرئيس المصرى يحاول ان يتجنبه . بل ان « بيجين » كان يقول ، عملا ، ان السادات ليس امامه خيار آخر . ولقد كان السادات يعلم جيدا ان اسرائيل لن تتفاوض مع « منظمة التحرير الفلسطينية » ، وان سوريا والاردن لن ينضما الى مائدة المفاوضات مع اسرائيل .

وواصل « بيجين » هجومه قائلا :

ـ « ... ولا شك انك تدرك جيدا ، يا سيادة الرئيس ، اننى وبن جوريون كنا خصمين ، ولكنه خطأ بالغ الخطورة ان يقول المرء ان بن جوريون كان يريد فرض حلول على العرب . وينبغى لنا ، أى انا وانتم يا سيادة الرئيس ، ان نتذكر المرحلة التى عاش فيها بن جوريون . فقد كان شعبنا قد خرج لتوه من المأساة المرعبة التى عاشها فى اوروبا اثناء الحرب العالمية الثانية . ثم بعد ان اعلنا استقلالنا بيوم واحد ، أى فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، هوجمنا مع جميع الجهات. فقد هاجمنا جميع جيراننا ، بما فى ذلك مصر التي كان يحكمها الملك فاروق . وكنا ، فى ذلك الوقت ، نكاد لا نمتلك سلاحا ندافع به عن انفسنا ، وواجهنا ، مرة اخرى ، فى بحر حقبة من الزمان ، خطر الابادة . ولقد فقدنا فى هذه الحرب، نحو ١٪ من تعداد شعبنا . وقد يكون صحيحا انه جرت بعض الاعمال الانتقامية اثناء فترة حكم بن جوريون ، ولكنه لم يكن يوجد خيار آخر . وانا اريد منكم ان تدركوا ان بن جوريون لم يشأ ابدا أن يفرض عليكم السلام . وقد كان يتشوق الى السلام بكل كيانه.وقد طلب من سلفكم ، عبد الناصر، ان يلتقى به ، ولكنه طلبه قوبل بالرفض .

ثم انتقل « بيجين » الى التلويح بخطورة فشل مؤتمر الاسماعيلية ، موضحا ان ذلك لن يكون بسبب الموقف الاسرائيلى ، ذلك :

ـ « ·· اننا قدمنا الى هنا تحدونا حسن النية ، عازمين على التعاون · ولكننا لا نستطيع ان نجازف بسلامة المواطنين الاسرائيليين · ومع ذلك فانه ينبغى علينا ان نحافظ على قوة الدفع التى بدأنا بها · ولذلك ، فاننى اقترح احالة المسائل المختلف عليها الى اللجنتين · واود ان تعلموا ، يا سيادة الرئيس ، اننى شخصيا على استعداد للالتقاء بكم فى أى مكان وزمان » ·

ولم يتحاشى « بيجين » موضوع جدول الاعمال · فقد استطرد يقول :

ـ « لقد قدمت لكم اليوم مسودة جيدة لاعلان المبادىء · وتتحدث هذه المسودة عن الحاجة الى ايجاد حل عادل للمشكلة الفلسطينية ، وتقترح مناقشة هذه المسألة بواسطة مجموعة عمل تتكون من مصر واسرائيل والاردن وممثل للعرب الفلسطينيين ·· » ·

عندئذ ، قاطعه السادات قائلا :

ـ « ··· هذا صحيح · هذا هو ما تحدثنا عنه ، ولكن شعبى ··· » وكأنما كان ذلك اشارة البدء لشىء ما · فقد قفز الدكتور « عصمت عبد المجيد » ، السفير المصرى الى الامم المتحدة ، من مقعده قائلا :

ـ « هذا أمر غير مقبول ·· هذا امر غير مقبول على الاطلاق » ··ثم تبعه « اسامة الباز » ، الوكيل الأول لوزارة الخارجية المصرية ، الذى وقف ، هو الآخر ، على قدميه قائلا :

ـ « ·· هذا امر مرفوض ·· مرفوض تماما ·· » ·

أما همهمات الدكتور بطرس غالى ، وزير الدولة للشئون الخارجية ، فقد ضاعت وسط الضجيج الذى تلا ذلك ·

وحين هدأت الضجة بعض الشيء ، تبادل السادات و « بيجين » حوارا اشبه بطلقات الرصاص :

بيجين : « ·· انك نطالب بدولة فلسطينية يحميها عرفات » ·

السادات : « ·· انا لا اتحدث عن عرفات · ان الموضوع هو حق الفلسطينيين فى تقرير المصير ·· » ·

بيجين : « ·· ان تقرير المصير يعنى اقامة دولة فلسطينية ، وانا لا استطيع ان اقبل ذلك ·· » ·

السادات : « ·· ان من مصلحتكم ان استمر زعيما للعالم العربى · وانا استطيع ان انهى عرفات تماما فى بحر اسبوعين · ولكن يجب ان يكون هناك ما يمكننى ان اقدمه ، والا فانهم سوف يرجموننى بالحجارة ·· » ·

بيجين : « ·· ان على ضغوطا انا ايضا ·· » ·

وازداد الجو حدة · ومال موظفوا وزارة الخارجية المصرية على السادات يهمسون فى اذنه ·

وواصل بيجين الحديث :

بيجين : « ·· اسمع ، ليس هناك مكان مأهول واحد فى فلسطين لم يكن اسمه الاصلى عبريا · هل تعرف قرية « باطير » القريبة من القدس ؟ ·· » ·

السادات : « ·· لا ·· لا ·· » ·

بيجين : « ·· حسنا ، ان « باطير » هى « بيشار » ··· » ·

ومضى « بيجين » يحكى ، بشكل تفصيلى ، قصة تمرد « باركوشيبا » ضد الرومان عقب تدمير الهيكل الثانى ، بينما كان السادات يرضع غليونه ، دون أن ينطق بكلمة واحدة · ومن وقت

لآخر ، كان الرئيس المصرى يبتسم ويهز رأسه ، وهو يستمع ، ى صبر ، الى محاضرة « بيجين » الطويلة • ولكنه كان يقاطعه احيانا كى يأمر باحضار المشروبات • وقد ارسل الدكتور «عصمت عبد المجيد» (السفير المصرى فى الامم المتحدة) مرتين لاحضار المشروبات بنفسه ، وكأنه أحد السعاة أو الفراشين ! •

وبعد ان انهى « بيجين » محاضرته ، قدم له الدكتور « عصمت عبد المجيد » ورقة وهو يقول :

ـ « هذه هى مسودتنا لاعلان المبادىء ، و ..... » .

وقاطعه السادات قائلا :

ـ « ... سيدى رئيس الوزراء ، اننى اقترح ان يقوم عصمت عبد المجيد بشرح مقترحاتنا • ذلك ان موظفى خارجيتنا هم محامونا ايضا » •

وبدأ الدكتور « عصمت عبد المجيد » ، يقرأ بصوت عال ، مسودة اعلان المبادىء الذى اعده المصريون • واتضح للاسرائيليين ، منذ أول جملة فى المسودة ، أن المقترحات المصرية غير مقبولة على الاطلاق • فقد كانت تدعو الى انسحاب اسرائيل من سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة ، وفقا لقرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ الذى كان يقرر فى مقدمته عدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة • كذلك كانت المقترحات المصرية تنص على وجوب التوصل الى تسوية عادلة لكافة جوانب المشكلة الفلسطينية ، على اساس الاعتراف بحق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم ، وعن طريق مفاوضات تشترك فيها مصر والاردن واسرائيل وممثلى الشعب الفلسطينى •

وبعد ان انتهى « عصمت عبد المجيد » من القراءة والشرح ، دار الحوار التالى بين السادات و « بيجين » :

بيجين : « اننا على استعداد لقبول نص القرار رقم ٢٤٢ ، بدون ديباجته كمقدمة لعقد معاهدة سلام بين اسرائيل ومصر » ٠

السادات : « لا ٠٠ لا ! ان الديباجة هامة ٠ اذ انها تقرر مبدأ عدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة » ٠

بيجين : « ان المسالة هى : ما هى نوع الحرب التى أدت الى هذا الاستيلاء ، وهل هى حرب دفاعية أو هجومية ؟ » ٠

السادات : « لقد هاجمتمونا فى عام ١٩٦٧ » ٠

بيجين : « من الافضل ان نقوم بمراجعة ما كانت صحفكم تنشره فى هذه الفترة ، وما فعلتموه فى مضيق « تيران » ومع قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة ٠ ان سلفك عبد الناصر ، حشد قوات عسكرية هائلة فى سيناء ضد اسرائيل ٠ كما اننا تعرضنا لهجوم من القوات السورية والاردنية ٠ ولذلك فاننا نعتبر ان هذه الحرب كانت حربا دفاعية » ٠

السادات : « أعرف ٠ أعرف » ٠

بيجين : كذلك فان وجودنا فى سيناء شرعى وفقا للقانون الدولى الذى يسمح باحتلال أراضى الغير حتى يتم عقد اتفاقية سلام » ٠

وبدأ الجو مرة اخرى ، يزداد احتدادا ٠ وبد الضيق على وجه السادات ، وهو يقول :

– « ولكن كل هذا حدث قبل زيارتى للقدس ٠٠ قبل يوم ١٩ نوفمبر (١٩٧٧) ٠ ولقد تغير كل شىء الآن ، وبدأنا مرحلة جديدة -

بيجين : « هذا صحيح ٠ ولكننا لا نستطيع ان نتخلى عن اجراءات الامن » ٠

السادات : « ويجب ان تتذكر ايضا ان على ان اقود مصر فى بحر العرب » ٠

ولكن « بيجين » كان عنيدا • واخذ يستشهد بفقرات ، اعدها مقدما ، من كلاسيكيات القانون الدولى ، وبشكل خاص من اعمال الفقيهين القانونيين « لوترياخ » و « اوبنهايم » ، اللذان ناقشا ، فى توسع ، الفروق بين الحرب الدفاعية وحرب الفتوحات •

واصابت الاستشهادات المطولة الرئيس المصرى ، (الذى لم يعرف عنه ابدا انه يحب الاستشهادات « المثقفة » وعلى وجه التأكيد ليس فى مثل هذه الساعة المتأخرة) بالارهاق والكلل •

ولاحظ « وايزمان » ذلك • فقال :

ـ « اوبنهايم ؟ دعونا نفتح النافذة ، فقد اصبح الجو خانقا هنا ! » •

والمعروف عن السادات انه مضيف نموذجى ، مؤدب ومجامل الى اقصى حد ، رغم انه بارد ومتحفظ بعض الشىء •

ولكن التعبير الذى كان يرتسم على وجهه آنذاك ، كان بمثابة اشارة واضحة لكل الحاضرين بوجوب انهاء الحديث باقصى سرعة •

ولكن « بيجين » امسك بمسودة اعلان المبادىء الذى قدمه المصريون فى يده ، واخذ يترافع موضحا ان الهدف من الفاوضات هو عقد « معاهدة سلام » وليس « اتفاقية سلام » •

وسرعان ما علت فى قاعة الاجتماع اصوات همسات مرتفعة • فقد كان ممثلوا وزارة الخارجية المصرية يديرون حوارا سريعا فيما بينهم :

ولحظ « بيجين » ذلك ، فقال :

ـ « •• وربما لم يكن السادة ممثلوا وزارة الخارجية المصرية يوافقوننى على ذلك ، ولكننى رغم ذلك اقول ان هناك فرقا بين معاهدة سلام وبين اتفاقية سلام » •.

ورغم أن القانون الدولى لم يكن يفرق فى الواقع بين معاهدة سلام

وبين اتفاقية سلام ، فان الوفد المصرى فى مؤتمر القاهرة الذى كان منعقدا فى فندق « مينا هاوس » أصر ، طوال مدة انعقاد المؤتمر ، على استخدام تعبير « اتفاقية سلام » ، ورفض استخدام تعبير « معاهدة سلام » على الاطلاق • ويرجع السبب فى ذلك، الى ان الدستور المصرى ينص على وجوب الحصول على تصديق المجلس النيابى المصرى فى حالة عقد المعاهدات ، بينما لا ينص على وجوب ذلك بالنسبة للاتفاقيات ، التى يكتفى بشأنها بالحصول على موافقة رئيس الجمهورية •

وضاق صدر السادات بهذه المناقشة التى لا معنى لها • وكان يعلم بامر المساومات التى جرت حول هذه المسألة ، طوال اسبوعين ، فى مؤتمر القاهرة ، وكان يرتسم على وجهه تعبير يدل على نفاذ الصبر وهو يقول :

ـ « •• نعم •• معاهدة ، •• لا •• معاهدة • انا اوافق على عقد معاهدة •• » •

ووجم الدبلوماسيون المصريون ، وجلسوا فى صمت مرير • وكان اكثرهم احباطا هو الدكتور « عصمت عبد المجيد » ، والذى شغل فيما مضى منصب وزير الاعلام (٧) •

وكان هذا الرجل الطويل القامة ، الممتلىء الجسم ، الانيق الملبس والذى يعمل رئيسا للوفد المصرى فى الامم المتحدة قد اجرى اتصالات سرية مع « حاييم هيرزوج » ، سفير اسرائيل الى الأمم المتحدة ، قبل حدوث مبادرة السلام بوقت طويل • وكان يتوقع تعيينه فى منصب وزير الخارجية الذى ظل شاغرا منذ استقالة « اسماعيل فهمى » • ولكنه اضطر الى ان يحد من طموحه بعد فشل صراعه الذى استمر مدة اسبوعين فى مؤتمر « مينا هاوس » •

... ...

كان الوقت قد تاخر • وكان المستشار القانونى لوزارة الخارجية

الاسرائيلية يشرح للمجتمعين معنى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، والذى كان يشير ايضا الى موضوع السلام ٠

وقاطعه « ديان » قائلا :

ـ « ما فائدة هذه المحاضرة ؟ لقد وافق الرئيس السادات ! » ٠

واخيرا ، تكلم السادات ٠ قال :

ـ « اننى اقترح اختيار عضوين من كل وفد كي يقوموا بصياغة موضوع الانسحاب الوارد فى اعلان المبادىء ٠ اما فيما يتعلق بالمسالة الفلسطينية ، فاننى مصر على اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير ٠ ولكننى اوافق على رفض أن يضم الوفد الفلسطينى ياسر عرفات أو فاروق قدومى ٠ وقد كان من رأيى دائما انه لابد من ايجاد صلة ما بين الفلسطينيين والاردن ٠ ولابد ان تقبلوا ذلك ، والا فاننى سوف اتهم باننى قد بعت الفلسطينيين ٠ واود ان اقول لكم ان اهتمامى الآن يتركز فى التوصل الى اعلان بالمبادىء يمكننى من مواجهة خصومى فى جبهة الرفض والعالم العربى ٠

تبادل أعضاء الوفد الاسرائيلى الهمسات ٠ وتحت ضغوط من أعضاء الوفد ، طلب « بيجين » استراحة قصيرة للتشاور ٠ وفى هذه الجلسة القصيرة التى عقدها الوفد الاسرائيلى بمفرده ، تم الاتفاق على عدم الموافقة على طلب السادات اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير ٠

وعندما عاد الوفد الاسرائيلى الى قاعة الاجتماعات ، دار الحوار على النحو التالى :

دايان : « ان قبول هذا الاقتراح ينطوى على خطر جسيم يهدد اسرائيل ٠ ذلك انه يعنى ، من الناحية العملية ، شن هجوم على مراحل ضد اسرائيل » ٠

السادات : « اننى اتفق معك فى انه لا يجب السماح للمتطرفين

بأن يكون لهم موضع قدم مهما بلغت ضآلته • كما انني اتفق معك ايضا على انه يتعين على اسرائيل ان تدخل اعتبارات الامن في حسابها • كما انني أؤمن ايضا ان المتطرفين يمكن ان يثيروا المتاعب لنا جميعا ، وللمنطقة كلها ايضا ، وخصوصا بعد عقد مؤتمر طرابلس • وجورج حبش لا يخفى انه يعتنق الماركسية اللينينية • ولهذا السبب لابد ان يعمل المرء من أجل اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير » •

بيجين : « ان هذا الامر الذى يعنى اقامة دولة فلسطينية لن يوافق عليه سوى الخمسية أعضاء الذين يمثلون الحزب الشيوعى الاسرائيلى فى الكنيسيت » •

وكان التعب باديا على وجه الرئيس المصرى • وقال وهو يضع رأسه بين كفيه :

ـ « انا لا اريد ان اعقد اتفاقا مع هؤلاء الشيوعيين الخمسة فى الكنيسيت » •

بيجين : « سيادة الرئيس ، يجب أن تفهم أن المسألة بالنسبة لنا ليست مسألة الفاظ أو مسألة تعريفات وتحديدات • ان الامر يعنى ، بالنسبة لنا ، مواجهة خطر مهلك » •

... ...

كانت عقارب الساعة تشير الى العاشرة ليلا • وكان الجو قد اصبح ثقيلا • واصبح واضحا لاعضاء كلا الوفدين انه لن يمكن التوصل الى اتفاق ما ، كما انه لن يمكن ايضا اصدار اعلان بالمبادىء • وتحولت المناقشة الى الفقرات المتعلقة بشبكة علاقات السلام • ولم تكن هناك مشاكل بالنسبة لهذه المسألة • وقوبلت كل الفقرات التى قرأها « بيجين » باشارة من يد السادات تعنى الموافقة • كما تم الاتفاق أيضا على ضم قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، بما فى ذلك ديباجته كملحق لمعاهدة السلام • ثم خيم الارهاق على المجتمعين •

وقال « بيجين » :

ـ سيادة الرئيس ، دعنى احكي لك قصة • ان لى صديقا يمتلك ساعة لا تظهر الوقت بدقة ابدا • ولكنه ، بالرغم من ذلك ، يعرف الوقت بدقة دائما » •

السادات : « كيف ؟ » •

بيجين : « لان عليه أن يأكل كل ثلاث ساعات » •

السادات : « حسنا ، يا سيادة رئيس الوزراء • فلنتوقف الآن • فلابد ان نأكل ، وسوف نلتقى مرة اخرى غدا صباحا » •

.. ..

استلقى « بيجين » على فراشه كى ينال قسطا من النوم • وقد اضطر الى ابقاء النور مضاءا ، لانه لم يستطع العثور على « زرار » الكهرباء • وكذلك لم يستطع ان يغمض عينيه •

أما بقية أعضاء الوفد الاسرائيلى ، الذين كانوا يقيمون فى قصر « دى ليسيبس » ، فانهم ايضا لم يستطيعوا النوم • وقطعوا الليل باكمله فى المشاورات والمناقشات والاتصالات •

وقد اجتمع ثلاثة من اعضاء الوفد الاسرائيلى ، هم « موسى دايان » و « ميئير روزنى » و « يهودا فنير » مع الدكتور « بطرس غالى » والدكتور « عصمت عبد المجيد » فى ساعة متأخرة من الليل • وحاول الخمسة صياغة مسودة بيان مشترك لاعلانه فى المؤتمر الصحفى الضخم الذى كان من المقرر عقده فى اليوم التالى • ومنيت محاولتهم بالفشل ايضا ، فاستقر الرأى على أن يقوم كل جانب باصدار بيان مستقل •

أما اعضاء الوفد المصرى ، فانهم ، ايضا ، لم ينالوا أى قسط من النوم •

وعقد موظفوا وزارة الخارجية اجتماعا دام حتى الساعة الرابعة

صباحا فى محاولة للعثور على حل • وعند الفجر ، لم يكونوا قد عثروا بعد على الصيغة السحرية التى كانوا يبحثون عنها •

وعاد « دايان » من اجتماعه مع كبار مستشارى السادات ، وقال :

ــ « لم استطع اقناعهم ! » •

كان الوجوم ــ الناتج عن الارهاق وانشغال البال ــ يخيم على مائدة افطار الوفد الاسرائيلى ، وكان موعد المؤتمر الصحفى قد تحدد عند الظهر تماما • وكان الجميع يشعرون بالقلق بسبب ضيق الوقت المتاح للتوصل الى صياغة البيان المشترك المراد اعلانه فى المؤتمر الصحفى • وتقدم احد أعضاء الوفد باقتراح بان يفتتح « بيجين » الاجتماع الوشيك مع المصريين بعرض موضوع اعد خصيصا للمؤتمر ، وهو موضوع التسلل السوفيتى واخطاره • ولكن « بيجين » رفض هذا الاقتراح •

وكان الارهاق الشديد ، بسبب قلة النوم ، يبدو واضحا على رئيس الوزراء الاسرائيلى ، الذى رفض فى عصبية ، أيضا ، مسودة اقترحها مستشاره للشئون العربية ، الدكتور « موشيه شارون » ، الذى كان يهدف باقتراحه هذا الى أن يقدم للسادات الجملة التى كان يريدها بشكل حاد ــ اى اعطاء حق تقرير المصير للفلسطينيين ــ مع تكبيلها بالشروط والتحفظات التى تحول دون استفادة الرئيس المصرى منها •

وأخيرا استقر رأى « بيجين » على أن يعرض على الرئيس المصرى اصدار بيان مشترك حول النقاط التى تم الاتفاق بشأنها ، وأن يقال للصحفيين ــ وللعالم كله عن طريقهم ــ انه لم يتم التوصل الى اتفاق بصدد عدد من النقاط سوف تتم احالتها للمناقشة الى اللجنتين المزمع تشكيلهما •

ولكن « دايان » ــ الذى ظل متغير المزاج طوال الاربعة والعشرين ساعة الماضية ــ انفجر صائحا :

ـ « ولم يتعين علينـــا أن نفعل ذلك ؟! اننا نتربع ، فى اطمئنان ، فوق سيناء ، وفوق قنال السويس ، وفوق مرتفعات الجولان • اذا كان ذلك يعجبه •• فبنعم ، واذا لم يكن يعجبه ، فانه يستطيع أن •••• ثم ما الذى يعنيه كل ذلك ؟ لا اعلام ، ولا لافتات ترحيب ! لا دعوة لزيارة القـاهرة ! أما أن نصدر بيانا حول اتفـاق ما ، واما ان نرحل بدونه ! » •

حاول « وايزمان » ، فى وهن ، معارضة « دايان » • وجلس مستشار الوفد القانونى ، « أهارون باراك » ، صامتا لا ينبس ببنت شفة • وقال « بيجين » أنه سوف يعرض على السادات اصدار بيان مشترك ، واذا رفض الرئيس المصرى ذلك ، فلن يصدر أى بيـان •

... ...

وبدأ اجتماع الصباح متأخرا نصف ساعد عن الموعد الذى كان قد حدد له • ورغم توتر الجو ، فقد كان أعضاء كلا الوفدين يحاولون اظهـار النيات الطيبة •

وبدأ الاجتماع باعلان « بيجين » :

ـ « لقـد حققنا كثيرا من التقـدم ، وقـد قمنا بصياغة مسودة اعلان مشترك » •

وأخذ المستشار القـانونى لوزارة الخارجية الاسرائيلية فى قـراءة فقرات مسودة البيان المشترك • وكان السادات يوافق عليها فقرة ، فقرة • وأخيرا وصل المستشار الى الفقـرات الخاصـة بالقضيــة الفلسطينية •

وقاطعه « بيجين » مفسرا : أن الشعب الفلسطينى سوف يحصل لاول مرة فى تاريخه ، على الحكم الذاتى • وأضاف « بيجين » فى حماس :

- « ان هذا حدث تاريخى هام » ٠

ولكن « السادات » طالب بشىء أكثر تحديدا ٠

قال بيجين :

- « اذا لم يكن هنـاك بيان مشترك ، فان كل طرف سـوف يعرض موقفه بشكل منفصل ٠ وأنا أقترح أن نعلن اننا لم نصل الى اتفـاق بشأن هذه المسألة ٠ أى اننـا سوف نعلن فى البيان أن مصر ترى وجوب اقـامة دولة فلسطينية بينمـا ترى اسرائيل الاكتفاء بالحكم الذاتى » ٠

وكان هذا مفـاجأة للسادات ٠ فهو لم يتحـدث قط عن اقـامة دولة فلسطينية ٠ وبالرغم من ذلك ، فقـد هز رأسه موافقـا ٠

ولكن الدكتور « عصمت عبد المجيد » هتف مقاطعـا :

- « ولكن هذا أمر غير معقول ٠ ما هى هذه الورقة التى يقرأهـا الدكتور روسينى ؟ اذا لم يكن هنـاك اتفاق حول هذه النقطة ، فليس هنـاك اتفـاق على الاطـلاق ٠ ولن نكون قـد خرجنا بشىء اذا لم نصدر اعـلانا حول المسألة الفلسطينية » ٠

واستدار الى الرئيس المصرى ، فى فزع وامتعاض ، وصاح فى صوت يكاد يقترب من الصياح :

- « انك تخاطر بمكانتك ٠ هذا أمر مستحيل ٠ ان ذلك سوف يكون بمثابة اقرار بالاستسلام » ٠

وسادت الفوضى والضجيج قاعة الاجتماع ٠ واشار بطرس غالى الى دايان قائلا :

- لقد قلت لك الليلة المـاضية انه من المستحيل اصدار اعلان لا يتضمن اشارة الى حق الفلسطينيين فى تقرير المصير » ٠

عصمت عبد المجيد : « ... يجب ان يصدر اعلان مشترك ... » .

بطرس غالى : « ... لقد قلنا لدايان انه بدون الفلسطينيين ، لن يصدر اعلان مشترك ... أو ، على الاقل ، يجب ان يتضمن الاعلان المشترك وجهة نظر مصر فى المشكلة الفلسطينية » .

وتبع ذلك تبادل غير منظم للحديث : كان بيجين يتحدث مع رئيس الوزراء المصرى ممدوح سالم ، بينما كان عصمت عبد المجيد يشرح شيئا للسادات . كان الجميع يتحدثون فى وقت واحد . وكان الرجل الوحيد الذى لم ينطق بكلمة واحدة هو نائب الرئيس حسنى مبارك .

وهتف بيجين صارخا فى غضب :

ـ « اذا كان الامر صعبا عليك الى هذا الحد ، فليس هناك ما يدعو لاصدار بيان مشترك ، ولن نعلن بيانا مشتركا فى المؤتمر الصحفى ، وعلى كل جانب ان يقول ما يشاء » .

كان وجه السادات جامدا لا تعبير فيه ، وكان يبدو عليه الارهاق وخيبة الأمل . وقال ، وقد أصبح واضحا أنه يريد انهاء الاجتماع :

ـ « ان اصدار بيان لا يحوى اشارة مرضية للمسألة الفلسطينية لن يكون كافيا لنا . وأنا أقترح أن نعلن النقاط التى اتفقنا عليها ، وكذلك النقاط التى لا تزال محلا للخلاف ، وكذلك اتفاقنا على مواصلة أعمال مؤتمر القاهرة » .

وقال « بيجين » :

ـ « وأنا أقترح أيضا أن نعلن اننا نواصل جهودنا من أجل التوصل الى تسوية سلمية شاملة ، واننا اتفقنا على عدد من النقاط ترتكز على قرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ . أما فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية ، فإننى أقترح أن يقوم كل جانب بعرض موقفه بصددها فى المؤتمر الصحفى ، وأن نعلن أيضا أننا سوف

نواصل مناقشة المشكلة الفلسطينية فى اللجنة السياسية المزمع اقامتها » ٠

ثم نهض « بيجين » واقفا ، وأضاف :

— « واننا ، بالطبع ، سوف نقيم السلام ! » ٠

ووقف السادات ، هو الاخر ، قائلا :

— « نعم ، نعم » ٠

كانت هناك سحابة ثقيلة من التوجس تخيم على نفوس أعضاء الوفد الاسرائيلى ٠

واقترح « شارون » ، فى مذكرة كتبت على عجل ، أن يقوم «بيجين» بالاجتماع بالسادات وحده فى غرفة جانبية وذلك « لانهاء الموضوع معه بمفرده ، ووجها لوجه » ٠

وكان واضحا لكلا الجانبين أنه ليس أمام المصريين متسع من الوقت ، وان كل ما يريده «بيجين» ، ببساطة ، هو بيان مشترك ٠

... ...

وقبل بدء المؤتمر الصحفى ، قام « بيجين » بتقديم هدية الى السادات بمناسبة عيد ميلاده ٠ وكانت هدية « بيجين » عبارة عن « ميدالية » صنعت خصيصا لتخليد ذكرى زيارة الرئيس المصرى التاريخية للقدس ٠

وكان قد بقى على موعد انعقاد المؤتمر الصحفى بضع دقائق ، ولكن الدكتور ، أسامة الباز كان لا يزال يقوم بدور المكوك بين الجانب الاسرائيلى وزملاءه المصريين ٠

وقال « الباز » أثناء احدى روحاته وغدواته :

— « لم يبق سوى أمر واحد ، ويكون كل شيء مرضيا » ٠

وكان لا يزال يصر ، نيابة عن زملاءه ، على اعطاء حق تقرير

المصير للفلسطينيين . ولكنه كان واضحا أن أغلبية أعضاء الوفدين المصرى والاسرائيلى يشعرون انهم اذا واصلوا المساومة واللعب بالالفاظ ، فانهم سوف يتوصلون الى صيغة مناسبة .

وقال الدكتور « شارون » :

ـ « دعونا نتفق على الا نبرح من هنا حتى نصل الى اتفاق » .

قاطعه « دايان » فى حدة قائلا :

ـ « دعوه يفعل ما يشاء ، اذا لم يكن يريد البيان ، فهذا شأنه ونحن لا نريده أيضا » .

وطلب السادات من «بيجين» أن يجتمع به بمفرده لبضع دقائق . وشرح له السادات ـ وكأنه يعتذر ـ أن مستشاروه من موظفى وزارة الخارجية المصرية هم الذين ضغطوا عليه فى الحاح متواصل كى لا يتنازل عن أى شىء ، مهما صغر ، بصدد اعطاء حق تقرير المصير للفلسطينيين .

وقد زعم الرئيس المصرى ، فيما بعد ، أن « بيجين » حاول اغراقه فى بحر من الكلمات .

... ...

عقد المؤتمر الصحفى ، الذى حضره مئات من الصحفيين ، فى القاعة الكبرى بمبنى هيئة قنال السويس فى مدينة الاسماعيلية .

وفى المؤتمر الصحفى ، أصاب « بيجين » الرئيس المصرى بالدهشة حين أعلن أن كل من الامم المتحدة والولايات المتحدة الامريكية سوف يكونان شريكين فى مفاوضات السلام .

وكانت المفاجأة الثانية : أن بيجين اقنع السادات بقراءة بيان ختامى أطلق فيه الرئيس المصرى ، دون أن يلحظ ذلك ، الاسم الاسرائيلى :

« يهودا والسامرة » على الضفة الغربية لنهر الأردن (٨) ٠

وقد أثار ذلك غضب المصريين بل وحنقهم ٠ وادعوا ان « بيجين » قـد استغل ارهـاق السادات واجهـاده ، حيث انه لم يكن ليقبـل استخدام هذا التعبير فى الظروف العـادية ٠

... ...

صحب لسادات ضيفه الى باب الطائرة الهليوكبتر التى حملته الى القـاعدة الجوية العسكرية ٠ وكانت تبدو على وجهه مظاهر التعب والاجهاد التام ٠

ثم صحب رئيس الوزراء «ممدوح سالم» ووزير الحربية «عبدالغنى الجمسى » رئيس الوزراء الاسرائيلى الى طائرة شركة « العال » التى استقلها عائدا الى بلاده ٠

... ...

انفرد السادات بنفسه فى منزله بمدينـة الاسماعيلية ٠ لم يكن قد حقق شيئا ، وكان فشل الاجتماع يصيبه بالاكتئاب ٠

والواقع ان كل من المصريين والاسرائيليين كان يشعر بأنه قـد ترك فرصة سانحة دون أن يستغلها ٠

ولكن «بيجين» كان يفكر بشكل مختلف ٠ فقـد قال :

ـ « لقـد كان الحـد الادنى من الشروط التى تقـدم بها المصريون فى الاسماعيلية هو الانسحاب على جميع الجبهات واعطـاء الفلسطينين حق تقرير المصير ٠ ولم نكن لنستطيع أن نقبل ذلك » ٠

هوامش الفصل الثالث عشر

(١) يقول دايان ان الوفد الاسرائيلى باكمله قـد حضر مراسم حلف اليمين التى اداها وزير الخارجية المصرى الجديد محمد ابراهيم كامل . ((دايان ، ((الاختراق)) ، ص ١٠٢) .

اما محمد ابراهيم كامل نفسه ، فانه يقول بشان هذه الحادثة :

((وبعد وصول الوفد (الاسرائيلى) صحبه الرئيس السـادات الى غرفة الاستقبال بالاستراحة ، حيث قدمت لهم بعض المرطبات، وبقيت بالحديقة احاول ان احصل من الدكتور عصمت عبد المجيد من جديد على خلفية المحادثات . ولكن لم يلبث ان حضر حسن كامل ليبلغنى ان الرئيس يطلبنى لحلف اليمين كوزير للخارجية ، واضاف ان السـادات يعتزم ان يشارك فى مراسـم حلف اليمين : مناحم بيجين وبعض اعضاء الوفـد الاسرائيلى ، كتعبير عن روح الود والسلام . وصدمت من الذهول ، وطلبت منه ان يبلغ الرئيس السادات ان مثل هذا لم يقع فى العالم من قبل ، وان هذه العملية لا شان للاسرائيليين بها ، وانى على كل حال لن اقوم بحلف اليمين امامهم مهما حـدث)) .

((وعاد حسن كامل ضاحكا ، واخبرنى بان الرئيس وافق على رايى ، وعدل عن فكرته . وذهبت معه الى غرفة الاستقبال ، حيث كان يجلس السادات مع مناخيم بيجين وبعض معاونيه . فاستاذن منهم ، وتوجه الى ركن من الغرفة ، ووقف على يمينه السيد حسنى

مبارك ، وعلى يساره السيد ممدوح سالم ، وقمت بحلف اليمين . ولم اكــد انتهى حتى حضر مناحيم بيجين واعــوانه ، والمصريون الحاضرون ، وصافحونى مهنئين)) .

(كامل ، ((السلام الضائع)) ، ص ٤٣)

كذلك فان وايزمان يؤكد فى روايته حضور الوفد الاسرائيلى لمراسم حلف اليمين الدســتورية . وتمضى رواية وايزمان على النحو التالى :

((اتخذنا اماكننا فى قاعة طـويلة الزوايا . وكانت القاعة حارة ومزدحمة)) .

((وقد اراد السادات ان يفتتح المباحثات بطريقــة فريدة لم تحدث من قبل ، فقد اعلن : انا ريد ان اقوم بتحليف وزير خارجيتى الجديد اليمين الدستورية)) .

((وكان محمد ابراهيم كامل قد تلقى نبأ تعيينه فى منصبه هذا فى نفس اليوم ، بعد ان تم استدعائه من بون ، حيث كان يشغل منصب ســفير مصر هناك ، ولكى يحل محــل (اسماعيل) فهمى و (محمد) رياض اللذان كانا قــد استقالا احتجاجا على مبادرة السادات للســلام)) .

((وحين شعرنا اننا سنكون ضيوفا فى حفــل زفاف شخص آخر لا نعرفه ، قمنا واقفين كى نغــادر القاعة . ولكن السادات اشار الينا ان نبقى . فقد اراد ان نشعر كما لو كنا فى وطننــا)) .

(وايزمان ، ((معركة الســلام)) ، ص ١٢٥) .

... ...

(٢) يقول محمد ابراهيم كامل عن اجتماع الاسماعيلية الصباحى، والذى كان اول اجتماع يحضره بوصفه وزيرا للخارجية :

((جلس اعضاء الوفدين المصرى والاسرائيلى متقابلين على جانبى مائدة المباحثات الموشكة على الابتداء ، فى انتظار وصول الرئيس المصرى ورئيس وزراء اسرائيل ، اللذين كانا فى اجتماع منفرد فى الغرفة المجــاورة)) .

«ولم يلبث ان فتح الباب ، ودخل السادات وبيجين . وقبل ان يجلسا فى مقعديهما ، فوجئت بمناحيم بيجين ، ويده مشتبكة بيد السادات (يقول): انهما قد اتفقا على تشكيل لجنتين: الأولى سياسية برئاسة وزير الخارجية المصرى ووزير الخارجية الاسرائيلى ، وتعقد جلساتها فى القدس ، والثانية عسكرية برئاسة وزيرى دفاع البلدين ، وتعقد جلساتها بالقاهرة)) .

((وشعرت أن السادات وبيجين قد وضعا العربة قبل الحصان . اذ كان المفروض ان يأتى مثل هذا الاتفاق كنتيجة للمباحثات بين الوفدين ، وليس قبلها)) .

((واحسست بالغيظ من السادات . لماذا وافق على لجنتين ؟. الم يكن المنطق يقضى بالبدء بالاتفاق بين الطرفين على الأسس التى يمكن ان يؤسس عليها السلام ، وهذا موضوع سياسى بحت ، فاذا تم الاتفاق على ذلك ، يمكن عندئذ تشكيل اى عدد من اللجان يتطلبها وضع بنود هذا الاتفاق السياسى موضع التنفيذ ؟)) .

((... ثم لماذا يوافق السادات على جعل القدس مقرا لاجتماع اللجان ؟ . الا يوحى ذلك باعتراف ضمنى بما تطالب به اسرائيل من اعتبار القدس عاصمة لها ؟ ... ماذا كان يضر ، لو اصر على أن تكون تل ابيب وليس القدس المكان المقابل للقاهرة لاجتماعات اللجان ؟)) .

((... ثم اعلن بيجين انه يحمل معه مشروعين : الأول خاص بالانسحاب من سيناء ، والثانى خاص بالحكم الذاتى فى جوديا وسماريا وغزة)) .

((وشرع بيجين فى شرح مشروعه للسلام مع مصر بلغة انجليزية طلقة ، وصوت مدبر مزعج ، وفى ا سهاب طويل ممل ، مملوء بالتفاصيل السخيفة ، وهو يتيه اعجابا بصوته ، وفصاحة بيانه)) .

((وكان اشد ما اثار دهشتى هو الوقاحة التى تضمنها حديث بيجين ، وان حاول تغليفها فى ثوب مهذب ، حتى تبدو سائجة

بريئة ، وكأنه يخاطب اطفالا صغارا . وكان ذلك يشكل استخفافا بعقولنا ، مما يتضمن اهانة لنـــا :

« عندما نوقـــع اتفاقية السلام يستطيع الجيش المصرى البقاء فى خط لا يتجـــــاوز ممرى متلا والجدى . اما باقى سيناء (اى اكثر من ثلاث ارباع مساحتها) فتكون منزوعة الســـلاح . وتحتفظ اسرائيل بمطاراتها العســـكرية فيها ، وبمحطات الانـــذار المبكر ، اما المســـتوطنات بين رفح والعريش ، وبين ايلات وشرم الشيخ فتبقى كما هى ،وستكون مستوطنات مدنية . وهذا لا يشكل ، ياسيادة الرئيس ، مساسا بسيادة مصر . ولكن هناك مبدا يهوديا مقدسا (يقضى) بالا يترك المدنيون بدون حماية عسكرية . لذلك سنحتفظ بقوات قليلة للغـــاية لحماية هؤلاء المستوطنين المدنيين . ونامل ، ياسيادة الرئيس ، فى تفهمك لهذا المبدأ الانسانى ، بعـــد طول ما قاساه اليهود من تعديات عليهم ... » .

« والادهى من ذلك ، انه عنـــدما قاطعه الدكتـــور عصمت عبد المجيد ، فى وقت ما ، وذكر ان قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ينص على الانسحاب من الاراضى المحتلة ، وان هذا يعنى ، بالنســـبة الى مصر ، الانسحاب الى الحـــدود الدولية بينها وبين فلسطين ، ثار بيجين بشـــكل مسرحى ، واخذ يوجه الى الرئيس الســـادات اسئلة سريعة كطلقات مدفع رشاش : الم تحشدوا قوات الجيش المصرى فى سنة ١٩٦٧ ، وتنقلوها الى سيناء ؟ . الم تغلقوا مضايق تيران ؟ . الم تقم المظـــاهرات تطالب بالقـــاء اسرائيل فى البحر؟ ، الم تقم اليافطات فى شوارع القـــاهرة تطالب بان يدخل الجيش المصرى تل ابيب فى ثلاثة ايام ؟ ، الم تطلبوا من قوات الطـــوارىء الدولية الانسحاب من سيناء ؟ ... الخ » .

« واخذ السادات يرد على كل ســـؤال بنعم ، وينتظر بلهفـــة ان ينتهى بيجين من اسئلته المتلاحقة ، لكى يشرح له الوضع فعلا : نحن على مائدة مفاوضات ، لننس المـــاضى ونقيم سلاما دائمـــا شاملا . ولكن بيجن بينما كاد ينتهى من اسئلته ، حتى قال : اذن تكون حرب ١٩٦٧ حربا هجومية عدوانية من جانبكم ، وتكون اسرائيل

فى حالة حرب دفاعية مشروعة بالتالى . وهذا يعطيها الحـق فى الاحتفاظ بالأراضى التى احتلتها وهى تدافـع عن نفسـها ضـد العـدوان . وبحركة سريعة مد يده الى الأوراق الموضوعة أمامه ، وسحب كتابا من بينها ، وفتحه على صفحة كانت مميزة بعـلامة ورقية من الصـفحات ، وشرع يقرأ فقرات من هذا الكتاب الذى ذكر انه لأحد فقهـاء القـانون الدولى ، تؤيد حق الـدول فى الاحتفاظ بالأراضى المحتلة ، اذا كان احتلالها نتيجـة لحـرب دفاعية خاضتها رغم انفها (وقد كرر بيجين هذا المعنى فى المؤتمـر الصحفى الذى عقد فى الاسماعيلية فى اليوم التالى))) .

((ولم اتما لك نفسى ، فقمت وتوجهت الى الرئيس السادات ، وهمست فى اذنه راجيـا وقف الجلسة للتشاور . ولاحظ بيجين ذلك ، فقال على الفـور : ربما أطلت عليـكم الحـديث ، ياسيادة الرئيس ، واقترح رفـع الجلسة بعض الوقت ، ووافق الرئيس السادات ، ورفعت الجلسة)) .

((انتقل الوفد المصرى الى الغرفة المجـاورة . وقلت للرئيس السادات ، فى انفعال ، رايى فى وقاحة مناحيم بيجين ، وانه يسيىء استغلال سماحتنا وكرمنا كمضيفين ، ونوايانا الصادقة فى انهـاء الحروب واقرار السـلام العـادل . وذكرت ان الأسلوب الـذى يتبعه سيجرنا فى متاهات وتفاصيل تبعدنا عن الهدف الأصلى ، ويجب ان يكون التركيز فى هذا الاجتماع على الاتفـاق على المبادىء التى تحكم التسوية الشـاملة للنزاع العـربى الاسرائيلى بـكل عناصره . ويمكن بعد ذلك ان تتولى اللجان مناقشة التفاصيل)) .

((وقد اجمع الوفد المصرى على رفض المشروع الذى قـدمه بيجين ، لمـا تضمنه من تعديات خطيرة على سـيادة مصر على اراضيها ، ومخالفات صريحة لقواعد القـانون الدولى ، وتناقضات مع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢)) (كامل ، ((السلام الضائع)) ، صص ٤٣ — ٤٧) .

وقد تنـاول موسى دايان اجتماع الاسماعيلية الصباحى بشكل اكثر ايجازا من ذلك ، فقال فى كتابه ((الاختراق)) (صص١٠٢ — ١٠٤) .

« لم يشر السادات ، فى خطابه الافتتــاحى ، الى اللجنتين المشتركتين اللتان اتفق هو وبيجين علـــى اقامتهما فى اجتماعهما المغلق . وربما كان السادات يريد أن يتداول مع مستشاريه قبـــل أن يقـــوم باعلان ذلك . ولكن بيجين كان يدرك بوضوح الدلالات الهـــامة لهاتين اللجنتين : فمهما كانت نتـــائج المباحثات الجارية ، فان اللجنتين سوف يضمنان تواصل المفاوضات . ولذلك فقد أعلن للوفدين عن الاتفـــاق الذى توصل اليه مع الرئيس المصرى ، قائلا: لقد قررنا اقامة لجنتين مشتركتين للعمل، أحدهما للشئون السياسية والمدنية ، والأخرى للشئون العسكرية ، وان ذلك يمثل بداية نجاح هذه المباحثات » .

« ولم تكن هذه هى البداية فحسب ، بل كانت هى النهـــاية أيضا . فلم يتم التوصل الى اتفاق تشأن اى شىء آخر غير ذلك . وقد عرض بيجين مقترحات السلام الاسرائيلية ، فقال السادات انهـــا غير مقبـــولة ، وقال ان مصر ســـوف تتقدم بمقتـــرحات مضادة ترتكز على مقررات مؤتمر الرباط ، وسرعان ما برزت الوصفة المعتادة : انســـحاب اسرائيلى كامل ، وحق تقـــرير المصـــير للفلسطينيين ، ولا سلام منفصل » .

« واقترح المصريون أن نقـــوم باعداد مسودة اعلان بالمبادىء بشأن المسألة الفلسطينية . وجلسنا معـــا ساعات طويلة ، ولكننا لم نتوصل الى أية اتفاق . كما أننا اكتشفنا أن الهوة التى تفصل بين موقفينا بصدد معــــاهدة السلام المصريـــة ـــ الاسرائيليـــة متسعة للغـــاية . وقد اتخذ ممثلوا مصر موقفا متشددا فى رفضـــهم السماح ببقاء مواطن اسرائيلى واحـــد فى سيناء ، وسواء كان هذا الاسرائيلى مدنيا أم عسكريا . وكل ما أمكننا الاتفـــاق عليـــه هو تواجد قوات الأمم المتحدة فى شرم الشيخ ، ولكن بشرط أن تكـــون هذه القـــوات تحت الســـيادة المصرية ، وأن تكن وظيفتها هى الاشراف على حرية المـــلاحة فى الخليج فقط » .

« وكانت نغمة التفاعل الوحيدة تنبعث من رغبة القـــائدين الصادقة فى تجنب الوصـــول الى طريـــق مسدود ، وأن لا يستسلما ويعلنا عن فشل المباحثات . وقد كان هذا أمرا هاما . فقد كان

ذلك يعنى ، وفق ما أراه ، ان السادات يرغب حقـا فى التوصـل الى اتفـاق سلام ، وانه يبحث عن الوسائل الكفيلة بالتغلب على ما يواجه ذلك من عقبات . وفى نفس الوقت ، فقد كان يعتورنى قلق عميق بشأن الثمن الذى تطالبنا مصر بدفعه ، وهـــو : الجلاء الـكامل عن سيناء ، والالتزام بالانسـحاب انسحابا كاملا من الضفة الغربية ومن الجولان ، واقامة دولة فلســطينية . فقد أحسست ان هناك عـواطف عميقة تكمن خلف هذه الكلمات، وانهـا ليست مجرد كلمـــات خاوية . وظننت ان اسرائيل سوف تضطر حقيقة الى الاختيار بين تقـديم تنــازلات ثقيلة وبين الاخفاق فى الوصـــول الى معاهدة سلام مع مصر » .

... ...

(٣) اغلب الظن ان الســادات يشير هنـا الى جريـدة «الجمهورية» ، التى كان صاحب امتيازها هو الرئيس الراحـل جمال عبد الناصر ، وليس الســادات ، الذى رأس ، فقط ، مجلس ادارتهـا بعض الـوقت .

... ...

(٤) يصعب تصديق هذه « الحـكاية » الغريبة التى يرويها السادات ، والتى ربما يكون — كعادته — قد الفها ، أو قد يكون احد مساعديه هو الذى ابتكرها ليدخل البهجة على قلب رئيسه بتأكيد ترحيب الجماهير الحماسى بمبادرته .

... ...

(٥) راجـع الهامش رقم «(٤)» الخاص بالفصل رقم «(١٠)» ، حيث يقـول دايان ان التهامى رفض ، باسم السادات ، فكرة هذه الدوريات المشـتركة .

... ...

(٦) يقـول محمــد ابراهيم كامل عن جلســة اجتماع الاسماعيلية المسائية :

« وعادت الجلسة للانعقاد . وعدنا ، من جديد ، نستمع الى صوت بيجين ، وعرضه الطـويل المسهب ، وهـو يشرح هذه

المرة مشروعه التالى والخاص بمستقبل ((جوديا وسماريا)) وقطاع غزة . ودان يتوقف بعد كل ممره ليتغزل بجمالها ، ويشيد بكرمه الفياض وانسانيته البالغة . كان اشبه ببائع متجول يتغنى بمحاسن بضاعته : بالنسبة لجوديا وسماريا وقطاع غزة فانى سابدا من النهاية.. ان اسرائيل تتمسك بسيادتها على تلك الأراضى، لانها اراضي اجدادنا ... ولكننى اطلب منك ياسيادة الرئيس التوقيع على اتفاق يعطينا أراض ربما تعتبرها عربية ، لذلك اقترح ان نتفق على ترك موضوع السيادة مفتوحا ومعلقا ، فلا تكون لاسرائيل ولا تكون لغيرها ... وننتقل من هذه النقطة الى الموضوع الانسانى الملح . فمن الممكن الغاء الحكم العسكرى فى (يهودا والسامرا) وقطاع غزة ، وتتولى السلطات الاسرائيلية شئون الأمن والنظام العام ، اما السكان العرب الفلسطينيون ، فسيتمتعون لأول مرة فى تاريخهم بالحكم الذاتى الادارى ، بعد قرون من التحكم فيهم . وهذا يؤدى بالتالى الى ان ينعم اليهود الفلسطينيون بالأمن ... كذلك اقترح ان يكون للسكان حق الاختيار بين الجنسية الاردنية والجنسية الاسرائيلية ، وان يكون للاسرائيليين الحق فى شراء وتملك الأراضى ، ويتمتع العرب الذين يختارون الجنسية الاسرائيلية بنفس الحق ...)) .

((وعندما انتهى بيجين من عرض مشروعه ، اضاف بان كلا من الرئيس كارتر ، ونائبه مونديل ، ورئيس وزراء بريطانيا المستر كالاهان ، قد ايدوا مشروعه وامتدحوه . كما اضاف انه لاقى معارضة شديدة فى دائرته الانتخابية ، ومن اعضاء الكنيسيت واصدقائه الشخصيين ، لما اقدم عليه من تنازلات ضخمة فى سبيل التوصل الى السلام)) .

((ورد السادات انه يريد ان يوضح ان لمصر التزامات تاريخية بالنسبة للعالم العربى ، وانها ملتزمة بقرارات مؤتمر الرباط بشان انسحاب اسرائيل من الأراضى المحتلة ، وحل القضية الفلسطينية على اساس الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وان موقفه ليس سهلا ، وانه كان يامل ان يتم فى اجتماع الاسماعيلية الاتفاق على اعلان مبادىء بين الطرفين تحكم التسوية السلمية ، وان هناك الكثير الذى تحقق بعد زيارته

للقدس ، ولكن من الواضـــح ان هنـــاك نقاط خلاف بين الطرفين ، وعلى كل حال ، فلن يتم التوصل الى اتفـــاق سلام فى جلســة واحــدة ، والمهم ان تستمر المحادثات وتبـــادل المقترحات ، وان تستمر قوة الدفـــع حتى التوصل الى السلام الشـــامل ، واننا سنتقدم باقتراحاتنا المضادة ، ومتى تم الاتفاق على المبادىء ، تبدا اللجان السياسية والعسكرية فى العمل على الفور » .

« وقد تميزت هذه الجلسة الثانية بنشاط من أعضاء الوفـد المصرى ، حيث كانوا ينبرون بالحجج الدامغة لبيجين ، كلما شط ، استنادا الى متانة الموقف العربى المؤيد بمبادىء القــانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة » .

« ولم يتم بالطبع اتفـــاق على المبادىء ، وانتهى الاجتمـــاع على ان يصدر كل جانب بيـــانا بوجهة نظره » . (كامل ، « السلام الضائع » ، ص‌ص ٤٧ ــ ٤٩) .

... ...

(٧) هذا غير صحيح . وربما يرجـــع الســـبب فى وقـــوع المؤلفين فى هذا الخطأ ، هو ان الدكتـــور عصمت عبد المجيد قـــد شغل ، لبعض الوقت ، منصب مدير مصلحة الاستعلامات المصرية .

... ...

(٨) لم تكن هذه هى الحفرة الوحيدة التى وقع فيهـــا الرئيس المصرى السابق . فقد زعم مناحيم بيجين فى نفس المؤتمر الصحفى ، وامام العـــالم باكمله ، ان اليهود هم الذين بنوا اهرامات الجيزة . ثم عاد وكرر هذا الزعم ، مرة اخرى ، امام العالم باكمله ايضا اثناء الاحتفال بتوقيع معـــاهدة السلام المصرية السرائيلية فى واشنطون . ويبدو ان المغفور له الرئيس السابق لم يجد هناك ما يدعو لتفنيد مزاعم « اصدقاءه الأعزاء » ، وجلس ، فى المرتين ، صامتا ، يدخن غليونه فى بلهنية مجنونة ، مؤكدا بذلك اكاذيب مناحيم بيجين .

... ...

١٤

ثلاث رصاصات

فى مساء يوم ٤ يناير ١٩٧٩ ، اندفع شخص ، وهو يعدو بسرعة كبيرة ، من « بدروم » المنزل الذى كان يشغله مكتب الجامعة العربية فى لندن · وبعد عدة دقائق من ذلك ، عثر على « سعيد حمامى » مقتولا فى مكتبه الذى يقع فى نفس المبنى · وكانت ثلاثة رصاصات قد أنهت حياة ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى لندن · ولم تسفر التحريات التى قامت بها الشرطة البريطانية عن شىء يستحق الذكر ·

وهكذا تم اطلاق أول ثلاث رصاصات ضد مبادرة السلام ·والتزمت المنظمات الفلسطينية المختلفة الصمت ، ولم تنسب أيا منها هذه العملية لنفسها · وبالرغم من ذلك ، فان الرسالة التى كانت تحملها هذه الرصاصات الثلاث كانت واضحة وصريحة ومفهومة فى كافة أنحاء أوروبا والشرق الاوسط · وكان فحوى هذه الرسالة هو : ان أى فلسطينى يحوم حوله شك فى أنه يؤيد سياسة السادات سوف يدفع الثمن ؛

وقد كان « سعيد حمامى » ، الذى كان من أوائل المنادين باجراء اتصـال مباشر مع اسرائيل ، هدفا مناسبا • فرغم أنه ادان مبادرة السادات علنـا ، فانه لم يكن يخفى استياءه من انعـدام الرؤيـة الصحيحة لدى القـادة الفلسطينيين ازاء الموقف الجديد الذى خلقتـه مبـادرة الرئيس المصرى • وقـد قرن « حمامى » ذات مرة أعضـاء المنظمة الذين يرفعون شعار : « كل شىء أو لا شىء على الاطـلاق » ، وبين هؤلاء الاسرائيليين الذين يرفعون شعار : « عدم التنازل عن بوصة واحـدة من الاراضى المحتلة » ، والذين ينادون بضم الضـفة الغربية • وكان « حمامى » يؤمن بأن الوسيلة الوحيدة للتخفيف من غلواء المتطرفين ، هو تقـديم دليل لا يدحضه شك على سلامة المنطق الذى يتبعه المعتدلون من كلا الجـانبين •

وفى نفس اليوم الذى تم فيه اغتيال « سعيد حمامى » هبطت طائرة السلاح الجوى الامريكى رقم « ١ » ، التى تقل الرئيس «جيمى كارتر»، فى مطار مدينة « أسوان • وكان الرئيس السابق قـد قرر ، عندما انتهت جولته الطويلة التى زار أثناءها عواصم خمس بلدان ، أن يمد يد المساعدة لحل أعقـد المشكـلات التى تعرقل المحادثات المصرية ـ الاسرائيلية ، وهى المشكلة الفلسطينية • وكان مستشار الامن القومى « برزينسكى » ووزير الخارجية « فانس » قـد تمكنا من اقنـاع « كارتر » بضرورة مساعدة الرئيس المصرى على تحقيق شىء فى هذه المرحلة قبل التقـدم لاقرار السلام • وخـلال توقف الرئيس الامريكى فى المدينة المصرية الجنوبية ، وافق السادات على صـيغة اقترحهـا « كارتر » وقرأها الرئيس الامريكى ، فيما بعد ، على مراسـلى الصحف •

وكانت هذه الصيغة تقـول :

« يجب ايجـاد حل لكـافة جوانب المشكلة الفلسطينية • كما يجب الاعتراف بأن هذه المشكلة تتضمن الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ، وتمكينه من المساهمة فى تقرير مستقبله » (١) •

وهكذا فقــد تعدلت مطالبة مصر بأن تعترف اسرائيل بحق الشعب الفلسطيني فى تقرير مصيره ، الى المطالبة باشتراك الفلسطينيين فى تقرير مستقبلهم ، الامر الذى يعنى انهم لن ينفردوا بتقرير مصيرهم ، وان اسرائيل وعددا آخر من البلدان العربية سوف يشاركونهم فى ذلك (٢) •

وحين استقل الرئيس الامريكي طائرته عائدا الى « واشنطن » كان مقتنعا بانه نجح فى تخليص عجلات مبادرة الرئيس المصرى من وحل المشكلة الفلسطينية •

ولكن « كارتر » كان مخطئا • فلم تكن الكلمات لتكفـى لمحـو خلافات حقيقيــة •

ومنذ عام ١٩٧٢ ، كان السادات يضغط على منظمة التحــرير الفلسطينية كى تدخل قدرا من الاعتدال على سياساتها ، وذلك كى تستطيع الاشتراك فى عملية الحـل السياسى • وكان الرئيس المصرى يطالب ، بوجه خاص ، باقامة حكومة فلسطينية فى المنفى وقبـول قرار مجلس الامن رقم « ٢٤٢ » الذى كان يشير الى انسحاب القوات الاسرائيلية من « أراضى » تم احتلالها فى حرب الايام الستة ، ويدعو الى انهــاء حالة الحرب ، واحترام سيادة واستقلال جميع بلــدان المنطقــة والاعتراف بحقهــا فى العيش فى سلام •

ومن ناحية اخرى ، كان السادات يســعى من أجـل التغلب على مشكلة رفض اسرائيل الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وذلك عن طريق ايجــاد صيغة تمثـل حلا وسطا • ولكنه كان وحيدا فى سعيه هذا •

فقــد كان النفوذ السورى فى المنظمة قويا بسبب الوجود العسكرى السورى فى لبنان ، حيث كان يوجــد غالبية أعضاء المنظمة • كذلك فقــد كانت المنظمات الفلسطينية الاكثر تطرفــا تتخذ لهــا مقرا فى العاصمة العراقية ، بغداد •

وهكذا فان قدرة مصر على ممارسة ضغوط فعـالة على منظمـه التحرير الفلسطينية ، كانت محدودة للغـاية ٠

وفى عام ١٩٧٧ ، كانت طبيعة المشكلة الفلسطينية قد تغيرت عما كانت عليه منذ عشرة أعوام ٠ فقـد أصبحت ، كما أعلن السادات ، هى « قلب المشكلة » ، وليس مجرد « قضية هامشية » كما تريـد اسرائيـل ٠

وقد كان التعديل الذى طرأ على الموقف الامريكى يمثل أهم مظاهر للتغير فى القضية الفلسطينية ٠ فقد تم ، لاول مرة ، اجراء اتصـالات سرية بين كبـار المسؤولين فى الحكومة الامريكية وبين قادة منظمـة التحرير ٠ كمـا بدأ الرئيس الامريكى يتحـدث عن اقامة « وطـن قومى للفلسطينيين » ٠ كذلك ألمحت واشنطون للمنظمة بشكل واضح عن اقتناعها بأن قبول المنظمة لقرار مجلس الامن رقم « ٢٤٢ » سوف يكون بمثابة اشارة لبدء الحوار بين الولايات المتحدة ومنظمةالتحرير٠

ولم يعـد أحد فى واشنطون يذكر تعهـد الولايات المتحدة لاسرائيل فى نهـاية عام ١٩٧٥ ، بعـدم الدخول فى مفاوضات مع المنظمـات انفلسطينيـة ٠

وبدأت أصوات ترتفع من داخل منظمة التحرير ، بتشجيع من السادات ، تقـول : « يجب أن نأخذ ما يعطى لنـا ، وأن نستمر فى المطـالبة بمـا لم يعط » ٠

وكان صوت « سعيد حمامى » واحدا من هذه الاصوات ٠ ولكن الرصاصات الثلاث قضت عليه الى الابـد ٠

وسمع الالاف الذين احتشدوا فى شوارع بيروت لتشييع جثمان « سعيد حمامى » خطبا غاضبة تمتلىء بالمطالبة بالثأر ٠ ومنذ ذلك الوقت انقطعت تماما اتصالات المنظمة بالعدد القليل من الاسرائيليين الذين وافقوا على التباحث معها ٠

وقـد علم ، فيما بعـد ، أن قاتل « سعيد حمامى » عضو فى جماعة صغيرة من الفلسطينيين المتعصبين تتمركز فى بغداد • وكان على رأس هذه الجمـاعة ، التى لم تكن تزيد عن واجهة للمخابرات العراقية ، الزعيم الفلسطينى « صبرى البنا » ، المعروف باسم « أبو نضال » ، وهو رجل مثير غامض ، لا يكـاد يغـادر مخبـاه السرى فى قاعـدة « الحبانية » فى العراق •

وكان « أبو نضال » ، الذى كان واحدا من أقدم أصدقاء « ياسر عرفات » ، أحد مؤسسى منظمة التحرير الفلسطينية • وكان معـروفا بالتطرف فى مواقفه وآراءه • وعندما عين ممثلا للمنظمة فى بغداد ، وجـد أن آراءه أقرب الى آراء مضيفيه من آراء الرجل الذى عينه فى منصبه • فأخذ يحـول ولاءه بالتدريج الى جانب العراق • وعنـدما كشف الغطـاء عن ذلك ، فصلته المنظمة من عضويتها ، وصدر عليه الحكم بالاعـدام •

ولم تكن فرق الاغتيالات التى كونها « أبو نضال » تمارس عملياتها ضد اسرائيل ، وانما كانت تقتصر نشاطها على منظمة «فتح» • وكان « أبو نضال » يريد أن يمنع « ياسر عرافات » من الجلوس متفرجا على السياج ، ومن التفكير فى الاشتراك فى تحقيق التسوية بين البلدان العربية واسرائيل • وقد كان الهـدف من اغتيال « سعيد حمامى » هو الحيلولة دون « ياسر عرفات » والاقتراب أكثـر من خط السادات السياسى •

أما بالنسبة الى الرئيس المصرى ، فقـد كان حادث الاغتيال يمثل دليلا آخر على صحة قناعته بضرورة اسقاط منظمة التحريرالفلسطينية من الحساب عند تسوية المشكلة الفلسطينية •

وكان « سعيد حمامى » قـد توصل ، هو والدكتور « عصـام السرطاوى » أحد الزعماء الفلسطينيين البارزين ، الى نتيجة تماثل تلك التى توصل اليها وزير الدولة المصرى للشئون الخـارجية ،

الدكتور « بطرس غالى » وهى : أن تحقيق التسوية السليمة يمكن أن يكون أداة صالحة لاقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ذات علاقــات طيبة مع اسرائيل ، وذلك دون التخلى عن حلم اقامة دولة « ديمقراطية علمانية » مع اليهود من غير الصهاينة ٠

ولم يكن « ياسر عرفات » على استعداد لتبنى هذا الخط السياسى علانية ٠ ولذا فقـد ظل يعلن التزامه بميثاق المنظمة الذى كان يصم أية علاقة بين اليهود وأرض اسرائيل بالزيف ولخداع ٠

أما السادات ، فقـد كان يعتقـد أن تمرد المنظمة وعنادها يمثـل عبئا لا مبرر له ، فى حين أن المنظمة اذا قبلت الاستئناس ، وأصلحت من صورتها السياسية بالاقــلاع عن النشاطات الارهابية ، يمكن أن تكون سلاحا فعــالا فى الحرب الدبلوماسية ، بل وقد يمكن أيضا أن تكون شريكــا فى عمليــة التسوية ، الامــر الــذى يخلص مصر من الكــابوس الفلسطينى ٠

وكان اقتراح « سعيد حمامى » باقامة دولتين فى فلسطين قـــد أشعل خيال عدد من اليساريين الاسرائيليين ٠ وكان هؤلاءاليساريون ينظرون الى اقتراح « حمامى » بوصفه يمثل شعاعا من الامل يمكن أن يؤدى الى اعتراف الفلسطينيين بحق اسرائيل فى الوجود ٠

وقــد شجعت مصر الاجتماعات السرية التى بدأت بين مجموعــة الحمــائم داخل منظمة التحرير الفلسطينية وبين حمــائم الجنـــاح اليسارى فى اسرائيل ٠ وكان الدبلوماسيون المصريون فى أوربا يرقبون هذه الاتصالات بعنــاية شديدة ، ويرسلون التقارير المستمرة عنهــا الى الرئيس المصرى ٠

وكان يقــوم بدور الوسيط فى اتمام هذه الاتصات كل من « هنرى كورييل » الثورى المحترف ، و « جريس بلاو » المحاضر بجامعــة السوربون ، وكلاهمــا من اليهود الذين اشتركوا فى تأسيس الحــزب الشيوعى المصرى(٢) ٠

كذلك طار « ماتى بيليد » ـ للجنرال السابق فى للجيش الاسرائيلى والذى يعمل الآن استاذا للادب العربى والذى ينادى بالحوار مع منظمة التحرير ـ فى أواخر عام ١٩٧٦ الى باريس لعقد اجتماع مع « عصام السرطاوى » هناك • ولحق به ، فيما بعد ، « أرييه أكياف » السكرتير السابق لحزب العمل الاسرائيلى الحاكم آنذاك • وكان « بيليد » قد ابلغ كل من « اسحق رابين » و « ايجال آلون » ، رئيس الوزراء ووزير الخارجية آنذاك ، بأنباء هذا الاجتماع •

وبالرغم من المناقشات الحادة التى جرت فى هذا الاجتماع ، فان كل من الجانبين قد تخلق لديه انطباع بوجود أساس لمواصلة مثل هذه الاجتماعات • وقد اتفق الطرفان على ضرورة البحث عن شخصية دولية معروفة يمكن ان تلعب دور الوساطة والشهادة معا •

واستقر رأى الجانبان على اختيار « بيير منديس فرانس » ، اليهودى ورئيس الوزراء الفرنسى الاسبق ، الذى قبل القيام بالدور المطلوب منه •

وفى الاجتماع التالى ، الذى عقد بعد أن قامت احدى الصحف الاسرائيلية بنشر بعض المعلومات عن هذه الاتصالات ، عبر « عصام السرطاوى » عن غضبه الشديد بسبب تسرب أنباء الاجتماعات •

كذلك ارتفعت بعض الاصوات فى اسرائيل مطالبة بتقديم « الخونة » الذين أجروا محادثات مع منظمة التحرير الى المحاكمة •

ولذلك فقد طلب الجنرال « بيليد » ، فى الاجتماع التالى ، اصدار بيان مشترك يمكن أن يحافظ على شرفه وشرف أصدقاءه • وأعد « بيليد » مسودة لهذا البيان ، وقام « السرطاوى » بادخال بعض التعديلات عليه ، ثم وافق عليه ، ولكنه امتنع ، بعد ذلك ، عن التوقيع عليه •

وقد تمت قراءة هذا البيان،على أساس أن منظمةالتحريرالفلسطينية

قـد وافقت عليه ، فى مؤتمر صحفى حاشد عقد فى « تل أبيب » • ولكن بعـد مرور أقل من ساعة على ذلك ، نقلت أجهزة « التليبرنتر » من بيروت تكذيبا شديد اللهجة أصدرته المنظمة • وفقد «منديس فرانس» اعصابه ، بينما أصبح « بيليد » ورفـاقه أضحوكة الجميع •

وهكذا تعلم الجميع الدرس • وزادت الهوة ، حتى بين المعتدلين من الجانبين ، اتساعا •

وعندما قام الرئيس المصرى بمبادرته ، كان « عصام السرطاوى » هو المسؤول الوحيـد فى منظمة التحرير الفلسطينية الذى أعلن ترحيبه بهـا علنـا • ولكن الذعر تملكه عندما تم اغتيال « هنرى كورييل » واضطر الى الاختفـاء فى باريس •

أما السادات ، فقـد كان رأيه أن جهود « السرطاوى » الشجاعة لا تعدو أن تكون مرحلة عابرة • ولم تكن الرسائل التى أرسلها اليه « ياسر عرفات » قـد نجحت فى اقناعه بالعدول عن سياسته • وكان الرئيس المصرى يحتقر الزعيم الفلسطينى بسبب تردده واستسلامه للسوريين ، وعجزه عن قيادة الفلسطينيين فى الاتجاه الصحيح • كما كان السادات ينظر الى حرص « ياسر عرفات » على ابقاء جسر مفتوح بينه وبين القـاهرة ، على أنه خداع متعمد ، ومحاولة من جـانب « عرفات » للتمسك بوثيقة تأمينه القـاهرية ، فى نفس الوقت الذى يحـارب فيه مصر فى صفوف جبهة الرفض •

ولم يكن السادات يعرف أن « ياسر عرفات » يفعل نفس الشىء مع اسرائيل • فقـد قام ـ مرة واحدة على الاقل ، بارسال رسـالة شفهية،عن طريق شخصية أوروبية معروفة(٢) الى حكومة «بيجين»• ووفقـا لهذه الرسالة الشفهية ، فان كل ما كان يطلبه «عرفات» هو دولة لهـا علم وسجون وجوازات سفر ، وانه اذا وافقت اسرائيل على مبدأ اقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، فـان الجـانبين يمكنهما ، عنـدئذ ، مناقشة ترتيبات الامن •

ولم يكن الاسرائيليين عندئذ على استعداد للانصات الى مثل هذه الرسائل السرية ، اذ كانوا يفضلون الاهتمام بالتصريحات المختلفة التى كان « ياسر عرفات » لا يكف عن الادلاء بهـا ضد وجود اسرائيل ، وضـد الحلول الوسط ، وضـد عقـد اتفـاقية سلام •

وقـد أدرك السادات انه لم يعـد هنـاك أمل فى حدوث تغيير داخل منظمة التحرير الفلسطينية • ذلك أنه فى شهر فبراير عام ١٩٧٨ ، أى بعـد مرور أربعة أشهر على قيامه بالمبـادرة ، قـام شـابان فلسطينيان باغتيال صديقه المقرب « يوسف السـباعى » ، رئيس تحرير جريدة « الأهرام » ، كما قاما باحتجاز عدد من الرهائن فى مطـار « نيقوسيـا » (الصحيح : لارنكـا) • وفشلت قوة من رجـال الصـاعقة أرسلتهـا السلطـات المصريـة لتحرير الرهـائن فى مهمتهـا ، ودفعت الثمن غاليـا ، فقـد فقـد عدد كبير من أفراد القوة حياتهم ، كمـا احترقت الطـائرة الامريكية الصنع ـ طراز « هرقل » ـ التى كانت تقلهم •

وفى الجنازة التى أقيمت فى القـاهرة لتشييع جثث ضحايا حادث مطـار « نيقوسيا » ، تصـاعدت هتـافات ـ تقـول : « المـوت للفلسطينيين » •

كان السادات قـد قرر شطب اسم « ياسر عرفات » من قائمـة شركاءه فى عملية التسوية •

وأرسل وزير الدفاع الاسرائيلى ، « ايزر وايزمان » برسـالة عن طريق الوفـد الاسرائيلى الذى كان موجودا فى القاهرة ـ الى زميله المصرى « عبد الغنى الجمسى » ، هنأ فيهـا المصريون على شجاعتهم فى « مقاومة الارهاب » ، كمـا عبر عن أسفه وحزنه على ضحايا الحادث من المصريين •

ووسط الجو المتوتر ، اقترح « حسن التهامى » محاولة احـداث انشقاق داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، ولـكن جهـوده باءت بالفشل • كما حاول السادات كذلك ـ بتأييد امريكى ـ اغراء الأردن

بالانضمام الى عملية المفاوضات ، مستخدما طعم التخلى عن منظمة التحرير • ولكن الملك « حسين » قرر أن المخاطر التى سوف تنتج عن الاشتراك فى المحادثات المصرية ـ الاسرائيلية تفوق كثيرا فرص نجاح هذه المباحثات • وأشار الملك الاردنى الى توتر العلاقات بين مصر واسرائيل بسبب المستوطنات الاسرائيلية •

وكان موشيه دايان قد أصدر تعليماته ـ حتى قبل قيام السادات بزيارة القدس ـ الى « راعنان ويتز » ، مدير ادارة الاستيطان بالوكالة اليهودية ، بالعمل بأقصى ما يستطيع من سرعة لتنفيذ خطط التنمية الموضوعة لمنطقة « رفح » ، وهى منطقة رملية تقع جنوبى اسرائيل ، وكانت القوات الاسرائيلية قد احتلتها فى حرب عام ١٩٦٧ • وقد قام الاسرائيليون ، بعد الحرب ، باستصلاح أراضى هذه المنطقة ، وحولوها الى بستان مزدهر بفضل مبادرة « دايان » وتشجيعه ، وكذلك بفضل مئات الملايين من الدولارات التى تم استثمارها فى هذه المنطقة •

وكان للمستوطنات التى أقيمت فى منطقة « رفح » ـ المصرية ـ ركيزة زراعية وخلفية عسكرية • فقد كان الهدف منها هو اقامة حاجز بين قطاع غزة وبين مصر •

وكان الرأى السائد فى مجلس الوزراء الاسرائيلى هو أن المصريين سوف يقتنعون ، بعد قدر من المناقشة واجراء عدد من التعديلات ، بفكرة أن تقوم اسرائيل باقامة مستوطنات تمتلك قوة دفاع محلية ، وتخضع فى نفس الوقت ، للسيادة المصرية •

وبعد زيارة الرئيس المصرى لاسرائيل ، كان السؤال الملح ، الذى يشغل ذهن الدوائر العليا فى المؤسسات الحاكمة فى اسرائيل هو : هل تستمر اسرائيل فى اقامة المستوطنات فى المناطق التى سوف تعاد ، ان آجلا أو عاجلا ، الى مصر ؟ •

وبعد مؤتمر القمة الذى عقد فى مدينة « الاسماعيلية » ، قررت

اللجنة الوزارية المختصة بشئون المستوطنات ، مواصلة عمليات الاستيطان فى منطقة «رفح» ، وكذلك فى منطقة أخرى تقع شرقى سيناء، مع اعداد الاراضى الواقعة شرقى خط رأس محمد ــ « العريش » لخلق شبكة من « الامر الواقع » • وكلف رئيس اللجنة ، « آريل شارون » ، بوضع الخطط اللازمة « لتكييف » منطقة « رفح » .

ولما كان « بيجين » آنذاك يقوم بزيارة رسمية لبريطانيا ، فقد عرض « شارون » على « دايان » فكرة مصادرة الاراضى التى سوف تقام عليها المستوطنات • وقال « شارون » وهو يعرض على « دايان » فكرته :

ــ « انه من الامور الحيوية ان نفعل ذلك قبل اجتماع اللجنتين المصرية ــ الاسرائيلية • فاذا قبل المصريون ما قمنا به ، نكون قد نجحنا • أما اذا لم يقبلوا ، فانه يمكننا ، فى اسوأ الظروف ، أن نبدو فى صورة الاسخياء ، ونرجع عما فعلناه »(٤) •

ووافق « دايان » على اقتراح « شارون » ، وابرق الى « بيجين » فى لندن طالبا موافقته على البدء فى اتخاذ الاجراءات اللازمة لمصادرة الاراضى المطلوبة • ومن لندن ، ابرق « بيجين » بموافقته ، ونبه « دايان » ، فى نفس الوقت ، الى أنه من المستحسن النظر الى الأمر بوصفه تجربة يمكن الرجوع عنها اذا لم يكن هناك بديل آخر •

وادرك بدو منطقة « رفح » على الفور ان هناك تغيرات ما على وشك الحدوث • فقاموا بابلاغ رؤساءهم من ضباط المخابرات المصرية بان الاسرائيليين على وشك القيام بمشروعات جديدة • ثم وصلت هذه المعلومات ، بعد ذلك بقليل ، الى علم الولايات المتحدة عن طريق صور الاقمار الصناعية • وهكذا ، فان السفير الامريكى فى القاهرة لم يكن يقول شيئا جديدا عندما قام بابلاغ القادة المصريين بانباء المبادرة الاسرائيلية •

وقابل المصريون هذه النشاطات الاسرائيلية بالصمت العميق •

ولكن الاسرائيليون كانوا اكثر طلاقة وانطلاقا • فقد كشفت الاذاعة الاسرائيلية فى نشرتها الاخبارية مساء يوم الجمعة ، ما تقوم بـه السلطات الاسرائيلية فى منطقة رفح ، واشارت الى وجـود ابراج للحفر ، يظهر أن الغرض منها كان فرض وضع قائم على المنطقـة • كما ادلى التليفزيون الاسرائيلى بدلوه ايضا ، واضاف ، الى ما ذكرته الاذاعة ، عددا من الحقائق الجديدة المتعلقة بالامر •

وتفجرت ضجة كبيرة • وطلبت الحكومة الامريكية من الحكومة الاسرائيلية تفسيرا لما يحدث • كما بدأت الصحف المصريـة تثـير الشكوك حول حقيقة النوايا الاسرائيلية •

ولذا فقد اصدر « دايان » ، بموافقة « وايزمان » ، تعليماته الى « شارون » بايقاف بعض النشاطات المعينة ، وهدم ما تم بنـاءه من مبانى فى منطقة وسط سيناء •

وكانت العاصفة لا تزال فى مراحلها الاولى عندما اعلنت الاذاعة الاسرائيلية أن مجلس الوزراء الاسرائيلى قد قرر اقامة ثلاثة وعشرون مستوطنة جديدة فى منطقة « رفح » • وعندما سمع سكرتير عام مجلس الوزرء « ارييه ناعور » ، هذه الانباء ، قفز من مقعده كأنما قد لدغتـه افعى • وسارع على الفور بالاتصال بقسم الاخبار فى الاذاعة وطلب ، استنادا الى اللائحة الخاصة بهيئة الاذاعة ، اذاعة بيان باسمه ينفى فيه الاخبار الخاصة بالمستوطنات التى بثتها الاذاعة الاسرائيلية •

واستجابت الاذاعة لطلب « ناعور » ، واذاعت البيان المطلوب ، ولكنها علقت عليه بالتأكيد على أن مراسلها يصر على صحة ما وافاها به من انباء •

وكان رد فعل القاهرة لا يزال يتسم بضبط النفس • ولكن رد فعل الرئيس « كارتر » ومساعدوه كان يتميز بالحنق والغضب • وصـدرت التعليمات للسفير الامريكى فى «تل أبيب» بالاحتجاج لدى الحكومة الاسرائيلية • وقامت اجهزة الاعلام فى جميع انحاء العالم بتصوير

اسرائيل بوصفها بلدا يقول شيئا ويفعل شيئا آخر • فهى تعلن عن شوقها ورغبتها فى السلام ، واستعدادها لتقديم التنازلات فى سبيل ذلك ، بينما هى تقوم ، فى نفس الوقت ، بفرض الامر الواقع على الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ •

وزعم « دايان » أن « شارون » قد تصرف خلافا لما تم الاتفاق عليه بينهما • ووجه « بيجين » اللوم الى « شارون » سرا ، وبعث برسالة الى الحكومة الامريكية قرر فيها انه لم يحدث ، منذ ان تولى منصب رئيس الوزراء ، ان اقيمت مستوطنة واحدة جديدة فى منطقة « رفح » ، وان ما يجرى الآن هو مجرد تدعيم للمستوطنات القائمة •

كما احدثت هذه الانباء ضجة هائلة ايضا داخل اسرائيل • واتهمت اقسام عديدة من الرأى العام الاسرائيلى الحكومة بنسف فرص السلام • وساد البلاد شعور معادى لرئيس الوزراء ، وأعتبر تصرفه عملا يتسم بالطيش وعدم المسئولية •

واضطر « اريل شارون » ان يدافع عن نفسه قائلا :

ـ « سوف تشكروننى على ذلك يوما ما • ومهما حدث ، فقد أصبح لدينا ورقة رابحة نساوم بها المصريين » •

ولما كان معظم اللوم عن ما حدث يوجه الى « شارون » ، فقد طلب الأخير من « بيجين » اذاعة بيان يؤكد فيه ان ما حدث قد تم بعلم الحكومة • وهدد « شارون » باستخراج النتائج الواضحة فى حالة رفض طلبه هذا • وبعد عدة أيام من الضغوط الملحة ، استسلم « بيجين » واصدر بيانا بهذا المعنى لم يذكر فيه اسم « شارون » •

ثم قررت الحكومة الاسرائيلية ، بناء على توصية مقدمة من « وايزمان » ، تجميد برامج الاستيطان فى الوقت الراهن • ولكن الضرر كان قد حدث فعلا • وهبطت ثقة الادارة الامريكية فى حكومة « بيجين » الى ادنى درجاتها •

واستغلت الحكومة المصرية الموضوع لادانة اسرائيل ، التى صورت

فى صـورة المخـادع الذى لا يمكن الوثوق به • وظهـرت رســوم كاريكاتورية فى الصحف المصرية تمثل « بيجين » وهو يطعن ، بسكين المستوطنات ، حمامة السلام فى ظهرها •

وهكذا وصلت أزمة الثقة بين اسرائيل والولايات المتحدة الى ذرى شاهقة جديدة بسبب بضع ماكينات لحفر الآبار ، وعدد من هيــاكل « الباصات » الصدئة ، وضعها « شارون » فى منتصف شبه جزيرة سيناء •

هوامش الفصل الرابع عشر

(١) يقول الرئيس السابق كارتر عن زيارته القصيرة هذه الى اسوان :

((... كان على ان لا اطيل امد زيارتى (للسعودية) ، رغم رغبتى ، كى استطيع القيام بزيارة قصيرة جدا لأسوان فى مصر ، كى اقابل الرئيس السادات . وكانت تلك اكثر زياراتى اثارة للاهتمام بسبب الاهتمام العالمى البالغ بمنطقة الشرق الأوسط . ورغم اننا كنا قد كنا قد تحادثنا تليفونيا ، فقد كانت تلك اول مرة اقابل فيها السادات منذ قام بزيارته للقدس ، وكنت حريصا على أن القاء وجها لوجه كى اسمع منه ما حدث)) .

((وقد توقفت طائرتنا فى مطار اسوان لمدة ساعة ونصف الساعة فقط ، ولكن هذا الوقت كان كافيا تماما لاجراء مراسم الوصول والمغادرة ، ولالتقاط الصور الفوتوغرافية مع المستشار هلموت شميت الذى كان يزور مصر آنذاك ، ولعقد الاجتماع العام الذى حضره المستشارون ، وللقائى الخاص مع السادات ايضا . ولم تكن هناك خلافات بيننا ، وادلينا بتصريحات موجزة لمراسلى اجهزة الاعلام حول موقفنا من مختلف القضايا)) .

((ولقد كان ما يدور فى عقل السادات واضحا . فقد قال :

اننا نتقــدم صوب السلام .. سلام حقيقى فى المنطقة .. سلام دائم . بل ان البيــان الذى أصدرته حوى عددا من العبــارات التى صيغت بعناية حول المسألة الفلسطينية ، والتى ظننا ، أنا والسادات ، ان اسرائيل يمكن ان تقبلها بوصفها جزءا من ثــلاث اجزاء تتضمنها اتفاقية نهائية :

« أولا : ان السلام الحقيقى يجب أن يرتكز على اقــامة علاقات طبيعية بين اطراف السلام ، وان السلام يعنى أكثر من مجرد انهاء حالة الحرب » .

« ثانيا : يجب أن يكون هناك انسحاب اسرائيلى من الأراضى التى احتلت فى عام ١٩٦٧ ، وأن يكون هنــاك اتفــاق على حدود آمنة ومعترف بهــا فى اطار علاقات سلمية وطبيعية ... » .

« ثالثا : يجب حل المشــكلة الفلسطينية بكل جوانبها . ويجب أن يعترف هذا الحل بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى، وأن يتيح للفلسطينيين المساهمة فى تقدير مستقبلهم » .

... ...

(٢) من الأمور التى تثير الدهشة ان لا يلحظ وزير الخارجية الأسبق محمد ابراهيم كامل هذا الفرق فى الصياغة الذى أشــار اليه المؤلفون . فهو يقــول بصدد زيارة كارتر لأسوان التى صدر عقبها هذا البيــان :

« فى اليوم التالى ، ٤ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٨ ، توجهت مع الرئيس السادات الى مطار اسوان،لنكون فى استقبال الرئيس كارتر ، عند هبوط طائرته قادما من الهند فى طريقه الى واشنطون. كان الغرض من زيارة كارتر هو اعطاء دفعة للمباحثات المصريــة الاسرائيلية بعد الفشل الذى منيت به محادثات الاسماعيلية،واظهار تمسك الولايات المتحدة بالتسوية السلمية للنزاع العربى الاسرائيلى، ورفع روح الســادات المعنوية . وأهــم ما تمخضت عنه هــذه الزيارة هو الاعلان الذى اذاعه كارتر فى مطار أسوان ، قبل أن يستقل الطائرة عائدا الى الولايات المتحدة ، والمتضمن للموقف

الامريكى . واهم ما جاء فى هذا الاعلان ، الذى عرف فيما بعد بـ « صيغة اسوان » ، هو الفقرة الثالثة الخاصة بالقضية الفلسطينية التى نصت على انه : يجب ان يكون هناك حل للمشكلة الفلسطينية من جميع وجوهها ، ويجب أن يتضمن الحل الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ، وتمكين الفلسطينيين من المشاركة فى تقرير مصيرهم » .

« واهم ما يميز هذه الصيغة هو تبلور موقف الولايات المتحدة من موضوع حقوق الشعب الفلسطينى ، بعد ان ظل هذا الموقف يتذبذب صعودا وهبوطا منذ تولى كارتر الرئاسة . وبالنسبة لنا ، فقد اعتبره خبراء الوزارة صيغة تمثل الحد الأدنى الذى يمكن ان فى تقرير مصيره » (كامل «السلام الضائع» ، ص ٨٠ ، ٨١) .

ويقول وزير خارجية اسرائيل ، آنذاك ، موسى دايان :

« كنت ادرك تماما المصاعب التى يضعها اعلان كارتر فى طريقنا ، ولكننى كنت اعى ، فى نفس الوقت ، ان لهذا الاعلان جوانبه الايجابية . فقد كان هذا الاعلان يختلف عن قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ فى انه يوحد بين ثلاث مقدمات اساسية هى : الانسحاب من اراضى تم احتلالها فى ١٩٦٧ ، كما ينص قرارى الأمم المتحدة رقمى ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، وذلك فى مقابل التطبيع الكامل للعلاقات بين البلدان العربية واسرائيل ، وليس مجرد انهاء حالة الحرب ، وربط الفلسطينيين باتفاق للسلام » .

(دايان ، « الاختراق » ، ص ١١٠) .

... ...

(٣) اشترك المرحوم « هنرى كورييل » فى تاسيس « الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى » (حدتو) ، وليس الحزب الشيوعى المصرى .

... ...

(٤) ربما كان المقصود هو المستشار النمساوى السابق « كرايسكى » .

(٤) يؤكد وزير الدفـــاع الاسرائيلى آنذاك « ايزر وايزمان » ما ينسبه المؤلفون الى « شارون » ، بقوله :

« كان الراى السائد انه لو وافـــق المصريون على هـــذه المستعمرات ، نكون قد كسبناها . اما اذا رفضوها ، فتستطيع اسرائيل ان تظهر بظهر الكريم ، وتتنـــازل عن هذه المستعمرات الجديدة مقابل الحـــق فى الاحتفاظ بالمستوطنات القديمة القائمة .

(وايزمان ، « معركة السلام » ، ص ١٤٢) .

١٥

وجه آخر للقاهرة

عندما وصل وزير الدفاع الاسرائيلي « أيزر وايزمان » الى القاهرة فى شهر يناير ١٩٧٨ ، لاحظ على الفور تغيرا فى التعبيرات المرتسمة على وجوه الناس هناك . ورسم مضيفه « عبد الغنى الجمسي » ابتسامة مغتصبة على شفتيه ، ولكن عينيه كانتا جامدتين . وجذب « الجمسى » ضيفه بعيدا عن الجمع الكبير الذى رافقه فى الطائرة وقال له بلهجة عدوانية :

ــ « ان الرئيس السادات لا يستطيع أن يفهمكم ، أيها الناس ، على الاطلاق . انكم تجعلون الأمر كله مستحيلا . ان هذا انتهاك للثقة .. انكم تحاولون التغرير بنا » .

ثم أشار « الجمسى » الى طائرة خاصة من طراز ميستير ٢٠ تقف فى احد أركان المطار الخاص برئيس الجمهورية (١) .

ــ « يجب أن تقابل الرئيس . انه ينتظرك فى أسوان » .

وهكذا بينما كان أعضاء الوفد المرافق لوزير الدفاع يستقل السيارات الى القاهرة ، اتجه « وايزمان » الى الطائرة

« ميستير ٢٠ » كى تطـــير به الى « اســـوان » .

وكان السادات ينتظره فى المدينة التى تقع جنوب مصر . وقال له وهـــو يشد على يده بحرارة ظاهرة :

ــ « كيف كانت رحلتك ؟ آمل أن تكون قـد استمتعت بهـا ، وأن تكون قد رأيت شيئا من مصر » .

ورد عليه « وايزمان » قائلا :

ــ « سيادة الرئيس ، لقـــد استغرقت رحلتنا من القاهرة الى هنـــا نحـــو الساعة وربع الساعة . ولقد تولـــد لدى شعور بأننا نطير ونطير دون أن نصـــل الى نهـــاية الأراضى المصرية . اما بالنسبة لنـــا فى اسرائيل ، فاننا اذا طرنا شرقا من « تل أبيب » لـــدة ساعة وربع الساعة ، فاننا نصل الى بغــداد . فكل شىء فى اسرائيل صغير اذا ما قيس بمصر . وهذا هو السبب مثلا ، فى أن منطقة « رفـــح » تبدو لنـــا منطقـــة فسيحة ، بينما مساحتها لا تزيد فى الواقع عن نصف الواحد فى المـــائة من مساحة مصر » .

ولـــم يرد السادات . فقد كان يريد أن يقود الحديث الى مواضيع شخصية من أجل تحسين جو اللقاء ، فشكر « وايزمان » على الغليون الذى كان وزير الدفاع قـــد أهداه له فى مناســـبة سابقة . وعبر «وايزمان» عن دهشته لأن الرئيس المصرى لا يحمل الغليون كعـــادته . فقـــال له الرئيس المصرى ان ذلك بســـبب « عيد الفطـــر » الذى يتعين على المسلمين فيه الامتناع عن الأكل والشرب والتدخين طيلة اليوم(٢) .

فقال له « وايزمان » ان أعمال البنــــاء تتوقف فى اسرائيل أثنـــاء « عيد الفطـــر » لأن معظم عمال البنـــاء من العرب الذين يقدمون من الضـــفة الغربية وقطـــاع غزة . وأراد « وايزمان » أن يضفى على ما قال مغزى سياسيا كما فعل بالنســـــبة لرحلة الطـــائرة الى اســـوان ، فقـــال :

ـ « ولـذا فانه من الأمور الجوهرية أن ينص فى أية اتفاقية للسـلام تعقد فيما بيننا على بقـاء قطـاع غزة والضفة الغربية منطقتان مفتوحتان من الناحية الاقتصادية » .

وفى هذه المرة ، رد عليـه السـادات . قال :
ـ « عزرا (٢) ، ان هذا الأمر لا يمكن أن يكون موضع جدال على الاطلاق . ويجب أن تفهم اننى أتحـدث عن سـلام حقيقى يشمل العـلاقات التجـارية وتبـادل السفراء وما الى ذلك . سوف تحصلون على سـلام حقيقى . ولكننى يجب أن استعيد جزءا من الأراضى التى أخذتوها منا » .

وايزمان : « سيادة الرئيس ، ان للسفراء ، بطبيعة الحال، أهمية كبيرة جـدا . ولكننى قرأت منذ وقت ليس بالبعيد انـكم قد استدعيتم سفيركم فى العراق . ولـذا ، فقـد تفعلون نفس الشىء مع اسرائيل فى المستقبل » .
وتلبد وجه الرئيس المصرى . ولكن « وايزمان » واصل حديثه وكأنه لـم يلحظ رد الفعل الذى ارتسم واضـحا على وجـه السـادات :

ـ « اننا نتحدث ، أولا وقبل كل شىء ، عن السـلام مع الأمن . والمشكلة لا تنحصر بين اسرائيـل ومصر . فان هنـاك مشـاكل خطيرة بيننا وبين سوريا والعراق . وطالمـا ظلت هذه المشاكل هكذا بدون حل ، فان اسرائيل لا يمكنها ان تتنـازل عن كافـة مطارات سـيناء » .
وازداد غضب السادات . فقد أدرك أن « وايزمان » لم يأت بجديد من اسرائيل ، وانه لا يفعل شيئا أكثر من اعـادة صياغة معارضته القـوية للتخلى عن القـواعد الجـوية العسـكرية فى سـيناء .
وقـال السـادات :

— « انكم ، أنتم والرئيس كارتر ، تتحدثون عن الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة بشرط الابقاء على قوات اسرائيلية لحفظ الأمن هناك . وأنت الآن تحدثني عن القواعد الجوية في سيناء وصلتها بسوريا . ما الذي تخافون منه ؟ سوريا ؟ كان ينبغي أن تسمع ما قاله حافظ الأسد بعد حرب اكتوبر . لقد اتى الى هنا كي يحكي لي كيف انكم دمرتم له نحو ١٢٠٠ دبابة في بحر عدة أيام قليلة . هل أنت قلق ، يا عزرا ، من جهة سوريا ؟ .

وايزمان : « ان المشاكل المتعلقة بالأمن الداخلي تسبب لي قلقا لا يقل عن القلق الذي تسببه لي حقيقة أن العراق سوف يحرك الفي دبابة الى حدودنا . كذلك ، فانه منذ بضعة أيام ، انفجرت قنبلة في سوق القدس ، وتسببت في جرح عدد كبير من الناس . فما الذي أستطيع أن أفعله اليوم في هذه الحالة : أستطيع ان ارسل الشرطة الى رام الله او الى نابلس أو أي مكان آخر بحثا عن القتلة . اي ان الشرطة الاسرائيلية تستطيع أن تبحث في أي مكان . وسوف يكون ذلك شرطا أساسيا في المستقبل أيضا . وقد كنت ، يا سيادة الرئيس ، سوف تتصرف بشكل مماثل لو انك احسست أن أمن بلادك في خطر » .

كان الحديث يدور في هدوء . ولكن كل من الجانبين كان يقف متصلبا في مواقعه . وحتى قبل أن تعقد اللجنة العسكرية أولى اجتماعاتها ، كان الفشل يطير محلقا فوقها .

واستطرد وايزمان قائلا :

— « انني اقترح أن ترسل الينا وفدا عسكريا مصريا ، وأن تختار هذا الوفد من اربعة او خمسة لواءات برئاسة الجمسي ، كي يأتوا الى الضفة الغربية وقطاع غزة . وسوف نستقبل وفدكم بكافة مظاهر الحفاوة والتكريم ، ونستمع الى كل ما يريد قوله .

دعنا نستمع الى الطريقة التى يقترحونها لحل مشاكل الأمن التى سوف تواجه دولة اسرائيل بعد أن نعود حدودها ، كما تقترحون، الى ما كانت عليه عام ١٩٦٧ ، وأن يضع الوفد فى اعتباره أيضا ان دولة فلسطينية سوف تكون قد أقيمت بجانب هذه الحدود . انا أريد أن أسمع ما سوف يقوله قوادك العسكريون . اريد أن أعرف منهم أين سوف يضعون الدبابات ، وأين يقيمون مخازن امدادات الطوارىء » . ولكن السادات كان مصرا على موقفه ، وظل معترضا على بقاء المستوطنات الاسرائيلية فى منطقة رفح وفى شبه جزيرة سيناء ، قائلا :

— « .. اننا اذا أبقينا على هذه المستوطنات ، فان ذلك سوف يكون كما لو كنا نضع بذور حرب جديدة فى المستقبل » .

ولم ييأس « وايزمان » بالرغم من ذلك . واستطرد يقول :

« لقد قدمنا لكم تنازلات كبرى . وقد كان ينظر الينا ، عندما تولينا مقاليد الحكم ، بوصفنا حكومة من الصقور . ومع ذلك ، فقد كنا نحن الذين خطونا الخطوة الكبيرة الى الأمام ، والتى لم يكن أحد يصدق اننا سوف نخطوها . وانا أقترح عليك ، ياسيادة الرئيس أن لا تضيق علينا الخناق . ذلك أن هناك شعورا متزايدا فى اسرائيل بأن موقفكم يزداد كل يوم صلابة وعنادا . هل تعرف ، ياسيادة الرئيس ، ما يقولونه الآن فى اسرائيل ؟ انهم يتساءلون اذا كان السادات يستطيع أن يفعل ما يشاء لمجرد أنه قام بزيارة القدس ؟ أنك ، ياسيادة الرئيس ، رجل شجاع تستطيع ان تقدم على اتخاذ القرار ، وان تشرحه بعد ذلك لشعبك .

فبادر الرئيس المصرى قائلا :

— « اننى أعرف شعبى ، وأعرف أيضا ما هى التنازلات التى يوافقون على تقديمها ، وما هى التنازلات التى لا يوافقون

على تقديمها . وأنا أقول لك أنهم لن يوافقوا على بقاء مستوطنات اسرائيلية فى منطقة « رفح » .

ولكن ذلك لم يفت فى عضد « وايزمان » الذى واصل الحاحه قائلا :

ـ « أنت تقول ان شعبك لن يقبل المساومة فى هذا الأمر . ولكنك يجب أن تدخل فى اعتبارك أن الشعب اليهودى قد فقد ، فى بحر عدد قليل من الحقب ، ما يربو على ثلث تعداده ، وان الشعب الاسرائيلى تثقله مشاكل الأمن بشكل لم يحدث من قبل فى التاريخ الحديث . ولقد حاولتم القضاء على دولة اسرائيل عند اعلان قيامها . وقامت الطائرات المصرية بقصف تل أبيب . ولقد حاولت أنا نفسى ، فى عام ١٩٤٨ ، أن أسقط طائرة مصرية جنوبى تل أبيب . كما كنت انا أيضا الذى أصدر أول أمر بالتحرك للقوات الاسرائيلية فى عام ١٩٦٧ ، عندما وصلتنا معلومات بأن عبد الناصر قد حشد قواته فى سيناء . ولم أكن أصدق آنذاك أن الحرب سوف تنشب . ولكن هذا هو ما حدث . وهاهو وزير حربيتكم الجمسى يقول لى أن حرب عام ١٩٦٧ قد نشبت نتيجة خطأ سياسى ! » .

ثم استطرد « وايزمان » قائلا :

ـ « ما الذى يدور حوله حديثنا ؟ اننا نتحدث عن منطقة لا تزيد مساحتها عن ٤٪ من مساحة سيناء ، ولا تزيد عن ٠٫٥٪ من مساحة مصر ، فهل نحن على استعداد لتدمير العلاقات التى بدأنا اقامتها بمبادرتكم يا سيادة الرئيس ، من أجل مثل هذا السبب ؟ .

ولكن كل ذلك كان بلاجدوى . وظل السادات متمسكا بموقفه . وأوضح الرئيس المصرى أنه لن يقبل بقاء مستوطنات أو مطارات عسكرية اسرائيلية فى سيناء . وبعد محادثات استغرقت ٥٠دقيقة ، كان الجانبان لا يزالان يتمسكان بالموقف الذى بدآ منه .

وفى محاولة لتأكيد العلاقات الشخصية الودية التى قامت بينه وبين الرئيس ، قال « وايزمان » وهو يغادر قصر مضيفه :

ـــ « بالأمس فقط ، رأيت صورتك بجانب صورة بيجين فى نافذة عرض أحـد المتاجر فى تل أبيب . وبالمناسبة فان صاحب المتجر أطلق على متجره اسم « أزيـاء السادات » (٤) .

* * *

وفى أثناء ذلك ، كان الوفدان العسكريان ، المصرى والاسرائيلى ينتظران عودة وايزمان فى قصر « الطاهرة » . الذى بنـاه الملك السـابق فاروق ، منذ ٤٠ عاما ، لزوجته الأولى ، والذى يتكون من مجموعة من المبـانى يحيط بهـا سور من الحجارة . وكان من المقـرر أن يعقد الوفدان ـــ اللذان كانا يضمان وزيرا حربيـة البلدين ورئيسـا أركان حرب جيشيهما ورئيسـا أركان حربهما وعـدد من كبـار الضبـاط بالاضـافة الى عـدد آخـر من الدبلوماسيين ـــ اجتماعاتهما فى غرفـة كسيت جدرانها بالأخشاب الثمينة . وعلى المـائدة ذات الغطاء الأخضر ، تناثر عدد من أباريق عصير الفاكهة وزجاجات الميـاه المعدنية .

وكان « وايزمان » يأمل فى أن تنجح اللجنـة العسكرية فى اقتحام الطريـق المسدود الذى وصلت اليه محادثات الاسماعيلية. وكان السرور يملأ قلبه بسبب نجـاحه فى اكتساب مركز متميز فى محادثات السـلام . فقد كان قد أصبح فجـأة شخصية محـورية فى المفاوضات ، بالرغم من أن منصبه ، كوزير للدفـاع ، لـم يكن من المفروض أن يتيح له ذلك .

وقد كان اجتماع اللجنة العسكرية هو ثالث جولة يحضرها من جولات المحادثات مع مصر . وكان يجلس معه على نفس الجانب من مائدة المفاوضات نائبه « موردخاى زيبور » ، ورئيس الأركان « موتاجور » ، ومدير التخطيط « افراهام تامير » وممثل وزارة

الخارجية « موشيه ساسون » .

وعلى الجانب الآخر من مائدة المفاوضات ، كان يجلس كبار الضباط المصريين : « الجمسى » وزير الحربية ، ورئيس الأركان « محمد على فهمى » ورئيس العمليات الجريدلى ، واللواءات « طه المجدوب » و « محمد هويدى » و « الكاتب » .

وكان المئات من جنود الحرس الجمهورى ذى « البريهات » الزرقاء يقومون بحراسة القصر وأسواره الخارجية .

ومنذ الدقيقة الأولى للمباحثات ، ظهرت الخلافات بين الجانبين بشكل واضح . فقد اقترح « الجمسى » أن يكون البند الأول فى جدول الأعمال هو جلاء جيش الدفاع الاسرائيلى وانهاء احتلاله للأراضى العربية . واعترض « وايزمان » . فاستقر الرأى أخيرا على أن تجرى المباحثات بدون جدول للأعمال، وهو حل وسط فرض طابعه على اجتماعات اللجنة العسكرية . ذلك أنه بدلا من التفاوض ، اكتفى الجانبان بمجرد عرض موقفيهما . وقد دار الحوار على النحو التالى :

وايزمان : « أن أغلبنا هنا من العسكريين الذين خاضوا غمار العديد من الحروب التى لازالوا يحملون آثارها . وربما كان فى ذلك ميزة معينة . وذلك أن العسكريين يفهمون خطورة الحرب أكثر من غيرهم ، ولذا فان قدرتهم على تحقيق التفاهم فيما بينهم أكبر من قدرة رجال السياسة من المدنيين » .

كان وقع كلام « وايزمان » طيبا . فقد أثنى ، بشكل غير مباشر ، على كل من أعضاء الوفد المصرى وعلى زملاءه هو أيضا . وواصل « وايزمان » حديثه قائلا :

ــ « لقد سبق السادات معاصريه بأميال عديدة ، وأنا أطلب منكم أن تفعلوا نفس الشيء . ولقد قدم الجانب الاسرائيلى عددا من التنازلات بالنسبة للكثير من المسائل التى تتعلق

بالأمن . فقد كانت الحكومة الاسرائيلية السابقة تتحدث عن « شرم الشيخ » كما لو أنه كان مدينة « القدس » ، ولكن الحكومة الحالية قامت بالتنازل عن « شرم الشيخ » . ولذلك فانه يتعين عليكم أن تتفهموا المشاكل التى تتصل بأمن بلادنا » .

وقد ذكرت أقوال « وايزمان » الجانب المصرى بقول قديم كان « موشيه دايان » يكرره دائما وهو : « أن شرم الشيخ بدون سلام ، أفضل من السلام بدون شرم الشيخ » .

ورد « الجمسى » على « وايزمان » قائلا :

ـ « اننا نعرف أن لديكم عددا من المشاكل تتعلق بالأمن . وسوف نبذل ، من جانبنا ، كل جهد مستطاع من أجل تفهم موقفكم . ولكنه اذا كان الأمن يمثل أمرا جوهريا بالنسبة لكم ، فانه يحتل أهمية كبيرة بالنسبة لنا نحن أيضا . والسؤال هو : هل ستوفر مستوطناتكم فى سيناء الأمن لبلادكم ؟ » .

وايزمان : « ان للمستوطنات دلالات خاصة بالنسبة الى الأمن . ذلك أن غالبية سكان المستوطنات هم من الجنود الذين يرتدون الملابس المدنية . ولكن الواقع أن أهميتهم بالنسبة الى تطبيع العلاقات وتحقيق التعايش السلمى بين بلدينا ، ربما كانت تفوق أهميتهم العسكرية . واننى أدعو الجنرال الجمسى لزيارة جيش الدفاع الاسرائيلى ، كى يرى مشاكلنا الأمنية على الطبيعة » .

جـور : « وأنا أيضا أدعو رئيس الأركان المصرى الجنرال فهمى لزيارة اسرائيل ، وليس الجيش الاسرائيلى فقط » .

وبعد هذه البداية الهادئة نوعا ما ، القى الجنرال فهمى بقنبلة غير متوقعة . وقد حدث ذلك على النحو التالى :

فهمى : « .. وماذا عن المطارات التى تتمسكون بالاحتفاظ بهـا فى سيناء ؟ ما هى أهميتها ؟ » .

وايزمان : « انهـا ضرورية لحماية ميناء ايلات ، علـى سـبيل المثـال » .

فهمى : « ضـد من ؟ » .

وايزمان : « ضد الأردن والعربية السعودية » .

فهمى : « اذن فسوف نتولى نحن الدفـاع عن ايلات نيـابة عنـكم » .

وعلت تعبيرات الذهول والدهشة وجوه أعضـاء الوفـد الاسرائيلى . ولم يكن واضحا ، بالنسبة لهم ، ما اذا كان الضابط المصرى الكبير يمزح أم يتكلم جـادا . وبدأت الابتسامات الحـذرة المترددة ترتسم على وجوه الاسرائيليين ، ثم تجمدت على الفـور عندما أكدت تعبيرات وجوه أعضاء الوفد المصرى ، ان « فهمى » لم يكن يمزح على الاطـلاق .

ومن المعروف ان أمن اسرائيل يعتمد ، الى حـد كبير ، على سلاحها الجوى ذو الشهرة الدولية . ولـم يغب عن « وايزمان » ان اهتمام المصريين بمطارات سيناء يرجع الى رغبتهم فى التقليل من قوة سلاح الجو الاسرائيلى .

وكان يوجد فى سيناء عشرة مطارات حربية ، بعضها يعمل بطاقته الكاملة ، وبعضها الآخر جاهز للاستعمال فى حالة نشـوب الحرب . وكان المجـال الجوى فوق سيناء يوفر لاسرائيل مجـالا واسعا للانذار ضد أى هجـوم على المراكز السـكانية ، كمـا كانت مساحة سيناء الشاسعة تتيح لاسرائيل امـكانية توزيـع طائرات سلاحها الجوى بشـكل يزيد من قدراتهـا على التصدى لأى هجوم مفاجىء .

وبالاضافة الى ذلك كله ، فان سلاح الجو الاسرائيلى كان قد ضاعف عدد طائراته ثلاث مرات منذ حرب الأيام الستة عـام ١٩٦٧ . ولذلك فقـد كان التنازل عن مطارات سيناء يعنى تكديس

مئات الطائرات فى العدد القليل من المطارات الذى يوجد فى اسرائيل . كذلك فان انسحاب سلاح الجو الاسرائيلى من سيناء كان يعنى أيضا أنه سوف يتعين على اسرائيل أن تشن ضربات وقائية عند حدوث أى خطر فى المستقبل ، وذلك كى تتيح لقوات الاحتياطى الوقت اللازم للتنظيم .

وكان « وايزمان » ، الذى شغل فى الماضى منصب قائد سلاح الجو الاسرائيلى يعى ذلك تماما .

وفى أثناء النقاش ، أثار « الجمسى » ، مرة أخرى ، موضوع المستوطنات الاسرائيلية فى منطقة « رفح » ، فأشار « وايزمان » الى ان هذه المستوطنات تشغل مساحة صغيرة تمثل نسبة مئوية ضئيلة جدا من مساحة سيناء .

الجمسى : « من السهل أن نتحدث عن النسب المئوية ، ولكننا لا نستطيع أن نوافق على اجراء أى تعديل فى الحدود . وهناك وسائل أخرى لضمان أمنكم » .

وايزمان : « لقد شرحت الأمر للرئيس السادات . وهو رجل حكيم ومتفهم . وكما نعلم فان الحكمة والشجاعة تسيران يدا فى يد . ولابد من اتخاذ قرار شجاع بالنسبة لهذا الأمر ، كما يجب عليكم أن تفهموا موقفنا » .

الجمسى : « وأنت أيضا ، يا وايزمان ، رجل حكيم ! » .

وكانت الساعة قد بلغت وقتا متأخرا من الليل . واتفق الجانبان على فض الاجتماع ، وعقد اجتماع آخر فى صباح اليوم التالى . وكانت خيبة الأمل تبدو واضحة على وجوه أعضاء الوفد الاسرائيلى وهم يغادرون غرفة الاجتماعات . فقد اتخذ المصريون موقفا عدوانيا ، ولم يظهروا أى استعداد للقيام بأقل التنازلات شأنا . وكانوا يطالبون ، فى اصرار ، بالعودة الى الحدود الدولية (٥) .

هوامش الفصل الخامس عشر

(١) كان الرئيس السابق محمد انور السادات يستخدم في تنقلاته ثلاث طائرات خاصة . الأولى من طراز بوينج ، وكان يستخدمها في رحلاته الى خارج البلاد . اما الطائرة الثانية ، والتى يشير اليها المؤلفون من طراز ميستير ٢٠ ((اكزكيوتيف)) ، فقد كانت مخصصة للرحلات الطويلة داخل البلاد ، مثل الرحلة من القاهرة الى اسوان . اما الطائرة الثالثة فقد كانت طائرة هليوكوبتر اهداها نيكسون اليه عند زيارته لمصر . ولكن الحكومة المصرية اضطرت لدفع ثمنها، فيمابعد حين اعترض الكونجرس الأمريكي على اهدائها. وكان المغفور له الرئيس السابق يستخدم هذه الطائرة في (مشاويره) القصيرة ، وتنقلاته بين قصوره واستراحاته المتعددة .

... ...

(٢) استخدم المؤلفون تعبير ((بايرام)) والذى يعنى ((عيد الفطر)) ، وهم يقصدون ، بطبيعة الحال ، رمضان . وقد ابقيت الخطأ كما هو كي يعرف القراء مدى ما يعرفه الاسرائيليون عن المنطقة التى يزعمون انهم جزء لا يتجزأ منها .

... ...

(٣) يقول وايزمان ان السادات كان دائما يخطيء في النطق باسمه (ايزر) ويناديه بـ : عزرا ، وهو من الأسماء الشائعة بين اليهود المصريين . (وايزمان ، ((معركة السلام)) ، ص ١٦) .

(٤) لا تختلف رواية وايزمان لوقائع هــذه الزيارة كثيرا عن رواية المؤلفين . وتتمثل الفروق بين الروايتين في بعض الاضافات التى تقدمها رواية وايزمان ، والتى نوردها هنا كما يلى :

« .. واستطردت قائلا : صدقنى ، يا سيادة الرئيس اننا نكن تقديرا كبيرا لمــا تفعله . وبالأمس فقط ، وفي اجتماع للجنة الشئون الخارجية والدفاع التابعة للكنيسيت ، قارنت بين زيارتكم للقدس وبين نزول اول رجل على سطح القمر » .

« وارتسمت على وجه الرئيس علامات الرضاء . كانت المقارنة قد اثارت غروره . ولكننى ، للأسف ، كنت مضطرا لأن اخفف بعض الشىء من ابتهاجه » .

« وقلت ، بلهجة اكثر حزما : ولكنك ، ياسيادة الرئيس ، يجب ان تلتزم الحرص ، لأن اول رجل وضع قدمه على ســطح القمر ، اضطر ايضا لأن ينزل الى الأرض » .

« وكان نائب السادات ، حسنى مبارك يجلس بجانبنا طيلة هذا الوقت ، دون ان ينطق بكلمة واحدة ، وينصت الى ما يقول دون ان يرتسم على وجهه تعبير يفصح عما يدور في ذهنه . وكان الجمسى ايضــا يجلس صامتا . وكنت قد لاحظت من قبــل بعض مظاهر التوتر بين مساعدا السادات الكبيران هاذان . فقــد كان مبارك في المــاضى مرؤوسا للجمسى عندما كان يشغل منصب قائد السلاح الجوى . اما الآن ، فقد كان مبارك يحتل درتبة اعلى من الجمسى في هرم السلطة ، وتخيلت ان وزير الحربية لم يكن راضيا تماما عن مثل هــذا الوضع » .

« وقلت ، مواصلا الضغط عليه : سيادة الرئيس ، انك رجل شجاع . ولقــد اثبت قدرتك ، بالفعل ، على اتخــاذ القرارات الشجاعة . وانا واثق انك تستطيع أن تشرح ذلك لشعبك (كانا يتحدثان عن المستوطنات والمطارات الاسرائيلية في سيناء) » .

« وهز السادات رأسه نفيا ، وقال بصوت عال : لا ، لا ، أنا أعرف ما اتحدث عنه . ان شعبى لن يقبل بقاء المستوطنات الاسرائيلية فى منطقة رفح » .

« وقلت ملحا : انت تقول ان الشعب المصرى لن يقبل هذا التنازل ، ولكننى اجد من الصعب على أن أطرد معرفتى — التى تبعث على الاكتئاب — بحقيقة اننا قد فقدنا نحو ثلث الشعب اليهودى خلال الأربعين عاما الماضية . وقد دخلنا معكم خمسة حروب . وقد حاولتم ابادة دولة اسرائيل فى أول يوم أقيمت فيه . ولم تكن لدينا أية نية لاحتلال سيناء فى عام ١٩٦٧ . ولو انك سألتنى آنذاك اذا كنت اعتقد ان الحرب سوف تنشب حقيقة ، لكانت اجابتى عليك بالسلب . وقد كنت أتحدث مع الجمسى ، ونحن فى طريقنا الى هنا ، وقد قال ان تحريك قوة عسكرية مصرية الى سيناء فى عام ١٩٦٧ كان نوعا من المقامرة ، وخطأ سياسيا . ومع كل اعجابى بك ، ومع كل امالى فى أن تبقى رئيسا أعواما عديدة ، فانك يجب أن تفهم اننا لا نستطيع ابدا الاقدام على أية مجازفة » .

« وقلت ايضا : هذا هو خامس اجتماع لنا . وانا عندما آتى مصر ، اشعر كأننى فى وطنى « ..... وفى كل مرة أشعر بالغبطة للقياك والحديث معك ، بسبب اعجابى وتقديرى لذكائك وشجاعتك . اننا جميعا معجبون بالخطوة التى اتخذتها ، ولكن يجب ان تضع فى اعتبارك ما يواجه بيجين من مشاكل . وربما كانت مشكلة اكثر صعوبة من تلك التى تواجهها أنت . فأنت تستطيع تمرير القرارات بقدر اكبر بكثير من السهولة » .

« ولم يبدو على السادات ان المصاعب التى تواجه بيجين قد راعته ، بشكل خاص . وربما كان يعتقد ان رجلا قويا مثل بيجين — ورئيس وزراء يفرض رأيه ، ومن الصقور « السوبر » بالاضافة الى ذلك — هو وحده القادر على تقديم تنازلات دون أن

يضطر الى الدفاع عن نفسه أمام اتهامه بالتخلى عن احتياجات الأمن القومية لدولة اسرائيل » .

« وقلت للسادات ناصحا : لا تضغط علينا أكثر مما يجب .. ويجب ان تفهم ايضا مدى ضخامة الخطوة التى اتخذها بيجين .. فالناس ينظرون اليه باعتباره صقر الصقور . بل اننا جميعا ، وانا ايضا ، كنا نعتبر من دعاة الحرب . وتذكر ان وزارة بيجين ينظر اليها باعتبارها وزارة صقور ، ووجهات نظر هذه الصقور فيما يتعلق بالانسحاب من الأراضى المحتلة معروفة جيدا . ومع ذلك ، فقد ذهب هؤلاء الصقور الى أبعد ما يستطيعون كى يلتقوا بك فى منتصف الطريق . وقد وصلنا الى أقصى حدود مقدرتنا على تقديم التنازلات . وقد شرحت لك مشاكلنا الأمنية وما يعتورنا بسببها من قلق . واذا لم يبدو ان تلك الوزارة تبدى عناية كافية بالمشاكل الأمنية ، فانها سوف تفقد مصداقيتها فى عيون الشعب الاسرائيلى . والأمن ليس مجرد أراضى ومعدات عسكرية فقط ، لأنها ، أيضا ، ايمان الشعب بقيادته » .

« ومرة أخرى ، رسمت له الخطوط العريضة للمشاكل العسكرية التى تواجهها اسرائيل . وقد فعلت ذلك من كل زاوية ممكنة ، ومستعينا بكل قدراتى الخطابية » .

« ولكن ذلك كله لم يجد شيئا » .

« وأخذ السادات يكرر وجهة نظره المرة تلو المرة ، ومستخدما نفس الكلمات تقريبا ، وأصبح واضحا أنه لن يتزحزح عن موقفه قيد أنملة » .

« ... كنت اريد الوصول الى أى قدر من الاتفاق مع السادات ، حتى ولو كان ذلك القدر ضئيلا جدا . وذلك لأنه بسبب عدم حدوث أى تقدم ، ولو كان طفيفا ، فان مباحثات اللجنة العسكرية فى القاهرة بدت وكأن لا هدف لها » .

« وقلت للسادات : لقد دعوت الجمسي الى زيارة اسرائيل (ولم اخبره برد الجمسي الحذر على هذه الدعوة : ان الوقت مازال مبكرا جدا لمثل ذلك) وانا اقترح أن ترسل وفدا عسكريا الى اسرائيل . فأنا اريدهم ان يدرسوا مشاكل اسرائيل الأمنية عن قرب . وسوف نستقبل هذا الوفد بكل مظاهر الحفاوة الواجبة، وسوف نستمع بعناية الى كل ما يقوله اعضاءه من آراء . فأنا اريد ان اعرف كيف سيحلون مشاكلنا (الأمنية) ، اذا عادت الحدود الى ما كانت عليه فى عام ١٩٦٧ ، كما تقترحون » .

« وقال السادات : ليست هذه بالفكرة السيئة . سوف اعود الى القاهرة يوم السبت القادم ، وسوف ابلغك بردى هناك » . (وايزمان ، « معركة السلام » ، ص ١٦٣ — ١٦٩) .

... ...

(٥) تكاد رواية المؤلفين لوقائع جلسة محادثات اللجنة العسكرية ، تتطابق ، حتى فى تفاصيلها ، مع الرواية التى يقدمها وايزمان . (انظر : وايزمان ، « معركة السلام » ، ص ١٧٤ — ١٧٨) .

١٦

بين الحياة والموت

سبق انعقاد اجتماعات اللجنة السياسية فى القدس نشوب خلاف حاد ومرير بين مصر واسرائيل فى شهر يناير ١٩٧٨ ، أوضح مدى تصاعد الحساسيات بين الجانبين . فقد أصرت مصر أن يتضمن جدول أعمال اجتماع اللجنة مناقشة اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير . وكانت اسرائيل ، بطبيعة الحال ، ترفض ذلك .

وذات ليلة ، قبل موعد اجتماع اللجنة بوقت قصير ، رن جرس التليفون الموضوع بجانب فراش دايان . وكانت الساعة قد بلغت الثالثة والربع صباحا حين أبلغ « صمويل لويس » سفير الولايات المتحدة الى اسرائيل ، دايان ان وزير الخارجية « فانس » قد أجل موعد وصوله الى القدس ، وانه لن يكون هناك كى يحضر أول اجتماع تعقده اللجنة السياسية . وقبل قرار « فانس » هذا ، كان السادات قد عقد اجتماعا لمجلس الأمن القومى المصرى لمناقشة الموقف من حضور مصر اجتماعات اللجنة السياسية . وكانت المذكرات تروح وتغدو بين القاهرة واشنطون ، وبين واشنطون

والقدس . وأصر المصريون على الامتناع عن حضـــور اجتماعات اللجنة طالمــا لم يكن هناك ما يجعلهم يطمأنون الى أنه سوف تتم مناقشة القضية الفلسطينية . وكان الاسرائيليون يرفضـــون ذلك تماما . ثم تم التوصل الى حل وسط بفضل وساطة « فانس » . ويقضي هذا الحل الوسط بأن لا تدرج القضية الفلسطينية في جدول أعمال اجتماعات اللجنة ، وأن يدرج بدلا منها بند يقضي بمناقشـــة «القضايا المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة» . وأعطى السادات اشارة الضوء الأخضر لذلك ، ولكنه لم يخف حقيقة أنه كان يشعر بتشاؤم بالغ .

ولم يكن هناك وجه شـــبه بين زيارته لاسرائيل في نوفمبر ١٩٧٧ ، وبين وصول الوفد المصرى الى اجتماعات اللجنة السياسية في القـــدس . فقد كان الاكتئاب يبدو على وجـــوه الاسرائيليين ، بينمـــا كان التوتر باديا على المصريين الذين واصـــلوا في طيارة خاصـــة .

ولم يترك وزير الخارجيـــة المصرى محمد ابراهيم كامل أى مجال للشك . وحتى وهو ينزل سلم الطائرة في المطار ، أكد ضرورة اعادة القـــدس الشرقية الى السيادة العربية . وكان أقل ما يمكن وصف خطابه به هو انه كان عدوانيا(١) . وكان من المفروض أن يكون دايان هو المضيف في حفل العشاء الذى أقيم تكريما للوفـــد المصرى ، ولكن بيجين طلب أن يقوم بنفســـه بالترحيب بالوفـــد المصرى ، كي يؤكد رغبته في مواصلة الاتصالات والمفاوضات .

وخاطب بيجين كامل بعبارة « الصديق الشاب » ، ثم أخـــذ يلقى عليه درسا في التاريخ اليهودى . وكان كامل في الخمسينيات من عمره ، وكان المصريون على حق ، الى حدما ، في احساسهم بالاهانة . وقد كان خطاب بيجين حادا وقاســـيا ، وكذلك كان خطاب كامل أيضا . فقد نحى الخطاب الذى كان قد أعده ســـلفا جانبا ، وقام

بالرد على بيجين قائلا : ان خطب ما بعد العشاء ليست بالمناسبة الملائمة للوعظ السـياسى (٢) .

وفى القاهرة ، هتف وزير الحربية المصرى ، الفريق الجمسى معلقا : ليساعد الله المفاوضات مع اسرائيه ، ووجه اللوم الى كل من بيجين وكامل . وكانت التعليقات الصادرة من كل من القاهرة والقدس مشحونة بالتوتر ، الأمر الذى زاد من صعوبة خلق جـو هادىء تدور فيه مباحثات اللجنة . ففى القاهرة ، هاجم السادات المستوطنات فى عنف ، وهدد بحرثها أو باشعال النار فيها .

ووصف بيجين السادات بأنه « نيرون » ، وهدد بسـحب خطته للسلام اذا رفضها السـادات . وفى البيت الأبيض ، كان كارتر يشـتعل غضبا ، فقد كان بيجين قـد وعده بعـدم اقامة مستوطنات جديدة ، ولكن بيجين ، كما ظن كارتر ، كان يفعل عكس ذلك تمـاما .

وفى القـدس ، كان محمد ابراهيم كامل يعيش فى حالة من التوتر الشديد . فلم تكن من سلطاته تقديم أية تنازلات . وكان فانس يتنقل كالمكوك بين طوابق فنـدق « هيلتون القـدس » ، محاولا التقريب بين وجهتى نظر الجانبين .

وكانت النتيجة تكاد أن تكون حتمية : فقد أصـدر السادات تعليماته للوفد المصرى بالعودة الى الوطن . وبينمـا كان كامل وبيجين وديان يتبادلون عبارات التوديع والوداع ، دق جـرس التليفون عاليا . كان فانس على الطرف الآخـر يطلب من بيجين أن يطلعه على آخـر التطورات . وودع بيجين ابراهيم كامل ، وطلب منه ، وهو يهز يده مصافحا ، أن يبلغ السادات ان اسرائيل على استعداد لاستئناف المباحثات فى أى وقت .

وكان فانس يحس بالضيق البالغ . فقد كان ينظر الى قطع

مباحثات اللجنة بوصفه اهانة له . وأسرع يتشاور مع البيت الأبيض تليفونيا .

وقد ساعدت هذه الحركة السادات في تحقيق ما كان يهدف اليه من اجبار الولايات المتحدة على التدخل ، والقاء ثقلها خلف جهود السلام . فحتى قبل أن تقلع الطائرة المصرية في طريقها الى القاهرة ، كان كل من كارتر وفانس قد اتصلا بالسادات تليفونيا ، في محاولة لاقناعه بالعدول عن قراره . وكانت لهجة فانس هو يتحدث الى القاهرة تتسم بالحدة ، فقد قال للسادات : « انك لن تستطيع اجراء مفاوضات بمفاجآت من هذا النوع ، فالمفاوضات تحتاج الى جو من الاستقرار ، وهي تحتاج أيضا الى قدر كبير من الصبر والوقت » .

وفي اليوم التالي ، وفي خطبة درامية ألقاها على أعضاء مجلس الأمن القومي المصري ، قال السادات : أنا لن أسمح ببقاء مستوطنة اسرائيلية واحدة ، ولن أسلم في شبر واحد من الأرض ، حتى ولو كان ذلك يعني أن أحاربهم على مدى الأجيال العديدة القادمة » . وبدأ السادات يطلق أفكارا جديدة : فهو لم يعد مستعدا لمناقشة مشروع الحكم الذاتي . وبحث المصريون عن حل أقل اقلاقا — حتى وان كان حلا مؤقتا — من وجهة نظرهم ، بخصوص الضفة الغربية . واقترحوا نقل الاشراف على الضفة الغربية وقطاع غزة الى الأمم المتحدة خمس سنوات ، يعقبها اجراء استفتاء لتقرير مستقبل هذه الأراضي . وقدم هذا الاقتراح الى الولايات المتحدة ، ولكن اسرائيل رفضته .

وكان هناك جو من التوتر يخيم على القصر الجمهوري في القاهرة . فقد سمع السادات بالانتقادات الموجهة اليه والصادرة من البيت الأبيض . وكان المصريون يتوقعون استئناف المباحثات ، وأخذوا يبحثون عن طريقه من أجل تحقيق ذلك . واتصلوا بوفد الاتصال الاسرائيلي ، الذي كان قد سمح له بالبقاء في القاهرة .

ووجه الفريق الجمسى برسالة ، عن طريق جهاز الارسال الخاص بوفد الاتصال الاسرائيلى ، الى ايزر وايزمان ، يقترح فيها عقد اجتماع سرى عاجل مع زميله الاسرائيلى فى مزرعة جاناكليس ، حيث عقد اجتماعهما السرى الأول . واقترح وايزمان أن تستأنف اللجنة العسكرية عقد اجتماعاتها بدلا من عقد اجتماعات سرية . ووافق المسؤولون المصريون على طلبه . ومرة اخرى ، طار وايزمان الى القاهرة ، حيث كان الجمسى فى استقباله فى المطار .

ولم تكن الحكومة الاسرائيلية تعلق آمالا كبيرة على نجاح اجتماعات اللجنة العسكرية . ولم يكن دايان يرى انه من الصواب السماح للمصريين بتوجيه المفاوضات وفق نزواتهم ، وأن يلغوا اجتماعات احدى اللجان ، ويواصلوا اجتماعات اللجنة الأخرى . واقترح أن تقوم اسرائيل بتعليق مباحثات اللجنة العسكرية حتى يوافق المصريون على استئناف محادثات اللجنة السياسية .

ورفض المصريون اقتراحا أمريكيا ــ اسرائيليا باستئناف اجتماعات اللجنة السياسية .

وفى داخل مجلس الوزراء ، كان وايزمان يحس بجو من العداء يوجه اليه من جانب زملاءه الوزراء ، الذين كانوا يشككون علانية فى دقة تقاريره ، وكذلك فى دقة تقارير الوفد العسكرى . وكان وايزمان يحتج بأن الطريقة الوحيدة لانقاذ مستوطنات رفح هى مقايضة المصريين بالأراضى المحتلة . وتقدمت عدة مشروعات من أجل التوصل الى ذلك . وكان احد هذه المشروعات يقترح أن تتمسك اسرائيل بالقطع الصغيرة من الأرض التى تقع عند ركنى الحدود الدولية ــ حيث توجد قاعدة « اتزيون » الجوية بالقرب من ايلات ، ومستوطنات رفح ومنطقة شرم الشيخ .

وكان هناك مشروع آخر يقترح أن تتنازل اسرائيل عن عدد من مستوطنات رفح ، بما فى ذلك قرية « نيوت سيناء » حيث كان

بيجين قد قرر أن يبنى لنفسه منزلا كى يقيم فيه بعد تقاعده . وكان هذا المشروع يقضى بأن تحتفظ اسرائيل بمدينة « ياميت » الصغيرة ، وبالمستوطنات القريبة من قاعدة « ايتام » الجوية .

كانت اسرائيل على استعداد لاعطاء مصر ثمنا رمزيا متواضعا لقاء الأراضى التى كانت تريد الاحتفاظ بها . وكان هذا الثمن الرمزى هو شريط ضيق من أراضى صحراء النقب ، يقع على طول الحدود الدولية . وقد كشفت المجسات الاستطلاعية التى أطلقها الوفد العسكرى الاسرائيلى فى القاهرة عن ان هناك احتمالا ضئيلا فى أن توافق مصر على القيام بمقايضة الأراضى . ولكن المصريون لم يرفضوا ذلك صراحة . وحتى قبل أن يغادر الوفد العسكرى اسرائيل الى القاهرة ، أثير موضوع مبادلة الأراضى فى احد اجتماعات مجلس الوزراء . واقترح دايان الحد من التفويض الممنوح لوفد وايزمان العسكرى ، على الأقل فيما يتعلق بهذه المسألة . ووافق مجلس الوزراء على اقتراحه ، ولم ينل وايزمان الاذن باقتراح مقايضة الأراضى ، على أن المجلس اخطره بأن عليه أن لا يرفض مثل هذه المقايضة صراحة اذا اقترحها الجانب المصرى .

ولم يبد المصريون أى اهتمام على الاطلاق بمقايضة الأراضى . فقد كانوا يعتقدون ان لديهم فرصا طيبة لاسترداد سيناء كلها ، وبما فيها من قواعد جوية ومستوطنات .

وكما هو متوقع ، فقد كان أول مسألة تتم مناقشتها عندما استأنفت اللجنة العسكرية اجتماعاتها هى مسألة المستوطنات الاسرائيلية فى منطقة رفح .

وقال الجمسى :

ــ يجب أن نفهم ان نقطة إنطلاقنا ترتكز على مبدأين هما : السيادة وقداسة الأرض . ان ابقاء المستوطنات كما هى يعنى انتهاك السيادة المصرية » .

وقال وايزمان :

ـ « ان المسألة بالنسبة لكم هى مسألة شرف ، اما بالنسبة لنا فانها مسألة أمن » .

وكانت الجهامة تعلو وجه وايزمان .

وقال الجمسى :

ـ « أود ان أؤكد ان اجلاء المستوطنات فى سيناء لن يكون سابقة تحتذى فيما يتعلق بالمناطق الأخرى . وأنا أعرف ان مشكلتكم الكبرى والرئيسية فى سيناء تتمثل فى مستوطنة « ياميت » . ونحن على استعداد لأن ندع الإسرائيليون يعيشون بيننا . ولكن ليس فى رفح ولا فى أى منطقة أخرى قريبة من الحدود، وانما فى القاهرة . ذلك ان تواجد الاسرائيليين بالقرب من الحدود سوف يكون الشرارة التى قد تشعل نيران حرب اخرى فى المستقبل . ونحن على استعداد لان نعامل الاسرائيليين الذين يستوطنون مصر وفقا للقانون المصرى ، ولكننا لن نوافق على ابقاء اية مستوطنات اسرائيلية » .

وهتف وايزمان محتجا :

ـ « ولكن لماذا نقطع فى اللحم الحى ؟ اننى اقترح أن نترك الأمر الواقع فيما يتعلق بالمستوطنات كما هو فى الوقت الحالى ، ولنرجىء مناقشة هذه المسألة الى وقت لاحق فى المستقبل . ذلك انه بعد خمسة عشر عاما سوف تكون نظرتنا ، مصريين واسرائيليين ، الى منطقة رفح مختلفة عما هى عليه الآن » :

ورد عليه الجمسى قائلا :

ـ « سوف نبقى المستوطنات لفترة محددة ، ولكن يجب ازالتها بعد انقضاء هذه الفترة » .

فقال ويزمان :

ــ « لندع المستوطنات تبقى كمــا هى ، ولنناقش المسألة فيما بعد من جــديد » .

فقال الجمسى :

ــ « هذا مستحيل . ان الأمر سوف يبدو كما لو كان توسعا اسرائيليا » .

فختم وايزمان حديثه قائلا :

ــ « اذن ، فليس لدى اقتراحات جديدة اقدمها » .

واستمرت الاجتماعات تسير فى بطء ومعاناة . واثار وايزمان قضية القواعد الجوية الاسرائيلية فى سيناء ، واظهر بصدد هــذه المسألة مرونة اكثر من ذى قبل . فقد عبر عن استعداده للاكتفاء بأقل من ثلاث قواعد . فقد قال :

ــ « ان اسرائيل تحتاج لقاعدة جوية واحدة على الأقل فى ســيناء ، كى تكون تحت تصرف قواتها الجوية . ونحن نفضل أن تكون هذه القاعدة هى قاعدة « اتزيون » بالقرب من ايلات ، ولكننا يمكن أن تقبل القاعدة الجوية فى شرم الشيخ » .

وقاطعه الجمسى قائلا :

ــ « لقد قلت فى اجتماع سابق انكم تحتاجون قاعدة «اتزيون» الجوية لحماية ايلات وحركة مرور السفن الاسرائيلية . ولكن قواتكم الجوية لديها مقاتلات تستطيع توفير مثل هــذه الحماية ، حتى لو كانت نقطة انطلاقها تقع فى منتصف الأراضى الاسرائيلية . وأنا أقترح أن يتم الجلاء عن قاعدتى « اتزيون » و « ايتام » الجويتين فى المرحلة الأخيرة فقط . وصدقنى ، ان افضل حمــاية لحرية مرور السفن الاسرائيلية هو السلام » .

وهكذا ، لم يتم تحقيق أى تقــدم .

وخصصت جلسات المساء لمناقشة موضوع محطات الانذار

المبكر فى سيناء . وكانت اسرائيل قد قامت ، عبر عدة أعـوام ، باقامة عدد من محطات الانذار المبكر العـالية التطور ، والتى تكلف انشاءها عدة ملايين من الجنيهات . وكان باستطاعة احدى هـذه المحطات ، وهى تلك القائمة فى « أم هاشيبا » ان تلتقط التحركات العسكرية التى تقع فى عمق الأراضى المصرية . وكانت اسرائيل حريصة على ابقـاء هذه المحطة تحت سيطرتها حتى بعد الانسحاب الى خطوط جديدة وفقا لاتفاقية ١٩٧٥ الانتقالية .

وقال رئيس المخابرات الاسرائيلية :

— « ان هنـاك علاقات متبادلة مبـاشرة بين أجهـزة الاستخبارات وبين استعدادنا للقيـام بمجازفات معينة . وكلمـا زادت درجـة كثافة استعداداتنا الأمنية والاستخبارية ، كلمـا زاد عدد المجازفات التى نستطيع اتخاذها » .

واقترح (رئيس الاستخبارات) جازيت أن تحتفظ اسرائيل بثلاث محطات انذار الكترونية فى سيناء « من بين المحطات العديدة التى لنا هناك » ، ولمـدة محددة بعد انتهـاء الانسـحاب « وحتى نتأكد من استقرار السلام بشكل كامل » .

وسأله الجمسى :

— « ومن الذى سوف يقوم بتشغيل هذه المحطات ؟ » .

فرد عليـه جازيت قائلا :

— « أما العاملون بهـا حاليا ، أو عاملون مدنيون » .

وعاد الجمسى يسأله :

— « ومن الذى سوف يقـوم بحمايتهم ؟ . ومن الذى سوف يوفر لهم الامدادات ؟ » .

وأجابه جازيت :

— « سوف يتم ذلك وفقا لترتيبات خاصـة ، وعن طريق قوافل امدادات خاصة » .

فقـــال الجمسى :

ـ « لمـــدة خمسة عشر عاما ؟ . تظلون خمسة عشر عاما تتكبدون كل هذه النفقات الطائلة ، وتستخدمون كل هذه الأقمار الصناعية ؟ . لمـــاذا تعقدون الأمور ؟ .

فقال جازيت :

ـ لأنه لا خيـــار لدينا . ولـــو كان هنـــــاك بديل لذلك لفعلناه . على أننا نستطيع ، بفضل التقـــدم التكنولوجى ، ان نختصر بعضا من هذا الوقت » .

وصاح الجمسى محتدا :

ـ « إنكم تبتكرون نظـــريات جديدة ، وتعقدون الأمور » .

فتدخل وايزمان فى الحديث قائلا :

ـ « ان الانسان يصل الى سن البلوغ فى الثالثة عشر من عمره . وربما تكفى ثلاثة عشر عاما كى يصل السـلام الوليـد الى سن الرجولة » .

وعاد الجمسى يتساءل :

ـ « ولم تراكم فى حاجة الى محطات للانذار المبكر ، فى المقام الأول ؟ » .

فأجابه جازيت بقـــوله :

ـ « لكى نتجسس عليكم » .

وران الصمت على قاعة الاجتماع . فللمرة الثانية يختـــار جازيت الكلمة الخطأ . وشعر وزير الحربية المصرى انه قد أهين . ونظر فى عينى جازيت وقال :

ـ « من فضلك ، لا تقل نتجسس . قل : نستطلع . وعندما تقيمون سفارتكم فى القـــاهرة ، ســـوف يكون فى قدرتـــكم اقامة ما تريدون من أجهزة . ولكننى لا أستطيع قبـــول اقتراحك . ولكننا سوف نكون على استعداد لأن نوافـــق على اقامة محطات

للانذار المبكر يقوم بتشغيلها طرف ثالث ــ ربما الولايات المتحدة ــ ولمدة محددة فقط » .

كانت النتائج مخيبة للآمال . ففيما يتعلق بمسألة مستوطنات منطقة رفح ، لم يتم احراز أى تقدم . وفيما يتعلق بالقواعد الجوية لم يتم تقديم أية تنازلات . وبدا كما لو أن موضوع محطات الانذار المبكر يمثل عقبة يصعب تخطيها . وبقيت مسألة رابعة لابد من مناقشتها ، وهى مسألة : ترتيبات الأمن . وقدم المصريون خارطة تبين أنهم ينتوون دفع قواتهم الى الأمام وعلى بعد ٥٠ كيلومترا فقط من الحدود الاسرائيلية .

وقال الجنرال تامير :

ــ « يجب أن يبقى الجيش المصرى على مبعدة ١٥٠ كيلومترا من الحدود الاسرائيلية ، فقد تم الاتفاق على ذلك بين الرئيس السادات ورئيس الوزراء مناحيم بيجين » .

فرد عليه الجمسى قائلا :

ــ « لقد كان هناك سوء فهم بين الرئيس السادات وبيجين فى اجتماع القدس فالسادات لم يكن يعنى اقامة منطقة منزوعة السلاح شرقى الممرات الجبلية . ونحن لا نعنى بذلك أننا سوف ندفع بجيوشنا عبر هذه الممرات . ولكن ذلك لا يعنى أيضا أن يحظر علينا أن ندفع بعدد من جنودنا عبر هذه الممرات . وقد أخطرنى السادات بما حدث عقب عودته من القدس ، وأعتقد انه يمكننا أن نقول فى ثقة أنه كان هناك سوء فهم بين القائدين » .

وعقب ذلك ، غير الجمسى موضوع المناقشة ، عندما تساءل :

ــ « أيهما أكثر أهمية بالنسبة اليكم : منطقة رفح والقواعد الجوية ، أو نزع سلاح سيناء بأكملها ؟ » .

فقال وايزمان :

ـ « ليس هنـاك من صلة تربط بين هذين الموضوعين . فالمستوطنات مشكلة ، ونزع السلاح مشكلة أخرى ، وان نزع سلاح سيناء بأكملها هو أمر نموذجى بالنسبة الينا » .

فقال الجمسى :

ـ « المشكلة هو انكم تطلبون منا أن ندفـع أكثر مما نطيق لقـاء أمن اسرائيل » (٣) .

... ...

انتهت اجتماعات اللجنة العسكرية فى القاهرة نهـاية غير حاسمة . ورفض وايزمان قبـول خارطة الانسحاب التى أعدها المصريون ، الذين طالبوا بأن تقتصر المنطقة المنزوعة السـلاح على شريط ضيق فى النقب الاسرائيلية ، وشريط أكثر اتسـاعا فى سيناء ، تليها منطقة تتمركز فيهـا قوات عسكرية محدودة ، ثم يلى ذلك منطقة محدودة التسليح .

وقال الجمسى أخيرا :

ـ « حسنا ، لننسى هذه الخارطة » .

وكان توديع ايزر وايزمان فى مطار القاهرة قد أصـبح أمرا روتينيا . ولم يبد القـادة العسكريون المصريون الذين وفـدوا الى المطـار لتوديع وايزمان اى رغبة فى الصفح عن الجنـرال جازيت ، الذى قالوا انه قد أهان وزيرهم ، وقالوا :

ـ « سوف يكون من الأفضل لو بقى فى اسرائيل المـرة القادمة ، اذا كانت تلك هى الطريقة التى يظن انها تصلح لاجراء مباحثات معنا » .

ولم يكن الجنرال جازيت قد تعمد اهانة أحد . ولكن ما قاله القادة العسكريون المصريون كان دليـلا كافيا على صـعوبات التواصل ونقص التفاهم بين الجانبين .

كنت مباحثات السلام لاتزال تتأرجح بين الحياة والموت(٤) .

هوامش الفصـــل السادس عشر

(١) يقـــول محمد ابراهيم كامل :

((صحبنى دايان الى منصة تجمع حولها عدد من الصحفيين ومصورى التليفزيون ، والقى كلمـــة قصيرة رحب فيهـــا بالوفد المصرى ، واعرب عن تمنياته بنجـــاح اعمال اللجنة السياسية . ثم دعانى الى الميكرفون ، فالقيت الكلمـــة التى اعددناها لهـــذه المناسبة ، ومدارها اننا حضرنا للمشاركة فى اعمـــال اللجنـــة السياسية بقلوب وعقول متفتحة ، ونوايا خالصة ، لنبنى معـــا سلاما عادلا دائما ، واننا نتطلع الى عمل مشترك ، ونســـتهدف نتـــائج واضحة ومحددة . واشرت الى أن هنـــاك حقائق أساسية لابد من مواجهتها بشجاعة وبعد نظـــر ، وهى انه لا يمكن أن يقوم سلام مع استمرار احتلال الأرض ، أو مع انكار الحقـــوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، وفى مقدمتها حقه فى تقـــرير مصيره ، كمـــا لا يمكن إن يقـــوم السلام الدائم ما لم تعمل شعوب منطقتنا على خلق الظروف للعيش معا فى جو من الأمان .

(كامل ، ((السلام الضائع)) ، ص ٩٣) .

ولكن دايان كما يبـــدو يشـــارك المؤلفين رأيهم فى خطـــاب محمد ابراهيم كامل فى المطار ، فهو يقـــول ان المصريين لم يكونوا

يتفاوضون وانما كانوا يصدرون الانذارات » ولقد كان ذلك واضحا منذ البداية ، وحالما وصل الوفد (المصرى) الى مطار بن غوريون . فلقد حييت (محمد ابراهيم) كامل وزير الخارجية عندما هبط من الطائرة ، ثم اصطحبته الى مكان الميكرفونات ، واديت ببضع جمل ترحيب قصيرة ، معبرا عن املى فى نجاح اعمال اللجنة ، ثم اعطيت له الدور كى يلقى بخطابه . وكنت اتوقع منه ان يحذو حذوى ، وان يكون خطابه مقصورا على بعض العبارات المهذبة والعموميات المعتادة فى مثل هذه المناسبات . ولكنه بدلا من ذلك ، اخرج من جيبه ورقة واخذ يتلو ما فيها ، والذى كان عبارة عن بيان سياسى مطول ، يعيد تأكيد الموقف المصري ، وما تطلبه مصر من اسرائيل . وقال ان مصر قد اثبتت بالفعل اخلاصها لقضية السلام الحقيقى ، وان « الزيارة التاريخية » التى قام بها السادات الى القدس قد بدأت عصرا جديدا ، ولكن على اسرائيل ان تدرك الحقائق الأساسية التى تقول أن السلام لا يتفق مع احتلال الأراضى ، وانه من المستحيل تحقيق السلام اذا انكرت اسرائيل حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره » .

« والتزمت الصمت . وعلى الرغم من ان منصة الاستقبال فى المطار لم تكن بالمكان المناسب لالقاء الخطب ، فان ذلك لم يكن بالسبب الكافى الذى يجعلنى احذو حذوه . وأرجأت ردى عليه الى اليوم التالى ، اثناء المؤتمر الصحفى المشترك الذى عقد قبيل افتتاح جلسات اللجنة . فقد قلت ، اجابة على سؤال معادى : انه من الأفضل ان تهرب مبادرة السلام هذه من بين اصابعنا ، اذا كانت سوف تؤدى الى انتزاع اذن اسرائيل من بين ايدينا ، وان جدول اعمال هذه اللجنة لا يقضى بتكميم الأفواه ، وانه ليس هناك ما يمنع المصريين من تقديم مقترحاتهم بشأن اتفاقية السلام ، ولكن اسرائيل لن تتفاوض فى الوقت الذى تحس

فيه أن هنـــاك مسدسا مصوبا الى راسها)) .

((دايان ، ((الاختراق)) ، ص ١١٣) .

... ...

(٢) عن حادثة خطاب بيجين فى حفل العشاء ، يقــول محمد ابراهيم كامل :

((وقبل نهــاية العشاء ، فتح باب القاعة فجــأة ، ودخل جيش طويل من المصورين والصـــحفيين ومندوبى شـــبكات التليفزيون . وكان عددهم كبيرا للغــاية . والتفت الى بيجين ، وقال فى زهو : العـــالم كله جـــاء الى هنـــا ليشاهدنا ياسعادة الوزير . واخرج من جيبه ورقة صغيرة ، واطلعنى عليها. وكانت فيهـــا بعض عبارات مكتوبة باللغة العبرية ، وقـــال : هذا هو خطابى . فقلت له ضاحكا : ارجو ان لا يتسبب لنـــا فى مشاكل جديدة . فرد على : بالطبع لا ، فمن يريد مشـــاكل جديدة)) .

((وبدأ بيجين يلقى خطابه . وبعـــد دقائق كان قد بدد جـــو المرح وهدوء الاعصاب الذى كان يسود الحفل قبل خطابه ، ليحل محله جـــو من الغم والأسى . اذ نقل المدعوين الى جحيم دانتى فى الكوميديا الالهية ، وهـــو يحكى تاريخ اليهود من أوله ، ويصف ما حاق بهم عبر العصور من عقـــاب وتشريد على يد فرعون مصر حتى يد هتلر . واستمر فى محـــاضرته ، وقد انتعش ، وهـــو فى حالة النشوة لســـماع صوته المزعج ، غير آبه للمـــكان او الزمان . وتعرض لمـــا جاء فى كلمتى عند وصـــول الوفـــد الى المطار ، ولكلمتى الافتتاحية فى افتتاح اللجنـــــة السياسية ، وكأن هذا أخطر ما حلق باليهود من مآسى)) .

((كيف يجرؤ هذا القـــادم من مصر أن يطلب منـــا ان نعيد تقسيم عاصمتنا القدس ، بعد أن توحدت ؟ . ايرضى أن أذهب الى القاهرة وأطالبه بتقسيمها ؟ . ويطالب بانسحابنا الى حـــدود

ما قبل ١٩٦٧ . أنسى اننا كنا ندافـع عن ارواحنا وأولادنا ضـد حربهم الهجومية ؟ . والأكثر من ذلك يطالب بحـق تقرير المصير للفلسطينيين العرب . لمـاذا ؟ . لينشىء دولة ارهابية علـى ابوابنا ليذبح نساءنا وأطفالنا ؟ . ان العـرب تمتعوا بحق تقرير المصير فى احـدى وعشرين دولة ، وهم يريدون أن ينشئوا دولة جديدة بتقرير المصير ، ليقضوا على مصيرنا . اننى اقولهـا صريحة عالية : لا لتقسيم القدس ... لا ، للانسحاب الى حدود ١٩٦٧ ... لا لحـق تقـرير المصير للارهابيين)) .

((كان صوته المنفر يرن فى أذنى ، ويكاد يشلنى عن التفكير ، وانا فى حيرة من أمره . فمنذ أقل من ثلاث ساعات ، طلب منى هذا الشخص نفسه أن يكف كلانا عن التراشق بالتصريحـات لكى نفسح المجـال للجنة السياسية فى مباشرة سعيها للسلام بدون معوقات . ووافقته على ذلك ، وتعاهدنا عليـه أمام شهود من جانبه وشهود من جانبى . ماذا افعل ؟ . هل إغادر الحفـل منسحبا ؟ . هل أقـوم واصفعه ؟ . هل أرد عليـه بما فعله الاسرائيليون بالشعب الفلسطينى ؟ . هل اذكره بأن يده هـو نفسه مخضبة بدماء النساء والأطفال الذين ذبحهم فى دير ياسين؟. ... وشعرت به ينهى خطابه ، ويدعو وزير خارجية مصر الى القـاء كلمته فى الحفل)) .

((وقمت ببطء ، وقد تمالكت أعصـابى . ومزقت الورقـة التى تحوى الكلمة التى كنت قد اعـددتها لهذه المناسـبة ، وتكلمت بهدوء . قلت : انى أشكر حكومة اسرائيل على حسـن استقبالها للوفد المصرى ، واننا عندما قبلنا الدعوة لحضـور هذا الحفل ، كان يحدونا الأمل فى قضـاء ساعات طيبة ، خالية من التوتر ، بعد عنـاء يوم عمل طويل شاق . كان هذا هـو أملنا . ولكن رئيس وزراء اسرائيل اختـار غير ذلك . وهذا حقـه .

انني لا أعتقد ان هذا الحفل هو المكان المناسب للرد على ما قاله. وكل ما اريد أن اقوله هنا هو أن المبادىء التى حددتها فى خطابى فى افتتاح اللجنة السياسية ، والتى يرفضها رئيس الوزراء ، هى الأساس الوحيد الذى يمكن أن يبنى عليه سلام عادل شامل . أما ردى على ما قاله فاحتفظ به لأقوله فى اجتماع اللجنة السياسية غدا ، فهى المنبر المخصص لذلك)) .

((وجلست دون أن أشرب نخب السلام ، أو نخب الداعى ، أو أصافحه . وساد سكون عميق لمدة ثوان ، ثم سمعت دوى تصفيق فى القاعة ، اعقبه شىء من الهرج . وارتبك بيجين بعض الشىء ، ثم سارع الى الميكرفون يدعو وزير الخارجية الأمريكى لالقاء كلمته . وبعدها شعرت بيد بيجين تربت على كتفى ، فالتفت اليه ، وكانت تبدو على وجهه علامات الدهشة والقلق ، وقال : انى لم اقصد اساءة . فلم أرد عليه وحولت وجهى عنه)) .

(كامل ، ((السلام الضائع)) ، ص ص ١٠٨ — ١١٠) .

أما دايان فيروى الحادثة باختصار ، كما انه يورد سببا آخر غريبا لغضب محمد ابراهيم كامل :

((كان هناك أكثر من مائة ضيف مدعو : وزراء اسرائليين ، وقضاة ، واعضاء فى البرلمان ، وقادة المعارضة ، ورؤساء تحرير الصحف ، بالاضافة الى مراسلى الصحافة العالمية ، ومن بينهم مراسلى الصحف المصرية . وفى أثناء انغماسه فى تدفق بحر فصاحته ، اثار بيجين ، عن غير عمد ، غضب (محمد ابراهيم) كامل ، حين وصفه بـ ((الشاب)) ، دون أن يدرك أن هذا التعبير يبدو وكأنه محاولة للسخرية ، بالنسبة الى الأذن العربية . وعندما حل دوره للكلام ، وقف كامل ، مجروحا ومحرجا ، وبدلا

من ان يقرا خطابه المعد سلفا ، قال ان مكان مناقشة الموضوعات التى اثارها رئيس الوزراء هو اجتماعات اللجنة ، وليس هنا . ثم اجلس ، ولم يرفع حتى كأسه لكى يشرب نخب رئيس اسرائيل)) .

((وبعد عدة ساعات ، وبعد أن اتصل (محمد ابراهيم) كامل بالقاهرة ، وحزم الوفد المصرى حقائبه ، اصطحبت وزير الخارجية المصرى الى المطار ، وقال لى ان الرئيس السادات قد غضب بشكل خاص مما قاله بيجين . ولم يكن ذلك راجعا الى ما قاله بيجين فى خطابه ، وانما الى ان هذا الخطاب كان يمثل انتهاكا مباشرا لما تم الاتفاق عليه بينه وبين كامل قبل ذلك بثلاث ساعات ، وهو الاتفاق الذى اخطر كامل السادات به ، وحصل منه على موافقته عليه . وكان كامل ، كما قال لى ، قلقا بسبب ما حدث فى حفل العشاء ، الى حد انه على الرغم من انه حاول ان ينام بضع ساعات ، فانه لم يستطع أن يغلق عينيه)) .

(دايان ، ((الاختراق)) ، ص ١١٣ و ١١٤) .

... ...

(٣) تكاد رواية وايزمان عن وقائع هذه الجلسة التى عقدتها اللجنة العسكرية المصرية ــ الاسرائيلية المشتركة تتطابق ، فى خطوطها العامة وفى الكثير من تفاصيلها مع الرواية التى قدمها المؤلفون . ويثير ذلك الشك فى أن يكون وايزمان نفسه هو المصدر الذى استقى منه المؤلفون معلوماتهم ، عن هذه الجلسة وعن الجلسات السابقة أيضا ، منه . (انظر : وايزمان) ((معركة السلام)) ، ص ص ٢٠٧ ــ ٢١٢) .

... ...

(٤) ويعرض الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر لهذه الفترة من المباحثات بقوله :

« عدت الى الولايات المتحدة فى ٦ يناير (١٩٧٨) وانا اشعر بالقلق من تدهور العلاقات بين بيجين والسادات . ما الذى يمكن عمله لاحياء التقدم صوب السلام ؟ . ولم يكن الاسرائيليون يحترمون ما التزم به دايان أمامى بشأن سياستهم الاستيطانية ، فقد كانوا يقيمون هذه « الجزائر » فى الأراضى المحتلة بأقصى درجة من السرعة . وكلما بدأ لنا اننا قد حققنا بعض النجاح مع العرب ، كلما أعلن بيجين عن اقامة مجموعة أخرى من المستوطنات ، أو قام بادلاء بالتصريحات الاستفزازية . ولم يكن هذا السلوك مثيرا للحنق فقط ، ولكنه كان أيضا يعرض فرص السلام ، وكذلك وضع السادات فى كل من مصر والعالم العربى لأخطار بالغة الجدية . كما كان الغزو والقصف الاسرائيلى المتكرر للبنان يثير كثيرا من الأزمات أيضا ، ويدفع بسيل من المذكرات والرسائل الحادة اللهجة كى تروح وتغدو بينى فى واشنطون وبين بيجين فى القدس ».

« وقد امضى وزير الخارجية فانس قدرا كبيرا من الوقت فى البلدين محاولا دفع عجلة المفاوضات . ولكن مهمته تلك كانت بالغة الصعوبة ، ولم يكن جهده يقابل بأى امتنان . وفى مأدبة (عشاء) حضرها فانس ووفد المفاوضات المصرى ، اثارت بعض العبارات استهل بها بيجين خطابه غضب المصريين . وأمر الرئيس السادات بسحب جميع المصريين من اسرائيل ، وهدد بانهاء مباحثات السلام بأكملها . وقد اتصلت به تليفونيا كى أحثه على ابقاء مفاوضيه فى القدس ، ولكنه رفض . وأخيرا ، قرر أن يسمح القادة العسكريين الاسرائيليين بالحضور الى القاهرة ، لأنه كان يثق فى وزير الدفاع الاسرائيلى « ايزر وايزمان » .

ثم يضيف كارتر ناقلا عن يومياته :

« تحدثت الى ساى (سيروس) فانس ، الذى سوف يقيم فى القدس ، ثم يذهب بعد ذلك للقاء السادات . وهو يظن أن

باستطاعتنا ابقــاء المباحثات على قيد الحيــاة ، رغم انها كانت على حافة الانهيار اليوميات ، ١٨ يناير ١٩٧٨)) .

(كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٠٤ و ٣٠٥) .

((... على اية حال ، ها نحن نجلس حول نفس المائدة ـــ الاسرائيليين بجانب المصريين ، وبدون وسطاء . وعلى الرغم منى، لم استطع أن أنتزع عينى عنهم . ولاحظت اناقة ثيابهم . كانت حللهم تسير على احدث خطوط الموضة العــالمية ، وكانت رائحة عطورهم الثمينة تمتزج برائحة الطعــام)) .

(((وسمعت صوتا يقول :) لقد كان خطاب رئيس وزراؤكم مخيبا للآمال)) .

((واستغرق الأمر منى طويلا كى ادرك انى كنت المعنى بهذا الخطاب . ونظرت الى المتحدث . كان الحنق يرتسم على وجهه . لم أكن أعرف من هو . ولكننى عرفت ، فيما بعد ، انه عثمان احمد عثمان ، وهو وزير سابق ، ومقــــاول مليونير ، وحمو السادات)).

(تأمل دقـــة المعلومات) .

((وقلت ان خطاب السادات لم يدفعنى ، ايضا ، كى أرقص طربا)) .

((لميرد . وهكذا انتهت أولى محاولاتى لبدء حديث بالفشل)).

((وحاولت أن اثير التفات السادات ، الذى كان يجلس بعيدا، على الجانب الآخر من المــائدة الضخمة . ولكن الأمر لم يكن سهلا. ولكننى انقضضت على أول فرصة اتيحت لى لجذب التفاته . وبدأت أحكى بصوت عال بعض الحكايات المتفرقة عن ذكرياتى فى القاهرة. كان المصريون ينصتون باهتمام كبير . واخذت اخــرج من أعمـــاق ذاكرتى كل الذكريات الممكنة عن العاصمة المصرية ، فى محــــاولة لاثبات اننى أعرفها جيدا . ولكن معلوماتى كانت متخلفة كما ادركت من التعبيرات الهازئة التى ارتسمت على وجوه الرئيس (السادات) ورفاقه)) .

« وقلت مداعبا : انى أعجب اذا كنت أستطيع ان ابتـــاع فيلا فى ضاحية المعـــادى ؟ » .

« وبشكل أو بآخر ، انتقل الحـــديث الى الحرب . ورويت ذكرياتى عن كيف أسقطت طائرة بريطانية فى عام ١٩٤٨ . وأضاء نور الرضاء وجه السادات ، فقد كنت أعرف مدى عشقه العكسى لبريطانيا » .

« وروى عثمان (أحمد عثمان) حـــكاية عن حرب أخرى ، تتعلق باعانة بنـــاء مدن قنـــاة السويس ، التى تم تدميرها اثنـــاء حرب الاستنزاف » .

« ونظرت حولى . كان الأمر غريبا . فقد كان هناك جنرالان آخران يجلسان الى المائدة : دايان ويادين ، اللذان تسببت الأوامر التى اصدراها ، فى أوقات مختلفة ، فى نشر الدمار فى مصر ، وفى ايقاع الخسائر بشعبها . ما الذى كان يدور فى أذهان القـــادة المصريين الذين كانوا يجلسون بجوارهما ؟ . هل يعلم الســـادات بدورى فى اصدار القرار الذى أشعل النيران المدمرة فى مصـــفاة السويس ؟ . لقـــد أشار عثمان إلى اعادة بنـــاء مدن القنـــاة ، فهل تذكر ان الرجل الذى يجلس بجـــواره ، ينصت باهتمام ، لعب دورا رئيسيا فى تدمير الاسماعيلية ؟ .

« ... وانتهزت فرصة ما قاله عثمان عن مدن القنـــاة ، كى أؤكد صلاتى بهذه المنطقة » .

وقاطعنه قائلا : أنا أعرف قنـــاة السويس جيدا ، فقد أصابت رصاصة أحد القناصة ابنى فى رأسه هناك ... » .

« وران الصمت على المكان » .

« وقال السادات : كل شىء يجوز فى الحب والحرب . أنـــا أرجو لابنـــك تمام الصـــحة » .

« وانتهز المصرى الذى يجلس بجوار (حسن التهامى) الفرصة كى يذكر ان أخا الرئيس (السادات) الطيـــار قد قتل بالقرب من

بير جحافة اثنــاء قتال عام ١٩٧٣ . وكنت انكر ذلك جيــداً .
فقد بذلنــا ، بعد الحرب ، جهـــودا كبيرة من اجل العثور على
الجثمان ، واعدناه الى مصر عن طريــق الأمم المتحدة)) .
((كان الجميع ينظرون الى السادات . ولكنه بقى صامتا)) .
((وواصل بيجين الحــديث عن ميزان الــدم ، وقال : هناك
وزيران يجلسان معنا قتل أخويهما فى حرب عام ١٩٤٨ . كان يشير
الى يادين ودايـــان . ولـــم يكن المصريـــون يعـــرفون
شيئا ذلك ...)) .
(وايزمان ، ((معركة السلام)) ، بانتام بوكس ، نيويورك ،
مارس ١٩٨١ ، ص ٥٦ — ٥٩) .

... ...

(٥) يتفق مايقوله وايزمان عن هذه الجلسة مع مايقوله المؤلفون
بوجه عام ، فيما عدا ان وايزمان ، بطبيعة الحال ، يقــدم مزيــدا
من التفاصيل ، وذلك على النحو التالى :
((... وجد أربعة منا انفسهم يجلسون فى احد غرف الفندق
وفى أيديهم الكؤوس : ايجـــال يادين وانا ، من جانب ، وبطــرس
غالى ومصطفى خليل ، على الجانب الآخر)) .
((... وفى محاولة لاذابــة الجليد ، سألت بلهجــة دعابة :
مصطفى ، كيف يمكن للاشتراكية ان تتفق مع ادارة بنـــك ؟) .
(كان مصطفى خليل يشغل آنذاك منصب امين عام الاتحـــاد
الاشتراكى) .
((ولكنه حتى لم يبتسم ، بل قال فى جفــاء : دعنا لا نتــكلم
حــول هذا الموضوع ، وسوف اشرحه لك فى وقت آخــر)) .
((ويبدو ان فكاهتى لم تكن فى محلها)) .
((... ولكن الليـــل كان لايزال غضا ، ولم اكن من الذين
يستسلمون بســـهولة . وأخذت ابحث عن طريقــة لاطـــالة
الحديث ، ولكننى لم اجد شيئا افضل من ذكرياتى فى القـــاهرة .
ولكن حتى انا كنت قد مللت الموضوع ، ولكننى لم استطع العثــور

على شيء آخر ، وكان يجب ان ابدأ من اى شيء ، وانصت المصريان فى صــبر)) .

((واخيرا ، قاطعنى (مصطفى) خليل قائلا : لا تقل هذا لأحد، ولكن القاهرة لم تعد كما كانت)) .

((وهز (بطرس) غالى رأسه موافقـا ، وقال : لقد اصبحت مصر مثل بنجلاديش ، واصبحت القاهرة مثل كلكتا)) .

((كان ذلك مخيبا للآمال . فقد أمضيت فى الهنـد اثناء الحرب العالمية الثانية ، ولازلت اتذكر جيدا مظاهر الفقر والقذارة والاهمال والازدحام . وكانت ذكرياتى عن القاهرة مختلفة تماما)) .

((وقال احدهما ، ولا أتذكر من بالضبط : ان مليـون نسمة يضافون كل عام الى تعدادنا)) .

((واضاف الآخر قائلا : وهنـاك ما يربو على المليون مصرى يعملون بالخارج ، فى الكويت والعربية السعودية والبحرية . ونحن نمدهم بكل شيء ، من المدرسين الى السمكرية)) .

((وبالتدريج ، اخذ الجليد فى الذوبان ، حتى بدأنا نتحـدث مثل المعارف القـدماء ، وكأننا لم نتقابل وجهـا لوجه فى ميدان المعـركة ...)) ..

((... وبشكل ما ، تحـول الحديث الى مشاكل اسرائيل الدفاعية . وحاولت إن اشرح لهم الأمر برمته فى كروكى مختصر ، متحدثا عن ((خصر اسرائيل النحيل الذى لا يمتد الى اكثر من ٤٠ ميلا من البحر الابيض المتوسط حتى الاردن ، ليأوى هذا الشريط الضيق امة تعدادها ٣ ملايين نسمة ، تحـارب من أجل البقاء)) .

((وقلت : اننا اذا خسرنا حربا واحدة ، فاننا سوف نخسر كل شيء)) .

((فقال (مصطفى) خليل متسائلا : ما الذى تخافون منه ؟ . ليس هنـاك مجـال للخوف منا . فنحن لن نستطيع هزيمتكم فى حرب ، وليس لدينا حل عسكرى ضدكم ... ويجب أن تصدقوا الرئيس عندما يقـول لـكم ذلك)) .

« ولم يكونا ، أبدا ، يشيران الى الســـادات باسمه . كان دائما : الرئيس ، ينطقانها بلهجة التوقير والاعجاب » .

« واستعرضت الحروب التى خضناها ، وخسائرها الفادحة، وقلت : لقد قتل افضل شبابنا فى هذه الحروب » .

« وقال (مصطفى) خليل ، وهـــو يؤكد على كل كلمة ينطقها : على عكس ما تظنون ، فانه ليس صحيحا اننا لا نحفل بخسائرنا ، ونحن نتألم لـــكل رجل يقتل من رجالنا » .

« كان ذلك يختلف ، بالفعل ، عما كنت اظنه . فكثيرا ما أعلن الســـادات أنه لا يبالى اذا اضطر الى التضحية بمليون جندى على ارض المعـــركة ، وكنا نحن الاسرائيليون نستمتع بتبادل الحكايات عن عـــدم مبـــالاة المصريين بالحيـــاة البشرية ، وهى حـــكايات كانت تثير فينا الاحساس بالتفوق الناتج عن الرضاء عن النفس ».

« وكان تقدير الرجلين أن مصر خسرت ما بين ٨٠٫٠٠٠ الى ١٠٠٫٠٠٠ رجل فى حروبها ضد اسرائيل . ولقد ادهشنى هذا الرقم. وتذكرت كيف تعودت طائراتنا تصوير مقابرهم العسكرية ، فى محاولة لتقييم مدى خسائرهم » .

« ... وانتقل الحديث من حروب المـــاضى، الى الحـــروب التى يحتمل ان تنشب فى المستقبل » .

« وتساءل الرجلان : هل صحيح انكم كنتم تنوون الدخـــول فى حرب ضدنا منذ بضع اسابيع ؟ » .

« ووضحت لهما خطتها ، وان الأمر لم يكن يبدو أن يكـــون مجـــرد تدريبـــات عسكرية . وقد كنا نعرف ان مناوراتنا قـــد جعلتهم فى حالة بالغـــة من التوتر ، وانهـــا جعلتهم يفقـــدون قدرا كبيرا من قسطهم من النوم . بل ان الحقيقة هى اننا قد استمتعنا باثارة رعبهم » .

« ... وتساءلت : مما تخافون ؟ . ان لديكم ، مـــع الاردن وسوريا ، نحـــو خمسة آلاف دبابة ، وليس لدينا سوى اقل من ثلاثة آلاف دبابة » .

« فقال خليل مصححا : ثلاثة آلاف وخمسمائة » .

« ونظر الى وهــو يقــول ذلك محــــاولا ان يقرا التعبير الذى ارتسم على وجهى . ماذا استطيع ان اقول ؟ . هل اقـــول له انه مخطىء ؟ . وفضلت ان ابقى صامتا » .

« واستطرد خليل قائلا : لماذا انتم قلقون هكذا بشأن امنكم ؟ . فبعد كل شىء ، فان لديكم قنبلة ذرية » .

« ومرة اخرى ، حدق مباشرة فى عينى » .

« استمر حديثنا حتى وقت متأخر من الليل ، وقررنا ان نعثر على طريقة ما لمواصلة الحــوار . كما اتفقنا ايضا على وســيلة لنقل الرسائل العاجلة (بين بلدينا) عن طريق اصدقاء مشتركين فى بلد اوروبى » .

(وايزمان ، « معركة السلام » ، ص ٥٩ — ٦١) .

١٧

تحت ظلال شجرة الجميز

فى شهر فبراير ١٩٧٨ ، انتقلت بؤرة الاهتمام من القاهرة — حيث عقدت اللجنة العسكرية اجتماعاتها فى شهر يناير — الى واشنطون ، حيث عقد كارتر والسادات جولة من الاجتماعات فى « كامب دافيد » .

وكان الرئيس الأمريكى قد قرر أن يخصص معظم وقته لمحاولة حل مشكلة الصراع فى الشرق الأوسط . ذلك انه بجانب مصالح الغرب بشكل عام ، فقد كان لكارتر مصلحة شخصية فى ذلك . فقد وصلت شعبيته الى أدنى نقطة لها ، كما أنه كان محل هجوم مركز فى الداخل والخارج .

وكانت السفارة الاسرائيلية فى واشنطون قد بعثت بتقرير من هناك مفاده أن كارتر ينوى تقريع الرئيس المصرى بسبب استدعائه للوفد المصرى فى اجتماعات اللجنة السياسية بالقدس ، الأمر الذى أدى الى اختلال منهج عملية مفاوضات السلام ، بالاضافة إلى المساس بهيبة وزير الخارجية الامريكى . وادخلت هذه الأنباء

السرور على قلب الدوائر الحاكمة فى اسرائيل . فقد بدأ كما لو أن الرئيس الأمريكى قد أدرك مدى عدالة الموقف الاسرائيلى ، وانه سوف يعود الى لعب دور « الوسيط الشريف » .

ولكن ما أن انقضت بضعة أيام قليلة على ذلك ، حتى انقلب كل شيء رأساً على عقب . فقد اتضح أن التقارير الأولية كانت مضللة ، وحذر أصدقاء اسرائيل فى الكونجرس وفى البيت الأبيض من حدوث تحول حاد فى آراء كارتر ، ذلك انه خلال اليومين الذين استغرقتهما المحادثات فى «كامب دافيد» ، توصل السادات الى تفاهم بعيدى المدى مع كارتر . فقد تم الاتفاق على أن تعمل الولايات المتحدة على دفع عجلة المفاوضات بشكل أكثر سرعة ، وان تقدم الى مصر دعما ماليا سخيا . ولأول مرة ، طالب السادات بأن لا يكتفى كارتر بلعب دور الوسيط ، وانما أن يصبح « شريكا كاملا » فى عملية المفاوضات .

وكان من المقرر أن يعقد الرئيس الأمريكى بعد ذلك جولة أخرى من الاجتماعات مع رئيس الوزراء الاسرائيلى . ولكن هذه الجولة تأجلت بسبب قيام الفدائيين الفلسطينيين بعملية ارهابية واسعة النطاق داخل اسرائيل (١) .

... ...

فى وقت متأخر من بعد ظهر احد أيام السبت فى شهر مارس ١٩٧٨ ، لقى المصور الفوتوغرافى الأمريكى الشاب «جايل روبين» وهو ابن شقيقة السيناتور الأمريكى « ابراهام ريبيكوف » مصرعه فى حدائق « كيبوتز ميشيل » ، التى تقع على مقربة من الطريق الساحلى الرئيسى الذى يربط « حيفا » و « تل أبيب » .

كان قتله المصور الأمريكى الشاب جماعة من « الارهابيين » الفلسطينيين الذين تسللوا الى البلاد من جهة البحر . وبعد أن ارتكبت مجموعة « الارهابيين » جريمتها الأولى ، اتجهت شرقا حتى

وصلت الى الطريق الساحلى الرئيسى الذى يربط بين « حيفــا » و « تل أبيب » ، وهناك نصبوا كمينا : وقع فيه « أتوبيس » ، كان يتجــه شمالا ، مقلا عــددا من العائلات ، كانت عائدة من زيارة أحد المراكز السياحية فى البــلاد . واستولى الارهابيون علـــى « البـــاص » وأمرو سائقه أن يتجــه جنوبا الى « تل أبيب » . وعلى مسافة قريبة من مدخل المدينة ، أوقفت قوات الأمن «الباص» المخطوف ، وبدأ على الفــور تبـــادل اطلاق النار بشكل عنيف ومركز . ولم تمض سوى بضع دقائق قليلة حتى تحــول «الباص» الى فخ ملتهب للموت . وأسفر القتـــال عن قتل ما يزيد عن ٣٠ من الرجـــال والنســـاء والأطفال ، اخرجت جثثهم المشوهة من بقايا «الباص» المحترق .

أصاب الحادث المواطنين الاسرائيليين بالذهول ، الــذى سرعان ما تحول الى غضب جارف ومطالبة بالثأر .

وأعلن الرئيس المصرى ادانته للمذبحـــة .

أما بيجين ، الذى كان على وشـــك القيـــام بزيـــارة الى واشنطون ، فقد أعلن تأجيل موعد الزيارة . وبعد عدة أيـــام من من ذلك ، قامت اسرائيل بعمليـــة عسكرية رئيسية فى جنــوب لبنان ، (٢) وهى أكبر العمليات العسكرية الاسرائيلية منـــذ حرب ١٩٧٣ ، وذلك بهدف توجيه ضربة قاصـــمة للفدائيين المتمركزين هنـــاك ، وطردهم بعيدا عن الحـــدود الاسرائيلية .

وكان هناك شعور بالقلق ، أثناء سير العملية العسكرية ، حول مصير الاسرائيليين الذين يديرون محطـــة « زيهـــافا » فى القاهــرة . (٣) ذلك انـــه لـــم يكن واضـــحا حتى ذلك الحين كيف سيتطور القتـــال ، وكم ســـوف يتعين على قـــوات جيش الدفـــاع الاسرائيلى أن تبقى داخل الأراضى اللبنانية . ولكن أحدا لم يكن يشك فى حقيقة أن هذه العملية العسكرية سوف تزيد التوتر

بين اسرائيل والدول العربية . وبعد مناقشات طويلة ، استقر الرأى على أن يبقى العاملون فى محطة « زيهافا » حيث هم .

بعد مضى أقل من خمس دقائق على عبور أول دبابة اسرائيلية للحدود اللبنانية ، دق جرس التليفون الموضوع بجانب فراش الجنرال « تامير » بغرفته فى أحد فنادق القاهرة . وطلب المتحدث على الطرف الآخر من الخط ، وكان أحد العاملين فى مكتب رئيس الوزراء الاسرائيلى ، من رئيس الوفد العسكرى الاسرائيلى ، أن يتصل ، رغم تأخر الوقت ، بمدير المخابرات المصرية ، اللواء « شوكت » لابلاغه رسالة هامة .

وفى البداية ، تردد الجندى المصرى ، الذى طلب منه الجنرال « تامير » الاتصال بمدير المخابرات المصرية ، فى ازعاج الضابط الكبير فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . ولكنه رضخ أخيرا تحت الحاح الجنرال الاسرائيلى .

وكانت الرسالة التى أبلغها « تامير » الى «شوكت» ، والتى كان « بيجين » و « وايزمان » قد قاما بصياغتها ، تحوى بلاغا الى الحكومة المصرية بأن جيش الدفاع الاسرائيلى يقوم بهذه العملية العسكرية فى أعقاب « الحادث الارهابى المروع » ، وان الهدف من هذه العملية هو التحرك ضد خلايا « الارهابيين » فى جنوب لبنان ، واعادة النظام الى المنطقة ، وان القوات الاسرائيلية لا تنوى البقاء فى الأراضى اللبنانية بعد القيام بمهمتها .

وكان الاسرائيليون يعتقدون أن مصر لن تستطيع تجاهل رد الفعل الغاضب من جانب الدول العربية . ولذا فقد صدرت التعليمات الى العاملين بمحطة « زيهافا » أن يكونوا على استعداد للعودة الى الوطن فى أى وقت .

ولكن رد الفعل المصرى كان معتدلا ، رغم أن بيان الحكومة

المصرية أعلن عدم رضاء مصر عن العملية العسكرية الاسرائيلية . وعبر عن قلق القـــادة المصريين من تأثيرها على مصير عمليـــة الســـلام .

وقد أثار رد الفعل المصرى موجة من التخمينات والتأويلات بين أعضاء مجلس الوزراء الاسرائيلى . وقد اعتبره بعضهم أول علامة ذات دلالة على حـــدوث تغير حقيقى فى نظـــرة مصر الى العالم العربى ، كما ترجمها عدد قليـــل آخر من الوزراء الى اللغة السياسية ، الأمر الذى جعلهم يقتنعون برغبة السادات الحقيقية فى الســـلام .

وكانت معركة جنوب لبنـــان قد وصلت الى ذروتها عنـــدما وصل « بيجين » الى واشنطون كى يعقـــد ثالث لقـــاء مـــع الرئيس الأمريكى . وفى نفس ذلك اليـــوم ، بدأ مجلس الأمن مناقشة العمليـــة العسكرية الاسرائيلية فى جنوب لبنان . واشتركت الولايات المتحدة مع دول أخرى فى صياغة قرار يدعو الى وقف اطلاق النـــار ، والى ارسال قوة طوارىء تابعـــة للأمم المتحدة الى جنوب لبنـــان ، وهو ما وعـــد به كارتر الســـادات حين اتصل به تليفونيا فى ساعة متأخرة من الليـــل . وكانت اسرائيل قد طلبت من الولايات المتحدة تأجيل صدور القـــرار حتى يصـــل « بيجين » الى « واشنطون » . ولكن رئيس الوزراء الاسرائيلى أبلغ لدى وصوله الى قاعدة « أنـــدروز » الجـــوية ، ان الولايات المتحدة قد رفضت الطلب الاسرائيلى . وقد اعتبر « بيجين » ذلك صفعة متعمدة له .

... ...

فى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٢٨ مارس ١٩٧٨ ، بدأت الولايات المتحدة فى املاء وجهـــات نظرها بخصوص حل مشـــكلة الشرق الأوسط .

وافتتح الرئيس الأمريكى جلسة المباحثات بالتعبير عن اسفه

عن العملية الارهابية ، التى أعلن أنه يؤمن أن الهدف منها هو عرقلة عملية السلام . ورغم أن كارتر لم يذكر العملية الثأرية الاسرائيلية صراحة ، فانه أشار اليها بشكل غير مباشر عندما عبر عن أسفه لمصرع « الضحايا الأبرياء » .

ثم انتقل الرئيس الأمريكى بعد ذلك الى قلب المشكلة :

— « اننى أعلن اننى سوف أفعل أى شىء من أجل الحفاظ على قوة الدفع وراء عملية السلام ، كما اننى سوف أقوم بأى شىء من أجل احترام التزام الولايات المتحدة بأمن دولة اسرائيل » .

ثم غير كارتر نبرته وموضوعه فى آن واحد :

« ان الولايات المتحدة تشعر بقلق بالغ من بطء سير مفاوضات السلام . وأنا افهم وأؤيد رغبة اسرائيل فى الوصول الى سلام حقيقى وطبيعى وراسخ . ولكن يجب أن نذكر أن السادات كان قد صرح من قبل بأن السلام لن يتحقق فى هذا الجيل . وها هو ذا يعلن عن استعداده لتحقيق سلام كامل فورا . وقد اعترف لى الرئيس المصرى ، عندما زرته فى مدينة أسوان ، بأنه كان مخطئا فى اعتقاده بأن السلام لن يتحقق فى هذا الجيل ، وأن رد الفعل الحماسى غير المتوقع لزيارته للقدس قد أقنعه بأنه قد أخطأ فى تقديره » .

وواصل كارتر حديثه قائلا :

— « اننى أعتقد ان الجانب العربى يرغب الآن فى تغيير وتعديل موقفه المتطرف . كما أعتقد كذلك أن الجانب العربى لن يتشدد فى المطالبة باقامة دولة فلسطينية » (٤) .

أثار ما قاله « كارتر » دهشة الجانب الاسرائيلى . فلم يكن لدى الاسرائيليين حتى الآن ما يدعوهم الى الاعتقاد بأن السادات قد تخلى عن مطالبته بانسحاب اسرائيلى كامل من كافة الأراضى

العربيـــة المحتلة ، وذلك رغم وجـــود بعض الدلائل على انه لن يصر على اقامة دولة فلسطينية .

وفى رده على كارتر ، أكـــد « بيجين » أهمية استمرار الروح الطيبة التى سادت محادثات « القدس » و « الاسماعيلية » . ثم اخذ يعدد التنازلات التى قدمتها اسرائيل بالفعل :

ــ « لقد توصلنا فى القدس الى اتفـــاق بنزع سلاح سيناء من الممرات حتى الحـــدود الدولية . تنازلت اسرائيل عن ما كانت الحكومات السابقة تصر عليـــه وهو وجـــود صلة أرضـــية بين « ايلات » و « شرم الشيخ » .

ثم تغيرت نبرة « بيجين » شيئا ما حين انتقل الى الحـــديث عن لقـــاء الاسماعيلية .

ــ « ... بالرغم من أن الرئيس السادات قد رفض الاقتراح الاسرائيلى ببقاء المستوطنات الاسرائيلية فى القطاع الذى ســوف تشرف عليه الأمم المتحدة ، فان المباحثات اتسمت بالروح الايجابية. وقد كدنا أن نتفق فى الاسماعيلية على اعلان مشترك بالمبادىء ، ولكن نظـــرا لأننا لـــم نصل الى اتفاق بخصـــوص المســـألة الفلسطينية ، فان بعض مستشارى الرئيس المصرى عرقلوا عملية التوصل الى اتفـــاق . وقد اعترضنا على المطالبة بحق تقـــرير المصير للفلسطينيين لأن ذلك يعنى اقامة دولة فلسطينية ــ وهو الأمر الذى لن نوافق عليـــه أبـــدا » .

واستطرد « بيجين » مفندا كل ما قاله كارتر :

ــ « لقد تعرضنا ، عقب لقـــاء الاسماعيلية لهجمـــات مسمومة ، وواصل المصريون مطالبتهم بالانسحاب الكامل وبالدولة الفلسطينية . وقد أوضحنا لهم ، المرة تلو المرة ، انه لا يمكننا قبول هـــذه المطالب . وعلى حد ما أعلم وما أفهم ، فان هذا المطلبـــان لا ينبثقان عن قرار مجلس الأمن رقـــم ٢٤٢ ، بالاضافة الى انهما

يمثلان تهديدا لأكثر مصالحنا القـومية أهمية وحيوية . وأنا أطلب منك ، ياسيادة الرئيس ، أن توضح للجانب المصرى أننا لا نستطيع قبـول مطالبة » .

كان لابد لكارتر ، بعد أن أنهى بيجين حديثه ، من الرد عليه :

ـ « لقد قال لى الســادات أن مصر لا تصر على انسحاب اسرائيل من كافة الأراضى التى احتلت عام ١٩٦٧ . كذلك فاننى لا أعتقد أن الســادات يريد اقامة دولة فلسطينية فى الضــفة الغربية حقـا » .

وقد فهم الاسرائيليون من ذلك أن كارتر يطالبهم بالقيـام بمزيد من التنـازلات .

وواصل الرئيس الأمريكى حديثه قائلا :

ـ « اننى أقترح أن توافق كل من اسرائيل ومصر على صياغة أمريكية لحل مسألتى الانســحاب والدولة الفلسطينية . ويمكن لـكل جـانب أن يفسر هذه الصــياغة بأفضل شـكل يراه (! ــ المترجم) ولا حاجـة بى للقـول بأن الولايات المتحـدة تؤمن بوجوب ايجـاد ضمانات كافية لأمن دولة اسرائيل . وقـد يكون من الممكن حل هذه المشـكلة عن طريـق اقامة مراكــز عسكرية اسرائيلية ، وعن طريق الأجهزة الالكترونية وقــوات الأمم المتحدة ، وذلك لفترة مرحلية محددة » .

وما أن ذكر كارتر تعبير « فترة مرحلية » حتى أدرك الجانب الاسرائيلى على التو أن نظرة الجانبين لن تكون متطابقة :

ـ « بالنسبة للضفة الغربية ، فانه يجب فصل المســألة العسكرية عن المشكلة السياسية . والسادات يرفض مواصلة المفاوضات الآن بسبب مستوطناتكم الجديدة فى سيناء . ولا أخفى عليـكم اننى أتفهم موقفـه » .

بعد أن انتهى رد كارتر ، جـاء دور « موشيه دايان » :

ـــ « هل نفهم مما قيل هنا أن استعداد الســـادات لتغيير موقفه ، فيما يتعلق بانســـحاب اسرائيل من كافة الأراضي المحتلة، يمتد أيضا الى سيناء ؟ وهل يمكن القـــول بأن السادات مستعد لمناقشة مسألة الحـــدود الآمنة في سيناء أيضا ؟ » .

بدأ الانزعاج على وجه كارتر . وسارع « سيروس فانس » يقـــول : « لا ، لا ، لا ، لا ، ليس فيما يتعلق بسيناء » .

كارتر : « لقد قال لي الســـادات فعلا انه مستعد لابقـــاء قواته غربي الممرات (أي أقرب الى قنـــال السويس من الحـــدود الاسرائيلية ـــ المؤلفون) ولكنه لا يستطيع أن يضمن أمن بلاده ما لم يضع عددا من وحـــدات جيشه شرقي الممرات » .

هنا اشتعل الاسرائيليون غضبا . ذلك أن الرئيس السادات كان قد وعدهم في القدس بأنه لن يطالب بوضع عدد من وحـــدات جيشه شرقي الممرات ، أي في المنطقة القريبـــة من الحـــدود الاسرائيليـــة .

دايان : « لقد رفض الســـادات اقتراحنا ببقاء المستوطنات الاسرائيلية تحت السيادة المصرية . ورغم أن قـــرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لا يلزمنا بالعـــودة الى حـــدود عام ١٩٦٧ في سيناء ، فانه يريد منا أن ننسحب من المنطقة كلها . واذا أصر الســـادات على ذلك ، فاننا سوف نصر بدورنا على التطبيق الدقيق والحازم للقرار رقم ٢٤٢ . وبكلمات أخرى : فاننا لن نعود الى حـــدود عام ١٩٦٧ في سيناء أيضـــا » .

بيجين : « سيادة الرئيس ، أنت تقـــول ان الرئيس السادات لـــم يعد يصر على انسحابنا الـــكامل الى حـــدود عام ١٩٦٧ ، ولم يعد يطالب أيضا باقامة دولة فلسطينية . فاذا كان الأمر كذلك، فلمـــاذا لا يقـــول ذلك لنـــا ؟ واذا لم يكن المصريون يطـــالبون بذلك ، فلماذا لا يســـتخدمون لغـــة مختلفة ؟ ربما كان يجـــدر

بالمستر اثرتون ، الذى سوف يتجه قريبا الى الشرق الأوسط ، أن يقول للرئيس السادات أن على مصر أن تعلن بصراحة ووضوح انهـا لم تعد تطالب بالعودة الى حدود عام ١٩٦٧ وباقامة دولة فلسطينية .

(وكان قد تقرر أثناء اجتماع كارتر والسادات فى « كامب دافيد » ايفاد « أثرتون » الى الشرق الأوسط كى يلعب دور الوسيط) (٤) .

كارتر : « ان ما يثير قلق السادات ، وما يثير قلقى أنا أيضا ، هو أن تصريحاتكم تثير انطباعا بأنكم ترون ان القرار رقم ٢٤٢ لا يلزمكم بالانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة » .

وهنا تدخل « أهارون باراك » ، المستشار القانونى لرئيس الوزراء :

— « ان خطتنا الخاصة بالحكم الذاتى تتفق تماما ومقتضيات القرار رقم ٢٤٢ ، كما أن البرنامج الموضوع لتحقيق الحكم الذاتى لا يتعارض مع هذا القرار أيضا » .

دايان : « وهذا يرجع الى أننا نعلن استعدادنا لانهاء الحكم العسكرى فى الضفة الغربية وقطاع غزة . ورغم أن ذلك لا علاقة له بالسيادة ، فانه لا شك يعنى انسحابا للقوات . واذا كان العرب يرفضون خطتنا ، فلماذا لا يقدمون خطة بديلة ؟ . هذا مع العلم بأن القرار رقم ٢٤٢ لا ينص على وجوب اجراء انسحاب فى الجبهات الثلاث » .

كارتر : (غاضبا) : « اذن فان هناك خلافا فى الرأى بيننا، وهو خلاف لم يكن موجودا فى الماضى » .

بيجين : (محاولا انقاذ الموقف بعد أن وضع كارتر أوراقه على المائدة) : « ليس الأمر هكذا ، فان خطة حزب

العمل تعلن أيضا انه لن يكون هناك انسحاب من نهر الأردن ، كذلك فان برنامج حزب العمل يصف نهر الأردن بأنه « حدود اسرائيل الأمنة » .

كارتر : « اننا نريد ايجاد أرض مشتركة بينكم وبين العرب . وانا أؤمن بأن موافقة اسرائيل على ترتيبات أمنية فى الضفة الغربية تمثل الفرصة الوحيدة للتوصل الى اتفاق مع مصر . وكما ترون ، فان هناك تضاربا بين التزام الولايات المتحدة بدعم امن اسرائيل ، وبين رغبة اسرائيل فى تولى الادارة السياسية للأراضى المحتلة » .

(الواقع ان « كارتر » كان يردد — دون أن يقول ذلك صراحة — ما قاله السادات فى آخر تصريح له ، والذى أعلن فيه انه على استعداد للموافقة على كل ترتيبات الأمن التى تطلبها اسرائيل ، ولكنه ليس مستعدا لاجراء اى تعديل فى الحدود الدولية . ولذا ، فقد كان ما قاله « كارتر » يمثل انذارا واضحا) .

دايان : « لقد كنت ، كما تعرف ياسيادة الرئيس ، عضوا فى الحكومة الاسرائيلية السابقة أيضا . وأنا أقول انه حتى فى عام ١٩٦٧ ؛ عندما كانت الحكومة الاسرائيلية آنذاك مستعدة للانسحاب الى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ، فان ذلك لم يكن يشمل الضفة الغربية . والواقع أن فكرة الحكم الذاتى فكرة طيبة ، لأن فرص قبولها من جانب العرب لا بأس بها . ومن وجهة نظرى ، كرجل عسكرى ، فان هناك سؤالا واحدا لابد من ايجاد الرد عليه . هذا السؤال هو : من الذى سوف يملك الحق ان يقرر اذا كانت قوة معادية قد عبرت نهر الاردن أم لا ؟ ، ومن الذى سوف يقوم بمنع هذه القوة من العبور ؟ فلا شك انه سوف يكون من سوء الطالع أن تعود ، مرة أخرى ، الى

رحلة حواجز الأسلاك الشائكة وحقــول الألغــام وقوات الأمــم المتحــدة . فبعد مرور ٣٠ عاما ، لابد أن يكون الوقت قد حان كى نتعايش نحن والعرب معا ، لا لكى نعيد قوات الأمم المتحــــدة كى تفصل بيننـــا » .

كارتر : « أنا لا اشك مطلقا فى رغبة الســادات الحقيقية فى الســلام ، وفى انه يمتلك أيضا ما يكفى من المرونة . وأفضــل شىء لاسرائيل هــو أن تتفاوض معه . وخطة رئيس الــوزراء للحــكم الذاتى خطة جيدة ، ويمكن أن تكون المحــور الذى نبنى هيكل الحل حوله . وأنا أطلب من الجانبين ابداء قدر أكبر قليــلا من المرونة ، وأقترح أن يجلس وزير خارجيتنا ومستر أثرتون معكم حتى يحين موعد العشــاء ، كى تحاولوا ازالة الخلاف بيننا فيما يتعلق بالصياغة . وأنا أعتقد أن مشــكلة المستوطنات الاسرائيلية فى ســيناء ، هى أكثر المشــاكل التى تواجهنــا صــعوبة . أما المشــاكل الأخرى ، مثل المطارات وحجم القــوات المصريــة فى سيناء ، فانهــا ، بالمقارنة مع هذه المشــكلة ، سهلة الحل » .

... ...

ثم بغته ، أثار كارتر مسألة جديدة :

ــ « هل توافقون على حل لمشــكلة الضفة الغربيــــة يقضى بانسحاب جيشكم الى معسكرات داخلها » ؟

بيجين : « ان وجــود جيشنا فى يهودا والسامرة هــو أمر ضرورى الى أقصى حــد بالنسبة لنــا ، ويمثل أحــد مصالحنا الحيوية . ولكننا اذا كنا نتحدث عن مثل هذا الانســحاب فى اطار الحــكم الذاتى ، فاننا قد نوافــق » .

(وهنا ثار جــدل بين نائب الرئيس الأمريكى « مونديــل » وبين المستشار القانونى الاسرائيلى « باراك » حول انطباق القرار رقم ٢٤٢ على الضفة الغربية . وكان الجميع ــ بما فيهم «كارتر»

و«بيجين» — يتتبعون المناقشة باهتمام ، ثم تدخل برزيزنسكى ، مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القــومى فى النقاش) .

برزيزنسكى : « ان مقترحاتكم بخصوص الحـكم الـذاتى فى الضفة الغربية يمكن تفسيرها على أنهــا تمثل تخليدا للسيطرة الاسرائيلية على المنطقة ، وهــو أمر يعوق التقدم نحو السلام . ويمكن لخطتكم أن تكون ذات فعالية اذا ربطت بالقرار رقم ٢٤٢ بالانسحاب . ولكن المشكلة هى أن مقترحاتكم يمكن فهمها علــى وجهين : وجه ايجابى ووجه سلبى . ونحن نطلب منــكم تعديل مقترحاتكم بحيث لا تحتمل سوى التفسير الايجابى » .

(بدأ حــديث بريزنسكى وكأنه اشارة واضحة الى وجــود خطة أمريكية خاصة ، أو الى رغبة الولايات المتحدة فى ادخــال تعديلات بعيدة المدى على المقترحات الاسرائيلية) .

برزيزنسكى : « وأريد كذلك أن أقرر أن هــدف الولايات المتحدة هو العمــل من أجل أن تجــد اسرائيل ومصر والأردن ، والفلسطينيين المعتدلين ، أرضا مشتركة لبنــاء ركيزة قاعدة لصد التسلل السوفيتى والتيارات الراديكالية فى المنطقة » .

بيجين : « أنت تصرفنا عن الموضوع محل المناقشة ، وهــو العلاقات بين حكومتينا . فاذا كنا قد وافقنا ، فى شهر ديســمبر المــاضى ، على أن خطتنا ايجابية ، فلماذا نغير رأينا الآن ونجعل الخطة محل نقاش مرة أخرى ؟ انه أمر بالغ الحيوية ، كما ســبق أن قلت ، بالنسبة لنــا أن تبقى قواتنا فى يهودا والسامرة » .

كارتر : « ولكن ما الذى سوف يحدث بعد خمسة أعــوام ؟ هل سوف يكون للسكان عندئذ حق تقرير وضعهم ؟ » .

بيجين : « اننا اذا وضعنا فى اعتبارنا التهديد الذى تمثله اليوم منظمة التحرير الفلسطينية ، فان فكرة اجراء استفتاء فى مثل هــذه الظروف ، سوف تمثل مجازفة كبيرة فيما يتعلق بأمننا » .

كارتر : « اذا لم تسمحوا لسكان الضفة الغربية وغزة أن يقرروا هويتهم فى المستقبل ، فلن يكون هنـــاك أمل فى التوصـــل الى حل سلمى . واذا لم تعطهم اسرائيل صوتا ، فلن نصل الى اتفـــاق ... وهذا أمر حيوى الى أقصى حد ، حتى ولو كان هدفكم هو ابرام معاهدة مع مصر فقط » .

دايـــان : « اننا نوافـــق على أن نتخلى عن الســـيطرة على الســـكان ، ولكننا سوف نعارض أية صياغة تتحـــدث عن تخلينا عن السيطرة على الأراضى » .

برزيزنسكى : « قد تفسر خطتكم بأنهـــا تماثل خطة حكومة جنوب افريقيا لتحديد علاقتها بمنطقة باسوتولاند ! » .

بيجين : (فى نبرة حادة) انها ليست كذلك ! » .

دايـــان : « .. فحتى الآن ، يمكن لأى عربى أن يختـــــار الجنسية الاردنية أو الاسرائيلية ، أو أن يسجل نفسه بوصفه من الســـكان المحليين » .

كارتر : « اذا كنتم أنتم والمصريين ، وكذلك نحن الأمريكيون نؤمن بضرورة منع اقامة دولة فلسطينية ، فانها لن تقوم » .

(ورغم ان « بيجين » كان يقدر قوة الولايات ونفوذها ، فانه كان على معرفة تامة بالوضع فى الأراضى المحتلة ، حيث تســيطر منظمة التحرير تماما على السكان ، وحيث يمكن أن يؤدى اجراء استفتاء للسكان الى اقامة دولة فلسطينية فى غالب الأمر) .

بيجين : « ان اجــراء استفتاء يمثل ، بالنســـبة لنا ، تهديدا نفسيا وعضويا أيضـــا » .

كارتر : (عاجزا عن الخفاء غضـــبه) « ان العقبة التى تقع فى طريق الســـلام هى رغبـــة اسرائيل فى تخليد ســـيطرتها على الضفة الغربية وقطاع غزة . ولذا فاننا نأمل أن تستبدل اسرائيل سيطرتها السياسية بترتيبات أمنية . (ثم محاولا تخفيف الأثر الذى

احدثه كلامه) وفى نفس الوقت فاننى اريد أن اسجل تقديرى لمقترحاتكم بخصوص سيناء » .

وهكذا انتهت الجلسة نهاية تتسم بالقتامة . فلم يعد بعد ممكنا اخفاء الشرخ الذى حدث بين البلدين .

واختتم كارتر الجلسة بكلمة قال فيها :

ـ « اننى اناشدكم ان تبدوا أكبر قدر ممكن من المرونة . ذلك انه لا الأردن ولا السادات ولا العربية السعودية ولا نحن ولا أنتم نرغب فى اقامة

وانتهى الاجتماع تصحبه نغمة مقبضة . فلم يعد من الممكن اخفاء الفجوة التى تفصل بين الجانبين . واختتم كارتر الاجتماع بقوله :

ـ اننى اناشدكم أن تبدو اكبر قدر ممكن من المرونة . فلا الأردن ولا السادات ولا السعوديون ولا نحن ولا أنتم نريد دولة فلسطينية مستقلة . وأود أن أطلب من خبرائنا وخبرائكم أن يضعوا مقترحات تميز بوضوح بين السيطرة السياسية على الضفة الغربية وبين الاجراءات الأمنية . وبهذا الشكل يمكن أن نتوصل الى السلام » (٥) .

وكان بيجين ـ عندما قدم مشروعه للسلام الى الرئيس كارتر فى شهر ديسمبر ـ قد افترض انه « يبدأ من النهاية » . ولكنه اكتشف ، بعد محادثاته مع كارتر ان عليه أن يبدأ من البداية ، وأن ينطلق من اسوأ نقطة انطلاق ممكنة . وكان يرى ان مشروع كارتر للسلام فى الشرق الأوسط اسوأ كثيرا حتى من مشروع روجرز الذى لم يرد به ذكر لاقامة دولة فلسطينية . واعتقد بيجين ان واشنطون قد تبنت مطالبة السادات بالتمييز بين احتياجات اسرائيل الأمنية وبين قضية حدودها او بكلمات أخرى : بين السيطرة على الضفة الغربية وبين الاجراءات العسكرية الضرورية .

وكانت مكانة بيجين فى الولايات المتحـــدة آنذاك تحد من امكانيات تحركه . فقد كان الرئيس المصرى قد تعلم قيمة واهميــة وسائل الاعلام ـــ وخاصة الشبكات التليفزيونية الثلاث الكبرى ـــ التى كان يستخدمها فى براعة . وكانت تصريحاته للشعب الأمريكى تتسم بالايجاز والبساطة . ولم يكن يستخدم أبدا لفظ : لا ، كما كان لا يكف عن ترديد كلمة : السلام ؛ ويحرص على اشاعة جـــو من الود خلال كافة معاملاته الصحفية . وهكذا استطاع السادات أن يحقق لنفسه شعبية كبيرة فى الولايات المتحدة .

أما بيجين ؛ فقد كان على عكس السادات تماما فى ذلك . فقد كان يبدو للملايين من مشاهدى التليفزيون فى صـــورة المحامى الخبيث المتحذلق ، الذى لا يكف عن التلويح بأصبعه الســـبابة فى وجوههم ، وكأنه يتوعدهم . وكان التعبير الذى يرتسم على وجهه دائما وقورا حازما . أما اللكنة البولندية التى كانت تشوب طلاقة لغته الانجليزية ، فقد كانت تدفع المشاهدين الى التحول الى قناة تليفزيونية أخرى ، نجاة بأنفســـهم من مواعظه المطولة . وعلى العكس من ذلك ، كانت انجليزية الســـادات البطيئة الثقيلة ، ومظاهر العظمة التى يحيط نفسه بها ، تجعل منه بطل الساعة .

كانت استطلاعات الرأى فى الولايات المتحدة تشير ، لأول مرة ، أن الشعب الأمريكى يميل الى تأييد مصر . وقد كانت هناك دائما ، فى المـــاضى ، فجوة من عشرات النقاط لصالح اسرائيل فى استطلاعات الرأى المماثلة . ولكن السادات استطاع أن ينتصر فى هذه المنافسة الشخصية . بل انه حتى طائفة اليهود الأمريكيين، والذين يمثلون المصدر الأساسى لتأييد اسرائيل فى الولايات المتحدة، كان يسودهم شعور بعدم الرضاء . ولأول مرة منـــذ انشاء دولة اسرائيل ، أعلن اليهود الأمريكيون ـــ من بينهم عدد من زعمـــاء الطائفة ـــ معارضـــتهم لسياسة الحكومة الاسرائيليـــة . وأحس

الكثيرون أن دوائر معينة فى اسرائيـــل تحاول نسف مفاوضـــات السـلام .

وقد كان هناك جانب محدد فى النجاحات التى حققتها مصر فى الولايات المتحدة . ذلك انه ، ولأول مرة ، استطاع السادات أن يفتح أبواب ترسانة السلاح الأمريكية ، وان يبتاع منها معـــدات عسكرية . والحقيقة ان الولايات المتحدة قدمت له كميات صغيرة من اكثر معداتها العسكرية تقدما . ورغم أن السادات كان يريد المزيد من هذه المعدات ، فان الكسب الأساسى الذى حققه السادات كان نجاحه فى تثبيت سابقة يجرى العمل عليها فى المســـتقبل . أما أضخم انجازات السادات فقد كان القرار الذى اتخذته الحكومة الأمريكية بربط اسرائيـــل ومصر والمملكة العربية السعودية معـــا فى صفقة بيع سلاح واحدة . ولم تجد معارضـــة مجموعة الضغط اليهودية الأمريكية فتيلا فى اثنـــاء الحكومة الأمريكية عن قرارها هـــذا(٤) .

لم يكن اجتماع اليوم التالى مع كارتر ومساعديه أقل صعوبة ومشقة بالنسبة الى الوفد الاسرائيلى .

فقد افتتح كارتر الاجتماع قائلا :

ــ « لقد أردت ، أثناء زيارة السادات الأخيرة لواشنطون ، أن استوضح منه حقيقـــة موقفه . وقد كانت نفسى ، حتى الآن ، مفعمة بالأمل . على اننى لم أطرح بعد هذا الأمل فى دفع المفاوضات مع المصريين ، رغم اننى أعتقد بأفضلية التوصل الى اتفاق ســـلام شـــامل » .

وأخرج كارتر من جيبه قلما ، ثم نزع ورقة من دفتر الأوراق ذو اللون الأصفر ، وأخذ يخط على الورقة فى أثناء حديثه :

ــ من المفروض أن أقـــدم مساء اليوم تقريرا الى لجنـــة العلاقات الدولية التابعة للمجلس ، وان اقدم غدا أيضا تقريرا آخر

الى لجنة الشئون الأجنبية التابعة لمجلس الشيوخ . وأنا أريد ان أقـدم لهم فى هـذين التقريرين موقفكم وموقف السـادات كمـا أفهمه » .

ران صـمت مفعم بالتوتر على غرفة الاجتمـاعات بالبيت الابيض . ثم أخذ كارتر يعرض موقف اسرائيل نقطة بعد نقطة . ولم يكن هناك شك فى ان هذا العرض قد أعد اعدادا دقيقا مسبقا. وقد بدأ عرضه بالجانب السلبى فى سياسة اسرائيل :

ـ « أنتم تقولون : أنه ليست هناك ضرورة للقيام بانسحاب شامل من الضفة الغربية وقطاع غزة . وأنتم تقولون : اننا لن نتخلى عن مسـتوطاتنا فى سـيناء . وأنتم تقولون : اننـا لن نوقف نشاطنا فى اقامة المستوطنات ، وان اسرائيل ليسـت على استعداد للقيام بانسحاب سياسى من الضفة الغربيـة ، كما ان اسرائيل تقول ان القرار رقم ٢٤٢ لا ينطبق على الضفة الغربية . وأنتم تقولون : ان اسرائيل لا ترغب فى منح سكان الضفة الغربية حق تقرير المصـير ... » .

رمق كارتر بيجين بنظره . وكان تعبير الكآبة الذى يرتسـم على وجـه بيجين قد ازداد عمقا . وبعد فترة صمت قصـيرة ، استأنف كارتر حديثه قائلا :

ـ « اذا كان الأمر على هذا النحو ، واذا كان فهمى هـذا لمواقفكم صحيحا ، فانه ليس ثمة هناك أمل حقيقى فى التقدم نحو عقد معاهدة للسـلام » .

كان الأمريكيون يتوقعون ردا . ونهض بيجين واقفا ، وبدأ حديثه قائلا :

ـ « من الممكن ايضـا تصوير مواقف اسرائيل بصـورة ايجابية . وعلى سبيل المثال ، فاننا عازمون على المضى قدما فى قرارنا بالدخول فى مفاوضات توصلنا الى عقد معاهدات سـلام

مع جميع جيراننا . ونحن لم نقبل فحسب القرار رقم ٢٤٢ كأساس للاتفاق مع جميع جيراننا ، بل اننا أيضا عرضـنا على المصريين مقترحات تزيـد كثيرا عن ذلك فيمـا يتعلق بسـناء ، ويهـودا والسامرة ، أى ما تسـميه أنت ، ياسيدى الرئيس ، بالضـفة الغربيـة ....

وقد كان بيجين يأخذ هذه التفرقة فى المصطلحات بجدية بالغة . بل أنه أصـدر تعليماته الى كافة الادارات الحكومية باستخدام مصطلح « يهودا والسامرة » فقط .

واستطرد بيجين مصـورا سياسته فى ضـوء ايجابى ، قائلا :

ـ يمكن للمرء أن يقول ان المفاوضات يجب أن تكون مباشرة ، وأن يقول أيضا ان مقترحاتنا كانت بعيدة المدى ، كما وصـفتها أنت بنفسك ، يا سـيادة الرئيس ، أثناء اجتماعنا هنا فى شـهر ديسمبر المـاضى . ونحن ـ بدلا من المطالبة باجراء تعديلات فى الحدود ـ قدمنا للمصريين اقتراحا بالانسحاب الكامل . كما اننا وافقنا على أن تظل قضية السيادة على يهودا والسامرة مفتوحة ، حتى يتم تسويتها . وسوف نمنح السكان حكما ذاتيا ، وسـوف تحصل اسرائيل على الأمن » .

كان كارتر يكتب ما يقـوله بيجين على صـحيفة من الورق الأصفر اللون . وتولد لدى الاسرائيليون الجالسون على الجانب الآخر من مائدة المفاوضات ، انطباعا بأن كارتر لم يكن يكتفى فقط بكتابة ما يقوله بيجين ، بل انه كان يسجل أيضا الأسـلوب الذى كان يتحـدث به .

واصـل بيجين حديثـه قائلا :

ـ وفيما يتعلق بالمسـتوطنات ، فانى أسألك ، ياسـيدى الرئيس ، أن تنظر الى موقفنا منها بشكل ايجابى . فلقـد أعلننا

التزامنا بعدم اقامة مستوطنات جديدة فى سيناء . اما فيما يتعلق بالمستوطنات الاسرائيلية فى يهودا والسامرة ، فان الاستيطان فيهما هو حق ثابت لليهود . وسوف يخضع توقيت ومكان اقامة هذه المستوطنات لتعليمات الحكومة الاسرائيلية » .

واختتم بيجين حديثه بنبرة تشوبها المرارة . قال :

ـــ اذا كنت قررت الاجتماع باللجان ، فاننى أطلب منك ، يا سيادة الرئيس ، ان تعرض موقفنا على نحو ايجابى ، وليس سلبيا » .

كارتر : أعدك بأن أفعل ذلك .

بيجين : أنا ممتن لك كثيرا . ويجب أن تتذكر ، يا سيادة الرئيس ، اننا ـــ لكى ندفع عملية السلام ـــ قد تقدمنا بثلاث وثائق هامة ، هى : مشروع سيناء ، ومشروع للحكم الذاتى فى يهودا والسامرة وقطاع غزة ، واقتراح باعلان للمبادىء فى الاسماعيلية . وهذه الوثائق الثلاث يمكن استخدامها كأساس للمناقشة والمفاوضات ، على أنه يمكن لمصر التقدم بمقترحات مضادة ، ولكنها لم تفعل ذلك حتى الآن » .

كارتر : لكننى لا أستطيع الموافقة على أن القرار رقم ٢٤٢ لا ينطبق على الضفة الغربية . لماذا لا تعلنون صراحة أنكم لا تعنون ذلك ؟ . ذلك ان حساسية السادات تجاه هذه المسألة تماثل حساسيتكم تجاه حائط المبكى . وهو ينظر الى رغبة اسرائيل فى الاحتفاظ بالمستوطنات فى سيناء ، على أنه يعنى عملا عدم الرغبة فى الانسحاب من سيناء . وقد اقترحت عليه قبول بقاء المستوطنات على أن يتم وضعها تحت وصاية الأمم المتحدة . ولكنه رفض ذلك . واذا وافق السادات على المشروع الاسرائيلى، فان هذا سوف يكون حسنا ، ولكن ...

ولم يتردد كارتر فى التصريح برأيه فى هذه المسألة . قال :

كارتر : الحقيقة ان موقف السادات يبدو منطقيا بالنسبة الى . ولقد أصبت بخيبة أمل حين سمعت ان اسرائيل تنظر الى القرار ٢٤٢ بوصفه غير ملزم لها فيما يتعلق بالضفة الغربية . وانا لا أعرف كيف يمكننا الانطلاق من مثل هذا الموقف . ولذلك فانه يجب على ان أطلب رأى الكونجرس » .

وقد نظر الاسرائيليون الى جملة كارتر الأخيرة بوصفها تمثل تهديدا واضحا .

بيجين : أن السادات لم يعرض علينا قط أن تبقى المستوطنات فى قطاع الأمم المتحدة ، أو تحت وصاية الأمم المتحدة . كل ما طلبه منا هو اخلاء هذه المستوطنات . بل أنه قال فى البداية ان هذه يجب اشعال النار فيها . ثم عاد ، بعد ذلك ، مصححا نفسه ، وقال أنه يجب علينا أن نفكها . وقد كان السادات على علم تام بموقفنا وبنيتنا فى الابقاء على المستوطنات فى سيناء حتى قبل زيارته للقدس .. ولقد ذهلت حين سمعت بذلك من دايان . ولقد سمع السادات رأينا فى هذه المسألة ، مرة أخرى عند زيارته للقدس . ولقد كان رده بمثابة انذار ، فقد قال ' فكوا المستوطنات » .

كانت حدة نبرات بيجين تعلو باطراد . فقد كان قد تبين بوضوح ان الفجوة قد بلغت أقصى درجات اتساعها ، وقرر أن يكون رده على ذلك عدوانيا ، وأن يهاجم كل من كارتر والسادات. واستطرد قائلا :

— « أما فيما يتعلق بمواقف السادات الأخرى ، فانه وفقا يتعلق بأن المصريين لا يريدون اقامة دولة فلسطينية .
بالانسحاب الكامل ، كما يطالبون أيضا بحق تقرير المصير للفلسطينيين فى يهودا والسامرا وقطاع غزة . ونحن ننظر الى هذا على أنه يعنى ان المصريين يطالبون باقامة دولة فلسطينية » .

كان بيجين ، فى حقيقة الأمر ، يلمح لكارتر بأنه — أى كارتر —

لا يعرف ما يتحدث عنه . وحاول أن يفند ما قاله كارتر فيما يتعلق بأن المصريين لا يريدون اقامة دولة فلسطينية .

كارتر : أنت على حق فيما يتعلق بالمستوطنات فى سيناء . فبالرغم من طلباتى المتكررة ، فان السادات رفض أن يتنازل ، وأن يوافق على ابقاء المستوطنات تحت وصاية الأمم المتحدة . أما فيما يتعلق بالفلسطينيين ، فان موقفه هو ان المسألة يجب تسويتها عن طريق المباحثات .

فانس : لقد كنا نأمل أن تلقى صيغة أسوان بشأن حق الفلسطينيين فى المشاركة فى تقرير مستقبلهم — أن تلقى القبول بخصوص هذه المسألة . ولا أظن ان ذلك يعنى المطالبة باقامة دولة فلسطينية مستقلة .

كارتر : (الى بيجين) اننى لا أحاول انتقاد موقفكم . فالحقيقة ان المقترحات التى تقدمتم بها تتسم بالشجاعة والنبل . ولكن ما حدث فى الواقع هو ان المباحثات قد توقفت بعد زيارة السادات للقدس . ونحن نحاول التوصل الى لغة مشتركة . وربما كان من الممكن تحقيق ذلك فى اطار مقترحات أمريكية تنص على ان اسرائيل لن تنسحب انسحابا كاملا من الضفة الغربية ، وان مصر لن تطالب باقامة دولة فلسطينية . وأود أن أقول لك ان أعظم ما مررت به من تجارب خلال فترة رئاستى كانت عندما عقدت أنت والسادات مباحثات مباشرة بدون حضورى ..

بيجين : أريد منك ، عندما تقابل أعضاء الكونجرس اليوم وغدا ، أن تقول لهم ما قلته لنا الآن بشأن مقترحاتنا ... أى انها تتسم بالشجاعة .

كارتر : سوف أقول لهم ذلك بالتأكيد . انها بالقطع خطوة رئيسية الى الأمام(٤) .

* * *

وكانت مكانة بيجين فى الولايات المتحـــــدة آنذاك تحد من امكانيات تحركه . فقد كان الرئيس المصرى قد تعلم قيمة وأهمية وسائل الاعلام — وخاصة الشبكات التليفزيونية المثلاث الكبرى — التى كان يستخدمها فى براعة . ولم يكن يستخدم أبدا لفظ : لا ، كما كان لا يكف عن ترديد كلمة : السلام ؛ ويحرص على اشاعة جـــو من الود خلال كافة مقابلاته الصحفية . وهكذا استطاع السادات أن يحقق لنفسه شعبية كبيرة فى الولايات المتحدة .

أما بيجين ، فقد كان على عكس السادات تماما فى ذلك . فقد كان يبدو للملايين من مشاهدى التليفزيون فى صـــورة المحامى الخبيث المتحذلق ، الذى لا يكف عن التلويح بأصبعه السـبابة فى وجوههم ، وكأنه يتوعدهم . وكان التعبير الذى يرتسم على وجهه دائما وقورا حازما . أما اللكنة البولندية التى كانت تشوب طلاقة لغته الانجليزية ، فقد كانت تدفع المشاهدين الى التحول الى قناة تليفزيونية أخرى ، نجاة بأنفســـهم من مواعظه المطولة . وعلى العكس من ذلك ، كانت انجليزية الســادات البطيئــة الثقيلة ، ومظاهر العظمة التى يحنط نفسه بها ، يتجعل منه بطل الساعة .

كانت استطلاعات الرأى فى الولايات المتحدة تشير ، ولأول مرة ، أن الشعب الأمريكى يميل الى تأييد مصر . وقد كانت هناك دائما ، فى المـــاضى ، فجوة من عشرات النقاط لصالح اسرائيل فى استطلاعات الرأى المماثلة . ولكن السادات استطاع أن ينتصر فى هذه المنافسة الشخصية . بل أنه حتى طائفة اليهود الأمريكيين، والذين يمثلون المصدر الأساسى لتأيد اسرائيل فى الولايات المتحدة، كان يسودهم شعور بعدم الرضاء . ولأول مرة منـــذ انشاء دولة اسرائيل ، أعلن اليهود الأمريكيون — من بينهم عدد من زعمـــاء الطائفة — معارضـــتهم لسياسة الحكومة الاسرائيليـــة . واحس

الكثيرون أن دوائر معينة فى اسرائيل تحاول نسف مفاوضات السلام .

وقد كان هناك جانب محدد فى النجاحات التى حققتها مصر فى الولايات المتحدة . ذلك أنه ، ولأول مرة ، استطاع السادات أن يفتح أبواب ترسانة السلاح الأمريكية ، وأن يبتاع منها معدات عسكرية . والحقيقة أن الولايات المتحدة قدمت له كميات صغيرة من أكثر معداتها العسكرية تقدما . ورغم أن السادات كان يريد المزيد من هذه المعدات ، فان الكسب الأساسى الذى حققه السادات ان نجاحه فى تثبيت سابقة يجرى العمل عليها فى المستقبل . اما أضخم انجازات السادات فقد كان القرار الذى اتخذته الحكومة الأمريكية بربط اسرائيل ومصر والمملكة العربية السعودية معا فى صفقة بيع سلاح واحدة . ولم تجد معارضة مجموعة الضغط اليهودية الأمريكية فتيلا فى أثناء الحكومة الأمريكية عن قرارها هذا(٤) .

لم يكن اجتماع اليوم التالى مع كارتر ومساعديه أقل صعوبة ومشقة بالنسبة الى الوفد الاسرائيلى .

فقد افتتح كارتر الاجتماع قائلا :

ــ « لقد أردت : أثناء زيارة السادات الأخيرة لواشنطون ، ان استوضح منه حقيقة موقفه . وقد كانت نفسى ، حتى الآن ، مفعمة بالأمل . على اننى لم اطرح بعد هذا الأمل فى دفع المفاوضات مع المصريين ، رغم أننى أعتقد بأفضلية التوصل الى اتفاق سلام شامل » .

وأخرج كارتر من جيبه قلما ، ثم نزع ورقة من دفتر الأوراق ذو اللون الأصفر ، وأخذ يخط على الورقة فى أثناء حديثه :

ــ من المفروض ان أقدم مساء اليوم تقريرا الى لجنة العلاقات الدولية التابعة للمجلس ، وان أقدم غدا أيضا تقريرا آخر

الى لجنة الشئون الأجنبية التابعة لمجلس الشيوخ . وانا اريد أن اقــدم لهم فى هــذين التقريرين موقفكم وموقف الســادات كمــا أفهمــه » .

وان صــمت مفعم بالتوتر على غرفة الاجتــماعات بالبيت الأبيض . ثم أخذ كارتر يعرض موقف اسرائيل نقطة بعد نقطة . ولم يكن هناك شك فى ان هــذا العرض قد اعد اعدادا دقيقــا مسبقا . وقد بدأ عرضه بالجانب السلبى فى سياسة اسرائيل :

ــ « أنتم تقولون : أنه ليست هناك ضرورة للقيام بانسحاب شامل من الضفة الغربية وقطاع غزة . وأنتم تقولون : اننا لن نتخلى عن مســتواطاتنا فى ســيناء . وأنتم تقولون : اننــا لن نوقف نشاطنا فى اقامة المستوطنات ، وان اسرائيل ليســت على استعداد للقيام بانسحاب سياسى من الضفة الغربيــة ، كما ان اسرائيل تقول ان القرار رقم ٢٤٢ لا ينطبق على الضفة الغربية . وأنتم تقولون : ان اسرائيل لا ترغب فى منح سكان الضفة الغربية حق تقــرير المصير ... » .

رمق كارتر بيجين بنظره . وكان تعبير الكآبة الذى يرتســم على وجــه بيجين قد ازداد عمقا . وبعد فترة صمت قصــيرة ، استأنف كارتر حديثه قائلا :

ــ « اذا كان الأمر على هذا النحو ، واذا كان فهمى هــذا لمواقفكم صحيحا ، فانه ليس ثمة هناك أمل حقيقى فى التقدم نحو عقد معاهدة للســلام » .

كان الأمريكيون يتوقعون ردا . ونهض بيجين واقفا ، وبدأ حدثيه قائلا :

ــ « من الممكن أيضــا تصوير مواقف اسرائيل بصــورة ايجابية . وعلى سبيل المثال ، فاننا عازمون على المضى قدما فى قرارنا بالدخول فى مفاوضات توصلنا الى عقد معاهدات ســلام

مع جميع جيراننا . ونحن لم نقبل فحسب القرار رقم ٢٤٢ كأساس للاتفاق مع جميع جيراننا ، بل اننا ايضا عرضنا على المصريين مقترحات تزيد كثيرا عن ذلك فيما يتعلق بسيناء ، ويهوذا والسامرة ، أى ما تسميه أنت ، ياسيدى الرئيس ، بالضفة الغربية ....

وقد كان بيجين يأخذ هذه التفرقة فى المصطلحات بجدية بالغة . بل انه أصدر تعليماته الى كافة الادارات الحكومية باستخدام مصطلح « يهودا والسامرة » فقط .

واستطرد بيجين مصورا سياسته فى ضوء ايجابى ، قائلا :

ـــ يمكن للمرء أن يقول ان المفاوضات يجب أن تكون مباشرة، وأن يقول أيضا ان مقترحاتنا كانت بعيدة المدى ، كما وصفتها أنت بنفسك ، يا سيادة الرئيس ، أثناء اجتماعنا هنا فى شهر ديسمبر الماضى . ونحن ـــ بدلا من المطالبة باجراء تعديلات فى الحدود ـــ قدمنا للمصريين اقتراحا بالانسحاب الكامل . كما اننا وافقنا على أن تظل قضية السيادة على يهودا والسامرة مفتوحة ، حتى تتم تسويتها . وسوف نمنح السكان حكما ذاتيا ، وسوف تحصل اسرائيل على الأمن » .

كان كارتر يكتب ما يقوله بيجين على صحيفة من الورق الأصفر اللون . وتولد لدى الاسرائيليون الجالسون على الجانب الآخر من مائدة المفاوضات ، انطباعا بأن كارتر لم يكن يكتفى فقط بكتابة ما يقوله بيجين ، بل أنه كان يسجل أيضا الأسلوب الذى كان يتحدث به .

واصل بيجين حديثه قائلا :

ـــ وفيما يتعلق بالمستوطنات . فانى أسألك ، ياسيدى الرئيس ، أن تنظر الى موقفنا منها بشكل ايجابى . فلقد أعلننا

التزامنا بعد اقامة مستوطنات جديدة فى سيناء . أما فيما يتعلق بالمستوطنات الاسرائيلية فى يهودا والسامرة ، فان الاستيطان فيهما هو حق ثابت لليهود . وسوف يخضع توقيت ومكان اقامة هذه المستوطنات لتعليمات الحكومة الاسرائيلية » .

واختتم بيجين حديثه بنبرة تشوبها المرارة . قال :

ــ اذا كنت قررت الاجتماع باللجان ، فانى أطلب منك ، يا سيادة الرئيس ، أن تعرض موقفنا على نحو ايجابى ، وليس سلبيا » .

كارتر : أعدك بأن أفعل ذلك .

بيجين : أنا ممتن لك كثيرا . ويجب أن تتذكر ، يا سيادة الرئيس ، اننا ــ لكى ندفع عملية السلام ــ قد تقدمنا بثلاث وثائق هامة ، هى : مشروع سيناء ، ومشروع للحكم الذاتى فى يهودا والسامرة وقطاع غزة ، واقتراح باعلان للمبادىء فى الاسماعيلية . وهذه الوثائق الثلاث يمكن استخدامها كأساس للمناقشة والمفاوضات ، على أنه يمكن لمصر التقدم بمقترحات مضادة ، ولكنها لم تفعل ذلك حتى الآن » .

كارتر : لكنى لا أستطيع الموافقة على ان القرار رقم ٢٤٢ لا ينطبق على الضفة الغربية . لماذا لا تعلنون صراحة أنكم لا تعنون ذلك ؟ . ذلك ان حساسية السادات تجاه هذه المسألة تماثل حساسيتكم تجاه حائط المبكى . وهو ينظر الى رغبة اسرائيل فى الاحتفاظ بالمستوطنات فى سيناء ، على أنه يعنى عملا عدم الرغبة فى الانسحاب من سيناء . وقد اقترحت عليه قبول بقاء المستوطنات على أن يتم وضعها تحت وصاية الأمم المتحدة . ولكنه رفض ذلك . واذا وافق السادات على المشروع الاسرائيلى، فان هذا سوف يكون حسنا ، ولكن ...

ولم يتردد كارتر فى التصريح برأيه فى هذه المسألة . قال :

كارتر : الحقيقة ان موقف السادات يبدو منطقيا بالنسبة الى . ولقد أصبت بخيبة أمل حين سمعت ان اسرائيل تنظر الى القرار ٢٤٢ بوصفه غير ملزم لها فيما يتعلق بالضفة الغربية . وانا لا أعرف كيف يمكننا الانطلاق من مثل هذا الموقف . ولذلك فانه يجب على ان أطلب رأى الكونجرس » .

وقد نظر الاسرائيليون الى جملة كارتر الأخيرة بوصفها تمثل تهديدا واضحا .

بيجين : أن السادات لم يعرض علينا قط أن تبقى المستوطنات فى قطاع الأمم المتحدة ، أو تحت وصاية الأمم المتحدة . كل ما طلبه منا هو اخلاء هذه المستوطنات . بل أنه قال فى البداية ان هذه يجب اشعال النار فيها . ثم عاد ، بعد ذلك ، مصححا نفسه ، وقال أنه يجب علينا الا نفكها . وقد كان السادات على علم تام بموقفنا وبنيتنا فى الابقاء على المستوطنات فى سيناء حتى قبل زيارته للقدس .. ولقد ذهلت حين سمعت بذلك من دايان . ولقد سمع السادات رأينا فى هذه المسألة ، مرة أخرى عند زيارته للقدس . ولقد كان رده بمثابة انذار ، فقد قال : فكوا المستوطنات » .

كانت حدة نبرات بيجين تعلو باطراد . فقد كان قد تبين بوضوح ان الفجوة قد بلغت أقصى درجات اتساعها ، وقرر أن يكون رده على ذلك عدوانيا ، وأن يهاجم كل من كارتر والسادات . واستطرد قائلا :

ــ « أما فيما يتعلق بمواقف السادات الأخرى ، فانه وفقا يتعلق بأن المصريين لا يريدون اقامة دولة فلسطينية . بالانسحاب الكامل ، كما يطالبون أيضا بحق تقرير المصير للفلسطينيين فى يهودا والسامرة وقطاع غزة . ونحن ننظر الى هذا على أنه يعنى ان المصريين يطالبون باقامة دولة فلسطينية » .

كان بيجين ، فى حقيقة الأمر ، لمح لكارتر بأنه ــ أى كارتر ــ

لا يعرف ما يتحـــدث عنه . وحاول أن يفنـــد ما قاله كارتر فيما يتعلق بأن المصريين لا يريدون اقامة دولة فلسطينية .

كارتر : أنت على حق فيما يتعلـق بالمستوطنات في سيناء . فبالرغم من طلباتي المتكررة ، فان الســادات رفض أن تنازل ، وأن يوافق على ابقاء المستوطنات تحت وصاية الأمم المتحدة. أما فيما يتعلق بالفلسطينيين ، فان موقفه هو ان المسألة يجـب تسويتها عن طريق المباحثات .

فانس : لقـــد كنا نأمل أن تلقى صيغة اسوان بشأن حــق الفلسطينيين في المشاركة في تقرير مستقبلهم — ان تلقى القبـــول بخصوص هذه المسألة . ولا اظن ان ذلك يعني المطالبة باقامة دولة فلسطينية مستقلة .

كارتر : (الى بيجين) انني لا أحاول انتقاد موقفكم . فالحيقة ان المقترحات التي تقدمتم بهـــا تتسم بالشـــجاعة والنيل . ولكن ما حدث في الواقع هو أن المباحثات قد توقفت بعد زيارة السادات للقدس . ونحن نحاول التوصل الى لغة مشتركة . وربما كان من الممكن تحقيق ذلك في اطار مقترحات امريكية تنص على أن اسرائيل لن تنسحب انسحابا كاملا من الضفة الغربية ، وان مصر لن تطالب باقامة دولة فلسطينية . وأود أن اقول لك ان أعظم ما مررت به من تجارب خلال فترة رئاستي كانت عندما عقدت أنت والسادات مباحثات مباشرة بدون حضوري ..

بيجين : اريد منك ، عندما تقابل أعضاء الكونجرس اليوم وغدا ، أن تقول لهم ما قلته لنا الآن بشأن مقترحاتنا . . . أي أنها تتسم بالشـــجاعة .

كارتر : سوف اقول لهم ذلك بالتأكيد . انها بالقطع خطـــوة رئيسية الى الأمام(٦) .

***

فى المساء ، التقى كارتر بأعضاء لجنة الشئون الدولية التابعة للكونجرس ، وصور لهم موقف اسرائيل بشكل سلبى ، يشابه تصويره لهذا الموقف لبيجين فى صباح ذلك اليوم . وشن الأمريكيون هجوما منسقا . وأخذت الأنباء تتسرب من البيت الأبيض ومن وزارة الخارجية حول العناد الاسرائيلى الذى لا معنى له ، وعن كيف ان بيجين قد أصبح يمثل عقبة فى طريق السلام .

***

وقال دايان عقب نهاية الاجتماعات الكئيبة مع كارتر ومستشاروه :

— صوروا لأنفسكم ما سوف يقوله الجيل القادم . سوف يقول هذا الجيل ، لقد ضاع السلام بسبب وضع كلمات قليلة كان يجب ايرادها فى اعلان المبادىء . ولن يغفر الجيل القادم لنا ذلك ابدا . ولكن هل سوف تغفر لنا الأجيال القادمة اذا نحن تخلينا عن الضفة الغربية ؟ .

ودفعت الأزمة مع الولايات المتحدة عددا من المسئولين الاسرائيليين الى محاولة طرد كارتر من لصورة ، والى التحرك مرة أخرى فى اتجاه عقد مفاوضات مباشرة مع مصر . ولم يكن دايان يؤمن بامكانية تحقيق ذلك . فهو يؤمن ، منذ البداية ، بأنه لا يمكن تحقيق أى تقدم فى المفاوضات بدون مساعدة الولاات المتحدة . ولكن وايزمان كان يرى عكس ذلك ، وقد عبر آراءه بشأن ذلك علنا عدة مرات . فقد صرح ذات مرة :

— « لقد ظللنا ٣٠ عاما نقول انه لا يوجد أحد نتحدث اليه . والآن وبعد أن حصلنا أخيرا على من نتحدث اليه ، أخذنا نجرى وراء الولايات المتحدة » .

... ...

فى نهاية شهر مارس عام ١٩٧٨ ، عقب عودة بيجين من

زيارته للولايات المتحدة بقليل ، اتيحت لوايزمان فرصة استئناف المباحثات المباشرة مع مصر . ولم يكن وايزمان يتوقع أن يعلن المصريون عن دعوته لزيارة القاهرة . فقد كان جيش الدفاع الاسرائيلى لايزال يواصل عملياته العسكرية فى جنوب لبنان . ولقد أصابت الدعوة التى تلقاها من اللواء الجمسى ، وزير الحربية المصرى ، زملاءه الوزراء بدهشة بالغة . أما وايزمان ، فقد نظر الى هذه الدعوة بوصفها علامة مشجعة . فلم تكن دعوته للقاء السادات ، بالرغم من العملية العسكرية الاسرائيلية فى لبنان ، بالأمر الذى يمكن الاستهانة به . فقد كان على السادات أن يفسر هذا للعالم العربى . وزيادة على ذلك ، فقد كان مجلس جامعة الدول العربية يعقد جلساته فى القاهرة فى نفس هذا الوقت .

كانت مكانة وايزمان فى الحكومة الاسرائيلية موضع خلافات كثيرة . فقد كان يتهم بأنه يستخرج نتائج سياسية أساسية من محادثات عابرة . وكان عدد من زملائه فى الحكومة يقولون فى أحاديثهم الخاصة ان المصريين قد « أخذوا عقل » وايزمان . وقرر وايزمان ، ادراكا منه لما يحيط بصحة أحكامه من شكوك ، أن يصحب معه الى القاهرة « أهارون باراك » ، المستشار القانونى للحكومة . فقد كان « باراك » قد شارك بشكل فعال فى كافة مراحل المفاوضات . وأراد وايزمان أن يكون الى جانبه شاهد مقبول من جميع الأطراف . وكان وايزمان يرى أنه من المهم أن يضع « باراك » توقيعه على البيان الختامى للمباحثات .

واستقبل المصريون وايزمان لدى وصوله الى القاهرة فى ٣٠ مارس ١٩٧٨ ، بحفاوة بالغة . ونقل التليفزيون مراسم استقباله ، ثم استقل هو ومساعدوه طائرة هليوكوبتر خاصة ، مجهزة بمقاعد وثيرة ، نقلتهم الى قصر القناطر الخيرية ، حيث

كان السادات فى استقباله .

... ...

شد وايزمان على يد السادات الممدودة لمصافحته ، ثم أخذ شهيقا قويا ، وسأله ، وهو يبتسم :

ـ أراميس ؟ .

وقال السادات وهو يبادله الابتسام :

كان وايزمان قد نجح فى معرفة عطر ما بعد الحلاقة الذى يستخدمه السادات .

وبدأ السادات الحديث قائلا :

ـ ان أهم شىء هو صدور اعلان واضح يشير الى موافقتكم على مبدأ الانسحاب الشامل .. وأنا أعدك انه بعد صدور مثل هذا الاعلان ، اننا سوف نتمكن من التوصل الى حلول لكافة المشكلات ، حتى تلك التى تبدو بالغة التعقيد فى الوقت الحاضر .

ووضع الرئيس المصرى صدور هذا الاعلان شرطا لاستئناف المفاوضات ..

وايزمان : انك تطلب انسحابا كاملا من كافة الأراضى ، ولكنه من المستحيل تحقيق مثل هذا الانسحاب الكامل . فليس هناك حزب واحد فى اسرائيل ، باستثناء الشيوعيين ، يمكن أن يوافق على ذلك .

السادات : يكفى أن تقولوا انكم مستعدون للانسحاب .

ويزمان : لن يمكن تمرير ذلك .. ولكننا نستطيع الحديث عن اعلان بالنوايا المشتركة . واقترح مناقشة هذا الموضوع مع دايان . فمن المجدى له أن يكون على اتصال بكم بشأن هذه المسألة .

السادات : لا أعتقد ان تلك فكرة جيدة . ليس بعد ، على

اية حال . فالوقت لم يحن بعد كى أستطيع مقابلة دايان . ان دايان لا يحفظ السر .

وايزمان : لا ، ليس الأمر كذلك .

كان وايزمان قد طلب بالفعل ادخال دايان فى مباحثات مباشرة بين مصر واسرائيل . فقد كان يعتقد أن قيام دايان بزيارة القاهرة سوف يغير من آراءه . ولكن المصريون رفضوا توجيه الدعوة الى وزير الخارجية الاسرائيلى ، حتى بعد أن ألح دايان عن طريق قنواته الخاصة برغبته فى زيارة القاهرة .

السادات : يجب ان تعرف أن لا يمكن أن يكون هناك حديث عن توقيع اتفاق منفصل بين مصر واسرائيل . ذلك أن مثل هذا الاتفاق لن يكون له فائدة لأى جانب منا .

وايزمان : نحن لا نتحدث عن اتفاق منفصل ، وانما عن اتفاق أول . وبعد ذلك يمكن عقد اتفاقيات اخرى .

وتحول الحديث الى العملية العسكرية التى كان الجيش الاسرائيلى يقوم بها فى جنوب لبنان . وشرح وايزمان الموقف للسادات .

السادات : ان هذه العملية العسكرية تضعنى فى موقف حرج .

وايزمان : لقد كنت أنت أيضا ضحية لنشاطات منظمة التحرير الاجرامية . ولقد كان اغتيال رئيس تحرير جريدة الأهرام (أى يوسف السباعى) عملا بشعا بكل المقاييس .

السادات : لقد شطبت اسم منظمة التحرير من قاموسى السياسى .

وحاول وايزمان ، بعد أن سمع الرئيس المصرى يتحدث عن منظمة عرفات بهذه الحدة ، أن يستفيد من هذه الفرصة :

وايزمان : هل يعنى ذلك انك تقبل معارضتنا لاقامة دولة فلسطينية مستقلة ؟ .

السادات : نعم، ان الأمر كذلك. ولكن لاتقل ذلك لبيجين تحت أى ظرف من الظروف ، لأنه سوف يعلن ذلك على الفور للعالم أجمع . وما نحن بحاجة اليه هو اعطاء انطباع طيب . يجب أن تبدوا فى صورة حسنة عن طريق اعلان بالمبادىء ، وعن طريق ابداء رغبتكم فى الا نسحاب . وسوف نعطيكم ، عندئذ ، كل ما تحتاجون اليه .

وايزمان : وما هو موقفكم من قيام اليهود بشراء الأراضى فى الضفة الغربية ؟ .

السادات : اذا شاء عربى أن يبيع لكم أرضه بشكل فردى ، فليس لدى اعتراض على ذلك .

باراك : هناك أيضا مسألة اللاجئين الذين يريدون العودة الى ديارهم .

السادات : سوف يكون ذلك أيضا موضع استفتاء ، حسب ما هو مقترح فى مشروع الحكم الذاتى .

قال وايزمان للسادات ان اسرائيل ترفض فكرة اجراء استفتاء فى الضفة الغربية . وأعرب السادات عن استعداده لاستبدال الاستفتاء باجراء انتخابات . كما وافق أيضا على أن اسرائيل يمكنها ، فى الوقت الحالى ، الابقاء على وجودها العسكرى فى الضفة الغربية ، « على أنه يجب أن تتكون قوة الشرطة من السكان الفلسطينيين » . كذلك أعلن السادات عن استعداده للموافقة على ابقاء المستوطنات الفلسطينية فى الضفة الغربية كما هى .

كانت الدهشة التى أصابت كل من وايزمان وباراك ممزوجة بالاغتباط . وكان باراك يحاول تسجيل كل كل كلمة تخرج من بين شفتى السادات ، وكان يستوضح منه بعض التفاصيل بين الحين والآخر . وكان السادات ــ الذى بدا متوترا وعصبيا

بشكل خاص — يكرر كلمـــاته مرة بعد خرى ، وذلك كى يكـــون ســـجل الجلسة دقيقاً .

وقال وايزمان للسادات :

— « يجب أن نجد طريقة ما ، يمكن أن توصلنا الى حيث تكون أنت أول من يوقـــع معـــاهدة سلام معنا ، دون أن يؤدى ذلك الى الاضرار بمكانتك » .

ولكن بالرغم من تلميحاته الواضـــــحة بشأن تنــــازلات محددة ، فان السادات لم يترك مجـــالا للشك فى حقيقة موقفه . فهو قد يكون على استعداد كى يغمض عينيه عن بعض الأمور ، وأن يتنازل بشأن بعضها الآخر ، ولكن موقفه الأساسى لم يتغير . فقد قال لوايزمان :

— « لن يكون هنـــاك سلام بدون التوصل الى حل للمشكلة الفلسطينية ، حتى لو نجحنا فى التوصل الى حل لمشـــكلة سيناء . اننى أتفهم دواعى قلقكم . وأنا أدرك المشـــــكلة الأمنيـــة التى تواجهها اسرائيل ، وان هذه المشـــكلة هى مسألة حيـــاة أو موت بالنسبة اليها . ولكن عقد اتفاقية منفصلة لن يجلب لنا السلام » .

وايزمان : يجب أن تتفهم أكثر ما يساورنا من مشاعر عـــدم الأمان . ان الاسرائيلى العادى لا يشعر بالأمن » .

السادات : ليس هنـــاك مواطن عربى فى أى دولة عربيـــة يستطيع أن يقـــدم لـــكم نوع الصداقة التى يقدمها لكم المصريون . أرجوك ، لا توقـــع بى الأذى . ويكفيكم ما ســـوف تلاقونه من السوريين » .

وايزمان : وفقـــا لمقترحاتكم ، من الذى ســـوف تكون لـــه السيطرة على الضفة الغربية ؟ .

السادات : يجب أن أقـــول لشعبى اننى نجحت فى تحقيـــق انسحاب اليهـــود من الضفة الغربية واذا اشـــتركت الأردن فى

المفاوضات ، فسوف تكون هنـاك الأردن وممثلين عن السكان وأنتم » .

وايزمان : لن تكون هنـاك دولة فلسطينية ؟ .

السادات : تماما ، انا أقول لن تكون هناك دولة فلسطينية، وسوف يكون هنـاك عدد قليل من النقاط العسكرية الاسرائيلية فى المنطقة . ويجب أن نعود الى ما كان عليـه الموقف قبل عـام ١٩٦٧ . سـوف نربط الضـفة الغربية بالأردن ، وتربط قطـاع غزة بمصر . أما الدولة الفلسطينية ، فان عليها أن تنتظر » .

بدا كما لو أنهم كانوا على وشك العثور على منفذ فى الطريق المسدود . وامتلأت نفس وايزمان بآمال عراض . فقـد سمع من السادات أشياء لم يقلها أحد من قبل . ولكنه تعرض ، خلال اجتماعه فى نفس اليـوم مع مصطفى خليل أمين الحزب الحـاكم وأحـد الأصدقاء المقربين الى السـادات ــ تعرض الى هجوم حاد منه حـول الحملة العسكرية الاسرائيلية فى جنوب لبنـان . وكان وايزمان يعرف أن مصطفى خليـل سوف يتم تعيينه رئيسا للوزراء فى المستقبل القريب جـدا ، وكانت عباراته أكثر قسوة بكثير من عبارات كل من السادات واللواء الجمسى . وبعد انتهاء اجتماعهما، انضما معـا الى اجتماع آخر كان يعقده اللواء الجمسى مع باراك . وقال اللواء الجمسى لضيوفه انه يمكن الابقـاء على المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية كما هى ، وان مصر لن تعترض على ذلك ، بل ولن تعترض أيضـا على اقامة مسـتوطنات اسرائيلية اضافية فى الضفة الغربية ، بشرط أن تقـام هـذه المستوطنات الاضافية على أراضى مملوكة ملكية خاصة ، وأن يتم شراءها وفق الأسـعار السائدة فى السوق . على أن مصر سوف تعترض على مصـادرة الأراضى . وقـال الجمسى أيضـا ان مسألة اقـامة مستوطنات اسرائيلية على أراضى تملكها الدولة فى الضفة الغربية

يجب تركها للمجلس الذى سوف يتولى شئون الحكم الذاتى .
وأضاف اللواء الجمسى انه يعتقد أن اسرائيل تستطيع أن تشترى الأراضى التى تملكها الدولة فى الضفة الغربية ، تماما كما يستطيع العرب ذلك .

. ...

فى صباح اليوم التالى ، دق جرس التليفون فى غرفة وايزمان. وتولى مساعده : دافيد كوليتز الرد . وأبلغ وايزمان الرسالة التى تلقاها عبر الأسلاك ، والتى كانت تقول : يرغب السادات فى الالتقاء بوايزمان مرة أخرى . الرجاء أن يكون ذلك فورا ، اذا أمكن » .

كان وايزمان ينوى العودة بالطائرة الى اسرائيل خلال ساعة . ذلك انه افترض أن اتصالاته بالسادات سوف تستأنف فى المستقبل القريب . ولكن سرعان ما قدم اللواء الجمسى لاصطحابه الى اجتماع آخر سوف يعقد بعد نصف ساعة .

وجد وايزمان السادات قلقا . وكان نائب الرئيس حسنى مبارك قد دعى ، هو واللواء الجمسى لحضور الاجتماع . وبدأ السادات الحديث قائلا لوايزمان انه اجتمع الليلة الماضية مع وفد من الفلسطينيين الذين يمثلون قطاع غزة . واستطرد قائلا لوايزمان :

ـ « لقد تأثرت تأثرا بالغا بما قالوه حول حقوقهم . ولقد أكدوا لى الأهمية البالغة التى ينظرون بها الى ضرورة تمتعهم بحق تقرير المصير . وهذا أمر أساسى . هذا أمر جوهرى. ولا شيء يمكن تحقيقه بغير ذلك . ولذا فقد طلبت منك الحضور اليوم كى أقول لك ان ما قلته لك البارحة لم يعد قائما . ونحن الآن نواجه مشكلة ، وهى ليست بالمشكلة الهينة . وأرى انه لابد من اجراء استفتاء لمواجهة ذلك » .

وهكذا فان ما بدا بالأمس انجـــازا ، أصبح اليوم وكأن لم يكن ، بضربة واحدة .

وايزمان : أنت تعرف ، ياسيادة الرئيس ، ان اسرائيل ترفض فكرة الاستفتاء . وأنت ، ياسيادة الرئيس ، رجل شـــجاع . فلقد طردت الروس من مصر ، وذهبـت الى القـدس ، وقمت بمبادرتك التى لم يكن أحد غيرك يملك المقدرة والجرؤة على المضى قدما فيها . فلماذا لا نســتمر على ما تم الاتفــاق عليه بالأمس بيننا ، وهو ما اقترحته أنت بنفسك ؟ .

السادات : أنا أستطيع أن أقرر الأمور وأن أبرمها . وأنــا لا أؤيد قيــام دولة فلسطينية مستقلة . وكل ما أريد هو اجــراء استفتاء ، واقامة رابطة بين هذه الأراضى وبين الأردن » .

وايزمان : أنت تعلم ، ياسيادة الرئيس ، ان الاستفتاء سوف يؤدى ، فى نهـاية الأمر ، الى اقامة دولة فلسطينية مستقلة . ولذا فعلينا أن نتوصل الى حل عن طريــق المفاوضات . ويجب أن نعقد اتفاقية تتضمن مبدأ يقــرر انه من حق عرب فلســطين المشاركة فى تقرير مصيرهم .

كانت الصياغة التى استخدمها وايزمان تــكاد تكون نفس الصياغة التى وردت فى صيغة أسوان . ولكن السادات كان فارغ الصبر ، ولم يعر ذلك انتباها . بل لقــد أعلن انتهاء الاجتماع قــائلا :

ــ أرجو أن تبلغ تحيــاتى الى الرئيس كاتر ، والى بيجين ، والى يادين ودايان .

... ...

كان وايزمان واللواء الجمسى قد تحدثا مطــولا من قبل حول ما ســوف يحدث فى سيناء عندما تنتهى فترة صلاحية قــوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة فى شهر أكتوبر عام ١٩٧٨ . والآن ،

وعند نهـــاية اجتماعه الأخير بالرئيس المصرى ، حـــدق وايزمان فى عينى السادات ، وأحس فجـــأة بشعور لا يبعث على الغبطة . فبالرغم من ايمانه برغبة الرجل فى السلام ، فان وايزمان شـــعر بالخوف من أن يغرى انتهـــاء مدة صلاحية قوات الطوارىء الدولية السادات بالقيـــام بتحرك عسكرى استعراضى ، اعتقادا منـــه بأن ذلك سوف يدفـــع بعجلة المفاوضات الى الأمام . وقد سبب تغيير السادات المفاجىء لموقفه انزعاجا بالغـــا فى نفس وايزمان . وقد زعم مساعدوا وايزامان ، فيما بعد ، انه لم يكن هناك وفـــد فلسطينى فى القاهرة فى تلك الليلة ، وان الســـادات استخدم ذلك كمجرد حجة لتغيير رأيه . ولم يستطع الاسرائيليون التـــأكد من حقيقة الأمر ، وهل عدل السادات عن مواقفه السابقة نتيجـــة اعادة التفكير فيها ، أو أن الأمر برمته كان مدبرا بشكل مسبق .

وفى جميع الأحـــوال ، فقد قرر وايزمان ان اسرائيل يجب أن تلتزم الحرص البالغ (٧) .

هوامش الفصل السابع عشر

(١) يقول كارتر بشأن زيارة السادات لواشنطون فى فبراير ١٩٧٨ هذه ، ناقلا عن يومياته :

« قررنا أن نرسل للسادات دعوة للقدوم الى هنا لمقابلتى ، وربما لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فى كامب دافيــد — وكذلك لكى نجمع بين السادات وبيجين هنا فى حالة انهيار المباحثات السياسية والعسكرية — اليوميات ، ٢٣ يناير ١٩٧٨ » .

ثم يستطرد كارتر كى يعرض لترتيبات هذه الزيارة بقوله :

« طلبت من كسينجر ان يأتى لمقابلتى وتناول طعام الغذاء مع روزالين ومعى ، حتى استطيع أن أبلغه بخططنا العاجلة . وقد وافق كسينجر على تحليلى ومعالجتى للوضع ، ولكنه حذرنى أن يصــدر عن (اجتماع) كامب دافيد (المقبل) أية اشارة تفيد التوصل الى اتفاق جوهرى بين السادات وبيغن ، لأن ذلك (سوف يثير مخاوف الاسرائيليين) ويضعهم فى موضع الدفاع . وأوصانى بأن أبذل كل ما استطيع كى اقنع السادات باننا لن نتركه يقف وحيدا ، واننــا سوف نضع كل ثقتنا من أجل التوصل الى تسوية . ولم يكن (كسينجر) يعتقــد ان بيجين ينوى على الاطلاق التخلى عن الضــفة الغربية أو اجلاء المستوطنين الاسرائيليين . ولكنه كان يعتقد ان هــؤلاء

المستوطنين سوف يجلون فى النهاية بمحض اختيارهم اذا وضعوا تحت الحماية المصرية . وقد ساعدنى هذا النقاش فى اعدادى لزيارة السادات)) .

((... وعندما وصل أنور وجيهان السادات ، ذهبنا معهما ، أنا وروزالين الى كامب دافيد ، التى تبعد ٣٥ دقيقة بالطائرة (عن واشنطون) . وكانت المنطقة التى تغطيها الثلوج تبدو ساحرة ، وظننت انهما سوف يستمتعان بقطع المسافة بين مكان الهبوط وكوخنا ، والتى لا تزيد عن بضع مئات من الياردات ، سيرا على الأقدام . ولكن ذلك لم يكن صحيحا ... وحين وصلنا الى مدفأتنا ، كان السادات يشعر بالبرد وبقلق بالغ بشأن صحته . وحين بدأ الدفء يدب فى أوصالنا ، قالا انهما يشعران بالانهاك بعد رحلتهما الطويلة من القاهرة الى المغرب ومنها الى واشنطون . فتناولنا عشاءا سريعا ، وسرعان ما أويا الى فراشهما فى ساعة مبكرة للغاية)) .

((وفى صباح اليوم التالى ، ٤ فبراير ، عقدنا مباحثات مطولة ، وكان السادات هو المتحدث اغلب الوقت . وقد استعرض ، فى البداية ، الأحداث الأخيرة ، واشار الى لقائنا الأول فى شهر أبريل الماضى ، عندما قال لى إنه لن يحدث أبدا ونحن أحياء أن يوافق عربى على تعريفى للسلام ويقيم علاقات دبلوماسية وتجارية طبيعية مع اسرائيل . وذكرنى بالمذكرة المكتوبة بخط اليد التى أرسلتها اليه فى الخريف الماضى ، والتى حثثته فيها على القيام بعمل درامى لدفع عجلة التقدم صوب السلام ، لأننا كنا ، آنذاك ، غارقين حتى اذاننا فى التفاصيل . وبينما كان يواصل كلامه ، بدأت اتوقع أن ينتهى حديثه نهاية سيئة ، ولكننى قررت أن لا اقاطعه . وعلى خلاف عادته ، كان السادات يرجع الى بضع ملاحظات مكتوبة على قطعة صغيرة من الورق . وكان من الواضح انه قام هو ومساعدوه باعداد ملاحظات بشكل رسمى اكثر من المعتاد)) .

«... وقال السادات انه قدم لى ، بتشجيع من (اسماعيل) فهمى باقتراح بعقد اجتماع للقوى الخمس الكبرى فى القدس ، واننى رفضت هذا الاقتراح ، ولكنه ، على اية حال ، لم يعد يهتم به . ثم اخذ يعدد الأشياء التى تريدها اسرائيل بالفعل : مفاوضات مباشرة مع القادة العرب ، الاعتراف بها بوصفها كيانا دائما فى الشرق الأوسط ، وأن تعيش فى سلام .. سلام حقيقى . وقال ان الاسرائيليين لم يكونوا يحلمون أبدا بأن توافق مصر على هذه الأشياء ولكنه قرر أن يحقق ، بضربة واحدة ، كل هذه الرغبات الاسرائيلية . وقال انه يظن ان مبادرته بالذهاب الى القدس قد اخذت الاسرائيليين على غرة ، وانهم لم يكونوا جاهزين للسلام ، وربما لازالوا كذلك حتى الآن . وقال (السادات) ان الوهم قد انقشع عنه تماما فى الاسماعيلية بسبب موقف بيجين « السخيف » ، وانه عندما اقترح بيجين تشكيل لجنة سياسية ولجنة عسكرية ، وافق السادات حتى قبل ان يدخلا قاعة الاجتماعات . وعندما اثار بيجين مسألة المستوطنات فى سيناء ، ظن السادات بالفعل ان الأمر لا يعدو أن يكون مجرد فكاهة . ثم عندما كشف بيجين عن مشروعه للحكم الذاتى ، والذى كان يختلف تماما عن مشروعه الذى قدم لى ولرئيس الوزراء كالاهان خطوطه العامة ، كان من الواضح ان مصر لا تستطيع ان تقبله . وقال (السادات) ان بيجين متشبث بمشروعه ، وانه قال للسادات انه سوف يغادر (الاسماعيلية) بعد ظهر ذلك اليوم ، ولكن السادات اقنعه بالبقاء حتى صباح اليوم التالى ، وانهما اصدرا بيانا مشتركا للصحف ، اشار الى اختلاف موقفيهما » .

« وكانت المرارة البالغة تبدو على السادات وهو يعرض لسلوك بيجين منذ عودته من زيارته لمصر . وقال ان رئيس الوزراء (بيجين) رفض ما نصحه به دايان وويزمان باتخاذ موقف معتدل ، وانه استسلم لضغوط وزير الزراعة ارييل شارون ، الذى كان

نادى الصحافة القومية ان مصر ستوقف اشتراكها فى المباحثات فى الضفة الغربية ، وانه مقتنع بأن بيجين لا يريد السلام » .

« ثم أخطرنى السادات بأنه سوف يعلن يوم الاثنين القادم فى نادى الصحافة القومية ان مصر ستوقف اشتراكها فى المباحثات السياسية والعسكرية ، وان مصر أعطت اسرائيل كل ما كانت تحلم به منذ عام مضى ، وان ١٠٠ مليون عربى — اى ٩٠٪ من تعداد العالم العربى — يقفون وراءه . وقد أوضحت له ، فيما بعد ، وبمساعدة فانس وبرزيزنسكى ومونديل ان تلك سوف تكون ضربة بالغة الخطورة ، وان ذلك سوف يجعل بيجين يبدو فى صورة طيبة ، بينما سيبدو السادات وكأنه يعرقل السلام » .

« واخيرا تمكنت من اقناعه بأن يضع بيانه هذا بشكل ايجابى ، وأن يقول أنه سوف يستأنف المباحثات بشرط أن يقبل بيجين قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بكامله ، وان لا يتشبث بالمستوطنات غير الشرعية ، وما الى ذلك . وقضينا ، أنا وهو ، وقتا طويلا نستعرض القضايا القديمة ، بما فى ذلك تفاصيل متطلبات الأمن لاسرائيل . وحاولت اقناعه بالسماح لبعض الاسرائيليين بالبقاء فى مستوطنات سيناء تحت حماية الأمم المتحدة . ولكنه رفض ذلك ، رغم أنه كان مرنا تماما فيما يتعلق بكافة النقاط الأخرى . فقد وافق على ابقاء الجزء الأكبر من القوات المسلحة المصرية غربى الممرات ، الأمر الذى يعنى ، من الناحية العملية ، نزع سلاح القسم الأكبر من سيناء . ورغم انه لم يكن يريد تقسيم القدس ، فقد قال أنه يجب أن تكون هناك سيادة مشتركة على المنطقة التى توجد بها المواقع الدينية » .

« وعند انتهاء محادثاتنا ، كنت أشعر بقدر معقول من الثقة ان خطابه المقبل فى نادى الصحافة لن تكون له آثار سيئة بشكل خاص . ولم يخيب (السادات) ظنى . وقد سر السادات عندما أبلغته اننى سوف ألتقى بدايان قريبا ، واننى سوف أدعو بيجين

للاجتماع بى فى الربيع القادم . ووعدنى باعداد مسودة مقترحات للرد على مقترحات بيجين ، ولكنه قال انها لن تكون تفصيلية مثل مقترحات رئيس الوزراء (الاسرائيلى))) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ص ٣٠٥ ــ ٣٠٨) .

... ...

(٢) قد يكون استخدام المؤلفون لتعبير ((عملية عسكرية)) راجعا لتورعهم عن استخدام كلمة ((غــزو)) ــ ذات السمــعة السيئة ، والوحيدة فى نفس الوقت التى تصف ما حــدث على وجه الدقــة .

... ...

(٣) أقيمت محطة الاتصــالات اللاسلكية هــذه عقب مؤتمر الاسماعيلية .

... ...

(٥) يقول سايروس فانس عن هــذه المباحثات :

((جاءت زيارة بيجين الى واشنطون فى شهر مارس فى فتــرة يحفها جو من التوتر البــالغ . كما كنا نتوقع أيضــا أن تزيد حدة هذا التوتر ، حيث انه كان فى نيتنا أن نعيد تأكيد وجهة نظــرنا بأن العنــاصر الأساسية لأى تسوية هى انسحاب القوات الاسرائيلية على جميع الجبهات فى مقابل الســلام الكامل والأمن لاسرائيل . وزيادة على ذلك ، فقد كان رفضنا الرضوخ للضغوط الاسرائيليــة لالغــاء صفقات بيع الطائرات المقترحة لمصر والمملكة السعودية ، قد أدى الى تصاعد حدة التوتر القــائم . وكنا قد شرعنا ، لمواجهة عاصفة النقد المتوقعة ضد الإدارة (الأمريكية) بادعاء ((تحيزها)) للعرب ، فى تنفيذ برنامج من الاجتماعات والاستشارات المكثفة مع الكونجرس فى الأسابيع المقبلة ، لشرح القضايا وما أعددناه من خطط لمعالجتها .

وفى هذه الاتصالات مع الكونجرس ، والتى سبقت وصول بيجين ، كان أحد المواضيع الأساسية التى تمت مناقشتها ، هو السجل التاريخى لاصدار القرار رقم ٢٤٢ ، والموقف الأمريكى الذى كان يطالب بالانسحاب على جميع الجبهات)) .

((وكانت تقديراتنا ، عشية وصول بيجين الى واشنطون ، هى ان اسرائيل ترغب فى عقد معاهدة سلام ثنائية مع مصر ، تتضمن اقل قدر ممكن من القضايا المتعلقة بالمسألة الفلسطينية . وكنا نعتقد أن اسرائيل لن تتزحزح عن موقفها الحالى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ما لم تقتنع بان السادات لن يوقع اتفاقية سلام معها بدون أحداث هذه التغيرات . وفى مجرى اعدادنا للمباحثات المقبلة ، اقترحت على الرئيس انه اذا لم تحرز المباحثات التقدم الضرورى كما اتوقع ، فان علينا ان نتقدم الى الجانب الاسرائيلى باسئلة مكتوبة ، وذلك فى محاولة للحصول على اجابات محددة منهم)) .

((وقد أوصيت ، للتقليل من حدة المواجهة ، ان تقدم الولايات المتحدة لبيجين عددا من الضمانات ، فى حالة موافقته الصريحة على ان القرار رقم ٢٤٢ يقضى بالانسحاب على جميع الجبهات ، بما فى ذلك الضفة الغربية . وفى حالة موافقته ، فاننا سوف نعلن تاييدنا لان يكون الانسحاب مشروطا باعداد ترتيبات مرضية لحماية امن اسرائيل . كذلك فاننا سوف نعارض اقامة دولة فلسطينية ، او تواجد اى قوة عسكرية معادية فى الضفة الغربية وقطاع غزة . وبالاضافة الى ذلك ، فاننا سوف نؤيد احداث التعديلات المحدودة الضرورية فى الحدود النهائية لضمان امن اسرائيل . واخيرا ، فاننا سوف نحاول مرة اخرى اقناع السادات باستئناف المباحثات المباشرة ، وادخال (الملك) حسين فى هذه المباحثات ، والحصول على تاييد السعودية لها ، والعمل على اقامة نظام مؤقت يتيح ابقاء جانب من قوات الدفاع الاسرائيلية الموجودة فى الضفة الغربية)) .

((وقد سبقت المباحثات التى قام بها بيجين ، عقد مباحثات

تمهيدية فى الفترة من ٩ الى ١٠ مارس بين وزير الدفـــاع الاسرائيلى ايزير وايزمان ، (عن الجـانب الاسرائيلى) وبين هارولد براون (وزير الدفـــاع الامريكى) وبينى (عن الجانب الامريكى) . وقـــد حذرنا ويزمان من انه ما لم نخفف شيئا ما من موقفنا فيما يتعلـــــق بالمستوطنات وبالقرار ٢٤٢ ، فانه من المؤكد ان يحدث صدام أساسى بيننا وبين بيجين ، يمكن ان يؤدى الى انهيـــار جهود الســـــلام . وحثنا وايزمان أن نخفف من حدة التوتر ، عن طريق اعطاء اسرائيل التزامات جديدة بالمساعدات العسكرية ، وبفصل عمليـــة بيـــع الطائرات الحربية الى اسرائيل عن صفقة السلاح الشرق اوسطية . وعندما رفضت تجزئة الصفقة ، اقترح وايزمان أن تمد اسرائيل بمزيد من الطائرات الحربية المتقدمة ((لموازنة)) الموقف . وقد سألته اذا كانت اسرائيل ســـوف تعـــدل عن معارضتها لصفقتى السلام لمصر والسعودية اذا وافقنا على اقتراحه ، فأجاب بالسلب)) .

((وقد كان من المقـــرر ، فى البداية ، أن يجتمع بيجين بالرئيس (الأمريكى) فى الفتـــرة من ١٤ الى ١٥ مارس . ولكن عندما كان بيجين على وشك مغادرة اسرائيل ، شن ارهابيون فلسطينيون يتمركزون فى لبنـــان هجوما اجراميا على اسرائيل ، وقتلوا عـــددا من المدنيين* . وأرسل بيجين رسالة الى كارتر يخطره فيها بأن قوات جيش الدفـــاع الاسرائيلى سوف تتحرك الى داخل الجنوب اللبنانى لتدمير قواعد منظمة التحـــرير الفلسطينية هناك ، وان موعد وصوله الى واشنطون سوف يتأجل ، لذلك ، عدة أيام . والواقـــع أن الضربة الاسرائيلية المضادة كانت أكبر من مجـــرد عملية ثأرية عادية . وانما كانت عمليـــة عسكرية واسعة النطـــاق ، نتج عنها

---

* دابت الجهزة الاعلام الغربية على استخدام تعبير ((مدنى)) وكذلك كلمـــة ((نساء)) عند الحـــــديث عن عمليـــات الفدائيين الفلسطينيين داخل اسرائيل (وكثيرا ما تنساق وراءها ، فى هـــذا المقـــام ، اجهزة الاعلام المحلية) . واستخدام هذا التعبير وهـــذه الكلمة ، على هذا النحـــو ، مضلل تماما . ذلك ان مواطنى دولـــة الاستيطان الصهيونى ، رجـــالا ونساء ، ومن سن ١٨ عاما الى سن ٥٠ عاما ، يتم استدعائهم الى الخدمة لجيش الدفاع الاسرائيلى .

ان اصبحت معظم الأراضي اللبنانية بجنوبى نهـر الليطانى تحـت السيطرة الاسرائيلية المؤقتة . وقد أتاح هـذا الغـزو الفرصـة لاسرائيل لتدعيم وتعزيز الجيب الواقـع جنوبى لبنان الذى تسيطر عليه الميليشيات المسيحية التى يقودها الرائد سـعد حـداد ، وتحويلها الى منطقة عازلة على طول الحـدود الاسرائيلية . وعقب جهود دبلوماسية مكثفة فى مجلس الأمن ، تم ارسال قوات لحفـظ السلام تابعة للأمم المتحدة الى الجنوب اللبنانى ، وانسحبت القوات الاسرائيليـة اصـطلاحيا ، رغم انهـا واصلت دعمها للميليشيات المسيحية . وسـوف تظهر لبنـان فى المستقبل المرة بعد الأخرى على خشبة أحـداث الشرق الأوسط ، لكى تثبت بذلك أن المشكلة اللبنانية جزء لا يتجزأ من عمليـة السلام العربيـة ـ الاسرائيلية الأكبر حجما)) .

((وقد قدمت الأزمة اللبنانية دليلا هاما على ان بيجين يمكن

ان يستجيب اذا أدرك أن الرئيس (الأمريكى) قد عقد العزم على ايقاف تحـرك اسرائيلى يضر بالمصالح الأمريكية ...)) .

((... واصلت اسرائيل انسحابها التدريجى (من جنـوب لبنـان) خـلال شهرى أبريل ومايو . ولكن بعـد ان اعلنت اسرائيل اتمام انسحاب جميع قواتهـا فى ١٣ يونيـو ، وصلتنا معلومات تفيد أن القـوات الاسرائيلية قد تركت لقـوات الرائـد سعد حـداد عددا صغيرا من حاملات الجنود المدرعة وقطـع المدفعيـة . وكانت قوات سـعد حـداد تعوق دخـول قـوات حفظ السـلام التابعة للأمم المتحـدة الى جنوب لبنـان . واذا صحت هذه المعلومات ، فان ذلك يمثل انتهاكا صريحـا لقانون الرقابة على صادرات الأسلحة . وقد سألنا الحكومة الاسرائيلية عن طريق (السفير الأمريكى) فى تل ابيب ، صـموئيل لويس ، اذا كانت قد امدت قوات الرائد سـعد حداد بمعدات عسـكرية أمريكية . وجاءت اجابة الحكومة الاسرائيلية نفيا قاطعا لذلك ، وتأكيدا بأن قوات جيش الدفـاع الاسرائيلى قد حملت معها عنـد انسحابها من جنوب لبنـان كافة الأسلحة الأمريكية الصنع)) .

« ولكننا تأكدنا انه بالرغم من انكار اسرائيل ، فان حاملات الجنود المدرعة وقطع المدفعية التى تستخدمها قوات سعد حداد أمريكية الصنع ، وان جيش الدفاع الاسرائيلى هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن تكون هذه المعدات قد وصلت عن طريقه الى قوات القائد حداد . ولما كانت عملية السلام تمر ، آنذاك ، بمرحلة دقيقة وحرجة ، فقد كان من الضرورى معالجة هذا الأمر بطريقة فورية وحازمة » .

« ولم تكن اهمية الأمر ترجع الى مقدار الأسلحة — التى لم تكن تزيد عن حفنة من قطع المدفعية وحاملات الجنود المدرعة — وإنما كانت تعود الى أهمية المبادىء المتعلقة به . وقد تصرف الرئيس (الأمريكى) بطريقة فورية وحازمة . فأرسلنا رسالة مقتضبة وصريحة الى بيجين تخطره بأنه ما لم يتم استرداد هذه المعدات العسكرية ، فاننا سوف نحيط الكونجرس علما بحدوث انتهاك لقانون الرقابة على صادرات الأسلحة . ولم يكن فى وسع بيجين التغافل عن حقيقة أن الرئيس (الأمريكى) يعنى ما يقول . وكان كارتر قد وجه رسالته تلك الى بيجين شخصيا ، وليس الى الحكومة الاسرائيلية ، وذلك كى يتيح له معالجة الأمر فى هدوء . ولكن عزم الرئيس وإصراره كانا ، رغم ذلك ، واضحين . وبالفعل ، قام بيجين باسترداد هذه المعدات العسكرية على الفور » .

« وقد احدثت الغارة الارهابية ، ورد الفعل العسكرى الاسرائيلى عليها ، تغيرا كبيرا فى الجو السياسى المحيط بمباحثاتنا مع رئيس الوزراء بيجين . ذلك انه قبل ١٥ مارس ، كان بيجين يتخذ موقف الدفاع فيما يتعلق بمسألتى الانسحاب والمستوطنات وذلك بسبب الانتقادات الموجهة الى الموقف الاسرائيلى من هاتين القضيتين من جانب الولايات المتحدة وقطاعات هامة فى الرأى العام الاسرائيلى . ولكن العملية الارهابية دعمت من موقف بيجين ، أو كما أوضحت للرئيس كارتر : قد شتت اهتمام مؤيدى اسرائيل فى الولايات المتحدة من عملية السلام الى القلق على أمن اسرائيل . ولذلك

فقد قضى تقريبا على اى امل فى ان يتزحزح بيجين عن موقفه فيما يتعلق بالضفة الغربية وبالقضايا الفلسطينية)) .

((ومن المحزن ان المباحثات التى دارت بيننا وبين بيجين يومى ٢١ و ٢٢ مارس قد تميزت بطابع التصادم ، ولم تؤد الى اية نتائج ايجابية . فقد رفض بيجين حججنا فيما يتعلق بالقرار رقم ٢٤٢ ، واصر على ان هذا القرار لا يقضى بالانسحاب على الجبهات الثلاث شكلها ، كما حمل السادات مسؤولية انهيار مباحثات (اللجنة السياسية) فى شهر يناير (١٩٧٨) . وقد عرض الرئيس (الأمريكى) فهمه للموقف المصرى ، وأكد ان السادات لا يصر لا على الانسحاب الى حدود ما قبل ١٩٦٧ على الضفة الغربية بدون تعديلات ، ولا على اقامة دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربيه وقطاع غزة . ولم يستطع الرئيس (الأمريكى) ان يخفى حنقه عندما قال بحدة انه لا يستطيع ان يفهم لماذا يواصل الطرفان اللجاج حول معانى الألفاظ ، فى الوقت الذى توشك فيه فرص السلام على الضياع . وعاد (الرئيس الأمريكى) يؤكد مرة اخرى ان السادات مستعد للتفاوض حول السلام مع اسرائيل حتى ولو اصر الأردن على موقفه الحالى ، وذلك شريطة ان توافق اسرائيل على الانسحاب على جميع الجبهات ، وان تتسم مباحثاتها حول المسالة الفلسطينية بالجدية)) .

((وقد اختتمت محادثات اليوم الأول عندما اعلن كارتر فى صرامة انه يعتقد ان نيات اسرائيل الواضحة فى الاحتفاظ بسيطرتها على الضفة الغربية بشكل دائم تمثل العقبة الرئيسية فى طريق السلام، كما حذر بيجين بانه ما لم يتمسك بفرصة السلام المتاحة حاليا ، فان هذه الفرصة سرعان ما سوف تضيع)) .

(سيروس فانس ــ ((خيارات صعبة)) ، ١٩٨٣ ، سموند اند شوستر ، نيويورك ، نقلا عن مجلة ((الشئون الأمريكية ــ العربية)) ، عدد رقم ٥، صيف ١٩٨٣ ، ص ص ١٦٧ ــ ١٧٠) .

كذلك تتفق رواية موشيه دايان مع رواية وزير الخارجية الأمريكي الأسبق ، ومع رواية المؤلفين ، في خطوطها العريضة . يقـول دايان :

« أخيرا ، تحدد موعد زيارة بيجين لواشنطون في ٢١ مارس (١٩٧٨) . وقد دامت الزيارة لمدة يومين . وفي هذه المرة لم يكتف رئيس الوزراء باصطحاب هيئة مكتبه فقط ، بل ضم الوفد الاسرائيلي يضا : المدعي العـام « اهارون باراك » ، والمستشار القانوني لوزارة الخارجية « مئير روسين ، ومدير مكتبي » الياكيم روبنشتين » وانا . وفي الولايات المتحـدة انضم للوفد سفيرنا ووزيرنا المفـوض في واشنطون : سيمحا دينتز وهانان بارون ، وكذلك مدير بعثة وزارة الدفـاع في الولايات المتحـدة : يوسـف زخانوفر . وكان الوفد الأمريكي في المباحثات يضم ، بجانب الرئيس: نائب الرئيس والتر مونداك ، وزير الخارجية (سيروس) فانس ، ومستشار الأمن القومي زبجنيو بريزيزنسكي ، وعدد آخـر من المساعدين » .

« وكان هنـاك حدثان ينشران سحابة قاتمة على جـو المباحثات حتى قبل بدؤها ، وهما : عمليتنا العسكرية في جنـوب لبنـان ، وتأييد كارتر الصريح للسادات في دعاويه ضد اسرائيل. وقد انعكس هذان الحادثان في الاحتفـال الصغير الذى اقيـم للترحيب ببيجين . فبعد أن انتهى الرئيس الأمريكي من كلمـات الترحيب الرسمية ، قال ان زيارة السـادات للقدس قد حركت آمال العـالم باكمله ، ولكن ايام المجـد هذه قد افضت في الوقت الحـاضر الى ايام من الوجـوم والقلق (ولم يكن من الصـعب ادراك من كان الرئيس الأمريكي يلقى عليـه اللوم بشأن ذلك) . ثم استطرد الرئيس فادان الهجـوم الارهابي الاجرامي على المدنيين في اسرائيل (انظـر الهامش السابق) ، ثم أضاف على التو اسفه على فقد الأرواح العربية وهروب عشرات الألوف (هنا لا ينكر دايان انهم من المدنيين الأبرياء) من مناطق القتال (في جنوب لبنـان) » .

((وعندما وقف بيجين كي يرد على خطاب الرئيس الأمريكى ، لـم يتجاهل عبارات النقد التى تضمنها خطاب كارتر . فذكر الرئيس الأمريكي بأن الجـو الذى احـاط باجتماعهما فى ديسمبر المـاضى كان أكثر ودا واخلاصا وصراحة ، وان ذلك كان نفس الحـال فيما يتعلق بمحادثاته مع السادات فى القدس وفى الاسماعيلية ، وانه يأمل فى عوده هذه الروح مرة اخرى)) .

((عقد أول اجتماع فى البيت الأبيض فى الساعة العـاشرة والنصف صباحا . وافتتح كارتر الجلسة بالتعبير عن استنكاره لمقتل ركاب الباص ، وقال ان هدف الارهابيين هو الاساءة الى مفاوضات السلام بين مصر واسرائيل . ثم قام بعد ذلك باستعراض الخطوات التى تم قطعها حتى ذلك الوقت فى طريـق هـذه المفاوضات ، وسأل رئيس الوزراء عن تقييمه لامكانيات مواصلة عملية السلام)) .

((واجاب بيجين بالتفصيل . ثم أكد مرة اخرى ما سبق لـه قوله فى حفل الاستقبال من ان الجـو الذى حـاط بالاجتمـاعات الأولى كان رائعـا ، وانه يأمل فى عـودة هذه الروح ، وان السـادات كان يناديه فى الاسماعيلية بـ : يا صديقى ، وانهمـا كانا ينجحان فى الوصـول الى اتفـاق ، ولكن الأمور الآن لم تعد كما كانت ، وان مطالبة مصر لاسرائيل باعلان التزامها المسـبق بالانسـحاب الشامل وقبول اقامة دولة فلسطينية يعرقل احراز أى تقـدم)) .

((وكان كارتر ينصت بنفاذ صبر واضـح لحجـج بيجـين التفصيلية . كما لم يبد اى اهتمام بحـديث بيجين عن الأيـام الطيبة الحالية . فقد كان جل اهتمامه مصورا فى معرفة ما الـذى سوف يحدث بعد ذلك . وبعد ان انتهى بيجين من حديثه ، قـال الرئيس (الأمريكى) ان ما قاله بيجين عن موقف السـادات ليس صحيحا ، لان السـادات لم يطالب بانسـحاب اسرائيل فى الضفة الغربية الى حـدود ما قبل ١٩٦٧ ، وانه مستعد بالقطع لقبـول تعديلات فى الحـدود ، وانه لا يطالب باقامة دولة فلسطينية . وقال كارتر ان السبب فى وصـول المفاوضات الى طريـق مسدود هو

عدم الاتفاق على اعلان بالنوايا ، لأن اسرائيل كانت تريد لهذا الاعلان ان « يكون مرتكزا على كافة مبادىء القرار رقم ٢٤٢ » ، وان المصريين كانوا يطالبون بأن يكون هذا الاعلان مرتكزا « على تطبيق كافة المبادىء » (؟) ، وان الولايات المتحدة تحاول التوصل الى حل وسط ، وتقترح « تطبيق المبادىء » .

وقال كارتر : ليشهد الرب انني لا اعرف الفرق بين هذه الصياغات المختلفة . وقال ان الأمريكيين يبحثون عن حلول وسط لغوية ، وانهم يبذلون من اجل ذلك جهودا كبيرة فى مقاومة الرياح ، دون ان يكون لذلك ضرورة أو معنى ، وان المشاكل العملية التى تدعو الضرورة الى معالجتها هى المطالب العربية والاسرائيلية المختلفة المتعلقة بالضفة الغربية ، اى ضمانات حماية امن اسرائيل، وايجاد حل للمشكلة الفلسطينية . وقال الرئس كارتر انه يعتقد ان لب المشكلة يتمثل فيما اذا كانت اسرائيل تنظر الى القرار رقم ٢٤٢ باعتباره ينطبق على الضفة الغربية ، وعلى وجه التحديد اذا كانت اسرائيل تقبل الانسحاب على هذه الجبهة . ثم التفت كارتر الى بيجين وساله مباشرة : هل تقضى المادة المتعلقة بالانسحاب فى القرار رقم ٢٤٢ الانسحاب من الضفة الغربية أيضا ؟ » .

« كان السؤال المباشر يقتضى اجابة مباشرة . وكان الذى تولى الرد هو المدعى العام اهارون باراك ، الذى قال ان القرار رقم ٢٤٢ يشمل كافة الأراضى بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزة ، وان مشروع الحكم الذاتى للعرب القاطنين فى يهودا والسامرة وقطاع غزة يتفق مع القرار رقم ٢٤٢ ومع مادته الخاصة بالانسحاب ، وان هذا المشروع يمثل اقتراحا اسرائيليا بكيفية تطبيق القرار رقم ٢٤٢ » .

« وبعد ان انتهى باراك ، توليت انا الحديث ، شارحا ان اقتراحنا بالغاء الحكم العسكرى يقضى بانسحاب من حكم السكان العرب ، وان ذلك يمثل ، من وجهة نظرنا ، تحقيقا مناسبا لما ينادى به القرار رقم ٢٤٢ فيما يتعلق بانسحاب

القوات الاسرائيلية ، وانه اذا كان لدى المصريين اقتراح آخر ، فليتقدموا به كي نناقشه . وقلت : انكم ، اى الولايات المتحدة ومصر ، تريدون ان يتضمن اعلان المبادىء بوضوح عبارة : الانسحاب على الجبهات الثلاث كلها (اى مصر وسوريا والاردن) ، ولكن هذه الجملة لم يتضمنها القرار رقم ٢٤٢ ، ونحن نعارض فى اضافتها)) .

((وتبعلى بيجين الذى ذكر كارتر بانه فى إجتماعهما السابق فى شهر يوليو الماضى ، اقترحت الولايات المتحدة خمس نقاط كى تكون اساسا للمفاوضات ، وان أحد هذه النقاط كانت تقضى بالانسحاب من جميع الجبهات ، وانه ، اى بيجين ، لم يوافق على ذلك)) .

((ولم يكن فى وسع الرئيس (الأمريكى) الزعم باننا لم نقم بايضاح موقفنا فيما يتعلق بالمطالبة بانسحابنا من كافة الأراضى الواقعة تحت ادارتنا . فقد عارضنا ذلك بوضوح ، وقلنا اننا على استعداد لاعادة توزيع قواتنا ، ونقلها من مراكز التوطن العربى المكثف الى منطقة الحدود والى مناطق تمركز اخرى ، على أن تكون هذه المناطق داخل نطاق الضفة الغربية وقطاع غزة)) .

((ومن النقاط الأخرى التى ثار الخلاف بيننا بشانها مسألة مستقبل الفلسطينيين . فقد كان كارتر يريد منا ان نوافق على السماح للفلسطينيين ، عند نهاية فترة الخمس سنوات الانتقالية ، بالانضمام الى المملكة الاردنية ، ذلك انه كان ينظر الى الأمر من زاوية الأراضى . أما نحن ، فقد كنا ننظر ، على العكس من ذلك من زاوية السكان . ولقد كنا على استعداد السماح لأى فلسطينى يريد ذلك ان يكتسب الجنسية الاردنية ، على شريطة ان لا يعنى ذلك تحويل الضفة الغربية الى جزء من الدولة الاردنية)).

((وردا على ما قاله برزيزنسكى من ان للعرب الحق فى تقرير مستقبلهم ، قلت اننى اوافق على ذلك ، ولكننى لا اوافق ان يكون لهم حق تقرير مستقبلنا نحن ايضا ، وان ضم الضفة الغربية

الى المملكة الاردنية سوف يكون له اهمية عميقة ليس فقط فيما يتعلق بمستقبل سكان نابلس ، بل وايضا بمستقبل وامن دولة اسرائيل)) .

((واقترح بيجين ترك موضوع المباحثات بعد فترة الخمس سنوات مفتوحا ، وان يترك لكى تقرره لجنة مشتركة من الطرفين . واعترض كارتر على ذلك على اساس ان ذلك يعطينا الحق فى الاعتراض على قرار العرب اذا ارادوا الانضمام الى الأردن)) .

((وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشر واربعة وخمسون دقيقة ، وحان الوقت لانهاء الاجتماع . ومرة أخرى ، لم يخف الرئيس (الأمريكى) ما يشعر به من خيبة أمل ازاء موقفنا ، وقال : انكم تريدون ابقاء سيطرتكم السياسية على الضفة الغربية وقطاع غزة حتى بعد انقضاء فترة الخمس سنوات الانتقالية ، وانه كان يأمل فى ان نوافق على مقايضة السيطرة السياسية بترتيبات الأمن — اى ان يكون من حقنا الابقاء على قواتنا المسلحة فى الضفة الغربية دفاعا عن اسرائيل ، وان ذلك كان كفيلا بتحسين فرص السلام ، وانه بسبب الموقف اتخذناه ، فان هذه الفرص قد ضاعت)) .

(دايان ، ((الاختراق)) ، صص ١٢٢ — ١٢٥) .

اما الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر ، فانه يضيف الى ما قاله المؤلفون ووزيرى الخارجية فانس ودايان أنه سبقت زيارة بيجين هذه الى واشنطون ، وكجزء من ترتيبات الاعداد لها ، زيارتين لواشنطن قام بها ((دايان)) فى ١٢ فبراير ١٩٧٨ ((ووايزمان)) فى ١٠ مارس ١٩٧٨ .

ويقول كارتر بخصوص زيارة دايان :

((كان من المقرر أن يصل دايان بعد بضعة ايام . وفى اثناء ذلك عقدت سلسلة من الاجتماعات مع الزعماء الأمريكيين المتطرفين فى تأييدهم لاسرائيل ، لكى أبلغهم بما دار اثناء زيارة السادات

(انظر الهامش رقم «(١)») . وقد وافقوا على أن سياسة بيجين الاستيطانية خطأ فادح ، ودهشوا للغاية عندما علموا ان الاسرائيليين لازالوا ، بعد مرور كل هـذه السنوات ، يدعون ان قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ لا ينطبق على الأراضى المحتلة (فى الضفة الغربية وغزة) . ولم تكن علاقة حكومتنا ، فى ذلك الوقت طيبة جدا مع اسرائيـل » .

ثم يضيف كارتر ناقلا عن يومياته :

شاهدت البرنامج التليفزيونى الذى ظهر فيه دايان ... وقد الملح الى اننا معادون لاسرائيل ، ولم نعد ، لذلك ، نستطيع أن نكون وسطاء شرفاء ، وان معارضة سيروس فانس للمستوطنات تختلف عن موقفى أزاء هـذه المسألة ـ اليوميات ، ١٢ فبراير ١٩٧٨ » .

ثم يستطرد الرئيس الأمريكى السابق معلقا على ما قـاله دايان بقـوله :

« ولم يكن اى من ذلك صحيحا ، ولم نكن نستطيع أن نفهم لمـاذا يبدو دايان عصبيا ومترددا بالنسبة الى قضـايا اخرى (وعندما نشر دايان كتابه فيما بعد ، فهمنا انه كان معكر المزاج بسبب الانتقادات الحادة التى تعرض لهـا من جانب الأمريكيين اليهود ، ولاضطراره الى الدفـاع عن سياسة الاستيطان التى كان يعارضها) . وبعد ان عقد فانس معـه اجتماعا مطولا ، وجه الى دايان سؤالان : هل سوف يصر السادات على ان تتفاوض اسرائيل مع سوريا قبل التوقيع على معاهدة السلام ؟ . وهـل يوقع السادات معاهدةسلام اذا تم تسويةالنزاع بشأن سيناءبشكل كامل ، وتم الاتفاق على المبادىء المتعلقة بالأراضى المحتلة (فى الضفة وغزة) وبالفلسطينيين ، حتى اذا رفض (الملك) حسـين الانضمام الى المباحثات اللاحقة ؟ . وقلت له ان الاجـابة على

السؤال الأول هى : لا ، وان السادات قد تلقى اشارات متعارضة فيما يتعلق بالسؤال الثانى . وعندما ارسلت السؤالين الى السادات ، لم اتلق منه الرد على الفور . ولكن بعد مرور عدة اسابيع ، وفى خطاب مطول مكتوب بخط اليد ، قال السادات ان المبادىء التى سوف يتم الاتفاق عليها يجب ان تكون محددة وان تساهم فى خلق تفاهم أفضل بين الجميع ، وأن لا تزيد من الاضطراب (الموجود حاليا) ، وانه يحتاج الى مساهمة العرب الآخرين الى الحد الأقصى » .

اما فيما يتعلق بزيارة وايزمان . فان كارتر يقول :

« كنت غارقا حتى اذنى فى مسألة التصويت على (معاهدة) بناما ، عندما ، وفى ١٠ مارس ١٩٧٨ ، وصل وزير الدفاع الاسرائيلى أيزر وايزمان لمقابلتى للمرة الأولى . وقد ترك فينا جميعا إثرا طيبا . فقد كان ساحرا ، متزنا ، كما كان تقييمه لسلوك القادة المصريين ولما يمكن عمله لحل الخلافات العديدة التى لا تزال باقية بين البلدين ، ناضجا الى أقصى حد . ولما كان قد عمل بالقرب من بيجين لعدة سنوات كزميل حزبى ، ولما كان هو القائد الاسرائيلى الوحيد الذى كان السادات يحبه ويثق به ، فان وايزمان كان يقيم القضايا بروح من الثقة فى النفس ، ويقدر من الموضوعية ندر ان تجد له مثيلا بين كثير من زعماء منطقة الشرق الأوسط » .

« وقد كانت مباحثاتى مع وايزمان مفيدة جدا . وذلك لأن دايان ، بسبب الحالة الانتقادية الحادة التى كان يمر بها ، لم يساعدنا كثيرا فى الاعداد لزيارة بيجين المقبلة . وكان السادات قد اثار عددا من الأسئلة المحددة جدا بشأن اتجاه اسرائيل ، ولكننى لم استطع الاجابة على عدد منها . وسوف يكون الاجتماع

مع بيجين هاما ، وكنت اريد لهذا الاجتماع ان يكون بنـــاءا وان يعقد فى جو ودى » .

وفيما يتعلق بزيارة بيجين ، يقول كارتر :

« كان الاسرائيليون لا يزالون فى لبنان ، عندما وصل رئيس الوزراء (الاسرائيلى) والمسز بيجين فى ٢٩ مارس (١٩٧٨) . ودعوناهم ، انا وروزالين ، الى عشاء خاص ، عرفنا الكثير اثناءه عنهما . فقد حكيا لنـــا عن حياتهما فى مطلع زواجهما ، وعن مقتل والديه وشقيقه الوحيد اثنـــاء حكم النازى ، وعن الفترات التى قضاها فى السجن بسبب نشاطه الســـياسى فى بولندا ولتوانيا . وبانتهاء العشاء ، كان فهمى لسلوكه قد اصبح افضل كثيرا . ولكن هذا الفهم الجديد لم تكن له فائدة تذكر ، عندما جلسنا فى غرفـــة المكتب البيضاوى لكى نتحدث عن القضايا الرسمية » .

ويضيف كارتر ناقلا عن يومياته :

« بعد العشـــاء ، ذهبت انا وهو الى مكتبى الخاص حيث عقدنا اجتماعا دام مدة ساعة ونصف الساعة حفلت بالمناقشات المكثفة ، والحادة احيانا ، حـــول الشرق الاوسط . واستعرضت (احداث) الأشهر الأخيرة مبتدئا بزيارة الســـادات لاسرائيـــل . واثنيت على بيجين لمـــا فعله كرد على هذه الزيارة . وقضـــينا وقتا طويلا نتحدث حتى امكننا ان نحدد الخلافات بشـــكل دقيق لأول مرة فى علاقاتى مع اسرائيل . وقال بيجين انه أصيب « بجرح فى قلبه » عندما قوبل مشروعه فى ديسمبر (والذى عرض فيـــه الانسحاب من سيناء) فى البداية بعبارات الثناء ، التى سرعان ما اختفت فيما بعد . (وقال) ان زيارة السادات للقدس لم تكن سوى مجرد « حركة استعراضية ، وان مصر تريد اقامة دولـــة فلسطينية مستقلة ، والانسحاب الكامل . وقلت له ان هـــذا ليس

صحيحا على الاطلاق ، واننى واثق مما اقول ، واذا كان افتراضى صحيحا ، فما الذى يمكن ان يفعله من اجل تحقيـق السلام ؟ . وكانت الاجابة ، عمليا ، هى : لا شىء اكثر مما اقترحه بالفعل ـ اليوميات ، ٢١ مارس ١٩٧٨ » .

« وبعد مغادرة رئيس الوزراء (الاسرائيلى) ، استدعيت وزير الخارجية فانس ، ووجـدت أنه قـد تلقى نفس الاستجابة تقريبا من وزير الخارجية دايان ، الذى كان يصحب رئيس الوزراء (الاسرائيلى) فى زيارته لواشنطون . وقررنا أننا يجب أن نصطاد سمكا أو نطرح الطعم جانبـا ، ولذا فقد استيقظت مبـكرا عن المعتاد صباح اليوم التالى ، ودونت عددا قليـلا من الأسـئلة التى يجب أن أتلقى اجابات عنها » .

ثم يستطرد كارتر ناقلا عن يومياته :

« فى اجتماعى مع بيجين ودايان ، عرفت الافتراضات التى توصلنا اليها ، أنا والسادات ، والتى (يمكن على أساسها) تحقيق تسوية سلمية ، وهى على وجه التحديد : لا انسحاب اسرائيلى كامل من الضفة الغربية ، ولا أمة (هكذا فى الأصل ، والأصح : دولة) فلسطينية مستقلة والحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وانسحاب القوات الاسرائيلية الى مواقع آمنة يتم التفاوض عليها ، وادخال بعض التعديلات فى الحـدود الغربيـة للضفـة الغربية ، وان تنقل كل من اسرائيل والاردن السلطة الى سلطات محلية ، والتوقف عن ادعاءات السـيادة ، من جانب الطرفين ، لفترة خمس سـنوات ، وأن يكون من حق العرب الفلسطينيين الذين يقطنون الاراضى المحتلة ، عند نهـاية فترة الخمس سنوات ، أن يصوتوا اما لصالح الانضـمام الى الاردن او الى اسرائيـل أو استمرار الوضع الذى كان قائما خـلال فترة الخمس سنوات

.. وان يوقف اقامة مستوطنات جديدة او توسيع المستوطنات القائمة خلال فترة المفاوضات » .

« .. ثم قرأت لبيجين وللوفد المرافق له فهمى لموقفهم : لا يرغبون فى الانسحاب العسكرى او السياسى من اى جــزء من الضفة الغربية ، لا يرغبون فى التوقف عن اقــامة مستوطنات جديدة أو توسيع المستوطنات القائمة ، لا يرغبــون فى اجــلاء المستوطنين الاسرائيليين من سيناء أو حتى ابقائهم تحت حمــاية الأمم المتحدة أو مصر ، لا يرغبون فى الاعتراف بأن قرار الأمم المتحدة رقم/٢٤٢ ينطبق على الضفة الغربية وقطــاع غزة ، لا يرغبون فى منح العرب الفلسطينيين أيــة سلطة حقيقية أو الحــــق فى تقرير مستقبلهم بحيث يختارون واحــدا من البدائل المذكــورة آنفا . ورغم أن بيجين قال ان تلك طريقة سلبية فى النظــر الى موقفهم ، فانه لم ينكر صــحة أى من هذه النقاط (والتى عرفت فيما بعد بالايام الست ـــ اليوميات ، ٢٢ مارس ١٩٧٨) » .

ويستطرد كارتر بعد ذلك قائلا :

« ... وربما كان دايان يتجــاوز حــدود ولائــه لرئيس وزرائه عندما حاول أن يجعل بقــدر المستطاع هذه المواجهــة البالغة الحدة . فقد اشار الى إنه لا توجــد معسكرات للجيش الاسرائيلى فى المدن المأهولة بالسكان ، وان اسرائيل لا تريد أيــة سيطرة سياسية على الســكان العرب فى الضفة الغربية ، وانه ليس هنــاك اعتراض على ممارسة الفلسطينيين لحقهم فى تقرير مستقبلهم ، وان اسرائيل تعترف بأن شيئا ما يجب فعله بشــأن اللاجئين العرب . وقــد ادركت ان دايــان انما يعبر عن آراءه الخاصة ، ولكنه كان واضــحا لكلا الطرفين الجالسين حـــول مائدة المباحثات انه ما لم يغير بيجين من موقفه فانه سوف يصبح عقبة كؤودا فى طريق احراز تقدم اكثر » .

« وقـد كان ذلك تطورا مؤلمـا . وشرعت فى ابلاغ قـادة الكونجرس الذين يؤيدون اسرائيل بفشلنا . وكنت حريصا على أن اعرض موقفى السادات وبيجين بأكبر قدر ممكن من الدقـة .. وقد التقى بعضهم برئيس الوزراء بيجين وتاكـدوا من اللاءات الست ، وأحسوا ، هم ايضا ، بالاحباط » . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ص ٣٠٨ — ٣١٣) .

... ...

(٦) يقول وزير الخارجية الامريكية الاسبق سيروس فانس بخصوص جلسة المباحثات الثـانية بين الوفـدين الاسرائيلى والأمريكى :

« فى ٢٢ مارس ، عرض كارتر على بيجين الخطـوط العريضة لرأينا فيـكا يتعلق بالعنـاصر الضرورية لاقامة نظام انتقـالى فى الضفة الغربية وقطـاع غزة ، وترتيب الحكم الذاتى الفلسطينى تحت الوصاية الاسرائيلية والأردنية وربما المصرية ايضا ، كما اقترح نزع سلاح هذه المنطقة ، على ان تستبقى اسرائيل عددا محـدودا من قواتهـا فى عدد قليـل من النقـاط ذات الأهمية الاستراتيجية. واكد كارتر على انه يتعين على اسرائيل ان تمتنع عن انشـاء مستوطنات جديدة او توسيع المستوطنات القائمة اثناء سـير المفاوضات حـول الحـكم الذاتى ، وحذر من انه ما لم يكن بيجين مستعدا للاستجابة الى احتيـاجات السادات السـياسية الأساسية ، فانه لا أمل فى استئناف المباحثات » .

« ورد عليـه بيجين بحدة قائلا ان نظرتنا الى السـياسة الاسرائيلية تصمها بالسلبية ، واننا عاجزنا عن تقـدير مدى التنازلات التى قدمتها اسرائيل ، التى كانت ترفض من قبل حتى مجرد الحديث عن الضفة الغربية . ونفى بيجين مرة أخرى ان القرار ٢٤٢ يقضى بالانسـحاب على جميع الجبهات ، مضيفا ان اسرائيل لا تعارض فقط الانسـحاب من الضفة الغربية ، بل انهـا ايضا غير ملزمة بالانسحاب من الضفة الغربية وليست ايضا ملزمة بالانسـحاب

على جميع الجبهات بما فى ذلك سيناء . ثم أعاد بيجين تأكيد استعداد اسرائيل للانسحاب من سيناء حتى الحدود الدولية السابقة ، على ان يتم ذلك الانسحاب على مرحلتين . واضاف بيجين ان المستوطنات (الاسرائيلية) فى سيناء سوف تبقى ، وان وحدات عسكرية اسرائيلية سوف تقوم بحمايتها » .

« واستعرض بيجين المشروع الذى تقدم به فى شهر ديسمبر الماضى والخاص بالضفة الغربية وقطاع غزة ، مؤكدا أنه يقصد بالحكم الذاتى اقامة مجلس ادارى يتولى أمور الحياة اليومية . وقال بيجين انه على الرغم من ان الحاكم العسكرى الاسرائيلى هو المصدر الوحيد القائم للسلطة بالنسبة الى المجلس الادارى فانه مستعد لالغاء الادارة العسكرية ، كما اعاد تأكيد استعداده للنظر فى اقتراحى بشأن عقد اتفاق بين اسرائيل والأردن يقضى بنقل السلطة الى هيئة الحكم الذاتى » (فانس ، «خيارات» صعبة ، ص ١٧٠) .

أما موشيه دايان ، فانه يقول عن جلسة المباحثات الثانية هذه :

« تقابلنا مرة أخرى مع الرئيس فى صباح اليوم التالى ، ٢٢ مارس (١٩٧٨) ، وبنفس تشكيل الوفدين فى الجلسة السابقة . وقال كارتر انه اتيحت له الفرصة أمس ، عقب حفل العشاء الذى اقيم تكريما لرئيس الوزراء وزوجته ، فى عقد اجتماع مغلق مع بيجين ، وانهما توصلا الى توضيح الأمور التى شغلت اهتمام وجهود كل من الحكومتين طوال الأشهر القليلة الماضية . ولم أكن أعلم التفاصيل الكاملة للمباحثات التى دارت فى هذا الاجتماع ، لأن بيجين لم يكن لديه الوقت الكافى قبل عقد الجلسة لكى يخطرنى بأكثر من الخطوط العريضة لما حدث . فقد قال لى انه شرح موقفنا للرئيس كارتر ، وانه يأمل ان يكون قد تفهمه . واستطرد كارتر قائلا ان تلك هى الزيارة الثالثة التى يقوم بها رئيس الوزراء بيجين لواشنطون ، وانه — اى كارتر — كان مفعما بالأمل

فيما سبق ، ولكنه الآن يشعر باليأس من تحقيق اى تقدم نحو اقامة السلام بين مصر واسرائيل . وقال انه سوف يقابل بعد ظهر اليوم لجنة الكونجرس الخاصة بالعلاقات الدولية ، وانه سوف يجتمع فى اليوم التالى بلجنة العلاقات الاجنبية التابعة لمجلس الشيوخ ، وانه يرغب فى أن يعرض على هاتين اللجنتين مواقف كل من مصر واسرائيل والولايات المتحدة ، وان موقف الولايات المتحدة لا يقضى بالمطالبة بانسحاب اسرائيلى شامل من الضفة الغربية ، وان اسرائيل يجب أن تحتفظ بعدد من المواقع العسكرية المتقدمة (اى : الأمامية) فى هذه الأراضى ، وانه يجب أيضا احداث تعديلات محددة فى خط الحدود ، وانه يجب الا تتحول الضفة الغربية الى دولة فلسطينية راديكالية ، وان اسرائيل يجب أن تمتنع ، خلال فترة الخمس سنوات الانتقالية عن اقامة مستوطنات جديدة ، وان لا تقوم أيضا بتوسيع المستوطنات القائمة)) .

((وقال (الرئيس الأمريكى) انه يعتقد ان الولايات المتحدة تستطيع اصدار بيان صريح بان اسرائيل ليست ملزمة باجراء انسحاب كامل من الضفة الغربية ، وانه لا يجب اقامة دولة فلسطينية ، وانه يعتقد أن السادات سوف يقبل هذا البيان . ولكنه فهم أنه حتى بعد صدور هذا البيان فان اسرائيل سوف لن تتزحزح عن موقفها بالتمسك بمستوطناتها فى سيناء ، ولن تتخلى عن سيطرتها السياسية على الضفة الغربية وقطاع غزة ، حتى مع استبقاء عدد من المراكز العسكرية المتقدمة هناك ، واننا — اى الاسرائيليون — لا نرغب فى اعطاء العرب الفلسطينيين ، بعد انقضاء فترة الخمس سنوات ، فى الاختيار بين بدائل ثلاث : الانضمام الى الأردن ، أو الانضمام الى اسرائيل ، أو ابقاء الوضع القائم . وانهى الرئيس (الأمريكى) حديثة قائلا انه اذا اصررنا على التمسك بموقفنا هذا ، فانه لا يرى اى أمل فى احراز اى تقدم نحو عقد اتفاق للسلام)) .

((وعلى الرغم من ان كارتر كان يتحدث بنبرة رتيبة ، فان الغضب كان يشتعل فى عينيه الزرقاوتين الباردتين ، وكانت نظرته

حادة كطعنات الخناجر . وقد كان عرضه لموقفنا صحيحا في جوهره، ولكنه لم يكن في الامكان صياغته بشكل اكثر عداءا مما فعل » .

« ران صمت كئيب على قاعة الجلسة عقب حديث الرئيس (الأمريكي) . وجلس بيجين واجما ، وقد بدا على وجهه الشحوب والوجوم . وبعد مرور عدة دقائق ، قال بيجين للرئيس (الأمريكي) ان عرضه لموقف اسرائيل كان سلبيا تماما ، بينما هذا الموقف في حقيقته ايجابي ، واننا (اى الاسرائيليين) ملتزمون تماما بالتفاوض من أجل عقد معاهدة سلام والتوصل الى تسوية شاملة ، واننا نريد اجراء مفاوضات مباشرة مع الحكومات العربية ، واننا نقبل القرار رقم ٢٤٢ كأساس للتفاوض مع جميع جيراننا ، وان ذلك يتطلب اقامة حدود آمنة ومعترف بها ، وان هذا القرار لا يقضي بالانسحاب على جميع الجبهات ، ولا تشير ايضا ان الانسحاب يجب أن يكون مطلقا . ثم اعاد بيجين عرض تفاصيل مشروع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل التي اقترحتها اسرائيل، وكذلك مقترحاتنا بشأن الحكم الذاتي لعرب الضفة الغربية وقطاع غزة . اما فيما يتعلق بمسألة السيادة على الضفة الغربية ، فقد قال بيجين ان اسرائيل قد وافقت على ابقاء هذا الأمر مفتوحا نظرا لوجود ادعاءات متضاربة من كلا الجانبين . اما بالنسبة الى سيناء ، فقد اخطرنا كارتر باننا لن نقيم مستوطنات جديدة هناك » .

« وبدا كما لو ان كلمات بيجين تقف معلقة في الفضاء ، لم تنفذ الى الآذان ، ولم تثر اى اهتمام لدى الوفد الذي يجلس في مقابلتنا على مائدة المباحثات . وبدا كما لو ان الحكم قد صدر بالفعل ، وان كارتر عازم على القاء اللوم على اسرائيل ، وعلى بيجين بشكل خاص ، بسبب الفشل في التوصل الى اتفاق حول السلام ، وهو اتفاق كان في متناول اليد بفضل بعد نظر واتساع افق الرئيس المصري السادات » .

« وحث بيجين الرئيس (الأمريكي) على ان يعرض موقفنا امام لجنتي الكونجرس بشكل ايجابي . وقال كارتر انه سوف يفعل ذلك . ولكن كلماته تلك كان ينفيها سلوكه المتسم بالبرود » .

« وعندما انتهى بيجين عن حديثه ، استند بظهره الى كرسيه واغلق عينيه ، وقد اصابه الجهد العصبى بانهماك جسدى . وطلبت منه أن يأذن لى أن أضيف شيئا الى ما قاله . وقلت ، مخاطبا الرئيس (الأمريكى) مباشرة انه اذا تم قبول مشروعنا للضفة الغربية وقطاع غزة ، فان ذلك سوف يحرر العرب الفلسطينيين من أشراف سلطات الجيش الاسرائيلى ، ومن سيطرة اسرائيل السياسية ، واننا لا نريد أن يسيطر العرب على المستوطنات الاسرائيلية فى يهودا والسامرة وقطاع غزة ، ولكننا لا نريد ايضا أن نسيطر على العرب ، وانه مما يسهل الأمور علينا أن يقوموا هم بادارة شؤونهم بأنفسهم » .

« وقلت ان مسألة الأمن العام فى هذه الأراضى اكثر تعقيدا من ذلك . ذلك انه اذا استخدمت مدينة عربية كقاعدة لشن عمليات ارهابية ضدنا ، فانه يجب أن يكون من حق قواتنا المسلحة دخول هذه المدينة لمناهضة الارهاب ، وانتم لا تستطيع تجاهل الموقف فى الشرق الأوسط ، أو تنسى ما كان يحدث فى لبنان ، أو ما كان يحدث قبل عام ١٩٦٧ فى قطاع غزة حين كانت تدار من قبل السلطات المصرية ، حين كان الارهابيون ، الذين يطلقون على أنفسهم اسم الفدائيين ، ينطلقون من قطاع غزة الليلة بعد الليلة ويدخلون اسرائيل القيام بأعمال التخريب وزرع الألغام وقتل عائلاتنا فى النقب ... » .

« ... أما فيما يتعلق بحقوق العرب الفلسطينيين فى تقرير مستقبلهم ، فان المشكلة هى كيف يمكن أن يتم ذلك . فنحن نعارض الاقتراح باجراء استفتاء ، ولكن هناك طريقة أخرى . ذلك ان احدا لا يمنعهم من تقرير ما اذا كانوا يريدون أن يكونوا اردنيين او اسرائيليين او أن يحتفظوا بوضعهم الحالى . وهم ليسوا فى حاجة للانتظار فترة خمس سنوات كى يفعلوا ذلك . بل انهم يستطيعون الاختيار فور وضع مشروع الحكم الذاتى موضع التطبيق » .

« ونحن لا نعترض فى أن يبقى سكان الضفة الغربية وقطاع

غزة على صلاتهم بالأردن . ولكن يجب ان نضع فى الاعتبار انه لم يكن يوجد عمل لـ ٤٠٠,٠٠٠ نسمة الذين يمثلون سكان قطاع غزة ، والذين كان نصفهم مسجلا بوصفه من اللاجئين . واننى اعتقد انهم لا يرغبون فى ترك اعمالهم ووظائفهم فى اسرائيل . وان هذا ينطبق ايضا على العرب فى يهودا والسامرة ، الذين يعملون ايضا فى اسرائيل . ولذا فسوف يكون من الأفضل مراقبة التطورات خلال فترة الخمس سنوات الانتقالية ... » .

« وانهيت حديثى مخاطبا الرئيس الأمريكى قائلا : لقد استمتعت الى كلماتك ، التى رسمت بها صورة قاتمة حقا لموقفنا ، ولكننى اعتقد ان فرص السلام قد اصبحت اليوم افضل كثيرا مما كانت عليه فى الماضى » .

« ... ثم قام باراك بقراءة وتفسير مقترحاتنا بشان اعلان المبادى . واقترح الرئيس ووزير الخارجية الأمريكى ان يبقى باراك وانا يوما أو يومين فى واشنطون لمحاولة الوصول الى صيغة مقبولة له مع الأمريكيين . ولم يعلق بيجين بشىء على ذلك ، ولكنه حث كارتر ، مرة اخرى ، ان يعرض موقفنا بصورة ايجابية على لجنتى الكونجرس . وكرر كارتر وعده بأن يفعل ذلك . واختتم فانس الاجتماع بترتيب لقاء بينى وبينه بعد تناول الغذاء كى نرى اذا كنا نستطيع تقديم صيغة مقبولة لاعلان المبادى » .

(دايان ، « الاختراق » ، ص ١٢٥ — ١٢٨)

... ...

(٧) يقول محمد ابراهيم كامل عن زيارة وايزمان للقاهرة :

« وفى صبح يوم ٢٩ مارس (آذار) ... اعلن عن وصول وزير الدفاع الاسرائيلى وايزمان الى القاهرة .

وبعدها بيومين ، طلبنى الرئيس السادات فى التليفون ، وقال ان وايزمان لم يحمل معه جديدا فى زيارته ، وانه طلب منه قبل عودته الى اسرائيل ان يبلغ مناحم بيجين انه لم يقم حتى الآن بالرد على مبادرة السلام ، وان مصر لا تبحث عن تسوية منفردة أو جزئية ، وانما تسعى الى سلام شامل على أساس الانسحاب الاسرائيلى الكامل من جميع الأراضى العربية المحتلة » .

« ولم يكن امامى ما يدعو الى عدم تصديقه » .

« ومضت ثلاث سنوات دون ان أعلم بما حدث فى لقاء السادات مـع وايزمان فى القاهرة يوم ٣٠ و ٣١ مارس (آذار) ١٩٧٨ ، خلاف ما ذكره لى الرئيس السادات ، الى ان ارسل لى أحد اصدقائى فى الخارج نسخة من كتاب عزرا وايزمان : المعركة من اجل السلام ، الذى صدر فى مارس (آزار) ١٩٨١ » .

« وكم تمنيت لو لم يكتب وايزمان كتابه ، أو لو كان قد اسقط منه ما دار بينه وبين السادات فى اثناء تلك الزيارة ، او لم يقع الكتاب فى يدى واطلع عليه . فقد اثار فى نفسى مرارة كبيرة ، وشعرت انه (اى السادات) كان يغرر بى ويطعننى من الخلف ، او بالاحرى يطعن الجهود المخلصة الصادقة التى كنت ابذلها مع زملائى فى الوزارة على حساب اعصابنا وصحتنا ، عسى أن نحقق للسادات — ولبلدنا وقضيتنا من قبله — ما نعتقد انه تعزيز لموقفنا فى المفاوضات ، بما يكفل لنا النجاح ، أو على الأقل الا يصيبنا الا اقل الخسائر ، وناهيك عن التردى فى الهوة السحيقة الذى حدث فى النهاية » .

« وتذكرت ، بعد قراءة كتاب وايزمان ، قصة (الأصح : رواية) جورج أورويل : مزرعة الحيوانات ، وتذكرت شخصية الرفيق نابليون — الخنزير — وشخصية نوبؤ — الحصان . وارجو الا اخل بتواضعى ، اذا قلت انى اعتقد — انه بالنسبة لشخصية هذا الأخير — بانى اكثر منه ذكاء ، واقل منه براءة . ولعل قراءتى لكتاب وايزمان وكتاب دايان ، كانت من الدوافع التى حدت بى الى المسارعة بتدوين تجربتى فى هذه المذكرات » .

« وابادر بالتحفظ . فاقول انى لا استطيع ان اقطع بمن الصادق ومن الكاذب . فقد قال لى السادات ان وايزمان هو الذى ارسل اليه يطلب الحضور الى القاهرة ومقابلته . وكتب وايزمان فى كتابه ان العكس هو ما حصل . اى ان السادات هو الذى ارسل اليه يطلب حضوره الى القاهرة » .

« اذن ، فان احدهما قد كذب فيما يتعلق بواقعة : من دعا

من . اما باقى ما دار فى المقابلات التى تمت بينهما — وهو خطير جدا — فلم يخبرنى السادات بشىء عنه ، مكتفيا بما ذكره لى عن نتيجة المقابلات ، من انه ابلغ وايزمان نقل الرسالة التى اشرت اليها سابقا الى بيجين . وبالتالى فان ما كتبه وايزمان فى كتابه تفصيلا عما دار فى هذه المقابلات ، هو الرواية الوحيدة المطروحة امامنا ، وقد تكون صادقة وقد لا تكون ، وهو امر لا استطيع الحكم عليه » .

وانتقل بعد ذلك الى رواية وايزمان ، لعل القارىء يستخلص منها لنفسه الجواب :

« يقول وايزمان : نقلت الينا محطتنا فى القاهرة « زاهانا » رسالة شفرية احيت الأمل — فقد كان زملائى فى القيادة العامة فى وزارة الدفاع ، يرون انه ليس ثمة امكانية لاستئناف مباحثات السلام ، طالما ان قواتنا تقوم بعمليات نشطة فى لبنان . ولكن الرسالة — ذات السرية القصوى — اربكت كل تنبؤاتنا . فقد كان الرئيس المصرى يطلب منى الحضور لمقابلته فى يوم ٣٠ مارس (آذار) ١٩٧٨ » .

« ويعبر وايزمان عن شعوره الشديد بالفرح عندما تلقى هذه البرقية . ويقول انه اتصل على الفور برئيس الوزراء بيجين ، واخبره بمحتواها . فبادر بيجين بدعوة مجلس الوزراء للاجتماع لبحث الموضوع . ثم يقول وايزمان : فى الوقت الذى ابرق السادات فيه لى ، كانت القاهرة مكتظة بوزراء الخارجية العرب ، الذين اجتمعوا لحضور مؤتمر للجامعة العربية . وكانت دعوة وزير الدفاع الاسرائيلى لزيارة القاهرة ، بينما القوات الاسرائيلية ترابط على الأراضى اللبنانية تحديا سافرا للعالم العربى » .

« ثم يسرد (وايزمان) انه ابلغ مجلس الوزراء ان الموضوع دقيق ، وان المصريين طلبوا فى برقيتهم الا نعلن شيئا عن المقابلة مسبقا ، وانه سأل فى اجتماع المجلس عما يقوله للمصريين ، وان

بيجين اجابه : ان على وزير الدفاع ان يقول انه ليس هناك أحد في اسرائيل يقبل فك المستوطنات ، وان ما تطلبونه ايها المصريون هو الانسحاب الكامل ، واقامة دولة فلسطينية . قل لهم ان كلا الأمرين غير مقبول ، فهل هم مستعدون للتقدم بشيء آخر ؟ » .

« ويضيف وايزمان ان وزير التجارة والصناعة بيجال هورفتز قال في المجلس : ان عيزرا وايزمان دعى الى القاهـــرة ، لأنهم يتخيلون انه أقرب اليهم ، ويجب عليــه ان يخبر الســادات ان يجد صيغة لا تعيدنا الى حدود ١٩٦٧ .... بعد زيارة رئيس الوزراء للولايات المتحدة ، واتخاذ كارتر جانب مصر ، فان مزاج السادات يحلق في السماء ، وعينيه في السحاب ، وستنمو ثقته في نفسه ، ما لم يعده شخص ما الى صــوابه ... وأخيرا قرر مجلس الوزراء الاسرائيلي الموافقـــة على ســفر وايزمان الى القاهرة ، على أن يصـــطحب معه اهارون باراك ، المستشـــار القانوني لمجلس الوزراء » .

« ويذكر وايزمان ان عدســات التليفزيون كانت في استقباله في المطار ، وعند وصوله الى مقر الرئيس السادات ، مما يــدل على عزم السادات على المضي في الســعى للسلام ، برغم حرج مركزه هـــو ودولته ، بسبب الهجوم العسكرى الاسرائيلي على لبنان ، وان الرئيس السادات صافحه بحرارة ، وقال له : انى ارحب بوزير الدفاع ، واسعد بوصوله . ويجب ان تعلم انه كانت هناك معارضة لحضورك الى هنــا ــ فقد كان الملك خالد ملك السعودية ، بل وحتى وزير خارجيتى ايضا ضـد ذلك ، ولكنى أردت ان اراك » .

« ويحكى وايزمان بعد ذلك انه كان يشـــعر بالمصاعب التى تحيط بالرئيس السادات من قبل الدول العربيــة ، وكذلك على الصعيد الداخلى ،حيث بدأ هجوم الأحزاب المعارضة على مباحثات السلام في التصاعد ، كما كانت هناك محاولات من قبل الطلبـــة للتظاهر ضدها . ويقول وايزمان ان المعارضـــة الأخطر ــ من وجهة نظر الاسرائيليين أيضا ــ كانت تلك التى تجيء من رجال

وزارة الخارجية ، وان الاسرائيليين قد لاحظوا ذلك منذ اجتماع الاسماعيلية ، حيث أظهر رجال الخارجية المصرية عدم مرونتهم باصرارهم على عـــدم امكان تحقيق السلام دون حل القضــية الفلســطينية » .

« ثم يمضي وايزمان ، فيروى المناقشــة التى دارت بينه وبين الرئيس السادات ، وهم جلوس تحت شجرة السكامور (اى : الجميز) الفارعة فى حديقــة استراحــة القناطر الخيرية . وفى نهايتها يقول : عندما لخصت لنفسى حديثى مع السادات ، شعرت بمزاج افضــل . فمثلا كان الرئس المصرى غير مهتم باقامة دولة فلسطينية ، وكان مستعدا لأن يترك مستوطاتنا فى الضفة الغربية فى مكانها ، وكان مستعدا للحلول محل الملك حسين فيم لو رفض هذا الاشتراك فى المفاوضات ، وكنت سعيدا لســماع اهارون باراك لحديثنا ، لأنه بدون شهادته ، لم يكن احد فى اسرائيــل ليصــدقنى » .

« ويذكر وايزمان ، بعد ذلك ، انه زاره فى المساء فى قصــر الطاهرة ــ حيث كان يقيم ــ الدكتور مصطفى خليل سكرتير عام الحزب الحاكم ، والدكتور بطرس غالى ، والفريق الجمسى . ثم يقول ، وانا انقل هنا من كتابه بالحرف الواحد :

« أجرى البروفيسير باراك والجمسى وزيــر الدفاع حديثــا مثمرا . فقــد انسحبا لحديث طويل ، عرض خــلاله الجمسى (عقد) محادثات سرية بين بلدينا تتم فى القاهرة ، او فى اسرائيل ، او فى اى مكان آخر . وقال الجمسى انه اذا رغب الطرفان ــ فيمكن ادخال الأمريكيين فى المحادثات . وان هــدف المحادثات ســيكون اعداد تفاصيل الترتيبات الضــفة الغربيــة وغزة ، وللمحادثات الثنائية بين مصر واسرائيل ، وفى نهاية المحادثات ، يوقع على وثيقتين بالحروف الأولى فى السر » .

« وتتضمن الوثيقة الخاصة بالترتيبات فى الضفة الغربية وغزة اعلانا بالنوايا . فمن وجهة نظــر مصرية ، يجب ان يكون هناك اعلان اسرائيلى عن الاستعداد للانســحاب من الضــفة الغربية

وغزة ـ فيمـا عدا تلك النقاط التى تستمر قواتنـا فى احتلالها لاعتبارات الأمن ، مثل مستوطنات على نهر الأردن ، او فى أعالى سلسلة الجبال . وعندئذ سيعلن السادات ان مصر واسرائيـل اتفقتا على اعـلان نوايا ، ويدعـو دول المواجهـة للدخـول فى مفاوضات على أساس ثنائى)) .

((ثم ينتظر عدة أسابيع ، يوقع بعدها على اتفاق سـلام مع اسرائيل بالنسبة الى سيناء . واذا دخل الأردن فى الصورة ، فيتولى حسين موضوع جوديا وسماريا وغزة . واذا رفض حسين الدخول فى المفاوضـات ، فيدخل السادات مكانه ، ويوقع على اتفاقية لتغطية الضفة الغربية وغزة)) .

((وبمقتضى (هذه) الاتفاقية تبقى المسـتوطنات القائمة ، ويسمح لليهود باقامة مستوطنات على الأراضى الخاصـة التى يشترونها ، وكذلك سيتم البحث عن حل للأراضى الحكومية كى تطرح للبيع ليشتريها اليهود ، ويرابط الجيش الاسرائيلى فى قواعد متفق عليها ، مثل تلك القائمة على نهر الأردن)) .

((واذا حدث اى نشاط لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الضـفة الغربية وغزة ، فيكون للجيش الاسرائيلى اليد الطليقة فى التعامل مع الارهابيين . أما المستوطنات فى سيناء ، فتبقى تحت السيادة المصرية ، ويحصل سكانها على الجنسية المصرية ، ولا يتمتعون بحماية الجيش الاسرائيلى)) .

((و يذكر وايزمان بعد ذلك انه كان لديه سبب وجيـه للرضى (يعنى : للرضاء) وانه كان يعتزم أن يشير فى تقريره الى مجلس الوزراء الاسرائيلى ان تقدما كبيرا قد تحقق ، وانه كان يستعد ـ فى صباح يوم ٣١ مارس (آذار) للعودة الى اسرائيل ، عنـدما تلقى مكالمة تليفونية عاجلة من الفريق الجمسى يدعـوه للذهاب معه الى القناطر الخيرية لمقابلة الرئيس السادات ، وانه عنـدما قابله لاحظ عليه التوتر بشكل غير عادى)) .

((وقال السـادات ـ واعود للاقتباس : بعـد مقابلة كارتر لبيجين ، سألنى كارتر عمـا اذا كنت مصرا على (اقامة) دولة

فلسطينية ، وقـد فكرت فى ذلك كثـيرا ، وقادنى تفكيرى الى الاقتراح بعيد المدى الذى قـدمته لك بالأمس . وبعـد مقابلتك بالأمس قابلت فى المساء ممثلين فلسطينيين من غزة ، ولم يقبلوا افكارى . انهم يريدون تقرير المصير . وفى هـذه المرحلة ، فان التأييد الفلسطينى لنا مهم . ونظرا لمعارضتهم ، لا أستطيع القول ان خطة الأمس مازالت قائمة ... ان لدينا مشكلة ، فأنا أعرف حدودى ، وان اقترح شيئا لا استطيع أن انفذه . ولكن عنـدما اتقدم بعرض ، فأنا التزم به .. والآن ، بالنظر الى معارضـة الفلسطينيين ، فانى لا اعلم اذا كنت استطيع الالتزام بما عرضته. لذلك فانى أعود الى الموقف الذى كان قائمـــا اول امس : يجب على بيجين ان يظهـر المرونة ، فأنا لا اطلب (اقامة) دولـة فلسطينية ، وانما (أطلب فقط) رابطة مع الأردن . فان اقامة رابطة مع الأردن يفهم منها ضمنا انه لا توجد دولة فلسطينية . و (قد) كان هـذا رايى قبل مبادرة السلام ، وهو رايى الآن . وسيكون هناك استفتاء ....)) .

((وهنا قاطعه وايزمان قائلا : ان الاستفتاء غير مقبول لنا . دعنا نعود الى حديثنا بالأمس ، والى اقتراحى بعقد مرحلة سلام مع مصر ، كمرحلة أولى . انك رجل شجاع . لقد طردت الروس وقت مبادرة السلام (يعنى : ان مبادرة السلام قـد ادت الى اخراج الروس) ، ويجب أن تكون لديك الشجاعة للوصول بها الى نتيجة . ولكن الأمر قـد انتهى)) .

((ويعلق وايزمان على ما حدث بأن التحول المفاجىء فى موقف الرئيس كان مؤسفا للغاية . ويبرر ما يتهمه به نقاده (منتقديه) من انه لا يثبت على حال ، ويتراجع عن تنفيذ تعهداته التى سبق ان التزم بهـا)) .

((اما انا (اى محمـد ابراهيم كامل) فقـد لاح لى الرئيس السادات فى دور جـديد ، متقمصا ، هذه المرة ، الشـخصية المزدوجة لدكتور جيكل ومستر هايد . ام انه لم يكن دورا ؟)) .

« وان كنت قد اسفت على شيء فهو ان وايزمان لم يسارع ، بعد مقابلته للسادات في القناطر الخيرية ، بنشر ما دار بينهما ، بدلا من الانتظار ثلاثة سنوات حتى يحكى القصة في كتابه . اذن لكنت تركت منصب وزير الخارجية منذ ذلك الحين ، ووفرت على نفسي عذاب الطريق عبر الســاعات والأيام والشــهور ، حتى وصلت الى مؤتمر كامب دافيد » . (كامل ، « السلام الضائع » ، ص ٢٣٣ — ٢٣٩) .

ملحوظة : نقلت ترجمة محمد ابراهيم كامل للفقرات السابقة من كتاب وايزمان كما هي ، وبالرغم مما يشوب الترجمة من ركاكة واضــحة » .

١٨

سُحُب العاصفة

لم يستطع « ايزر وايزمان » أن يجلب معـــه من القـــاهرة مقترحات مصرية محددة كى يعرضها فى اجتماع مجلس الوزراء الأسبوعى . وكان « بيجين » و « دايان » يخشيان أن يكون الهدف الذى يرمى اليه الســادات هو محـــاولة نسف علاقات اسرائيل مع الولايات المتحدة ، وليس التوصل الى تسوية لصراع الشرق الاوسط . وحاول « وايزمان » أن يثبت ان نيات السادات قــد تغيرت الى الأفضل ، ولكن زملاءه من الوزراء ـــ باستثناء « مائير آميت » ـــ لم تقنعهم الحجج التى قدمها .

وقال « بيجين » له بلهجة ساخرة :

ـــ « ايزر ، لا تنسى انه بعد اجتماع ٣٠ مارس ، اتى اجتماع ٣١ مارس ! » .

وفيما بعد ، أطلق على الاجتماع الذى عقده السادات مـــع « وايزمان » وتراجع فيه عن كل ما وعد به ، اسم « اجتماع اليوم التـــالى » .

وكانت العلاقات سيئة داخل مجلس الوزراء الاسرائيلى . فقد تجمع التأييد الأمريكى لمصر ومطالبة الدول الأوروبية لاسرائيل بالاعتراف بحقوق الفلسطينيين ومعارضة البلدان العربية الغاضبة للمفاوضات بالاضافة الى عدم الاستقرار فى الداخل ــ تجمعت كل تلك العناصر كى تخلق توترات هائلة ، اضيفت اليها مشاعر الحسد والغيرة ذات التاريخ القديم .

وثار جدل حاد حول افضل الطرق لادارة دفة المفاوضات ، وحول حقيقة النوايا المصرية .

فقد كان « دايان » يظن أن مصر لا تستطيع ابرام معاهدة صلح منفردة مع اسرائيل . وكان « وايزمان » ينفى ذلك ، ويقول ــ اعتمادا على اتصالاته المباشرة مع القادة المصريين :

ــ « ان كل ما تريده مصر هو غطاء ساتر على شكل اعلان للمبادىء ! » .

كما كان « وايزمان » يؤمن أيضا بأن السادات مستعد لتوقيع معاهدة صلح مع اسرائيل ، حتى ولو لم تنضم بلدان عربية أخرى الى مائدة المفاوضات .

وفى نفس الوقت ، كان السادات يرفض أى اتصال مباشر مع اسرائيل . وقد أبلغ « دايان » بوضوح عن طريق الولايات المتحدة : « لن أوافق على اجراء أى اتصال طالما لم يتحقق أى تقدم » . كما كان الرئيس المصرى يمارس الضغوط على «كارتر» كى يضغط ، بدوره ، على « بيجين » من أجل أن يتقدم « بعناصر اسرائيلية جديدة » على مائدة المفاوضات .

... ...

وفى احدى المناسبات العامة ، وبعد أن قام « وايزمان » باستعراض أزمة الثقة بين البلدين ، وبعد أن أعلن انه يؤمن ، رغم ذلك ، بصدق رغبة « السادات » و « الجمسى » فى السلام «

طلب « موردخاى جور » ، رئيس الأركان الاسرائيلى الكلمـــة ، وأعلن انه يعتقد ، خلافا لمـــا قاله « وايزمان » ، ان مصر ربمـــا كانت لا تريد السلام حقا ، وان السلام مع مصر لن يتحقق ابدا ، وان المفاوضات ليست سوى مرحلة اخـــرى من مراحل الصراع العربى ضد اسرائيل . وختم كلمته قائلا :

— « ان المصريين لا ينظرون الينا كشركاء متساويين ! » .

... ...

وفى شهر ابريل ١٩٧٨ ، عين الجنرال « رافاييل ايتـــان » رئيسا لأركان حرب جيش الدفـــاع الاسرائيلى بدلا من « موردخاى جـــور » . ولم يكن لـــ « ايتان » — وهـــو جندى محتـــرف — أية خبرة بالتحرك السياسى أو بالمفاوضات من اى نوع . كما كانت خبراته العسكرية تنحصر فى القتـــال ضد المصريين . وقد أعلن ، عقب توليه منصبه بوقت قصير ، انه من المستحيل الدفـــاع عن اسرائيل بدون السيطرة على الضفة الغربية . كذلك كان « ايتان » يعارض خطة الحـــكم الذاتى أيضا .

وكان كثير من الاسرائيليين يشعرون ، بالرغـــم من ذلك ، بالقلق من أن تكون الفرصة التاريخية لتحقيق السلام قد ضاعت . وكان اليسار — بمشاركة قطاعات أخرى من الرأى العـــام — يوجه الاتهامات الخطيرة الى « بيجين » والى « زملاءه » . وكـــان الكثيرون من معارضى « بيجين » قد بدأوا يكيلون له الثناء عنـــدما أخذت عجلة مبادرة الســـلام فى الدوران . ولكن حـــالة الركود السياسى جعلتهم يعودون الى مواقفهم السابقة ، وأخذوا يهاجمون « بيجين » بلا توقف .

... ...

ولم يكن « حزب العمل » أيضا يخفى انتقاداته للطريقة التى يدير بها « بيجين » عملية المفاوضات . وكان قادة الحزب حانقون

من عدم اطلاع الحكومة لهم على تفاصيل المفاوضات . ورغم ان الدكتور « بطرس غالي » كان قد تحدث ، أثناء زيارة السادات للقدس ، عن وجوب اقامة صلات بين مصر وبين « حزب العمل » ، فانه حتى شهر فبراير ١٩٧٨ ، لم يكن أى من هذه الصلات قد تمت اقامته .

ثم حدث ان كان السادات يقوم بزيارة للنمسا ، وكان « شيمون بيريز » ، زعيم « حزب العمل » ، يقوم فى نفس الوقت بجولة فى أوروبا . وقام المستشار النمساوى « برونو كرايسكى » بترتيب لقاء بين السادات و « بيريز » فى مكان يقع على الحدود « البافارية » ، حيث اعتاد « هتلر » أن يقضى أوقات فراغه . واستعرض الرجلان ، فى هذا اللقاء ، مواقف الجانبين المصرى والاسرائيلى . وكان « بيريز » يعتقد ان مسألة المستوطنات الاسرائيلية قد أصبحت مسألة هامة تتعلق بالكرامة والمهابة ، وانه على اسرائيل لذلك أن تظهر قدرا أكبر من « المرونة فيما يتعلق بالصياغات » . **وقد اصطبغ النقاش بين الرجلين بنفاذ الصبر السياسى الذى كان أحد سمات السادات فى تلك الفترة ، التى كان لا يكف أثناءها عن ترديد سؤال : « لماذا لا يستطيع الاسرائيليون أن يكونوا أسخياء ؟ »(١) .**

ورغم ان بيجين كان قد وافق على لقاء « بيريز » مع السادات ، فانه لم يكن راضيا عنه . فقد كان يخشى من أن يكون السادات يحاول مخاطبة المعارضة والرأى العام الاسرائيلى من فوق رأسه . وكان اللقاء قد أدى الى تدعيم مركز « بيريز » ونفوذ حزبه . ذلك ان « حزب العمل » تلقى ، لأول مرة ، تقريرا كاملا ومباشرا عن موقف السادات ، الامر الذى يمكنه من استخدامه كأساس لرسم سياسته .

كذلك أدى الاهتمام الواسع النطاق الذى حظى به اجتماع

بيريز — السادات الى زيادة حدة لهجة المعارضة فى الكنيسيت . وكان ينظر الى « حزب العمل » باعتباره أكثر اعتدالا وأثرى خبرة وتجربة . كما كانت مؤشرات شعبية بيجين ، فى نفس الوقت ، فى هبوط مستمر . وكانت الانتقادات المرة التى توجه الى سياسة الحكومة فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى ، كذلك الى طريقة ادارتها لعملية المفاوضات ، تسبب قلقا بالغـــا لـــ « بيجين » ولأعضاء حكومته .

وزاد من قلق « بيجين » تلقيه ، فى شهر مايو ، للخطاب الذى عرف فيما بعد باسم « رسالة الضـــباط » . وكان الموقعون على هذه الرسالة — وكان عددهم ٣٤٨ ضابطا احتياطيا ، حـــارب معظمهم فى الجبهة — قد عبروا فيها عن قلقهم من حالة الركود التى وصلت اليها عملية المفاوضات . وكان بعض هؤلاء الضـــــباط الاحتياطيون ينتمون الى جماعة المثقفين الحمائم . وكانت هـــذه الجماعة قد قررت ، بعد فشل مؤتمر الاسماعيلية ، أن تتحول الى حركة جماهيرية ، وأن تتخلى عن بعض العنـــاصر فى ايديولوجيتها كى تصل الى قطاعات أعرض من الرأى العـــام الاسرائيلى . وقد جاء فى « رسالة الضباط » هذه ، ان الموقعين عليها قد فعلوا كل ما طلب منهم لخـــدمة بلادهم ، وانهم سجلوا رتبهم العسكرية كى يوضحوا انهم سوف يكونون أول من يستدعى فى حالة نشوب حرب ، وان من حقهم لذلك أن يطلبوا تفسيرا لمـــا يحدث .

وقد أحدثت « رسالة الضباط » ردود فعل أقوى مما كـــان يتوقعه الموقعون عليها . وهكذا وجد هؤلاء الشبان — واغلبيتهم لا تزال فى العشرينات من عمرها وبدون اية خبرة سياسية من أى نوع — انفســـهم فجأة ، وبدون أى استعداد ، فى خضم حـــركة جماهيرية عريضة . واكتشفوا ان فى قدرتهم ، وبمجهود بسيط ، تجنيد وتنظيم أعداد هائلة من الناس ، معظمهم من الشبان . وكانت

هناك شائعات قوية مؤداها ان « وايزمان » يشجع هذه الحـــركة سرا .

وكانت المناقشات الحكومية الأساسية حـــــول مفاوضات السلام تعقد فى مكتب « بيجين » ، كما كان المشترك الوحيد فيهـــا هو « موشيه دايان » . ولم تكن الدعوة توجه الى « وايزمان » لحضور هـــذه المناقشات الا نادرا . كمـــــا كان الدبلوماسيون الاسرائيليون يشكون من عـــــدم اطلاعهم على ما يدور ، بحيث أصبحوا عاجزين عن أداء واجباتهم فى مختلف عواصم العـــالم . وبدأ الكثير من المواطنين العاديين يشعرون بأن فرصة تحقيـــــق سلام حقيقى قد ضاعت .

... ...

أما فى القاهرة ، فقد كانت الصحف تنادى بضرورة أن يحل زعيم اسرائيلى آخر محل « بيجين » كرئيس للوزراء ، وذلك حتى يمكن استئناف المفاوضات ، وتحقيق قدر أكبر من النجاح . وكان المصريون يظنون ان هجوما منسقا ومركزا على « بيجين » يمكن أن يجعله يفقد السيطرة على نفسه ، الأمر الذى يؤدى به ، الى خسارة التأييد الشـــعبى .

كذلك كان القادة المصريون يعتقـــدون ان حالة « بيجين » الصحية قـــد تدهورت بشكل خطير . وكان يأملون فى أن تقـــوم الولايات المتحدة باسقاطه ، الأمر الذى يتيح لـ « وايزمان » الذى لم يكن راضيا عن سياسة رئيس الوزراء ، ولحزب العمل ، تدبير انقلاب برلمـــانى . ولكن هؤلاء القادة أدركوا بوضوح ، تدريجيا ، ان فى استطاعة « بيجين » مقاومة كل هذه الضغوط .

ومن ناحية أخرى ، كان موقف السادات يزداد ســـوءا . ورغم ان مؤتمر الرفض العربى ، الذى انعقد فى الجزائر ، قـــد فشل فى الاتفاق على طريقة موحدة لمواجهة الموقف ، فان ذلك لم

يدخل سوى قدر صغير من الارتياح على قلب السادات . فقد كان عليه أن يواجه أزمة اقتصادية متعاظمة . **ورغم انه قام — دون ضجة — بتخفيض الميزانية العسكرية ، فان ذلك لم يجعل موقف البلاد الاقتصادى افضل من قبل** ، ثم حاول أن يلغى دعم السلع الغذائية أيضا ، ولكنه سرعان ما تراجع خشية حدوث موجة أخرى من الاحتجاجات والمظاهرات ، الأمر الذى أدى الى تقديم وزير المالية ، الدكتور « التيسونى » ، لاستقالته احتجاجا على تراجع رئيس الجمهورية .

... ...

وكانت الولايات المتحدة تخشى من انهيار عملية السلام ، ولذلك فانها لم تدخر جهدا من أجل ان تدور العجلة مرة اخرى . ولكن هذه الجهود اصطدمت بالموقف العنيد الذى اتخذه زعماء البلدين ، والذين كانوا يتعرضون لضغوط كبيرة داخل بلديهما .

ودخل « بيجين » المستشفى كى يعالج من تلوث فى غشاء قلبه . أما السادات ، فقد أغلق على نفسه أبواب قصره فى القناطر الخيرية ، ولم يكن يسمح حتى لأقرب مساعديه بلقاءه الا نادرا .

وقد كانت العقبة الرئيسية التى تعرقل عملية السلام هى مسألة مستقبل الضفة الغربية ، والتى كان من المستحيل احراز أى تقدم دون حلها .

ولذلك ، رأى « كارتر » ومساعدوه أن يعالجوا المشكلة من زاوية جديدة . وقرر الرئيس الأمريكى — وقد رأى ان « بيجين » لن يستطيع الوصول الى تفاهم مع السادات حول مستقبل الفلسطينيين — أن يحاول الحصول على وعد ملزم من «بيجين» بتسوية المسألة فى تاريخ يحدد فى المستقبل القريب . وكانت الفكرة الكامنة وراء هذه المحاولة ، هى انه اذا ما تمت الموافقة على تأجيل النظر فى المسألة الفلسطينية ، فانه يمكن فى هذه الحالة

التقدم نحو ابرام تسوية مصرية — اسرائيلة .

وأفرغت « مبادرة » الرئيس الأمريكى فى مذكرتين سلمتا الى الحكومة الاسرائيلية ، مرفق بهما طلب بضرورة الرد العاجل .

وفى هاتين المذكرتين ، طلبت الحكومة الأمريكية من «بيجين» وحكومته أن يقررا ما اذا كانت اسرائيل توافق على تحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وقطاع غزة فى خلال فترة خمس سنوات. وقد كان سؤال الحكومة الأمريكية يحوى عبارة « السيادة الكاملة » ، ولكن هذه العبارة استبدلت — بناء على طلب من «موشيه دايان»— بعبارة « الوضع النهائى » .

أما السؤال الثانى الذى وجهته الحكومة الأمريكية الى اسرائيل ، فقد كان يقول انه اذا كانت الاجابة على السؤال الأول بالايجاب ، فما هى الوسائل المناسبة ، فى رأى اسرائيل ، لتحقيق هذا الوضع ؟ .

كذلك قدمت المذكرتان مقترحات أمريكية تتعلق بالكيفية التى ترى الولايات المتحدة أن يكون عليها الرد الاسرائيلى . ويمكن تلخيص هذه المقترحات كما يلى :

سوف يكون فى مقدور اسرائيل أن تحدد الوضع الدائم للضفة الغربية وقطاع غزة بعد خمس سنوات ، وذلك عن طريق مفاوضات تجرى بين ممثلى كل من اسرائيل ومصر والأردن والفلسطينيين الذين يقيمون فى المنطقة . ثم يتعين بعد ذلك طرح نتائج المفاوضات على سكان المنطقة للحصول على موافقتهم عليها .

وبكلمات أخرى ، فان الهدف من هذه الصيغة الأمريكية كان الزام اسرائيل بالوصول الى قرار فيها يتعلق بمصير الضفة الغربية وغزة ، مع اعطاء الكلمة الأخيرة والفاصلة للسكان المحليين . وقد

المحت الولايات المتحدة ، بشكل يكاد أن يكون واضحا ، الى انها تعنى بذلك اجراء استفتاء بين الفلسطينيين .

وقد تراجعت الولايات المتحدة فيما بعد — بسبب المعارضة الحازمة من جانب الحكومة الاسرائيلية — عن اعطاء السكان المحليين الفلسطينيين حق الاعتراض (الفيتو) على الاتفاقية . وقد فسرت بعض التجمعات السياسية فى اسرائيل ما ورد فى المذكرتين على أنه أوامر واجبة التنفيذ .

ولكن الواقع ان « دايان » كان هو الذى شجع الولايات المتحدة — بشكل غير مباشر — على اتباع هذا الأسلوب فى معالجة المشكلة . فقد كان قد نجح فى اقناع « سيروس فانس » بأنه لم يعد هناك أى جدوى من مواصلةالسعى العقيم من أجل التوصل الى اتفاق حول اعلان المبادى . وكان من رأى « دايان » أنه من الأفضل اتباع الطريق العملى ، وذلك بالبحث عما اذا كان ممكنا لمصر واسرائيل أن يتفقا على العناصر المكونة لاتفاقية تتعلق بالأراضى المحتلة . وفى هذه الحالة ، فانه يكون من المتاح طرح المبادىء جانبا ، ومعالجة الظروف الواقعية بدلا من ذلك .

كذلك استطاع وزير الخارجية الاسرائيلى (آنذاك) — بقدر من الصعوبة — اقناع « بيجين » ومجلس الوزراء بالموافقة على انطباق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ على الضفة الغربية وقطاع غزة ، وذلك رغم أن التفسير الاسرائيلى الجديد للقرار كان يعتبر الحكم الذاتى هو التطبيق الصحيح للقرار المذكور فى هذه الأراضى . ويرتكز هذا التفسير الجديد على الادعاء القانونى بأن مجلس الأمن حين اتخذ قراره رقم ٢٤٢ ، لم يكن يعنى بالضرورة ان اسرائيل سوف تقوم بانسحاب على جميع الجبهات . كذلك كانت اسرائيل تزعم ان الشىء الوحيد الذى يعنيه القرار رقم ٢٤٢ هو انهاء الاحتلال العسكرى . وبالرغم من هذا التفسير « التلمودى » ،

فان ذلك كان يمثل خطوة صغيرة الى الأمام .

اما « وايزمان » فقد أعلن أنه مستعد للاجابة على السؤال الامريكى الأول بالايجاب ، أى بأن اسرائيل توافق على تحديد الوضع النهائى للضفة الغربية فى بحر خمس سنوات . ولكن « وايزمان » كان يؤكد أيضا ان هذا الوضع ، أيا كان ، يجب أن تشترك فى تحديده كافة العناصر المشتركة فى عملية السلام ، وبأن يكون لكافة هذه العناصر ، ومنها اسرائيل ، الحق فى الاعتراض (الفيتو) .

وقد ظل « بيجين » وقتا طويلا محجما عن اعلان رأيه ، مكتفيا بأن يستمع فى صبر الى ما يقوله أعضاء مجلس الوزراء . على أن « وايزمان » كان يشكو من ان « بيجين » و « دايان » يلتقيان أكثر مما يجب .

وقد كان النقاش داخل مجلس الوزراء مريرا وطويلا ، ويدور على مستوى شخصى . كما كان التوتر الذى يسود العلاقات بين كبار الوزراء قد وصل تقريبا الى نقطة الأزمة . أما « بيجين » فقد كان متعبا ومريضا ، ويشير كثير الى رغبته فى الاستقالة . ويقول معاونوه ان تلك كانت أسوأ الأيام التى عاشها أثناء عملية السلام .

وقد قام « وايزمان » أيضا ، أثناء النقاش بزيارة « بيجين » . ولسبب ما ، تولد لديه انطباع ، عقب هذه الزيارة ، بأن « بيجين » يؤيده فى رأيه .

ولكن الاجابات التى اتفق عليها مجلس الوزراء لم ترض « وايزمان » ، الذى شعر بأن « بيجين » و « دايان » قد خدعاه فى اللحظة الأخيرة . وقد صاح بأعلى صوته ، وهو يغادر اجتماع مجلس الوزراء ، بأن هذه الحكومة لا تريد السلام ، وانه سوف يذهب لاعداد الجيش للحرب .

ولم تكن اجابات اسرائيل على الأسئلة الأمريكية ، كما صاغها « موشيه دايان » ، ترضى متطلبات واشنطون ، ولكنها — وكما ثبت فيما بعد — كانت تترك فرجه صغيرة للغاية فى الباب شبه المغلق . وقد كان كل ما تم تحقيقه فى هذه المرحلة هو امكانية بدء نقاش حول طبيعة التسوية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبدون أن توجد بعد أرض مشتركة يمكن أن تجمع بين كارتر والسادات من ناحية ، وبين « بيجين » و « دايان » من ناحية أخرى . ورغم موافقة السادات على استحالة المطالبة باقامة دولة فلسطينية على الفور ، أو بوعد اسرائيلى ملزم بالانسحاب الكامل ، فانه لم يكن يوافق على أن يتم تحديد « علاقات المستقبل » بعد خمس سنوات أخرى ، وتحت سيف « الفيتو » الاسرائيلى .

وقد كتب مدير المخابرات المصرية ، فى نهاية شهر يونيو ١٩٧٨ ، رسالة الى « وايزمان » يقول فيها :

— لقد تركتم الفلسطينيين دون أمل . ونحن نشعر بخيبة أمل كبيرة فى الاجابات الاسرائيلية على الأسئلة الأمريكية .

أما « وايزمان » فقد كان ، آنذاك ، لا يكف عن قطع حجرته جيئه وذهابا فى غضب وضيق . وكان يقول لمساعديه :

— يجب مقارنة زيارة السادات للقدس بهبوط اول رجل على القمر . ولكن هذا الرجل الذى كان أول من هبط على القمر ، عاد الى الأرض بعد ذلك . ومشكلتنا الآن هى كيف نعيد الجميع الى الأرض ، بدلا من أن نتركهم يدورون حولها ! » .

أما « بيجين » فقد أسر الى بعض أصدقاءه ، عقب الاجتماع الذى ناقش فيه مجلس الوزراء الأسئلة الأمريكية ، بأنه لولا مرضه لكانت لديه الشجاعة الكافية لكى يقترح على المجلس الاجابة بالايجاب على السؤال الخاص بـ « الوضع النهائى » للضفة والقطاع ، كما كان رأى « وايزمان » .

أما السادات ، فقد كان يتتبع المناقشات فى مجلس الوزراء الاسرائيلى بدهشة كبيرة ، فقد كان يجهل تماما هـذا النوع من الممارسة السياسية . وكان يظن أحيانا ان هذه المناقشات لا تعدو أن تكون مسرحيات معدة سلفا . ولكن كان هناك أمر واحد لم تعد الشكوك تساوره بشأنه وهـو : انه لا « وايزمان » ولا حركة السلام الآن » هى التى تصنع القرار فى اسرائيل .

وعلى ذلك ، فانه اذا كان يريد مواصلة عملية السـلام ، فان عليه أن يعود الى « بيجين » و « دايان » .

هوامش الفصل الثامن عشر

(١) يقول محمد ابراهيم كامل عن اجتماع السادات — بيريز :

« ... فى سالزبورج استقبلنا المستشار كرايسكى فى المطار . وتوجهنا الى احد القصــور الأثرية ، حيث كان مقررا أن تجرى المباحثات . واجتمع الرئيس السادات مع كرايسكى على انفراد ، بينما اجتمعت أنا مع وزير الخارجية « بار » الذى لم يخف تشاؤمه من نجاح المبادرة ، رغم أن (الأدق : بسبب أن) تعاطفه مع القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير كان واضحا وصريحا ، أساســه الاقتناع بعدالة حقوقهم وتقديره لمــاساتهم الانسانية المؤثرة . وقد ارتحت لذلك ، وتوطدت بيننا علاقة تقدير وتفاهم » .

« وكان كرايسكى نفسه — وهو يهودى — يتخذ موقفا واضحا فى تأييد القضـــية الفلسطينية ، وينتقد مواقف اسرائيل الجامدة المتعنتة ، ويهاجم سياسة بيجين الذى تقاعس عن التجاوب مع مبادرة الســـلام » .

« كذلك كان كرايسكى قد رتب لقــاء للرئيس الســادات مع شيمون بيريز ، رئيس حزب العمل الاسرائيلى ، والذى قــدم من هامبورج خصيصا ، حيث كان يرأس الوفد الاسرائيلى فى مؤتمــر الاشتراكية الدوليـــة » .

« بعد اجتماع بيريز مع السادات ، والذى امتد لأكثر من ساعتين ، طلب بيريز مقابلتى . وقد بدأ الحديث باعرابه عن الاعجاب بالرئيس السادات وشجاعته ، وامله فى ان يتحقق الســلام . ثم ما لبث ان

انتقل الى الحديث عن المستوطنات ، فقال — وكأنه يريد أن يكسب ودى — انه لا يوافق على انشاء مستوطنات جديدة فى سيناء . وأجبته بأنه لا يعنينى كثيرا مستوطناتهم القديمة أو الجديدة فى سيناء ، فمصيرها الزوال على أى حال ، ولكن ماذا عن المستوطنات الجديدة التى تقيمونها فى الضفة الغربية وغزة ؟ . فقال مندهشا : وماذا فى ذلك ؟ . ان من حقنا الاستيطان فى أى مكان ، وهذه مستوطنات مدنية يعيش فيها اليهود ، ويكدحون لكسب رزقهم . قلت : ان ذلك جائز فى أرض لا صاحب لها ، ولكن هذه أرض الشعب الفلسطينى . فقال : ومع من نتكلم ؟ . فقلت : ها أنذا أكلمك . وأرجو أن تعمل على وقف بناء المستوطنات فى الأرض الفلسطينية ، الى أن تتفاوضوا مع ممثلى الشعب الفلسطينى ، وهم الذين يقررون الموافقة أو الرفض على انشاء المستوطنات » .

« وهنا حضر الضابط المكلف بحراستى ، وأبلغنى بالاسراع الى الخارج ، حيث يتأهب الرئيس السادات لركوب السيارة للذهاب الى المطار . فقمت ، وصافحت بيريز ، الذى كان يحدق فى وجهى بنظرة ملؤها الاندهاش والتعجب . ولم أفهم سر هذه النظرة التى طفت على أسارير وجهه الا بعدها بشهور . كان سر دهشته أنه سمع وزير خارجية السادات يتكلم معه على وتر يخالف الوتر الذى تكلم عليه الرئيس السادات معه ، منذ أقل من ثلث ساعة » .

(كامل ، « السلام الضائع » ، ص ١٦٠ و ١٦١) .

١٩

دبلوماسية القلعة

عندما بدأ صيف عام ١٩٧٨ ، لم يكن هناك ما ينذر بحدوث أى تغير فى مباحثات السلام بين مصر واسرائيل ، والتى كانت قد وصلت الى طريق مسدود . وكانت الولايات المتحدة آنذاك قد تورطت فى عملية السلام بشكل لم يحدث من قبل . وتبودلت بين واشنطون والقدس عشرات المذكرات والايضاحات التى كانت تهدف كلها الى التوصل الى صياغة مقبولة لاعلان بالمبادىء ، يمكن أن تمهد الطريق الى مفاوضات أكثر تكثفا . ولكن كل هذه المذكرات والاتصالات لم تسفر عن شىء ، وفشلت فى التوصل الى صيغة مقبولة للطرفين .

واقترح وزير الخارجية الاسرائيلى ، « موشيه دايان » ، التخلى عن فكرة اصدار اعلان بالمبادىء . ولما كان يعرف — كما كان يعرف زملاءه فى مجلس الوزراء الاسرائيلى — ان الضفة الغربية وقطاع غزة هما العقبتان الرئيستان فى طريق السلام ، فقد اقترح أن تحاول اسرائيل ومصر التوصل الى اتفاق بشأن المستوطنات هناك .

وفى أوائل شـــهر يوليو ١٩٧٨ فاجأت مصر اسرائيل بنشر خطة مصرية للانسحاب الاسرائيلى . وكان « بيجين » قـــد طلب من الحكومة المصرية أكثر من مرة ، بعد رفض خطته للسلام ، أن تقدم خطتها فى هذا الشأن .

وأخيرا ، قبل السادات تحدى « بيجين » ، وكانت الخطـــة المصرية ترتكز على اعادة الضفة الغربية للأردن ، واعادة قطاع غزة الى مصر .

ولكن « بيجين » ، بطبيعة الحال ، رفض المقترحات المصرية التى لم تنجح فى بعث حياة جديدة فى مبادرة الســـلام التى كانت تواجـــه الموت .

وكان موعد قيام الرئيس المصرى بأجازته السنوية قد حل . واختار السادات ، كما حدث عدة مرات من قبل ، قلعة « فوشيل » التى تقع بالقرب من مدينة « سالزبورج » النمساوية ، كى يقضى اجازته بهـــا .

وكان « وايزمان » ، قد طلب ، قبل ذلك أن يلتقى بالسادات . وقد تأخر رد السادات على طلب « وايزمان » حتى منتصف شهر يوليو ، حين قـــرر أن يدعو « وايزمان » للقـــدوم الى النمســـا بمصاحبة « الجمسى » .

وتم اللقاء بين السادات و « وايزمان » فى ١٣ يوليو ١٩٧٨ فى قلعة « فوشيل » . وقاد « الجمسى » « وايزمان » الى حجرة السادات ، الذى أشار الى « الجمسى » ، بعد برهة قصيرة ، أن يغـــادر الحجرة . وبـــدأ السادات بالحـــديث عن المحـــادثات الاسرائيلية — المصرية — الأمريكية التى كان من المقرر عقدها فى « ليدز » بانجلترا ، قال :

— « لقـــد أردت أن التقى بك قبل أن يغادر وفدنا البلاد لحضـــور مباحثات « ليدز » . فأنا أخشى كثيرا أن تفشل هـــذه

المباحثات . ولذلك فانه من المهم ، الى اقصى حد ، ان نعد سلفا الظروف التى تتيح لمبادرة السلام مواصلة الحياة . ولكن ذلك ليس هو السبب فى دعوتى لك ، على اية حال . فأنا أريد أن أوضح بعض النقاط ، وأن تكون أنت الرجل الذى ينقل هذه الايضاحات الى حكومتك . وبهذا الشكل فقط ، يمكن لضميرى أن يستريح ! » .

ثم بدأ التوتر يرتسم بوضوح على وجه الرئيس المصرى . وأخذ « يوضح » لوزير الدفاع الاسرائيلى ان المفاوضات قد طالت اكثر مما يجب . فقد مر ما يقرب من العام على زيارته للقدس ، كما ان فترة قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة سوف تنتهى فى شهر اكتوبر القادم ، وسيكون عليه عندئذ أن يقرر اذا كان سوف يمد هذه الفترة أم لا .

ثم ، وعلى حين فجأة ، قال السادات :

ــ « اذا لم يحدث تقدم حتى شهر أكتوبر ، فاننى سوف أقدم استقالتى » .

وتملك الذهول « وايزمان » . ولكنه سرعان ما تمالك نفسه وصاح فى الرئيس المصرى .

ــ « لو استقلت ، فسوف يكون ذلك خطأ كبيرا . ان الأمة المصرية فى حاجة اليك ! ان المنطقة كلها تحتاج لك ! لا يجب أن تفعل ذلك ، لأنه سوف يضر ، بالقطع ، عملية السلام » .

السادات : « أنا أعرف ان الشعب المصرى لن يوافق على استقالتى (!! ؟ ــ المترجم) (١) ولكنكم يجب أن تقولوا لى شيئا ، حتى تواصل عجلة المفاوضات دورانها . فعندما ذهبت اليكم فى القدس عام ١٩٧٧ ، كنت مقتنعا بأنكم سوف تفعلون شيئا ما لاظهار تقديركم لهذه الزيارة . وكنت واثقا انكم سوف تعلنون فى الكنيست عن استعدادكم للانسحاب الى خط العريش ــ رأس محمد

علـى الفـور . ولكن ، ماذا فعلتم فعـلا ؟ لا شيء ! . كنت أظن انكم تملكون ما يكفى من المبـادرة والشـجاعة !! أين هى الحكمة الاسرائيلية التى سمعنا عنها الكثير ؟ » .

وايزمان : « سيادة الرئيس ، انا لا أعتقد أنه من الممكن اليوم القيام بتنازل من جانب واحد . ولكننى سـوف أنقل ما قلته الى رئيس الوزراء » .

السادات : « اننى اقترح أن تعلن اسرائيل انها سوف تسلم « العـريش » و « جبـل موسى » الى مصـر اليـوم كى يكونا جزيرتين مصريتين تقـوم بادارتهما حتى قبل أن يتم توقيع معاهدة للسلام بيننا . ولن تكون بحاجة الى طريق برى ، فسوف نستخدم الطائرات . فأنا أريد أن أحول « العريش » الى مدينة السلام . وسوف نعقد كل محادثاتنا هناك . وسوف ندعو بعض الزعماء العرب الآخرين الى هناك . سوف نطلب من الملك خالد، ومن الأسـد ، ومن الملك حسين القدوم الى العريش ، وسوف يشتركون فى محادثات السـلام » .

وايزمان : « وما الذى سوف تفعله بجبل موسى ؟ » .

السادات : « اريد بناء مسجد ومعبد وكنيسة فوق جبـل موسى ، بعد ان أتسلمه منكم مباشرة . وأريد أن أذهب كى أصلى فى سانت كاترين عند انتهاء شهر رمضان .. » .

ثم أردف السادات مبتسما :

— « وأرجو عندئذ أن لا تطلقوا النار على ! » (٢) .

وايزمان : « انها فكرة طيبة . ولكنه يبدو لى أنه من الأفضل بدلا من ان اقوم انا بنقلها الى بيجين ، أن تنقلها أنت له شخصيا، فهو الرجل الذى يجب عرض هذه الفكرة عليـه » .

وقرر « وايزمان » ، عندئذ ، ان الفرصـة مواتية كى ينقل الى السادات غضب « بيجين » من لقاءه مع « بيريز » ، وهـو

غضب كن « وايزمان » يشاركه فيه :

— « سيادة الرئيس ، ان عليك أن تفهم أيضا النظام السياسى الاسرائيلى . ان بيجين هو رئيس الوزراء ، وديان هو وزير الخارجية ، وبيريز هو زعيم المعارضة . وقد كان بيريز ، وقتا ما ، هو وزير الدفاع ، ولكنه ليس عضوا فى الحكومة اليوم . ويجب أن تعرف ان الناس فى اسرائيل يعتقدون انك تريد بذر بذور الشقاق فى صفوف الزعامة الاسرائيلة ، وانك تريد أيضا خلق فجوة بين الحكومة والشعب » .

السادات : « صدقنى ان شيئا من ذلك لم يخطر ببالى . وسوف اكون على استعداد لمقابلة بيجين عند ابرام معاهدة السلام فقط . وانا آسف لسماعى ان رئيس الوزراء يشعر بالمرارة تجاهى ، فأنا لا أشعر هكذا تجاهه » .

وايزمان : « يجب أن تلتقى بزعماء اسرائيليين آخرين . لابد أن تعرفهم وأن تتفهم ما يقلقهم . وسوف أحضر معى فى المرة القادمة وزير زراعتنا أريل شارون » .

السادات : « سوف أزج به عندئذ فى السجن ! » (٢) .

واستمر الحديث بين الرجلين ، وطال . ودخل أحد الخدم يدفع أمامه مائدة متنقلة تحمل الشاى للرئيس المصرى ، وقطعة هائلة من « ايس كريم » الفراولة لوزير الدفاع الاسرائيلى . وبينما كان السادات يرشف الشاى ، كان « وايزمان » يلتهم « الأيس كريم » ذو اللون الوردى فى تلذذ واضح .

وأخذ السادات يكرر انه ينبغى ابرام معاهدة السلام فى أسرع وقت ممكن :

— « ويجب أن تحوى الاتفاقية نصا تلتزمون بمقتضاه بالانسحاب من كل سيناء والضفة الغربية وغزة . كما انكم اذا انهيتم الحكم العسكرى فى الضفة الغربية وغزة ، فاننى من

جانبي ســـوف أوافق على تأجيل الانسحاب حتى يتم اتخـــاذ ترتيبـــات الأمن » .

وايزمان : « وكيف يمكن تسوية خلافاتنا حول هـــذه النقطة الحساســـة ؟ ذلك ان مشكلة الأمن لا تتمثـــل في الأردن فقط ، وانما هي تنطبق على الجبهة الشرقية بكاملها . كذلك فاننا يجب أن ندخل مسألة الأمن الداخلي في اعتبارنا » .

السادات : « هذا معقول ، وأنا اوافق على انشاء قوة شرطة مشـــتركة » .

وايزمان : « وهل سيوافق حسين على هذا الاقتراح » ؟

السادات : « بدون شك . وسوف يشارك عدد من ضباطنا في القوة المشتركة ، واعتقد أن حسين سوف يوافق على ذلك . فهو يحتاج كثيرا للمملكة السعودية . وقد ذهب نائبي مبارك كي يتباحث معه حول المشروع . أنا متفائل ، على أية حال ، واعتقد أن حسين سوف ينضم الينا . ولكنني أعتقد ان الأسد ســـوف يرفض ، فهو غارق حتى أذنيه لبنـــان . وقد قلت له ، عنـــدما أرسل قواته الى لبنان ، أن تلك سوف تكون نهايته » (٤) .

وايزمان : « وما الذي ســـوف يحدث اذا لم ينضم حسين الينـــا » ؟

السادات : « سوف أتحمل عندئذ بنفسي مسؤولية الضـــفة الغربية وقطـــاع غزة . ولكننا يجب أن نجرى انتخـــابات هناك . وسوف أطلب منكم التنازل عن حق الاعتراض فيما يتعلق بنتيجة الاستفتاء . وسوف تحدث تغيرات في منظمة التحرير ، وربما أخذ أبو جهاد مكان ياسر عرفات »(٥) .

وايزمان : « أنت تظهر اهتماما أكثر مما يجب بالملك حسين . وفي رأيي ان حسين قد ارتكب ثلاث أخطاء رئيسية : فقـــد ارتكب الخطأ الأول حين هاجمنا في عـــام ١٩٦٧ بعـــد أن حـــذرناه أن

يفعل ذلك ، أما الخطأ الثاني فقد ارتكبه حين لم يشترك فى حرب عام ١٩٧٣ ، وكان عدم قدومه الى القدس لمقابلتك هناك هو الخطأ الرئيسى الثالث الذى وقع فيه » .

وانتقلت المناقشة الى موضوع آخر :

السادات : « سوف يكون علينا أن نناقش موضوع مستوطناتكم فى الضفة الغربية بشكل منفصل . أما مشكلة القدس ، فيمكن معالجتها داخل هذا الاطار » .

وايزمان : « وما هى الصلة بين القدس والمستوطنات ؟ » .

السادات : « انا اتفق معكم فى انه لا يجب تقسيم القدس مرة أخرى ، ولكنها يجب أن تدار بشكل مختلف . وسوف يكون من الضرورى اقامة مجلسين بلديين : أحدهما عربى والآخر يهودى ، على أن يكون هناك مجلس أعلى مشترك يضم الأمتين . أما أماكننا المقدسة ، فسوف تحتاج الى ترتيب خاص ، ذلك انه لابد من وضعها تحت اشراف عربى اسلامى » .

وتناول النقاش بين الرجلين مسألة المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء .. وحاول « وايزمان » أن يثنى السادات عن اصراره على ضرورة اجتثاثها تماما . واقترح مناقشة الترتيبات المتعلقة بالسكان وبالحكم الذاتى فى غزة أولا ، وذلك قبل عقد اتفاقية خاصة بالضفة الغربية . واقترح ، ايضا ، توسيع نطاق قطاع غزة كى يشمل مدينة « ياميت » الاسرائيلية (فى سيناء) ، وبذلك يمكن تطبيق ما يتم الاتفاق عليه بشأن القطاع عليها .

كذلك أبلغ « وايزمان » الرئيس المصرى بأن اسرائيل لابد لها من الاحتفاظ بواحدة على الأقل من القواعد الجوية الثلاث فى سيناء ، وذلك بسبب التهديد العسكرى الذى يواجهه اسرائيل من الشرق .

السادات : « أنت جندى مجرب ، فهل تخشى السعودية

بشكل جدى ؟ انهم لا يمثلون أى تهديد بالنسبة لكم » .

(لاحظ « وايزمان » أن السادات لم يعترض على اقتراحه بخصوص قطاع غزة ، مفضلا عدم مناقشته فى هذا الاجتماع) .

السادات : « أما بالنسبة الى المطارات العسكرية ، فسوف ادعكم تحتفظون بها فترة عامين ، ثم نحولها بعد ذلك الى مطارات مدنية . وأنا من جانبى ، لن أضع فرقة من الجيش فى سيناء ، ربما لواء واحد فقط » .

ثم تحدث الرجلان عن السماح لقوة طوارئ تابعة للأمم المتحدة بالتمركز فى سيناء . وقال السادات أنه مستعد لمناقشة أى وجود عسكرى ، ولكنه لم يخف أنه يفضل التواجد الأمريكى العسكرى :

« إن كارتر لم يخيب أملى فيه حتى الآن . (مشيرا بيده الى وايزمان) نحن نحتاج الى الولايات المتحدة . ولن نستطيع بدون الولايات المتحدة ، أن نعيد بناء مصر . والواقع أن كلينا يحتاج الى الولايات المتحدة ، فهى التى سوف تمول السلام » .

وانتقل السادات بعد ذلك الى الحديث عن الأخطار التى يمثلها الاتحاد السوفيتى ، محذرا وزير الدفاع الاسرائيلى من نشاطات موسكو التخريبية الهدامة . وقال الرئيس المصرى ان الروس قد نجحوا فى مد نفوذهم الى القرن الأفريقى واليمن الجنوبية وأفغانستان . كذلك لفت السادات نظر « وايزمان » الى المساعدات التى يقدمها الروس الى العقيد « القذافى » كى يدبر انقلابا فى مصر :

ـ « ولكننا على علم بكل تحركاتهم ، وسوف نحبطها ، كما أحبطنا مؤخرا مؤامرة انقلابية كان يدبرها بعض الضباط الذين تلقوا عونا ماليا من ليبيا » .

وبدأ حماس السادات يتزايد ، وأخذ يتحدث عن المستقبل

الوردى الذى ينتظر مصر واسرائيل ، وعن العلاقات الوثيقة التى سوف تتوطد بينهما .

ــ « سوف نقوم ، بالاشتراك معكم ، باقامة خط كبير لأنابيب المياه من النيل لرى سيناء وصحراء النقب ، كذلك سوف تبيع مصر البترول لاسرائيل وتتلقى منها المساعدة العلمية (٦) .

وكان واضحا ان حالة مصر الاقتصادية تسبب للسادات قلقا أكبر من أى شىء آخر . وشرح لوزير الدفاع مدى احتياج مصر للسلام ، حتى ولو كان ذلك لأسباب مالية فقط ، وقال :

ــ « أنظر ما الذى حدث لمصر بالمقارنة بالدول العربية الأخرى . لقد كانت مصر ، قبل أن يصبح النفط أحد المحاور المركزية فى الاقتصاد الدولى ، أكثر البلدان العربية ثراءا ، ولكنها الآن أفقرها » (٧) .

وعندما عاد « وايزمان » الى غرفته بالفندق ، بعد اجتماعه بالسادات الذى امتد الى نحو ثلاث ساعات ، فوجىء بكمكة ضخمة من « الآيس كريم » تنتظره هناك . وكانت « جيهان » ، زوجة الرئيس المصرى الثانية ، هى مرسلة تلك الهدية ، بعد أن لاحظت مدى شغف وزير الدفاع الاسرائيلى بالآيس كريم . واتصل وايزمان بالسيدة جيهان تليفونيا وشكرها بحرارة على لفتتها هذه (٨) .

وفور عودته الى اسرائيل ، عقد « وايزمان » اجتماعا لمساعديه ، أوصاهم فى بدئه بالتزام السرية الكاملة حتى لا تتسرب أنباء طلبات السادات ، وخاصة ما يتعلق منها بالعريش وسانت كاترين .

كذلك رفع « وايزمان » تقريرا لـ « بيجين » عن زيارته للقاهرة ، أوصى فى نهايته بأن يكون رد اسرائيل على طلبات السادات ايجابيا ، على أن تقوم مصر من جانبها بلفتة مماثلة ،

قد تكون السماح للبضائع الاسرائيلية التى تحملها سفن اسرائيلية بالمرور فى قناة السويس(٩) .

وبعد مرور ثلاث أيام فقط على ذلك ، تسربت الأنباء عن طلبات الرئيس المصرى من اسرائيل ، واستشاط «وايزمان» غضبا. ذلك انه لم يحدث من قبل أن تسربت أنباء محادثاته مع الرئيس المصرى ، الذى أشار الى ذلك عدة مرات . وقد كان من رأى « وايزمان » أن الأنباء قد تسربت بشكل متعمد من أجل الاضرار بعلاقاته الشخصية مع الرئيس المصرى .

وعبرت مصر — عن طريق رسالة بعث بها الوفد العسكرى الاسرائيلى المقيم فى مصر — عن غضبها :

— « عبر الرئيس المصرى عن خيبة امله لعدم التزامك بالوعد الذى قطعته على نفسك بالحفاظ على سرية المباحثات » .

ولم يكن هناك شىء آخر يمكن لوزير الدفاع الاسرائيلى أن يفعله بجانب تقديم اعتذاره عن ما حدث .

وكان من نتائج تسرب الأنباء هذا ، ان أصبح من الضرورى أن ترد اسرائيل على مطالب السادات بشكل رسمى . وعندما طلب من « بيجين » أن يعلق على مطالب السادات الخاصة بالعريش و « سانت كاترين » ، قال فى غضب :

— « ان المرء لا يحصل على شىء فى مقابل لا شىء ! وعندما تبدأ المحادثات مرة أخرى ، فسوف نستمع الى هذه المقترحات ، وسوف نعلن عندئذ ردنا عليها ! .

ولم يكن ذلك يعنى شيئا آخر غير الرفض العلنى لمقترحات السادات . ولم يقف بيجين عند هذا الحد ، بل انه بعث برسالة الى القصر الجمهورى فى القاهرة ، أوضح فيها انه قد اضطر الى رفض الاقتراح بأن تقوم اسرائيل بايماءة ، أو أن تقدم دليلا على حسن نواياها، بوصفه اقتراحا أحادى الجانب. واقتراح «بيجين»

فى رسالته استئناف المباحثات ، والعودة مرة اخرى الى أسلوب المفاوضات المباشرة . كذلك اقترح بيجين عقد اجتماع بينه وبين الرئيس المصرى أما فى حيفا واما فى الاسكندرية ، وترك للسادات حرية اختيار واحدة من هاتين المدينتين .

وكان السادات يعتقد ان الاسرائيليين قد سربوا أنباء محادثاته مع وايزمان عمدا ، حتى يمكنهم اذاعة رفض « بيجين » لها . ومما أكد للسادات اعتقاده هذا ، ان فحوى رسالة «بيجين» قد وصله عن طريق السفارة الأمريكية فى القاهرة ، وقبل أن يتمكن رئيس الوفد العسكرى الاسرائيلى المقيم فى القاهرة من ابلاغ الرسالة الى الرئيس المصرى . وقد استنتج السادات من ذلك ان القادة الاسرائيليين يريدون احراجه .

وأدركت القدس انها قد أهانت السادات ، وخاصة حين فوجىء « بيجين » بالرد المصرى يصله عن طريق الولايات المتحدة . ذلك ان المصريين بهذه الطريقة قد أوضحوا ، لأول مرة ، انهم لم يعودوا يهتمون باقامة اتصالات مباشرة مع اسرائيل ، وانهم قد قرروا استخدام الولايات المتحدة كوسيط . كذلك استنتج القادة الاسرائيليون من الطريقة التى بعثت بها مصر ردها ، ان السادات يريد أن يلمح لهم انه لم يعد هناك دور يمكن أن يقوم به الوفد العسكرى الاسرائيلى المقيم فى مصر .

وكانت الكآبة تسود الجو فى القدس وفى القاهرة أيضا . وارتفعت أصوات فى اسرائيل تطالب « بيجين » بالاستقالة اذا لم يدر مفاوضات السلام بشكل أكثر نشاطا وايجابية . وارتفعت الروح المعنوية فى صفوف « حزب العمل » المعارض بعد نشر بيان فيينا « (أى البيان الذى أصدرته الاشتراكية الدولية فى اجتماعها الذى عقد فى فيينا فى صيف عام ١٩٧٨ — المترجم) واجتماع السادات مع زعيم الحزب « شيمون بيريز » ، وأصبحت لهجة

الحزب أكثر حدة بشكل زعزع مركز الحكومة شيئا ما . وقد دفع ذلك « بيجين » الى استخدام الفاظ غير لائقة لوصف « بيريز » أثناء حديث مع بعض أنصاره فى « كافيتريا » الكنيسيت . كذلك كشف معلومات أفضى بها بيريز له ، بعد أن وعد « بيجين » باحترام سريتها . كما أعلن انه لن يسمح لزعيم المعارضة بمقابلة السادات مرة أخرى .

ونتيجة لذلك كله ، هبطت شعبيته من نحو ٨٠٪ — عقب زيارة السادات للقدس مباشرة — الى نحو ٥٠٪ فقط فى صيف ١٩٧٨ .

ووسط هذا الجو الثقيل المنذر ، وفى شهر يوليو ١٩٧٨ ، وصل وزير الخارجية الاسرائيلى الى مدينة « ليدز » بانجلترا ، كى يجتمع فى قلعة المدينة مع وزير الخارجية المصرية الجديد « محمد ابراهيم كامل » ، ووزير الخارجية الأمريكى « سيروس فانس » ، الذى أعلن أكثر من مرة أنه قد حضر كى يقوم برئاسة الاجتماعات فقط . أما « شمعون بيريز » و « وايزمان » — الذى كان قد قابل الرئيس المصرى فى « سالزبورج » — فقد أوضحا لوزير الخارجية الاسرائيلى ان فرص نجاح المؤتمر ضئيلة للغاية، وان السادات قد وافق على اشتراك مصر فيه تأدبا منه نحو كارتر فقط .

وسعى « دايان » جاهدا كى يجد طريقة لانقاذ المؤتمر ، من أجل تجنب وصول العلاقات الاسرائيلية المصرية الى طريق مسدود ، وكى لا يوجه اللوم الى اسرائيل اذا ما فشل المؤتمر . وفى احدى حفلات « الكوكتيل » التى أقيمت تكريما للوفود الثلاثة، شوهد وزراء الخارجية الثلاث ، كامل وديان وفانس ، وهم يتهامسون طويلا فى أحد الأركان . والظاهر ان ما دار فى هذا الحوار الخاص قد شجع دايان ، الذى شوهد وعلى وجهه علامات الارتياح وهو يغادر الحفل . وقد قال لمساعديه فى نفس الليلة :

— « بالرغم من كل شيء ، فربما توصلنا الى شيء ما هنا » .

وقد أنفق « دايان » ليلته الأولى فى قلعة « ليدز » مجتمعا مع مساعديه من اجل صياغة مقترحات اسرائيلية . وكانت النقاط الرئيسية فى هـــذه المقترحات هى رفض الانسحاب الى حـــدود عام ١٩٦٧ ، ورفض السيادة العربية على الضـــفة الغربيـــة وقطاع غزة ، واستعداد اسرائيل لمناقشة مقترحات محددة لعقـــد معاهدة سلام ترتكز على تنازلات اقليمية ، واستعداد اسرائيـــل لمناقشـــة مسألة السيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة بعـــد خمس سنوات ، اذا ما تم قبول المقترحات الاسرائيلية الخاصة بالحكم الذاتى الادارى . وكان دايان يعتقد ان صياغته هـــذه سوف تنال موافقة كل من الوفدين المصرى والأمريكى ، حيث ان الضفة الغربية كانت تمثل العقبة الرئيسية فى طريق السلام .

ثم فى وقت متأخر من الليـــل ، طرق « فانس » باب غرفة « دايان » ، وجلس معـــه بعض الوقت . وتردد « دايان » فى اتخـــاذ قرار بشأن ابلاغ « فانس » بصياغته الجـــديدة . وفى النهاية ، قرر ابلاغ « فانس » بخطوطها الرئيسية فقط .

ثم اتصل دايان بعد ذلك تليفونيا ، وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل ، بمدير مكتب رئيس الوزراء ، « يهييل كاديشاى » ، وطلب منه الحصـــول على موافقـــة « بيجين » على الصـــياغة الجديدة . وقد كان .

وبدأت الجلســة العامة لمؤتمر ليدز ، فى صباح اليوم التالى برئاسة « ســيروس فانس » . وتحـــدث « دايان » ، فاستعرض الخطوط العامة لمواقف الأطراف الثلاثة ، مفصـــلا المشاكل التى لا تزال تتطلب الحـــل . كذلك طال حـــديث « باراك » ، المدعى العام الاسرائيلى والمستشار القانونى للوفد ، الى نحو الـــ ٤٠ دقيقة . وبينما كان حديث «محمد ابراهيم كامل» مختصرا وموجزا ،

تحـدث وكيل وزارة الخارجية المصرية ، أسامة الباز ، باسهاب وافاضـــة .

وكانت المقترحات المصرية الجديدة تماثل خطة الانســحاب التى اذاعتها وزارة الخارجية المصرية فى أوائل ذلك الشـــهر (أى شهر يوليو ١٩٧٨) . فقــد كانت المقترحات الجديدة تؤكد على ضرورة التوصــل الى اتفاقيــة شاملة ، وعلى أن مشــكلة فلسطين هى المشكلة المحورية فى الصراع العربى ــ الإسرائيلى . كذلك فان على اسرائيل أن توافق على مبدأ الانسحاب العــام من الضفة الغربية . وعندما تعلن اسرائيل استعدادها للانسحاب، فان الأردن ــ كما تقول المقترحات المصرية ــ ســوف تنضم الى المفاوضات فيما بعد . ثم بعد الأردن ، سوف ينضم الفلسطينيون أيضا (ولم تذكر المقترحات منظمة التحرير الفلسطينية) . كذلك طالبت الخطــة المصرية الجديدة أن تبدأ اسرائيل ، بعــد مرور شهر على المفاوضات بين مصر والأردن واسرائيل ، استعداداتها للانسحاب ، وان تعلن أيضا انهاء الحكم العسكرى . وبعد ذلك تجرى انتخابات الحكم الذاتى تحت اشراف الأمم المتحــدة .

وبعد انتهاء الوفد المصرى من استعراض مقترحاته الجديدة، تساءل « دايان » :

ــ « ولكن هل تقبل مصر ، من ناحية المبدأ ، انه لن تكون هناك دولة فلسطينية مســتقلة ؟ » .

كامل : « رغم ان للفلســطينيين الحــق فى اقامة دولتهم المستقلة ، فانه نظرا للظروف القائمة ، فان مصر على استعداد للتخلي عن هذه الفكرة . ولكننا نصر ، بدلا من ذلك ، على اقامة كيان فلسطينى يرتبط بالأردن » .

كذلك أصر رئيس الوفد المصرى ، على أن لا يقتصر حــق تمثيل الفلســطينيين على المقيمين فى الضفة الغربية وقطاع غزة

فى الوقت الحالى ، وأن يتسع هذا الحق كى يشمل أولئك الذين ينتقلون للاقامة هناك فى المستقبل .

وبعد أن انتهى « محمد ابراهيم كامل » من اجابته على دايان ، تساءل « فانس » بدوره :

— « هل تكون اسرائيل على استعداد للالتزام بالانسحاب، اذا ما تلقت كافة ضمانات الأمن ، بما فى ذلك ابرام حلف دفاعى مع الولايات المتحدة » ؟

دايان : « ليست لدى اسرائيل نية للالتزام بالانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة » .

فانس : « وهل هناك أية فرصة لأن تنظر اسرائيل فى امكانية اقامة اتحاد كونفدرالى بين الأردن والضفة الغربية وقطاع غزة » ؟

كامل : « ان مصر لا ترفض هذه الامكانية » .

دايان : « اننا نرفض هذا الاقتراح » .

وقد ادرك الذين حضروا تلك الجلسة العامة فى » قلعة ليدز » ، أن عقارب الساعة قد عادت ، فعلا ، الى الوراء . فقد كانت المفاوضات فى المربع الأول ، وهو نفس المربع الذى كانت فيه قبل زياره السادات للقدس . فقد كان المصريون يطالبون بازالة المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ويرفضون بقاء مستوطن واحد هناك، وناهيك بالجنود . هذا علما بأن السادات لم يشر بتاتا الى هذه المطالب فى أى اجتماع عقده فى القدس ، بالاضافة الى ان هذه المطالب كانت تتناقض بوضوح مع بعض ما قاله .

كذلك فقد كان سؤال « فانس » حول اقامة اتحاد فيدرالى او كونفدرالى بين الأردن والضفة الغربية وقطاع غزة ، بمثابة جرس انذار لاسرائيل .

وردا على سـؤال من « دايان » عن المدى الذى يمكن أن تذهب مصر اليه فيما يتعلق بالتنازلات الاقليمية فى الضفة الغربية، قال « محمد ابراهم كامل » ، فى وضـوح :

ـ « اننا نرفض بتاتا القيام بأية تنازلات اقليمية . ويجب على اسرائيل أن تنسحب الى حـدود عام ١٩٤٩ ، أى أن تقوم بانسحاب كامل . وبالرغم من ذلك ، فاننا على استعداد للنظر فى اية تعديلات طفيفة فى الحدود . ولكى أوضح ما نعنيه بذلك ، أقول انه يمكن اجراء تعديلات فى الحدود فى قرية ، للحيلولة دون أن تشطرها الحدود الى قسمين ، أو لضم أراضى مزارع يقيم فى الجانب الآخر من الحدود » .

دايان : « وما هو تصور مصر لترتيبات الأمن فى الضـفة الغربية وقطاع غزة ، بالاضافة الى تواجد قوات للأمم المتحدة ؟ » .

كامل : « ان مصر على استعداد للموافقة على نزع سـلاح اجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة ، ولكننا نصر على نزع سلاح اجزاء مماثلة من الأراضى الاسرائيلية ايضا . كذلك فان مصر على استعداد أيضا للموافقة على الحد من حجم القوات العسـكرية العربية فى الضفة الغربية » .

وأعاد هذا القول الاسرائيليين الى الأرض . فقـد أدركوا ان المصريين يريدون قوات عسكرية عربية اضافية فى الضـفة الغربية وقطاع غزة ، بجانب قوات الأمم المتحدة . وكان واضحا ان ذلك لا يعنى سوى وجود جيش فلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهـو ما لا يمكن أن تقبله اسرائيل بأى حال من الأحـوال .

وشعر الأمريكيون ان المباحثات توشك أن تنهار . فقـد ادركوا ان مطالبة مصر بتواجد قوات عسكرية عربية فى الضـفة والقطاع يمكن أن يدمر المؤتمر . ولذلك قرر « فانس » أن يتدخل :

— « أن الولايات المتحـــدة لا توافق على وجود قوات من الجيش الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة . ولكنها تقبل وجود قوة شرطة فلســطينية » .

ثم وافق الوفد المصرى على اقامة محطات للانذار المبكر ، مثل تلك المقامة فى سيناء ، فى الضفة الغربية وقطاع غزة . كذلك ابدى الوفد استعداد مصر لقبول اشراف طرف ثالث لضمان حرية الملاحة فى مضايق « تيران » ، وذلك بعد اتمام الانسحاب ، وان يكون هذا الطرف الثالث الأمم المتحدة او الولايات المتحــدة .

كانت الهوة التى تفصل بين الجانبين واسعة . ولكن الأزمة وصـــلت الى ذروتها عندما انتقل النقاش الى وضع القــدس ومسألة اللاجئين .

كامل : « ان مصر تطالب بانســحاب اسرائيلى كامــل من المدينة العربية ، أى من القــدس الشرقية . ولكنها توافق على الا يؤدى هذا الانسحاب الى اعادة تقسيم المدينة . وتقترح مصر أن يكون للأماكن المقدسة وضع وترتيبات خاصة » .

فانس : « نحن نوافق فقط على ما يتعلق بالأماكن المقدسة» .

كامل : « كذلك فان مصر تطالب بأن يكون لجميــع اللاجئين الحق فى العودة الى ديارهم ، بما فى ذلك لاجئى حرب عام ١٩٤٨ ، الذين يعطون الخيار بين العودة الى ديارهم ، او تلقى التعــويض المناسب اذا كانوا لا يرغبون فى العودة . وبالمناسبة ، فاننى أود ان اذكر الوفد الأمريكى ان الولايات المتحدة كانت احد الــدول التى تقــدمت بمشروع القــرار رقم ١٩٤ ، الذى يتعلق بعــودة اللاجئين ، والذى وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة » .

دايــان : « لقد وافقنا على عود ةلاجئى حرب عام ١٩٦٧ ، بشرط أن تتولى لجنـــة مشتركة تحديد عددهم » .

كانت هذه هى النهــاية . وقرر « دايان » — لانه لم يكن

هنــاك ما يمكن فعله لتضييق الهوة بين الجانبين — أن ينهى اللعب بطريقته الخاصة . فقال فى نبرة لاذعة :

— « اذا كانت هذه هى مواقفكم بالنسبة لجميع القضايا ، واذا كان أسلوبكم بمثل هذا التطرف والنهم ، ألن تكون اسرائيل على حق اذا ما سحبت اقتراحها الخاص باجراء انســحاب عــام فى ســيناء ؟ ! » .

وساد القاعة صمت مطبق . فقد أصابت الدهشة كلا من المصريين والأمريكيين من أن يجرؤ رئيس الوفــد الاسرائيلى على اثارة امكانية العودة الى المربع رقم واحد . ولم يحدث ، فى البداية ، أى رد فعل لـمــا قاله وزير الخارجية الاسرائيلى . ولكنه بزوال آثار الصــدمة ، هب الوفدان المصرى والأمريكى ، ولفتا نظــر « دايان » الى أن ســيناء ليســت محل مناقشة فى هذا المؤتمر ، الذى يقتصر عمله على مناقشة مسألتى الضفة الغربية وقطـــاع غــزة .

وقد أصيب « فانس » بالدهشة أيضا من تغير موقف مصر . وقد حــاول « فانس » ، فى اليــوم الأخير للمؤتمر ، أن يتجنب اجتماع الوفود بكامل هيئتها ، خشية اتساع الهوة بين الجانبين . لذلك عقد وزير الخارجية الأمريكى اجتماعا اقتصر على رؤســاء الوفود — أى « فانس » و « ديــان » و « كامل » — على أمل أن يتمكنوا من التوصل الى اتفــاق ولو بشأن نقطــة واحدة فقط . ولكنه أدرك ، والوقت يقترب من الظهيرة ، ان وزير الخارجيــة المصرى ليس على اســتعداد للتخفيف من تصلب الموقف الــذى اتخذه . وعندئذ طلب من الجانبين السماح له بأن يعلن إن المباحثات سوف تستمر . وقد وافــق « بيجين » على الفور ، وابلغ « دايان » بموافقته تليفونيا . أما « محمد إبراهيم كامل » فانه لم يســتطع الاجابة على طلب « فانس » . فقد كان السادات فى الخرطوم ،

ولم ينجح « كامل » فى الاتصـــال به هنـــاك . واقترح « فانس » على «كامل » أن يبعث برسالة الى الرئيس المصرى عن طريـــق السفارة الأمريكية فى الخرطوم ، ولكن رد وزير الخارجية المصرى كان يتسم بالمراوغة .

وبالرغم من ذلك ، عقد « فانس » مؤتمرا صحفيا أعلن فيه أن المباحثات سوف تستمر . وفى أثناء ذلك ، كان مساعدوا «دايان» قد قاموا بحشد عدد من مصورى ومراسلى التليفزيون فى أحـــد أركان حديقة « قلعة ليدز » . وحالمـــا سمح « نفتالى لافى » ، المتحـــدث باسم « دايان » ، عن طريـــق جهاز « التوكى ـــووكى » ، ان « فانس » قد أعلن أن المباحثات ســـوف تستمر ، حتى أحضر « موشى دايان » ، الذى وقف أمام عدســـات أجهزة التصـــوير التليفزيونية ، وأعلن ان اسرائيل على استعداد لمواصلة المباحثات حتى « لو كان ذلك على ظهر حاملة طائرات » . ثم هرع « لافى » وأوقف الصحفيين ، الذين كانـــوا يغادرون مؤتمـــــر « فانس » الصحفى ، وأبلغهم باستعداد « دايان » للموافقة على الاقتـــراح الأمريكى باستمرار المباحثات .

أما « محمد ابراهيم كامل » ، فلم يكن باستطاعته أن يقـــول شيئا . ولكنه صرح ، لدى عودته الى « لندن » ، ان مصر مستعدة لمواصلة المباحثات . ثم بعد ذلك بوقت قصير ، قام الدبلوماسيون المصريون فى السفارة المصرية فى لندن بالاتصال تليفونيا بمراسلى الصحف من أجل تعـــديل التصريح الذى أدلى بـــه « كامل » ، وذلك لأنهم ، كما قالوا ، لازالوا فى انتظـــار وصـــــول تعليمات من القـــاهرة (١٠) .

وقد كانت هذه الأزمة من أخطر الأزمات التي تعرضت لهـــا المفاوضات بين مصر واسرائيل . وكان عدد كبير من القـــادة الاسرائيليين يعرفون أن اللوم ســـوف يوجـــه الى اسرائيل بسبب

فشل مؤتمر « قلعة ليدز » وانهيار مباحثات السلام بشكل كامل .
وبدا كما لو أن العملية التى بدأت بزيارة السادات للقدس ، فى شهر نوفمبر ١٩٧٧ ، قد وصلت الى نهايتها بسبب المصاعب التى واجهها السادات فى شقاقه مع الدول العربية الأخرى .

... ...

كان الكولونيل « جاكوب هيكل » رئيس الوفد العسكرى الاسرائيلى المقيم فى مصر ، يلعب « التنس » فى مزرعة « جاناكليس » ، التى تقع جنوبى الاسكندرية ، حين استدعى لمكالمة تليفونية . وكان المتحدث على الجانب الآخر من الخط هو اللواء « شوكت » ، مدير المخابرات العسكرية المصرية ، الذى كان فى صوته مسحة من الحزن وهو يقول :

ـ « أنا آسف جدا .. أنا آسف لأننى لا أستطيع أن ابلغك بذلك وجها لوجه .. ولكننى سوف آتى لوداعك غدا » .

وفى مساء نفس اليوم ، تلقى « وايزمان » الرسالة التالية من وزير الحربية المصرى :

« يؤسفنى أن أبلغكم أن مجلس الأمن القومى المصرى قد قرر اليوم أنه لم تعد هناك ضرورة لبقاء البعثة العسكرية الاسرائيلية فى مصر .. وقد قمنا باتخاذ الخطوات اللازمة لاعادة أعضاء البعثة الى اسرائيل » .

هوامش الفصل التاسع عشر

(١) بالنظر الى ان رواية وايزمان لوقائع اجتماعه بالسادات في سالزبورج تكاد تتطابق ، في خطوطها العامة وفي تفاصيلها ، أيضا ، مع الرواية التي قدمها المؤلفون ، فاننا سوف نكتفي في هذا الهامش ، وفي الهوامش التالية حتى الهامش رقم ٧ — وباستثناء الهامشين رقم ٦ و ٧ — بايراد التفاصيل التي وردت في رواية وايزمان ولم ترد في رواية المؤلفون :

« ... وابتسم السادات ، كما لو كان يحس بالرضاء عن نفسه لأنه ضحك على ، ثم أضاف بسرعة . ولكنني أعرف أن الشعب المصري لن يسمح لي بالاستقالة » .

« وانطلقت من صدري زفرة ارتياح » .

« وواصل السادات حديثه قائلا : ولكنني سمعت انك ، ايضا ، قد هددت بتقديم استقالتك » .

« وقلت مقرا : هذا صحيح » .

« — في هذه الحالة ، فقد حل دوري كي احس انا بالقلق » .

(وايزمان ، « معركة السلام » ، ص ٣١٦) .

... ...

(٢) « ... لم تكن فكرة بناء ثلاث اماكن للعبادة فوق جبل سانت كاترين بالفكرة الجديدة . فقد كان السادات قد آثارها في

مناسبات عديدة فيما سبق . وفي كل مرة من هذه المرات ، كان رد اسرائيل سلبيا ، بل وكثيرا ما كان يتسم بالسخرية . ولكنى لم أشارك أبدا في هذه الحملة من السخرية)) . (وايزمان ، ((معركة السلام)) ، ص ٣١٧) .

... ...

(٣) ((... قال السادات : اذا فعلت ، فسوف أضعه في السجن)) .

((ثم انفجر ضاحكا . ولكنه لم يرفض الاقتراح كلية ، وقال : سوف نبحث هذا الأمر)) .

((كانت نافذة غرفة السادات تطل على منظر ساحر للطبيعة النمساوية ، منظر تختلط فيه الألوان الخضراء بالزرقاء بالحمراء . وبين الحين والآخر ، كنت اسمع صوت نباح كلاب الحراسة الألمانية ، التى كانت تقوم بحراسة الفندق)) .

((وقال السادات : أنا أحب هذا المكان)) .

((كانت الغرفة وكل ما يحيط بها مفعم بالروح الألمانية . ولم أستطع أن أتغافل عن ما كان يظهره السادات دائما من ولع بكل ما يتصل بألمانيا وبطريقة الحياة الألمانية)) . (وايزمان ((معركة السلام)) ، ص ٣١٩) .

... ...

(٤) ((... وقلت محاولا تغيير الموضوع : ماهى طبيعة حسنى ؟ . فأنا لا أكاد أعرفه)) .

((كنت أريد أن إنقل الموضوع الى المستوى الشخصى)) .

((وصاح السادات : حسنى ؟ . انه رائع . ولقد تركته في البلاد كي يرعى الأمور)) . (وايزمان ، ((معركة السلام)) ، ص ٣٢٠) .

... ...

(٥) ((... ولوح السادات بيده في استخفاف ، وقال بلهجة

خشنة : لقد انتهت منظمة التحرير . وسوف يفقد عرفات منصبه ، وسوف يخلفه ابو اياد)) .

((والظاهر انه كان يدرك كم كنت اود ان اسمعه يقول ذلك ، فقد قال مكررا فى حزم : ايزر ، ليس هناك ما يدعو لقلقك ، فلن تكون هناك دولة فلسطينية)) . (وايزمان ، ((معركة السلام)) ، ص ٣٢١) .

... ...

(٧) وقلت فى نهاية حديثنا : لابد انك قد سمعت ، ياسيادة الرئيس ، بالضجة التى حدثت فى اسرائيل بسبب تعليقاتى على الاجابات (الاسرائيلية) على الأسئلة الامريكية)) .

((واجاب السادات بأنه قد سمع بذلك)) .

((وقلت فى اخلاص كامل : لقد إغرقت نفسى فى عملية السلام بسبب ايمانى بها ، وايمانى بك . هل يمكنك ان تتصور كيف كان الأمر عندما قلت فى برنامج تليفزيونى اننى اثق بك ؟ . لقد اغرقنى فيضان من الخطابات والمكالمات التليفونية .. من المعارضين والمؤيدين على حد سواء . ذلك أنه لم يكد عام واحد يمر منذ كنتم تقولون انكم سوف تلقون بنا الى البحر ...)) .

((ولما كان الباقى واضحا ، فلم يكن هناك ما يدعونى كى اكمل الجملة الأخيرة)) .

((وقال الرئيس وهو ينهض من مقعده : والآن ، تعالى معى)) .

((ووقفت ، وانا احاول تسوية حلتى التى تجعدت من طول الجلوس)) .

((وقال السادات : سوف اقدمك الى زوجتى)) .

((وعند عتبة الباب ، امسك السادات بكمى ، وقال : لاتنسى ان تهنئها على حصولها على درجة الماجستير)) .

((وابتسمت ابتسامة واسعة ، ووعدت السادات بما طلبه

منى . وقادنى الســادات الى غرفة نومه ، التى كانت خالية ، ثم حذرنى مرة أخرى ، قائلا : لا تنسى » .

« دخلت جيهان السادات من باب آخــر . وهى امرأة مهيبة جذابة . واستفسرت عن صحتى ، وعن احوال عائلتى ، ثم سألتنى عن انطباعاتى فى القاهرة » .

« واجبت على كل اسئلتها » .

« وسألتنى : وماذا عن انطباعات زوجتك (عن القاهرة) ؟ » .

« وقلت لها ان انطباعات زوجتى تماثل انطباعاتى ، وتحدثنا عن تجارب ابنى شاؤول » .

« واستمر الحديث . وكان السادات ينصت باهتمام ، دون ان يعلق بشىء » .

وقلت : لقد سمعت انك قد نجحت مؤخرا فى الحصول على درجة المــاجستير » .

« وارتسمت على وجــه السادات ابتسامة عريضة وصلت ما بين اذنيه ، رضاءا او ابتهاجا » .

« واستطردت قائلا : اسمحى لى ان اهنئك ، وان اعبر لك عن اعجابى ودهشتى . كيف تمكنت جدة مثلك ان تفعل كل ذلك ؟ » .

« كانت المجاملة ناجحة ، فقد اجابتنى فى فخر : وســوف اصبح أيضا مساعدة مدرس فى الجامعة » . (وايزمان ، « معركة الســلام » ، ص ٣٢٦ و ٣٢٧) .

... ...

(٦) كان البعض يميل الى عدم تصديق كل ما كان يقــوله السيد رئيس جمهورية مصر السابق ، ويرجعــون ما تتسم بــه تصريحات سيادته من رعونة ونزق ، الى حبه للاستعراض ولفت الانظــار . والواقع ان ذلك كان خطأ بالغــا فى التقييم ، كمــا اثبتت زيارة القدس ، والتى لم يصدق الكثيرون انه جــاد فى اعلانه عن عزمه على القيــام بهــا .

وينطبق نفس الشيء على مسألة مد اسرائيل بمياه النيل . فعلى الرغم من تصريحات السيد الرئيس السابق حول هذا المشروع — والذى يعود التفكير فيه ، وفقا لهذا الكتاب الى عام ١٩٧٨ — وعن عزمه على تنفيذه ، فقد أحجم البعض عن أخذ هذه التصريحات مأخذ الجد .

ومن بين هذه التصريحات ما نقلته مجلة ((أكتوبر)) عن سيادته ، فى عددها الصادر فى ١٦ ديسمبر ١٩٧٩ ، من انه قد أصدر أوامره بعمل دراسة كاملة عن توصيل مياه النيل الى مدينة القدس ، واطلاق اسم ((زمزم الجديدة)) عليه .

وهنا فقط ، بدأت حملة شعبية لمقاومة هذا المشروع الخطير . فقد عقدت ((جمعية الاقتصاد والتشريع)) المصرية ندوة ، فى ٢ يناير ١٩٨٠ ، لمناقشة الموضوع ، حضرها عدد كبير من الخبراء والفنيين المهتمين بالشئون العامة ، أعلنوا جميعا رفضهم للمشروع ، ونبهوا الى مخاطره .

ثم عقد مجلس نقابة المحامين اجتماعا لمناقشة الأوضاع السياسية القائمة ، آنذاك ، فى البلاد . وأصدر المجلس ، عقب اجتماعه ، عدة قرارات ، من بينها قرار يعلن رفض نقابة المحامين المصريين للمشروع . كذلك أصدرت قيادتى حزبى ((التجمع الوطنى)) و ((العمل الاشتراكى)) بيانين ضد المشروع .

ثم اثير الموضوع فى مجلس الشعب المصرى فى شهر يناير ١٩٨٠ . وتحدث عدد كبير من الأعضاء ضد المشروع ، ومنهم — وهو أمر بالغ الغرابة — وزير الرى نفسه .

وكانت وجهة نظر المعارضين للمشروع تتلخص فى أنه ليس من المعقول أن تكون الرقعة الخضراء فى مصر بهذا القدر من الضآلة — اذا قورنت بالصحارى الشاسعة التى تكون الجزء الأكبر مساحتها — وأن يدور التفكير ، حتى ولو كان مجرد تفكير ، فى توصيل مياه النيل الى دولة أخرى ، مهما كانت صلة هذه الدولة بمصر . وبالاضافة الى ذلك ، فان المشروع — كما

كان يقـول معارضوه ـ يهدد مصـالح مصر القومية والأمنيـة بأعظم الأخطار • ذلك ان كل قطـرة من ميـاه النيل تصل الى صحراء النقب ، سوف تجلب اليها مستوطنا اسرائيليا بعد مستوطن اسرائيلى ، حتى تضيق أرض الكيان الصهيونى بالمهاجرين اليه ، ويجـد بذلك مبررا لتطبيق النظـرية النازية الشهيرة عن المجـال الحيوى ، التى تعنى ترجمتها الواضـحة : حق التوسع والغزو • ويضاف الى ذلك أن المشروع ـ كما نوه الذين رفضوه ـ يحقـق من الناحية العملية جانبا من أهداف اسرائيل الكبرى التوسعية ، فى أن تصل حـدودها الى نهر النيـل (شـعار من النيـل الى الفرات) • وهكذا ، فان ما عجزت اسرائيل عن تحقيقه عسكريا ، كان السادات يقدمه اليهـا على طبق من اللامبالاة والاسـتهتار بمصالح البلاد القومية • ويضيف المعارضون أيضا أن المشروع ، فى حالة تنفيذه ، سوف يؤدى بمصر الى طريق مسدود ، لأنه اذا تبين لمصر فيما بعد أن حاجتها ملحة لمزيد من ميـاه النيل ـ وهو أمر يكاد يكون مؤكدا ـ فانهـا لن تستطيع أن تتراجع عما قدمته ، لأنهـا سوف تكون قد أكسبت الغير حقـا سوف يدافع عنه بقوة السـلاح ، وهـو ما لا طاقة لمصر به ، بعد أن حدت اتفاقية كامب دافيد من وجـود مصر العسكرى فى سيناء ، بالاضافة الى احتكار الولايات المتحدة تسليح الجيش المصرى • وكذلك كان المعارضون للمشروع يعلنون انه يمثل انتهاكا للدستور المصرى وللقانون الدولى وللاتفاقيات الدولية •

... ...

(٧) كان ذلك هو الخط الأساسى لأجهزة الاعلام المصرية فى حملتها من أجل اقناع الشعب المصرى بمبادرة السادات • وتوضح الحقائق التالية ، المتعلقة بالدعم العربى المـالى ـ والذى خسرته مصر بسبب اتباعها لسياسات كامب دافيـد ـ مدى السـطحية والرغبة المتعمدة فى التضليل التى اتسم بها هذا الخط :

(١) بلغت صادرات مصر لدول الجامعة العربية ٨٠ مليـون جنيها من مجموع صادراتها السلعية البالغة ٦٨٠ مليـون جنيه ،

مع امكانية مضاعفة هذا الرقم مرات عديدة ، تبعـا للتزايد السريع فى معدلات استهلاك العالم العربى .

(٢) كان الميزان التجارى بين مصر والدول العربية فى صالح مصر دائمـا .

(٣) وفقا للبيانات التى نشرتهـا هيئة الاستثمارات عـام ١٩٨٠ ، فقد بلغ اجمالى الاستثمارات العربية فى مصر فى نهـاية عام ١٩٧٨ نحـو ٣٦٤ مليون جنيه .

(٤) قام العرب ، فى السنوات القليلة السابقة على مبادرة السادات ، بدور الممول الأول لاحتياجات مصر من القروض . ووفقا لتقرير أعده البنك الدولى للانشاء والتعمير ، فانه حتى نهـاية عام ١٩٧٧ ، بلغت القروض الطويلة والمتوسطة والودائع التى حصلت عليها مصر نحـو ٩ر٧ مليـار دولار ، منها ٥ر٤ مليـارا من الدول العربية .

(٥) كان السياح العرب يمثلون نحو نصف عدد السـياح الذين يفدون على مصر .

(٦) كانت عوائد المصريين العـاملين فى الدول العربية تصل الى نحـو ٥ر٢ مليـار من الجنيهات سنويا .

... ...

(٣) يقـول محمد ابراهيم كامل بشأن اجتماع السادات ـ وايزمان الذى عقد فى النمسا :

((فى اليوم التالى ، ١٢ يوليو (تموز) ، ابلغنى احد أفراد السـكرتارية ان الرئيس يرغب فى مقابلتى ، انا والسـيد حسن التهامى ، فى الساعة العاشرة والربع من صباح اليـوم فى شرفة الفنـدق)) .

((وذهبت الى الشرفة فى السـاعة العاشرة ، وجلسـت مع السيد حسن كامل ، رئيس الديوان الجمهورى والسفير احمـد عثمان ، الذى كان قد تولى منصبه كسفير لمصر فى النمسا منذ اسابيع قليلة ، نشرب القهوة ونطل على منظر البحيرة والجبال الرائع .

وفى الساعة العاشرة والربع تماما ، دخل الرئيس السادات الى الشرفة ومعه السيد حسن التهامى . فذهبت وحييته ، وجلست على منضدته ، أنا وحسن التهامى . وقال الرئيس : لقد طلبتكما لتناقش موضوعا عاجلا ، وهـو اننى أفكر فى دعوة وايزمان للحضور الى هنا ، ومقابلتى ، فما رأيكما ؟ ... ولم يتكلم التهـامى ، فقلت : وما الفكرة من حضـور وايزمان الى هنا ؟ . فقـال : لنحكم الحصار على بيجين ، ونزيد الضغط عليه . فقلت : يا ريس، ان وايزمان وزير فى حكومة بيجين ، وهـو عضـو فى حـزب حيروت . وربما يكون أكثر اعتدالا من بيجين ، وربما (هـو) على خلاف معه فى بعض وجهـات النظر ، الا أن ذلك لا يعنى أنه سينضم الينا ضد بيجين . قال السـادات : وما المـانع من حضـوره ، والحديث معه ، وهـو يستطيع أن ينقل وجهـة نظـرنا الى بيجين ؟ . قلت : ولم العجلة فى ذلك ؟ اننى سأسافر ، خـلال أيام معدودة ، الى لندن ، للمشاركة فى الاجتماع الثلاثى مع دايان وفانس ، وسـوف نطرح مشروعنا خـلال هذا الاجتماع ، وسينقل دايان وجهة نظـرنا الى حكومته . وليس هنـاك ما نقـوله لاسرائيل فى الوقت الحالى ، الا عرض مشروعنا . وهذا من اختصاص وزير الخارجية الاسرائيلى ، وسيكون موجودا فى لندن . فماذا سأقول لوايزمان الآن ؟ . فقـال التهامى : ان حضور وايزمان الآن ، ومقابلته للرئيس سيغيظ دايان ، وسيزيد حـدة الخلاف بين وايزمان وبيجين ووايزمان ودايان . فقلت : انه يجب أن نتبـع سياسة النفس الطـويل ، وأمامنا الآن اجتماع لندن ، فلمـاذا لا ننتظر ، لنقرر على ضوء نتائجه الخطوة التالية ؟ . ان التوجـه لوايزمان قد يكون له ما يبرره بعد انتهـاء الاجتماع الثلاثى ، أما الآن فلن يحقق شيئا ، اللهم الا حرق وايزمان نفسه . وساد السكون بضع دقائق ، قطعه الرئيس السادات بقـوله : اكتب يا حسن . وأخرج التهامى نوتة وقلما ، واستعد للكتابة ، وأملى عليه السـادات برقية منه الى الفريق الجمسى وزير الدفـاع ،

يطلب منه الاتصـــال بوايزمان ، عن طريق البعثة الاسرائيليـــة في جناكليس للحضـــور لمقـابلة الرئيس غـــدا ، ويطلب من الفريق الجمسى الحضـــور بدوره . وانتهى الاجتماع » .

« وفى صباح اليوم التالى ، ١٢ يوليـو (تموز) كنت أتناول الافطار مع احمد ماهر فى شرفة الفندق ، عنـدما حضر الفريـــق الجمسى حـوالى الساعة التاسعة والنصف . ولم يكن الرئيس قد غادر غرفته بعد . وجلس معنـا الفريـق الجمسى لتنـــاول قدح من القهـوة ، وأعطانى جرائد الصـباح ، التى أحضرها معه من القاهرة . وكان من المفارقات العجيبة،أن قرأت فى الصفحة الأولى من (جريدة) الأهرام عنوانا بالخط العـريض : الجمسى لن يلتقى بوايزمان قبل تحديد نتـــائج مؤتمر لندن . ويقـــول الخبر : أكد الفريـق الجمسى انه لن تكون هنـــاك لقاءات جديدة بين العسكريين فى مصر واسرائيل ، قبل أن يحـــدث شىء جـــديد يوضع للمناقشة . وكان وايزمان قد بعث الى الجمسى مؤخـرا ، يطلب الاجتماع به ، قبل اجتماع لندن الثلاثى . ورفض الجمسى » .

« وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وصـــل وايزمان وزير الحربية الاسرائيلي الى شرفة فندق شلوس فوشل ، وكان معـه كارل كاهان* .وقد صافح (وايزمان) الفريق الجمسى،كما صافحنى.

---

* كارل كاهان ليس مواطنا اسرائيليا ، ولا يعمل فى أى من الأجهزة الظاهرة لدولة الاستيطان الصهيونى . فهو رجل أعمـــال يهودى نمساوى الجنسية ، اثيرت شبهات عديدة حول تصرفاته المـالية ، وتم التحقيق معه بشأن بعض هذه التصرفات من جانب السلطات القضائية النمساوية ويعتبر الرجل لغزا من ألغـــاز العلاقات المصرية الاسرائيليـة ، التى لم يجد لهـا احد حلا حتى الآن . وقد بدأ يظهر على شاشة الأحـداث ، عقب مبـــادرة السادات . وقام بزيارة مصر عدة مرات . وكانت أخبار زيارته ،

وقد تركتهما وذهبت الى الجلوس مع بعض زملائى . وابلغ الرئيس السادات بوصول وايزمان . ولم تمض دقائق حتى ارسل يستدعيه لمقابلته فى جناحه بالفندق . وأبلغ الرئيس السادات بوصول وايزمان . ولم تمض دقائق حتى ارسل يستدعيه لمقابلته ، فى جناحه بالفندق . فغادر الشرفة مع الفريق الجمسى ، الذى صحبه الى المقابلة.ثم لم يلبث ، بعد فترة وجيزة ، ان ترك وايزمان مع الرئيس السادات فى لقاء منفرد)) .

((واستمرت المقابلة نحو ثلاث ساعات . وبعدها ، عاد وايزمان الى الشرفة ، حيث كان فى انتظاره الفريق الجمسى وكاهان ، الذى بقى معهما لمدة دقائق ، ثم اتجه نحوى ، وذكر انه يشرفه لو قبلت دعوته للعشاء مع الفريق الجمسى ووايزمان ، فى مطعم جبلى يطل على منظر رائع . وقد اعتذرت بأنى مشغول . الا ان ثلاثتهم الحوا على فى الحضور . فقلت انى سأحضر لقضاء بعض الوقت معهم قبل العشاء . وفعلا توجهت مع ماهر الى المطعم المذكور . وكان فعلا يطل على منظر خلاب ، وتبدو اضواء القرى المتناثرة بين الجبال وهى تتلألأ . وبعد ربع ساعة ، عدت وماهر الى الفندق ، حيث أخبرونى بأن الرئيس السادات سأل عنى ، وترك رسالة بأن أذهب الى لقائه فى غرفته ، حال عودتى من الخارج)) .

((وتوجهت الى غرفته بخطى ثقيلة وقلب مهموم . واستقبلنى الرئيس بحرارة ، وقال : لقد طلبتك لأخبرك بما تم بينى وبين وايزمان . واعتقد انها كانت مقابلة مفيدة وناجحة ، رغم انك كنت معترضا عليها . لقد اخبرت وايزمان ان تصرفات بيجين

= فى كل مرة ، تنشر فى الصفحة الأولى من الأهرام ، مع صورة لاستقبال السادات له.وهناك اعتقاد شائع فى اوساط الاستخبارات فى فينا بأن هذا الرجل يعمل مسؤولا عن نشاط الموساد (المخابرات الاسرائيلية) فى النمسا .

ستؤدى الى ضياع فرص السلام ، وانه قد ثبت لى انه لا يفقه شيئا فى السياسة ، ولو كان لديه حس سياسى لكان قد قدم لى مقابلا لمبادرتى بذهابى الى القدس ، ولكنه عجز عن فهم مدلول المبادرة ، وقابلها بالتشدد والمراوغة ، مما اثار عليه حنق العالم كله . وعلى سبيل المثال ، كان يستطيع ان يقوم بمبادرة بسحب القوات الاسرائيلية من سيناء الى خط العريس — راس محمد . ولو فعل ذلك ، فانه سيكون قد نقل الكرة الينا ، ويكون الدور علينا فى اتخاذ خطوة مقابلة . ولكن جموده وجشعه أعمياه عن القيام باى تحرك . وقلت لوايزمان انى لا أستطيع الاستمرار الى ما لا نهاية فى مباحثات عقيمة بدون جدوى ، وانه ما لم يحدث تحول فى الموقف الاسرائيلى قبل شهر أكتوبر (تشرين أول) — فترة انتهاء مدة قوات الطوارىء — فسيكون الموقف خطيرا بالفعل . واقترحت على وايزمان ان يقنع بيجين بضرورة عمل شىء قبل هذا التاريخ ، كأن يعيد الى مصر مدينة العريش ونرفع عليها العلم المصرى ، وبذلك نستطيع أن نذهب اليها للتفاوض مع الاسرائيليين ، كما تستطيع ذلك سوريا والأردن متى قررتا الاشتراك فى المباحثات ... كذلك يعيد الينا جبل سيناء ، الذى اعتزم أن انشىء فيه مجمعا للأديان الكتابية الثلاث : اليهودية والمسيحية والاسلام ، يكون رمزا للارتباط بين هذه الأديان الثلاثة والمحبة والسلام فى المنطقة التى كلم الله فيها موسى)) .

((وسكت ، ولم أعلق بشىء على ما قاله الرئيس . وبعد برهة ، قال : ماذا بك يا محمد ، هل هناك ما يضايقك ؟ . وقلت : لا شىء . فقال : يبدو عليك التعب . اذهب ، وحاول أن تستريح ، فأمامك عمل كثير فى لندن . وتركته وانصرفت)) .

((كان قد أصابنى شعور بالاشمئزاز والسخط من السادات وبيجين والتهامى ، وعلى عملى كوزير للخارجية . ما هذا العبث ؟ .

الم يجد الســـــادات وسيلة لقضاء بعد الظهرية (اى : فترة ما بعد الظهر) فى هذه البقعة الجميلة التى حضر اليها للراحة والاستجمام، غير استدعاء وايزمان من آخـر الدنيا ، ليقـول له هذا الـكلام الفارغ ؟ . أيعقل ، ونحن نطالب بانسـحاب اسرائيل من سـيناء والجولان والضفة الغربية وغزة ، أن نستدعى وزير الدفـــاع الاسرائيلى ، كى نلتمس وساطته لدى بيجين ، حتى يمن علينـــا (الأخير) باعطائنا العريش ، لتصبح إجزيرة فى بحر الاحتـــلال الاسرائيلى لأراضينا ، وكى يعيــد لنــا جبل ســـيناء ، ليبنى عليــه الســـــادات هرما له ، وفوق كل ذلك ، يصبح الـدور علينا ، اذا استجاب بيجين لالتماسنا ، لتقـــديم التنـــازلات ؟ . لقد أدت المقـــابلة بين وايزمان والســـادات ، والتى كانت بايحاء من حسن التهامى ، الى تعقيدات سارويها فى حينها)) .

((... ولكن المشـــكلة الأولى بالنسبة لى ، أصــبحت تصرفات الرئيس الســـادات العفويه المرتجلة ، التى يفاجئنا بها دون سابق انذار ، والتى تشــكل خروجا وانحرافا عن الخــط السياسى والتكتيكى الــذى نتبعه ، وغالبــا ما ينتهى ذلك الى اوضاع تسىء الى موقفنا ، مما يتطلب منا جهودا اضافية لاصلاحه. وقلت : ألا يرى أسلوب الجانب الآخــر (أى اسرائيل) ، وان مناحم بيجين لا يقـــدم على خطـــوة قبل أن يقتلها بحثا مـع مجلس وزراءه ؟ . واضفت انى أصبحت فى حيرة من أمره ، وأجــد صعوبة كبيرة فى العمل معــه . ورويت لمــاهر (أحمد ماهر مدير مكتب محمد ابراهيم كامل) قصـــة حضـــور وايزمان الى فوشـل ، وكيف أن الســـــادات استطلع رايى فى استدعائه ، فأجبته بأمانة بأنى لا أوافق عليــه لأســـباب أعتقد أنهـــا وجيهـــة ومنطقية ، ألا يطلعنى عليها لسبب ما ـــ ولكنه عندما ابلغنى بنتيجة المقابلة ، دون ان يبدى لى أسبابه فى ذلك . وكنت مستعدا للتغاضى عن ذلك، لو انه كانت لديه اسـباب قوية لمقـــابلة وايزمان ـــ اختـــار الا يطلعى عليها لسبب ما ـــ ولكنه عنـــدما أبلغنى بنتيجة المقابلة ، وجدتهـــا سخيفة ، وان الأمر لم يكن غير نزوة استبدت به ، دون اعــداد أو دراسة)) .

« ... وشرعنا نقيم زيارة الســادات للنمسا . وكانت النتائج فى نظرنا سلبية . ففى الاجتماع مع شيمون بيريز ، اقر السادات وجهة نظر اسرائيل فى الأمن الاقليمى ، عنـدما وافـق على تلك الصيغة التى ذكرها امامى لفالدهايم ، التى تقـــوم على التوازن بين أمن اسرائيل وتطلعات الشعب الفلسطينى » .

« ... كما أنه فى اجتماعه مع وايزمان ، تخطى الحديث عن مشروعنا بشـأن الضفة الغربية وغزة — وهو الأصل — الى الحديث عن جزئيات لا تقـــدم ، بل وتؤخر — عن استرداد مصر للعريش وجبل سيناء ، وهـو ما يعتبر نشازا وخروجا عن خطتنا الثابت المعلن ، والتحـول الى مسائل هامشية لا قيمة لهـا » .

(كامل ، «السلام الضائع» ، صص ٣٣٥ — ٣٤٠) .

... ...

(٩) كانت الحـكومة المصرية قد وافقت ، قبل ذلك ، على السماح للبضائع المرسلة من اسرائيل ، والتى تنقلها سـفن غير اسرائيلية ، بالمرور فى قنـاة السويس .

... .

(١٠) يقيم محمد ابراهيم كامل نتـائج مؤتمر قلعة ليدز ، على النحـو التـالى :

« (١) استطعنا تفنيد المشروع الاسرائيلى الخاص بالحـكم الذاتى تماما . ومن الناحية الأخرى ، نجحنا فى ان نجعل المشروع المصرى محور الحديث والمناقشات . ولم يستطع الجانب الاسرائيلى ان يجد فيه اى ثغرة . وكان فى موقف الدفـاع طوال الوقت » .

« (٢) بعد محـــاولة دايان اللف والمراوغة ، اضطـــر فى النهـاية ، وتحت الضغط المصرى ، وامام الجـانب الأمريكى ، الى الافصاح صراحة عن نياتهم الحقيقية بالنســبة لاستمرار الاحتـلال ، والرغبة فى التوسع ، ورفض الاعتراف بالحقـــوق الوطنية للشعب الفلسطينى . واصبح الجانب الأمريكى شـاهدا مبـاشرا على ذلك » .

« (٣) رفضـنا الالتزام باجتماع تال ، رغم الضغوط الأمريكية فى هذا الاتجـاه ، انتظـارا لمـا يصـــدر عن مجلس الوزراء

الاسرائيلي ، بعد أن يقدم دايان تقريره اليه ، وبعد زيارة اثيرتون وفانس للمنطقة)) .

(((٤) كان الموقف الأمريكي هو الاستماع أغلب الوقت ، مع توجيه أسئلة قليلة الى دايان ، طابعها انتقادي للمواقف الاسرائيلية)) .

(((٥) أسر لي فانس بما ينوي الرئيس الأمريكي كارتر القيام به ، في حالة تقدم الولايات المتحدة بمقترحاتها ، ورفض اسرائيل الاذعان لها ، من توجه الرئيس الأمريكي الى الشعب الامريكي مباشرة ، وعزمه على الالتجاء الى مجلس الأمن ، اذا اقتضى الأمر ، بعد ذلك . وهو موقف له دلالته في (الأصح : على) استعداد الولايات المتحدة التصدي لاسرائيل بقوة ، في حالة رفضها المقترحات الأمريكية . الا أن المقلق في الموقف الأمريكي ، هو ما ذكره فانس من ضرورة التفرقة بين ضم اسرائيل للأراضي ، وبين حصولها على حق الاحتفاظ بقوات اسرائيلية في أراضي تحت سيادة غير اسرائيلية . اذ يشير ذلك الى أن الولايات المتحدة تفكر في بقاء قوات اسرائيلية بصفة دائمة في الأراضي التي تنسحب منها اسرائيل في الضفة الغربية . وقد أبلغت فانس ان هذا الأمر لا يبت فيه الا الشعب الفلسطيني صاحب الأمر)) .

(((٦) لم يحاول دايان اثارة موضوع ما تم في لقاء الرئيس السادات بشيمون بيريز في فيينا ، أو ما دار بينه وبين وايزمان في فوشل . وقد يرجع ذلك الى رفضي القاطع الخوض فيه ، عندما أشار لي فانس الى احتمال اثارة (أن يثير) دايان ذلك في الاجتماع . وان كان دايان حاول ، عن طريق أسئلته ، الحصول منا على تأكيدات في هذا الشأن . ولم نعطه الفرصة لذلك)) .

(((٧) حاول دايان ، في مرحلة ما ، نقل الحديث الى سيناء . وقد رفضنا مجاراته ، وأكدنا أن الموضوع المطروح للبحث ، هو الانسحاب من الضفة والقطاع ، وترتيبات الأمن)) .

كامل — السلام الضائع ، (ص ٣٦٢ و ٣٦٣)

* ويعرض وزير الخارجية الامريكى آنذاك لمؤتمر قلعة ليدز من وجهة النظر الامريكية ، فيقول : « ربما كان من اهم نتائج مؤتمر ليدز ، هو حقيقة أن المصريين والاسرائيليين قد تناولوا العشاء سويا ، لأول مرة منذ عدة حقب » .

« ففى أول وجبة تناولها ، فى مساء يوم وصولنا ، جلسنا على موائد منفصلة وفقا لانتماءتنا القومية . فقد فضل الاسرائيليون ان يتناولوا العشاء معا ، وفعل المصريون نفس الشىء . وعلى الرغم من ان اى من الطرفين لم يكن ليعترض على أن نتناول العشاء معه ، فانه لم يكن باستطاعتنا أن نتناول العشاء مع جانب ، ونترك الجانب الآخر » .

« وفى تلك الليلة ، وبعد أن آوى الجميع الى حجراتهم ، قررنا ، إنا و « جاى » ، ان استمرار الأمر على هذا النحو ، سوف يؤدى الى تصعيد الخلافات القائمة ، وأننا يجب ، من الآن فصاعدا ، أن نتناول وجباتنا جميعا معا . وقد قوبل هذا القرار ببعض التخوف والتشكك من جانب الطرفين . ولكن كل ذلك انتهى بعد العشاء البهيج الذى تناولناه معا فى مساء اليوم التالى » .

« وقد تحسن جو المؤتمر ، بعد ذلك ، بشكل ملحوظ . وحتى اذا لم يحقق المؤتمر اى نجاح درامى ، فان اعتراف كل طرف بآدمية الطرف الآخر ، لم يكن بالانحياز الضئيل » .

« وقد سألنى دايان ، فى اجتماع خاص مغلق ، اذا كان هناك اى فرصة فى ترك مسألة الوضع النهائى للضفة الغربية وقطاع غزة ، كى يتم التوصل الى قرار بشأنه فى المستقبل ، بدلا من ان يتم ذلك عند بداية فترة الانتقال . وقد كان يعتقد إنه لو وافق المصريون على ذلك فان ذلك يكون انجازا كبيرا يحققه المؤتمر . ولم يدهشنى ذلك . فقد كنت قد ادركت ان الاسرائيليين لن يوافقوا مقدما على الانسحاب ، او على اعطاء حق تقرير المصير للفلسطينيين . وقلت لدايان اننى لا استطيع ان اشطب على امكانية التوصل الى ترتيب يماثل ما يقترحه . فقال لى ، عندئذ ، انه شخصيا

يرى انه اذا تمت الموافقة على مقترحات السلام الاسرائيلية ، فسوف تكون اسرائيل على استعداد لمناقشة مسألة السيادة عند نهاية فترة الخمس سنوات ، وانه يمكن ، آنذاك ، التوصل الى اتفاق بشأن هذه المسألة ») .

« وفي المناقشات العامة التي دارت في قاعة المؤتمر ، أزاح كامل ودايان جانبا المقترحات الرسمية للطرف الآخر ، وتحدثا عن المشاكل العملية التي سوف تنشأ عن تطبيق ترتيبات انتقالية . وقد كانا في واقع الأمر يحققان بعض التقدم ، حتى ولو لم ينجحا في الاتفاق على صياغة الوثائق . وقد كان الحل الذي يوشك على الظهور يماثل الى حد كبير ذلك الذي كنا نتصور صوبه منذ قمت برحلتي الشرق أوسطية في أغسطس من العام الماضي . وقد تحدث كل من كامل ودايان عن ترتيب فترة خمس سنوات انتقالية ، يقوم الفلسطينيون خلالها بادارة شئونهم بأنفسهم ، على أن تقوم الأطراف المعنية بالاشتراك مع ممثلين منتخبين للفلسطينيين بالتفاوض ، أثناء الفترة الانتقالية ، للتوصل الى حل نهائي للمشكلة . وقد قبل كامل بضرورة وضع ترتيبات خاصة لحماية أمن اسرائيل خلال الفترة الانتقالية ، معلنا بذلك اعتراف مصر بأنه لا يتعين على القوات الاسرائيلية أن تنسحب بشكل كامل أثناء الفترة الانتقالية ») (انظر ما قاله محمد ابراهيم كامل اعلاه) .

« وبانتهاء محادثات قلعة ليدز ، اتفقت أنا وسوندرز واثيرتون على أننا قد وصلنا أخيرا الى النقطة التي يجب فيها أن تغير الولايات المتحدة من دورها . واتفقنا ايضا على انه ليست هناك جدوى من مواصلة التوسط بين الاسرائيليين والمصريين من اجل التوصل الى اتفاق حول المبادىء العامة للسلام . وعلى ذلك ، فقد بدأنا ونحن لا نزال في الولايات المتحدة في مناقشة بناء وعناصر اقتراح امريكي بالتسوية الشاملة ، يتضمن ترتيبات السلام بين مصر واسرائيل ، وعملية الحكم الذاتي للضفة الغربية . وفي الليلة التي سبقت مغادرتنا لندن ، بدأ سوندرز في اعداد مسودة

الوثيقة التى أصبحت ، بعد تعــــديلات متعددة ، هى أساس اطار كامب دافيد للتسوية الشاملة)) . (فانس ، ((خيــــارات صعبة)) ، ص ١٧٤ و ١٧٥) .

ويقول الرئيس الامريكى الســـابق جيمى كارتر معلقا على نتائج ؤتمر قلعة ليدز :

((لم يتغير موقف أى من الطــرفين فى ليدز . وعـــاد ساى (سيروس فانس) الى واشـــنطون حتى نستطيع وضع خطـــة لاستراتيجيتنا الشاملة . وكان غالبيتنا يميل الى فكرة أن نقوم بجهد رئيسى أخير . وفى اجتماعنا الدورى يوم الجمعة ، والذى نناقش فيه السياسة الخارجية على مائدة الافطار ، انفقنا قدرا كبيرا من الوقت ونحن نتحدث عن الشرق الأوسط . وحاولنا ان نجد طريقة ما لدفـــع بيجين والســــادات كى يكونا اكثر صبرا ، واقل عدوانية فى تصريحاتهما العلنية عن بعضهما . وكان السادات غاضبا وفى منتهى الاحباط . وكان يبدو راغبا فى اثارة أزمة ما . ولمـــا أعلن انه لن تكون هناك (جولة) مفاوضات أخرى ، لم افهم تماما ما كـــان يرمى اليه)) .

ثم يمضى كارتر ناقلا عن يومياته قائلا :

((طلب السادات من الوفد العسكرى الاسرائيلى مغـــادرة مصر . وأعتقد انه يهيىء خشبة المسرح لنا كى نتدخل بقدر أعمق فى النزاع فى الشرق الأوسط . وهذا هو ما ننتويه . ولكننا نريـــد أن نعالج الأمر بقدر من الحذر ـــ اليوميات ، ٢٧ يوليو ١٩٧٨)) .

((يلتقى السادات مع العرب الراديكاليين محـــــاولا اصلاح علاقاته معهم ، وهـــو أمر ليس طيبا . وآمل أن يكون لايزال يعتمد علينا ، وانه سوف يوافق على ما أقترحه عليـــه ـــ اليوميات ، ٢٨ يوليـــو ١٩٧٨)) .

ويستطرد كارتر قائلا :

« كنت فى ورطة حقا . فقد كنت أعرف مدى الأهمية الحيوية التى يمثلها السلام فى الشرق الاوسط للولايات المتحدة ، ولكن كثيرا من أعضاء الكونجرس الديموقراطيين كانوا يحثوننى على أن انفض يدى من الأمر ، وان أصلح الأضرار التى يدعون اننى قد ألحقتها بالفعل بالحزب الديموقراطى وبعلاقات الولايات المتحدة مع اسرائيل . وقد بدا لى أمرا باعثا على السخرية أن توجه الى هذه الاتهامات فى الوقت الذى أحاول فيه تقوية علاقاتنا مع اسرائيل ، ودعم أمنها » .

« وناقشت الموقف مع روزالين (كارتر) ، التى تلم الماما عميقا بالقضايا التى يتضمنها النزاع فى الشرق الاوسط ، وتتفهم المخاطر والمصالح المتضمنة فيه . ولم يكن هناك اى أمل فى النجاح طالما ظل السادات وبيجين بعيدين عن بعضهما . وكذلك فانه لم يكن هناك جدوى من لقاءاتهما المتفرقة ، لأن الرجلين كانا — من الناحية الشخصية — عاجزين عن التوصل الى حل وسط بشأن القضايا الصعبة التى تواجهما . وأخيرا قررت أنه من الأفضل ان القى بثقلى كله فى الأمر مهما كانت النتائج . ولم يكن امامى غير شيء واحد يمكن أن افعله — رغم أنه قد تكون له عواقب وخيمة — وهو أن أجمع السادات وبيجين معا لجولة من المباحثات المكثفة بحضورى » . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ، ص ٣١٥ و ٣١٦) .

٢٠

روح كامب ديفيد

كان هنـــاك احساس متعاظم ، فى كل من الولايات المتحـــدة واسرائيل ، بأن الرئيس المصرى سوف يضطر ، عندما تنتهى فترة قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة فى أكتوبر ١٩٧٨ ؛ وبسبب الضغوط الواقعة عليه ، الى القيـــام بعمل عسكرى استعراضى. وفى مصر ، كان هنـــــاك من ينادى باعادة التفكير فى مبـــــادرة الســـادات .

وكان الرئيس « كارتر » يشعر بأنه لن ينقذ مبادرة الســـلام سوى القيـــام بتحرك درامى . وقد شجعه على هذا الشـــعور ، التقارير التى يتلقاها من السفارة الامريكية فى « تل أبيب » ، والتى كانت تفيد بأنه بعد مؤتمر « ليدز » ، حـــدث تغير جذرى فى موقف « موشى دايان » الذى لم يكن يحـــاول اخفـــاء مخاوفه وشكوكه طوال الفترة التى استغرقتها المفاوضات المصرية ـــ الاسرائيليـــة . ورغم انه كان لايزال يؤمن بتصلب الموقف المصرى ، فان وزير

الخارجية الاسرائيلى أصبح مقتنعا بأن القـــادة المصريين يرغبـــون حقـــا فى ابرام معـــاهدة صلح ، وهى نفس القناعة التى تولدت لدى « وايزمان » بعد اجتماعاته المتكررة بالرئيس المصرى .

وقد ولـــدت فكرة عقد مؤتمر قمة فى « البيت الأبيض » . فقد قرر الرئيس « كارتر » ، بنـــاء على تقارير وزير خارجيته « سيروس فانس » ، أن يعقد مؤتمر قمة « وذلك من أجل البحث بدقة وشمول ، وبدون التقيد بزمن محدد ، فى كافة امكانيات تحقيق السلام فى الشرق الأوسط » .

وقد حذر عدد من العـــاملين فى « البيت الأبيض » الرئيس الأمريكى من اتخاذ هذا القرار ، الذى كانت تحـــــوطه مخـــاطر كبيرة . فقد كان « كارتر » ، فى الواقع ، يراهن بكل مكانته على ورقة لعب واحدة . وكانت شعبيته فى الولايات المتحدة قد هبطت الى نقطة متدنية ، كمـــا كان الرأى العـــام فى اسرائيل يشـــعر بخيبة أمل فيه . وكان فشل المؤتمر الذى دعا اليـــه يعنى تدمير فرصة فى النجاح فى انتخابات الرئاسة القادمة .

ولم تشترك وزارة الخارجية الامريكية فى اتخـــــاذ هـــذا القرار(١) . وحين وصلت أنبـــاء مؤتمر القمة الى أسماع كبـــــار الموظفين فى وزارة الخارجية الأمريكية استقبلوها بفتور شديد . فقد كانوا يؤمنون بأن فرص نجـــاح مثل هذا المؤتمر سوف تكون ضئيلة جـــدا . وحذروا « البيض الأبيض » بأنـــه من المحتم أن يحدث صدام أمامى فى مثل هذا المؤتمر بين مصر واسرائيل أو بين احداهما أو كلاهما وبين الولايات المتحدة ، وان فرص فشل المؤتمر لذلك أكبر كثيرا من فرص نجـــاحه .

ولكن القرار كان قـــد تم اتخاذه على أيـــة حال . وغادر « سيروس فانس » الولايات المتحدة الى الشرق الأوسط ، حيث

قام — فى كل من القاهرة والقدس — بتسليم مذكرتين الى «بيجين» والسادات كتبتا بخط كارتر نفسه . وختمتا كذلك بالشمع الأحمر .

وكانت مذكرة « كارتر » الى « بيجين » تحثه على التزام السرية الكاملة . وقد قرأ « بيجين » المذكرة بحضور « فانس » ، وقال على الفور :

— « اننى أقبل هذه الدعوة بغض النظر عما سوف يكون عليه رد السادات عليها » .

والتزم « بيجين » بالسرية كما طلب منه « كارتر » ، ولم يشر بشىء عن فحوى مذكرة الرئيس الأمريكى حتى لأقرب مساعديه . ولم يتم الاعلان عن مؤتمر القمة الا بعد ان حصل « فانس » على موافقة الرئيس المصرى(٢) .

ولم يكن موقف السادات يمكن أن يكون أسوأ مما كان باديا للعيان . فقد كان السودان هو البلد العربى الوحيد الذى يؤيده علانية . وقد زادت موافقته على حضور القمة من حدة الهجمات التى تشن عليه ، كما زادت أيضا من عزلته عن العالم العربى .

كذلك كان « بيجين » يواجه موقفا صعبا — الى حد ما — أيضا فى الداخل . فقد ارتفع صوت « حركة السلام الآن » ، والتى كانت ترجع الأزمة التى تمر بها عملية السلام الى تصلب «بيجين»، كما كانت تكسب انصارا جددا كل يوم . كما أعلن عدد من أعضاء الكنيسيت ، الذين كانوا يؤيدون التحالف الذى يتزعمه « بيجين » عن نيتهم فى الانتقال الى صفوف المعارضة .

وكان الرأى قد استقر على عقد مؤتمر القمة فى « كامب دافيد » ، وهو منتجع خاص بالرئيس الأمريكى يقع فى قلب جبال « كاتوكتين » بولاية « ماريلاند » ، وعلى بعد ١٥٠ كيلو مترا من مدينة « واشنطون » . وكان يحيط بهذا المنتجع ، الذى بنى أثناء الحرب العالمية الثانية . أسوار مكهربة وأجهزة أمن

الكترونية . ويوجد « بكامب دافيد » عدة أكواخ فاخرة مكونة من حجرتين وثلاث حجرات ، مزودة بثلاجات كهربائية تكتظ بالمأكولات والمشروبات . كما يوجد به أيضا ملاعب لمختلف أنواع الألعاب الرياضية ، وعدة جراجات ، ومطار لطائرات الهليوكبتر ، وعدد من المركبات الكهربائية للانتقال داخل المنتجع . وكان الرئيس الأمركي الراحل « فرانكلين روزفلت » يكثر من التردد على هذا المنتجع الذى تبلغ مساحته ٣٦ كيلومترات مربعا من الغابات ، والذى كان يطلق عليه فى ذلك الوقت اسم « شانجرى لا » ، وهو اسم الفردوس الأرضي فى « التبت » ، كما ورد فى رواية « الأفق المفقود » للكاتب الأمريكي « جيمس هيلتون » . وقد أقام عدد كبير من زعماء العالم المعروفين فى هذا المنتجع اثناء الحرب العالمية الثانية ، ومنهم « ونستون تشرشل » ، الذى طلب تجهيز كوخه بحوض خاص للاستحمام .

ولم يقم أى من الرئيسين « ترومان » و «كنيدى» على الاطلاق فى هذا المنتجع ، ولكن الرئيس « أيزنهاور » كان من زواره الدائمين ، كما كان هو الذى غير اسم المنتجع الى « كامب دافيد » باسم حفيده « دافيد ايزنهاور » . وفى « كامب دافيد » ، التقى « ايزنهاور » فى عام ١٩٥٩ مع الزعيم السوفيتى «نيكيتا خروشوف» فى اجتماع مثمر أدى الى تخفيف حدة التوتر بين بلديهما لبعض الوقت ، مما أدى الى ظهور تعبير : « روح كامب دافيد » .

وكان هناك شعور متزايد فى القدس بأن مصر سوف تبذل جهدها من أجل تدمير المؤتمر ، والقاء اللوم فى ذلك على اسرائيل . كما كانت هناك شكوك ، لها ما يبررها ، بأن وزارة الخارجية المصرية تقوم بصياغة مقترحات لن يكون أمام اسرائيل خيار آخر غير رفضها . وكان القادة الاسرائيليون يعتقدون أن فشل المؤتمر سوف يؤدى الى حدوث شرخ خطير فى العلاقات

الأمريكية ـــ الاسرائيلية ، وان الرئيس الأمريكى سوف يقـــوم بشحن الرأى العـــام فى بلاده ضد اسرائيل . وقد وصـــل الى مسامع « بيجين » فى القدس ان الدكتـــور « بطرس غالى » قـــال فى القـــاهرة : « فى كامب دافيد ، ســوف تزود مصر اسرائيل بحبل طويل جـــدا . ويمكن لاسرائيل أن تشنق نفســـها بهـــذا الحبل ! » .

وقد كان « بيجين » على استعداد لقبـــول التقييم الذى توصل اليه خبراءه بأن الســـادات ينوى تحطيم مباحثات «كامب دافيد» . ولذلك فقد رأى أن يكون الهـــدف الأول من حضـــوره للمؤتمر هو الفـــوز بتأييد الرأى العـــام الأمريكى . وعزم على أن يركز جهوده الأساسية أثنـــاء المباحثات لاقنـــاع الولايات المتحـــدة بعدالة الموقف الاسرائيلى وبايجابية السياسة الاسرائيلية ، وكذلك لتجنب حـــدوث شرخ فى العلاقات الأمريكية ـــ الاسرائلية يمكن أن يمثل كارثة بالنسبة لاسرائيل .

ولم يكن رأى « دايان » يتفق مع رأى رئيس الوزراء . فقد كان يعتقد أن الموضوع الذى سوف يحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية فى « كامب دافيد » سوف يكون موضوع الضفة الغربية . وكان الحل الوحيد لهذه المشـــكلة يتضمن ، فى رأيه ، تقـــوية دور الأردن . ولذلك فقد كان يطالب بوضع خطة للحكم الذاتى تتسم بالمرونة ، وبحيث تتيح مساهمة الأردن ، سواء أكان ذلك فى المستقبل القريب أو البعيد ، حتى ولو لـــم يبد الملك حســـين أية دلائل على أنه ينتوى الاشتراك فى المفاوضات القائمة .

أما « وايزمان » فقد كان يخالف كل من « بيجين » و «دايان» الرأى . فقد كان مقتنعا بأن أحد الشروط الرئيسية لنجاح المؤتمر القـــادم هو أن لا يشمل الأردن . فقد كان على يقين ، يرتكز على معرفته بآراء رئيس الوزراء ، ان بيجين لن يستجيب ابـــدا

لمطالب الملك حسين ، وان ذلك قد يدمر فرص ابرام تسوية مع مصر . وكان من رأى « وايزمان » انه يجب حث الولايات المتحدة على استبعاد الأردن من المفاوضات ، حتى ولو كان ذلك لبعض الوقت فحسب . كذلك كان يعتقد انه من الأفضل ترك موضوع الضفة الغربية مبهما بدون تحديد ومفتوحا للمناقشة .

وكان « الياهو بن اليسار » (السفير الاسرائيلى السابق فى مصر) يرأس اللجنة التى شكلت للاعداد للمؤتمر ، والتى كان « افراهام تامير » من بين أعضاءها . وكانت هذه اللجنة مكلفة باعداد المواقف الاسرائيلية بالنسبة للقضايا التى يتوقع طرحها فى المؤتمر ، كذلك بالبحث عن فرص المناورة أثناء المفاوضات . وكانت اسرائيل تدرك أن واشنطون قد تربط بين حل مسألة سيناء وبين اتخاذ قرارات تتعلق بالضفة الغربية و « غزة » والأردن . وكان أعضاء اللجنة يعرفون أيضا أن الولايات المتحدة تؤيد تقرير مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة خلال فترة الخمس سنوات من الحكم الذاتى التى اقترحتها اسرائيل ، وتمت الموافقة عليها من حيث المبدأ فى شهر يونيو ١٩٧٨ .

وكان القادة الاسرائيليون الثلاثة الذين استقر الرأى على أن يمثلوا اسرائيل فى المؤتمر ، على اتفاق فيما يتعلق بالموضوع الرئيسى فى جدول الأعمال . وكان « بيجين » يتخذ موقفا متصلبا فيما يتعلق بمستوطنات الضفة الغربية ومطارات سيناء العسكرية ، كما كان يؤمن أيضا بأنه لا يجب التخلى عن مستوطنات منطقة « رفح » . وكان « دايان » يوافق « بيجين » فى معظم آرائه ، ولكنه لم يكن يعلن وجهات نظره . وقد كان « دايان » هو صاحب فكرة اقامة مدينة «ياميت » فى منطقة « رفح » ، ولذا فمن الطبيعى أن لا يميل الى التخلى عن هذه المنطقة . أما «وايزمان» فقد كان يعتقد أن المفاوضات يجب أن تهدف الى احداث تغييرات

واسعة النطاق تتيح ابقـــاء بعض مستوطنات « رفح » : علـــى الأقل ، فى يد الاسرائيليين . كما كان وزير الدفـــاع يصر أيضـــا على الاحتفاظ بمطار واحد على الأقل ـــ وليس المطارات الثلاثة كلها كما كان ينادى سابقا ـــ فى ســـيناء . ولكن « وايزمان » ، على العكس من زميليه ، كان مستعدا لموافقة مصر والولايات المتحدة على تحديد عدد الاسرائيليين الذين يسمح لهم بالالتحـــاق بالمستوطنات القائمة ، وذلك خـــلال فترة الخمس ســـنوات التى تعقب التوقيع على المعاهدة . كذلك كان « وايزمان » مســـتعدا للموافقة على تجميد عدد المستوطنات فى الضفة الغربية ، شرط التوسع فى ستة منها وتحويلها الى مدن صغيرة .

وقد قرر الرئيس كارتر ، للحيلولة دون تسرب اية أنبـــاء عن المؤتمر ، عدم السماح لأى أحد أن يترك المنتجع ، فقـــد كان يؤمن بأن العلانية قد تدمر المباحثات . بل أن كارتر طلب من كل من « بيجين » والسادات ـــ حتى قبل أن يغـــادرا بلديهما ـــ ان يأمرا المرافقين لهما بعـــدم مغادرة «كامب دافيد» حتى فى أيـــام العطلات . كذلك اتفقت الأطراف الثلاثة على أن يكون السكرتير الصحفى للرئيس الأمريكى ، « جودى باول » ، هـــو المتحـــدث الرسمى بلسانهم جميعا .

وقد حاول « بيجين » أن يخفف من حدة التوتر الذى تعـــاظم عشية انعقاد المؤتمر . وقد حرص ـــ وهو المؤمن بقواعد الدراما الدعائية ـــ أن يظهر كثيرا أمام كاميرات شبكات التليفزيون ، وهو يمزح ويحاول التخفيف من الجـــو المنذر بالأخطـــار الذى كـــان سائدا قبل بدء المباحثات . وكان يشعر انه لـــدى كل من الولايات المتحدة ومصر من الأسبـــاب ما يجعل حرصهما على نجاح المؤتمر يتساوى مع حرص اسرائيل . وكان « بيجين » يقـــول :

ـــ « ما هو البديل لدى السادات ـــ الحرب ؟ هل يمكن أن

يتخلى عن الولايات المتحدة ويعود الى السوفييت ؟ ومن الذى سوف ينقذه ؟ الأسد أو برزينييف أو القذافى ؟ » .

كذلك كان « بيجين » يروى للرأى العام الأمريكى كيف أن السادات لم يحقق أهدافه من حربين خاضتهما مصر ، وكيف انه استنجد بالولايات المتحدة ، اثناء حرب « يوم الغفران » ، كى تنقذ جيشه الثالث المحاصر ، ولكى تقنع اسرائيل بسحب قواتها من الأراضى المصرية .

كذلك لعب « موشيه دايان » دوره المرسوم فى الحرب النفسية . فقد أعلن فى أحد تصريحاته :

ـ « ما الذى يمكن أن تفعله مصر بنا ؟ اننا ـ اذا فشل مؤتمر كامب دافيد ـ سوف نبقى فى سيناء ، ونواصل ضخ النفط من هناك ! اننا سوف نذهب الى كامب دافيد ونحن على استعداد للبحث عن وسائل التسوية ، وعن نقاط الاتفاق بيننا وبين الجانب الآخر ، ولكن بدون أن تغيب قضايانا الأساسية عن بصرنا » .

وكان القادة الاسرائيليون قلقون بشكل خاص من تناقض تصرفات السادات وتصريحاته وعدم اتساقها . وفى الواقع ، ان المقارنة بين مواقف السادات فى مباحثاته مع « وايزمان » وبين مواقف وزير خارجيته فى مؤتمر « قلعة ليدز » ، تبرر هذا القلق تماما . فقد عبر السادات ، فى مباحثاته مع وايزمان ، عن استعداده للنظر فى ابقاء المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء بعد فترة الانتقال ، شريطة أن لا تقوم قوات اسرائيلية بحمايتها . وبالرغم من ذلك ، فقد كان موقف مصر من هذه المسألة ، فى مؤتمر « قلعة ليدز » يتسم بالتصلب ، حيث طالب وزير الخارجية المصرى بالانسحاب الكامل ، وأعلن ان مصر لن تقبل وجود جندى اسرائيلى واحد فى الضفة الغربية وقطاع

غزة . كذلك كان الرئيس المصرى قد وافـق ، اثناء مباحثاته مع وايزمان ، على التخلى عن فكرة اقامة دولة فلسطينية وعلـى ابعـاد « منظمة التحرير الفلسطينية » عن المفاوضات . أما فى « ليدز » ، فقد أصر « محمد ابراهيم كامل » على اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير واقامة دولة مستقلة . وفى مباحثاته مع «وايزمان» أيضـا ، كان السادات قد وافق على اعطاء اسرائيل حق الاعتراض (الفيتو) على دخـول لاجئين من خارج البلاد . بينما لم يشر « كامل » الى ذلك اطلاقا فى « ليدز » ، بل واكد على حق جميـع اللاجئين الفلسطينيين ، بما فى ذلك من فروا من البلاد عام ١٩٤٨، فى العودة الى محـال اقامتهم السابقة .

وقبل اقلاع الطائرة الهليوكبتر من البيت الأبيض الى « كامب دافيد » ، أدلى كارتر بتصريح قال فيه :

ــ « ان فرص النجـاح الكامل ضئيلة جـدا . ذلك ان الحروب الأربعة التى نشبت ، لم تؤد الى تحقيـق السلام فى هذه المنطقة المضطربة من العـالم . ولذا فليس هنـاك من سبب يجعلنا نتفاءل أكثر مما يجب ، ولكنه لا يوجد فى نفس الوقت ما يدعو الى اليأس ! » .

وقد فرشت البسط الحمراء لـكل من « بيجين » والسادات لدى وصولهما ــ منفصلين ــ الى قاعدة « اندروز » الجوية ، القريبة من واشنطون ، فى ٥ سـبتمبر ١٩٧٨ . وقـد حرص الامريكيون على أن تكون مراسم استقبال القائدين متماثلة تماما ، وبحيث لا يكون هنـاك ما يدعو الى الشكوك أو التذمر . ونتيجة لشغف « بيجين » بالمراسم ، فقد كان الاسرائيليون يعـاملون المسائل المتعلقـة بها بحساسية بالغة .

وكان الرئيس السادات قد وصل أولا ، واستقبله كارتر فى المطـار المعد لهبوط طائرات الهليوكبتر فى « كامب دافيد » .

وجلس الدبلوماسيون يرقبون مراســم استقباله على شاشات التليفزيون . وفجأة صاح أحدهم :

ـ « انظر الحرارة التى يعانق بها كارتر الســادات ! » .

فرد عليه « دان باتير » ، سكرتير « بيجين » الصحفى :

« لا عليك ، فانك تستطيع الاعتماد على بيجين اذا كان الأمر متعلقا بالعنــاق ! » .

وقد لاحظ الدبلوماسيون الاسرائيليون أيضا أن « كارتر » والسادات عانقا بعضهما أكثر من مرة . كما تناولوا بالتعليق أيضا مسألة عدد طلقــات المدافع . فقد كانت قواعد المراسم تقضى بأن تطلق المدافع ٢١ طلقة للسادات بوصفه رئيس جمهورية ، بينما لم يكن من حق « بيجين » ، الذى كان مجرد رئيس للوزراء ، أكثــر من ١٩ طلقة ! .

ولم يخيب « بيجين » آمال سكرتيره الصحفى . فقد عانــق كارتر مرة ، ثم بعد برهة عانقه مرة أخرى ، وأخذ يوزع الابتسامات بلاحساب ، وعلى الجميع بدون تفرقة . وقد لاحظ الدبلوماسيون الاسرئيليون أيضا ، أن « بيجين » لم يكتف بتقبيل وجنة « روزالين كارتر » ، بل وقبل يدها أيضا ، وفقا للتقاليد البولندية !

وكان « كارتر » يحــاول منذ البداية أن يخفف من حدة التوتر السائد . وقد قال لــ « بيجين » وهو يبتسم ابتسامته اللامعــة الشهيرة :

ـ « ما رأيك فى أن ننتهى من تسوية كل شىء غدا ، ثم نقضى بقية الأسبوع فى متعة حقيقية ؟ » .

ولم يبتسم « بيجين » ، الذى كان عندئذ يقــوم بتقــديم الوفد المرافق له .

وعبرت « روزالين كارتر » عن دهشتها لقــدوم « بيجين »

وحده دون زوجته (التى كانت قد ذهبت الى كندا لحضور عرس احدى قريباتها) . فقال لها « وايزمان » :

ـ « سوف تأتى اليزا بيجين غدا . وعندئذ سوف تكون انيزا فى بلاد العجائب » (اشارة الى قصة الأطفال الشهيرة : أليس فى بلاد العجائب ـ المترجم) .

ثم صحب « كارتر » و « روزالين » رئيس الوزراء الاسرائيلى الى كوخه ، وبقيا معه نحو ١٥ دقيقة ، أبلغه الرئيس الأمريكى أثناءها بالترتيبات المعدة للاجتماعات . وقال كارتر لأعضاء الوفد الاسرائيلى ان الحياة فى « كامب دافيد » لن تسير وفق قواعد « البروتوكول » ، وطلب منهم أن لا يعاملوه بوصفه رئيسا لدولة عظمى ، وأن يتصرفوا وكأنهم فى منتجع حقيقى .

وقبل ذلك ، عندما صحب « كارتر » ضيفه ، الرئيس المصرى ، الى كوخه ، عبر له السادات عن دهشته لوفرة الخضرة والنباتات والأشجار . ذلك أنه لما زار « كامب دافيد » قبل ذلك فى شهر فبراير ١٩٧٨ ، كانت الثلوج تغطى الأشجار والمراعى ، الأمر الذى حرم الرئيس المصرى من القيام بنزهته اليومية .

وعند باب الكوخ قال « كارتر » :

ـ « سوف أقابل « بيجين » هذا المساء . فقد نال ما يكفى من الراحة فى نيو يورك قبل أن يقدم الى هنا . أما أنت ، فلابد انك بحاجة الى قدر من الراحة . لذا أرجو أن تحظى بقسط كاف من النوم ، وسوف نلتقى صباح الغد »(٢) .

ولم يدخر البيت الأبيض جهدا من أجل اراحة ضيوفه . وكان السقاة يقدمون الشطائر والمشروبات طيلة الأربع وعشرون ساعة . كذلك فقد كان هناك عروض سينمائية متواصلة فى أحد الأكواخ . كما طلب من الضيوف عدم ارتداء ربطات العنق أو الملابس الرسمية . وكانت هناك لافته معدنية معلقة أمام كل كوخ تحمل اسماء قاطنيه .

وكان السادات يقيم فى كوخ بمفرده ومعه شماشرجى (خادم خاص) وطاهى . كذلك طلب « بيجين » أن يقيم مساعداه ، « كاديشاى » و « يوران » بالقرب منه .

وقد قضى « بيجين » وقت القيلولة نائما ، بعد أن طلب ايقاظه فى السادسة والنصف ، أى قبل نصف ساعة من موعد اجتماع الوفد الاسرائيلى . وكان قد تقرر أن يعقد « كارتر » و « بيجين » أول اجتماع لهما فى الثامنة والنصف من نفس المساء .

وكان « بيجين » لايزال نائما عندما اجتمع « جودى باول » بكل من « دان باتير » و « أسامة البـــاز » . وكان « الباز » قد تقدم الى الاجتماع وهو يحمل رزمة من الأوراق ، تبين فيما بعـــد انهـــا مسودة الخطاب الذى كان من المقـــرر أن يلقيه السادات فى جلسة الافتتاح فى اليوم التالى .

وافتتح « جودى باول » الاجتماع قائلا :

ــ « لقد اقترحت « روزالين » زوجة الرئيس ، على زوجها أن يطلب رؤساء الوفود من المؤمنين بالديانات الثلاث أن يصلوا من أجل نجـــاح مؤتمر السلام » .

وأعلن « الباز » على الفور موافقته على الصـــياغة التى اقترحتها زوجة الرئيس الأمريكى .

أما « دان باتير » ، فانه لم يكن يستطيع أن يتخذ قرارا فى هذه المسألة دون موافقة « بيجين » . ولكنه عرض نص الصلوات التى اقترحتها مسز كارتر على رئيس الوزراء الاسرائيلى بعـــد أن استيقظ هـــذا من نومه .

وضع « بيجين » بقلمه الأحمر خطا تحت عبـــارة وردت فى نص الصلوات تقول : « لقد كانت الأراضى المقدسة مهدا للأديان الثلاثة ، وهـــو يقول :

ــ « مع كل احترامى للسيدة كارتر ، فان أرض اسرائيـــل

كانت مهدا للديانتين اليهودية والمسيحية ، ولكن ليس الاسـلام . ذلك أن مهد الاسلام هو العربية السعودية » .

ثم عدل « بيجين » العبارة إلى : « ان منطقة الشرق الأوسط التى كانت مهدا للأديان الثلاثة الكبرى ، لم يتح لها أن تستمتع ببركات السـلام » .

ولكن وقت رئيس الوزراء لم يكن يسمح له بممارسة هوايته فى التصحيح والتعديل فى مسودة السيدة روزالين ، فقد كان موعد جلسة العمل المبدأية بين « كارتر » و « بيجين » قد حان .

وقد افتتح « كارتر » الجلسـة قائلا :

— « سيدى رئيس الوزراء ، لابد لنا من أن نخرج باتفاق ما من هذا المؤتمر . ذلك ان عقد مؤتمر كهذا ينطوى فى الواقع على نوع من المجازفة . لانه فى حالة فشله ، لن تكون هنـاك فرصة أخرى لتحقيق السلام . وأريد أن أؤكد ان ابرام اتفاقية صلح بين مصر واسرائيل يفوق فى أهميته بالنسـبة الى فرصة تجـديد فترة رئاسـتى » .

ثم استطرد « كارتر » يقـول ، محاولا تملق ضيفه كى يخلق جـوا مريحا :

— « وأنا أعلم ، ياسيدى رئيس الوزراء ، ان العالم لم يقدر جهودكم ومساهماتكم من أجل السلام حق قدرها » .

وبعد ان أبلغ الرئيس الأمريكى ضيفه بالاجتماعات المقـرر عقدها فى اليوم التالى — ومنها اجتماع للقادة الثلاث حدد له بعد ظهر اليوم — دخل فى الموضوع مباشرة :

— « ان السادات يصر على أن توافق اسرائيل على مبـدأ عدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة » .

بيجين : « ان قرار مجلس الأمن رقـم ٢٤٢ لا ينص على

ذلك ، وانما يقضى بعدم جواز الإستيلاء على الأراضى عن طــريق الحرب . والفرق بين التعبيرين ، ياسيادة الرئيس ، هام جدا . فهناك ، مثلا ، حروب عادلة . ان الأمر ، فى الواقع ، ليس بهذه البســـاطة » .

كارتر : « على أية حال ، **أنا أعتقد أنه من المحتمل الآن أن توافق مصر على ثلاثة مسائل هى : أن تنسحب اسرائيل الى حدود سيناء الدولية ، وان لا تقام دولة فلســطينية مستقلة ، وأن تبقى قوات جيش الدفاع الاسرائيلى فى الضفة الغربية وقطاع غزة حتى بعد فترة الخمس سنوات المحددة لتنفيذ خطة الحكم الذاتى » .**

بيجين : « سوف نقترح على مصر ترك موضوع السيادة على يهودا والسامرة وقطاع غزة مفتوحا . **وأحب أن أقول اننا لن نقبل سيادة أخرى هناك غير سيادة دولة اسرائيل » .**

كارتر : « ولكننا نفضل مناقشة مسألة تحديد الوضع النهائى لهذه الأراضى حتى قبل انتهاء فترة الخمس سنوات » .

بيجين : « رغم اننى أؤمن بكل قلبى أن هذه الأراضى هى ملك للشعب اليهودى ، وليس للمصريين أو الأردنيين ، فاننا ســوف نترك مسألة الســيادة مفتوحة » .

ولاحظ « كارتر » ان « بيجين » لم يذكر الفلسطينيين ، ولكنه تجاهل ذلك ، بينما استطرد « بيجين » يقــول :

ــ « هناك بعض الناس يسخرون من الكتاب المقــدس . ولكنك لن تكون ، ياسيادة الرئيس ، منهم ولا أنا أيضـــا » .

ولم يعلق « كارتر » ، بل انتقل الى موضوع أثار غضبه أكثر من مرة فى الشهور الأخيرة . وكان يدرك ان اللحظــة القادمة سوف تكون لحظة صعبة . قال :

ــ « ان الولايات المتحدة تتوقع من اسرائيل أن تتوقف عن

اقامة المستوطنات فى الأراضى المحتلة ، ذلك ان هذه المسألة قد تدمر عملية السلام ، أو تفسد الجو الذى تدور فيه على الأقل » .

وكان رد « بيجين » قويا :

— « اننا لا يمكن أن نقبل ذلك . **اننا نوافق على وقف اقامة المستوطنات فى سيناء . أما بالنسبة ليهودا والسامرة ، فان الأمر مختلف تماما ، فان ذلك هو حقنا المطلق !** » .

وعندما لمس « كارتر » فى حديثه موضوع الحرب الأهلية فى لبنان ، أبلغه « بيجين » بالمساعدات الكبيرة التى قدمتها اسرائيل الى القوات المسيحية فى جنوب لبنان .

وتجاهل « كارتر » ، فى البداية ، ما قاله « بيجين » . وقال لضيفه انه يفكر فى مناشدة سوريا انهاء تدخلها فى الحرب اللبنانية، ثم فجأة قال :

— « **انى أطالبك بأن تتوقف اسرائيل عن مد المسيحيين بالدبابات والمعدات العسكرية الثقيلة ، لأن ذلك يعقد المسألة الى حد كبير** » .

وأصيب « بيجين » بالدهشة . فقد كان اقتناعه كاملا ، حتى تلك اللحظة ، بأن التدخل الاسرائيلى يستحق الثناء لا المعارضة . ولكنه لم يعلق بشىء .

وانتقل الحديث من لبنان الى سيناء . وأثار بيجين امكانية نقل الاشراف على أحد المطارات العسكرية الاسرائيلية الثلاث الى السلاح الجوى للولايات المتحدة . ودهش بيجين من اجابة كارتر ، التى أوضحت ، للمرة الأولى ، ان اللجنة المشتركة لأركان حرب الأسلحة الأمريكية الثلاث ، قد ناقشت هذه الامكانية بالفعل .

قال كارتر :

— « اذا كان هناك اتفاق بين اسرائيل ومصر ، ووافق

الطرفان ، فعندئذ ، وعندئذ فقط سوف يقترح رؤساء أركان الحرب أن تقيم الولايات المتحدة قاعدة تدريب فى سيناء » .

ولم يبد كارتر حماسا كبيرا ازاء هذه الفكرة ، وأكد انه اذا تم ذلك ، فانه لم ولن يكون بناءا على مبادرة من الولايات المتحدة ، وان الأمر برمته يتوقف على مصر وعلى اسرائيل .

وقد كان رأى بيجين يتفق مع ما أشار اليه كارتر . ففى الاجتماع التمهيدى الذى عقده الوفد الاسرائيلى قبل مغادرته القدس الى واشنطون ، أخطر بيجين أعضاء الوفد بأنه ينوى أن يعرض على كارتر أن تقدم اسرائيل للولايات المتحدة تسهيلات لاسطولها السادس فى ميناء حيفا . ولكنه الآن ، وبعد ما قرره كارتر بشأن القواعد الأمريكية فى سيناء ، فانه لم يثر هذا الأمر .

وانتهت المحادثات باستعراض الموقف فى ايران . وعبر كارتر عن قلقه العميق لما يحدث فى طهران . وانقض بيجين على الموضوع كما لو أنه قد اكتشف كنزا ، وأشار الى الأخطار الكامنة فى التوسع السوفيتى فى الشرق الأوسط . وقد لاقى حديثه آذانا صاغية(٤) .

... ...

لف الظلام أعضاء الوفد الثلاث فى ليلتهم الأولى فى كامب دافيد . ولم تكن مباحثات المؤتمر قد بدأت بعد ، ولكن الأنوار كانت تشع ، وحتى وقت متأخر من الليل ، من نوافذ كثير من الكبائن ، حيث اجتمعت الوفود للتشاور قبل أعمال المؤتمر . وأخذ بيجين يتمشى بين أشجار كامب دافيد ، وهو غارق فى التفكير ، مستمتعا بالسكون . وقال لنفسه : « يالها من فردوس على الأرض » .

ولم ينل أحد فى كامب دافيد قسطا كبيرا من النوم فى هذه الليلة . وقد استيقظ الرئيس كارتر فى الساعة الخامسة صباحا ، كما هى عادته منذ كان يخدم فى سلاح البحرية . واستيقظ بيجين فى نفس الوقت تقريبا وهى عادة اكتسبها منذ أيام العمل السرى .

أما السادات ، فقد استيقظ فى الساعة الثامنة ، وشرع على الفور فى السير لمدة ساعة كاملة ولمسافة أربعة كيلومترات . وكان الأطباء قد نصحوه بأن يسير بسرعة حتى يعرق .

وفى الصباح ، اجتمع وزير خارجية الولايات المتحدة مع وزيرا خارجية مصر واسرائيل ، لاقرار اجراءات عمل المؤتمر . وفى الساعة العاشرة ، كان السادات يجلس مستريحا فى كابين كارتر .

وبدأ كارتر الحديث قائلا :

« اننى اقترح أن لا تقتصر اجتماعاتنا على رؤساء الوفود فقط . فعلى سبيل المثال ، أنا أقترح أن تجتمع مع موشى دايان ايضا . وأنا أعرفه ، عن خبرة ، انه مفكر خلاق » .

كان السادات قد أظهر ، منذ اللحظة الأولى لمبادرته السلامية ، بعض النفور من دايان . وبالرغم من الحاح وايزمان ، فقد رفض مقابلة وزير الخارجية الاسرائيلى . ولكنه فى ذلك الصباح ، فى كابين كارتر ، قال انه لا مانع لديه من عقد مثل هذا اللقاء .

وقال السادات :

« قبل أن أقدم الى هنا ، كانوا يظنون اننى سوف أذهب الى كامب دافيد كى أناقش اعلانا بالمبادىء ، أو كى أصدر اعلانا بالحل الشامل . وقد قلت لمجلسى للأمن القومى اننا قد اجتزنا هذه المرحلة . فليس من المنطقى أن نعقد اجتماعا على مثل هذا المستوى العال لكى نناقش اعلانا بالمبادىء ، ثم يرحل كل منا الى بلاده . وقد كانت هذه هى النقطة موضع البحث عندما اجتمعت اللجنة المشتركة فى الاسماعيلية فى شهر ديسمبر (كانون الأول) الماضى . ونحن لا نستطيع أن نتجنب الدخول فى مضمون التسوية ، وهى اطار التسوية الشاملة » .

وسأله كارتر :

ــ « هل أعددت اطارا للتسوية الشاملة ؟ » .

ــ « نعــم » .

وقال كارتر :

ــ « انني ، من جانبي ، لــم أعد شيئا . وســوف أصر ، بالعمل بوصفي شريكا كاملا . واذا دعت الحاجة الى تدخل أمريكي، فسوف أعد مقترحات ، وأقــوم بعرضها عليكما » .

وقال الســادات :

« ان برنامجي جــاهز » .

وأشعلت اجابة الرئيس المصري خيال كارتر . فقد أصــاب السادات الهدف عندما استجاب لرغبة كارتر*بأن لا يتركوا غابات كامب دافيد دون أن يقوموا بانجــاز كبير ، هو : اطار معــاهدة للســلام . وكان الحديث يثير البهجة . فقــد ناقشا موضــوع السادات المفضل ، وهــو : التوسع السوفيتي في الشرق الأوسط ، وضرورة مواجهته . وكان الســادات يجد دائما آذانا صاغية عندما يتحدث الى الأمريكيين حول هذا الموضوع(٥) .

وباقتراب وقت الظهيرة ، تصاعد التوتر في كامب دافيد .

وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر قد تحددت موعدا لاجتماع كارتر والســادات وبيجين . ولم يكن السادات وبيجين قد التقيا منــذ مؤتمر الاسماعيلية في شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ . وكان الرئيس المصري قد استخدم عبارات قاسية عند حديثه عن رئيس الوزراء الاسرائيلي . وبالاضافة الى ذلك ، فقد كانت أجهــزة الأعلام المصرية تهــاجم بيجين بلا توقف . وكان القلق يسود الوفود الثلاثة من اللحظة التي يتقابل فيهــا القائدان وجها لوجــه .

ولكن ، قبل موعد اجتماعه مع بيجين ، خــرج الســادات كي يقــوم بنزهة في الأحراش . وكان يرتدي لباس تدريب رياضي

أزرق اللون ، وكان يحمل عصا جولف فى يـده . وفى نفس الوقت تقريبا ، خرج بيجين للقيام بنزهة على قدميه . وحين كان السادات يوشك أن يترك الممر الرئسى ، كى يعود الى كابينه ، التقى ببيجين ومرافقيه .

وتجـاوز بيجين لحظة التوتر القصيرة ، عندما مد يده مصافحا السادات وهـو يقـول :

ــ « كيف حالك ، ياسيادة الرئيس ؟ . انك تبدو فى صـحة طيبة ، وأرجو أن تكون حالتك النفسية أيضا كذلك » .

وأجابه السـادات قائلا :

ــ « أنت أيضا تبدو فى صحة طيبة يا سيادة رئيس الوزراء » .

وجذب التجمع الذى حـدث فى الممر انتباه « ايزر وايزمان » الذى كان يركب دراجته فى منطقة قريبة . فاتجـه نحـو مـكان التجمع ، وهـو يصيح مطالبا بتوسيع الطـريق له . وعنـدما أصبح قريبا جـدا من مكان التجمع ، رأى أن السادات وبيجين قد التقيا ، فترك دراجته ، وأسرع اليهما .

وصاح السادات وهـو يلوح بذراعه :

ــ « هاللو ، أيهـا الصديق » .

وعانق وايزمان . وتبادل الاثنان القبلات .

وبينما كان السادات يقـول لبيجين : « سوف نلتقى فى الثالثة بعد الظهر » ، كان حسن التهامى يقـول لوايزمان : « أننى أقترح أن تقوم بزيارة الرئيس السادات فى الساعة الثانية بعد الظهر » .

وأخطر وايزمان بيجين بأمر الدعوة . ووافق بيجين أن يلتقى وايزمان بالرئيس المصرى قبل عقد الاجتماع الثـلاثى بين كارتر والسادات وبيجين . وكان الوفد الاسرائيلى يدرك أن تلك كانت ثالث مرة يقـابل فيها السـادات ووايزمان لاجـراء محادثات

تمهيدية قبل عقد اجتماع مع وفد اسرائيلي . فقد حدث ذلك في الاسماعيلية ، كما حدث أيضا قبل مؤتمر قلعة ليدز .

وعندما عاد بيجين الى كابينه ، وجد في انتظاره فيلب ج. وايز، سكرتير كارتر لمواعيد المقابلات . الذي قال له :

— « ان الرئيس يود منك أن تأتي الى كابينه قبل بضع دقائق من موعد عقد الاجتماع الثلاثي . فهو يود أن يراك بمفردك » .

وأدرك بيجين أن شيئا ما قد حدث خلال الاجتماع الذي عقده كارتر مع السادات في الصباح . ولكنه لم يكن يعرف ما الذي حدث

وأثناء ذلك ، ذهب وايزمان الى كابين السادات . كان السادات يؤدي فريضة الصلاة . وانتظره وايزمان في صبر حتى انتهى ، ثم سأل السادات اذا قد تلقى البرقية التي بعث بها اليه بعد اجتماعهما في سالزبورج ، والتي اعتذر فيها عن ما تسرب الى الصحف بشأن رغبة السادات في أن يقوم الاسرائيليون باعطاءه العريش وجبل موسى .

قال وايزمان :

— « ان هجومك الشخصي على بيجين قد زاد الموقف صعوبة . فلقد أثرت غضبه » .

فأجاب السادات :

— « لم أكن أريد أن أفعل ذلك مطلقا . واذا كنت قد أغضبت المستر بيجين ، فانني أعتذر . ويجب أن تعرف أن احترام الأشخاص يحتل مرتبة الأولوية بالنسبة الى ، وان احترام أقراني في الانسانية يأتي قبل كل شيء . فأنا ، على سبيل المثال ، لم أدخن سيجارة أمام والدي قط » .

وقال وايزمان :

— « اننى أقترح أيضا أن تقابل موشى دايان لاجراء مباحثات معـــه » .

وقال الســـادات :

— « من المثير للاهتمام ان كارتر قد اقترح على نفس الشىء .
وأنا لا مانع لدى . وســوف اقابله هنا فى كامب دافيد » .

ثم تعرض الحديث للشئون الدولية . واستعرض الســادات التسلل السوفيتى فى الشرق الأوسط ، معبرا عن قلقه ، وقال :

— « ان هذا المجنون المسمى بالقذافى لديه روس وكوبيون والمــان شرقيون . وأنا أحس بالقلق ازاء ذلك .

ثم تطرق الحديث الى الأحــداث الجارية فى ايران . وكــان الموقف هنــاك يسبب القلق للسادات . وكان يشعر أن الغــرب لم يتصرف هنــاك بشــكل سليم . وامتدح الســادات الرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان ، الذى أرسل الطائرات والجنود والمعــدات العسكرية الى تشاد ، بينما « لم يخف الأمريكيون لمساعدة أصدقائهم . واستمر الحديث نحو عشرون دقيقة ، وكانت المقابلة مفعمة بالود ، فلم يكن الســادات يخفى الود الذى يكنــه لوزير الدفاع الاسرائيلى(٦) .

... ...

وصل بيجين الى كابين الرئيس كارتر قبل عشر دقائق من موعد الاجتماع الثلاثى . وكان كارتر عصبيا الى أقصى حد . وطلب من بيجين الجلوس على مقعد فى مواجهته .

بدأ كارتر الحديث قائلا :

— « لقد أحضر الرئيس السادات معه اقتراحا مكتــوبا . وقد أراه لى اليـــوم .

وأحس بيجين أن هنــاك عاصفة على وشك أن تهب . فلو كان الاقتراح مقبــولا لمــا كان كارتر قد دعاه لاجتماع تمهيدى . واستنتج أن كارتر يريد أن يستبق المتاعب .

واستطرد كارتر قائلا :

— « أنا أعرف انك لن تستطيع قبول مقترحات السادات ، ولكنى لا أريد أن يتسبب ذلك فى تدمير المؤتمر .

وفهم بيجين . وأدرك أن كارتر متخوف من رد عنيف ، ومن صدور تصريحات حادة فى جلسة المؤتمر الافتتاحية . ولم يكن هو ، من ناحيته ، ينوى التقدم بمقترحات اسرائيلية . فقد قرر الوفد الاسرائيلى ، بناء على اقتراح من دايان ، أن لا يتقدم بأى مقترحات ، بل أن يفحص مطالب وتكتيكات الوفد المصرى أولا . فقد تذكر دايان أن تقديم مقترحات منفصلة من كلا الجانبين ، يؤدى عادة الى أن يتقدم الأمريكيون بمقترحات حل وسط . وهو لم يكن يريد ذلك . ووافقه بيجين .

... ...

ولم يكن كارتر يعرف ذلك(٧) .

انعقد اجتماع الزعماء الثلاثة فى شرفة كابين كارتر . وكان الجو ، منذ البداية ، وديا ، رغم أن الثلاثة كانوا يدركون ماذا يتوقعون . وبدأ كارتر الحديث ، وبعد أن انتهى ، اقترح السادات على الفور أن يأخذ بيجين بناصية الحديث .

وقال بيجين :

— « يجب أن نفتح صفحة جديدة . فالمفاوضات تحتاج الى كثير من الصبر » .

وقال السادات :

— « اننا ، حقا ، نحتاج لكثير من الوقت . فنحن ، بعد كل شىء ، لن نوقع معاهدة سلام هنا . وفى رأيى انه ليس هناك معنى لاصدار اعلان بالمبادىء أو لعقد اتفاق منفصل . بل يجب أن نتحدث حول مضمون تسوية شاملة . ويجب أن لا تتحول كامب دافيد الى ميدان معركة تليفزيونية كما حدث بالنسبة الى مؤتمر جنيف . فقد كانت جمع الأطراف تتنافس هناك

على الشاشة الصغيرة كما لو أنهم كانوا من المغنين الهواه الذين يطمحون فى الاحتراف . ويجب أن نتفق أولا على الاطار ، ثم يتولى مساعدونا التفاصيل فيما بعد . وأعتقد أننا نحتاج لفترة ثلاث شهور لانجاز ذلك .

ساد السكون لحظة . وأخرج السادات ثلاث نسخ من مجموعة من الأوراق من حافظته البنية اللون . كان المشروع المصرى يقع فى احدى عشر ورقة . وتساءل السادات :

— « هل أقرأ وجهة النظر المصرية بشأن اطار التسوية الشاملة ؟ » .

ورد كارتر وبيجين بالايجاب .

وضع السادات على عينيه نظارة للقراءة ، ثم أخذ يقرأ المشروع المصرى . كان يقرأ فى بطء ، مؤكدا على كل كلمة .

كانت المقدمة مفعمة بالعبارات البليغة الزاعقة :

— « .... انطلاقا من المبادرة التاريخية التى قام بها الرئيس السادات ، وهى المبادرة التى احيت آمال العالم بأكمله فى مستقبل أكثر ازدهارا للانسانية ، وبالنظر الى رغبة شعوب الشرق الأوسط ، وكل الشعوب المحبة للسلام فى وضع نهاية لآلام الماضى ، وانقاذ الجيل الحالى ، والجيل الذى يليه من ويلات الحروب ، وحتى يمكن فتح صفحة جديدة ... وانطلاقا من العزم على أن يتحول الشرق الأوسط ، مهد الحضارات ، ومحل ميلاد الأنبياء الى نموذج مضىء للتعايش والتعاون بين الأمم ، وبدافع من الرغبة فى تنمية علاقات حسن الجوار ، وفقا لمبادىء القانون الدولى .... » .

كان كارتر وبيجين ينصتان باهتمام ، والسادات يقرأ بنود المشروع الذى أحضره معه من القاهرة : فقرة فقرة :

١ — يعلن الطرفان عن عزمهما على التوصل الى تسوية

شاملة لمشكلة الشرق الأوسط عن طريق عقد معاهدات للسلام ترتكز على أساس التطبيق الكامل لقرارى الأمم المتحدة رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ بكل بنودهما .

٢ — يوافق الطرفان على أن اقامة سلام عادل ودائم يتطلب :

(أ) انسحاب اسرائيل من كافة الأراضى المحتلة وفقا لمبدأ حظر الاستيلاء على الأرض عن طريق الحرب . ويكون الانسحاب من سيناء والجولان الى الحدود الدولية التى كانت قائمة بين فلسطين الموضوعة تحت الانتداب وبين كل من مصر وسوريا . ويكون الانسحاب من الضفة الغربية الى خط الهدنة الذى كان قائما بين الأردن واسرائيل عام ١٩٤٩ . واذا وافقت الأطراف المعنية على اجراء تعديلات طفيفة فى هذه الحدود ، فانه سوف يكون مفهوما أن هذه التعديلات ليست انعكاسا للاحتلال . ويكون الانسحاب من قطاع غزة الى خط الهدنة الذى كان قائما بين مصر واسرائيل عام ١٩٤٩ . ويتم تنفيذ الانسحاب الاسرائيلى فور التوقيع على معاهدة السلام ، وينتهى وفقا لجدول زمنى يتم الاتفاق عليه خلال الفترة المشار اليها فى الفقرة رقم ٦ » .

(ب) يكون اجلاء المستوطنات الاسرائيلية من الأراضى المحتلة وفقا للوقت الذى يتم الاتفاق عليه ، وفى خلال الفترة المشار اليها فى الفقرة رقم ٦ » .

هبت نسمة باردة على شرفة كابين الرئيس كارتر ، ولكن الجو سرعان ما اشتعل بالسخونة . كان بيجين ينصت فى عناية لكل كلمة . كان يتميز غيظا ، ولكنه كان يبدو باردا من الخارج . فقد شعر منذ أن نطق السادات كلماته الأولى أن تلك هى أكثر الوثائق المصرية تطرفا منذ بدء عملية السلام . فقد أظهر المصريون ،

فى الاسماعيلية وفى سالزبورج ، رغبة اكثر فى تقـديم التنازلات . وكان بيجين ، وهـو ينصت باهتمـام ، يتـابع بعينيـه أيضا نص المشروع الذى كان يضعه على ركبتيه . ولاحظ بطـرف عينه أن كارتر ظل يرقبه محاولا سبر غور رد فعله :

(جـ) يكون ضمان الأمن والسـيادة ووحدة أراضى والاستقلال السـياسى لكل دولة عن طريق الترتيبات الآتية :

* اقامة مناطق منزوعة السلاح على كلا جانبى الحدود .
* وضع قوات تابعة للأمم المتحدة على كلا جانبى الحدود .
* وضع أجهزة للانذار المبكر بشكل تبادلى .
* تحديد أنواع السلاح التى يمكن للبلدان الموقعة على هـذه الاتفاقية الحصـول عليها ، وتحديد طريقة استخدامها .
* اشتراك كافة الأطراف الموقعة على هذه المعاهدة فى منع انتشار الأسلحة النووية . والتزام جميع الاطراف بعدم انتـاج أو الاحتفاظ بالأسلحة النووية او أى مادة تفجير نووى .

أبقى بيجين ملامح وجهه دون أن يرتسم عليها أى تعبير . كان واضـحا أن الرئيس المصرى يعنى بآخر بند قرأه أن اسرائيل تمتلك قنابل ذرية . وكان هذا الموضوع يشغل المصريين أثناء المفاوضات. وكانوا قد أثاروه بالفعل فى اللقـاء الأول فى القدس . ولم يصدر عن الاسرائيليين أى رد فعل ازاء ذلك . فهم لم يقولوا : لا ، ولـم يقولوا : نعم . والتزم بيجين الصمت :

* تطبيق مبدأ حرية الملاحة فى مضايق تيران .
* اقامة علاقات من التعاون والسلام وحسن الجوار بين الطرفين .

(د) تلتزم جميع الأطـراف بأن لا تستخدم التهديد باستخدام القوة ، أو باسـتخدام القوة فى تسوية المنازعات فيما بينها ، وأن تحل جميع المنـازعات بالوسائل السلمية وفقـا للمـادة ٣٣ من

ميثاق الأمم المتحدة . وتلتزم الأطراف أيضا بقبول قرارات محكمة العدل الدولية فيما يتعلق بالخلافات فى الرأى التى تنشأ عن تطبيق أو تفسير الالتزامات فيما بينهم .

(هـ) يتم الغاء الحكم العسكرى فى الضفة الغربية وقطاع غزة عند التوقيع على معاهدة السلام ، ويتم نقل السلطة الى الجانب العربى بشكل منظم وبالوسائل السلمية . وسوف تكون هناك فترة انتقال لا تزيد عن خمس سنوات ، تبدأ من يوم التوقيع على الاطار الشامل ، تقوم خلالها الاردن بالاشراف على ادارة الضفة الغربية ، وتقوم مصر بالاشراف على ادارة قطاع غزة . وتقوم مصر والاردن بأداء وظيفتيهما بالتعاون مع ممثلى الشعب الفلسطينى ، فى الوقت الذى يتم فيه الغاء الحكم العسكرى الاسرائيلى . وقبل ستة أشهر من نهاية الفترة الانتقالة ، يقوم الشعب الفلسطينى بممارسة حقه الأساسى فى تقرير المصير ، ويمكنه أن يقيم كيانه الوطنى » .

كان العرق يتصبب من وجه السادات ، الذى كان يستخدم منديله بين الحين والآخر فى تجفيف سيل العرق . وكان بيجين يتميز غيظا ، ولكنه حرص على عدم مقاطعة الرئيس المصرى أثناء قراءته . وكان كارتر يسجل الملاحظات بين الحين والآخر فى نوتة صغيرة . كان يشعر أن تلك طريقة غير مبشرة الى أقصى حد لبدء مؤتمر للسلام ، ولكنه لم يكن يستطيع الحيلولة دون وقوع الكارثة المحتملة .

وكان وجه بيجين يتصبب عرقا أيضا . وواصل السادات قراءته دون توقف :

(و) تنسحب اسرائيل من القدس الى حدود الهدنة التى كانت قائمة عام ١٩٤٩ ، وذلك وفقا لمبدأ حظر احتلال الأراضى عن طريق الحرب . وتعاد السيادة العربية ، والادارة العربية

الى مدينة القدس العربية . وتتم اقامة مجلس بلدى مشـــترك ، يتم تشكيله من عدد متساو من الفلسطينيين والاسرائيليين » .

كانت ضربة قاسية تلك التى وجهها السادات الى بيجين . ذلك أنه على الرغم من ان كثيرا من النقاط التى أثارها السادات يمكن أن تكون موضع المناقشة بين اسرائيل والبلدان العربية ، فان موضوع السـيادة على القدس لم يكن من النقـــاط التى يرغب بيجين فى مناقشتها . وواصل الســـادات قراءة قائمـة الأمور التى تقع تحت اشراف المجلس البلدى لمدينة القدس ، ثـم وعد بالاعتراف باسرائيل اعترافا كاملا ، وبانهـاء المقاطعة العربية لهـا ، وضمان حريتها فى الملاحة دون قيد فى قناة السويس » .

ولكن الفقرة التالية جعلت بيجين يستشيط غضبا ، وجعلت جسده يرتعد سخطا . وأحس كارتر أن مباحثات الســلام توشك أن تنهـار قبل أن تبدأ بالفعل .

كان السادات يقول : « تلتزم اسرائيل بأن تقـوم بدفـــع تعويضات كاملة عن الاضرار التى تسببت عن العمليات التى قامت بهـا قواتهـا المسلحة ضد السـكان والمنشآت المدنية ، ولقـاء المصادر الطبيعية التى تم استغلالها فى الأراضى المحتلة » .

انتهى السادات بعد تسعون دقيقة من القراءة البطيئة . والقى بيجين نظرة على كارتر ، الذى كان تطرف المطالب المصرية قد أصابه بالدهشة . كما لاحظ بيجين أيضا أن تعبير الاندهاش قد ارتسم أيضا على وجـه كارتر عندما طالب السادات باقامة دولة فلسطينية . ذلك أنه منذ شــهر مارس عام ١٩٧٨ ، كان كارتر يزعم أن الســادات لن يصر على اقامة دولة فلسطينية .

وساد الصمت الشرفة التى تهب عليها الرياح . وأخيرا التفت كارتر الى السادات وسأله :

ــ « هل تريد من السيد بيجين أن يجيب الآن ، أو فيمـا بعـد ؟ » .

واستدار السادات الى بيجين ، وقال :

ـــ « أنا لا أتوقع اجابة فورية . وأنا أعلم أن معــك وفــدا من الوزراء والمستشارين ، وان عليك أن تتشاور معهم » .

لم يكن لدى كارتر وبيبجين شك فى أن السادات يرغب فى تأجيل الرد ، حتى يتحاشى التعرض لحدة رد بيجين .

ورد بيجين متمالكا أعصابه :

ـــ « أنا أوافقك على اننا قد اجتزنا مرحلة مناقشة اعــلان المبادىء ، واننا لا يمكن أن نتجنب مناقشة التسوية الشاملة . وكل ما أطلبه منك هو أن لا تتعجلنى » .

ـــ « لست فى عجلة من أمرى . فلقد عرضت وجهــة النظر المصرية ، واقترح أن تقــوم أنت ومساعدوك بالنظـــــر فيها . وأنا فى انتظار ردكم »(٨) .

... ...

كانت الشمس قد مالت للغروب عندما عاد بيجين الى كابينه. وآوى السادات أيضا الى كابينه كى يحظى باغفاءة قصيرة . أما كارتر ، فقــد استدعى مساعديه على الفور ، ثم اتصــل ببيجين تليفونيا. وأوضحت كلماته ، ونبرات صوته انه كان يخشى أن يكون رد بيجين وزملاؤه متسما بالعنف . وكان يقلقه ، بوجه خاص ، أن يعيد بيجين وثيقة السادات اليه وكأنها لم توجد . قال كارتر :

ـــ « انها بالتأكد وثيقة متطرفة . ولكنى أعتقد انها تمثل مجرد موقف استهلالى » .

وحاول كارتر أن يهدىء من ثائرة بيجين ، وقال له انه قــد احال وثيقة السادات الى وزير الخارجيــة سيروس فانس والى مساعد الرئيس لشئون الأمن القومى زبجنيو برزيزنسكى لاعداد رد الولايات المتحدة عليها .

كانت ليلة كئيبة تلك التى مرت على كامب دافيد . فقــد كان أول يوم فى المباحثات يوشك أن يكون آخر يوم لها . ولم يكن

مزاج أعضاء الوفـــد الاسرائيلي فى أفضـــل حالاته . وبـدأت المشاورات بأن أعلن رئيس الوزراء :

ــ « لا توجد قوة على ظهر الأرض يمكن أن ترغم اسرائيل على قبول هذه الوثيقة » .

وهز أعضاء الوفد رؤوسهم . كانت الموافقة اجماعية . واستطرد بيجين قائلا :

ــ « ان المصريين لم يقدموا من قبل ابدا وثيقة بمثل هـــذا التطرف . وأنا أقترح مطالبتهم بسحبها . ويجب اخطار الأمريكيين بأن الأمر كله لا يمكن أن يكون معقولا . يجب أن نتجاهل هـــذه الوثيقة تماما » .

وقال أهارون باراك ، المستشار القانونى للوفد :

ــ « يجب رفض الوثيقة المصرية بسبب مطالبها المتطرفة » .

وقال وايزمان :

ــ « ان الوثيقـــة غير مقبـــونة ، ولـــو حتى ظـــاهريا . وبالمناسبة ، فقد طلبت من السادات أن يلتقى مع دايان ، وقـــد قال انه لا مانع لديه » .

وقال دايان :

ــ « أنا لم أطلب ذلك » .

كانت ردود الفعـــل تتميز جميعها بالحدة . وقـــد افترض الوفد الاسرائيلى ان الأمريكيين يتصنتون على مناقشاته ، ولكن أعضاء الوفد لم يلقوا بالا الى ذلك . على العكس ، فقد أرادوا أن يثبتوا اجماعهم على رفض هذه الوثيقة المصرية التى لا مثيل لها .

وقال دايان :

ــ « ان هذه الوثيقة لا تمثل أساسا للمفاوضة ، ويجب رفضها دون تردد . ولكننا نرغب ، فى نفس الوقت ، فى أن نناقش مقترحات أخرى معهم . ان المصريين يتصرفون وكأنهم من السادة

الاقطاعيين ، وكما لو انهم هم الذين احتلوا الضفة الغربية ومدينة القدس القديمة ، وكأن شيئا ما لم يحدث » .

وأضاف وايزمان :

— « لقد قلت لفانس ان الأمور لم تبدأ من عام ١٩٦٧ فقط . وانه لا يمكن نسيان ثلاثون عاما » .

كان هناك قدر كبير من الحيرة يتملك الأسرائيليين : فلماذا قدم المصريون مثل هذه الوثيقة ؟ ، وما الذى يقصدونه ؟ . وما هو هدفهم ؟ هل يرغبون فى تدمير المؤتمر والقاء اللوم على اسرائيل ؟ ان الأمر برمته مجرد تحرك تكتيكى ، سوف يرتدون عنه فيما بعـد ؟ .

وشعر بيجين أن المصريين يتحرقون لفض المؤتمر فى أسرع وقت ممكن ، ولكنهم يريدون أن يقوم الاسرائيليون بهذا العمـل نيابة عنهم . واقترح « أن لا ندخل فى لعبة المصريين » ، وأن يقوم الوفد الاسرائيلى باعداد وثيقة مضادة تحوى مقترحات ايجابية . وكان هناك تردد بشأن ما اذا كان يتعين على الوفد الاسرائيلى أن يقدم وثيقته فورا الى الوفد الأمريكى ، أو ينتظر تطور الأحداث. وكان غالبية أعضاء الوفد يعتقدون أن المصريين سوف يسربون الى أجهزة الاعلام المصرية والأمريكية بعض ما تضمنته وثيقتهم .

وقال دايان :

— « يجب أن ننظر الى الأمر من وجهة نظر أجهزة الاعلام. واعتقد أننا يجب أن نقول للرأى العام الأمريكى ماذا حدث خلال الثلاثين عاما الأخيرة » .

وكان دايان يحبذ اعداد وثيقـة اسرائيلية ، على الا يتـم تقديمها خشية أن يفسر ذلك بأنه انذار . وتمت الموافقـة على اقتراحه . وتقرر اعداد وثيقة لأغراض اعلامية ، وخاصة فى حالة فشل المؤتمر فى اليوم التالى .

وأوكلت مهمة صـياغة الوثيقة الاسرائيلية المضادة الى : افراهام تامير ، وأهارون باراك ، ومائير روسة ، وسيمخا دينتز . وظل أعضاء هذا الفريق يعملون حتى ساعة متأخرة من الليل فى اعـداد وثيقة تضمنت استعراضا لأعمال مصر العـدوانية خلال الثلاثين عاما المـاضية ، الى جانب مشروع السلام الذى أحضرته اسرائيل الى كامب دافيد(٩) .

وفى نفس هـذه الساعة المتأخرة من الليل ، كان كارتر مجتمعا بالسادات . وكان الموضوع الرئيسى فى الحديث بينهما هو المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء . وكان واضحا لجميع الأطراف ان هذا الموضوع بمثابة لغم شديد الانفجار ، يتعين التعامل معه قبل أن ينفجر(١٠) .

... ...

كان الوقت قد جاوز منتصف الليل . وكان هناك عدد قليل من المصريين والأمريكيين يحتلون مقـاعد دار السـينما . أما الاسرائيليون فقد كانوا منهمكين فى صـياغة أوراق عملهم . وفى منتصف الليل ، ذهب كارتر الى فانس وبريزنسـكى للمشاركة فى مشاوراتهما .

وعندما انطفأت الانوار فى كامب دافيـد ، وآوى أعضـاء الوفود الى الفراش طلبا لعدة ساعات قليلة من النوم ، لم يكن لدى أعضاء الوفد الاسرائيلى شك فى انه لن تمر أربع وعشرون ساعة أخـرى حتى يقوموا بحزم حقائبهم كى يعودوا لبلادهم . وكانوا يقومون بالفعل فى التفكير فى الوسـائل الكفيلة بكسـب الصراع على الفوز بتأييد الرأى العام الأمريكى . كانوا يعتقدون أن مؤتمر كامب دافيد قد انتهى ، وانه فشل فشلا كاملا ، منـذ يومه الأول(١١) .

هوامش الفصل العشرون

(١) يقول سيروس فانس :

قبل أن أغادر واشنطون فى طريقى الى رحلتى الشرق اوسطية « اتخذ الرئيس قرارا بالغ الخطورة والأهمية . فقد قرر دعوة السادات وبيجين الى عقد مؤتمر قمة بالمنتجع الرئاسى فى كامب دافيد . ولقد كان هذا القرار ضربة جريئة ، أيدتها بحماسة . فقد كانت الرحلات المتكررة الى عواصم الشرق الأوسط ، ودبلوماسية المكوك ، والصيغ التى لا عدد لها من مسودات اعلان المبادىء ، قد حددت القضايا وشكلتها ، واصبح من الضرورى أن تواجه الشخصيات الرئيسية بعضها الآخر وجها لوجه ، وان تعقد إجتماعا لا ينتهى حتى يتمكنوا من الوصول الى القرارات السياسية التى تتيح امكانية التوصل الى تسوية . واذا استطعنا أن نجعل الأطراف المعنية توافق على عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ، والتوصل الى حل مؤقت لمشكلة الضفة الغربية ، فان الطريق سوف يكون مفتوحا أمام عقد سلام شامل فى الشرق الأوسط ، وهو ما بقى يمثل هدفنا الأساسى .

وقمنا باعداد الرسائل الضرورية المكتوبة باليد لكل من السادات وبيجين » .

« وفى ٦ و ٧ اغسطس (آب) ذهبت الى القدس والاسكندرية لتسليم الرسائل التى كتبها كارتر بخط يده الى بيجين والسادات يدعوهما فيها للاجتماع بالرئيس (الأمريكى) فى كامب دافيد ، بدءا من ٥ سبتمبر (أيلول) ، للتفاوض حول اطار للسلام فى الشرق الأوسط » .

(فانس ، « خيارات صعبة » ، ص ١٧٥)

... ...

(٢) يقول سيروس فانس :

« تقابلت ، أولا ، مع بيجين فى القدس . وقد قبل بيجين الدعوة فورا وبحماس . وقد أكدت له الاحتياج الماس الى التحرك أماما ، وحذرته من أنه ان لم ينتهز هذه الفرصة ، فان هناك خطورة كبيرة فى أن تفلت فرص السلام من بين ايدينا . وكان بيجين متخوفا من ما ننتويه فى كامب دافيد ، وأن يقف محصورا بين كارتر والسادات . وقد قرر علانية ، فيما بعد ، ان على الولايات المتحدة أن تواصل فى كامب دافيد لعب دور الوسيط ، وان لا تتقدم بأى مقترحات خاصة بها . وقد كنت متخوفا ، بعد اجتماعى ببيجين من أن تتسرب أنباء رسالة كارتر قبل وصولى الى مصر . ولكن بيجين كان عند كلمته ، واحتفظ بالأمر سرا بينه وبين نفسه ، واستطعت تقديم الدعوة الى السادات دون أن تتسرب كلمة واحدة عن الموضوع » .

« وابتهج السادات لأن الولايات المتحدة ، أخيرا ، قد عزمت على القيام بدور « الشريك الكامل » . وقد استخدمت هذا التعبير للمرة الأولى عقب لقائى مع السادات ، وكان له وقع ايجابى بين المصريين . وقال السادات أنه سوف يأتى الى كامب دافيد ممتلئا بالتفاؤل ، وراغبا فى أن يسمع ما يقوله الطرف الآخر .

ولكن السادات ، وقد وصلنا الى ساعة الحقيقة ، لم يكن فى حالة حبوره المعتادة . فقد كانت المخاطر التى تواجهه كبيرة ، كما كانت تلك التى تواجــه كل من كارتر وبيجين . لذلك انه اذا لم ينجح مؤتمر القمة ، فسوف يثور العالم العربى ثورة عارمة . كما ان فشل المؤتمر كان يعنى تدمير سياسته السلامية بأكملها)) .

((ورغم اننا رجونا القــادة الاسرائيليين والعرب أن يقدموا الى كامــب دافيد دون شروط مســبقة ، فقــد أعلن بيجين فى ٣١ أغسطس (آب) ان موقف اسرائيل سوف يظل كما هو ، اى : **رفض** الانسحاب الى حدود عام ١٩٦٧ ، وبقاء سيطرة اسرائيل العسكرية على الضفة الغربية وقطــاع غزة وفق اتفاقية مؤقتة . كذلك صرح بيجين بأن الضم الواقعى للقدس الشرقية أمر لا يقبل التفاوض حوله)) . (فانس ، ((خيارات صــعبة)) ، ص ١٧٥ و ١٧٦) .

* ويقول موشيه دايان موضحا السبب وراء قبول اسرائيل دعــوة الرئيس الأمريكى .

((انتهت الأزمة التى قدم فانس لتسويتها ، على الأقــل فى الظاهر . وبدلا من عقد اجتماع على مستوى وزراء الخارجيــة فى محطة المراقبة فى سيناء ، سوف يعقد فى الولايات المتحدة اجتماع قمة لرؤساء الحكومات : كارتر والسادات وبيجين . **ولم تكن هناك مطالبة بأن تلتزم اسرائيل مسبقا بالانسحاب الكامل وباعطــاء الفلسطينيين حق تقرير المصير ، وهى نفس الشروط التى كــان السادات يلح عليها من قبل ، والتى ادت بالمباحثات الى طريق مسدود . وقد كان احساسى** الشخصى ، ان السادات قد وافــق على حضور مؤتمر القمة لانه تلقى تأكيدا من الولايات المتحدة بأنها ســوف تؤيده فى هــذه المطالب فى كامب دافيــد)) . (دايان ، ((الاختراق)) ، ص ١٥٣) .

* ويؤكد ذلك ماكتبه وزير الخارجية المصرى الأسبق محمد ابراهيم كامل حين يقـــول :

« بعد عودتى الى مصر أثر انتهـــاء مؤتمر ليدز ، اســـتمرت الولايات المتحدة فى تسريب أنباء عن اجتماع ثلاثى تال لاجتمـــاع ليدز بين وزراء خارجية مصر والولايات المتحدة واسرائيل » .

« وتعددت الأماكن التى تضمنتها هذه الأنباء لعقد الاجتماع . فهي مرة تذكر العريش كمقر للاجتماع ، وأخرى تشير الى انه سيتم فى محطة الانذار المبكر الامريكية فى أم خشيبة بسيناء ــ التى اقيمت فى المنطقة العـــازلة التى تفصل بين الخطوط المصرية والخطـــوط الاسرائيلية . ومرة ثالثة انه سيعقد على ظهر احد بوارج الاسطول الأمريكى السادس فى عرض البحر الأبيض » .

« وقد كان هذا الأسلوب الأمريكى فى الاعلان عن اجتماعات تالية دون سبق الاتفـــاق عليها معنا ، يثير دهشتى . خاصة وقد أوضحت بجلاء للجانب الأمريكى ، اكثر من مرة ، عندما أثار هـــذا الموضوع قبل انعقاد مؤتمر ليدز ، ثم فى أثناء المباحثات الجانبية ، التى جرت بينى وبين فانس ، خلال المؤتمر ، **اننا لن نوافق علـــى اجتماع جديد مع اسرائيل ما لم تعلن عن تحول ايجابى فى موقفها .** فكيف يتصورون أننا نوافـــق على ذلك بعد اعلان موشى دايان فى اجتماعات ليدز اصرارهم على مواقفهم السابقة ، وتصريحه الحاسم أمام فانس والوفد الامريكى انه لا بديل عن حل وسط اقليمى فى الضفة الغربية ؟ » .

« ومن الناحية الأخرى ، توالت التصريحات الاسرائيليـــــة فى تنسيق مع التصريحات الأمريكية فى هذا الشأن ، الى حـــد أن أعلن مناحم بيجين ، رئيس الوزراء الاسرائيلى ، فى ٢٣ يوليـــــو (تموز) ان موشى دايان وعيزرا وايزمان سيجتمعان يوم ٣ اغسطس (آب) مع وزير الخارجية ووزير الدفـــاع المصريين فى محطة الانذار

المبكر الامريكية فى سيناء . وأوضح انه سبق أن وافق سيروس فانس على هذا الاجتماع » .

« ... ولم يكن هذا هو ما تعهدت به الولايات المتحدة فى فبراير (شباط) الماضى فى كامب دافيد ، من انها تأخذ على عاتقها تحويل الموقف الاسرائيلى المتصلب بالقدر الذى يسمح باستئناف المفاوضات بين الأطراف على أساس يؤمل معه أن يؤدى الى السلام الشامل » .

الى السلام الشامل » (كامل ، « السلام الضائع » ، ص ٣٦٥ و ٣٦٦) .

ويضيف محمد ابراهيم كامل :

« والحق أن فكرة عقد مؤتمر قمة ثلاثى بين كارتر والسادات وبيجين قد باغتتنى تماما ، ولم أكن أتوقعها على الاطلاق » (كامل ، « السلام الضائع » ، ص ٤٤١) .

... ...

(٣) ويقول الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر عن لقاءه الأول مع السادات فى كامب دافيد :

« ذهبنا ، أنا وروزالين ، فى ساعة مبكرة من بعد الظهر ، الى كامب دافيد ، لاستقبال الرئيس السادات وكانت زوجته ، جيهان ، قد اضطرت الى البقاء فى باريس لكى ترعى حفيدا لها كان مريضا . وكنت أرغب ، بوجه خاص ، فى تواجد الزوجات الثلاث معنا ، بأمل أن يساعد ذلك فى تخفيف حدة التوتر ، وفى خلق جو أكثر ودا » .

« وبينما كنا ننتظر السادات ، تناقشت مع روزالين حول الموقف . وقلنا ان السادات سوف يكون أكثر رغبة فى السعى من أجل التوصل الى تسوية شاملة ، بينما قد يكون بيجين راغبا فى أن يخرج بانجازات محدودة ، لأنه كان أكثر رضاءا عن الوضع القائم ، كما كان متشبثا الى اقصى حد بأن لا يفقد السيطرة

الاسرائيلية على الضفة الغربية او المســتوطنات الاسرائيلية في سـيناء)) .

ثم يمضى كارتر محللا شخصية السادات ويقول : ((كان يتولد لدى دائما الانطباع بأنه ينظر الى نفسه بوصفه قد ورث وشاح السلطة من الفراعنة الأقدمين ، كما كان مقتنعا تماما بأنه رجل الأقدار .

((... وربما كان السادات فاقد الصبر ، بشكيل متطرف ، تجاه ضعف الآخرين ، وكان كثيرا ما يسخر من بعض زملاءه من زعماء الشرق الأوسط . ولكنه ، على الأقل ، كان يحترم شجاعة بيجين وقوته)) .

ويقول كارتر انه عند وصول السادات ، اصطحبه الى كوخه، حيث جلسا فى الشرفة. ((ولم يضيع السادات وقتا كى يعرب عن أفكاره وخططه . وأكد انه لا يرغب فى عقد اتفاقية شاملة حـــول كافة القضايا ، وليس مجرد الاتفاق على الاجراءات التى تتبع فى المباحثات المقبلة . (وقال) أنه مقتنع بأن بيجين لا يريد التوصل الى اتفاق ، وأنه سوف يعطل ، بقدر الامكان ، احراز اى تقدم. وصرح لى السادات بأنه سوف يؤيدنى فى كل شيء ، وان معه ، فى جيبه ، مشروع تسوية شاملة . كما ابلغنى انه مســتعد لأن يكون مرنا ازاء كافة القضايا ، فيما عدا امرين همـــا : الأرض والســيادة)) .

((وعلى سبيل المثال ، فقــد وافقنى على أنه اذا تفاوض بيجين بنية حسنة ، فان الاتفاقية يجب أن تشمل اقامة العلاقات الدبلوماسية ، وانهاء المقاطعة الاقتصادية ضد اسرائيل . وتنبأ السادات بأن اجبار بيجين على التركيز على القضايا الرئيســية سوف يكون امرا فى غاية الصعوبة . واخبرنى الســادات انه فى عام ١٩٧١ عرض عقد تسوية شاملة مع اسرائيل ، وانه ناقش

ذلك مع وزير الخارجية (الأسبق) وليام روجرز ، ولكن ذلك لم ينتج عنه شيء . وقال أنه يجب أن يجلو جميـــع الاسرائيليين عن الأراضي المصرية ، وان أى اتفاق يجب أن يتعرض للفلسطينيين وللضفة الغربية وللاتفاقيات المقبلة بين اسرائيل وجيرانها الآخرين، وأنه يترك التفاصيل لي)) .

((ثم نهض واقفا كي يرحل . فقد كان الرئيس السادات قــد اصيب بنوبة قلبية خفيفة منذ عدة سنوات ، وكان دائما يحرص حرصا بالغا على صحته . وقال انه يريد أن يأوى الي فراشه ، على أن يلتقي بي مرة أخرى في صباح الغد . وأخبرته انني سوف أرجيء تقديم أي من مقترحاتي الى ما بعد أن تتاح له وبيجين فرصة استكشاف نقاط الخلاف بينهما . وأجابني السادات بقوله : سوف أحاول أن أحميك بأن أتقــدم بمقترحات طيبة ، حتى لا يكون من الضرورى للولايات المتحدة تقديم اية مقترحات)) .

((وذكرت السادات بأنه من الضرورى الى أقصى حد أن نتفهم أنا وهو المشاكل التي يواجهها بيجين . وكنت أنوى أن أشرح له في الغد انطباعاتي عن الزعيم الاسرائيلي ، وعن الظروف السياسية التي تحد من حريته في الحركة . وانصت لي السادات دون أن يعلق بشيء . ثم آوى الى كوخه ، بعــد أقل من نصف ساعة من وصوله الى كامب دافيد)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٢٨ و ٣٢٩) .

ويقول كارتر عن لقائه الأول مع مناحم بيجين في كامب دافيد :

((بعد ساعتين من وصول السادات ، هبطت طائرة بيجين على قمة الجبل . وذهبنا معا الى اسبن (كوخ الرئيس الأمريكي) لعقد اجتماع قصير)) .

« ... كان تبادلنا للتحيات يتسم بالود ، ولكننا كنا ، نحن الاثنان ، نشعر بقدر من عدم الارتياح . وكنت اريد ، منذ البداية، ان اخلق جوا خاليا من الرسميات ، ولكن بيجين ، فى سلوكه وفى اختياره لكلماته ، عالج الأمور التى اثيرت فى هذا الاجتماع الأولى بشكل بالغ التعمق والمنهجية . ولم تكن اسئلته تتعلق بمضمون المباحثات ، وان كانت تدور حول البرنامج اليومى ، والاجراءات التى سوف تتبع ، وبزمان ومكان عقد الاجتماعات ، وبكيفية تسجيل المحاضر ، وبعدد المساعدين الذين يسمح لهم بالحضور من كل جانب ... الخ » .

« ... وأجبت على اسئلته باننى افضل الالتقاء بشكل منفصل وبمفرده معه ومع السادات اولا ، ثم يمكن لثلاثتنا بعد ذلك أن نقرر افضل الطرق لعقد الاجتماعات بيننا . وبدأ بيجين مترددا فى الموافقة على عقد اجتماعات تقتصر على رؤساء الوفود فقط ، وبدأ راغبا فى أن يحضر هذه الاجتماعات اثنان من المساعدين من كل جانب » .

« وشرحت لرئيس الوزراء ان الرئيس السادات لا يرغب فى العمل هذا المساء ، وأنه يفضل الخلود الى الراحة . وسألته اذا كان هو أيضا يرغب فى الانتظار حتى صباح اليوم التالى لمناقشة القضايا المطروحة . ولكنه قال انه يفضل البدء هذا المساء . واتفقنا أن يعود الى كوخه بعد تناول العشاء ، على ان التقى انا بالسادات فى صباح باكر ، وأن نجتمع نحن الثلاثة معا بعد الظهر ، وبدون حضور مساعدين » .

« ... واوضح لى بيجين أنه لم يحدث اتفاق بين الأمة اليهودية وبين مصر منذ ٢٠٠٠ عام ، وان اجتماعنا هذا لا مثيل له فى التاريخ . وكان من الواضح ان بيجين يهدف ، على عكس السادات ، الى التوصل ، فى كامب دافيد ، الى اتفاق حول المبادىء

العامة ، يمكن استخدامه كأساس للاجتماعات المقبلة ، وبعد أن يقوم وزراء الخارجية والدفاع بالاتفاق على التفاصيل ، والتوصل الى حلول للخلافات المتبقية . واعترضت بشدة على هذه الخطة ، وقلت لرئيس الوزراء اننا رؤساء الوفود لا نستطيع أن نتوقع من الآخرين أن يتوصلوا الى تسوية بشأن القضايا الرئيسية فيما بعد ، اذا لم نستطع نحن انجاز ذلك الآن ، وأنه يجب علينا معالجة كافة المسائل الخلافية فيما بيننا ، وبشكل مباشر . وقلت له ان السادات قد عبر لى عن قلقه بشأن انشغال بيجين بالتفاصيل على حساب القضايا الرئيسية ، فنظر لى بيجين بسرعة، وقال : اننى أستطيع معالجة الاثنين معا . وصدقته ، وأملت أن يعمل على اثبات ذلك)) .

ثم يعرض كارتر بعد ذلك لأوجه الاختلاف بين بيجين والسادات فيما يتعلق بالعادات الشخصية وأسلوب العمل ، ويقول :

((منذ البداية ، كانت الخلافات واضحة ، حتى فيما يتعلق بالعادات الشخصية . فقد كان رئيس الوزراء بيجين تمثالا مجسدا للياقة والتزام الأصول الواجبة . وكان يفضل دائما ارتداء سترة ورباط للعنق ، ويراعى متطلبات المراسم بدقة بالغة . وكان دائما يذكرنا ، انا والرئيس السادات ، بانه ليس رئيس دولة ، وأنه لذلك ليس فى مرتبة واحدة معنا . وعندما كنت أرغب فى لقائه ، كان يصر على ان يحضر هو الى كوخى ، وليس العكس . وكان يسهر حتى ساعة متأخرة من الليل ، ويعمل بجد بالغ ، قريبا دائما من معاونيه ومستشاريه . وكان يسير على قدميه الى قاعة الطعام المشتركة ، كى يتناول طعامه مع بقية أعضاء الوفد الاسرائيلى ومعظم المصريين والأمريكيين)) .

((أما الرئيس السادات فقد كان يرتدى ملابس رياضية بالغة

الاناقة ، ولم يكن ، عادة ، يرتدى رباط عنق . وكان يبقى فى كوخه أكثر من أى منا ، ويلتزم بصرامة بنظام خاص فى التريض والراحة والغذاء الخاص . وكان يسير على قدميه مسافة اربعة كيلو مترات فى نفس الوقت من الصباح . ولم يكن يتناول طعامه ابدا فى قاعة الطعام المشتركة ، بل كان يفضل أن يفعل ذلك وحده . وعندما كنت أريد محادثته فى أمر عاجل ، كنت اقوم ، أولا ، بالاتصال به تليفونيا ، ثم اذهب الى كوخه » . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ، صص ٣٢٩ — ٣٣٢) .

... ...

(٤) تختلف رواية كارتر لوقائع هذا الاجتماع الذى عقده مع بيجين فى اليوم الأول من أيام كامب دافيد (الثلاثاء ٥ سبتمبر ١٩٧٨) بعض الشىء عن رواية المؤلفين فيما يتعلق بالمواضيع المثارة ومواقف الطرفين . اذ تمضى رواية كارتر على النحو التالى :

« .. كان هدفى الأول فى هذا الاجتماع ، هو أن أجعله يحس بالراحة ، وأن أؤكد له انه لن تكون هناك اية مفاجآت . وعرضت له فهمى لمشاكل ومواقف اسرائيل الخاصة ، واكدت له أهمية اجتماعنا . وقلت له ان لدينا الكثير من الوقت ، واننا منعزلون هنا فى كامب دافيد ، وسوف نبقى هكذا طالما كان ذلك ضروريا للتوصل الى اتفاق ، واننا يجب أن لا تحيل المشاكل الى مساعدينا كى يتوصلوا الى حلول لها فى وقت لاحق . واكدت له انه أن تكون بيننا أسرار ثنائية، واننى لن اقدم اليه ، أو الى السادات، اية مقترحات أمريكية رسمية ، بدون مناقشة المسودات غير الرسمية اولا مع كلا الجانبين » .

« وقلت أننا اذا لم نستطع التوصل الى اتفاق نهائى بشأن احد القضايا فى كامب دافيد ، فاننا يجب أن نحدد بدقة أوجه الخلاف الباقية ، بحيث لا تكون هناك ضرورة للبدء منذ البداية فى اية مباحثات مقبلة . واحتفظت بحقى ، بل بواجبى ، فى تقديم

مقترحات تمثل حلولا وسطية ، أو فى تبنى أى من الموقفين المصرى أو الاسرائيلى اذا اعتقدت ان اى منهما هو الأفضل. وأصر بيجين، المرة بعد الأخرى ، على ان تعرض الولايات المتحدة اية مقترحات تتقدم بها الى اسرائيل أولا ، وقبل عرضها على السادات ، مدعيا بأن لديه تعهد رسمى بالالتزام بهذه الطريقة من الرئيس فورد)) .

((... وكنت قد قررت أن أركز على ما هو ايجابى فى هذا الاجتماع الأول . وأكدت ادراك الولايات المتحدة أن أمن اسرائيل يحتل المرتبة الأولى من الأهمية ، وان الجانب الاسرائيلى لن يقتنع بضمانات غامضة بشأن هذه القضية المحورية . وقلت له ايضا ان مقترحاته بشأن الحكم الذاتى للفلسطينيين جسورة ومرضية فيما يتعلق بمفهومها الأساسى ، وان استعداده للاعتراف بالسيادة المصرية على كامل سيناء تطور بناء ، لم يجد التقدير الذى يستحقه. ثم أخذت أعدد ، من واقع أوراقى ، مناطق الاتفاق كما أفهمها)) .

((وقاطعنى بيجين قائلا ان المصريين ، فيما يتعلق بمسألة الأمن ذات الأهمية الحيوية لاسرائيل ، قد اتخذوا وجهة نظر مضادة ، وان تلك هى أكثر النقاط اهمية بالنسبة الى اسرائيل . (وقال) انه اذا كانت اسرائيل سوف تنسحب من الضفة الغربية كى تتيح للعرب هناك أن يدعموا وضعهم السياسى ، فانهم يريدون التأكد من ان هجوما عسكريا ناجحا لن يشن عليهم من هناك ، وان مشاكل اسرائيل الأمنية سوف تكون بالغة الخطورة فى حالة انسحابهم انسحابا كاملا من الضفة الغربية . واستعرضت له الموقف المصرى ، مقرا بأن هناك بعض الخلافات ، ومذكرا له ، فى نفس الوقت ، بأن هذه الخلافات هى سبب اجتماعنا هنا فى كامب دافيد)) .

((ثم قام بعد ذلك بتقديم الخطوط العريضة ، وبدون اى تعديل ، لموقفه السابق بشأن سيناء ، مؤكدا أكثر نقاطه اثارة

للازعاج ، وهى ان المستوطنات الاسرائيلية على الأراضى المصرية تمثل منطقة عازلة ضرورية بين قطاع غزة وبين مصر . وقال انه يريد عقد اتفاق كامل مع مصر ، ولكنه يريد ، اولا ، التوصل الى اتفاق مع الولايات المتحـدة . وكان قـد احصى اجمالى ساعات التفاوض بين البلدين ، فبلغت نحو ٣٢ ساعة فقط . وقال انه من الواضح ان تلك مدة غير كافية على الاطلاق . وقال اننا ، جميعا، نحتاج الى الصبر ، واننا لا نستطيع أن نأمل فى التوصل الى اتفاق فى وقت مبكر ، وانه لا يتحدث بحساب الأعوام ، وانما يتحـدث عن عدة اشهر قليلة نقوم خلالها بحل المشاكل المتبقية . وقال انه يعرف ان الســادات يشك فى ان الاسرائيليين يتعمدون التأجيل والارجاء ، واضاف ان ذلك غير صحيح » .

« ثم انتقل (بيجين) بعد ذلك الى موضوع عقد اتفاق منفصل مع مصر ، واستبعاد الفلسطينيين والأردنيين والسوريين . وكان بيجن يعتقد انه يمكن عقد اتفاق مع مصر حول سيناء اولا ، ثم يلى ذلك عقد اتفاق بشأن يهودا والسامرة . ولكنه قال انه لا يطالب بمثل ذلك الآن ، لأنه يعرف انه قد يكون محرجا بالنسبة الى مصر أن يبدو وكأن رئيسها لا يمثل مصالح العرب الآخـرين الغائبين ، وانه يدرك ان السادات سوف يعترض بشدة على اى اتفاق قـد يوحى بأن مصر قـد تصرفت لتحقيق مصالحها وحسب . وقـد شجعنى أن سمع بيجين وهو يعترف بوجود أمور تسـبب القلق للجانب المصرى » .

« وقال رئيس الوزراء انه يؤمن بنزع سلاح منطقة سيناء ، ولكنه يجب الابقاء على المطارات الثلاث التى اقامتها اسرائيـل هناك لـمدة ثلاث او خمسة اعوام ، وانه يمكن استخدام واحـد أو اثنتان منها، فيما بعد ، للأغراض المدنية ، بحيث يكونا تحت السيطرة المصرية ، ولكن مع احتفاظ اسرائل بالحق فى استخدامهما .

وقال انه ، فيمـــا يتعلق به ، فانه يوافق على تحويل أحد هـــذه المطارات الى قاعدة جوية للولايات المتحدة » .

« كنا نتوقع مثل هذا الاقتراح : واجبت عليه باننا لا نرغب فى اقامة اية قواعد عســـكرية فى قلب منطقة الشرق الأوســـط (فتأمل) ، ولكنه اذا كان الأمر ضروريا من أجل تحقيق السلام ، واذا أصرت كل من مصر واسرائيل على ذلك ، فاننا سوف نفكر فى الأمر . وقد أثار بيجين ، فيما بعد ، هذه المسألة عدة مرات . وقد كان الأمر يبدو شديد الأهمية بالنسبة له . أما لرغبته فى خلق تواجد عسكرى أمريكى دائم فى المنطقة ، أو لكى يكون ذلك تبريرا افضل لمطالبته بابقاء المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء . ذلك انه اذا قام السادات باستثناء واحد فيما يتعلق بالسيادة ، وســمح باقامة قاعدة أمريكية على أراضيه ، فانه من المعقول اذن مطالبته باستثناء آخـــر .

« واقترح بيجين ترك مسألة السيادة على الضفة الغربيــة وغزة مفتوحة ، واكد على أنه يجب ابقاء بعض القوات العسكرية الاسرائيلية هناك . وقال انه واثق من انه اذا انسحبت اسرائيل انسحابا كاملا ، فان الارهابيين التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية سيتولون على عنان الأمور هناك فى خلال أربعة وعشرين ساعة . على انه قرر مؤكدا انه راغب فى منح الفلسطينيين فى الضـــفة الغربية الحكم الذاتى ــ وقد كان بيجين يقول دائما : الحكم الذاتى الكامل . وقد أنفقنا ساعات طويلة ذات مســاء ، بلا طائل ، للبحث عن مفهوم يمكن الاتفاق عليه بشأن تعبير : الحكم الذاتى » .

« ثم قمت مع بيجين باستعراض النتائج التى يمكن أن تترتب على فشـــل المؤتمر ، وان النفوذ الحـــالى الذى تمتع به كل من الولايات المتحدة واسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط يتعرض لهزة خطيرة ، اذا اثبتنا للعالم اننا لا نستطيع التوصل الى الســـلام .

وشرحت له الأخطار المحتملة التى سوف تحيق بكل من ايران والعربية السعودية والأردن ومصر فى حالة نشوب حرب شاملة ، واننا نحتاج لكل بلد منها لكى تقدم عنصرا للتوازن والاستقرار فى مواجهة الضغوط الراديكالية المتزايدة)) .

((وكان بيجين قلقا بشأن مدى استمرارية اى اتفاق سلام يتم التوصل اليه ، حتى فى حالة توصله هو والسادات ، الى تفاهم كامل . وذكرته بأن اى اتفاق سوف يبقى طالما ظلت مزاياه ، واضحة للشعوب والزعماء المعنيين)) .

((... ثم أبديت تفضيلى لعقد معاهدة ، او معاهدات ، رسمية موقعة ، تحوى كافة النتائج التى تتمحض عنها مباحثاتنا فى كامب دافيد ... وقلت انه ليس لدى مانع من توقيع معاهدة سلام مصرية — اسرائيلية ، مع غياب الدول العربية الأخرى ، طالما كانت الاتفاقية الشاملة تتضمن العناصر المحورية الخاصة بحقوق الفلسطينيين ، وطالما قدمت حلولا للمشاكل المتعلقة بالضفة الغربية ، وتعرضت للاجراءات اللازمة لعقد معاهدات فى المستقبل بين اسرائيل وجيرانها الآخرين)) .

((ثم تناولنا ، بعد ذلك ، المشاكل العويصة حقا . وقلت لبيجين ان السادات لن يتنازل بتاتا بشأن مسألة ابقاء المستوطنات الاسرائيلية فى أى مكان من منطقة سيناء ، وان السيادة الكاملة على سيناء تعنى بالنسبة اليه اجلاء المستوطنين الاسرائيليين بأكملهم . ولم يرد بيجين على ذلك ، ولكنه تولد لدى الانطباع بأنه يعتقد اننى مخطىء فى ذلك ، وان السادات قد يغير رايه اذا قدمت له الحوافز المناسبة عن طريق تنازلات اسرائيلية اخرى)) .

((ومن المسائل الأخرى التى كان من المحتمل أن تكون محل خلاف خطير ، مسألة العبارة الواردة فى قرار الأمم المتحدة

رقم ٢٤٢ ، والتى تنص على : عدم جواز الاستحواذ على الأراضى عن طريق الحرب . وكان العرب جميعا يصرون على أن تعترف اسرائيل بامكانية تطبيق هذا المبدأ فى أى معاهدة يتم التوقيع عليها، لأنها بذلك تكون قد أقرت بعدم شرعية احتلال الأراضى التى استولت عليها اسرائيل بعد حرب الأيام الستة . وكان بيجين يدرك ذلك جيدا ، وقال ان هذا المبدأ لا بأس به ، ولكنه لن يوافق على ذلك الا اذا أضفنا كلمة : عدوانية ، بعد كلمة : الحرب . وقال ان جيران اسرائيل قد هاجموها ، وان الحرب كانت عملا دفاعيا من جانب بلاده ، وان لاسرائيل الحق فى احتلال هذه الأراضى التى استولت عليها أثناء دفاعها عن نفسها . وقد أصبح تفسير القرار رقم ٢٤٢ من المشاكل العويصة فيما بعد ، والتى كانت المباحثات أن تقطع من جراء عدم الاتفاق عليها)) .

((ثم انتقلنا بعد ذلك الى المشكلة التى لا تقل عن السابقة خطورة ، والتى تتعلق بكيف يجب أن يحكم الفلسطينيين أنفسهم بعد انهاء الحكم العسكرى الاسرائيلى ، وكم عدد الفلسطينيين الذين يعيشون فى البلدان المجاورة ، والذين سوف يسمح لهم بالعودة الى بلادهم ، وبوضع المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية وقطاع غزة . وكانت هناك خلافات حادة فى الرأى فيما يتعلق بهذه النقاط ، والتى كانت ، فيما يتعلق بالعرب أهم نقاط المباحثات كلها)) .

((... ثم انغمسنا انا وبيجين فى جدال مختصر حول المساواة، أو المعاملة المتساوية للعرب داخل اسرائيل مع الاسرائيليين فى الضفة الغربية ، فيما يتعلق بحق تملك العقارات . وقد اعترف بيجين بأن موقفه من هذه القضية قد تغير بعد مقابلته لى فى واشنطون ، ولكن مجلس وزراءه ، لم يوافق على موقفه الجديد ، عقد عودته الى اسرائيل فى شهر ديسمبر (١٩٧٧) . و (قال)

ان موقفه الجديد هو ان العرب لا يمكنهم شراء الأراضي في اسرائيل، ما لم يكونوا حائزين على الجنسية الاسرائيلية ، وبالرغم من الاسرائيليين سوف يكون لهم حق تملك الأراضي في الضفة الغربية » .

« ولم يكن بيجين مستعدا للاقرار بأن كافة اجزاء قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ تنطبق على الضفة الغربية وقطاع غزة ، ولا بأن المستوطنات والمطارات الاسرائيلية في سيناء ، يجب حلها قبل التوقيع على معاهدة سلام . ولم اشأ ، في اجتماعي الأول به هذا، ان أنفق وقتا طويلا في مناقشة هاتين المسألتين » .

« ثم ناقشنا موضوع اشتراك الأردن في المفاوضات في المستقبل ، وأبدينا قلقنا من تردد الملك حسين ، ومن احجامه المتوقع عن اثارة غضب القادة العرب الآخرون . وقد كان هذا الموضوع هاما ، لأن الأردن يعتبر ، من وجوه كثيرة ، هو الوطن الطبيعي للفلسطينيين ، وكانت مسألة السيادة على أراضي الضفة الغربية تعني الأردن بطبيعة الحال . ذلك انه لأجل اعطاء الفلسطينيين الحكم الذاتي رسميا ، فان أحدا يجب ان يقوم بمنح هذه السلطة لهم . ولم يكن بيجين مستعدا للاعتراف بأن الأردن يمتلك هذه السلطة . وبدلا من ذلك ، قال انه يمكن حل هذه المسألة فيما بعد ، على أن تبقى السلطة ، اثناء ذلك ، في أيدى الحكومة العسكرية الاسرائيلية » .

« وكان بيجين قد وعد ، أكثر من مرة ، بمنح الفلسطينيين في الضفة الغربية الحكم الذاتي ، وقد الححت عليه بصدد مدى الحرية التي سوف يحصلون عليها . واجاب بأن السلطات الوحيدة التي لن يتمكنوا من ممارستها سوف تكون تلك التي تتعلق بعودة المهاجرين الفلسطينيين ، وتلك المتعلقة بأمن اسرائيل . وقد بدا ذلك وكأنه إنباء طيبة . ولكن الاسرائيليون حاولوا ، فيما بعد ،

الحصول على حق الاعتراض (الفيتو) فيما يتعلق بأى شى له أهمية يمكن أن يمارسه الفلسطينيون . وأكدوا ان مسائل مثـل رصف الطرق ، وامدادات المياه ، تدخل فى نطاق أمن اسرائيل)) .

((لم يكن الاجتماع مشجعا بوجه عام . فقد كنت أرجـو أن يأتى بيجين الى كامب دافيد بمقترحات جديدة . ولكن رئيس الوزراء لم يفعل أكثر من مجرد ترديدالمواقف التفاوضية الاسرائيليةالقديمة، وبشكل يكاد أن يكون حرفيـا . وكانت هناك مؤشرات قليلة على وجود قدر من المرونة ، ولكننى أوضحت ، على الأقل ، اننا نريد التوصل الى قرارات نهائية فى كامب دافيـد ، واننا سـوف نقدم مواقفنا بشكل قوى . وقد وافق معى على ذلك ، دون أن يبدى تحمسا ظاهرا . وافترقنا فى نحو الساعة الحادية عشر مساءا ، بعد ان عقدنا اجتماعا دام نحـو الساعتين ونصف الساعة)) .
(كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص‌ص ٣٣٢ ــ ٣٣٧) .
... ...

(ه) هنا أيضا ، تختلف الرواية التى يقـدمها كارتر لوقائع الجلسة التى عقدها مع السادات فى صباح يوم الأربعاء ٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ ، عن الرواية التى قدمها المؤلفون ، فى الكثير من التفاصيل . وتمضى رواية الرئيس الأمريكى السابق على النحو التالى :

((... بدأت بتقديم موجز له (أى للسادات) عن اجتماعى مع رئيس الوزراء بيجين . وأبلغتـه أن الاجتمـاع لم يكن مثمرا سياسيا ، وان (بيجين) أعاد ترديد المواقف الاسرائيلية المعروفة من قبل ، ولكن ذلك فى حد ذاته كان أمرا ضروريا كخطوة أولى فى طريق التقدم . واتفقنا على انه من الأهمية بمكان الا نضع بيجين فى موضع الدفاع فى هذه المرحلة المبكرة من المباحثات ، وان نتيح له تحديد موقف اسرائيل لتسجيله فى المحاضر)) .

« وأكدت للسادات أنه ما لم تكن مقترحاته واضحة العدالة لاسرائيل ، فانه لا حكومة بيجين ولا الشعب الاسرائيلى سوف يوافقون عليها . كذلك فقد ذكرت السادات بأهمية الرأى العام فى الولايات المتحدة ، وبالاهتمام المكثف الذى يبديه الكونجرس والرأى العام الأمريكى فى عقد اتفاق يضمن أمن اسرائيل » .

« وأجاب السادات بأن رئيس الوزراء رجل شكلى الى أقصى حد ، وأنه من الصعب التعامل معه أو فهمه . (وقال) أنه يعتقد ان بيجين رجل مغرور ، ويميل الى النظر الى الوراء فى التاريخ القديم ، بدلا من التعامل مع الحاضر والمستقبل . ووعد بأن يكون مرنا الى أقصى الحدود ، وذلك من أجل أن يكشف المعنى الكامل لمواقف بيجين . وقرر أنه اذا لم نقابل جهودنا فى كامب دافيد بالنجاح ، واذا ما أعلنت المقترحات المصرية العادلة ، فان العالم بأجمعه سوف يدين الزعيم الاسرائيلى » .

« وأوضحت للسادات ان بيجين رجل معروف بالنزاهة والشرف ، وأنه يؤمن ايمانا عميقا بمعتقدات تعلق بها أمدا طويلا ، وان من الصعب أن يتغير . ذلك لأنه أنفق حياته كلها مشتغلا بالأمور العامة .. وأنه طور أفكاره ، ومعتقداته هذه ، وشرحها ، ودافع عنها فى ظروف كان فيها يخاطر بحياته نفسها ، وانه عندما تم انتخابه فى منصبه الحالى ، كانت تصريحاته أثناء الحملة الانتخابية واضحة تماما فيما يتعلق بعدد من القضايا التى سوف يجرى حولها التفاوض فى كامب دافيد ، وان أى تغيير فى مواقفه هذه ، يضطر اليها بسبب متطلبات الحلول الوسط ، سوف تكون موضع انتقاد علنى عنيف فى اسرائيل . وقلت له اننى لا أريد أن يسبب نجاح أو فشل المباحثات فى كامب دافيد احراجا لأحد ، وان السلوك الايجابى هو الذى يجب أن يسود المباحثات ، من أجل بناء الثقة المتبادلة ، وزيادة فرص نجاحنا » .

« ... اتى الآن دور السادات كى يحدد موقف مصر . وكان يجلس منتصبا ، يتحـدث فى هـدوء ، ويرجع الى مذكرات قليلة احضرها معه . وقال السادات ان هناك نقطتان لا يمكنه أن يكون مرنا بشأنهما . النقطة الأولى هى :

الأرض ، والثانية هى : السـيادة ، وان هاتان النقطتان مرتبطتان ، ولكننى يجب ان اعرف بالضـبط . ماذا يعنى بذلك . وقال السادات ، شارحا ، ان مصر يجب أن تستعيد كل بوصة من أراضيها ، وأن تستعيد سيادتها الكاملة عليها ، وان الدول العربية الأخرى يجب ان تعامل نفس المعاملة . وقاطعته كى أسأله عن تقييمه للاختلاف بين السيادة على مرتفعات الجولان وسيناء وبين السيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة . فقال ان هناك اختلافا كبيرا . فهناك حدود دولية معترف بها لسيناء ، التى تنتمى بأكملها لمصر ، وكذلك الأمر بالنسبة لمرتفعات الجولان التى تنتمى بأكملها الى سوريا . وسألته لمن تكون السيادة فى الضفة الغربية وغزة. فأجاب : السـيادة لهؤلاء الذين يعيشون هناك ، لا لمن يعيش فى الأردن أو اسرائيل . (وقال) انه لن يتنازل عن أى من الأراضى المحتلة لاسرائيل ، وعلى الاقل ، ليس فى الجلسات الاولى . وقال ان هـذه الاراضى يجب أن تعود بأجمعها الى مصر وسـوريا والفلسـطينيين » .

« وعلى العكس من بيجين ، كان السادات يريد اطارا متينا لسلام دائم . كما كان يرغب فى معالجة كافة القضايا المحـددة أثناء وجودنا معا فى هذا المكان . ووافق على اقتراحى بانه حالمـا يتم التوقيع على اطار للسلام ، فانه يمكن للمساعدين القيام بوضع مسودة لمعاهدة سلام ، فى فترة لا تزيد عن ثلاثة أشهر » .

« وكان السادات قد أبلغ رئيس الوزراء بيجين ، أثناء أحد اجتماعاتهما الأولى عقب زيارته للقدس ، بأنه لن يقوم بتحريك

أية قوة عســكرية هجومية مصرية الى أبعد من الممرات الجبلية الواقعة غربى سيناء ، والتى يقوم الفنيون الأمريكيون بمراقبتها الآن نتيجة لاتفاقية نزع السلاح التى أعقبت حرب عام ١٩٧٣ . وكان السادات حانقا أشد الحنق لأن بيجين لايزال يصر على انه (أى السادات) قال : أية قوة عسكرية (وليس قوة عســكرية هجومية) حتى بعد أن أصلح له السادات هذا الخطأ عدة مرات . وقد أثار السادات هذه النقطة بوصفها ذات دلالة على عناد بيجين وتصلبه ، وعلى عجزه أو عدم رغبته فى التواصل العقلانى)) .

((كذلك فقد كان السادات مقتنعا بأن ما يريده بيجين حقا هو الاحتفاظ بالضفة الغربية . فقد رويت له حادثة ، أدعى راويها انه عندما قام عدد من زعماء اليهود الفرنسيين بسؤال رئيس الوزراء: ما الذى تريده ؟ ، وضع بيجين يده على خريطة الضفة الغربية ، وأجاب قائلا : أريد هذه)) .

((... ثم سلمنى السادات المشروع الذى كان قد أشار اليه عند وصوله ، والذى يعلن المقترحات الاستهلالية للجانب المصرى. وبينما كنت أقرأها ، ســقط قلبى عند قدمى ، فقــد كانت تتسم بالحدة ، البالغة ، وتمتلىء بكافة العبارات الانشائية العربيــة غير المقبولة . وكان (المشروع) يضع مســؤولية كل الحروب المــاضية على اسرائيل ، ويطالب بأن تدفع اسرائيل التعويضات المناســبة لقاء استخدامها للأراضى المحتلة ، وأن تدفع ثمن كل براميل النفط التى استخرجتها من الآبار المصرية ، وأن تسمح للاجئين بحرية الدخول الى الضفة الغربية ، وأن تسحب قواتها تماما الى الحدود الأصلية التى كانت قائمة عــام ١٩٦٧ ، وأن تسمح للفلســطينيين أن يقيموا دولتهم الخاصــة ، وأن يتخلى الاسرائيليون عن ســيطرتهم على شرق القــدس . ولم ينطق الســادات بأى تعليق وأنا أقرأ المشروع . وعنــدما انتهيت من

القراءة ، قال السادات انه يود ان يقدم الى بعض التعديلات ، والتى يمكننى ان اعرضها فيما بعد بوصفها انها مقبولة من جانب مصر . وحذرنى من أن أفضى بأمر هذه التعديلات الى اى احد ، لأنها قد تدمر قوته التفاوضية ، اذا ما وضعت مواقفه النهائية على المائدة فى مثل هذا الوقت المبكر . وقال انه درس بعناية كل النقاط التى اثرتها خلال الأشهر القليلة الماضية ، وانه وجد انها كلها معقولة » .

« ... وبينما كان الرئيس السادات يخطط لى ما يمكن أن فى الاتفاق النهائى ، ادركت ، لأول مرة ، اننا قد نستطيع تحقيق نجاح كبير . فقد كان لمواقفه ، فيما عدا استثناءات قليلة ، فرصة كبيرة فى الحصول على قبول الجانب الاسرائيلى . ولن يكون عملا سهلا ، على وجه التاكيد ، ان ننجح فى اقناع الجانبين ، ولكن اساسا للسلام قد اصبح يوجد الآن بالفعل . وتحت ظروف معينة ، قد يوافق السادات على ما كنت الح فى طلبه ، وهو اقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين مصر واسرائيل ، بما فى ذلك فتح الحدود وتبادل السفراء* ورسم لى السادات خطوطا عريضة تجريبية لكيف نعالج مشاكل اللاجئين الفلسطينيين ، والتمثيل العربى فى السلطة الحاكمة فى الضفة الغربية وغزة ، وقوة حفظ السلام فى سيناء ، والتعديلات الطفيفة الممكنة فى حدود الضفة الغربية . بل انه ذهب الى حد أنه قال بصراحة انه لا يجب تقسيم القدس » .

---

* الغريب انَ وليام كوانت يقرر أن ذلك كان احد «التعديلات» — كما يسميها كارتر — التى وعد السادات بقبولها فى وقت لاحق من المباحثات .

« ... وفيما يتعلق بالملك حسين وباشتراك الاردن فى المفاوضات وبتطبيق الاتفاق فى المستقبل ، قال السادات انه على استعداد لمواصلة المفاوضات ولتطبيق الاتفاقيات حتى يصبح الملك حسين مستعدا لأداء واجبه » .

« وحتى الحدود ، كنت مسرورا ، ولكننى اخبرته انه لابد ان تكون هناك مرونة اكثر من ذلك ، فقال : يمكن ان اكون مرنا فيما يتعلق بالاتفاقات المؤقتة قصيرة الأمد ، ولكن أى اتفاق نهائى يجب ان يتضمن الشروط العربية بشكل أكثر كمالا » .

« وكالعادة ، فقد انهى السادات الحديث بتقديم تحليل استراتيجى للموقف فى العربية السعودية وايران وافغانستان والسودان واليمن الشمالية واليمن الجنوبية . وكان يبدو قلقا . بوجه خاص ، بشأن أوجه الضعف فى العربية السعودية ، وقال انه اذا حدث تهديد حقيقى هناك ، فانه سوف يكون جاهزا لتقديم يد المساعدة وانه قال للأمير فهد ، ولى العهد : ان حدودك هى حدودى ، وانه بالرغم من الانتقادات السعودية العلنية لمبادرته السلامية ، فانه لايزال راغبا فى الوفاء بما تعهد به » .

« واتفقنا على تحديد موعد اجتماع ثلاثتنا فى الساعة الثالثة بعد ظهر نفس اليوم . ولكننى عندما اقترحت عقد اجتماع يحضره المستشارون والمساعدون فى المساء بعد العشاء ، اعترض السادات » .

« ... وقد أكد اعتراض السادات أوجه الفرق فى سلوك كل من الزعيمين . ففى اثناء وجوده فى كامب دافيد ، كان السادات يريد أن يقوم وحده باتخاذ القرارات الخاصة بالجانب المصرى ، ولم يكن يحب أن يكون احد مساعديه حاضرا اثناء اجتماعاته بى ، وكانت تبدو عليه مظاهر عدم الارتياح

عندما يكونون حــوله ... وطيلة اقامتنا فى كامب دافيد ، لم يكن السادات يقضى سوى وقتا قصيرا للغــاية مع أعضاء وفده ، ومن الناحية الأخرى ، كان بيجين يعتمد اعتمادا كبيرا على مساعديه ومستشاريه)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص‌ص ٣٣٨ — ٣٤٢) .

... ...

((٦) يقول وايزمان عن اجتماعه الأول بالسادات فى كامب دافيــد :

((فوجئت ، قبل الغــذاء ، بزيارة من نائب رئيس الوزراء المصرى (حسن) التهامى ، الذى دعانى لمقابلة الرئيس السادات . وبعد أن أخطرت بيجين ، توجهت الى كوخ الرئيس المصرى)) .

((وعند وصــولى الى هنــاك ، أبلغونى ((أن الرئيس يؤدى الصلاة)) .

((وانتظرت . وعندما اتى السادات للقــائى ، كان هادئا ومستريحا . وطلب (السادات) شايا بالعسل الابيض ، وطلبت أنا قهوة بالحبهان)) .

((... وقلت فى عجلة : بعد الضــجة التى اثارها اجتماعنا فى سالزبورج ، أرسلت برقية اعتذار ، بعد التشاور مع رئيس الوزراء . أرجو أن يكون اعتذارنا قد وصلك)) .

((وأجاب : نعم ، وصلتنى . وعندما القيت خطابا على طلابنا فى الاسكندرية ، قلت لهم بصراحة اننى عندما اجلس مع ايزر وايزمان ، فليس هنــاك حــدود على ما يمكن أن نناقشه من مواضيع . وعندما اتحدث اليك ، فاننى اشعر اننى على راحتى ، واكون مستعدا لمناقشة اى موضوع)) .

« وقلت له : قبل أن تدخل الغرفة ، كنت اقــول للتهامى انه ســوفة يكون شيئا طيبا لو انك قابلت دايان هنا ، بعيــدا عن الرسميات » .

« وكان رفض السادات أن يقــابل دايان قد خلق توترا لا ضرورة له » .

« وفى نفس الوقت ، فان دايان نفسه لم يكن راغبا فى مقابلة السادات . وقد أرسل مذكــرة ، أثناء اجتماع لمجلس الوزراء قبل مغادرتنا البــلاد الى كامب دافيد ، مذكرة تقــول : ايزر ، هنــاك شىء واحــد أطلبه منك ، وهــو أن لا تقترح أبــدا ، وتحــت أى ظرف من الظــروف ، أن اقابل السادات » .

« وقال السادات ردا على اقتراحى : لقــد قــدم لى الرئيس كارتر نفس الاقتراح ، ولكننى رفضت . ولكن لمــا كان الاقتراح، هذه المرة ، يأتى منك ، فاننى لن أرفضه . ليس لــدى مانع من مقــابلته » .

« كانت موافقته غير المتوقعة تشــير الى حسن نواياه . ولا حاجة للقــول اننى لم استأذن دايان فى تقديم اقتراحى هذا ، كذلك فاننى لم أبلغ وزير خارجيتنا بموافقة السادات على مقابلته ».

« وقلت محذرا : اننا اذا لم نتمكن من احــراز انجــاز محدد هنا فى كامب دافيد ، فان الموقف ســوف يكون خطــيرا للغــاية » .

« وكانت ملاحظتى تلك تهــدف الى معرفة تقييم السادات للموقف » .

« وقال الرئيس المصرى : ســوف ابذل كل ما وسعنى . وأنا لا اعتقد انه يحسن أن ينتهى مؤتمر كامب دافيد باصدار اعــلان بالمبادىء . وبدلا من ذلك ، فاننا يجب ان نعمل من اجل التوصل

الى اتفـــاق حول اطار لمباحثاتنا فى المستقبل . يجب أن نتـــأكد من ابقـــاء عملية السلام .. وانهـــا لن تتوقف ابدا . ولن يواجـــه أحـــد اللوم لى اذا توقفت . فقد قدمت الى هنـــا ومعى كـــل البدائل الممكنة ، وسوف اقدمها كتابة)) .

((كانت كلمات السادات مشجعة بالرغم مما كانت تحتويه من تهديد . ولم يعجبنى اسلوب السوط والجزرة الذى استعمله . ولابد انه عرف ذلك من التعبير الذى ارتسم على وجهى)) .

((وقلت ، محـــاولا نقل الحديث فى اتجـــاه اكثر ايجابية : لقد سألنى التهامى الآن اذا كانت قلوبنا مفتـــوحة مثل قلوب المصريين ، وقد أجبته : نعم ، انهـــا مفتوحة)) .

((وقال السادات : آمل ذلك . ويجب أن أقـــول ان الصحف قد شوهت اجتماعنا فى سالزبورج بشـــكل جعلنى اسأل نفسى عما اذا كان من الحـــكمة أن اجتمـــع بوايزمان . اننى التقى أصدقائى بعنـــاية . ولكن ذلك أمر قد انتهى)) .

((وسألته : كيف حال صديقى الجمسى ؟)) .

((كان الدافع وراء سؤالى أكثر من مجـــرد المجاملة . فقـــد لاحظت مؤخـــرا ان وضع الجمسى مع السادات قد أصـــبح مهتزا . ولم يكن يبدو فى حالة طيبـــة عنـــدما رأيته آخـــر مرة فى النمسا . وقد رأيت ان فى رفض السادات أن يبقى (الجمسى) معنا فى الغرفة اثنـــاء اجتماعى معه أمرا ذو دلالة)) .

((واجاب السادات : انه فى أحسن حال)) .

((يجب أن اعيد توجيه ســـؤال ، كنت قد وجهته اليـــك بالفعل ذات مرة فى القاهرة ، وهو : هل تريد عقد اتفـــاق يحوى معالجة موضوع سيناء وموضوع الضفة الغربيـــة وغزة أيضـــا ؟)) .

((وقال السادات مزمجرا : ايزر ، لا تدفعنى الى أذرع السوفييت . فأنا اذا أصررت فقط على موضوع سيناء ، فان السوفييت سوف يفوزون بالسيطرة على المنطقة بأكملها . اننى أتطلع الى السلام . وهنا ، فى كامب دافيد ، سوف نوقع على اتفاقية اطار فقط ، ولن نوقع على معاهدة الصلح نفسها ، فهذه يمكن توقيعها فيما بعد . وانا على استعداد لأن أدع (الملك) حسين ينضم الى المفاوضات ، ولكننى سوف أواصل التفاوض حتى ولو لم يفعل . سوف أكون صريحا معك : انا مؤهل تماما الآن لإعقد اتفاقية منفردة معكم ، خاصة بعد الهجوم الذى شنه مختلف الزعماء العرب ضدى . ولكن لدينا مثلا تقليديا يقول ان الأب لا يستطيع أن يهمل أى من أبنائه . واذا لم يأت الاردن الى مائدة المفاوضات ، فسوف أكون ، عندئذ ، مستعدا لمواصلة المباحثات ، ولتحمل المسؤولية)) .

((كانت تلك علامة مشجعة على ما سوف يحدث . فحتى لو بقى وحده ، فانه لن يخرب المؤتمر)) .

((وظننت انه من المهم ان أحاول تحسين العلاقات بين السادات وبيجين ، وقلت : آمل ان تجد رئيس الوزراء بيجين فى مزاج مناسب للمباحثات . ولقد كانت الاشهر الماضية شاقة جدا بالنسبة الينا ، بسبب الهجمات التى شنتها أجهزة الاعلام المصرية ضده . يجب أن تفهم رئيس وزرائنا ، فقد هوجمت كرامته . وشعبنا مثل شعبكم ، فنحن نعتز بشرف قادتنا ، مثلما نعتز بأسلافنا)) .

((وقال السادات موافقا : نحن نهتم كثيرا بحماية الشرف . وعلى سبيل المثال ، فأنا لا أدخل فى حضرة والدى ، حتى بعد أن انتخبت رئيسا للجمهورية .

« وانتقل الحديث الى مسائل اخرى ، وقلت : يجب أن تفهم القلق العميق الذى يساور شعبنا وقادتنا بشأن الأمن » .

« ورد السادات على الفور : لقد تخلصنا ، منذ حرب اكتوبر ، من كل العقد الخاصة بالحروب . وكان ذلك هو السبب فى أننى تحديت العالم والدول العربية التى هاجمتنى عندما ذهبت الى القدس . ويجب أن نجد طريقة لاثبات أننا قادرون على أن نكون أكثر من مجرد اصدقاء طيبين . فان بين شعبينا وديانتينا الكثير من الأشياء المشتركة » .

« وقلت ، متابعا خط حديثه : وسوف يكون لدينا الكثير من الأشياء المشتركة فى المستقبل ، وخاصة فى ميادين الاقتصاد والصحة والشئون الاجتماعية » .

« ثم استطردت منتقلا الى موضوع آخر : أعتقد أن ايران تمر بموقف صعب » .

« وقال السادات : وهذا يسبب لى آلاما كثيرة . فالشاه صديق حميم لى . ولكننى أعتقد إنه ارتكب ثلاثة أخطاء خطيرة : فقد وحد الأحزاب ، ولم يحارب الفساد بشكل كاف ، ودخل فى صراع متواصل مع الزعماء الدينيين فى ايران . وقد نتج الموقف الصعب عن ذلك » .

« وقلت : والموقف صعب أيضا بالنسبة للعربية السعودية » .

« ولكن شيئا كهذا لا يمكن أن يحدث فى العربية السعودية . فالنظام هناك قبلى » .

« وقلت متسائلا : وما هو موقف القذافى ؟ » .

« كان الزعيم الليبى هو المحرك الأول للهجمات ضد السادات » .

« وقال السادات ، مبلغا اياى بآخر التطورات : لقد أصابه الجنون مرة اخرى . فقد سمح للعمال بتولى امور المصانع والمتاجر والسيارات الخاصة . ان الرجل مجنون » .

« ثم استطرد السادات مستعرضا الموقف فى انحاء اخرى من العالم : ان الموقف فى افريقيا متوتر الى اقصى حد . ولقد تصرف الرئيس جيسكار ديستان بتعقل عندما أرسل طائراته الى تشاد ، فقد غير ذلك مجرى الأحداث هناك . وبشكل ما ، فقد تصرف جيسكار بشكل أكثر حكمة مما فعل مضيفنا هنا فى كامب دافيد .. » .

« وقبل أن استأذن فى الانصراف ، قلت له : اننى على استعداد للقدوم الى هنا كلما رأيت ذلك ملائما » .

« ولقد ادركت أن السادات لا يزال مصرا على مواصلة عملية السلام ، حتى بالرغم من ان صبره كاد ان ينفذ . ولكن القلق كان يساورنى ازاء حقيقة ان حاشيته فى كامب دافيد كانت تتكون فى معظمها من مساعديه «الايديولوجيين» : نائب رئيس الوزراء التهامى ، ومجموعة وزارة الخارجية : بطرس غالى وأسامة الباز والآخرون ، الذين اتخذوا دائما مواقف متصلبة أثناء المفاوضات . ولم تكن معتقداتهم الايديولوجية تسمح لهم بالتكيف مع الطرق الجديدة فى التفكير . كذلك فقد كان يقلقنى كثرة عدد القانونيين فى الوفد المصرى ، كما كان الحال فى الوفدين : الأمريكى والاسرائيلى . وكنت أقول : هناك نوع من المحامين يحاول أن يجد حلا لكل مشكلة ، وهناك نوع آخر يجد مشكلة لكل حل . وكانت كامب دافيد تموج بالنوع الثانى » .
وايزمان ، « معركة السلام » ، ص ص ٣٤٧ — ٣٥١) .

....

(٧) لا يذكر كارتر شيئا عن ترتيب عقد اجتماع بينه وبين

بيجين قبل انعقاد الجلسة الثلاثية ، كما تقــول رواية المؤلفين . يقــول كارتر :

((حضر بيجين اولا الى اجتماع ما بعد الظهيرة . وقلت له بسرعة أن السادات ســوف يتقدم بمقترحات بالغة العدوانية ، وحذرته من أن يكون رد فعله مبالغا فيه . كذلك قلت له أن السادات ليس مستعدا بعد لعقد اجتماع بيننا يحضره اثنان من المساعدين من كل جانب ، ولكننا ســوفة نحــاول الترتيب لعقد مثــل هذا الاجتماع صباح باكر . وفيما يتعلق بالمسائل الاجرائية ، كــان بيجين ، على غير العـــادة ، يســتجيب بسهولة ، ربما التــزاما منه بمبادىء المراسم ، حيث اننا ، انا والسادات ، رؤساء دول ، بينما هو بمجــرد رئيس وزراء فقط . ولكنه لم يكن يدع هــذا السلوك يفيض ابدا على المفاوضات المتعلقة بالموضــوع)) .
(كارتر ، ((مفكرات رئيس)) ، ص ٣٤٢ و ٣٤٣) .

... ...

(٨) تختلف الرواية التى يقدمها الرئيس الأمريكى كارتر عن وقائع الجلسة الثلاثية الأولى بينه وبين السادات وبيجين فى كامب دافيد ، بعد ظهر يوم الأربعـــاء ٦ ســبتمبر ١٩٧٨ ، بعض الشيء ، عن الرواية التى يقدمها المؤلفون . وتمضى رواية كارتر على النحو التـــالى :

((... طلبت من السادات أن يبدأ ، ولكنه استخدم رتبته الأعلى ، وطلب من بيجين أن يكون هو البادىء . وقال بيجين أن كثيرا من الخلافات القائمة بين الدولتين لم يتم التوصل الى حلول لهــا بعد ، وان الخلافات الأساسية تبلغ من التعدد والاتســاع حــدا يتطلب عدة أشــهر تجرى المفاوضات اثناءها بين الفنيين، الذين يعملون طيلة الوقت لخمسة أيام فى الأسبوع . ثم تساءل عن ما الذى ســوف نفعله فيما يتعلق بيوم السبت ... وقررنا

ان يقــوم كل منا بأداء صلواته الدينية ، على ان نتوقف عن العمل يوما كاملا ، هــو يوم السبت)) .

((وكانت النتيجة ان وفد الولايات المتحدة كان يقوم بالعمــل الخاص بصياغة النصوص يوم السبت . وقد اعد الوفد الأمريكى ٢٣ صيغة لاطار السلام ، كما انني كتبت بنفسى الصيغة الأصلية لاتفــاق سيناء . واظن أن هذه الصياغة الأصلية قد تلاهــا ثمانى صياغات اخرى للنص ، قبل ان ينتهى العمل فيه)) .

((وبدت على بيجين علامات الرضاء لاننا ســوف نمتنع عن العمل فى يوم السبت . وقال ، فى شىء من الحماس ، اننا بحاجة لأن نفتح صــفحة جديدة ، وأن ننسى خلافاتنا المــاضية . وقــال السادات : نعم ، نعم)) * .

((ثم طلبت من السادات أن يرد على ملاحظات بيجين . فقال انه توجد بالفعل اختلافات اساسية فى الرأى ، حتى فى هذه الملاحظات الأولية التى تتعلق بما يتعين علينا ان ننجزه فى كامب دافيد . وقرر أن زيارته للقدس قد جلبت عصر جديدا . وقــال ان عصر الحروب على وشك الانتهــاء . ثم أعاد السادات قــول ما كنا قد اتفقنا عليــه ، من انه يجب أن يصدر عن مباحثاتنا اطار شامل للسلام . وأن لا نتجنب مناقشة القضايا الخلافية ، ثم نمهل الفنيين ، بعد ذلك ، ثلاثة أشهر ، لكى يقوموا فقط بوضع اتفاقنا فى صورته النهائية ، وان هذه الصيغه ، عندئذ ، ســوف تمثل معاهدة السلام الدائمة)) .

((ولاحظت أن السادات كان يشعر بعدم الارتياح بشــكل

---

* ربما كان كارتر هنا يقصد السخرية بالسادات ، الذى قيل أنه كان يطلق عليه ، فى الأيام الأولى لثورة ٢٣ يوليو ، لقب : ((البكباشى نعم .. نعم)) (أو : ((أيوه .. أيوه))) .

غريب ، وانه كان ، على غير عادته ، يبحث جاهدا عن الكلمات المناسبة ، وانه كرر ما يقــوله عدة مرات . وانتظر بيجين فى صبر حتى انتهى السادات ، ثم قال : ان الكاثوليك عندما ينتهون من انتخاب بابا جديد ، يقولون : هابيموس بابوم (أى : أصــبح لدينا بابا) ، ونحن هنا نريد ان نستطيع ان نعلن : هبيموس باسيم (أى : لدينا السلام))) .

((وكانت تلك آخر مرة اذكرها يقــوم فيها رئيس الوزراء بالانتظار صابرا حتى ينتهى احد من حديثه)) .

((... وقال السادات انه ينظر الى اجتماع كامب دافيــد بوصفه يمثل نقطة الذروة ، وانه يأمل ان تسود روح الملك داود ، القــائد الاسرائيلى العظيم ، اجتماعنا هنا فى كامب دافيد . وقال ، فى هدوء ، ولكن فى حزم : لن تكون هنـــاك اتفاقيات جزئية ، وعلى وجه التأكيد ، لن يكون هناك اتفـــاق منفصل . ورد بيجين قائلا : انه لم يتقــدم ابدا باقتراح بعقد اتفاق منفصل ، ولكن اذا كانت سوف تكون هنـــاك اتفاقيات لاحقــة ، تعقد مع البلدان الأخرى التى سوف تنضم الى جهود السلام ، فيجــب أن نكون راغبين ومستعدين لتوفير مثل هذه الاتفاقيات لهـــا . وكان لهذا الحوار دلالات هامة . فقد كان بيجين يريد معـــالجة مسألة سيناء ، وأن يحتفظ بالضفة الغربية ، وأن يتجنب الخــوض فى القضـــية الفلسطينية . وكان السادات عازما على معالجة القضايا الثلاث)) .

((وكنت ، بطبيعة الحال ، أؤيد السادات فيما يتعلق بهـــذا الموضوع . وقلت ، مقررا : ان الرؤساء يجب ان يعالجوا كافــة القضايا الخلافية بشـــكل مباشر ، وان الولايات المتحدة تحتفظ بحقها فى التقدم بآرائها الخاصة ، على قــدم المساواة مع الجانبين الآخرين ، لأنه فى بعض الحالات ، قد يقبل جانب اقتراحا صادرا منى ، قد يكون غير راغب فى قبــوله اذا صدر من الجانب الآخر . وقال بيجين انه ليس لديه مانع من ذلك)) .

« وكان الوقت قد حان مناقشة القضايا المحددة ؟ واشرت برأسى لبيجين كى يبدأ . فقال انه كان قد تقدم ، فى شهر ديسمبر الماضى بمقترحات تتعلق بالحكم الذاتى فى منطقتى الضفة الغربية وغزة ، وانه لم يتلق ، حتى الآن ، ردا ملائما عليها ، وانه يتطلع لسماع مقترحات السادات المضادة » .

« وسألت السادات بشكل محدد : هل هو مستعد للاشتراك فى ادارة الضفة الغربية ، ولتوقيع معاهدة عربية ــ اسرائيلية ، اذا لم يكن الأردن راغبا فى الاشتراك ؟ . واجاب : نعم ، اننا مستعدون . وسألته : هل هو مستعد للتفاوض لعقد اتفاقية حول سيناء ، فى نفس الوقت الذى يتم فيه عقد معاهدة عن الفلسطينيين والضفة الغربية ؟ . فأجاب بالايجاب ، ولكنه أضاف : لن أوقع على اتفاق خاص بسيناء ، قبل أن يتم الاتفاق على اتفاقية خاصة بالضفة الغربية » .

« ... ثم شرع فى قراءة مقترحاته البالغة التطرف وغير المقبولة ، بعد أن طلب من بيجين أن لا يعلق بشىء حتى يناقش الأمر مع مساعديه . ووافق بيجين . وبدا كما لو أن الاثنين قد تنفسا الصعداء » .

« وكان بيجين ، اثناء قراءة السادات لمقترحاته ، يجلس صامتا ، ودون أن يتغير التعبير المرتسم على وجهه . ولكننى كنت أشعر بالتوتر يتصاعد . وعندما انتهى السادات ، لم يتحدث احد لبرهة . ثم حاولت كسر حدة التوتر وقلت لبيجين انه سوف يوفر علينا الكثير من الوقت اذا قام بالتوقيع الآن على هذه المقترحات كما هى » .

« ودهشت عندما انفجر الجميع ضاحكين . وبعد برهة ، سألنى بيجين : وهل تنصحنى بأن افعل ذلك ؟ وقلت : لا ، وانه من الأفضل أن نتشاور مع مساعدينا . وبدا ، فجأة ، كما لو كلا

من الرجلين قد اصبح سعيدا وودودا . وقــال بيجين ، فى دماثة بالفة ، ان سعادته بالفـــة بحصوله على هذه الوثيقة ، وانه يعرف مقــدار الجهد والعرق الــذى بذله الجــانب المصرى فى اعدادها ، وان سماعها كان أمرا مثيرا للاهتمام ، ولكنه واثق أن قراءتها ستكون أكثر اثارة للاهتمام » .

« واتفقنــا على أن نلتقى فى اليوم التـــالى ، ثم دعوتهما لمشاركتى ، انا وروزالين ، فى القيــام بنزهة على الأقــدام . ولكن السادات اعتذر بأنه قد قــام بالفعل بأداء تدريباته اليومية . ولكن رئيس الوزراء قرر أن يذهب للعثور على زوجته كى ينضما الينا » . (كارتر ، «مذكرات رئيس» ، ص‌ص ٣٤٣ — ٣٤٦) .

... ...

(٩) يقــول موشى دايان عن صدى الاجتماع الثلاثى الأول لدى الوفد الاسرائيلى :

« عقد أول اجتماع للثلاثة الكبار ، بدون أعضاء وفودهم ، بعد ظهر يوم ٦ سبتمبر ١٩٧٨ ، فى كابين كارتر . وفى هذا الاجتماع، قرر القادة الثلاث أن يكون هــدف مؤتمر كامب دافيد هو التوصل الى اتفاقية تضع اطارا عاما ، يتضمن العنــاصر الاساسية لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل . وربما كان كارتر يأمل أن تكون ذروة المؤتمر هى التوقيع على المعاهدة ذاتها . ولكن ذلك كان يقتضى ، كما أشار السادات ، الى الاتفــاق على ، واصدار قرارات بشأن عدد كبير من التفاصيل الهــامة يتعين ادماجها فى المعــاهدة ، وسوف يتطلب ذلك وقتا « ربما ثلاثة أشهر » . ولذلك فقد تقرر تركيز مباحثات مؤتمر القمة من أجل التوصل الى اتفــاق حــول القضايا المحورية التى تختلف بشأنها مصر واسرائيل . وبعد ذلك، يمكن للوفود ، عن طريق العمل فى نطــاق الاطار المتفق عليــه ،

ووفقا لخطوط الارشاد المتفق عليها ، أن تعالج التفاصيل العملية ، والتى يمكن أن يتكشف أن الخلافات بشأنها لا تقل حدة عن الخلافات الأخرى » .

« وقد استغرق الاجتماع الثلاثى الأول فى مناقشة مقترحات السادات بشأن حل النزاع . وعقب انتهاء الاجتماع ، دعى الوفد الاسرائيلى للاجتماع بكابين بيجين للاستماع الى تقريره عما دار فى الاجتماع . ولا أعرف ما كان عليه شعور أعضاء الوفد الآخرين ، ولكننى ، عن نفسى ، كنت أشعر بشىء من التخوف . فمن يعرف ما هى طبيعة الأنباء التى سوف يحملها بيجين لنا ؟ ... » .

« ... كان هناك جو من الترقب يسود القاعة التى اجتمعنا فيها حول بيجين . وشربنا الشاى الذى قدم لنا فى عجلة ، ونحن نتحرق شوقا لبدء الاجتماع ، بينما جلس المساعدون وأقلامهم مشرعة على استعداد لتدوين كل كلمة . وبدأ بيجين الحديث بوصف ملىء بالبهارات للاحاديث التمهيدية عن الجو والصحة .. وما الى ذلك ، وعن ما كان يرتديه السادات ، ثم أصبح وجهه أكثر تجهما عندما وصل بحديثه الى قلب الاجتماع . كان السادات قد أحضر معه وثيقة مكونة من احدى عشر صفحة ، أصر على قراءتها لكارتر وبيجين . وكانت الوثيقة ذات طابع سلبى تماما ، تقدم موقفا مصريا أكثر تطرفا من الموقف المصرى فى مؤتمر قلعة ليدز . وكان رأى بيجين أن ترفض اسرائيل هذه الوثيقة دون تردد، وأن تعد مقترحات مضادة بناءة » .

« وأضاف بيجين أن السادات قال ، فى تعليقاته التمهيدية، بأنه مستعد للتوقيع على اتفاقية بشأن الترتيبات للضفة الغربية وقطاع غزة قبل التوصل الى اتفاق بشأن سيناء ، ولكن ليس العكس . أى أنه ، على وجه التحديد ، لن يوقع على معاهدة سلام قبل تسوية المشكلة الفلسطينية . وقال بيجين انه أجاب

على ذلك على الفور بقوله انه هو أيضا مستعد للتوصل الى تسوية للمشكلة الفلسطينية قبل التوقيع على معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » .

« وبعد بضع ايضاحات قليلة أخرى من بيجين ، قمنا جميعا بدراسة النص المكتوب لمقترحات السادات ، والتى كانت تحمل عنوانا رئيسيا يقول : « اطار لتسوية سلمية شاملة لمشكلة الشرق الأوسط » .

« ... وبعد قراءة هذه الوثيقة ، وافق جميع أعضاء الوفد على ما رآه بيجين من وجوب رفض المقترحات المصرية دون تردد . وكان ينبغى أن نطالب ، فى واقع الأمر ، أن يقوم المصريون بسحبها . فقد كانت ، على عكس ما توقعته ، مجرد اعادة صياغة لموقف مصر المتطرف ، ولم تكن تمثل أساسا عمليا يمكن أن تجرى من حوله مفاوضات السلام . ولو كنا على استعداد لمناقشة مثل هذه المطالب الدوجماتية ، لما كانت هناك حاجة لعقد مؤتمر قمة فى كامب دافيد » .

« وبالرغم من أن بيجين وافق على أننا يجب أن لا نتعجل بتقديم رد اسرائيل على الوثيقة المصرية ، فانه كان قلقا ازاء حاجتنا المحتملة الى شن حملة اعلامية . ذلك انه سوف يكون من الضرورى ، فى حالة انهيار محادثات كامب دافيد ، أن نثبت أن المصريين هم الملومين بسبب مقترحاتهم المتصلبة اللاعملية والتى لا مبرر لها . وهكذا فقد كلف باراك وروسين ودينتس باعداد ردنا ، على ألا يتم تسليم هذا الرد فورا ، لكى لا نمنح الوثيقة المصرية مكانة رسمية . وبعد أن تمت صياغة الوثيقة الاسرائيلية ووافق بيجين عليها ، وضعت فى الملفات ، لأن الوقت المناسب لاصدارها لم يكن قد حان بعد » .

« انفض اجتماعنا مع بيجين دون أن نصل الى يقين بشأن

حقيقة النوايا المصرية : هل تقدموا بمقترحاتهم حقا كى تكون مادة للتفاوض ، مدركين أنه سيكون عليهم فيما بعد التراجع عن هـذا الموقف ، وتعديل معظم بنود مقترحاتهم ؟ . أو انهم ينتوون اعلانهـا كى يظهروا لـدول الرفض العربية ان مصر تتخذ موقفا أكثـر عدوانية وأكثر تطرفا من مواقف هـذه الدول نفسها ؟ . وأيا كان ما يدور فى أذهانهم ، فانه لا يمكن أن يكون هنـاك شك فى أنهم يعرفون ، بعد محادثاتهم العديدة معنا ، انه ليس هنـاك أمل فى أن تجد مقترحاتهم هذه أى قبول من جانبنا » .

(دايان ، « الاختراق » ، ص ١٦٠ — ١٦٢) .

... ...

(١٠) لا يذكر كارتر فى كتابه مذكرات رئيس شيئا عن اجتماعه الليلى هـذا بالسادات .

... ...

(١١) يقول محمد ابراهيم كامل ان الذى أعـد المقترحات المصرية السالفة الذكر هو الاستاذ أسامة الباز ، ثم يتنـاول هـو الجلسة الثلاثية الاولى ، فيقـول :

« فى صباح اليوم التالى ، اجتمع الرئيس السـادات مـع الرئيس كارتر على انفراد فى « اسبن » ، مقـر اقامة الرئيس الأمريكى ، ودام الاجتماع نحـو ساعة . وبعد عودته ، ذهبت وبطرس غالى لزيارته ، وكان فى حالة معنوية طيبة . فأخبرنا أنه شرح مشروعنا : اطار السلام ، للرئيس كارتر ، الذى استمع اليه بتمعن دون تعليق . وانه أوضـح له أن المشروع يتضمن ترتيبات أمن تزيد عما تضمنه مشروعنا بشأن الضفة وغزة الذى عرضناه فى ليدز ، وانه يأمل ألا يثير بيجين العقبات » .

« وقد أخبره كارتر انه سيلتقى برئيس الوزراء الاسرائيلى على انفراد ، ثم يجتمع ثلاثتهم بعد الظهر . كما عبر كارتر عن أهميـة مؤتمر كامب دافيد ، وقال انه اذا فشل المؤتمر ، فقد يعنى ذلك

انعــدام الأمل فى استئناف المفاوضات المباشرة من جديد ، ممــا سيعقد الأمور ، ويضيع فرصة فريدة لتحقيــق التسوية ، بالاضافة الى أن هذا الفشل سيؤثر على مركزه الحالى وعلى مســـتقبله الســـياسى » .

« ورد عليه الســادات بأنه اذا فشل المؤتمر ، فلن يكــون هو السبب فى فشله ، وانما بيجين اذا استمر فى تشدده وتعنته . ودعانا السادات أن نتمشى معه قليــلا ليتعرف على المنطقـــة المحيطة ، وقال لنـــا : تصوروا أن الرئيس كارتر الساذج المسكين أخبرنى أنه يخشى أن يموت (الرئيس السورى حافظ) الأسد ، لأن ذلك سيكون مصيبة كبيرة . وكانت قد راجت ، فى ذلك الوقت، شائعات بأن الرئيس السورى يعــانى من سرطان فى الحلق ، وأن حالته خطرة » .

« وفى الطريق ، قابلنا بيجين راكبا احدى الســـيارات الكهربائيـة، فأوقفها ونزل منها ، وصافح الرئيس متمنيا أن يكــون فى صــحة جيدة . كما صافحنى وقال : كيف حالك ياســيدى الوزير ؟ . ثم عانق بطرس غالى ، وقال للرئيس : أن بيتر صديقى، وقد طلب منى ، عندما قابلته أثنــاء زيارتك الشهيرة للقدس ، أن أناديه باسم : بيتر . ثم حيانا ، وركب ســـيارته متجها الى اسبن . وبعد فترة رافقنا الرئيس حتى باب منزله ، وانصرفنا » .

« وفى قاعة الطعــام ، قابلنـــا لأول مرة أعضــاء الوفــد الاسرائيلى . وكانوا يجلسون حـــول مائـــدة مستديرة يتناولون طعامهم ، يتوسطهم بيجن وزوجته ـــ والذى استمر يتناول الطعام فى المطعم طوال فترة المؤتمر ، على خــلاف الرئيس الســـادات الذى لم يزره (أى المطعم) على الاطلاق ، وكان يتناول طعـــامه وحيدا فى مقـــر اقامته . وكان يبدو على الاسرائيليين المرح . وقد حييناهم من بعيد ، وجلسنا حول مائدتنا ... » .

« ... وفى المساء ، وقبل توجهنا الى المطعم لتنــاول طعام

العشاء ، مررنا على الرئيس السادات ، الذى كان يشاهد احدى حلقات المسلسل التليفزيونى المعروف : جذور . وأخبرنا انه قرأ مشروعنا على كارتر وبيجين ، وانه سلم الأخير نسخة منه . واتفق الثلاثة على العدول عن فكرة الاتفاق على اعلان مبادىء ، وأن يكون هدف المباحثات فى كامب دافيد ، هو التوصل الى اطار للتسوية السلمية الشاملة ، يتيح للأطراف العربية الأخرى الدخول فى مفاوضات على أساسه » .

« كما اتفق على أن يجتمع الثلاثة من جديد فى اليوم التالى ، بعد أن يكون بيجين قد درس المشروع ، ليبدى ملاحظاته وآراءه بشأن ما يتضمنه . وعند دخولنا قاعة الطعام ، كان الاسرائيليون جالسين حول مائدتهم . الا أن جو المرح الذى كان يحيط بهم أثناء الغذاء كان قد فارقهم ، وحل محله جو من العبوس والجدية . فقلنا لابد وأن هناك ما يقلقهم . فانتقل المرح الى مائدتنا » .

« وربما كان ما عكر صفوهم هو اطلاعهم على المشروع المصرى . ومن يراجع ما كتبه كل من بيجين وديان وايزمان عما دار فى اجتماع الوفد الاسرائيلى ، بعد أن عاد اليهم بيجين من الاجتماع الثلاثى حاملا معه صورة المشروع المصرى باطار السلام ، لا يسعه — ان كان منصفا — الا التعجب . فكأن المشروع المصرى هو غاية الكفر والالحاد . وكأنه يرمى الى اقتلاع أظافر اسرائيل من أصابعها ، وكأنه قمة الصفاقة والوقاحة والتخريف . فى حين أن ما عالجه المشروع المصرى لا يعدو أن يكون تطبيقا أمينا وموضوعيا لأحكام قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، الذى ارتضاه المجتمع الدولى ، ووافقت عليه اسرائيل نفسها ، والذى من شأنه عودة الحقوق الى أصحابها ، وان تنعم اسرائيل ، مع باقى دول المنطقة ،

بالأمن والسلام ، مما يفتح أمامهم جميعا أبواب السعادة والتقدم والرخاء » .

« ولا تفسير لذلك فى رأيى الا أن الاسرائيليين يتشبثون بذلك الاعتقاد الواهم العنصرى ، الذى يسيطر على فكرهم ، ويحكم تصرفاتهم ، بأنهم شعب الله المختار . وبالتالى فان شهواتهم وأنانيتهم وشرورهم هى أمور تعلو وتسمو على حقوق من ليس منهم ، أيا كانت شرعية هذه الحقوق وعدالتها . فليس ذلك من شأنهم ، ولا هو يستأهل لحظة تفكير أو تأمل من جانبهم . واتحفظ واقول اننى لا أعمم ، وانما أقصد ان مثل هذا الفكر هو الذى تروجه الطغمة الاسرائيلية الحاكمة ، وعلى رأسهم مناحم بيجين » . (كامل ، « السلام الضائع » ص ٤٩٧ــ٤٩٩) .

٢١

صراع المتصلبين

كانت عيون كل أعضاء الوفد الاسرائيلى صباح ذلك اليوم ، الموافق ٧ سبتمبر ١٩٧٨ ، متورمة وحمراء . فلم يكن معظمهم قد ذاق طعم النوم طيلة الليلة السابقة . وكان الجو مشبعا برائحة الفشل الثقيلة .

وكان رئيس الوزراء الاسرائيلى لا يزال يتميز غيظا ، بسبب ما وصفه بوقاحة ((«شوتز باه» بالعبرية)) المقترحات التى تقدم بها السادات فى اليوم السابق . وكان أكثر ما يثير حنقه على هذه المقترحات ، هو مطالبة مصر بانسحاب اسرائيل الى حدود عام ١٩٤٩ ، ودفع تعويضات عن الخسائر الناتجة عن الحرب . واذا نحينا غضب « بيجين » جانبا ، فان ما كان يزعجه فى المقترحات المصرية هو كما قال :

— ((بخطة كهذه ، سوف يستقبل العالم العربى السادات بأذرع مفتوحة)) ! .

وعقد الوفد الاسرائيلى اجتماعا فى صباح هذا اليوم لمناقشة المقترحات الاسرائيلية المضادة التى تم ، فى الليلة السابقة ، اعدادها وصياغتها فى ١١ صفحة . وبعد مناقشة مستفيضة لهذه الوثيقة ، التى كان تمتلىء بالعبارات الايجابية عن رغبة اسرائيل فى السلام واستعدادها لتقديم تنازلات من أجل ذلك ، قرر الوفد الموافقة عليها ، مع عدم تقديمها فى الوقت الحالى ، ومنع تسرب أية أنباء عنها »(١) .

وعندما وصل أعضاء الوفد الاسرائيلى الى كوخ الوفد الأمريكى وجدوا الكآبة تسود الجو هناك أيضا ، وكان التجهم واضحا على ملامح « كارتر » و « فانس » و « برزيزنسكى » .

واستهل « كارتر » الحديث قائلا :

— « انها حقا مقترحات متطرفة جدا ! » .

وشجع هذا القول أعضاء الوفد الاسرائيلى قليلا ، وتوقعوا أن يتخذ الرئيس الأمريكى خطوات ما لاقناع السادات بادخال تعديلات جذرية فى المقترحات المصرية .

ولكن « كارتر » التفت الى «بيجين» و «دايان» و «وايزمان» وطلب منهم أن تتخذ اسرائيل اجراء ما لتحسين جو المفاوضات فى الأيام القادمة ، وعبر عن خوفه من انهيار المؤتمر فى المستقبل القريب .

وبدأ كما لو ان « بيجين » لم يسمع ما طلبه الرئيس الأمريكى، فقد ركز حديثه على المقترحات المصرية قائلا :

— « ان اسرائيل لا تستطيع التعايش مع مقترحات من هذا النوع » .

وأضاف ان قبول المقترحات المصرية يمثل خطرا بالغا على أمن اسرائيل .

ثم بدأ « كارتر » و « فانس » و « برزيزنسكى » يتقدمون بالمطالب للوفد الاسرائيلى . فقد طالب « فانس » بايقاف الاستيطان الاسرائيلى فى الضفة الغربية وقطاع غزة . كما طالب أيضا بتحديد عدد المستوطنين وكذلك عدد المستوطنات ، واقترح البدء فى تنفيذ ذلك فورا .

رفض « دايان » مقترحات وزير الخارجية الأمريكى بكاملها . ثم ثار نقاش بين « كارتر » و « بيجين » حول المستوطنات الاسرائيلية فى شبه جزيرة سينا . قال بيجين :

- « لقد وعدتنى بأنك سوف تقنع السادات بالابقاء على المستوطنات فى المنطقة التى سوف توضع تحت اشراف الأمم المتحدة » .

كارتر : « لقد حاولت ، ولكننى لم أنجح » .

بيجين : « أيا كان الأمر ، ومهما يحدث ، فيجب أن تكون مدركا لحقيقة ان المصريين لا شأن لهم بالمستوطنات الاسرائيلية فى يهودا والسامرة » .

وانتهى الاجتماع دون أن يتحقق شىء ما(٢) . واتجه « كارتر » و « بيجين » معا الى كوخ الرئيس الأمريكى حيث كان من المقرر عقد اجتماع ثلاثى .

. . . .

حضر السادات متأخرا عشر دقائق عن الموعد المحدد . وأصيب كل من « كارتر » و « بيجين » بالدهشة للموضوع الذى اختاره السادات لبدء المناقشة . فقد استهل الرئيس المصرى حديثه بالشكوى من تدخل اسرائيل غير الضرورى فى الحرب الأهلية اللبنانية ، وطالب بوقف هذا التدخل .

بيجين : « لقد أنقذنا أرواح الآلاف من المسيحيين . اننا نحمى المسيحيين من القتل . فهل تستطيع أنت ضمان أمنهم وسلامتهم » ؟

السادات : « نعم ، شرط أن لا تتدخل اسرائيل فى لبنان » .
بيجين : «لولا اسرائيل ، لمـا تقدم أحد لمساعدة المسيحيين» .
السادات : « ان الملك خالد يستطيع انهاء الحرب فى لبنان ، اذا أوقف مسـاعدات بلاده لسـوريا » .

كارتر : « سوف يكون شيئا طيبا أن يبعث الملك خالد برسالة الى الأسد حول هذا الموضوع . ويكون من الأفضل ايضا ان يكتب له السادات أيضا . بل وقد أبعث له انا أيضا برسالة مماثلة » .

السادات : « المهم هو أن لا تتدخل اسرائيل فى لبنان » .

بيجين : « لقد زودنا المسيحيين بالسـلاح كى يدافعوا عن أنفسهم . ولو لم نفعل ذلك لذبحوا عن آخرهم . ونحن لا نصـدر الأوامر لهم ، تماما مثلما لا تصدر حكومة الولايات المتحـدة الأوامر الى حكومة الياس سركيس فى لبنـان . وان موقفنا الحازم هـو الذى يحول دون قيام السوريين والفلسطينيين بذبح المسـيحيين فى لبنـان » .

وقد كان الرئيس الأمريكى هـو الذى أعاد المناقشـة الى الموضوع الأساسى ، وهو رد اسرائيل على المقترحات المصرية . وسأل الرئيس الأمريكى « بيجين » اذا كان يمكنه أن يقوم بايمـاءة بعيدة المدى مثل ايماءة الرئيس المصرى حين زار القـدس .

بيجين : « نحن على استعداد لاعادة سيناء الى السـيادة المصرية ، بالرغم من انها قـد اسـتخدمت مرارا كقاعدة لشن الهجمات ضدنا . وقد كان الاستقبال الحماسى الذى لقيه السادات فى القدس نتيجة مباشرة لمبادرته . ويجب أن لا يغيب عن الأذهان اننا قد رحبنا برئيس دولة لم تمر سوى أربعة أعوام على قيـامه بشن هجوم مفاجىء وغادر ضدنا ، وهو يعلم تماما اننا سـوف نكون جميعا فى معابد الرب آنذاك » .

السادات : « لقد كان ذلك خـداعا استراتيجيا » .

بيجين : « ان الخداع هـو الخداع » .

وكان « بيجين » يخاطب السادات مباشرة . ثم قام ، بعـد ذلك ، بتحليل المقترحات المصرية ، شارحا فى اسهاب شديد لمـاذا لا تستطيع اسرائيل قبولها . وكان « كارتر » ينصت باهتمام ، وبدون ملاحظاته بين الحين والآخر .

وسرعان ما وصل « بيجين » الى قلب الموضـوع ، حين اشار الى البند السادس من المقترحات المصرية ، وقرر ان مصر تعمل نحو اقامة دولة فلسطينية :

ـ « لقد قال لى الرئيس كارتر ان الولايات المتحدة لا تريد اقامة دولة من هـذا النوع . كذلك فقد قلت لى أنت أيضـا ، ياسيادة الرئيس (أى السـادات) انك لا تريد دولة فلسطينية مسـتقلة » .

السادات : « اننى أريد اقامة دولة فلسطينية ، ولكننى أريد دولة فلسطينية ترتبـط بربـاط ما مع الأردن . وانا اريد أن يعبر السكان بأنفسهم عن رأيهم فى هذه الرابطة » .

بيجين : « نحن لن نسمح باقامة قاعدة لعصابة ياسر عرفات الدموية داخل حدودنا . ان المقترحات المصرية تعنى انسـحاب اسرائيل الى حدود عام ١٩٤٩ ، الأمر الذى يعنى اعادة تقسـيم القـدس . لا يمكن أن يكون هناك اتفـاق على أساس هـذه المقترحات ... » .

السادات : (مقاطعا فى صوت عال) « لا ! لقد قلت بالأمس انه لا توجد ضرورة لتقسيم القـدس ! » .

بيجين : « انكم تخاطبوننا ، فى مقترحاتكم التى قـدمتموها كمـا لو كنا أمة مهزومة » .

(ربما لم يسمع السادات جيدا ما قاله « بيجين » ، فقـد ظن ان بيجين يعنيه ويعنى مصر باشارته الى الأمة المهزومة) .

السادات : (صائحا فى غضب) هل نحن أمة مهزومة ؟ لقد كنا كذلك ! ولكننا لم نعد أمة مهزومة بعد أكتوبر ١٩٧٣ » .

(بالرغم من ان هذا اللبس سرعان ما أزيل ، فان السادات استمر يردد . لسنا أمة مهزومة ! لسنا أمة مهزومة !) .

بيجين : « انكم تطالبوننا بدفع تعويضات عن الأضرار التى لحقت بالمدنيين المصريين ، وأحب أن اذكرك ، ياسيادة الرئيس ، ان أمتنا كانت حينئذ تصد عدوانا يهدد وجودها » .

كارتر : (للسادات) « عن ماذا تطالبون بتعويضات ؟ » .

بيجين : « اذا كنتم تطالبون بتعويضات ، فأنا أود أن تعرف اننا أيضا سوف نطالبكم بتعويضات . وأستطيع أن أكتب لك الآن قائمة طويلة بالأضرار التى لحقت بنا من جرائكم » .

وازدادت المناقشة حدة ، وبدأ صوت السادات و « بيجين » يعلو باضطراد ، رغم التزامهما بقواعد السلوك الرسمية . وحاول السادات تبرير مطالبة مصر بتعويضات عن طريق عرض عاطفى لما عاناه الشعب المصرى نتيجة للحرب . وحين تدخل « كارتر » محاولا ايقاف النقاش عند هذا الحد ، قال له السادات غاضبا وهو يرفع ذراعه : « سيادة الرئيس ، أرجو ان تدعنى أنهى كلامى ! » .

ثم طلب الرئيس الأمريكى من كلا الرجلين أن يهدا ، وعاد النقاش يدور على النحو التالى :

السادات : « كنت أظن ان مبادرتى سوف تعقبها فترة يظهر فيها الجميع حسن نواياهم ! اننا نقدم لكم السلام ، وأنتم تريدون الأرض ! أنتم لا تريدون السلام ! » .

بيجين : « كيف يمكنك أن تقول ذلك ؟ ان كل ما نريده هو موقف يتيح لنا الدفاع عن أنفسنا ، دون أن تقوم الأمم المتحدة بذلك ! » .

السادات : « وأنا أيضاً لى سيادتى ، وأنا أيضا أريد أن أدافع عن مصر . ولقد قلت اننى مستعد للموافقة على اقامة مناطق منزوعة السلاح » .

بيجين : « ولكنك قلت فى القدس ان قواتكم المسلحة لن تعبر الممرات ، وها أنت الآن تطالب بشىء آخرا » .

السادات : « لقد كنت أعنى ان قواتنا الضاربة لن تعبر الممرات . ان كل ما نطلبه هو أن تتمركز كتيبة واحدة بعد الممرات، بالاضافة الى الشرطة وحرس الحدود » .

بيجين : « اننى اقترح أن يناقش وايزمان والجمسى هذه المسائل وأن يصلا الى اتفاق بشأنها » .

وعاد النقاش ، مرة أخرى ، الى النقطة التى بدأ منها : فقد عاد بيجين يناقش الفقرة الواردة فى المقترحات المصرية ، والتى كانت تعنى فى رأيه اقامة دولة فلسطينية . وعاد أيضا يعلن للسادات ، وفى عبارات لا تحتمل أى شك ، ان ذلك أمرا غير مقبول على الاطلاق من جانب اسرائيل :

السادات : « ولكن هذه الدولة الفلسطينية سوف ترتبط بالأردن » .

بيجين : « حتى المعارضة فى اسرائيل ، أى حزب العمل الذى قابلت زعيمه فى فيينا ، ترفض اقامة دولة فلسطينية مستقلة. وبجانب ذلك ، ياسيادة الرئيس ، فان مقترحاتكم لم تتضمن شيئا آخر ناقشناه فى القدس ، وهو حرية المرور فى مضيق تيران » .

السادات : « هذا صحيح . سوف أضيف ذلك الى المقترحات » .

ثم أخذ « كارتر » يدون فى ورقة أمامه الموضوعات التى تم التوصل الى اتفاق بشأنها ، وتلك التى لا تزال تستلزم نقاشا

حولها . وحين قرأ القائمة لـ « بيجين » والسادات ، طلب منه « بيجين » اضافة موضوع لم يدونه « كارتر » ، وهو موضوع تواجد القوات المسلحة الاسرائيلية فى « يهودا » والسامرة . ولم يدون « كارتر » ما طلبه « بيجين » ، ربما لأنه لم يسمعه . ولكن ذلك لم يعق « بيجين » أن يقول مرة أخرى :

— « سيدى ، أود أن تضيف مسألة تواجد القوات الاسرائيلية فى يهودا والسامرة وغزة » .

واضطر « كارتر » ، فى امتعاض واضح ، الى تدوين ما طلبه « بيجين » ، ثم قال :

— « ان الولايات المتحدة تفضل أن يحقق هذا المؤتمر ولو نجاحا جزئيا على الأقل ، وأن يؤدى الى استئناف المباحثات » .

السادات : « لا ! لا ! لا اتفاقية جزئية ! » .

(مرة أخرى ، التبس على السادات فهم ما يقوله كارتر . ولكن الرئيس الأمريكى أوضح له الأمر ، ثم استطرد يقول) :

— « وبالرغم من اننى لا أريد أن أفرض مقترحاتى عليكم ، ولكنه لما كان الموقف قد وصل الى هذا الحد ، فان مساعدى سوف يقدمون لكم مقترحات أمريكية لمناقشتها . ان العالم كله يريد لهذا المؤتمر أن ينجح ، ولذلك فسوف أدون بعض أرائى كتابة ، وسوف يبدو بعضها مقبولا لكم ، ولكن بعضها الآخر لن يكون كذلك » .

وقبل انتهاء الاجتماع ، يبدو ان السادات قد خشى أن يكون « بيجين » قد أساء فهمه فيما يتعلق بموضوع المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء . وكان السادات قد وافق على تأجيل مناقشة الموضوع حتى يلتقى « وايزمان » مع « الجمسى » ، الذى لم يكن مشتركا فى المؤتمر ، ولكن السادات عاد فأوضح ان رأيه

قد استقر على انهاء الموضوع داخل المؤتمر . وقال السادات :

ـ « ان مسألة المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء هى مسألة مبدأ . ولن أستطيع الظهور أمام شعبى دون أن نتفق على اجلاء المستوطنات الاسرائيلية ، وسوف يقع الشعب المصرى تحت المتطرفين »(٣) .

. . . .

وعاد « بيجين » الى زملاءه وابلغهم بمطالبة السادات باخلاء المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء ، وانه « يخشى أن يحاول الوفد المصرى تحطيم المؤتمر بسبب قضية المستوطنات » .

وكانت هذه الأنباء مخيبة لأمال كل اعضاء الوفد . وقال « وايزمان » : « لقد قاربت المباحثات على نهايتها » .

بدأت جلسة المساء بين « كارتر » و « بيجين » و السادات وظل فشل الجلسة السابقة ينوء ثقيلا عليها . وأعلن الرئيس المصرى انه ليس لديه ما يضيفه الى ما قاله منذ بضع ساعات قليلة . واقترح « بيجين » مناقشة المشاكل الأمنية فى سيناء . وسرعان ما تحول النقاش حول هذا الموضوع الى مناقشة مسألة المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء :

السادات : « لست مستعدا لقبول طلبك بالابقاء على المستوطنات الاسرائيلية كما هى . وقد كنت أستطيع ابرام معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى ، ولكن شعبى كان يعارض ذلك . ثم طردت الروس من مصر ، ونال هذا الاجراء تأييدا حارا من الشعب المصرى . وأنا اعرف الشعب المصرى جيدا . وهو شعب طيب . وهذه المستوطنات مقامة على أرض هذا الشعب . ولن أوافق ، ولن يوافق شعبى على ذلك . لن أوافق أبدا على ابقاء هذه المستوطنات على ارضى . أبدا ! واذا لم توافقوا على اجلاء هذه المستوطنات ، فلن يكون هناك سلام ! » .

بيجين : « ونحن لن نوافق على تفكيك المستوطنات . كما ان المعارضة فى اسرائيل لن توافق على ذلك أيضا .

كارتر : « اذا بدا للعيان أن العقبة الوحيدة التى تقف فى طريق تحقيق السلام هى مسألة المستوطنات ، فان بمقدورك حينئذ أن تتوجه الى الكنيسيت وتطلب منه الموافقة على اجلاء المستوطنات ، وسوف تنال أغلبية ساحقة » .

(وقعت هذه الفكرة ، كما اتضح فيما بعد ، على أرض خصبة . وكانت فى الواقع ، تمثل الحل الأمثل للمشكلة) .

بيجين : « ان مسألة المستوطنات ليست مجرد نزوة . وليست أيضا رغبة فى التوسع والغزو . فقد ظلت مستوطاتنا الواقعة على الحدود ، طوال الـ ١٩ عاما الماضية ، وهى تعانى من هجمات الارهابيين . اننا فى أمس الحاجة الى حزام أمن . ان مسألة المستوطنات هى مسألة أمن » .

كارتر : (ذكر السادات بأنه حاول اقناعه بالابقاء على المستوطنات ، وذلك كما يبدو كى يثبت لـ « بيجين » انه تباحث فعلا فى هذا الموضوع مع الرئيس المصرى) هناك مسؤولية كبرى تقع علينا جميعا . واذا فشلنا وتدهور الموقف فلن أستطيع الدعوة لعقد مؤتمر كهذا فى المستقبل القريب . وأرجو أن تثقا بى ، وان تدرسا مقترحاتى بأكبر قدر ممكن من العناية » .

وقبل انتهاء الجلسة بوقت قصير ، التهبت الأعصاب مرة أخرى . وانتهت الجلسة بهذه الكلمات النارية التى وجهها «بيجين» للسادات :

— « لا شك ان الخطوة التى اتخذتها كانت تتطلب قدرا من الشجاعة ، ولكن لا شك أيضا ان استجابتنا لها كانت تتطلب نفس القدر من الشجاعة . فلقد أتيت الينا بعد أن شننت علينا حربا ، وسببت لنا خسائر كبيرة . لقد خدعتنا وهاجمتنا ، وانت

تعرف مدى حساسيتنا نحو الخسائر فى الأرواح . وبالرغم من ذلك كله ، فقد رحبنا بك فى حرارة وصدق فى القدس »(٤) .

وهكذا انتهت هذه الجلسة أيضا ، دون تحقيق نتيجة ما(٥) .

... ...

وبينما كان الرؤساء الثلاثة يعقدون جلستهم الآنفة الذكر ، « سيروس فانس » — الذى كان تد اجتمع بوزير الخاجية المصرى(٦) — يعقد اجتماعا آخر مع «موشيه دايان» . وفى هذا الاجتماع ، طالب وزير خارجية الولايات المتحدة بتجميد المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية . ورد عليه « دايان » على الفور بأنه « اذا تم وقف حركة المستوطنات اليهودية ، فاننا لن نقبل عندئذ عودة اللاجئين » .

وقد كانت تلك أول مرة يربط فيها وزير الخارجية الاسرائيلى بين الموضوعين . وقد سأل « دايان » وزير الخارجية الأمريكى اذا كان يعتقد أن مصر يمكن أن توافق على خطة شاملة للاستيطان فى الضفة الغربية تشمل توطين اللاجئين هناك أيضا . ووفقا لاقتراح « دايان » ، يكون من حق اسرائيل اقامة عدد معين من المستوطنات فى الضفة الغربية فى مقابل استيعاب نحو ٥٠٠٠ر٥٠ لاجئا فلسطينيا . ولم يستطع فانس أن يقدم اجابة محدد للوزير الاسرائيلى .

ثم تساءل « فانس » :

— « ما هو رأى اسرائيل فى اقامة اتحاد فيدرالى أو كونفدرالى ؟ » . ورد عليه « افراهام باراك » ، مستشار الوفد القانونى :

— « اذا كانت هذه الفكرة تعنى فرض سيادة أجنبية على الضفة الغربية وقطاع غزة ، فان الاجابة لابد أن تكون بعدم الموافقة » .

ثم أوضح « فانس » ان الولايات المتحدة ليست على استعداد حتى للنظر فى أمر تواجد قوات عسكرية أمريكية فى الضفة الغربية وقطــاع غزة(٧) .

... ...

ومرة أخرى ، وتحت ظل الفشل والتوتر الثقيل ، عقــد الوفد الاسرائيلى اجتماعا للتشاور . واستهل « بيجين » الاجتماع قــائلا :

ــ « لسنا على استعداد ، بأى حال من الأحوال ، للموافقة على شروط ايقاف اقامة المستوطنات . وأنا واثق ان الرأى العــام فى بلادنا لن يقتنع بذلك أبدا . فما الذى يمكن أن نقــوله ، على سبيل المثال ، لشبابنا ؟ انه جنون ! وخاصة من جانب حــكومة تدعى حق الســــيادة على كامل أراضى اسرائيل (أى اسرائيل الكبرى ، التى تمتد من النيل الى الفرات ، كما توضــح الخريطة التى كانت معلقة حتى وقت قريب فى مبنى الكنيسيت) ثم ما الــذى يمكن ايقافه فى أرض اسرائيل ؟ يجــب أن نبلغهــم انهــم ان طالبوا بفرض السيادة العربية على هذه المناطق ، فاننا ســوف نطالب ، من جانبنا ، بفرض السيادة الاسرائيلية عليها » .

دايان : « انا اقترح ان نتحدث بصراحة مع الجانب الأمريكى حول خططنا لاقامة المستوطنات ، حتى لا يصدم الأمريكيون . ويجب ان نفصح للولايــات المتحدة عن عــدد المستوطنات التى ننوى اقامتها . واقترح ان يكون العــدد هو عشرون . وانا ارى انــه لابد من التوصل الى تفاهم كامل مع الولايات المتحدة . اما بالنسبة الى سيناء ، فربما يمكن تحــويل منطقة مطار « أوتيم » الى ما يشبه جزيرةتضم قاعدة تدريب امريكية بجانب المستوطنات الاسرائيلية» .

أما « وايزمان » ، فقد كان مستعدا لتقــديم تنازلات أكثــر من تلك التى قدمها « دايان » :

ـــ « هناك فروق بين مستوطنات سيناء ، وتلك التى اقيمت فى الضفة الغربية وقطـــاع غزة . وانا على استعداد لايقـــاف عملية الاستيطان اذا سمح لنـــا بتقوية المستوطنات القائمـــة . واذا قلنا للولايات المتحدة اننا سوف نقيم عشرا أو خمســـة عشر مستوطنة أخرى ، فان ذلك لن يمس مبادئنا أو يضر بحقنـــا فى الأستيطان فى الضفة الغربية وقطاع غزة . ولن يحدث شىء اذ نحن لم نقم مستوطنة جديدة فى وادى الأردن ، ولكن الكثير يمكن أن يحدث اذا رحلنا عن كامب دافيد دون أن نحقق شيئا » .

ولكن « بيجين » لم يترك اى مجـــال للشك فى صلابة رفضه لايقاف عملية الاستيطان فى الضفة الغربية وقطـــاع غزة ، حتى ولو أدى ذلك الى الاصطدام بالولايات المتحدة .

ـــ « ربما واجهنا أوقاتا عصيبة فى المستقبل ، ولكن علينا أن نقف فى وجه العاصفة » .

... ...

فى « كامب دافيد » ، لم يكن يسمح لأحد بالرحيل أو الدخول . وكان قد تجمع فى مدينة « فيرمونت » القريبة المئات من الصحفيين والمراسلين ورجـــال الاعلام . ولكن قربهم من « كامب دافيد » لم يكن له أى جدوى . فقد كان الحصـــار المضروب حـــول مصادر الأنباء قويا ومحكما . ولم تكن بيـــانات المتحـــدث باسم البيت الأبيض تشفى الغليل ، ولذا فان الصحفيين لم يجدوا أمامهم غير اجراء المقـــابلات الصحفية مع بعضهم البعض . وكان مؤتمر الشرق الأوسط هو المؤتمر الدولى الـــ ٢١ الذى يعقد فى كامب دافيد ، ولكنه كان المؤتمر الـــدولى الأول الذى يحاط بمثـــل هذه السرية .

وفى المساء ، اتيحت لرجال الاعلام فرصة القاء نظرة على ما يحدث فى كامب دافيد ، حين وجهت اليهم الدعوة لحضـــور

العرض العسكرى الذى قام به جنود مشاة البحرية . ورغم أن كل من « كارتر » و « بيجين » والسادات كانوا يجلسون على منصة واحدة ؛ هى منصة كبار القوم ، فقد لاحظ رجال الاعلام أن « بيجين » والسادات لم يتبادلا كلمة واحدة ، وان وجه « كارتر » كان يسوده الاكتئاب .

... ...

واجتمع « كارتر » والسادات مرة أخرى فى وقت متأخر من الليل . فقد كان اليوم التالى يوافق يوم جمعه ، وهو يوم عطلة الوفد المصرى ، ولم يكن كارتر يريد أن يضيع وقتا(٨) . أما بالنسبة لأعضاء الوفود الآخرين ، فقد اتيحت لهم فرصة يلتقطون فيها أنفاسهم من ضغوط الأحداث والتوترات . وقد توجه معظمهم الى الكوخ الذى تعرض فيه الأفلام السينمائية ، حيث سرعان ما استسلموا للنوم فوق المقاعد المريحة .

وهكذا ، فقد خف التوتر قليلا يوم الجمعة . وعقدت الوفود جلسات للتشاور كل بمفرده . وفى وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم ، عقد « بيجين » و « كارتر » جلسة مباحثات أخرى .

وكان « كارتر » يريد أن يثبت لـ « بيجين » انه لم يدخر جهدا من أجل التوصل الى حل لمسألة المستوطنات . وقد أبلغ « بيجين » انه ناقش السادات مرة أخرى ، دون جدوى ، حول هذه المسألة ، كما قال انه ابلغ السادات باقتراح « بيجين » بشأن قاعدة » اوتيم « الجوية . وسأله « بيجين » :

— « وما هو رأى السادات ؟ » .

كارتر : « لقد رفض الفكرة رفضا باتا » .

وأضاف « كارتر » انه قال للسادات انه ما لم تتم حماية مصالح اسرائيل الأمنية فى الضفة الغربية ، فانه يعتقد ان اسرائيل لن توقع على اتفاقية سلام .

وانتهت الجلسة بين « كارتر » و « بيجين » بمناقشة موضوع آخر ، هو موضوع ايران . وقال « بيجين » ان خبراءه قد قدموا له تقييما مزعجا للموقف هناك . وأضاف ان هؤلاء الخبراء ظلوا يقولون له ، طيلة الشهور القليلة الماضية ، ان فرصة بقاء الشاه على العرش ضئيلة جدا . ورغم ان « كارتر » عبر هو أيضا عن قلقه بالنسبة الى الموقف فى ايران ، فانه لم يكن يشارك «بيجين» الاعتقاد بأن الشاه سوف يفقد عرشه . وكان يظن أنه « سوف يستمر فى الحكم ، رغم أنه لن يكون حاكما مطلقا كما فى الماضى » .

وفى المساء ، اجتمع كارتر بالسادات الذى كان يعتقد ان الرئيس الأمريكى سوف يعرض عليه المقترحات الأمريكية فى هذه الجلسة . ولكن آمال الرئيس المصرى لم تتحقق .

قال السادات : « لا أستطيع أن أرى كيف يمكن تحريك الموقف بدون المقترحات الأمريكية » .

فقد كان يعتقد ان المقترحات الأمريكية سوف تكون أقرب الى موقفه . ولذا فقد كان ينتظرها بصبر نافد .

وفى نفس الوقت ، اجتمع «بيجين» مع «فانس» الذى أحاطه علما بالأفكار الأولية المتضمنة فى ورقة العمل الأمريكية . ولم يدخل ما أبلغه « فانس » للاسرائيليين السرور فى قلب دايان .

ومر يوم السبت أيضا ، دون أن يحدث أى تقارب بين مصر واسرائيل .

هوامش الفصل الحادى والعشرون

(١) لا يذكر موشى دايان عن هـذا الاجتماع .

... ...

(٢) لا يذكر اى من فانس او دايان شيئا عن هـذا الاجتماع الثالث ، الذى عقد بعد ظهر نفس اليوم .

اما الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر ، فيقول فى كتابه عن نشاطاته فى اليوم الثالث من ايام كامب دافيد ، الموافق ليوم الجمعة ٧ سبتمبر ١٩٧٨ :

((فى الساعة الثامنة والنصـف صباحا ، اجتمعت ، لمـدة ساعتين ، مع بيجين ودايان وايزمان . وكان فانس وبرزيزنسكى بصحبتى . وجلسنا جميعا حول احدى الموائد فى مركز كامب دافيد للمؤتمرات ، وهو كوخ صغير يطلق عليه اسم : هولى . وكان الجميع قد قرأوا الوثيقة المصرية ، ولذلك فقد كان من الطبيعى أن تكون الموضوع الأول فى مناقشاتنا)) .

((وكان رئيس الوزراء بيجين أكثـر غضـبا وحنقـا من لهجة ومحتوى هذه الوثيقة ، مما كان عليه أثناء نزهتنا على الاقدام مساء البارحة . وقال : ان هذه الوثيقة تفوح منها رائحـة دولة منتصرة تملى شروطها للسـلام على دولة مهزومة . واستعرض

بيجين نص الوثيقة بالتفصيل ، ثم انهى حديثه قائلا : ان هـــذه الوثيقة لا تصلح لأن تكون اساسا ملائما للمفاوضات » .

« حاولت تهدئة الوفــد الاسرائيلى دون أن احط من قيمة جهود السادات . واقترحت أن ندون الوثيقة فى سجلات المؤتمر ، ثم نمضى لمعالجة بدائل اكثر واقعية . ولكن سرعان ما أصـــبح واضحا ان شيئا كهذا ليس ممكنا . فقد أصر بيجين على ان يقوم بتحليل المقترحات المصرية بالتفصيل » .

« ولكن هذه المناقشة أفادتنى ، على أية حال ، لأنه ، وفى حضور دايان ووايزمان ، قام رئيس الوزراء بتقديم تحـــديد أكثر وضوحا للموقف الاسرائيلى الأساسى تجاه أكثر القضـــايا اثارة للخلافات . وقد ركز حديثه على العبارات ومعانيها » .

« كان السادات قد استعمل كلمة : الفلسطينيين ، ليعنى بها السكان العرب فيما كان يعرف ، تحت الانتداب البريطانى باسم : فلسطين ، والذين كان الكثيرون منهم قد أصبحوا الآن لاجئين ، أو يعيشون تحت سيطرة قوات الاحتلال الاسرائيلى . وصـــاح بيجين : فلسطينيون ! هذه اشارة غير مقبولة ! ، فاليهود ايضا فلسطينيون ! ، لابد أنه يعنى : العرب الفلسطينيين ! . وقد تطور ذلك لكى يصبح احد القضايا العويصة ، التى لم يتم حلها الا عن طريق اضافة هوامش خاصة فى الاتفاقية التى تم التوقيع عليها » .

« وواصل بيجين صياحه ، قائلا ، الأراضى المحتلة ! لقـــد احتلت مصر غزة أيضا ! . وبينت له ان مصر لا تدعى الســـيادة على غزة » .

« واستطرد بيجين صائحا : مستوطنات سيناء ! ان هناك اجماعا قوميا فى اسرائيل على بقاء المســتوطنات » .

« ونشب بيننا نقاش حاد حول الحدود . فقد كان مقـــدار

التعديلات التى يتعين ادخالها على حدود عام ١٩٦٧ ، موضع جدال مستمر . ويتلخص الموقف العربى الرسمى فى انه يجب أن تعود الحدود الى نفس المواقع التى كانت عليها قبل حرب الأيام الستة . أما الاسرائيليون ، فقد كانوا يطالبون بالحد الأقصى من المرونة فيما يتعلق بالحدود النهائية . بل ان بعض القادة الاسرائيليين ، ليس من بينهم بيجين ، كانوا يطالبون بتقسيم أراضى الضفة الغربية المتنازع عليها . وقلت للوفد الاسرائيلى : ان السؤال المحورى هو : هل أنتم مستعدون للانسحاب من الأراضى المحتلة ، والى الالتزام بحقوق الفلسطينيين ، فى مقابل ضمانات مناسبة لأمنكم ، بما فى ذلك عقد معاهدة سلام معترف بها دوليا ؟ . وقلت : واذا لم تكونوا مستعدين ، فان مصر سوف تتخلى ، فى النهاية ، عن عملية السلام ، وسوف تنقلب قوة العرب بأكملها ، وربما الرأى العام العالمى أيضا ، ضدكم)) .

((وكان التوسع فى انشاء المستوطنات ، فى ظل حكومة بيجين ، يثير الشكوك حول ادعاء الجانب الاسرائيلى بأنه يساوم بنية طيبة فيما يتعلق بالتقليل من النفوذ الاسرائيلى فى الضفة الغربية . وكان ذلك يمثل جذور فقدان السادات للثقة فى دوافع بيجين . ولابد لى أن أعترف اننى كنت أشارك فى الاعتقاد بأن الزعيم الاسرائيلى يمكن ان يفعل أى شىء فيما يتعلق بسيناء والقضايا الأخرى ، وذلك لكى يحمى التواجد الاسرائيلى فى يهودا والسامرا .ولقد عبرت عن وجهة النظر هذه بأكبر قدر ممكن من الوضوح . ولكن اجابة بيجين كانت تتسم بالمراوغة . فقد قال أن موضوع ادخال تعديلات طفيفة أو رئيسية على حدود ما قبل ١٩٦٧ ، سوف يثار فقط اذا لم يكن هناك مشروع للسلام ، وفقط عندما تكون هناك ضرورة لاقامة حدود بين نهر الأردن والبحر . وكان اقتراحه هو ان يعيش الجميع معا ببساطة فى سلام ، وأن يتم تقرير مسألة السيادة فيما بعد)) .

« كنا نناقش قضـــية محورية . وازدادت المناقشة حـــدة وســـخونة » .

« واجبت بأن التزام اسرائيل بالانســـحاب شرط ضرورى ، ولكننى لا أحـــاول تحديد مدى هذا الانسحاب » .

« وتساءل دايان : ما الذى يعنيه الانسحاب ؟ . القـــوات ، والمستوطنات ؟ . وهل سوف ينظر لى بوصفى اجنبيا فى الضـــفة الغربية ؟ . وهل سوف أحتاج لتأشيرة دخول للذهاب الى اريحا ؟ . وهل يمكن للعرب ، فى ظل الحـــكم الـــذاتى ، أن يقيموا دولـــة فلسطينية ؟ . وهل سوف يمكنهم اعادة توطين اللاجئين من لبنان فى الضفة الغربية ؟ . ومن الذى سوف يتحمل مسؤولية مقـــاومة الارهابيين ؟ » . ومن الذى سوف يحمينا من الاردن ؟ » .

« وطالبت من الجانب الاسرائيلى أن يجيب على أسئلة دايان . ولكن بيجين انتقل عائدا الى مقترحات السادات ، وشرع يحللها ، مرة أخرى ، فى تفصيل دقيـــق . وكان من الواضـــح اننا نضـــيع الوقت » .

« وتملكنى الغضب . وقلت ، فيما يشبه الصراخ : ما الـــذى تريدونه لاسرائيل بالفعل اذا تم التوقيع على (معاهدة) السلام ؟ . كم من اللاجئين ، وما هو نوعهم ، يمكن أن يعـــودوا ؟ . ان من الضرورى لى أن أعرف ما اذا كنتم تحتاجون لمراقبـــة الحـــدود ، وما هى المواقع العسكرية الضرورية لحماية أمنكم . ما الذى تريدونه غير ذلك ؟ . اننى اذا عرفت الحقائق ، فاننى أستطيع عندئذ ان أناقشها مع السادات ، محاولا ارضائكما أنتما الاثنان . ان مشكلتى تتمثل فى القضايا التى لا علاقة لهـــا بالفعل بأمن اسرائيل . ويجب أن تبلغونى بتقييمكم الصريح . ذلك ان أهم عنـــاصر قوتى هنـــا هو ثقتكم . ولكننى لا أشعر أننى حائز على ثقتكم . ما الذى تريدونه

حقا من اجل الدفـــاع عن انفسكم ؟ . انه من السخف الحـــديث عن مهاجمة الاردن لاسرائيل ! . وانا اعتقد انني أستطيع ان احصل من السادات على ما تحتاجون اليه حقـــا ، ولكنني لست حـــائزا على ثقتكم !)) .

((وأجاب وايزمان : لم نكن لنكون هنا ، اذا لم نكن نثق بك)).

((وعدت أكرر النقطة التى أثرتها : انكم تراوغونني ، كمـــا تفعلون مع العرب . لقد حان الوقت لكي تتخلـــوا عن تكتمكم . قولوا لنـــا ماتريدونه حقا . ان ايماني هو أن السادات قوى بمـــا يكفى لكي يعقد اتفاقا هنـــا ، ويفرضه على الدول الأخرى . وأعتقد انني أستطيع أن أجعل السادات يوافق على مشروعكم للحـــكم الذاتي ، اذا أقنعتموه ، واقنعتموني انا أيضا ، بأنكم لا تهـــدفون الى الاحتفاظ بأجزاء كبيرة من الضـــفه الغربية تحـــت سيطرتكم الدائمة)) .

((واتهمت بيجين بأنه يريد الاحتفاظ بالضفة الغربية ، وقلت ان مقترحاته للحكم الذاتي ليست الا مجـــرد خدعة . وقد استنكر بيجين هذا الوصف بشدة ، وأثار هذا الأمر عدة مرات في مناقشات تالية)) .

((وبينما كنت انا وبيجين نهدىء من انفعالنا ، قام وايزمان برسم الخطـــوط العريضة للتغيرات التى حدثت فى الـــ ١١ عاما المـــاضية : فى الضفة الغربية ، وفى القدس ، وفى العلاقات مـــع المصريين ، وكذلك الامكانيات الجديدة مثل انشاء قوة شرطة مشتركة لمقـــاومة الارهاب . وأعلن فى وضوح ان انســـحاب المستوطنين الاسرائيليين بشـــكل كامل ، ليس أمرا ممكنا ، على عكس الحـــكم الذاتي)) .

((وأكدت مرة أخرى على شجاعة السادات ، وعلى تضحيته

بنفسه فى قيامه بمبادرة السلام . وقلت ان نزع سلاح سيناء،وتوقيع مصر على اتفاق سلام مع اسرائيل سوف يكونا بمثابة درع يحمى أمن اسرائيل فى المجتمع الدولى ، بل وفى داخل العالم العربى ، حتى بعد أن نعتزل جميعاً مناصبنا . واكدت أيضاً أن أن الشعب الاسرائيلى قد وجد فى بيجين رئيسا للوزراء اثبت له انه على استعداد لأن يهب حياته ذاتها من اجل أمن اسرائيل . وهكذا ، فاننا اذا اضعنا هذه الفرصة ، فانها لن تتاح لنا مرة أخرى)) .

((ولكن كل ذلك لم يكن له إدنى تأثير على بيجين . فقد عاد مرة أخرى الى وثيقة السادات ، وقال انها سوف تجبر اليهود أن يصبحوا أقلية فى بلادهم ، وانها تفوح برائحة معاهدة فرساى ، وانه بشكل عام ، فان السادات يريد سلاما مع اسرائيل، ليس ضعيفا فقط ، بل ومقضى عليه بالزوال أيضا . وقال انه يطالب بأن يسحب السادات مقترحاته المكتوبة)) .

((وقلت : ان السادات لن يسحب مقترحاته إبداً . ولكل منا الحق فى التقدم بأى شىء يرغبه . وربما كانت هذه الوثيقة تمثل وجهة نظر سعودية ، كان يتعين على السادات أن يضعها فى اعتباره . ويمكن أن يكون لرفضكم لهذه الوثيقة نفس التأثير اذا قلتم انها غير مقبولة)) .

((ثم ، بعد ذلك ، وبموافقتنا ، قام أعضاء الجانب الاسرائيلى باجراء نقاش مطول فيما بينهم باللغة العبرية . وقد أصبحت هذه وسيلة مريحة لهم للتحدث فى أمان ، دون أن يكونوا فى حاجة لقطع الاجتماعات والانسحاب من القاعة . وقد كان من نتائج اتباع هذه الوسيلة ، ولكن فى حالات نادرة فقط ، ان غير بيجين رأيه . وكانت هذه المرة ، هى احدى هذه الحالات النادرة)) .

((قال بيجين : حسنا ، لن نطالب بسحبها . سوف نقول

ببساطة انهـا غير مقبـولة)) . (كارتر ، ((مذكـرات رئيس)) ، صص ٣٤٦ ــ ٣٥٠) .

(٣) كتب كارتر عن الاجتماعى الصباحى الذى عقده هـو والسادات فى اليوم الثالث من أيام كامب دافيد (الخميس ٧ سبتمبر ١٩٧٨) يقـول :

((... منذ البداية ، قررت أن لا أتدخل فى النقاش الذى سوف يدور بين السادات وبيجين . فقد كنت أريد أن يخاطب كلا منهمـا الآخر بشـكل مباشر . وفيما كانا يتحدثان ، كنت أقوم بتـدوين الملاحظات ، دون أن ارفـع رأسى للنظر اليهما . وسرعان ما كفـا عن التحدث الى ، أو محاولة التعرف على وجهة نظرى)) .

((كان بيجين قد أعد نفسه اعدادا جيـدا ، ولـم يضـيع دقيقة واحـدة من الوقت . وكان صريحـا صراحة قاسية وهـو يناقش القضايا الواردة فى وثيقة السادات)) .

((ظل السادات صامتا ، ودون أن يبـدو عليه أى تأثر ، حتى شرع بيجين يسخر من فكرة أن تقـوم اسرائيل بدفع تعويضـات عن استغلالها للأراضى المحتلة . عندئذ قـاطع بيجين ، وتلا ذلك حـدوث مناقشة حامية . وكان السادات حانقا لأن بيجين رفض فكرة أن تدفع اسرائيل ثمن النفط المصرى ، الذى كانت اسرائيل ، فى هذه الأونة ، تقـوم باستخراجه من الآبار المصرية . واخـذا يتجادلان حـول من هزم من ، واضطررت لأن أتدخل لكى أقنعهما بأن لا أحـد منهما يدعى أن الآخر يمثل دولة مهزومة . ونجحت فى تهدئة روعهما بعض الشىء ، ولكن الارض كانت مسألة محـورية بالنسبة لكليهما ، ولم يكن من الممكن تجنب النقاش حولها . وواصلا نقاشهما حول الأراضى ، واتهم السادات بيجين بأن اهتمامه الأساسى يتركز فى الاحتفاظ بالأراضى المحتلة . ورد بيجين بأن الأمر يتعلـق

بنحو ۲٤۰٫۰۰۰ ميلا مربعـــا من الأراضى ، وأنه يعرض اعادة نحو ۹۰ ٪ منها الى مصر الآن ، ومجـــرد تأجيل مناقشة مسألة السيادة حول الـــ ۲٫۳٤۰ ميلا مربعـــا الباقية ـــ وهو رقم ظننت آنـــذاك انه يمثل مساحة الضفة الغربية وقطـــاع غزة » .

« كانت تلك حجة قوية . ولذا ، فقد قرر السادات أن ينتقل الى موضوع آخر . فقال اننا نحتاج الى مناقشة المبادىء الأساسية ، وأن لا نغرق أنفسنا فى الأرقام وعدد الأميال المربعة أو التفـــاصيل الأخرى . وقال ان من المبادىء التى لا يمكن اغفالها مبدأ عـــــدم جواز الاستحواذ على الاراضى عن طريق الحرب . وقال ان ذلك هو لب المشـــكلة . ثم مال السادات الى الامام فى كرسيه ، وأشار بأصبعه الى بيجين ، وصاح : انك ، يا رئيس الوزراء بيجين ، تريد الارض . وذكرنا السادات بأن هذه العبارة المتنازع عليهـــا قـــد استخرجت مباشرة من قرار الأمم المتحدة رقم ۲٤۲ ، الذى اتفقنا جميعا على أنه يمثل أساس جهودنا السلامية . وكان السادات جادا فى ادانته لـــ : المستوطنات الاسرائيلية على أرضى » .

« أطيح تماما بأى ضبط للنفس ، واندفعت الدماء الى وجهيهما ، وضرب بعبارات المجاملة وآداب المراسم عرض الحائط » .

« أعاد بيجين قـــوله بأنه لا يوجد زعيم اسرائيلى يمكن أن يؤيد تفكيك المستوطنات فى سيناء ، وان هنـــاك شروطا اربعـــة يتعين قبولها قبل أن يكون ممكنا اعادة سيناء الى مصر » .

« كان بيجين قد لمس جرحا مفتوحا . وظننت أن الســـادات سوف ينفجر . فقد أخذ يدق بيده على المـــائدة ، ويصيح قـــائلا أن الأرض ليست موضوعا للتفاوض ، وخاصة الأرض فى ســـيناء ومرتفعات الجولان ، لأن هذه الحـــدود معترف بهـــا دوليـــــا . وقال انه طيلة ۳۰ عاما ، كان الاسرائيليون يريدون الاعتراف الكامل ، والغـــاء المقاطعة العربية ، وضمانات للأمن . وهو ، الآن ، يعطيهم

كل ذلك ، وهـو يريدهم ان يشعروا بالأمن ، ثم صاح : الأمن : نعم ، الارض : لا . وقـال انه ليست هنـاك حاجة لتواجـد قوات للأمم المتحدة فى المنطقة ، لأن مصر واسرائيل قادرتان علـى حماية نفسيهما ، ووعد بأن لا تكون هنـاك قيود على حرية الملاحة فى قنـاة السويس او مضايق تيران ، وبانهـاء دائم لحالة الحرب ، وبما هو أكثر من ذلك . ولكنه ، كما قـال ، سوف يضطر لانهـاء المناقشة ، اذا استمر بيجين فى اثبات انه يريد الأرض » .

« كان بيجين أكثر هدوءا من السادات . وأجاب بأنه قد اثبت حسن نواياه ، بالفعل ، حين غير سياسة حكومته المسـتقرة فيما يتعلق بأراضى سيناء الواقعة ما بين ايلات وشرم الشـيخ ، وان سلفائه كانوا عازمين على الاحتفاظ بهذه المنطقة التى يعرض الآن اعادتها الى مصر ، وهو أمر بالغ الصعوبة بالنسبة اليه . وأضاف ان استمرار تواجد بضع منـازل قليلة للمستوطنين الاسرائيليين فى سيناء لا يمثل انتهاكا للسيادة المصرية » .

« وادعى السادات أن الكنيسيت الاسرائيلى قد أصدر قرارا ، فى ظل حكومة دافيد بن غوريون ، بضم سيناء . وانكر بيجين ذلك . فنشبت مجادلة حادة ، عرض فيهـا كل منهما أن يقـدم محـاضر جلسات البرلـان الاسرائيلى ، لكى يثبت وجهة نظـره . وحاول بيجين انهـاء هذه المناقشة غير المجدية ، بالاعتـراف بأن مصر لا تدعى السـيادة على غزة ، وأضاف انه ليس مسـتعدا الآن لمتابعة ادعاءاته بالسيادة على الأراضى المحتلة فى الضفة الغربيـة وغزة . كما أقر أيضا بأن الأردن تدعى السيادة على تلك الأرض » .

« ولكن هذا التنـازل لم يرض السادات ، الذى احتج بأنه لا اسرائيل ولا الاردن يمكنهما ادعاء السـيادة على الضفة الغربية ، وأن تقرير المصير لسكان هذه الأراضى هو المقياس الوحيد للسيادة وأن ذلك سوف يؤدى فى النهاية الى اقامة دولة فلسطينية ، وان

رايه ان هذه الدولة لا يجب أن تكون مستقلة ، ولا أن تكون لهـا قوات مسلحة ، وانهـا يجب أن ترتبط اما باسرائيل و بالاردن ، وانه يفضل الاردن . وقال انه يعلم أن الملك حسين يريد الضـفة الغربية ، ولكنه أكد مرة أخرى ان هذه المنطقة لا تنتمى لاسرائيل أو للأردن)) .

ثم يستطرد كارتر ليروى ما دار بين بيجين والسادات حـول لبنـان . وتكاد روايته لهـذا النقاش ان تتطابق مع الروايـة التى قدمها المؤلفون . ويمضى كارتر فى روايته لوقائع هذه الجلسة قائلا :

((... قال السادات ان العواطف الدافئة التى نبتت فى قلبه اثنـاء زيارته للقدس قد تم تدميرها لأن الحد الأدنى من الثقة لم يعد متوفرا منذ تصرف رئيس الوزراء بيجين بنية سيئة)) .

((واجبت قائلا بأن فقدان الثقـة المتبادل هذا هـو أمر أود تصحيحه ، وان كلاهما رجل شريف ودمث وشجـاع ، واننى أعرف كلاهما جيدا ، وان الاحتـرام مطلوب من جميع الأطراف ، ولكنـه يتعين دائما تصحيح سوء الفهم . وضربت مثلا على ذلك بتصريح السادات فى القدس ، الذى أعلن فيه : ان قواتى لن تتجاوز ممرى متلا والجدى ، فقد إساء بيجين فهم ما عناه السادات ، ونتيجـة لذلك فقد المحبان السادات رجل لا يلتزم بكلمته ، وشعر السادات عندئذ ، ان بيجين لا يثق به ، وأحس بمرارة عميقة لذلك . ثم اخذنا نناقش هذه النقطة لنحو ١٥ دقيقة امتلأت بالفوضى وعدم الفهم)) .

((ثم أصررت على ان لا يقاطع بيجين احـدا اثناء حديثه ، وسألت السادات عما قاله ، وعما كان يعنيه . فأعاد ترديـد نفس العبارة التى اقتبسها بيجين ، فلم يكن هنـاك خـلاف حـول ما قاله فى القدس . ولكنه مضى يقـول انه من الواضح أنه لم يكن يعنى عدم دخـول الحد الأدنى من قوات الشرطة والأمن الى

سيناء ، لحفظ الأمن على أراضيه ، وانه كان يعنى عدم دخـــول قوات مصرية ضاربة الى سيناء يمكن أن تمثل تهديدا عسكريا ضد اسرائيل)) .

((وسألته : ما الذى تعنيه بذلك ؟ . فقال : أعنى لا دبابات ، ولا مدفعية ، ولا صواريخ)) .

((فقلت : اننى لو كنت فى القدس آنذاك ، لكنت قــد فهمت عبارته على هذا النحــو ، لأنهــا التفسير المنطقى الوحيد . وكان بيجين ينصت فى اهتمام ، ولكنه لم يعلق بشىء أكثر من ذلك حــول هذه النقطة . ولكن سرعان ما أصبحت المناقشات التى دارت حول قضايا أخرى بالغة المرارة مرة أخرى)) .

((... وفى نحو الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ، وبعد ثلاث ساعات من المناقشات المستمرة ، قررنا أخذ استراحة لعــدة ساعات لكى نتشاور مع مساعدينا)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، صص ٣٥٠ — ٣٥٣) .

... ...

(٤) يقــول الرئيس الأمريكى السابق جيمى كارتر عن الاجتماع الثلاثى الثانى ، الذى عقد بعد ظهــر اليوم الثــالث من أيام كامب دافيد ، الموافق ليوم الخميس ٧ سبتمبر ١٩٧٨ :

((فى البداية ، عكس اجتماع ما بعد الظهيرة توتر مناقشات الاجتماع الصباحى . فقد عاد بيجين ، على الفور ، الى رغبتــه الأصلية فى تجنب المشاكل الصعبة فى كامب دافيد . وقال انه يجب علينا ، فيما يتعلق بالقضايا الخاصة بسيناء ، ومنها المســتوطنات والقواعد الجوية ، أن نحيلها الى القــادة العسكريين ، الــذين يمكن أن يجتمعوا فى بحر أسابيع قليلة ، لكى يتوصلوا الى تسوية الخلافات ، ثم يرفعون تقريرا الى رؤساء الدول كى يصدقوا علــى هذه التسوية ، وقال انه لا يهمه أين تعقد هذه المفاوضات)) .

« ورد السادات على ذلك بسرعة ، قائلا ان ذلك سوف يكون مضيعة كاملة للوقت ، وانه بدون صدور توجيهات محددة من القمة ، فان وزير دفاعه لن يكون باستطاعته ان يتفاوض باسم مصر . وأضاف انه لن يتنازل بشأن المستوطنات الاسرائيلية تحت أى ظرف من الظروف ، وانه لن يكون هناك ابدا أى تواجد عسكرى فى مطارات سيناء . كذلك وافق على انه لا أهمية لأين يعقد الإجتماع » .

« وقال بيجين ان السادات سوف يسترد سيناء ، ولكن يجب علينا جميعا أن نتذكر أن اسرائيل قد تعرضت للويلات مرارا عندما أرسل الملك فاروق والرئيس عبد الناصر والرئيس السادات القوات المسلحة المصرية لكى تهاجم اسرائيل انطلاقا من هذه المنطقة (أى سيناء) . وذكر السادات بالطبيعة المؤقتة لزعامتنا، فى مقابل ديمومة نتائج القرارات التى تتخذها . وحاول اقناع السادات بأن نحاول التزام الحرص البالغ لكى لا نرتكب أخطاءا نتيجة العجلة التى لا داعى لها (كذلك ، فقد أحسست باليقين انه يحاول تأجيل قرار اجلاء المستوطنات والمطارات الاسرائيلية) . وقال انه لن يبقى فى منصبه أكثر من العامين ونصف العام ، وان السادات قد أعلن من قبل انه لن يعيد ترشيح نفسه . وهز السادات رأسه . وأضاف بيجين ان الرئيس الأمريكى لن يستطيع أن يبقى فى منصبه أكثر من ست سنوات أخرى . وعلى ذلك ، فان مدة بقائنا فى مناصبنا محدودة ، بينما سوف يكون اتفاقنا دائما . وقال بيجين ان الخلافات فيما بينهما فيما يتعلق بمراحل التطبيق تدور حول فترة لا تتجاوز من ٣ الى ٥ سنوات ، وانه اذا كان لدى السادات مقترحات مضادة فيما يتعلق بالجدول الزمنى لاتفاق سيناء ، فانه يشرفه أن ينظر فيه . ثم استطرد يوضح السبب فى رغبة اسرائيل الاحتفاظ بالمطارات لعدة سنوات قليلة تحت سيطرتها العسكرية ، ثم تستبقى واحدا منها ، على الأقل ، للاستخدام المدنى » .

« وقرر السادات انه لن يسمح اطلاقا بسيطرة عسكرية اسرائيلية أو أمريكية او أى جنسية أخرى على الأراضى المصرية ، وان مصر لا حاجة لها بالمطارات التى اقامتها اسرائيل ، وانه يفضل حرثها بعد الانسحاب الاسرائيلى » .

« ثم تساءل رئيس الوزراء ، بعد ذلك ، عن حرية الملاحة فى مضايق تيران ، وما اذا كان السادات سوف يلتزم بما وعد به من جعل هذه المضايق ممرات مائية دولية . وقال السادات : بالطبع، لقد قلت ذلك من قبل ، وسوف افى بما وعدت به » .

« ثم قدم السادات عرضا بليغا مطولا عن الشعب المصرى ، وكيف انه استجاب بحماسة لمبادرته السلامية ، وكيف انهم لا يهتمون بالمساومات المعقدة مع اسرائيل ، واضاف : انهم لن يقبلوا ابدا أى اعتداء على أراضيهم أو سيادتهم . وعندما يقول رئيس الوزراء بيجين انه سوف يبقى المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء ، وانه سوف يدافع عنها بقواته المسلحة ، فان ذلك يمثل اهانة بالغة لمصر . ولقد حاولت ان أقدم لبقية زعماء العالم العربى نموذجا للصداقة وللتعايش السلمى كى يحتذونه. وبدلا من ذلك فقد أصبحت محطا للاهانات البالغة من قبل اسرائيل ، وللادانة والاحتقار من جانب القادة العرب الآخرين . وان سلوك اسرائيل يمثل عقبة كؤودا امام الدول العربية الأخرى التى ترغب فى عقد سلام مع اسرائيل . ان مبادرتى لم تكن ضعفا ، بل كانت نتيجة الشعور بالقوة والثقة فى النفس . واذا نجحنا فى كامب دافيد ، فاننى لازالت أحلم بأن نلتقى نحن الزعماء الثلاث ، كممثلين لأمم ثلاث ، وديانات ثلاث فوق جبل سيناء . ولايزال ذلك هو دعائى الذى اتوجه به الى الله » .

« ... ورد بيجين على ما قاله السادات ردا طيبا ، ووافق على الاقتراح بأن نجتمع ثلاثتنا فوق قمة جبل سيناء . ثم ذكرنا ان

دعوة السادات واستقباله فى القدس كانت تتطلب ، أيضا ، قدرا كبيرا من الشجاعة ، بوصفه كان القائد الأعلى لأمة شنت هجوما غادرا على اسرائيل قبل اربعة اعوام فقط من ذلك ، وان آلافا من الجنود الاسرائيليين الشبان قد لقوا حتفهم فى حرب أكتوبر ، وان الحفاوة وكرم الضيافة التى استقبل بها الشعب الاسرائيلى السادات فى القدس تدل دلالة واضحة على عمق ورغبتهم فى السلام » .

« ثم قدم ، بعد ذلك ، حجة قوية ، أثارت ضيق وحنق السادات البالغين . فقد قال ان السادات يستطيع ان يؤثر بسهولة فى الشعب المصرى ، وأن يشكل آراءه ومعتقداته كما يشاء . فقد اتى وقت اقنع فيه السادات الشعب المصرى ان الاتحاد السوفيتى هو أفضل أصدقائه . ولكن لأن السادات غير رأيه فى السوفييت ، بعد ذلك ، فانهم لم يعودوا أصدقاء الشعب المصرى ، الذى استقبل بحماس بالغ قراره بارجاع ١٩٫٠٠٠ فنيا وخبيرا سوفيتيا الى بلادهم . وقال ان السادات أقنع شعبه فى عام ١٩٦٧ بأن اسرائيل هى ألد أعدائهم ، وان الخطر الذى يتهدد مصر يأتى من الشرق ، وان نفس الشىء قد حدث فى عام ١٩٧٣ ، وكانت نتيجة ذلك اندلاع حربين ، وانه بعد أربعة أعوام من ذلك ، وفى عام ١٩٧٧ ، استقبل الشعب المصرى السادات بوصفه بطلا ، وحيا مبادرته السلامية بحماسة ووافق بحرارة على قوله ان الاسرائيليين الآن قد أصبحوا أصدقاء مصر . وقال بيجين انه من الواضح ان آراء الشعب المصرى يمكن تغييرها فى ظل قيادة قوية » .

« واستطرد بيجين قائلا : انه من المهم الآن ان يقبل الشعب المصرى هذا العدد القليل من المستوطنين الاسرائيليين فى سيناء بوصفهم لا يمثلون اى تهديد لأمنه ، او اى انتهاك لسيادته ، وان

عدد المستوطنين لا يتجاوز ۲۰۰۰ اسرائيليا يقيمون فى ۱۳ مستوطنة فقط فى سيناء ، وان السادات يستطيع أن يقنع شعبه بقبولهم بوصفهم ضيوفا دائمين)) .

((بدا كما لو ان المباحثات حول مستوطنات سيناء قد وصلت الى طريق مسدود تماما . فبعد عدة دقائق أعلن السادات فى غضب اننا قد وصلنا الى نهاية الطريق ، وانه لا يرى سببا يدعو لاستمرار المناقشات ، وان المناقشات قد انتهت فيما يتعلق به . ثم قام السادات واقفا ، متجاهلا بيجين ، ونظر الى)) .

((شعرت وكأن ظهرى قد أصبح الى الحائط ، وبسرعة قمت بتوضيح مجالات الاتفاق ، والنتائج العكسية التى سوف تلحق بالاثنين اذا ما انهارت جهود السلام بسبب الخلافات موضع المناقشة . وأكدت الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط ، وذكرتهما بأن اندلاع حرب جديدة فى هذه المنطقة المشتعلة ، وفى مثل الظروف الحالية ، يمكن ان يؤدى بسهولة الى نشوب حرب عالمية . وطلبت منهما أن يمهلانى يوما واحدا على الأقل ، كى احاول ، بقدر ما أستطيع تفهم مواقف الوفدين ، وتكوين رأيى بشأن الحلول الوسط الملائمة . وأوضحت لرئيس الوزراء بيجين انه لو كان السبب الوحيد لرفضه لجهود السلام هو المستوطنين الاسرائيليين فى سيناء ، فاننى لا أعتقد ان الشعب الاسرائيلى أو الكنيسيت سيوافقانه على ما فعل)) .

((اعترض بجين على ذلك وقال انه لا توجد وسيلة ما لاقناع حكومته أو شعبه بتفكيك المستوطنات الاسرائيلية (وكان يصر دائما على استخدام تعبير : تفكيك ، رغم اننا أوضحنا له انه ليست هناك ضرورة تحتم هدم المبانى ، التى يمكن استخدامها بعد جلاء الاسرائيليين ، اذا أراد ذلك) . وقال ان اجلاء المستوطنين سوف يعنى سقوط حكومته ، وانه مستعد لقبول ذلك لو كان يؤمن بالقضية ، ولكنه ، فى الواقع ، لا يؤمن بها)) .

« كان الاثنان يتحركان معا صــوب الباب . فوقفت أمامهما كى أسد الطريق ، وحثثتهما ان لا يقطعا مباحثاتهما ، وان يعطيانى فرصة اخرى لاستخدام نفوذى وتحليلاتى ، وأن يثقا بى . ووافق بيجين على ذلك بسرعة (الأمر الذى يشير الى انه لم يكن يأخذ الأمر مأخذ الجدية — المترجم) . وحدقت بعينى فى عينى السادات ، واخيرا ، هز رأسه موافقا . وغادرا الغرفة ، دون أن يتحــدث أحدهما مع الآخر » . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ، ص ٣٥٧ — ٣٥٩) .

... ...

(٥) يقول دايان عن هذا الاجتماع الثالث ، الذى عقد بعد ظهر نفس اليــوم :

« اجتمع الثلاثة الكبار بعد ظهر اليوم التالى لســماع عرض بيجين لموقف اسرائيل ، ولتقديم رده على مقترحات الســادات . وقــد ناقش هــذه المقترحات فقرة فقرة ، وشرح لمــاذا ترفضها اسرائيل . وعلى سبيل المثال ، فقد كانت احدى هــذه الفقرات تعنى اقامة دولة فلســطينية ، فى الوقت الذى كان فيــه كل من السادات وكارتر قد صرحا لنا مرارا انهما يعارضان ذلك . وقــد أجاب السادات بأن الأمر كذلك ، ولكن هذه الدولة ســوف تكون منزوعة السلاح ، ولن تتمتع بأى استقلال ، وانما ســوف ترتبط بالأردن . وقال السادات انه يطالب ، فى الواقع ، أن يتم تقــرير هذه المسألة عن طريق استفتاء الفلسطينيين ، وانه من الممكن أن نضمن مقدما أن تؤيد نتيجة الاستفتاء الارتباط بالأردن (لا شك انه كان يفكر فى الســيد نبوى اسماعيل آنذاك) . وأضاف السادات انه ، زيــادة على ذلك ، فانه اذا رفض الملك حسين التوقيع على اتفاق سلام بين الضفة الغربية واسرائيل ، فانه — أى السادات — مستعد لأن يفعل ذلك نيابة عن الفلسطينيين » .

« وقد احتكر السادات وبيجين معظم الحديث فى هذا الاجتماع ، بينما كان كارتر ينصت فى عنـاية الى المناقشات بينهما وهما يتنقلان من موضوع الى آخر : الترتيبات فى سيناء ، مساعدة اسرائيل للمحاربين المسيحيين فى لبنان ، مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة وتواجـد القوات الاسرائيلية فى هـذه الأراضى ، المستوطنات الاسرائيلية ، مطالبة السادات بالسيادة العربية على القدس الشرقية والتى كانت تعنى اعادة تقسيم المدينـة ، غياب مسألة تبـادل التمثيل الدبلوماسى بين اسرائيـل ومصر من المقترحات المصرية » .

« وكان بيجين قد ذهب الى هذا الاجتماع وهو يتميز غضبا من وثيقة السادات بشأن اطار السلام ، ولكنه خرج من الاجتماع وهو راض تماما ، وقال لنا : لقـد كسرنا الجليد . ولو كان قد حـدث حقا ذوبان للجليد ، فان كارتر والسادات لم يلحظا ذلك . ذلك ان هـذه المناقشة بين بيجين والسـادات لم تكن فقط الأولى بينهما هناك ، بل كانت الأخيرة كذلك » .

« وقد كانت النتيجة البناءة الوحيدة لهذا الاجتماع هى قرار كارتر بان الوقت قد حان كى تتقدم الولايات المتحدة بمقترحاتها الخاصة . فقد ادرك كارتر ان الهوة التى تفصل بين القـائدين ، الاسرائيلى والمصرى ، واسعة جدا ، وان فرص توصلهما الى تفاهم ضـئيلة للغـاية . وان الأمر يقتضى أن يدخلا قـدرا من الاعتدال على موقفيهما ، وان ذلك لن يحـدث الا اذا طالبتهما الولايات المتحـدة بذلك » .

« وقد سارع السـادات بنشر المقترحات المصرية فى الصـحف المصرية ، وذلك حتى تعرف البلدان العربية انه لم يقدم اية تنازلات لاسرائيل ، وانه التزم بدقة بالخط العربى المتطرف . كيف يستطيع اذن أن يواجه الاتهام الذى سوف يوجه اليه فيما بعد بأنه لم يلتزم بكلمته ؟ . كان يستطيع أن يجيب على ذلك بقوله : اننى لم اتنازل عن شىء لاسرائيل ، ولا بوصة واحدة ، وانما استجبت فقط لنـداء الرئيس كارتر ، وهو صـديقنا وحليفنا ، وهو حليف يقدم الينـا ما نحتاجه من عون » .

« وكان بيجين ، بطبيعة الحال ، يضع فى حسابه ايضا الزاوية الامريكية . وكان ، وهو يناقش السادات ، يرقب بعناية تعليقات كارتر وتعبيرات وجهه ، محاولا أن يتبين اى النقاط يؤيدها وأيها يقف منها موقف المعارضة . ولم يكن رئيس الولايات المتحدة يتدخل كثيرا ، ولكنه كان يقوم بتدوين ملحوظات كثيرة عن القضايا موضع النزاع . وقام ، قرب نهاية الاجتماع ، بقراءة قائمة بهذه القضايا للسادات وبيجين ، وقال انه سوف يعد مقترحاته الخاصة بشأن حلها . وكان يمكن ، آنذاك ، التكهن بنمط تفكيره فيما يتعلق ببعض الموضوعات . وكان أهم ما قاله بشأن ذلك هو تعليقه على حجج بيجين ، حين قال انه اذا عرض بيجين على الكنيسيت قرارا بازالة المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء ، فان هذا القرار سوف يحظى بالأغلبية . وقد عارضه بيجين فى تقييمه هذا ، ولكن الفكرة رغم ذلك ظلت تثير القلق فى نفسه » .

(دايان ، « الاختراق » ، ص ١٦٢ — ١٦٤) .

* اما وزير الخارجية المصرى الأسبق محمد ابراهيم كامل ، فيقول عن نفس الاجتماع :

« بعد عودة الرئيس السادات من اجتماعه الثانى بالرئيس كارتر ومناحم بيجين ، توجهت مع التهامى وحسن كامل وبطرس غالى واشرف غربال وأسامة الباز الى مقر اقامته ، وجلسنا معه فى التراس الخشبى . وقد حكى لنا انه دارت بينه وبين بيجين مناقشة عنيفة حول المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء ، عندما أعلن بيجين انه لن يتخلى عن هذه المستوطنات بأى حال ، وان المسألة ليست مجرد رغبة او نزوة فى الاحتفاظ بهذه المستوطنات للذكرى ، وانما لانها تشكل حزام أمن يحمى اسرائيل من الهجمات عليها ، وانه لا الحكومة ولا المعارضة الاسرائيلية تستطيع بحال الموافقة على اخلاء هذه المستوطنات ، فأمن اسرائيل مقدس وحيوى بالنسبة للجميع . وذكر بيجين انه يمكن التوصل الى الصيغة المناسبة للابقاء على تلك المستوطنات بما يرضى

الرئيس السادات ويقنعه بأن بقاءها لا يتعارض اطلاقا مع السيادة المصرية على سيناء ، التى ستعود كاملة الى مصر ، وانه لا هو ولا الشعب المصرى يقبل بقاء مستوطنة واحدة ، أو مستوطن ، او جندى اسرائيلى على أراضينا ، أو أن توضع المستعمرات تحت اشراف الامم المتحدة مثلا)) .

((وقد رفض السادات كل ذلك تماما ، وقال : ان أرضنا مقدسة ولن أوقع على أى اتفاق ، ما لم تحل هذه المستوطنات جميعا)) .

((وبالنسبة للضفة الغربية وغزة ، قال السادات أنه تصدى لكل حجج بيجين ، ومن بينها أن من شأن الموافقة على ماورد فى المشروع المصرى أن تقوم دولة فلسطينية ارهابية ، وهو ما يشكل خطرا قاتلا بالنسبة لهم ، وأن ذلك يتعارض مع ما سبق أن أبلغه به الرئيس كارتر ، والرئيس السادات نفسه ، من انهما لا يؤيدان قيام دولة فلسطينية مستقلة . وقد رد عليه السادات بأن ذلك صحيح ، ولكن ما يشير اليه مشروع اطار السلام ، هو قيام دولة فلسطينية مرتبطة بالأردن ، وليست مستقلة ، فضلا عن أنه يمكن أن تكون هذه الدولة منزوعة السلاح . وقال السادات ان بيجين رفض كل ما ورد فى مشروعنا بشأن الضفة الغربية وغزة ، وان السادات رد عليه بأنه لن تكون هناك تسوية بدون حل القضية الفلسطينية ، وانه لذلك يعلن أمام الرئيس كارتر وبيجن ، انه لن يوقع على أى اتفاق بشأن سيناء ، قبل التوصل الى اتفاق حول الضفة الغربية وقطاع غزة)) .

((وأخبرنا السادات أن الرئيس كارتر قد طلب ، بعد انصراف بيجين ، عقد اجتماع ثنائى امريكى — مصرى برئاستهما ، على ألا يزيد عدد معاونى كل منهما على ثلاثة اعضاء . واتفق على أن يبدأ الاجتماع بعد نهاية عرض رجال البحرية الامريكية الذى سيقام فى المساء)) . (كامل ، ((السلام الضائع)) ، ص ٥٠٢ و ٥٠٣) .

(ولابد أن القارىء قد لاحظ هذا التشابه الكبير بين عرض مؤلفوا الكتاب لهذه الجلسة وبين العرض الذى قدمه محمد ابراهيم كامل نقلا عن السادات) .

* اما وزير الخارجية الأمريكية الأسبق " سيروس فانس " فانه يكتفي فى كتابه ((خيـارات صعبة)) بتقديم عرض اجمـالى لمـا دار فى الاجتماعين الثلاثيين ، وذلك على النحو التالى :

((كان هناك ، فى مؤتمر القمة ، مجموعتان من المقترحات ، موضوعتان على مائدة الاجتماعات . المجموعة الأولى : المقترحات التى تقدم بهـا بيجين فى شهر ديسمبر ١٩٧٧ بشأن سيناء والحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزه " والمجموعة الثانية هى : المقترحات التى تقـدم بهـا السادات قبيل مباحثات قلعة ليدز والتى رفضتها اسرائيل على الفور والخاصة بالضفة الغربية وغزة . وفى اليـوم الثانى لمؤتمر كامب دافيد ، تقـدم المصريون بمقترحات باطار للسلام الشامل . ومن ناحية أخرى ، كانت فى جيبنا مسودة منقحة لاطار سوندرز للتسوية الشـاملة ، والتى كنت أنا وهـو واثيرتون وكوانت قد قمنا باعدادها فى شهر أغسطس المـاضى)) .

((وقد اتسم اليومان الأولان من أيام مؤتمر القمة بما فيهمـا من جهود استطلاعية ، وتركزت المناقشات فيهما حـول اهـداف المؤتمر والفروق بين مقترحات كل من الجانبين . وقد قضى كارتر الكثير من وقته مع بيجين والسادات ، وكانت اجتماعاته بهما تأخذ فى بداية الأمر الشكل الثلاثى ، ثم بدا ، بعـد ذلك ، يعقد معهما اجتماعات ثنائية " حين رأى أن بيجين والسادات يميلان الى التصلب حين يواجه احدهما الآخر . وكان هـدف كارتر فى الاجتماعات القليلة الأولى هو اشاعة جـو من المـودة بين القـادة الثلاثة ، والقضـاء على سـوء الظن والعـداء بين بيجين والسادات ، وأن يقنعهما بالأهمية الفائقة لكل منهما التوصل الى اتفاق فى كامب دافيد . وفى الواقـع أن البيان الذى صدر عقب

الاجتماعات القليلة الأولى قد تغاضى عن القضـايا الجـوهرية والخلافات الرئيسية ، وركز فقط على الآمال المشتركة فى السلام . وكان كارتر يريد فى البداية أن يضع المؤتمر على مستوى رفيع ، وأن يعكس الايمـان الدينى العميق والأهداف الانسانية للقـادة الثلاثة » .

« كذلك عقدت أنا والمجموعة التقنية اجتماعات منفصلة مـع الوفدين الاسرائيلى والمصرى يوم الاربعـاء ٦ سبتمبر لاستيضاح بعض النقاط فى المقترحات المصرية والاسرائيلية . وتواصلت هـذه المناقشات الثنائية يومى الخميس والجمعة . وقد كشفت لنا هـذه المناقشات مدى عمق الهوة التى تفصل بين الجانبين فيما يتعلـق بالقضايا الأساسية » .

« وفى الصباح الباكر يوم السبت ٩ سبتمبر ، قررت المجموعة السياسية ، فى اجتماع رأسه كارتر ، وبعد النظـر فى تعثر الجهود التى بذلت طوال الأيام الأربعة الأولى للمؤتمر من أجل اجتياز الهوة العميقة التى تفصل بين مقترحات الجانبين ــ قررت المجـموعة أن الوقت قد حان للجوء الى وثيقة أمريكية تكون نقطة انطـلاق للمفاوضات . وتقرر أنه بعد استئناف العمل يوم الأحـد ، عقب عطلة السبت الاسرائيلية ، أن تكون هنـاك مسودة مشروع أمريكى لاطار السلام قد تم اعدادها لمناقشتها مع بيجين والسادات » .

« وفى الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم ، ذهبـت الى الكابين الذى كانت تعمل به المجموعة التقنية ، واخطرتهم بقـرار المجموعة السياسية . وقلت لهم ان الرئيس يطلب اعـداد مسودة المشروع فى الساعات الأولى من بعد الظهيرة . وكنا قد توقعنا مثل هذا الطلب . واستطاع سوندرز ، الذى ظل يعمل معظم ليلـة الجمعة ، أن يقوم بتنقيح مسودة اغسطس لاطار السلام،كى تراعى المقترحات المصرية والاسرائيلية التى تم تقديمها عند بدء اجتماعات مؤتمر كامب دافيد . وقمت أنا وبرزيزنسكى واعضاء المجمـوعة

التقنية بمراجعـــة النسخة المنقحة حتى غدت جاهزة لمناقشتها مع الرئيس)) .

(فانس ، ((خيارات صعبة)) ، ١٧٧ و ١٧٨) .

... ...

(٦) يقــول محمد ابراهيم كامل عن هذا الاجتماع :

((فى اليوم التالى ، ٧ سبتمبر ، اتصل بى سيروس فانس ، وطلب ان اقابله فى التراس الملحق بمبنى قاعة الاجتماعات فى الساعة الحادية عشر . وذهبت مع احمد ماهر فى الوقت المحدد ، ولم يلبث أن حضر فانس ، وكان يصحبه والتـــر مونديل ، نائب الرئيس الأمريكى . وقال فانس انه اطلع على مشروعنا : اطار السلام ، وانه يود مناقشة بعض النقاط وابداء بعض الملاحظات الأوليـــة عليـــه)) .

((والنقطة الأولى تتعلق بالبند الثانى من المـــادة الثانية ، والتى تنص على : ازالة المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة، طبقا لجـــدول زمنى يتفق عليه خلال الفترة المشار اليها فى المادة السادسة (تنص المـــادة السادسة على : تبرم معاهدات الســـلام خلال ثلاثة اشهر من تاريخ توقيع الأطراف المعنية لهذا الاطـــار ، ايذانا ببدء عملية السلام) . وقال فانس ان الموقف واضـــح فيما يتعلق بالمستعمرات الاسرائيلية فى سيناء ، وانهم يتفقون معنـــا فى وجوب ازالتها . اما المستوطنات فى الضفة وغزة ، فازالتها مشكلة كبرى ، ولن يمكن التوصل بأى حال الى موافقة اسرائيل على ذلك، لأن ذلك يهدد امنها)) .

((وكنت اعلم بالطبع استحالة قبول اسرائيل لذلك ، ولكنى قلت : ان هذه المستعمرات تشكل تعديا غير مشروع على الأراضى العربية المحتلة ، وانتم انفسكم تقرون بعدم مشروعيتها ، وبأنهـــا عقبة فى سبيل السلام ، فكيف نطمع فى اقامة ســـلام ، وهـــذا العدوان المجسد على الأراضى العربيـــة قـــائم بدون ازالة ؟ .

اما اننا سنتوصل الى تحقيق سلام حقيقى دون مشاكل تطيح به ، أو اننا ان ننجح فى تحقيق السلام على الاطلاق » .

« ودارت مناقشة تمسكت بموقفى خلالها ، الى أن قال موندييل : مارأيك ، هل توافق على تجريد المستوطنات القائمة فى الضفة وغزة ؟ » .

وانتهى الأمر بأن عرضوا النقاط التالية :

(١) تجميد المستوطنات لمدة خمس سنوات .

(٢) تحويل بعض المستوطنات المدنية الى معسكرات ، فيما لو اتفق على بقاء القوات الاسرائيلية فى معسكرات محددة خلال الفترة الانتقالية .

(٣) اجراء مفاوضات خلال الفترة الانتقالية ، تشترك فيها الأردن والفلسطينيون تتناول مستقبل المستوطنات .

وانتهيت الى أن قلت : انى شخصيا موافق مبدئيا على التجميد لمدة السنوات الخمسة ، مع التحفظ بعرض الأمر على الرئيس ، بعد بحثه مع باقى أعضاء الوفد المصرى ، وبشرط أن يشمل التجميد عدم توسيع رقعة المستعمرات القائمة أو انشاء مستوطنات جديدة بالطبع » .

وفى قرارة نفسى ، كنت سعيدا بهذا الحل . خاصة وقد جاء اقتراحه من قبل الجانب الأمريكى . ثم أبدى فانس الملاحظات التالية :

(١) أنه فيما يتعلق بالقدس ، لا يشير المشروع المصرى الى عدم تجزئة المدينة .

(٢) فترة الأشهر الثلاثة الواردة فى المادة الثالثة ، يحسن أن يذكر بدلها : بدون ابطاء .

(٣) سأل : هل الاختصاص الالزامى لمحكمة العدل الدولية ــ المشار اليه فى البند رابعا من المادة الثانية ــ له سوابق ؟ .

(٤) كما أبدى انه يحسن الغاء البند ثامنا من المادة الثانية ،

بشأن تعهد اسرائيل بدفع تعويضـــات عن الأضرار التى سببتها للسكان والمنشآت المدنية ، واستغلالها لثروات الأراضى المحتلة ، باعتبار أنه قد يثير مشاكل .

(٥) وقال انه يقترح كذلك الغاء المـــادة التاسعة ، لأن المادة الثامنة تغطيها .

(٦) واقترح أن يكون التعبير الخاص بقيام أمريكا بعمل شيء ، هو : ستدعى الولايات المتحدة)) .

((وقد وعدته ببحث هذه الملاحظات والرد عليه)) .

((وشعرت واحمد ماهر بالارتيـــاح وبالتفـــاؤل ازاء الموقف الأمريكى . فاذا كانت هذه هى ملاحظـــاتهم الأولية على المشروع المصرى ، فعلى العين والراس . فذلك يعنى ، بمفهوم المخالفة ، انهم يوافقون على الأساسيات فى مشروعنا ، فيما عدا موضـــوع ازالة المســـتوطنات فى الضفة الغربية وغزة . ومع ذلك ، فقـــد نقدوا بحل عملى من شأنه وضع حد لانتشار خطـــر الاســـتعمار الاستيطانى السرطانى فى أنحاء الضفة الغربية وغزة وهو التطبيق العملى للمخطط الاسرائيلى الذى يستهدف ضم ما تبقى من الأراضى الفلسطينية الى اسرائيل)) . (كامل ، ((الســـــلام الضائع)) ، ص ٤٩٩ — ٥٠٢) .

... ...

(٧) لا يذكر دايان شيئا عن هذا الاجتماع .

... ...

(٨) يقول محمد ابراهيم كامل عن هذا الاجتماع :

((فى نحو الساعة الحادية عشر مساء ، دعانى السفير (الأمريكى فى القاهرة) ايليتس الى ترك الحفـــل (أى استعراض منشـــأة البحرية الأمريكيـــة المذكور فى النص) ، والتوجه مـــع التهامى وبطرس غالى للاشتراك فى الاجتماع المصرى الأمريكى . وقد التقى الجانبان فى احدى غرف الاجتماعات الصغيرة ، بالمبنى المواجـــه

لصالة الطعام . وجلس الرئيسان جنبا الى جنب ، حــول مائدة مستديرة يكسوها الجــوخ الاخضر ، وتعلوها اضاءة قوية . وعلى شمال الرئيس كارتر ، جلس نائبه والتر مونديل ثم سيروس فانس ثم بريجنســكى . وعلى يمين الرئيس الســادات ، جلس حسن التهامى ثم انا ثم بطرس غالى)) .

((وبدأ الرئيس كارتر الحديث بأن عبر ، من جديد ، عن شكره الرئيس الســادات ورئيس الوزراء الاسرائيلى على قبولهما التلقائى تلبية الدعوة للاجتماع الثانى فى كامب دافيد ، وهو ما يتيح فرصة طيبة لكسر الجمود الذى أصاب المفاوضات ، وتحقيق تقــدم على طريق السلام . ثم اشاد بمبادرة الرئيس بزيارة القــدس ، واثنى على شجاعته وحكمته ، وحنكته السياسية ، وبعد نظره ، واصراره على تحقيق الســلام . ثم انتقــل ، بنفس الصــوت والنبرات ، الى امتداح مناحم بيجين ، بوصفه زعيما شــجاعا ، وسياسيا حنكا ، ورجل سلام سارع بالتجاوب مع مبادرة الرئيس السادات التاريخية . ونظرت الى الرئيس السادات ، ولاحظت ، على الفور ، انه تضايق ، واصــابه الامتعاض ، من جراء امتداح كارتر لبيجين ، ووضعه على قدم المساواة معه)) .

((وقال الرئيس السادات : اننى انا الذى قمت بمبادرة السلام . ولو كان بيجين راغبا فى تحقيق السلام حقا ، لكنا قد وصلنا الى ذلك منذ مدة ، ولم يكن هنــاك ما يدعو الى وجودنا هنا)) .

((واشعل الرئيس غليونه ، وشرع يدخن ، وينفث الدخان من انفه ، وشخصت عيناه الى الأمام دون اى تعبير)) .

((وسمعت صوت حسن التهامى يصيح : يا صاحب السعادة . والتفت اليه الرئيس كارتر ، فقال : لقد قابلت موشى دايان ، وزير خارجية اسرائيل ، فى المغرب مرتين قبل المبــادرة ، وابلغنى ، فى المقــابلة الثانية ، ان رئيس وزراءه بيجين قد وافق على الانسحاب من الضفة الغربية وغزة والجولان وسيناء ، وانهــم مســتعدون

لقبول كل شروطنا لتحقيق السلام . وكان ذلك في حضـــور الملك الحسن الثانى . ولكن عندما سافرت مع الرئيس الســادات الى القدس ، فى نوفمبر (تشرين ثانى) ، قال لى أحد كبـار أعضـاء الدائرة المقربة من بيجين : لمـاذا حضرتم الى القدس ؟ اننا سـعداء بالأوضاع الراهنة ، وباحتلالنا للأراضى التى حرزناها ، وليس من مصلحتنا السلام فى المرحلة التالية » .

« وارتسمت تعبيرات متباينة على وجوه الحاضرين ، وقـال الرئيس كارتر ، بشىء من البرود : انه من الممكن دائما أن يقـال ان أحد المقربين قال كذا أو كيت ، ولكن هذا لا يصح التعـويل عليه أو الاستناد اليه . ويمكن ان ينسب الى سين من النـاس قولا أو رواية ، ويدعى انه من الدائرة القريبة منى — بل ربمـا يكون منها فعلا — ولكن ما قاله قد يكون غير حقيقى أو محـرفا . وهناك اعتقاد شائع بأن الرئيس السادات يتصف بالمرونة ، بينما معاونوه المقربون يتصفون بالتشدد ، وان رئيس الوزراء بيجين يتصف بالتشدد ، بينما معاونوه المقربون يتصفون بالمرونة . وقـد يكون ذلك صحيحا أو لا يكون . وعلى كل حال ، فان كان صـحيحا ، فهو يشـكل توازنا مفيدا وطيبا . ولنعد الآن الى موضوعنا الذى نجتمع من أجله » .

« والقى الرئيس الامريكى نظرة على ورقة أمامه ، وقال : اريد ان اتحدث ، أولا ، عن سيناء ثم عن الضفة الغربية وغزة . واردف قائلا : ان المشـكلة الرئيسية فى سيناء هى مشـكلة المستوطنات ، والمطارات الاسرائيلية المقـامة عليها . وهنـاك تعارض واضح بين موقفى مصر واسرائيل من هذا الموضوع . فان رئيس الوزراء الاسرائيلى يتصور انه قد قـدم تنـازلات كبيرة فى سيناء ، حسبما جـاء فى مشروعه المقـدم فى الاسماعيلية . وهى تنـازلات ، فى رايه ، تزيد كثيرا عما قدمه حزب العمـل الاسرائيلى فى المـاضى . وبالنسبة الى شرم الشيخ ، فانه يرى

ضرورة وجود قوات الأمم المتحدة بهـا ، وانه لا يجـوز سحب هذه القوات الا بموافقـة الطـرفين ، المصرى والاسرائيلى ، وكذلك بموافقة مجلس الأمن)) .

((واستفسر نائب الرئيس مونـديل عن الموقـف اذا أمكن تسوية قضية المستوطنات في سيناء ، فهل سيتم التوصـل الى تسوية القضايا الأخرى ؟)) .

((وقال وزير الخارجية فانس : انه لا يوجـد أى أساس قانونى أو شرعى لبقاء المستوطنات فى سيناء ، كما ان مقتضيات أمن اسرائيل لا تتطلب ذلك . وأضاف : ان دايان وايزمان اكثر استعدادا من بيجين لتسوية قضية المستوطنات . اما قضـية المطارات الاسرائيلية فى سيناء ، فهى مشـكلة عسـكرية ، يمكن بحثها من جانب العسكريين . واشار فانس ان الوضـع فى سيناء والجولان يختلف عنه تماما فى الضـفة الغربيـة وغزة ، حيث توجد حكومة مصرية لهـا حق السـيادة على سيناء ، كما توجد حكومة سورية تستطيع السيطرة على الجولان . أما الموقف فى الضفة الغربية وغزة فيختلف ، حيث لا توجد سلطة أو سيادة واضـحة)) .

((وقال بريجنسكى : ان سيناء يجب ان تعود بالكامل الى مصر ، وانه يقترح أن تتحول بعض المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء الى مراكـز تدريب للجيش الأمريكى (وقد علمنـا ، فيما بعد ، ان هذا الاقتـراح كان بايعـاز من موشى دايان وزير خارجية اسرائيل))) .

((وتكلم الرئيس السادات باقتضاب ، فقال : ان هنـاك موضوعين ، لا يمكن بحـال من الأحـوال ، التنـازل عنهما ، وهما الأرض والسـيادة . وبالنسبة للوضع فى سيناء ، فانه يعتقد أن اسرائيل ترفض التنـازل عن المستوطنات المقـامة فيهـا حتى لا يشـكل ذلك سابقة ، تتم على اساسها المطالبة بتصفية

المستوطنات واشار الى الاقتراح الخاص بمراكز تدريب للجيش الأمريكى ، وقال انه لا يوافق عليه ، لأن فيه ضررا بموقف امريكا، وكذلك ضررا بموقف مصر)) .

((وعاد كارتر يمسك بزمام الحديث ، فقال : انه ازاء الخلافات الجوهرية بين مصر واسرائيل حول الضفة الغربية وغزة ، فانه ينوى التقدم بمشروع امريكى للتسوية ، يقوم على فكرة الحكم الذاتى ، وانه يمكن تأجيل القضايا الاساسية التى تتعلق بالسيادة على الضفة الغربية وغزة ، لمناقشتها فى نهاية الفترة الانتقالية ، كما ان مشروع بيجين هو مشروع طيب لفترة انتقالية . وبالنسبة الى المستوطنات ، فانه بالرغم من كونها غير شرعية ، الا أن هناك تفرقة بين الوضع بالنسبة الى مستوطنات سيناء ، والمستوطنات الأخرى فى الضفة الغربية وغزة. اذ تشعر اسرائيل بحاجتها الضرورية لهذه المستوطنات لاعتبارات أمنها ، حيث أن وجودها يساعد على الحد بنسبة كبيرة ، من أعمال الارهاب والتطرف التى تتعرض لها)) .

((ثم قال الرئيس الأمريكى : انه اذا لم يكن اشتراك الاردن فى أعمال الفترة الانتقالية (ممكنا) ، فانه يأمل أن تشترك مصر فى أعمال هذه الفترة ، وأن يكون لها تواجد فى الضفة والقطاع)) .

((وأضاف الرئيس الأمريكى : ان مشروعه أن يخوض فى التفاصيل ، وسوف يكتفى بالخطوط العريضة للتسوية ، حيث لا يحق لأحد الحديث باسم الفلسطينيين ، وان التوصل الى حل ناقص او جزئى — قد لا يرضى الأطراف الثلاثة — يعتبر أفضل من احتمال قطع أو توقف عملية السلام ، والعودة الى مخاطر المواجهة العسكرية . أما بالنسبة الى موضوع الانسحاب وتحديد الحدود ، فانه يمكن التوصل الى تفاهم على هذه النقط على أساس الصيغة التى اتفق عليها الرئيس السادات مع شيمون بيريز فى فيينا ، والتى تقوم على المواءمة بين أمانى الفلسطينيين ومتطلبات أمن اسرائيل)).

« وأنهى كارتر عرضه لفلسفة مشروعه المرتقب قائلا : انه من الناحية العملية ، اذا وافقت كل من مصر واسرائيل وأمريكا على مثل هذا المشروع ، فسوف يمكن النجاح فى تنفيذه ، بسبب قوة تأثير الدول الثلاث معا ، وانه قد يظهر بعض الضيق والاعتراض من جانب بعض الدول العربية الأخرى ، الا ان ان الجميع سيضطرون الى المسير خلف الدول الثلاث » .

« وتكلم سيروس فانس ، فقال : انه يود اقتراح بعض الأفكار التوفيقية ، وهى أن يؤخذ مشروع الحكم الذاتى (الاسرائيلى) أساسا للتسوية ، وان تقوم مصر واسرائيل والاردن والفلسطينيون بالمشاركة فى أعمال الفترة الانتقالية ، وان الولايات المتحدة سوف تحاول التفاهم مع اسرائيل على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة ، بعد نهاية الفترة الانتقالية » .

« وانتهى كلام الجانب الامريكى ، وحولت بصرى مع الحاضرين الى الرئيس السادات لنستمع الى رده على ما قاله كارتر وفانس ، وكلها أمور خطيرة تتطلب التصدى الفورى لها ، ومعالجتها فى المهد . الا أن السادات كان — وكأنه لم يكن — شاخصا بعينيه الى الامام ، ينظر الى لا شىء ، ولم يحرك ساكنا ، أو ينطق بكلمة واحد ، ولا هو زار كالأسد » .

« وشرعت على الفور فى ترتيب افكارى لأتكلم ، وقلبى يفيض مرارة بما قاله كارتر ، وبما لم يقله السادات ، عندما قال الرئيس الأمريكى : احب الآن ان استمع الى الوزير كامل » .

« وبدات اتكلم ، موجها الحديث الى الرئيس كارتر ، وعرضت باختصار خلفية النزاع العربى الاسرائيلى ، ثم التطورات الأخيرة فى الشرق الاوسط . وابرزت دور الرئيس السادات فى ابعاد الخبراء الروس من مصر ، وتقليص النفوذ السوفيتى فى المنطقة . ثم تكلمت عن حرب اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ ، التى هيأت الأرض للتسوية السلمية بين العرب واسرائيل ، وعودة

العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة ، ثم تولى الرئيس كارتر رئاسة الجمهورية بعد أن أكد بوضوح خلال حملته الانتخابية ان موضوع حقوق الانسان سيكون من ركائز سياسته واهتماماته ، وهو ما تفرع عنه بالتبعية تصريحاته بحق الشعب الفلسطينى فى وطن قومى ، وكان اول رئيس امريكى يعلن ذلك ، ويعطى اولوية لحل مشكلة الشرق الاوسط ، التى بات استمرارها يهدد استقرار العالم السياسى والاقتصادى ، مما شجع الرئيس السادات على قيامه بمبادرته بزيارة القدس . واضفت : اننا مقدرون وسعداء لمشاركة الولايات المتحدة فى المباحثات بكل مالها من وزن وثقل ، وما تعلنه دائما من التمسك بالمبادىء والقيم . وأشرت الى أن مواقفنا كانت ايجابية وبناءة منذ البداية ، واننا عرضنا على اسرائيل كل مايمكن من ترتيبات الأمن وضمانات السلام وعلاقات حسن الجوار ، وكان ذلك أمام ممثلى الولايات المتحدة وعلى ايديهم ، الا ان اسرائيل لم تتجاوب معنا على الاطلاق ، وتشبثت بالتعنت وبالمستحيل . فنحن لا نستطيع ، ولا نملك التنازل عن الأرض المحتلة . وان حدث ذلك جدلا ، فلن يحقق أمنا ولا سلاما ولا استقرارا . وهانحن قد لبينا دعوة الرئيس كارتر للاشتراك فى مؤتمر كامب دافيد ، رغم يقيننا بسوء نية اسرائيل ، اعتمادا على ثقتنا فيه كرجل مبادىء ، سيمارس دوره فى التأثير على اسرائيل ، واقناعها بكل ما يملك من وسائل ، وبأن طريق السلام هو اعادة الأراضى والحقوق الى اصحابها . وقلت : انى لن اتكلم عن سيناء ، وانما اتكلم عن حل القضية الفلسطينية ، التى هى جوهر النزاع ومفتاح السلام الشامل العادل الذى ننشده . ولقد استمعت باهتمام الى افكاركم بشأن المشروع الأمريكى الذى تعتزمون التقدم به . وأعترف بأمانة ، بأنى قد صدمت بالاتجاه الذى تفكرون فى اختياره ، والذى يحيده فى رايى ، عن الطريق المؤدى الى التسوية الشاملة . فقد فهمت انكم ترون اتخاذ مشروع

الحكم الذاتى الذى قدمه بيجين فى الاسماعيلية كأساس للتسوية ، فى حين ان هذا المشروع مرفوض مصريا وعربيا تماما . كما ان بعض الأفكار التى طرحها الرئيس كارتر هى ترديد للدعاوى الاسرائيلية المغرضة ، مثل تأجيل بحث السيادة على الضفة الغربية وغزة باعتبار انها غير واضحة . فى حين أنه لاشبهة فى أن حق السيادة على هذه الأراضى هو للشعب الفلسطينى الذى عاش على تلك الأرض آلاف السنين بدون انقطاع . ثم جاء قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولة يهودية ، وحسم هذا الموضوع من الناحية القانونية ، فأنشأ حق اسرائيل فى السيادة على الأراضى التى خصصت للدولة اليهودية ، وأقر واكد حق السيادة على الأراضى التى خصصت للشعب الفلسطينى ومنها الضفة الغربية وغزة . ولا ادرى لم لا تتخذون المشروع المصرى اساسا للتسوية ، وهو — موضوعيا — تنفيذ أمين للقرار ٢٤٢ الذى يحكم التسوية ؟ . واقول : اننا نرفض اتخاذ المشروع الاسرائيلى أساسا للتسوية ، ولكننا لا نصر على اتخاذ المشروع المصرى اساسا لها . وانما مانصر عليه حقا ونرجوه ، هو ان يعكس المشروع الامريكى مواقف الولايات المتحدة الرسمية المعلنة بشأن حل النزاع وهى : الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ، مع امكانية اجراء تعديلات طفيفة او غير مؤثرة فى الضفة الغربية فقط اذا اتفق عليها ، وعدم شرعية المستوطنات ، وحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة او التعويض ، وعدم الاعتراف بضم القدس العربية ، واخيرا صيغة أسوان التى صاغها الرئيس كارتر بنفسه لحل القضية الفلسطينية . وأضفت : انى اختلف تماما مع الرئيس كارتر فى تصوره انه اذا توصلت مصر واسرائيل وامريكا الى اتفاق على حل — ولو كان ناقصا او جزئيا — فستضطر باقى الدول العربية الى قبوله ، والسير وراءه . فهذا تصور قائم ، فى رأيى ، على تقدير غير سليم . والذى سيؤدى اليه مثل هذا الحل ، فى

الواقع ، هو عزل مصر ، ومزيد من الفرقة العربية وعدم الاستقرار في المنطقة ، مما يؤدى بدوره الى زيادة حدة الاستقطاب فيهـــا ، واتاحة الفرصة لعودة النفوذ السوفيتى اليها . في حين أن الولايات المتحدة لو رمت بثقلها ، وساعدت في تحقيق تسوية عادلة للقضية الفلسطينية على أساس حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة ، فان جميع الدول العربية بلا استثناء ــ معتدلة كانت أم راديكالية ــ ستتوجه الى أمريكا بالشكر والعرفان ، وسيعم الســلام في المنطقة لخير اسرائيل والعرب على السواء ، وينعكس كل ذلك على الأمن الدولى وعلى الاقتصاد العــالمى » .

« وقال الرئيس كارتر : شكرا ياسيادة الوزير ، سنفكر فيما قلت بعين الاعتبار . ولكنى أكرر : اذا كانت مصر واسرائيل والولايات المتحدة معا في جانب واحد ، فان تجرؤ قوة من خارج المنطقة ، او من داخلها ، على التصدى لهم » .

« ونظرت فزعا الى الرئيس السادات ، علمه يتدارك الأمر ، ويعلق على هذه الفكرة الخطيرة التى طرحهــا كارتر ، ولكنه كان لايزال سابحا في ملكوته ، يشد على غليونه . أو لعله آثر الالتزام بحكمة القرود الصينية الثلاثة : أنا لا أرى ولا أسمع ولا أتكلم » .

« وانتهى الاجتماع ، وخامرنى شعور بأن أمورا كثيرة تجــرى في الخفــاء بين كارتر والسادات ، وان على أن أعد نفسى لمفاجآت، الأرجح انها ستكون غير سارة » . (كامل ، « السلام الضائع »، ص ٥٠٥ ــ ٥١٢) .

٢٢

جزم الحقائب

استيقظ « بيجين » فى اليوم التالى — الأحد — فى الخامسة صباحا . وكان قد قضى معظم الليلة السابقة وهو يفكر فى الموقف الذى وصلت اليه المباحثات : قدم الجانب المصرى مقترحاته وسوف يقوم الجانب الأمريكى بتقديم مقترحات أخرى صباح ذلك اليوم ، أما اسرائيل ، فانها لم تقدم حتى ولو اقتراح واحد . وخشى « بيجين » أن يكون فى الأمر فخ منصوب . ذلك انه فى حالة وصول المباحثات الى طريق مسدود ، فان باستطاعة الجانبين ، المصرى والأمريكى ، أن يقولا انهما بذلا كل ما فى وسعهما للتغلب على تصلب اسرائيل التى لم تتقدم ولو باقتراح واحد لدفع عجلة المباحثات ، وان كل ما فعله الجانب الاسرائيلى هو رفض المقترحات المصرية والأمريكية .

وأيقظ « بيجين » مدير مكتبه من نومه ، وأملى عليه مسودة مشروع ورقة عمل اسرائيلية . وبالرغم من ذلك فقد كانت « لا » تطغى بشكل واضح على « نعم » : فاسرائيل « لا » توافق على اجلاء المستوطنات والمطارات من سيناء ، و « لا » توافق على انسحاب قواتها من الضفة الغربية ، و « لا » توافق أيضا على

المساس بوحدة مدينة القدس ، أو بحق المواطنين الاسرائيليين في الاستيطان في الضفة الغربية والقدس .

وفى الساعة السابعة والنصف ، وصل «دايان» و «وايزمان» و « باراك » الى كوخ رئيس الوزراء الاسرائيلى . وبينما كان الجميع يأكلون الشطائر التى طلبها « كاديشاى » ، مدير مكتب « بيجين » ، من مطبخ « كامب دافيد » ، قرأ « بيجين » بصوت عال مسودة المشروع الذى أملاه على « كاديشاى » .

وبعد أن انتهت تلاوة المشروع ، قال « دايان » معقبا :

ـ « ان الجانب الأمريكى لم يتقدم بعد بمقترحاته ، ونحن لا نعرف ما تحتويه . ولذا فأنا أقترح أن لا نتقدم بمشروعنا هذا فى الوقت الحالى ، وانما ننتظر حتى ندرس المقترحات الأمريكية ، حتى نستطيع تعديل مشروعنا وفقا لها » .

ولكن «بيجين» كان يميل الى اطلاع الجانب الأمريكى ، على الأقل ، على مشروع ورقة العمل قبل تقديم المقترحات الأمريكية . وكان يعتقد أنه بهذه الطريقة يمكن التأثير على الجانب الأمريكى والحيلولة دون أن تكون المقترحات الأمريكية حلا وسطا بين المقترحات المصرية المتطرفة والآراء الأمريكية غير المحددة . واحتدم النقاش وطال ، ثم استقر الرأى أخيرا على أن يبقى أربعة من أعضاء الوفد الاسرائيلى فى كامب دافيد ، وأن لا ينضموا الى بقية أعضاء الوفود الذى كان من المقرر أن يقوموا بزيارة ساحة معركة « جيتسبورج » . وكانت المهمة التى كلف بها هؤلاء الأربعة ـ وهم « باراك » و « روسينى » و « تامير » و « دينتز » ـ هى صياغة مسودة نهائية للمقترحات الاسرائيلية ، بحيث ترتكز أساسا على خطة السلام الاسرائيلية ، مع التركيز بقوة على جوانبها الايجابية . كذلك قرر الوفد الاسرائيلى ، تجنبا لنشوب صراع مع الجانب الأمريكى ، أن تكون المقترحات الاسرائيلية ردا على

المقترحات المصرية . لا تلك التى سوف يتقدم بها الجانب الأمريكى (١) .

... ...

كانت هناك مسحة برد خفيفة تشوب دفء الصباح ، وفى الساعة العاشرة صباحا ، تجمع أعضاء الوفود ومئات من مراسلى الصحف والاذاعة والتليفزيون للقيام بزيارة ساحة معركة «جيتسبورج» ، التى وقعت بين قوات الاتحاد وقوات الكونفدراليين ، أثناء الحرب الأهلية الأمريكية، والتى انتهت بهزيمة القوات الأخيرة . وكان « بيجين » هو صاحب فكرة زيارة ساحة المعركة التى لم تكن تبعد عن كامب دافيد كثيرا . فقد اقترح على « كارتر » و « السادات » أن يشاركاه هذه المرحلة الى الماضى ، ولقى اقتراح « بيجين » استجابة حماسية من الرئيسين .

واقترح « افرايم يوران » ألا يستقل أعضاء الوفود السيارات المخصصة لكل وفد ، وأن يختلطوا ببعضهم فى السيارات دون تفرقة . ووافقت الفكرة للمتحدث الرسمى ، « جودى باول » ، فأمر بتنفيذها .

أما « كارتر » و « السادات » و « بيجين » فقد استقلوا السيارة « الليموزين » الخاصة بالرئيس الأمريكى . وفى البداية، كان هناك قدر كبير من التوتر بين « بيجين » والسادات ، ولم ينبس أى منهما بكلمة واحدة . ولكن « بيجين » نجح بالتدريج فى تذويب الثلوج . فقد أخذ يروى للسادات و « كارتر » حكايات عن تجاربه فى أحد معسكرات الاعتقال السوفيتية ، حيث ألقت به السلطات هناك فى بداية الاربعينات من هذا القرن . وكان « بيجين » يتحدث عن السوفييت بلهجة بالغة الحدة ، ولم يخف كارتر والسادات رضائهما عن الاهانات التى كان رئيس الوزراء الاسرائيلى يلقى بها على عدوهما المشترك .

وفى سيارة أخرى ، قال « حسن التهامى » لـ « موشيه دايان » .

ـ « موشيه ، انت تتجنب لقائى .... هل أنت غاضب منى ؟ » .

فرد عليه « دايان » .

ـ « بالتأكيد طبعا » !

وفى الواقع انه كان هناك ما يبرر غضب « دايان » . ذلك أن « حسن التهامى » كان قد أدلى بحديث صحفى فى « سالزبورج » وجه فيه الى « دايان » اتهامات خطيرة ، وادعى انه انتهك وعوده بالنسبة الى القدس وسيناء . وقد غضب « دايان » بسبب عدم صحة هذه الاتهامات ، التى ثبت بعد ذلك أنه لا أساس لها .

وأخيرا ، وبعد حديث طويل ، غفر « دايان » للتهامى ما ارتكبه فى حقه (٢) .

وكان السادات و « كارتر » و « بيجين » يقفون فى ساحة معركة « جيتسبورج » يستمعون الى شرح الادلاء ، عندما التفت السادات فجأة لزميليه وقال :

ـ « أود أن أزور جبل سيناء ، وأن أؤدى الصلاه هناك » .

بيجين : « لكم أود أن أكون معك ! ان منظر شروق الشمس من جبل سيناء ليس من هذا العالم ! » .

كارتر : « هكذا سمعت » .

بيجين : (مبتسما) يمكنك أنت أيضا أن تؤدى الصلاة على جبل سيناء » .

وقد استغرقت زيارة « جيتسبورج » وقتا أطول مما كان محددا . فطلب « بيجين » تأجيل اجتماع الوفد الاسرائيلى مع الجانب الأمريكى الى الساعة الرابعة بعد الظهر ، كى يستطيع أن ينال قدرا من الراحة ، كان فى مسيس الحاجة له . ووافق

« كارتر » ، واقترح أيضا أن يقتصر حضور الاجتماع على رئيسى الوفدين وثلاثة أعضاء من كل جانب .

... ...

وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاحد ، الموافق ١٠ سبتمبر ١٩٧٨ ، اجتمع « بيجين » و « دايان » و « وايزمان » و « باراك » مع « كارتر » و « مونديل » و « فانس » و « برزيزنسكى » .

وعرض كارتر المقترحات الامريكية ، التى صيغت فى ١٧ صفحة مكتوبة بالآلة الكاتبة ، على الوفد الاسرائيلى . وكانت المقترحات قد صيغت بحيث تمثل اطارا لحل شامل . وكان القسم الأكبر منها يتناول المسائل المختلفة المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة والفلسطينيين . كما كان هناك جزء خاص يعالج مشكلة القدس .

وكان الانطباع الفورى الذى تولد لدى الوفد الاسرائيلى، هو أن المقترحات الأمريكية قد تم اعدادها بسرعة وتعجل . وقد قال لهم « دايان » ذلك فى وجوههم . فقد لاحظ ، ومن النظرة الأولى ، ان المقترحات لا تقول شيئا بالنسبة الى مستوطنات الضفة الغربية أو بالنسبة الى السيادة الاسرائيلية عليها ، كما أن سيناء لم تحظ سوى بقدر ضئيل جدا أيضا .

وقد دام الاجتماع حوالى الساعة . وقد اكد « كارتر » مرة أخرى على ضرورة أن تظهر اسرائيل قدرا أكبر من المرونة ، وأن تقدم تنازلات بعيدة المدى : لأن السادات لا يمكنه أن يتنازل أكثر من ذلك ، كما قال لرئيس الوزراء الأسرائيلى . وختم «كارتر» حديثه قائلا :

ـــ « اذا فشل هذا المؤتمر ، فسوف تتجه مصر الى المعسكر الراديكالى العربى ، وهو أمر لا نحب ، كما لا تحبون ، أن نراه

يحدث » . وانفض الاجتماع عندما قال « بيجين » ان على الوفد الاسرائيلى ان « يدرس المقترحات الأمريكية بعمق أكثر ، فنحن نعمل ونتشاور بطريقة جماعية » . وقد أحدث ذلك التأجيل بعض الارتباك فى الجدول الزمنى الذى كان الجانب الأمريكى قد وضعه . فقد كان « كارتر » يعتقد أن بامكانه أن يلتقى مع السادات بعد ظهر نفس اليوم ، لكى يقدم له الرد الاسرائيلى على المقترحات الأمريكية . واضطر كارتر لتأجيل اجتماعه بالسادات ، وسأل الوفد الاسرئيلى أن يسلمه الرد الاسرائيلى فى مساء نفس اليوم ، حالما ينتهى اعداده .

وكان الاجتماع الذى عقده الوفد الاسرائيلى ، بعد تناول العشاء ، للتشاور قصيرا نسبيا فقد كانت هناك أجزاء فى المقترحات الأمريكية لا يستطيع « بيجين » ولا وزراءه قبولها . وقد استهل « بيجين » حديثه قائلا :

— « لقد رفضت من قبل مشروع روجرز . واذا وجدنا اى شىء غير مقبول فى هذه المقترحات فسوف نرفضه ايضا » .

... ...

وكان المساء قد حل عندما انتهى اجتماع الوفد الاسرائيلى . وانعقد بعد ذلك على الفور اجتماع للوفدين الأمريكى والاسرائيلى لمناقشة المقترحات الأمريكية .

وبدأ الاجتماع هادئا ، ولكن سرعان ما التهب الجو . فقد قال كارتر انه ينبغى أن تتناول المباحثات بالمناقشة مسألة الحقوق القومية للفلسطينيين بما فى ذلك حقهم فى تقرير المصير .

وكان رأى الوفد الاسرائيلى ان ذلك أمر لا يمكن قبوله على الاطلاق ، لأنه قد يؤدى فى المستقبل الى اقامة دولة فلسطينية . ثم اقترح كارتر تجميد عملية اقامة المستوطنات ، ولكن الوفد الاسرائيلى رفض ذلك أيضا . وعندئذ اقترح « كارتر » أن تبقى

قوات جيش الدفـــاع الاسرائيلى فى الضفة الغربية فترة تزيد عن خمس سنوات . وهنا أخيرا ، وجد الوفــد الاسرائيلى ما يمكن الموافقة عليــه .

وتناول « كارتر » أيضا المشاكل المتعلقة بسيناء . وعبر عن رأيه بأن السادات لن يتنازل عن موقفه فيما يتعلق بالمستوطنات والمطارات الاسرائيلية هناك . واقترح الرئيس الأمريكى أن تنسحب اسرائيل من المستوطنات والمطارات القائمة فى سيناء ، فقــال بيجين :

— « لن نجلو عن المستوطنات ، ولن ندمرها أو نحرثهــا أيضــا » .

وكان الليل قد أوغل ، وكان اجتمــاع الوفدين الأمريكى والاسرائيلى لايزال مستمرا . وكان العــاملون فى البيت الأبيض يرسلون الشطائر والقهوة ، بين الحين والآخر ، الى المجتمعين الذين كانت تعبيرات وجوههم قد غدت أكثر جهامة . وكان الجدل المحتد قد أدى الى أن يرفــع بعض المتحدثين أصواتهم . ولكن كارتر كان يدير الاجتماع بيد من حديد ، ولم يكن يسمح لأى أحد بمقاطعة المتحدثين .

وعندما وصل النقاش الى تلك الفقرة التى تتناول « مبــدأ حيازة الأراضى المحتلة » ، كان رد فعل « بيجين » بالغ الحدة :

— « ان هذا المبدأ لا ينطبق بتاتا على حالتنا . فلقد أخــذنا الأراضى التى نحتلها فى حرب دفاعية ... ويجــب أن تدرك ، ياسيادة الرئيس ، اننا كنا ضحايا العــدوان العربى ، فى كــل الحروب التى خضناها » .

وقد عارض الــوفد الاسرائيلى بشدة مقــدمة الفقرة التى

كانت تؤكد انه لا يمكن قبــول مبدأ حيــازة الأراضى عن طريــق القوة . وقد أدرك « بيجين » وزملاءه الفخ الذى يختفى فى طيات هذه العبارة الظاهرة البراءة ، والتى يمكن تفسيرها فى المســتقبل بحيث تؤدى الى انســحاب اسرائيل من مرتفعات « الجولان » . ولذلك فقد صاح « بيجين » بحدة وهو يدق على المائدة بقبضته .

ــ « لن نقبل ذلك أبدا ! » .

وكانت المناقشة تتقدم ببطء ، فقد كان الوفد الاسرائيلى يزن كل كلمــة وكل عبارة ويقيمها فى عناية شديدة . ورغم أن النقاش كان يتركز ، من الناحية المبدأية ، على الضفة الغربية ، فقد كان يمس سيناء أيضا . فقد أثيرت ، مثلا ، مسألة اســهام الولايات المتحدة فى اعادة اقامة القــواعد الجوية . واقترح أن تصبح هذه القواعد مراكز تدريب أمريكية ، وأن تقــدم الولايات المتحــدة مساهمة مالية من أجل اقامة قواعد جوية بديلة فى اسرائيل . ولم يستبعد الوفد الأمريكى امكانية موافقة الولايات المتحــدة على أن تستخدم اسرائيل القواعد الجوية فى سيناء ، حتى تتم اقامة قواعد بديلة (٤).

... ...

ولكان المصريون يترقبون انتهــاء الجلسة الطويلة فى تخوف . فقد كانوا يخشون أن ينجح « بيجين » وزملاءه فى احـــداث تغير فى الموقف الأمريكى ، والذى كان حتى آنذاك يميل الى الجانب المصرى .

... ...

كان « دايان » يؤيد موقف « بيجين » المتصلب دون تحفظ . وقد لاحظ كارتر على الفور أن « دايان » يحظى بنفوذ كبير علــى « بيجين » ، فقرر أن يعزل « دايان » عن بقية زملاءه ، وأن يحاول التأثير عليه وحده . وعندما كان أعضاء الوفدين يتأهبون لمغــادرة كوخ الرئيس الأمريكى ، بعد هذه المناقشة الطويلة المضنية ، طلب

« كارتر » من « دايان » البقاء لبعض الوقت .. وانهال « كارتر » على « دايان » بالثناء والمديح ، ووعده بادخال بعض التعديلات على المقترحات الأمريكية . ووعده أيضا بالنظر فى تعليقات « بيجين » وزملاءه باهتمام أكبر . ثم قال له :

— « أرجو .... أرجوك أن تبذل جهدك لارضاء السادات »(٥) .

وعندما عاد أعضاء الوفدين الأمريكى والاسرائيلى الى أكواخهم ، كانت الساعة قد بلغت الثالثة من صباح يوم الاثنين .

... ...

وفى الساعة السابعة صباحا ، أى بعد أربع ساعات فقط من انتهاء جلسة الليلة السابقة ، كان الوفد الاسرائيلى يعقد جلسة عمل أخرى . فقد كان الوفد قد وعد الجانب الأمريكى بأن يسلمه رد اسرائيل على المقترحات الأمريكية قبل الساعة العاشرة من صباح هذا اليوم ، وهو الموعد المحدد للقاء « كارتر » مع السادات .

وقد أدرك الرئيس كارتر ، بعد أن فرغ من قراءة الرد الاسرائيلى على مقترحاته ، ان الرد لا يمكن اعتباره مرضيا بأية حال من الأحوال . فلقد ظل الموقف الاسرائيلى ، فيما يتعلق بالانسحاب من الضفة الغربية أو بالجلاء عن مستوطنات سيناء ، كما هو . كذلك أبدت اسرائيل معارضة شديدة لجملة : « لا يمكن قبول مبدأ حيازة الأرض عن طريق القوة » . كذلك طلب الوفد الاسرائيلى من كارتر — بناء على اقتراح من المستشار القانونى « باراك » — أن يصدر رسالة تفسيرية يؤكد فيها أن تفسيره لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لا يتفق مع التفسير المصرى الذى يقضى بأن يكون الانسحاب من « جميع » الأراضى المحتلة ، وليس من « أراضى محتلة » فقط ، وهو التفسير الاسرائيلى للقرار .

وقد كان الفشل ينتظر اجتماع « كارتر » مع السادات

والذى انعقد فى الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين الموافق ١١ سبتمبر ١٩٧٨ . وقد كان « كارتر » يعرف أن السادات لن يستطيع قبول المواقف الاسرائيلية . وقد كان . فقد كان تعليق السادات على الرد الاسرائيلى هو :

— « اذا كان ذلك هو موقف اسرائيل النهائى ، فليس هناك ما يمكننا أن نفعله هنا » . وهاجم السادات أيضا الموقف الأمريكى الذى تمثل فى المقترحات الأخيرة ، والتى لم يكن الرئيس المصرى يوافق على بعض ما جاء بها . وكان نفاذ الصبر يبدو واضحا فى نبرة السادات وهو يقول :

— « اذا لم توافق اسرائيل على الانسحاب من القواعد الجوية والمستوطنات فى سيناء ، فأنا لا أرى ما يبرر الاستمرار فى المفاوضات » .

وحاول كارتر تهدئة السادات ، واكد له أنه لا يعتقد ان ذلك هو موقف اسرائيل النهائى. فقد كان يأمل أن ينجح فى انتزاع بعض التنازلات من « بيجين » قبل أن ينتهى هذا اليوم .

ثم انتهى الاجتماع بتنازل آخر قدمه السادات : فقد وافق على فصل مناقشة شئون الضفة الغربية عن تلك المتعلقة بسيناء. وكان فى ذلك بعض العزاء للرئيس الأمريكى (٦) .

وعندما عاد السادات الى كوخه وجد رسالة من الملك حسين، الذى كان آنذاك فى لندن يطلب فيها من الرئيس المصرى أن يتصل به تليفونيا وكان اول ما فعله السادات حين سمع صوت الملك الأردنى على الجانب الآخر من الخط ، هو مناشدته أن ينضم الى المؤتمر . وكرر العاهل الأردنى ما سبق أن قاله للسادات ، من أنه لن يستطيع أن يفعل شيئا كهذا طالما لم تتعهد اسرائيل بالانسحاب

انسحابا كاملا من الضفة الغربية . ثم أنهى الملك حسين الحادثة متمنيا للسادات حظا طيبا (٧) .

وقرر كارتر أن ينهج نفس الطريق الذى أتخذه الليلة السابقة . فاستدعى « وايزمان » الذى قدم مصطحبا الجنرال « تامير » معه . وابلغ الرئيس الأمريكى « وايزمان » ان السادات ليس فى أستطاعته قبول مطالب اسرائيل بابقاء مستوطنات سيناء . وقال كارتر ان السادات رفض أيضا وضع هذه المستوطنات تحت رعاية الأمم المتحدة ، أو تشغيل قاعدة « أوفيرا » الجوية بشروط مماثلة . وأنهى كارتر حديثه مع « وايزمان » قائلا :

ــ « ان السادات لم يقل انه ينبغى حرق المستوطنات . ولكنه قال أنه على المستوطنين أن يرحلوا ، وانهم اذا كانوا يتوقون الى الحياة على التراب المصرى ، فان بوسعهم الاستيطان بالقرب من نهر النيل » (٨) .

وقد اتضح لـ « وايزمان » ان كارتر يهدف الى بث الفرقة بين الوزراء الاسرائيليين ، وذلك كى يزعزع من ثقة بيجين فى صلابة جبهته .

وغادر « وايزمان » كوخ الرئيس الأمريكى ، واتجه فورا الى كوخ « بيجين » وأبلغه أن كارتر يقترب أكثر فأكثر من موقف السادات فيما يتعلق بالمستوطنات .

وكان « دايان » و « باراك » هم الدفعة الثانية من الضيوف الاسرائيليين التى وجهت اليها الدعوة لمقابلة كارتر فى كوخه . وقد تولد لدى « دايان » نفس الانطباع الذى تولد لدى «وايزمان» ، وهو أن كارتر قد أصبح يولى مصاعب السادات اهتماما أكبر من ذلك الذى يوليه للمتاعب التى يواجهها « بيجين » . وانه لن يمارس ضغوطا أكثر من ذلك على السادات .

- وحاول «دايان» أن يحدس التكتيك الذى يمكن أن يستخدمه السادات ، اذا تعذر ابرام معاهدة السلام بالطريقة التى يريدها . وحدس « دايان » ان هدف السادات الأول فى هذه الحالة سوف يكون التوصل الى اصدار مذكرة تفاهم مشترك بين الولايات المتحدة ومصر ، وهو أمر كان القادة الاسرائيليون — الذين ربطوا بلادهم بعلاقات خاصة مع الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٨ — يعتبرونه بالغ الخطورة .

وعلم « دايان » أيضا ، أثناء اجتماعه مع كارتر ، ان السادات قدم اقتراحا جديدا يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة . ويقضى الاقتراح المصرى الجديد بوضع وحدات من الجيش المصرى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، حتى يتم التوصل الى اتفاق بشأن هذه الأراضى . ورفض « دايان » الاقتراح فورا ، وقال أنه لاتوجد أية جدوى حتى من مجرد مناقشته .

واقترح كارتر اقامة طريق برى يربط بين مصر والأردن يمر بالقرب من مدينة « ايلات » الاسرائيلية ، كما اقترح ، فى مقابل ذلك ، أن تحتفظ اسرائيل بقاعدة « اتزيون » الجوية القريبة من مدينة « ايلات » لمدة ثلاثة سنوات . وأضاف كارتر ان هذا الطريق يمكن يكون شريانا تجاريا وسياحيا هاما . ولم يكن تقرير « دايان » عن اجتماعه بكارتر مشجعا بالنسبة الى « بيجين » (٩) .

وفى الاجتماع الذى عقده الوفد الاسرائيلى صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٢ سبتمبر ١٩٧٨ ، ساد شعور بأن المفاوضات لا يمكن أن تستمر الى ما لا نهاية ، وانهم لابد أن يفرغوا مما هم فيه ، بشكل أو بآخر ، يوم الجمعة على اكثر تقدير . واقترح « بيجين »

اعداد ورقة تحوى طرق العمل الممكنة فى حالة فشل المفاوضات، كذلك ما تم الاتفاق عليه وما لم يتم الاتفاق عليه أثناء المفاوضات . كما تم أيضا ، بناء على طلبه ، اعداد اعلان يقرر استعداد اسرائيل لمواصلة المفاوضات فى أى وقت ، وفى أى مكان . ولكن « بيجين » كان يشعر ، فى نفس الوقت ، ان مثل هذا الاعلان قد يضاعف من غضب كارتر ، الذى كان يأمل الانتهاء من عملية المفاوضات برمتها أثناء المؤتمر ، الذى راهن بمستقبله السياسى على نجاحه .

أما « دايان » فقد كان أكثر تحفظا . وكان من رأيه عدم نشر الاعلان ، أو اعداد الورقة الجديدة ، حتى يتلقى الوفد الاسرائيلى التعديلات المزمع ادخالها على المقترحات الأمريكية .

وانتهى اجتماع الوفد الصباحى والتشاؤم لايزال هو السمة الغالبة . وقال بيجين لزملاءه :

— « سوف طلب الاجتماع مع كارتر اليوم ، وسوف أعرض وجهات نظرنا عليه ، وأبلغه أيضا بأننا ننوى بأن نعلن للشعب الاسرائيلى والرأى العام العالمى حقيقة ما حدث فى المؤتمر » .

اصطدم « دايان » ، وهو يخرج من الكوخ الذى انعقدت فيه الجلسة الصباحية ، بالسفير الأمريكى فى اسرائيل « صمويل لويس » . وكان وجه « دايان » يكشف بوضوح عن مشاعر خيبة الأمل التى كانت تنتابه عندئذ . وقال وهو يهز يد « صموئيل لويس » دون حرارة .

— « ليس هناك أى معنى لكل هذه الاجتماعات والمفاوضات . لقد وصلت الأمور الى طريق مسدود ، ولكم أود أن أرحل الى اسرائيل غدا » (١٠) .

وهرع « صموئيل لويس » على الفور الى كوخ الوفد

الامريكى ، وأبلغهم هنـــاك بأقوال « دايان » المتشائمة . وكان السفير الأمريكى الى اسرائيل يعرف أن « دايان » قليل الصبر ، كما تعوزه اللبـــاقة أحيانا ، ولكنه كان يؤمن بأن ماقاله « دايان » كان بالغ الجدية . وقد أحدثت الأنبـــاء التى حملهـــا « صموئيل لويس » ضجة كبرى فى كوخ الوفد الأمريكى .

وعندما اجتمع أعضاء الوفد الاسرائيلى ، بعد ظهر نفس اليوم ، لتنـــاول القهوة ، كان مزاج « بيجين » لايزال يتســـم بالتطرف . فقد أعلن فى غضب وتصميم للاسرائيليين المحيطين به :

ـــ « اذا وقعت أبدا على الديباجة بالطريقة التى صيغت بها الوثيقة الأمريكية ، فلتقطع يدى اليمنى ! لن أوقع ! » .

وكان « بيجين » يشير الى ديباجة المقترحات الأمريكية التى كانت تتناول مسألة حيازة الأرض عن طريق القوة .

وبعد عدة دقائق ، وصل سكرتير « كارتر » كى يبلـــغ « بيجين » بأنه قد تحدد له موعد فى الساعة الثامنة مساء ذلك اليوم لمقابلة الرئيس الأمريكى .

ولم يكد السكرتير يغـــادر الكوخ ، حتى دخل « سيروس فانس » فجـــأة ، وهو يرتدى ملابس الرياضة ، وقال :

ـــ « سوف يتقدم الوفد الأمريكى بورقة جديدة عقب اجتماع الرئيس مع السادات » .

ثم أضاف « فانس » مشيرا الى رغبة « دايان » فى الرحيل :

ـــ « أرأيتم ، لم يكن هناك داع للعجلة . الصبر فضيلة » .

... ...

بدأ المطر يتساقط مع قـــدوم المساء . وكان أعضاء الوفـــد الاسرائيلى لايزالون جالسين فى كوخهم حين وصل « كارتر » على

غير انتظار ، وبصحبته « الفريد اثرتون » و « وصموئيل لويس » .

وصافح كارتر أعضاء الوفد الاسرائيلى فردا فردا ثم قال :

ــ « سوف تتلقون غدا ورقة أمريكية جديدة . وأنا أقترح ان يشاركنى عضو واحد من كل من الوفدين الاسرائيلى والمصرى فى صياغتها » .

ثم التفت الى « بيجين » وقال :

ــ « ... ولذلك فاننى أقترح أن نجتمع غدا ، عقب اجتماعى بممثلى مصر واسرائيل » .

بيجين : « استميحك عذرا ياسيادة الرئيس ، ولكننى طلبت تحديد موعد لمقابلتك الليلة لمناقشتك فى مسألة بالغة الأهمية ، وربما يكون هذا النقاش هو أهم نقاش أجريته فى حياتى » .

كارتر : « حسنا ، سوف نلتقى الليلة اذن » .

ثم تناول الرئيس الأمريكى طعام العشاء مع أعضاء الوفد الاسرائيلى ، وعدل « بيجين » عن نيته فى حضور حفل موسيقى يقيمه الاوركسترا الفيلهارمونى الاسرائيلى فى واشنطون .

وقبل أن تحل الساعة الثامنة ببضع دقائق وقف « بيجين » وقال :

ــ « سوف أذهب الآن لحلاقة ذقنى قبل مقابلة الرئيس . واقترح أن يذهب الباقون لمشاهدة عرض سينمائى .

ورد عليه « كارتر » قائلا :

« فى هذه الحالة ، لابد أن أذهب انا أيضا لحلاقة ذقنى قبل مقابلتك » .

وفى الساعة الثامنة تماما ، توجه « بيجين » لمقابلة الرئيس الأمريكى فى كوخه . وكان كارتر قد عقد اجتماعا قصيرا مع معاونيه فى كوخ آخر ، ووصل الى كوخه ، راكبا دراجة ، فى الثامنة تماما هوأ يضـــا .

وسرعان ما وصل الحديث بين الرجلين الى الموضوع الذى يهدد بتدمير مؤتمر كامب دافيد، والذى يتعلق بمبدأ عدم جواز حيازة الأرض عن طريق القوة . ورغم كل ما قاله كارتر ، فان « بيجين » لم يتزحزح بوصة واحدة عن موقفه :

كارتر : « أن معظم استطلاعات الرأى العام فى اسرائيـــل تشير الى أن أغلبية المواطنين الاسرائيليين توافق على أن تقدم تنازلات تتعلق بالأراضى المحتلة » .

بيجين : « من الأفضل ، فى مثل هـــذه الأمور ، ان لا يعلق المرء أهمية كبيرة على استطلاعات الرأى العـــام ». فأنا واثق أن الأغلبية الساحقة من المواطنين الاسرائيليين تؤيد الحكومة » .

وكان « بيجين » قد أعد نفسه جيدا لهذا اللقاء مع الرئيس الأمريكى . ورغم أن « كارتر » كان يحاول أن يشيع جوا من الود فى لقاءه مع رئيس الوزراء الاسرائيلى ، فان « بيجين » قـــرر أن يكون أكثر حزما من ذى قبل :

بيجين : « أنا واثق ، كمـــا قلت لك ، ياسيادة الرئيس ، ان الأغلبية الساحقة من المواطنين فى اسرائيل تؤيـــد الحكومة . ولكن حتى لو لم يكن الأمر كذلك ، فاننى أيضا لم أكن لأوافق أبدا على تلك الفقرة التى تحظر حيازة الأراضى عن طريق الحرب ... اننى أقول لك بصـــدق : تقطع يدى ولا أوافق على التوقيع على مثل هذه الاتفاقية . واستطرد « بيجين » قائلا :

— « وزيادة على ذلك ، فانني لن أجلو عن المستوطنات . واسمح لى ، ياسيادة الرئيس ، أن أقول لك أنه اذا لم يقف الكنيسيت ورائى فى هذه الأمور ، فسوف اقدم استقالتى على الفور . ولقد قلت لنا فى بداية المؤتمر ان ابرام اتفاقية سلام أهم ، فى نظرك ، من اعادة انتخابك . وهذا هو ما اشعر به بالضبط . ولن استسلم لتهديدات السادات وانذاراته » .

واقترح « بيجين » اصدار بيان عن ما حققه مؤتمر كامب دافيد وما لم يحققه . وقال رئيس الوزراء أيضا أن البيان الاسرائيلى سوف يؤكد « استعداد اسرائيل لمواصلة المفاوضات فى أى زمان وأى مكان » .

وتراجع كارتر . فقد كان من الممكن أن يعنى ذلك فشل المؤتمر . وقد احدثت كلمات « بيجين » تأثيرها المطلوب . وبمضى الوقت ، استعاد « بيجين » هدؤه ، وأعلن « كارتر » استعداده لتخفيف العبارة التى تشير الى «حيازة الأراضى عن طريق القوة» . كذلك وافق ، من ناحية المبدأ ، على استمرار تواجد جيش الدفاع الاسرائيلى فى الضفة الغربية . كذلك قام « بيجين » بدوره بتغيير موقفه بالنسبة لنقطة جوهرية . فقد اعلن استعداده للموافقة على أن تتخذ اسرائيل « قرارا » بعد خمس سنوات بالنسبة الى مستقبل الضفة الغربية ، بدلا من مجرد «النظر فى الأمر» ، كما كان يطالب من قبل . ورغم التحسن الذى طرأ على مزاج بيجين ، فقد كان لا يزال لديه شكوى اخرى : « لقد اتهمنا برزيزنسكى بالأمس باننا لا نحس بما يكفى بالمصاعب التى تواجهها مصر بالنسبة لمسألتى غزة ويهودا والسامرة ، وكل ما استطيع ان اقوله بهذا الصدد لكم جميعا هو اننى حساس بالنسبة لموضوع واحد فقط . وهو : الدم اليهودى » .. ثم انصرف (١١) .

... ...

قرر كارتر أن يدير المفاوضات الخاصة بسيناء بنفسه(١٢) ، حتى يتمكن من التقريب بين السادات وبيجين . وقد بدت له الطريقة التى تدار بها المفاوضات معقدة دون داعى ، ولذلك فقد قرر أن يتقدم باقتراح باتباع طريقة بديلة : وهى أن يختار كل من الجانبين عضوا واحدا من وفده — ويفضل أن يكون من رجال القانون — وأن يحاولا بالاشتراك مع كارتر ، التوصل الى حل للمشاكل المعلقة . ووافق « بيجين » والسادات على اقتراح كارتر . ووقع اختيار « بيجين » على « أهارون باراك » كى يكون ممثله الشخصى ، بينما اختار السادات « أسامة الباز » ، أحد كبار الدبلوماسيين فى وزارة الخارجية المصرية (١٣) .

أمطرت السماء يوم الأربعاء الموافق ١٣ سبتمبر ١٩٧٨ . وحين طلب « باراك » من « بيجين » تعليماته الأخيرة قبل أول اجتماع له مع « كارتر » و « أسامة الباز » ، قال له « بيجين » :

— « كن قويا ، واحتفظ بشجاعتك » .

وتنفس بقية أعضاء الوفود الصعداء ، فقد رفع جهد المفاوضات المضنى عن كاهلهم . وازدحم كوخ عرض الأفلام السينمائية بالحاضرين الذين أتوا كى يشاهدوا فيلم : « لمسة ميداس الذهبية » .

وكان « أهارون باراك » قد أصبح علما من أعلام القانون فى اسرائيل وهو لا يزال فى الثانية والأربعين من عمره . وكان قد حصل على درجة الدكتوراه فى القانون وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، بعد فترة قصيرة من انتهاء خدمته العسكرية . وسرعان ما عين أستاذا مساعدا بكلية الحقوق بالجامعة العبرية فى القدس . ويعتبره الكثيرون عبقريا نادر الموهبة . فقد كان أصغر أساتذة كلية الحقوق سنا ، ورغم ذلك كان قضاة المحكمة

العليا كثيرا ما يستشهدون بكتاباته فى أحكامهم . وقد كان لا يزال فى الثامنة والثلاثين من عمـــره حين منح جائزة الدولة الاسرائيلية للدراسات القانونية ، وفى منتصف السبعينات تم تعيين «باراك»ــ الذى كان القانون التجارى هو مجال تخصصه ــ فى منصب المدعى العام . وقد جعل من هذا المنصب أثناء فترة شغله له ، واحــدا من أهم الأجهزة الحكومية وأقواها نفوذا . وقد كان رأيه هو الذى أدى الى اجبار رئيس الوزراء السابق ، « اسحق رابين » ، على الاستقالة بســـبب مخالفة هينة لقوانين النقـــد الأجنبى ارتكبتها زوجتـــه .

أما « أسامة الباز » فقد كان فى الرابعة والأربعين من عمره ، وهو أحـــد اعلام الحياة السياسية والقانونيـــة فى مصر . وقـــد حصل على درجـــة الدكتوراه من جامعة هارفارد . وكان يعمل ، حتى بداية السبعينات ، مستشارا فى معهد الدراسات الفلسطينية والاسرائيلية . وهو واسع الدراية بخبايا المسألة الفلسـطينية ، كما يعلم الكثير عن مشاكل اسرائيل الداخلية . وفى عام ١٩٧٧ ، تم تعيينه فى منصب مدير عام وزارة الخارجية ، ومديرا لمكتب نائب الرئيس « حسنى مبارك » للشئون السياسية (١٤) .

وفى الساعة الثامنة من صباح الأربعاء ١٣ سبتمبر ١٩٧٨ ، التقى رجلا القانون فى كوخ الرئيس كارتر ، حيث دارت واحدة من أكثر المناقشات اجهادا فى مفاوضات كامب دافيد . وقـــد ظل « كارتر » و « فانس » و « باراك » « والبـــاز » ســـاعات طويلة يحللون المقترحات الأمريكية .

ولم يكن « أسامة الباز » راضيا . فقد طالب باعادة الفقرة التى كانت تتناول مبدأ حظر حيازة الأراضى عن طـــريق القوة ، والتى كان « كارتر » قد وافق ــ بعد مناقشة مضنية مع «بيجين»

على تخفيفها . ولم يوافق « كارتر » على ما طلبه « الباز » ، ولكنه وافق فقط على أن تتم الاشارة مرة أخرى فى نص المقترحات الى القرار رقم ٢٤٢ ، الذى يدعو الى الانسحاب من « أراضى » محتلة . وقد اتضح للمستشار القانونى « باراك » انه بعد عشرة أعوام من المناقشات والمقترحات والقرارات فى مجلس الأمن ، كان مفهوم الولايات المتحدة عن موقف اسرائيل من القرار رقم ٢٤٢ وتطبيقه على الضفة الغربية ، هلاميا وغير محدد على الاطلاق . فقد ظلت الولايات المتحدة سنوات طويلة وهى تعتقد ان اسرائيل لا توافق على انطباق القرار رقم ٢٤٢ على الضفة الغربية . واضطر « باراك » لأن يشرح للرئيس الأمريكى ان اسرائيل مستعدة لتطبيق القرار رقم ٢٤٢ على الضفة الغربية ، ولكنه فور توقف هذه الأراضى عن أن تكون محتلة ، بحكم تحولها الى شىء آخر ، فان القرار رقم ٢٤٢ لا يعد صالحا للتطبيق عليها . وعلى ذلك فان الحكم الذاتى — كما اقترحه « بيجين » — يجب مبدأ الانسحاب . وكان استمتاع « كارتر » بالغا بالأسلوب الذى يشرح بهما « باراك » المشاكل القانونية . وقال له كارتر انه يستطيع أن يصبح عضوا فى المحكمة العليا الأمريكية ، اذا أراد . وقد أفضى الرئيس الأمريكى لمساعديه فيما بعد : « لقد أنهكنى هذا « الباراك » تماما ... » .

كذلك كان « كارتر » راضيا عن قراره بالعمل مع الخبيرين القانونيين فقط . فقد خلق ذلك انطباعا بأن المناقشات تدور حول أمور فنية لا سياسية . وقد كان يأمل أن يجلب له ذلك النهاية السعيدة التى يريدها .

وفى بعد ظهر نفس اليوم قامت السيدة « روزالين كارتر » بزيارة زوجة رئيس الوزراء الاسرائيلى ، وأهدتها طبقا من الفضة يحمل خاتم رئيس الولايات المتحدة ، وقد حفر عليه اسم كامب

دافيد وتاريخ انعقاد المؤتمر . وكانت « اليزابيجين » قـد أعدت نفسها لمثل هذه المناسبة ، فأهدت زوجة الرئيس الأمريكى عشرون لوحة حفر من اعمال الفنانيين الاسرائيليين ، تدور كلها حـول موضوع الحرب والسـلام .

استمر اجتماع كارتر مع الخبيرين القانونيين حتى بعد الظهر . وأثار الخبير المصرى موضوع القدس ـ مهد الديانات الثلاث ـ وأعلن فى حزم انه « لابد من رفع علم عربى على جبل المعبد » .

وقد بدأ هذا الطلب متطرفا للرئيس الأمريكى ، الذى فقـد صبره وصاح فى « الباز » .

ـ « انكم تخربون عملية السلام وتعرقلون سير المفاوضات . وبينما ينشد الاسرائيليون التوصل الى تسوية ، تضـعون أنتم العقبات والعراقيل فى طريق السلام »(١٥) .

وفى الساعة الرابعة بعـد الظهر ، غادر « باراك » كوخ الرئيس الأمريكى ، والاجهاد والارهاق باديان على وجهه . وكان من المفروض أن يعود للاجتمـاع بالرئيس الأمريكى بعد أربعـة ساعات . وكان قد كلف بأن يقوم ، أثناء ذلك ، باعداد قائمـة بكافة النقاط التى توافق عليها اسرائيل ، وكذلك كافة النقاط التى لا توافق عليها . ولذلك ، فقد عقد الوفد الاسرائيلى على الفور اجتماعا ـ بعد أن تم استدعاء أعضاءه عن طريق أجهـزة «التوكى ووكى» . وبعد أن أدلى «باراك» بتقريره ، اتفق أعضاء الوفد على ما ينبغى الاعتراض عليه بحزم ، وكذلك ما لا يمكن قبـوله تحت أى ظرف من الظروف ، حتى او ادى ذلك الى تدمير المؤتمر . وكان باراك يدون ما يدور كى يعد قائمته .

وعندما أبلغ « باراك » الحاضرين بمطالبة الباز برفع علم

على جبل المعبد ، لم يستطع الحاضرون السيطرة على غضبهم ، وأعلنوا رفضهم البات لما طلبته مصر .

وفى نفس هذا الوقت كان السادات مجتمعا مع « وايزمان » وكان الرئيس المصرى قد تلقى تقريرا من « أسامة الباز » حول ما دار فى اجتماعه مع كارتر . وقال السادات معلقا :

— « لست متفائلا .. لن استطيع أبدا الحصول على موافقة العالم العربى ! » .

وحاول « وايزمان » اقناع الرئيس المصرى بتخفيف مطالبه فيما يتعلق بالمستوطنات الاسرائيلية فى سيناء ، ولكن السادات رد عليه فى حدة قائلا :

— « لن أتنازل عن بوصة واحدة من أرض بلادي ، يامستر وايزمان »(١٦) .

وكانت الشائعات فى كامب دافيد تؤكد أن أعضاء الوفد المصرى قد تلقوا تعليمات بحزم حقائبهم . وكان «وايزمان» قد قال أثناء جلسة المشاورات التى عقدها الوفد الاسرائيلى ..

— « ليس هناك بديل آخر ، وعلينا أن نختار بين اتفاقية السلام وبين مستوطنات سيناء » .

فى المساء ، ذهب « بيجين — الذى عرف عنه ولعة الشديد بمشاهدة الأفلام السينمائية — الى كوخ الرئيس الأمريكى . وكان كارتر قد وصل الى قناعة باستعداد اسرائيل لتقديم تنازلات من أجل الفوز بمعاهدة سلام . وقام هو و « باراك » و « الباز » بكتابة أساس الصيغة التى سوف يرتكز عليها الشكل النهائى لمعاهدة السلام والخطابات الملحقة بها . وقال الرئيس الأمريكى لـ « باراك » :

ـــ أنا الآن واثق من رغبة اسرائيل المخلصة فى السلام » .

انتهى الاجتماع . ولكن كارتر واصل العمل . فقد كان يريد الوصول الى قرارات حاسمة قبل أن تنقضى هذه الليلة . وخرج « كارتر » يبحث عن « بيجين » . وقيل له أنه فى كوخ العروض السينمائية . ورغم الظلام ، استطاع « كارتر » أن يتعرف على « بيجين » فطلب منه أن يقابله خارج الكوخ .

وكان واضحا ان الرئيس الأمريكى حريص على عدم اضاعة الوقت ودار حوار قصير بين الرجلين ، حاول أثناءه « كارتر » مرارا أن يقنع « بيجين » بتغيير موقفه من مسألة مستوطنات سيناء . وكان الرئيس الأمريكى يدرك أن نجاح المؤتمر أو فشله يتوقفان على التوصل إلى حل لهذه المشكلة . وقد دهش «بيجين» من تأييد الولايات المتحدة لمطالبة مصر بازالة المستوطنات ، ولكنه ظل على موقفه . وكان رده على محاولات كارتر لاقناعه هو :

ـــ « هذا أمر تستحيل الموافقة عليه » .

(١) لا ينكر دايان شيئا عن ورقة العمل الاسرائيلية هذه التى يشير اليها المؤلفون . ولكنه يقـول ان الجانب الأمريكى عقد عدة اجتماعات استكشافية مع الوفد الاسرائيلى ، وان الوفد الاسرائيلى اعد ملاحظات مكتوبة على ما عرضه الجـانب الامريكى فى هـذه الاجتماعات . ذلك ان دايان يقول :

« عقد الأمريكيون ، قبل التقدم بمقترحاتهم ، عـددا من الاجتماعات الاستطلاعية بين اعضاء من وفدهم واعضاء من وفدنا . فقد عقد هارولد براون ، وزير الدفـاع الأمريكى ، على سـبيل المثال ، عدة اجتماعات مع وزير دفاعنا ، وذلك كى يعرف ما نعنيه بقولنا اننا على استعداد لاعادة توزيع قواتنا فى الضفة الغربية وغزة . وقد رد عليه ايزر (وايزمان) باجابات تتسم بالعمومية . ولم يشعر براون بالرضاء من اجابة وايزمان ، واراد الدخـول فى تفاصيل الموضوع ، ولكن ايزر (وايزمان) رفض » .

« وقال برزيزنسكى انهم يريدون ان ترتكز مقترحاتهم على مشروعنا للحكم الذاتى ، وانه وفانس يريدان لذلك معرفة الدلالات العملية لعدد من مواد هذا المشروع : فما هى ، على سبيل المثال ، خطوط الارشاد التى تحكم عودة العرب الفلسطينيين من البلدان

العربية الى يهودا والسامرة ؟ . وكانت اجابتى على ذلك هى أن مشروعنا لا يشير الى لاجئى حرب عام ١٩٤٨ ، وان اسرائيل ، مع ذلك ، يمكن أن تنضم الى هيئة دولية تقــوم بوضع حل لمشكلة هؤلاء اللاجئين ، اذا تمت اقامة مثل هذه الهيئة . أما فيما يتعلق بلاجئى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ ، فقد قلت ان نحــو ١٥٠ر٠٠٠ عربيا قد فروا ، اثناء اعمال القتال ، من الضفة الغربية وقطــاع غزة ، وان نحو ٥٠ر٠٠٠ منهم قد عادوا منذ ذلك الحين، فى اطار مشروعنا لاعادة شمل العــائلات . وانه يمكن النظــر فى عودة أعداد أخرى من هؤلاء اللاجئين اذا لم تحل العــوامل الاقتصادية دون ذلك . وعلى اية حال ، فان واقع الأمر هو أن نصف التعداد الحالى لقطاع غزة يتكون من اللاجئين ، وانه يجب توطين هؤلاء قبل اعادة أعداد أخرى من اللاجئين الى قطــاع غزة . كما ان فرص العمالة فى الضفة الغربية محدودة أيضا ، كما تشهد بذلك حقيقة أن عشرات الألوف من سكان هذه الأراضى يذهبون الى اسرائيل بحثا عن عمل ، وان كثيرين بجانبهم يبحثون عن الرزق فى البلدان العربية الثرية)) .

((وقال الأمريكيون ان هنــاك أربعــة قضايا رئيسية تختلف وجهة نظرهم بشأنها عن وجهة نظرنا . فقد كانوا يريدون منا أن نقوم بتجميد الاستيطان فى الأراضى (المحتلة) لمدة خمس سنوات. وعلى وجه التحديد ، أن لا نقيم اية مستوطنات جديدة ، وأن لا نزيد تعداد القرى (أى المستوطنات) القائمة حاليا . وكانوا يريدون منا أيضا قرارا حاسما فيما يتعلق بالطريقة التى سيتقرر بهــا موضوع السيادة على يهودا والسامرة وغزة بعد انقضاء فترة الخمس سنوات . وكانوا يريدون معرفة مصدر السلطة فى الأراضى (المحتلة) وعلى وجه التحديد : ما اذا كان من الممكن الغــاء الحكم الذاتى ، ومن الذى يملك سلطة ان يفعل ذلك (وكان رأى الولايات المتحدة عدم اعطاء اسرائيل مثل هذه السلطة) . ورابعا ،

ان هنـــاك حاجة للتوصل الى صيغة ملائمة لضمان تطبيق القرار رقم ٢٤٢ فيما يتعلـــق بانســـحاب اسرائيل من الأراضى التى تم احتلالها فى حرب عام ١٩٦٧)) .

ثم يمضى دايان قائلا :

((... كانت هناك قناعة متعاظمة ، باستمرار المناقشات ، بأنه اذا كنا نريد التوصل الى اتفـــاق حول اطار التسوية ، فان الطريقة الوحيدة للتغلب على مشكلة اختلاف الآراء حول هـــذه القضايا الرئيسية ، هى اما بتجاهل ذكرها فى هذا الاتفـــاق ، أو ابتكار صـــيغة مبهمـــة يمكن لكل طرف أن يفسرها بطريقته . وسوف يؤدى ذلك ، فيما بعد ، الى اندلاع مساومات قاســـية ومعقـــدة ، ولكننا نكون ، على الأقل ، قد توصلنا الى اتفـــاق أولى)) .

((وقد كان التعامل مع القضايا العملية هو هدفنا الرئيسى فى كامب دافيد . ولكن كانت هناك ، أيضا ، مشـــكلة أثارتها بعض التعريفات والتعبيرات المعينة ، والتى كنا ، وبيجين على وجـــه الخصوص ، نريد حذفها من الاتفـــاق . واحـــد هذه التعريفات والتعبيرات ، على سبيل المثال ، كانت ((صيغة اسوان)) ، التى تتحدث عن ((حقوق دستورية)) للفلسطينيين ، وعن ((حقهم فى تقرير مستقبلهم)) . ومن القضايا الخلافية الاخرى : التزامنا بتطبيق قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ، وعلى وجه التحـــديد ديباجته التى تقرر حظر تملك الأراضى عن طريق الحرب . فقد كان يقلقنا اننا اذا ما شرعنا فى وضع اللحم على عظم هذه الصيغة ، فســـوف يقال لنـــا انه يتعين على اسرائيل الجلاء عن الضفة الغربية وقطاع غزة بأكملها ، وان للفلسطينيين الحق فى اقامة دولتهم المستقلة)) .

ثم يقـــول دايان بعد ذلك :

((... وبعد مشاورات مستفيضة بين اعضاء وفدنا ، قررنا

النظر الى المقترحات الامريكية باعتبارها مسودة أولية . فقد اخبرنا كارتر انه بعد أن يتلقى ملاحظاتنا على هذه المقترحات ، سوف يقوم بعرضها على الجانب المصرى . وكان ذلك يعنى انه ينوى التقدم بصيغة جديدة ، بعد سماع ردود فعل الجانبين المصرى والاسرائيلى ، لسد هوة الخلاف بين الجانبين . ولذلك فقد تجنبنا التعليق على التفاصيل الواردة فى المقترحات الامريكية ، وركزنا اهتمامنا على القضايا الأساسية)) .

((وبالنسبة الى سيناء،فقد اكدنا ان استعدادنا للانسحاب الى الحدود الدولية يجب فهمه فى ضوء مقترحات السلام التى تقدمنا بها، أى على وجه التحديد : أن تظل المستوطنات والمطارات الاسرائيلية القائمة فى شمال شرقى وجنوب شرقى سيناء تحت سيطرتنا)) .

((أما فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة ، فقد أكدنا انه لا يتعين علينا الانسحاب من هذه الأراضى . وقد رأينا ان مصدر الخطورة هنا يكمن فيما تضمنته ديباجة القرار رقم ٢٤٢ من الاشارة الى حظر الاستحواذ على الأراضى عن طريق الحرب . ولهذا فقد قررنا انه لا يجب ادخال هذا الجزء من ديباجة القرار فى معاهدة السلام)) .

((وبالنسبة الى مسألة الفلسطينيين ، فقد عزمنا على تجنب تلك الصيغة التى يمكن تفسيرها بأنها تعنى اننا نوافق على حقهم فى تقرير المصير وعلى اقامة دولتهم المستقلة . واقترحنا أن يتم تقرير مستقبل العرب الفلسطينيين الذين يقطنون الضفة الغربية وقطاع غزة فى مباحثات تعقد بينهم وبين مصر والأردن واسرائيل)) .

ويختم دايان عرضه هذا قائلا :

((... سلمنا الى الجانب الأمريكى ملاحظاتنا على

المقترحات التى تقدم بها . وبعد اجتماعهم بالوفد المصرى ، عاد الينا الأمريكيون وطالبونا ، فى حسم هذه المرة ، بالموافقة على الصيغة التى اقترحوها . وكان طلبهم هذا يتسم بالغضب والحنق ، وصاحبه انذار بتجنب التأثيرات السيئة التى سوف تصيب مكانة اسرائيل الدولية والتى سوف تنتج عن تقديم اسرائيل بوصفها الجانب المسؤول عن عرقلة جهود السلام » .
(دايان ، « الاختراق » ، ص ١٦٤ — ١٦٨) .

... ...

(٢) لا يذكر دايان فى كتابه « الاختراق » شيئا عن هذا الحديث .

... ...

(٣) لا يشير دايان بالتفصيل الى هذا الاجتماع الذى عقده الوفدان الأمريكى والاسرائيلى ، ولا الى الاجتماع المسائى الذى تلاه ، وفقا لرواية المؤلفين . وهو يجمل حديثه عن هذه الاجتماعات على النحو التالى :

« كان الوقت يمر بسرعة . وفقد كارتر وأعضاء وفده صبرهم معنا ومع المصريين أيضا . وأعلن الرئيس (الأمريكى) فى وضوح وحسم انه يجب انهاء المؤتمر يوم الأحد ١٧ سبتمبر . ولا اعرف ما هى ، على وجه التحديد ، الضغوط التى مارسها على السادات ، ولكنه قال لنا ان فشل المباحثات سوف يكون بمثابة كارثة تصيب العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وانه سوف يكون مضطرا ، آنذاك ، الى اخطار الكونجرس بأن اسرائيل ليست على استعداد لاتخاذ الخطوات الضرورية لاقرار السلام . وكان حنقه مركزا تجاه بيجين ، فقد قال : ان الرد الفورى لرئيس الوزراء بيجين تجاه اى شىء نقترحه هو : لا ، لا ، لا . وفيما بعد ، واثناء مشاوراتكم الداخلية يخفف من

موقفه ويوافق . وأحكمت السيطرة على نفسى ، وامتنعت عن سؤال الرئيس (الأمريكى) عن مصدر معلوماته عن المشاورات الخاصة التى تدور بين أعضاء وفدنا » . (دايان « الاختراق »، ص ١٧٣) .

... ...

(٤) يتضح مما يقوله كارتر فى كتابه ، ان الجانبين الامريكى والاسرائيلى ، عقدا فى هذا اليوم — الأحد ١٠ سبتمبر ١٩٧٨ — اجتماعين — أحدهما بعد الظهر والآخر فى المساء — لمناقشة المقترحات الأمريكية .

وفيما يتعلق بالاجتماع الأول ، يقول كارتر :

« فى ساعة متأخرة من بعد الظهر ، وبعد عودتنا من جيتسبورج ، عقدنا اجتماعا مع الجانب الاسرائيلى ، بحضور مونديل وفانس وبرزيزنسكى ودايان ووايزمان وباراك ، بجانب بيجين وأنا . وكنت أعرف ان هذا الاجتماع سوف يكون حاسما ، وانه سوف يتعين على فيه ان احوز ثقة الجانب الاسرائيلى ، وأن اقدم له عرضا ايجابيا لتسوية سلمية يمكن ، عندما تعلن شروطها ، أن تحظى بالقبول فى اسرائيل » .

« وبدأت (الاجتماع) بالتنبيه الى ان اجتماعنا هذا هو تتويج لشهور من العمل ، وسنوات من التخطيط بأمل احلال السلام ، وان نتائج الفشل واضحة . وحاولت ان أؤكد لهم ان الوثيقة (الأمريكية) متوازنة ، ولكننى اقررت ، أيضا ، ان اتخاذ القرارات النهائية بالنسبة لأى من الجانبين لن يكون أمرا سهلا » .

« (وقلت :) هناك عبارات فى (فى هذه المقترحات الأمريكية) سوف يكون من الصعب عليكم ، وعلى السادات أيضا قبولها ، لا لأنها سوف تضر بمصالح بلديكما ، ولكن لأنها

تختلف عن المواقف التى كنتما تتخــذانها ، والبيانات التى كنتما تصــدرانها فى المــاضى . وسوف يكون انجاز مهمتى هنا عمــلا ميؤوسا منه ، اذا رفض أى جانب منكما صياغة قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢)) .

(((وقلت :) ان السادات مستعد لمواصلة المفاوضــات من أجل عقد معاهدة سلام نهائى ، حتى اذا رفض الملك حسين . ولكن السادات تلقى اليوم رسالة من الملك حسين تقول انه سوف يكون مستعدا لتوقيع الاتفاق اذا وجده مقبولا . وعلى أية حال، فيجب علينا أن نتذكر ان عقد اتفاق بين مصر واسرائيل ســوف يحول دون الدول العربية الأخرى وشن هجوم على بلادكم . ذلك ان هذه البلدان ، بدون مصر ، لن تستطيع الوقوف منكم موقف التحدى . وهذا ، فى حد ذاته ، يمثل مصدرا رئيسيا من مصادر الأمن لكم . ولكن ذلك ، بطبيعة الحال ، يجب النظر اليه باعتباره الخطوة الأولى فى طريق الاتفاق مع الدول العربية الأخرى)) .

(((ثم أضفت قائلا :) اننى سوف أسلم السادات هــذه الليلة الوثيقــة التى ســوف أقدمها لكم الان . وآمل أن تتحلوا بالمرونة ، ولن تحــدوا بقــدر الامكان من اقتراحات ادخــال تعــديلات بها)) .

(((واستطردت قائلا :) لقــد تركنا جانبا ثلاث قضــايا (هى) : السيادة على الضفة الغربية وغزة ، والتى لن نحاول ايجاد حل لها هنا فى كامب دافيد ، والمستوطنات الاسرائيلية ، والتى تحتاج الى معالجتها بشكل منفصل ، والاتفاقيات الخاصة بالانسحاب من سيناء . وفيما يتعلق بالقضيتين الأخيرتين ، فاننى أرجو أن نتمكن من التوصــل الى اتفــاق بشأنها هنا فى كامب دافيــد)) .

((وبعد أن قرأ الجميع الوثيقة ، قال بيجين : ان مقترحات

السادات الأصلية وهذه الوثيقة يمكن ان يقررا مستقبل الشعب الاسرائيلى . ولذلك فاننى اقترح ارجاء هذه الجلسة حتى تتاح لنا فرصة التفكير فيها . وهناك عناصر ايجابية فى هذه الوثيقة ، وايضا تحتوى على عناصر اخرى قد تصيب شعبنا بأخطار جسيمة . وبعد أن نقوم بدراستها ، سوف نقدم لكم رأينا فيها بكل الصراحة . كذلك فاننى اود ان اطلب منكم ان تأجلوا تسليم الوثيقة الى الرئيس السادات . ذلك انه وفقا للخطاب الرئاسى المؤرخ فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٥ . فقد تعهدت الولايات المتحدة بالتنسيق مع اسرائيل والتشاور معها قبل التقدم بأية مقترحات بشأن التسوية السلمية . وزيادة على ذلك ، فانه بالنظر الى انه توجد الآن وثيقتان ، احداهما مصرية والأخرى امريكية ، فانه يجب ان تكون هناك ايضا وثيقة اسرائيلية ، من اجل اعلان الثلاثة معا . وقد أبلغت السادات بالفعل ان وثيقته غير مقبولة . وعلى ذلك ، فسوف نتقدم نحن أيضا بوثيقتنا ، لانه يجب نشر الوثائق الثلاث كلها . وسوف أترك هذه الغرفة ، والقلق يعتمل فى نفسى ، ولذا فاننى ارجو تأجيل هذا الاجتماع حتى الساعة العاشرة مساءا ، على سبيل المثال)) .

((واجبت عليه قائلا : سوف اكون مضطرا ، فى حالة اصرارك على ذلك ، ان ارضخ لطلبكم بالتأجيل . ولكننى افضل ان أقوم الآن بشرح بعض الخلافات الأساسية بين هذا المشروع وبين المطالب المصرية . فأنا لم اضع هذه المسودة بهدف أن يقوم اى منكما بادخال تعديلات اساسية عليها . وقد حاولت أن اضع فى حسبانى ما تريده اسرائيل وما تحتاج اليه . ولكن من اكثر الأمور جوهرية بالنسبة اليكم هو الاحتفاظ بعلاقات طيبة دائمة مع مصر ، الأمر الذى سوف يضمن الأمن الملائم لاسرائيل . وهذه الوثيقة تتجنب القضية العويصة الخاصة بالانسحاب الكامل من الضفة الغربية ، وهى تضمن لكم حرية الملاحة فى مضايق تيران

وقناة السويس ، وحرية الحركة عبر حـدود البلدين ، وعـدم تقسيم القدس ، وانهاء المقاطعة الاقتصادية والتجارية ، وضمانا ضد حشد أى قوات عسكرية هجومية مصرية فى سـيناء خلف ممرى متلا والجـدى)) .

(((واستطردت قائلا :) ان هذه الوثيقة ليس المقصود منها نشرها . ذلك ان صياغتها النهائية فقط هى التى سوف تنشر ، بعد ان تقبلها كل من مصر واسرائيل . وهناك بعض الأشـياء الأخرى التى أريد الحصول عليها لاسرائيل ، والتى ربما نجحت فى الحصول عليها ، ومنها : الاعتراف الدبلوماسى الكامل ، وتبادل السفراء بين مصر واسرائيل . وفيما يتعلق بالمستوطنات ، فان اى شىء توافقان عليه ، أنت والسادات ، سوف أوافق عليـه انا ايضا . ان التزامى هو ان استمر فى محاولة تمثيل مصالحكم، وان اتفاوض بالنيابة عنكم مع السـادات . وسـوف أقدم كـل ما أستطيعه من عون ، بما فى ذلك التوقف عن اى تدخل مباشر ، اذا كان ذلك ضروريا . وأعتقد ان السادات سوف يكون مستعدا لقبول هذه الوثيقة الأساسية)) .

((ثم ثار بيننا نقاش حاد حـول صياغة الفقرة الواردة فى قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ، والتى تنص على : عدم جـواز الاستحواذ على الاراضى عن طريـق الحـرب . وأصر بيجين ، مرة أخـرى ، على ان هـذه الصيغة غير مقبولة . واوضـح برزيزنسكى ان مقترحاتنا بشأن الضفة الغربية تدعوا الى اقامة حدود دائمة يتم تقريرها عن طريق المفاوضات)) .

((ورد عليه رئيس الوزراء (بيجين قائلا) : ان هـذه الصيغة تنطبق فقط على الحروب العدوانية . وعلى ذلك ، فاننا لا نسـتطيع أن نجعلها أساسا لمفاوضاتنا . فقـد أعطت حرب عام ١٩٦٧ لاسرائيل الحق فى تغيير الحدود)) .

« كان غاضبا . وكنت انا ايضا كذلك » .

« وأجبت : هل ترفضون قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ؟ . ان تحديدكم لما يعنيه يشوبه التحيز . أن تشطب هذه العبارة سوف يعنى انه لن يكون لدينا اساس للمفاوضات ، لا الآن ولا فى المستقبل . ان ما تقوله يقنعنى بأن السادات كان على حق ، وان ما تريدونه هو الأرض . اننا لا نحول (بهذه الوثيقة) دون اجراء مفاوضات فى المستقبل مع جيرانكم » .

« ورد بيجين قائلا : ان مشكلة الأمن تتضمن الأرض ايضا . اننا على استعداد لاعادة سيناء . ونحن مهتمون فى الوقت الحاضر ، كما أقر الدكتور برزيزنسكى ، بدعاوينا الشرعية بالسيادة على يهودا والسامرا وغزة » .

« لم يكن النقاش مجديا . فقد عدنا ، ببساطة ، الى ترديد حججنا القديمة . وآملت أن يتمكن دايان ووايزمان وباراك من معالجة بيجين بشكل افضل منى . وأرجأنا اجتماعنا حتى الساعة التاسعة والنصف من نفس المساء » .

« وقد قمت بابلاغ هذه التطورات الى السادات ، الذى وافق على تأجيل الاجتماع المقرر بينى وبينه الى اليوم التالى .

※ اما الاجتماع التالى بين الجانبين الامريكى والاسرائيلى ، فان رواية كارتر له تمضى كما يلى :

« التقى نفس اعضاء الجانبين الأمريكى والاسرائيلى مرة أخرى فى المساء . ولم اكن اتوقع أبدا ، حين جلسنا الساعة التاسعة والنصف ، إن نقاشنا سوف يستمر حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى » .

« وقد بدا بيجين الاجتماع قائلا : هناك اجزاء فى هذه

الوثيقة تتسم بالايجابية ، ونحن نقدرها تقديرا عميقا ، مثل تلك الفقرة الجميلة الخاصة بالقدس . ونحن نقدر ما بذلتموه من جهد ، ولكن لدينا بعض الاقتراحات بادخال بعض التعديلات . وسوف نقدم في الغد ردنا على الوثيقة المصرية . وسوف نقدم الآن ردنا على مقترحاتكم ، فقرة فقرة » .

« واخذ المدعى العام باراك بتناول المقترحات فقرة فقرة . وكانت أول حلقة في سلسلة المقترحات (الاسرائيلية) هي حذف كل الاشارات الى قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . وكنت قد انتويت ان اتيح للجانب الاسرائيلي ان يعلن كل ما يريدون ادخاله من تعديلات ، قبل الرد على أي منها . ولكنني لم أستطع ان أمنع نفسي » .

« وقاطعت (باراك) قائلا : ان الوقت لا يسمح لنا باللف والدوران . ولو كنتم قد سحبتم موافقتكم على قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ، لما كنت قد دعوتكم الى كامب دافيد ، ولما كنت قد دعوت لعقد هذه الجلسة » .

« واجاب بيجين : ان لا نعتبر القرار ، بما في ذلك ديباجته ، ملزما في حد ذاته . وقد كان ذلك هو موقفنا طوال الاحدى عشر عاما الماضية » .

« كان هذا الادعاء ، بالنسبة لي ، مجرد ستار لرفض الوثيقة الوحيدة التي ترتكز عليها كل الجهود الرامية الى اقرار السلام في الشرق الاوسط . وقد وافقت اسرائيل ، وجميع أعضاء الأمم المتحدة تقريبا ، عليها باكملها . وقلت : ربما كان ذلك هو السبب في انكم لم تنجحوا في اقامة السلام طيلة الاحدى عشر عاما الماضية . وحتى الآن ، فان كافة اقتراحاتكم هذه الليلة كانت تتركز حول حذف اجزاء من قرار الأمم المتحدة . ولقد

ايدت اسرائيل مرارا القرار رقم ٢٤٢ ، ولكنكم الآن ترفضون احترام صياغته . واذا كنتم ترفضون القرار رقم ٢٤٢ ، فان ذلك سيكون بمثابة ضربة قاصمة لجهود السلام)) .

((ورد بيجين قائلا : انني مستعد لقبوله ، ولكن ليس كأساس لما يترتب عليه في مقترحاتكم)) .

((وأجبت عليه قائلا : ان قرار الأمم المتحدة بأكمله يتضمن عبارة واحدة فقط ، وانتم لا تستطيعون تقسيمها . وهناك يضع كلمات قليلة تمثل اهمية ما لدى الرئيس السادات ، ومنها عدم جواز الاستحواذ على الأراضي عن طريق الحرب)) .

وقال دايان مقترحا : ان مقترحاتنا بشأن سيناء والضفة الغربية لا تتضمن تعديلات للاراضي . ولكننا ، لمعرفتنا بالتفسير العربي للعبارة المختلف عليها ، فنحن لا نريدها . ان القرار رقم ٢٤٢ لا يلزمنا بالعودة الى حدود عام ١٩٦٧ في كل مكان)) .

((وقلت : ان مقترحاتنا تقرر بوضوح انه يجب اجراء مفاوضات بشأن الحدود . واذا وافق السادات على وثيقتنا ، فان ذلك سوف يصبح هو موقفه أيضا . والسادات يرغب بصدق في عقد اتفاق معكم ، وهو ، بشكل ما ، يمثل العالم العربي . وهو لا يحاول أن يسلب منكم مواقفكم التفاوضية مع سوريا والأردن فيما يتعلق بالوضع الدائم لمرتفعات الجولان والضفة الغربية . وهو يريد التوصل الى حل بشأن قضية سيناء هنا ، ويمكن التوصل الى حل للقضايا الأخرى في السنوات القادمة .

وتستطيعون ، حينئذ ، أن تختاروا بين الحكم الذاتي او تقسيم الضفة الغربية . وهذا هو السبب في مرونة الصياغة هنا . ويجب عليكم أن تستلفوا هذه المرونة . ولكن ذلك لا يمكن أن يكون فقط مجرد معاهدة مصرية ــ اسرائيلية)) .

((ومرة أخرى ، تحدث بيجين ، وقال : نحن لا نعترض على امتداحكم للسادات ، ولكنه يريد منا ان نرتد بوصة بوصة .

ان السادات يريد عقد اتفـاق مع اسرائيل وفقـا لشروطه ، وفى هذا خطر بالغ على اسرائيل . اننا نتحدث هنـا عن وجـود أمتنا ذاته » .

« وحثنا وايزمان قائلا : دعونا نستمر » .

« ودار مثل هذا النوع من الجـدال لساعات طويلة ، ونحن نحلل المقترحات الأمريكية جملة جملة . وقد تجادلنا حـول كيفية صياغة ضمان السادات بفتح الممرات المـائية أمـام السـفن الاسرائيلية . وادعى بيجين أن مصر لم يكن لها حق اغلاق الملاحة فى قنـاة السويس امـام السـفن الاسرائيلية . فى المقـام الأول ، وانـه لذلك ، فانـه لا يمكن اعتبـار اسـتعداد السادات لفتحهـا الآن تنـازلا . وبدا أن بيجين غير مهتـم على الاطلاق بالمشـكلة الفلسطينية . لقد اعترض على كافـة الاشارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية تقريبا ، بما فى ذلك عبارات مثل : حل المشـكلة الفلسطينية بكل جوانبها ، و : الحقـوق الشرعية ، مقـررا أن العبـارة الاخيرة تتسم بالتعميم ، الـذى لا يمكن التنبؤ بما يمكن أن يؤدى اليـه . كذلك اصر بيجين على اسـتبدال تعبير : الشـعب الفلسطينى بتعبير : العـرب الفلسطينيين » .

« وثارت مشـكلة خطيرة عنـدما وصلنا الى الجزء المتعلق بالحكم الذاتى للفسطينيين . وحين اقترح الجـانب الاسرائيلى صياغة بديلة ، أصبح من الواضح انهم لا يريدون اعطاء سـكان الضفة الغربية وغزة اية سيطرة حقيقية على شئونهم . ورغـم انهم كانوا قد وافقوا بالفعل على انهـاء حكومتهم ، وعلى قصر تواجد قواتهم المسلحة على نقـاط أمن محددة ، فانهم كانوا يريدون زرع الاسرائيليين فى كافة انحـاء المنطقة من اجل الحفاظ على

« الأمن العــام » . وبالاضافة الى ذلك ، فقد كانوا يريدون ان يكون لهم حق الاعتراض (الفيتو) على القــرارات التى يتخذها السـكان المحليون بخصوص اى امر من الأمور » .

« وقلت : ان ما تريدونه هو ان تجعلوا الضفة الغربية جزءا من اسرائيل » .

« واضاف فانس : ان الفكرة كلهــا هى ان نتيح للسـكان حكم أنفسهم . ولكنكم تحتفظون بحق الفيتو » .

« واجاب بيجين : اننا نريد ان يكون لنـا هذا الحق ، ولكننا لا ننوى ممارسته » .

« وقلت : لن يوافــق أى عربى يحترم نفسه على ذلك . ان الأمر يبدو وكأنه خدعة . فنحن نتكلم عن الحكم الذاتى الكامل . واذا كنتم تريدون أن يكون لـكم حــق التصديق على قوانينهم ، وممارسة حق الاعتراض على قراراتهم ، والاحتفاظ بحاكم عسكرى هنــاك ، فان ذلك لن يكون حكما ذاتيا » .

« وقــــال بيجين فى اصرار : ان الحـــكم الذاتى لا يعنى السيادة » .

« وقال وايزمان : اننا بحــاجة الى عنصر الوقت . فنحن نريد تجربة الفكرة » .

« وقلت : ان السادات لن يتفاوض على التفــاصيل التى اقترحتموها . انه لا يبالى على الاطلاق بما اذا كانت هناك احدى عشر او خمسة عشر ادارة فى حــكومة الضفة الغربية . فالمهم هو ما اذا كان لهــؤلاء الناس حقا قطعيا فى حــكم انفسهم أم لا . ولو كنت عربيا ، لفضلت الاحتــلال الاسرائيلى القائم ، علـى ما تقدمونه من مقترحات » .

« ثم انفقنـــا ، بعـــد ذلك ، كثيرا من الوقت فى التنقيب فى القواميس بحثا عن معانى عبارات : الحكم الذاتى والسـيادة والحقوق » .

« واخيرا ، قال دايان : سوف نعيد النظـر فى اعتراضاتنا .. سوف نفكر فى الأمر . واذا قبلنا صياغتكم ، فان السبب فى ذلك هو اننا نعرف أن السادات لا يستطيع التفاوض حـول مثل هـذه التفاصيل . ونحن لا نسعى وراء السيطرة السياسية . واذا كان الأمر يبدو هكذا لـكم ، فسوف نعيد النظر فى الأمر » .

« واردت ان اسكن مخاوفهم ، فقلت : سوف احـــاول جاهدا ان اضمن ان سـكان الضفة الغربية وغزة الدائمين وحدهم هم الذين سـوف يشاركون فى المفاوضات .. وليس جميـــع الفلسطينيين . ان السادات يبحث عن صياغات لا تـؤدى الى انعزاله ، ولكننى سوف احاول حمله على الموافقة . ولكنكم اذا اخرتم تنفيذ اتفـاق الضفة الغربية لمـدة ثلاث سنوات ، فـان السادات سوف يرجىء التوقيع على معاهدة السلام » .

« وكان الاسرائيليون ، فى مباحثات سابقة مع فانس وبراون ، قد قالوا انهم سوف يسحبون قواتهم العسكرية ويعيدون توزيعها فى مواقع امن محددة . ولكنهم كانوا يريدون الآن حذف هذا الالتزام من الوثيقة . وبينت ان من الأفضل لهم الابقـاء على صياغتنا ، وأن يوقعوا الاتفـاق مع السادات ، ثم يتباحثوا فيما بعد مـع (الملك) حسين حول تحديد مواقع نقـاط الأمن المشار اليهـا بالضبط فى منطقة الضفة الغربية . واتفقنا ، فى النهـاية ، ان اقوم بتسليم هذه الصـياغة الى السادات ، مشيرا له الى النقاط التى يعترض عليها الجانب الاسرائيلى » .

« واستمرت المناقشات . واقترح بيجين اضافة عبـارة :

القدس ، عاصمة اسرائيل ، ثم عدل عن اقتراحه عندما سخر دايان من امكانية حمل السادات على التوقيع على مثل هذه العبارة . واضفت ان الولايات المتحدة لا تعترف بمثل هذا الادعاء. وواصلنا الجدال حول كافة النقاط الواردة فى وثيقتنا تقريبا ، بما فى ذلك القضايا التى كان الجانب الاسرائيلى قد وافق عليها فيما سبق . واصبح من الواضح ان بيجين يتخذ موقفا متعنتا ، يتماثل مع الموقف الذى اتخذه السادات فى اليوم الأول . ولكن الفرق هو ان بيجين كان يجادل بشكل متصلب حول كل نقطة ، بينما اوضح السادات ، منذ البداية ، ان وثيقته تمثل المواقف المصرية المتطرفة التى لن يصر عليها . كان الأمر محبطا وباعثا على فقدان الأمل . ولكننا استطعنا ، بمساعدة دايان ووايزمان وباراك ، احراز تقدم بطىء » . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ، ص ٣٧٢ — ٣٧٨) .

* انظر الهامش رقم « ١ » لهذا الفصل . وبجانب ذلك ، يقول سيروس فانس ، وزير الخارجية الأمريكى الأسبق :

« قمنا ، وفقا لما سبق الاتفاق عليه ، بعرض مسودة مشروعنا على كل من الوفدين بشكل منفصل وغير رسمى . وعقدنا — اى كارتر ومونديل وبرزيزنسكى وانا — جلسة محادثات مطولة مع بيجين وكبار مستشاريه يوم الأحد . وانتهى الاجتماع بالاتفاق على أن يقوم بيجين واعضاء وفده بدراسة مسودة مشروعنا هذه الليلة (ربما كان ذلك هو الاجتماع الصباحى الذى يشير اليه مؤلفوا الكتاب — المترجم) . ثم اجتمعنا — انا وكارتر وبرزيزنسكى — بهم مرة اخرى صباح يوم الاثنين لتلقى ردهم . وكان الاسرائيليون قد حذفوا كافة العبارات الواردة فى مقدمة مسودة مشروعنا والتى استقيناها من القرار رقم ٢٤٢ ، وخاصة تلك التى تشير الى عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق

الحرب وقاموا ايضـــا بالتخفيف من الاشارات الى ((الشـــعب الفلســطينى)) ، واستبدلوا بها عبارة ((ســلطة الحكم الذاتى)) و ((المجلس الادارى)) . كما حذفوا ايضا الاشارة الى عقد معــاهدة سلام لتسوية الوضـــع النهائى للضفة الغربيــة وقطاع غزة ، واستبدلوا بها جملة تقول ان المفاوضات ســوف تتناول ((كافة القضايا البارزة بعد انتهاء فترة الانتقال . كذلك حذفوا من الفقرة الخاصـــة بالقدس الجملة التى تقول : ((يتعين فى المفاوضـــات الخاصة بالوضع النهائى للضفة الغربية وقطاع غزة التوصل الى اتفاق بشأن العلاقات المتبادلة فى القدس . كمـــا رفض الجانب الاسرائيلى ، فى صراحة ، ما طالبنا به بشأن تجميد المستوطنات اثناء اجـــراء المفاوضات . وقمنا بسرعة بتنقيح وثيقتنا ، وادخلنا فيها بعض ما اقتـــرحت اسرائيل تغييره ، ورفضـــنا بعض التغييرات الاسرائيلية الأخرى . وقام الرئيس بتسليم السادات هذه الصورة المنقحة فى وقت متأخر من صباح الاثنين . وكنا قد استبقينا الفقـــرة الخاصة بالقدس ، ولكننا تركنا الفقرة الخاصة بالمستوطنات بيضاء، حتى تنتهى مناقشاتنا الاستطلاعية مع بيجين وديان)) .

((وقد أظهرت الملاحظات المصرية ، بالاضافة الى تلك التى قدمتها اسرائيل ، مدى طول الطريق الذى علينا ان نقطعه . فقد كان المصريون ايضا ، فى حقيقة الأمر ، يريدون اعادة كتابة مسودة مشروعنا . فقد حذفوا العنوان : ((الضـــفة الغربية — غزة)) ، واستبدلوه بعنوان آخر يقول : ((المشكلة الفلسطينية)) . كذلك ادخلوا اشارات الى : ((الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى)) . وقررت المسودة المصرية انه يجب اخلاء المستوطنات الاسرئيلية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وان الشعب الفلسطينى سوف يقوم بتقرير مستقبله بعد نهاية فترة الخمس سنوات الانتقالية . وزيادة على ذلك ، فقد نصت مسودة مشروعهم على ان يتم نقل السلطات الحكومية الى مصر والاردن عند بـــدء الفترة الانتقالية . كما نصت

المسودة المصرية ، أخيرا ، على اعادة السـيادة العربية والادارة العربية الى القدس ((العربية)) (أى الشرقية))) .

((كان واضحا ان أمامنا ، فيما يتعلق بطبيعة الحكم الذاتى الفلسطينى ، وجهتى نظر يتسمان بتضاد حاد . فقد كان المصريون ينظرون الى الحكم الذاتى بوصفه تمهيدا لاعطاء الفلسطينيين حق تقرير مصيرهم ، وبانسحاب اسرائيل من الضفة الغربية . وكانت وجهة النظر الاسرائيلية ، كما تبدت فى المقترحات التى قدمها بيجين فى ديسمبر ١٩٧٧ بشأن الحكم الذاتى ، تعتبر الحكم الذاتى نوعا محدودا من الحكم الادارى الذاتى فى ظل ظروف تحتفظ فيها اسرائيل بسـيطرتها على كل من الضفة الغربيـة وقطاع غزة ... وكان التحدى الذى واجهنا فى مفاوضات كامب دافيد هو احداث تزاوج بين هذين الهدفين المتضادين ، وذلك بالبناء على مبادرتين ، الأولى هى مبادرة السادات بزيارة القدس ، والثانية هى المبادرة المتمثلة فى مقترحات بيجين بشأن الحكم الذاتى)) .

((وقد سارت معالجتنا لهذا التحدى عبر طريقين يربط بينهما رباط وثيق الأول هو اننا عملنا على الضغط على بيجين حتى يذهب الى أبعد ما يستطيع من أجل قبول المبادىء العامة للانسحاب ، وتطبيق القرار رقم ٢٤٢ على كافة الجبهات ، والعمل من أجـل الوصول الى تسوية شاملة . اما الطريق الثانى ، فقد تمثل فى محاولتنا تحويل مشروع بيجين للحكم الذاتى الى اعداد جـدى ((للحكم الذاتى الكامل)) للسكان الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وتوفير الآليات اللازمة لحل أخير للوضع النهـائى للضفة الغربية وغزة عند نهاية فترة الخمس سنوات الانتقالية)). (فانس ، ((خيارات صعبة)) ص ١٧٨ و ١٧٩) .

* أما موشى دايان، وزير الخارجية الاسرائيلى الأسبق فيقول: ((فى يوم ١٤ سبتمبر ، تلقينا من الجانب الأمريكى مقترحاته

الثانية — والمعدلة — بشأن الاتفاقية . وقد سبق ذلك عقد عدة مباحثات بين وفدنا ووفدهم . وقد تمت تغطية مسالة مستوطنات سيناء — أى ماذا كانت ستبقى أم لا — عن طريق صيغة تم الاتفاق عليها ، وهى أن يقوم رئيس الوزراء (بيجين) بعرض الأمر على الحكومة والكنيسيت كى يتخذا قرارا بشأنها . وقد أعلن السادات ، من جانبه ، بأنه اذا لم تستجب اسرائيل لمطالبته باخلاء هذه المستوطنات ، فانه لن يستطيع التوقيع على الاتفاق . وأما فيما يتعلق بالقدس ، فقد ظلت الهوة التى تفصل بين الموقفين، المصرى والاسرائيلى ، واسعة كما هى ، وأصبح واضحا اننا سوف نكون بحاجة الى اجراء مناقشات اخرى بشأن هذا الموضوع الشائك ، اذا تم الاتفاق على القضايا الأخرى » .

« .... وقد كانت المقترحات الأمريكية الجديدة تثير رضاءنا أكثر من المقترحات الأولية ، ومع ذلك فقد كانت هذه المقترحات تحوى عدة بنود لم يكن يمكننا الموافقة عليها بأى حال من الأحوال».

« وعند حلول المساء ، قدم فانس الى كوخ بيجين كى يستمع الى ردنا . وقد وجد رئيس الوزراء فى حالة توتر شديد . فقد كانت المناقشات المطولة والجدل والمساومة قد افرغت صبره . وقال (بيجين) لوزير الخارجية (الأمريكى) انه مضطر للحديث فى صراحة كى يعبر عن احباطه العميق . فبعد ثمانية ايام من الايضاحات المطولة والتفصيلية والمنهكة ، قدم الأمريكيون لنا ورقة تحوى صيغا سوف تؤدى حتما الى اقامة دولة فلسطينية . وقد ذهبنا ، فى مجرى مناقشاتنا ، الى حد قبول تعبيرات كنا ، قبل ذلك ، نرفضها دون تردد ، مثل : « الحقوق المشروعة » و « اعادة توزيع القوات » و « مواقع محددة » . وقد فعلنا ذلك كى نصل الى اتفاقية مصرية — اسرائيلية . وقد وصلنا بالفعل ، فيما يتعلق بمسالة الفلسطينيين الرئيسية ، الى صيغة مقبولة مع الولايات

المتحدة . ولكن الولايات المتحدة تتراجع الآن عما كانت قد وافقت عليه من قبل . ولذلك فان اسرائيل لا تستطيع قبول المقترحات الأمريكية هذه » .

« غضب فانس غضبا شديدا . وفشل هذه المرة ـ عكس سلوكه فى مناسبات سابقة ـ فى الاحتفاظ بهدوءه . فقد اكتسى وجهه باللون الأحمر ، واخذ يشوح بذراعيه ، وعلت نبرات صوته . ذلك انه بالرغم من أن بيجين اقتبس فقط اجزاءا من جمل فان وزير الخارجية (الأمريكى) كان يعرف تماما ما يعنيه ذلك وما يرتبط به . فقد كانت « الحقوق المشروعة » ترتبط بالدولة الفلسطينية ، كما كان « اعادة توزيع القوات » يرتبط بانسحاب القوات الاسرائيلية وقصرها على « مواقع محددة » .

« وقال فانس : لقد حاولنا قدر استطاعتنا ان نجعل الطرفان يصلان الى نصوص متفق عليها . وأنت مصيب ، يابيجين ، فيما قلته بشأن الصيغة التى اتفقنا عليها . وقد قلنا لك انه ، وفق تقديراتنا ، فان المصريين سوف يقبلون هذه الصيغة . ولكننا اكتشفنا اننا قد اخطأنا التقدير ، وان المصريين لا يوافقون على هذه الصيغة » .

« زم بيجين شفتيه ، وغرق فى الصمت . وتولى باراك حبل الحديث ، ومضى يتناول موادا أخرى فى المقترحات الامريكية كنا نراها غير مقبولة . ذلك ان الاضافات التى ادخلتها الولايات المتحدة حول اجراء استفتاء بين السكان فى الأراضى التى تديرها اسرائيل ، واقامة حكومة فلسطينية ، تمثل تغييرا جذريا فى « صيغة اسوان » ، وهى صيغة قبلناها على مضض كبير . والصياغة الجديدة تعنى اقامة دولة فلسطينية ، ومصر والولايات المتحدة تعرفان ان اسرائيل لن توافق على ذلك ، بل ان الرئيس

كارتر نفسه قد صرح أكثر من مرة بأن الولايات المتحدة تعارض ذلك)) .

((وبينما كان باراك يتحدث ، دق جـرس التليفون . وكان المتحدث هـو الرئيس (الأمريكى) الذى طلب من فانس ان يأتى لمقابلته . وران الصـمت على الغرفة . وقال بيجين لفانس ، فى صوت ناعم وهادىء ، انه يبدو ان مؤتمر كامب دافيـد لن ينتهى باتفاق ، بل بتبادل البيانات التى يصدرها كل طرف كى يفسر لماذا لم يقبل مقترحات الطرف الآخر . ورد عليه فانس قائلا انه مستعد للعودة فى المساء كى يقابل ممثلى الوفـدين المصرى والاسرائيلى لمواصلة البحث عن حل وسـط . ووافق بيجين على ذلك)) .
(دايان ، ((الاختراق)) ، ص ١٧٣ ــ ١٧٥) .

* ويقول وزير الدفاع الاسرائيلى الأسبق ايزر وايزمان :
((كان المشروع الأمريكى يتكون من سبعة عشر صفحة من المواد المتفجرة . وفى محاولة لتوجيه المناقشات ، دار الأمريكيون حول المسائل الخلافية ، مثل مصير المسـتوطنات والمطارات فى سيناء . وفى نفس الوقت ، اضافوا مجموعة من الشروط المتعلقة بيهودا والسامرا وقطاع غزة ، تتضمن مسألة الحدود والمشاركة الفلسطينية ، وستكون هناك سلطة حكم ذاتى ، وليس مجلس (ادارى) ، ولن يستمد كيان الحكم الذاتى سلطته من الحـكومة العسكرية الاسرائيلية ، وستتمتع الأردن بوضـع خاص ، ولن تقام مستوطنات جديدة وستجمد المستوطنات القائمة ، وسيجرى استفتاء لتحديد الوضع النهائى فى الضفة الغربية)) .
((وقال بيجين : ايها السادة ، لقد نقل الأمريكيون ببسـاطة الخطة المصرية . وكان تعبير وجهه كالحا ، وشعرت بالقلق من لهجته الهادئة : كان يبتلع غضبه ، وخشيت ان تنفجر صـمامات قلبه ...)) .

« ... لقد كانت تلك ليلة مناحم بيجين . فقد كان جالسا على رأس الوفد الاسرائيلى فى مواجهة كارتر والآخرين . وقد ارتفع صوته كى يزيل أى شكوك أو سوء فهم ، ورفض وعدل أجزاءا ضخمة من المقترحات الامريكية . واثناء المناقشة ، ذكر كارتر أنه يعتزم اثارة موضوع الحقوق الوطنية للفلسطينيين ، بما فيها حقهم فى تقرير المصير . ورفض بيجين قائلا ان ذلك خارج الموضوع . اذ كان يخشى أن تؤدى هذه المناقشة الى أن تفتح الاحتمال لدولة فلسطينية فى المستقبل البعيد » .

« وعندما اقترح الرئيس الأمريكى تجميد المستوطنات ، رفض الاسرائيليون ذلك فى الحال . واقترح كارتر ان تستمر وحدات عسكرية اسرائيلية فى التواجد فى الضفة الغربية بعد فترة السنوات الخمس ، فوجد الوفد الاسرائيلى أخيرا نقطة نستطيع الاتفاق عليها مع كارتر » .

« ولكن كارتر أعلن أيضا أن السادات لن يقدم تنازلات بالنسبة للمستوطنات والمطارات الاسرائيلية فى سيناء ، وبالتالى فعلى اسرائيل الانسحاب منها . فقال بيجين بلهجة تأكيد : أننا لا نحل المستوطنات ، ولا نحرثها ، ولا نزيلها » .

« ... وعندما وصلنا الى الشرط الخامس — الذى يقضى بعدم جواز اكتساب الأرض عن طريق القوة — أصبح رد فعل بيجين شرسا الى اقصى حد ، وقال : ان هذا الشرط لا ينطبق على حالتنا ، فالأراضى التى نحتلها غزوناها فى حرب دفاعية . ويجب أن تعرف ، ياسيادة الرئيس ، اننا فى كل الحروب كنا ضحايا للعدوان العربى . كما اعترض بيجين بشدة على عبارة فى الديباجة تقرر : ان احتلال الأراضى بالقوة لا يمكن قبوله . وكانت العبارة تبدو بريئة ، الا ان بيجين اشتم فيها فخا ، وخشى أن تستخدم فيما بعد لإجلاء اسرائيل عن مرتفعات الجولان » .

« وقال رئيس الوزراء لكارتر : لن أقبل هذه العبارة. واجابه كارتر : ان هذا ، ياسيدى رئيس الوزراء ، ليس رأى السادات فقط ، ولكنه أيضا رأى الولايات المتحدة ، وسيتعين عليك أن تقبله » .

« وكانت الساعة قد قاربت الثالثة صباحا . وزم كارتر على شفتيه ، ولم يستطع ان يخفى غضبه أكثر من ذلك ، فأطبق بيده على الأوراق التى أمامه ، والقى بالقلم الرصاص من يده ، وعيناه الزرقا وأن تتوهجان بالغضب ، وقال ثانية وكأنه يذكر الكلمات لنفسه : يتعين عليك أن تقبل . وقال بيجين بلهجة حازمة : سيادة الرئيس ، أرجوك ، لا تهديدات » .

... ...

(٥) يقول كارتر عن حديثه هذا مع دايان ، الذى يشير اليه المؤلفون ، والذى دار بينهما عقب انتهاء الاجتماع الليلى الذى عقده الجانبان الأمريكى والاسرائيلى فى ١٠ سبتمبر ١٩٧٨ ، لمناقشة المقترحات الأمريكية :

« عندما انتهى الاجتماع ، سألت دايان أن يعود معى ، سيرا على الأقدام ، الى كوخى . كان رجلا كفؤا ، متزن التفكير . وشعرت بأنه لو كان هو ، أو وايزمان ، على رأس الوفد الاسرائيلى ، لكنا قد توصلنا ، الآن الى اتفاق — بالرغم من أن مقترحات بيجين بشأن سيناء هى التى ساعدتنا فى عقد اجتماعنا هذا فى كامب دافيد . وقد كنت ، عندئذ فى احتياج الى عون خاص من دايان ، ولكننى كنت أدرك ضرورة ولائه لرئيس الوزراء . ورغم أن كلانا كان منهكا بعد يوم عمل طويل ، فان الوقت كان قد حان لأن تجرى حديثا جديا فيما بيننا » .

« قلت لدايان اننى أعتبر بيجين غير معقول ، وانه يمثل عقبة فى طريق التقدم ، وان الشكوك قد بدأت تعتورنى فى جدية

التزامه بعقد اتفــاق ، وبمعاهدة السلام التى سوف تتبعــه . وشرحت له الخطوات التى اتخذها السادات كى يكون متجاوبا ، وتاكيداته الشخصية لى فيما يتعلق بمزيد من المرونــه ، بشرط الالتزام بحفنــه من النقــاط المحورية . وطلبت من دايــان أن يساعدنى داخل الوفد الاسرائيلى فيما يتعلق بهــذه الحفنة من القضايا » .

« وفهم دايان مشكلتى ، ولكنه كان مقتنعا بأن بيجين يرغب حقــا فى التوصل الى اتفاق . وقال ان قضية المستوطنات من أكثر القضايا صعوبة بالنسبة الى بيجين ، وخاصة انهــا تتعلق بمستوطنات سيناء . وطلب منى أن احــاول اقناع الســادات بنقل ملكية المستوطنات الى مصر ، على أن يسمح للمستوطنين الاسرائيليين بمواصلة الحيــاة هنــاك لفترة محدودة ، تماما كما لو كان سوف يسمح لهم بالحيــاة فى القاهرة أو الاسكندرية . وبدا الطلب معقولا له ، وقال انه قد يرضى كــلا من الســادات وبيجين » .

« ووعدت ان اثير هذا الموضوع مع السادات ، ولكننى لم اكن اظن أن لهــذا الاقتراح فرصة فى النجاح ، لأنه (اى السادات) سوف يعتبره ، انتهاكا للسيادة المصرية . وكان الموضــوع قــد استنفذ تقريبا فيما يتعلق بى . فقد انفقت نصف وقتى ، منــذ قدومنا الى كامب دافيد ، فى مناقشة مستوطنات سيناء مع بيجين، سواء بحضــور السادات أو بغير حضوره » .

« وكان دايان يأمل فى امكانية نقل القــاعدة الجــوية بالقرب من شرم الشيخ الى قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام ، وفى نقل المطــار القريب من العريش الى الولايات المتحدة ، وفى احتفاظ اسرائيل بالمطار القريب من اتزيون لبعض الوقت . ولــم أكن بعد ملمــا بجغرافية سيناء ، ولكننى وعدت بالتحــدث الى

وايزمان ، ثم بعد ذلك الى السادات . ولم اكن اعرف اننى سرعان ما سوف اغرق حتى اذناى فى هذه المسألة)) .

((تحدثنا بهدوء حول قضايا اخرى ، خلال هذه الساعات الاولى من الصباح . وكنا وحدنا ، فيما عدا مساعد دايان ، الذى كان ينتظر فى الطريق ، مستعدا لنقل دايان الى كوخه فى احدى عربات الجولف . وكان ضوء الصباح على وشك الانبلاج ، ولكن الظلام كان لا يزال سائدا ، عندما تركنى دايان كى يعود الى كوخه . وقد وجد صعوبة فى رؤية الاشجار التى كانت تقف بينه وبين الممر . وعندما اصطدم بواحدة منها ، تذكرت مدى خطورة اصابة عينيه . وطار قلبى اليه . فقد اعتبرته صديقا ، وحليفا وفيا . ولأن رئيس الوزراء بيجين كان يثق به ، ويعتمد على ، فقد كان هذا النقاش هاما ومثمرا بالنسبة الى)) (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٧٨ و ٣٧٩) .

... ...

(٦) يقول الرئيس الامريكى السابق جيمى كارتر عن اجتماعه بالسادات الذى يشير اليه المؤلفون ، والذى انعقد فى اليوم السابع من أيام كامب دافيد الموافق يوم الاثنين ١١ سبتمبر ١٩٧٨ :

((رغم اننى استيقظت مبكرا كى أضم التغييرات الاسرائيلية التى اتفقنا عليها الى مقترحاتنا ، فان النسخة النهائية المكتوبة على الآلة الكاتبة لم تكن قد جهزت بعد عندما وصل السادات الى كوخى . وقد اتى وحده ، واثناء انتظارنا ، ناقشنا مستقبل المفاوضات حول سيناء)) .

((ورغم اننى لم اكن مستعدا ، فقد رسمت له الخطوط العريضة لنوع الاتفاق الذى افكر فيه ، بما فى ذلك مقترحات دايان . ولم يكن السادات مستعدا لابقاء اى من القواعد

الجوية على أراضــيه ، ورفض على الفـــور فكرة تملك مصر للمستوطنات فى سيناء ، وابقاء المستوطنين الاسرائيليين يعيشون فيهــا)) .

((وعندما سألته اذا كان يمكن أن يسمح لليهود من آيــة دولة ، بما فى ذلك اسرائيل ، أن يعيشوا فى القــاهرة او فى اسوان، قال : بالطبع . فبينت له انه فى هذه الحالة فانه من غير المنطقى عدم السماح بذلك فى مستوطنات سيناء)) .

((فقال السادات : هناك أشياء فى الشرق الاوسط ليســت منطقية أو معقولة . وبالنسبة الى مصر ، فان ذلك واحد منها)) .

((كان حازما : لابد للمستوطنين من الجلاء)) .

((وتساءلت ما اذا كان سوف يصر على تدمير التسهيلات . فأجاب السادات : يمكن لاسرائيل أن تنقل أى من التسهيلات التى يمكن نقلها من هناك . واذا أرادوا ، فيمكنهم نقل المبانى أيضا . ولكننى أحتاج الأماكن كى يعيش فيهــا شعبى ، وسوف نســعد باستخدام أى شىء يتركوه لنــا . وســوف أوافق على ما تفضله اسرائيل ، وسوف أدون ذلك كتابة ، اذا كــان ذلك ضروريا . كذلك ، فسوف أكون مسؤولا عن العثور على موطن فى مــكان آخر فى مصر لأى مستوطن يرغب فى العيش فى بلادى)) .

((وكان يريد أن يتم انسحاب جميع الاسرائيليين من سيناء كاملا . فى بحر عامين . وكنت افضل اطالة هذه الفترة الى ثلاث أعوام ، لارضاء الاحتياجات الاسرائيلية ، فوافقنى)) .

((ووصلت الوثيقة ، وقرأها السادات بصوت عال ، متوقفا بين الحين والآخر لابداء ملحوظة ما ، او لاقتــراح ادخــــال تعــديل معين . وقد كانت الصعوبة الاولى مفاجأة لى . فقد تقدم بطلب جديد بـ ان يسمح للقوات المسلحة المصرية والاردنية بدخول

منطقتى الضفة الغربية وغزة . واعترضت على ذلك بشدة . فأجاب بأنه ان لم يحدث ذلك ، فسوف يعنى هذا انه سوف يوافق على تواجد قوات الاحتلال الاسرائيلى وحدها فقط فى هذه الأراضى » .

« وطلبت منه أن يضمن الوثيقة صياغة جديدة تنص على الاعتراف الدبلوماسى ، وتبادل السفراء ، والقيام ببرامج ثقافية مشتركة ، وتوسيع نطاق التجارة بين مصر واسرائيل . فأجاب بأنه قد يفعل ذلك مع قيادة اسرائيلية اخرى مختلفة ، ولكن سلوك بيجين يحول دون قيامه بتلبية ذلك فى الوقت الحالى . فالححت عليه — وقد ظللت أفعل ذلك طيلة عدة ايام — لأن ذلك سوف ينظر اليه باعتباره ايماءة سخية ، وسوف تعطى الأمر صبغة التوافق والسلام الحقيقى ، وسوف تكون شيئا طيبا بالنسبة للبلدين . ولم يكن للاسرائيليين دخل فى هذا النقاش ، وكان السادات يعرف ذلك ، وان الأمر بينى وبينه فقط . ولكننى لم افز هذه المرة » .

« ثم ناقشنا مسالة القدس ، وكان الجميع فى كامب دافيد يدركون انها مسالة لا فوز فيها . فقد كانت المسالة مشحونة بالعواطف . وكان بيجين يعرف انه يمثل جميع اليهود فى كافة انحاء العالم ، وكان السادات يعلم ، بشكل ما ايضا ، انه يتحدث باسم اكثر من ٥٠٠ مليون مسلم . وقد حاولت أن اقنع السادات بان من الافضل له ان لا يحاول التوصل الى حل لهذه المسالة فى كامب دافيد . ذلك انه إيا كان نوع الحل الوسط الذى سوف يتم التوصل اليه ، فانه سوف يتعرض لهجوم عنيف من جانب الراديكاليين من كافة الاتجاهات ، وانه يجب عليه ان يدع الملك حسين والآخرين يشاركون فى تحمل مسئولية اى اتفاق بشأن المدينة المقدسة . وانصت السادات باهتمام ، ولكنه لم يعلق بشىء » .

« وقال السادات انه سوف يقوم ، هو ومستشاروه القانونيين بدراسة المقترحات بالتفصيل ، وانا يمكن ان نلتقى بعد العشاء هذه الليلة لعقد جلسة أخرى » .

« كنت راضيا . فباستثناء الموضوع البالغ الخطورة الخاص بدخول قوات مسلحة عربية الى الاراضى المحتلة ، لم يقترح السادات سوى ادخال تعديلات طفيفة الى اقصى حد . (انظر الهامش رقم   حيث يعرض محمد ابراهيم كامل رايه فى هذه المقترحات الامريكية) » . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ، ص ٣٧٩ و ٣٨٠) .

ومن الجدير بالذكر ، ان محمد ابراهيم كامل لا يشير بشىء الى هذا الاجتماع . وربما كان ذلك راجعا لحقيقة أن السادات كان يتعمد أن يخفى عليه ما يدور فى لقاءاته مع كارتر ، كما يؤكد وزير الخارجية الأسبق مرارا فى كتابه : السلام الضائع .

... ...

(٧) يقول محمد ابراهيم كامل ان السادات هو الذى قام باجراء اتصال تليفونى بالملك حسين . وتمضى رواية وزير الخارجية المصرى الاسبق لهذه الواقعة على النحو التالى :

« ... بعد انصراف الرئيس كارتر ، توجهت الى استراحة الرئيس السادات ، لا حيطة علما بما دار بيننا . وكان جالسا وحده ، وتبدو عليه معالم السأم والشعور بالوحدة . ويبدو ان المناقشة التى دارت بيننا بالأمس بشأن دور الاردن فى الضفة الغربية فى اية تسوية ، قد إثرت فيه . فبعد أن انتهيت من رواية حديثى مع كارتر ، قال لى انه طلب الملك حسين تليفونيا فى الصباح فى لندن — حيث كان فى زيارة خاصة — الا انه يبدو انه نسى الفرق فى التوقيت بين امريكا واوروبا ، وقد وعدوه ان يتصل به الملك حسين قبل اى شىء فى الصباح . وبالفعل لم يلبث ان دق جرس

التليفون ، وكان المتحدث (هو) الملك حسين . ودار بينهما حديث ودى . وقال السادات ان معـركة التفاوض تجرى على اشدها ، وان المحادثات شرسة وصعبة ، وقد قـدم مشروع اطار للسلام ، كما قدمت الولايات المتحدة امس مشروعها لنـا ، وتجرى دراسته ومناقشته . وقال السادات انه غير متفائل بامكان التوصل الى اتفـاق ، لأن مناحيم بيجين لايزال راكبا رأسه ، ومتمسكا بأفكاره الخيالية ، الا انه سيعطى الأمر ما يقتضيه من وقت ، من أجـل خاطر الرئيس كارتر الذى يبذل جهودا جبارة لتقـريب مواقف الطرفين . وأبلغ الملك حسين بأنه سيزور الملك الحسن بالمغرب فى طريق عودته ، واستفسر عن امكانية الملك حسين فى لقـائه هناك (فى امكانية ان يلقـاه الملك حسين هناك) . واعتذر الملك حسين باضطراره للعودة فى الغـد الى الاردن ، واتفقـا على استمرار الاتصال بينهما)) . (كامل ، ((السـلام الضـائع)) ، ص ٥٦٠) .

... ...

(٨) يقـول كارتر عن هذا الاجتماع ، الذى يشير اليـه المؤلفون ، والذى عقده مع وايزمان وتامير ، فى اليـوم السـابع من ايام كامب دافيد ، الموافق يوم الاثنين ١١ سبتمبر ١٩٧٨ :

((التقيت بكوخى ، فى ساعة متأخرة من بعد الظهر بوايزمان والجنرال الاسرائيلى افراهام تامير . وكنت اريد ان افهم ، بشكل افضل ، مفاوضتهما السابقة مع الجنـرال الجمسى والمصريين الآخرين ، حول سـيناء . وقـدم لى ايزر (وايزمان) تقريرا كاملا . ومرة اخرى ، سجلت بعناية بعض الملحوظات ، ودرست الخرائط بالتفصيل . وكانا قد اعدا لى نسـخة خاصة من خرائطهم العسكرية ، بعد ان استبدلوا الاسماء العبرية بأخرى انجليزية)).

((والظاهر ان وايزمان والجمسى قد اديا عملا طيبا ، وانجزا

الكثير من التقــدم فيما يتعلق بتحديد المناطق العسكرية والحــدود المتفق عليها للتسليح فى هذه المناطق . وبقيت مشــاكل خطيرة تتعلق بالثلاث مطارات الرئيسية ، وبعدد من المطارات الصغيرة المتفرقة فى انحــاء المنطقة . ولكن هذه المشاكل لم يكن يستطيع حلها الا رؤساء الدول فقط . وكان بعض هذه المطارات قد تــم بنــاءه من جانب المصريين ، ثم احتله الاسرائيليون . والبعض الآخر كان قد اقامه الاسرائيليون بعد احتلالهم لهذه المنطقــة . وكان بعض هذه المطارات يقع بالقرب من الحــدود الدولية بين البلدين ، وبعضها الآخر يقع فى عمق ســيناء بالقرب من قنـــاة السويس . واسرائيل بلد يبلغ من صغر حجمه ، بحيث ان وايزمان وتامير كانا يشعران بأنهما يحتاجان لمجرد مساحة تكفى لاجــراء مناورات للطائرات فى الجو . ولكن السادات كان مستعدا لأن يدع اسرائيل تستخدم اراضيه حتى يتم انسحاب القوات فقط . وقال وايزمان ، وهــو يبتسم ، انهم يعانون من مشاكل لا اول لهـــا ولا آخر لمجــرد العثور على مكان يكفى لتخزين كافة المعــدات العسكرية التى تتلقاها اسرائيل من الولايات المتحدة)) .

((وعندما ناقشت معهما مطلب الســادات الجديد الخــاص بتواجد قوات مسلحة مصرية وأردنية فى منطقتى الضفة الغربيــة وقطــاع غزة ، قالا على الفــور ان هــذا امر لا يستحق حتى مجــرد مناقشته . ثم اقترح تامير ، الذى كان معروفا بانه من الصقور المتطرفة ، تكوين دوريات مشتركة اسرائيلية ــ اردنية ، وقال انهــا قد تكون عظيمة النفع على طول نهر الاردن ، بل وحتى جنوبى البحر الميت ، على طول الطريــق حتى ايلات . واضاف انه ســوف يكون من الصعب على اى سياسى اسرائيلى ان يعرض مثل هذه الفكرة المبتكرة على الأمة (ولكن الطرفان ، مع ذلك ، وافقا عليها فى اتفاقيتى كامب دافيد النهائيتين) .

« ثم جاءنى فانس اثنـــاء الاجتماع ، وأبلغنى ان المصريين يطلبون ١٢ ساعة اضافية اخرى ، حتى يستطيع الســـادات ومستشاروه دراسة مقترحاتي بشكل اكثر دقة . وكانت تلك علامة سيئة » .

« ووجدت ان وايزمان تشغله فكرة البحث عن موقف يمكن أن ترتد اليه اسرائيل . ذلك انه كان من الواضـــح انه لم يكن يعتقد ان من المحتمل توقيـــع اتفـــاق فى كامب دافيد . وكانت مشكلته الرئيسية هى : ما الذى يمكن أن نفعله كى نحــــول دون فقدان الاتصال السريع بين مصر وأسرائيل اذا فشلنا فى كامب دافيد ؟ » . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ، ص ٣٨١) .

... ...

(٩) يقــول كارتر عن لقــائه بدايان وبارلك ، والذى يشير اليه المؤلفون ، والذى وقع فى مساء اليوم السابع من أيام كامب دافيد ، الموافق يوم الاثنين ١١ سبتمبر ١٩٧٨ :

« عقدت ، فيما بعد ، فى المساء ، اجتماعا دام مدة ساعتين مع دايان وباراك . ولاحظت اثنـــاء الاجتماع ان النـــوم كان يغالبنا جميعا ، لأننا لم نحظ بأى قسط من النـــوم تقريبا طـــوال الست والثلاثون ساعة المـــاضية . ولكن الغريب هو اننى وجدت دايان اكثر املا ، واكثر اصرارا على النجاح من وايزمان ، الذى كان متفائلا بطبيعته . ولكنه بدا ، على اية حال ، انه يفضل قبـــــول الفشل على النظر فى اخلاء كافـــة المستوطنين الاسرائيليين من سيناء . وتمنيت لو كان دايان يعرف الســـادات أفضل من ذلك . ذلك انهما لم يكونا يعرفان احدهما الآخر تقريبا ، لأنه لم تتـــح لدايان سوى فرص ضئيلة للغـــاية لمناقشة القضـــايا الهـــامة مع الســـادات » .

« وقد كان المدعى العـــام اهارون باراك رجلا ممتازا . وقد

اصبح فيما بعد هو البطل الحقيقى فى مباحثات كامب دافيد . فقد كان على دراية واسعة بالقانون ، وكان يفهم بيجين جيدا ، كما كان ايضا موضع ثقته . وكان قد تم اختيـاره بالفعل عضوا فى المحكمة العليا فى اسرائيل ، ولكنه اجل شغله لهـذا المنصب ، حتى يستطيع أن يعمل معنا فى كامب دافيد . وفى ذلك المساء ، قال فى وضوح تام ان المستوطنات بالغة الأهمية ، وشرح اسباب ذلك . فقد قال انه لو ان السادات ــ او خلفه ــ انتهك الالتزام المصرى، وحرك قواته الضاربة خلف الممرات لتهديد اسرائيل ، فان اسرائيل سوف يتوفر لديهـا ، عندئذ ، المبرر والضرورة لتحريك قواتهـا الى سيناء غربى غزة ، بحجة حماية المستوطنين ، وبغرض الدفاع عن دولة اسرائيل نفسها فى الحقيقة . واضاف ان اجلاء المستوطنين من سيناء سوف يكون سابقة مؤسفة بالنسـبة الى المستوطنات الاسرائيلية فى مرتفعات الجولان والضفة الغربيـة . واعتقد ان السبب الأخير كان اكثر الأسباب اهمية . وقد كانت صراحـة باراك مشجعة ، لأنهـا كانت تشير الى انه يثق فى بما يكفى ليطلعنى على اهتمامات اسرائيل الحقيقية . وقد كنت اشـعر بالود تجـاه وايزمان ودايان ، ولكن ايا منهما لم يكن صريحـا بالنسـبة لهذه المسألة)) .

((وطلبت من دايان وباراك ان يساعدانى فيما يتعلق بمطلب السادات الخاص بتواجد القوات الاردنية فى منطقة الضفة الغربية . واقترح باراك ادراج هذه المسألة بين المسائل التى سوف يتـم حلها فى غضون خمس سنوات فى المفـاوضات المقبلة مع الاردن والفلسطينيين)) .

((ثم ابلغانى بعض الاخبار الطيبة . فقد قالا ان بيجين لن يرفض مقترحاتى رفضا كاملا ، وانه سـوف يختار واحدا من عدة مستويات للعمل . واول هذه المستويات هو الموافقة الكاملة بشأن مسألة معينة . والثانى هو موافقته هو شخصيا مع احالة الأمر

الى مجلس الوزراء أو الكنيسيت للتصديق على قراره . والثالث هو عدم الموافقة والتوصية بعدم القبــول مع احالة الأمر ايضـــا الى مجلس الوزراء لاتخــاذ القرار النهائى . وكان كلاهما يعتقد ان هذا المستوى الأخير هو الذى سوف يتبعه بيجين فيما يختص بمستوطنات سيناء . ولكنهما اضافا ان ذلك مجــرد استنتاج من جانبهما فحسب)) .

((ثم عرضت ان انحى مباحثات سيناء تمــاما ، وان اركز جهودى على وثيقة الاطار الأكثر شمولا . ولكن دايان اقترح أن أمضى فيما كنت أقوم به ، وأن أتقــدم باقتراح من عندى قد يجــد قبـــــولا لدى السادات ، فان ذلك ، على الأقل ، سوف يوضح القضايا ويحددها . ووافقت على أن اضع مسودة بشأن سيناء ، وان أقدمها الى الجانبين)) .

((وعندما عبرت ، بعد ذلك ، عن خيبة أملى ازاء رد الفعــل الاسرائيلى على مقترحاتى الأولى ، أبدى دايان دهشة حقيقية ، وطلب منى أن نقوم باستعراض التغييرات التى اقترحت اسرائيل ادخالها . وعندما قمنا بذلك ، ادركت ان الأمر لم يكن بالخطورة التى تصورتها ، رغم انه كانت لا تزال هناك قضايا اساسية كانت لا تزال موضــعا للخلاف . واعتقد ان الانهاك ، بالاضــافة الى المناقشات الرتيبة مع بيجين، قد جعلت الصورة تبدو أكثر كآبة مما هى فى الحقيقة)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٨٢ و ٣٨٣) .
... ...

(١٠) يضيف كارتر الى ما ذكره المؤلفون خاصا بأحداث صباح هذا اليوم (اليوم الثامن من أيام كامب دافيد الموافق ليوم الثلاثاء ١٢ سبتمبر ١٩٧٨) انه عقد اجتماعا هاما مع السادات . وتمضى رواية كارتر لوقائع هذا الاجتماع على النحو التالى :

((قمت ، فى ســـاعة مبكرة من الصباح بنزهــة طويلة على

دراجتى . وبينما انا فى طريقى للعـودة الى كوخى ، لاحظت ان هناك نقاشا حادا يدور بين الرئيس المصرى وكبار مستشاريه فى شرفة كابينه الأماميـة . وكان ذلك امرا غير عـادى الى اقصى الحدود ، الأمر الذى اثار قلقى . وقد وصل السادات الى كوخى متأخرا خمسة دقائق عن موعده . وكان يبدو مهموما جدا ، ومقتضبا للغاية فى تحيته . وأبديت بضع ملحوظات لا اهمية لها ، ولكنه لم يبدو عليه انه كان ينصت الى ما قلته . وكان يمسك بورقة فى يده، ولكنه لم يرجع اليها قط . ولم تكن هذه الورقة نسخة من المقترحات الأمريكية ، ولم أعرف أبدا ما الذى كان مكتوبا فيها . وشعرت على الفور انه قد قدم كى يبلغنى ان مباحثات كامب دافيد قد انتهت . وقـررت ان أرجىء هـذا الاعلان عن طريق مناقشـة النتائج الاستراتيجية لعقد اتفاق للسلام على القضايا الاقليمية والدولية)).

((... واقترحت عليه انه بدلا من عقـد الاجتماع فى غرفة مكتبى ، ان نجلس بجانب حوض السباحة . وقلت له اننى اشـعر بقلق متزايد حول منطقتى الشرق الأوسط والخليج الفارسى (أى : العربى) بأكملهما ، نظرا للتهـديد السوفيتى المتواجـد فى اليمن الجنوبية وأفغانستان واثيوبيا وليبيا والعراق وسوريا ، وربمـا السودان . وقلت له انه قد أصـبح من الضرورى أن نركز ، انا وهو ، نفوذنا تجاه نزاعات الحدود الأكثر خطورة هـذه ، بدلا من أن نقصر جهودنا فقط على النزاع المصرى — الاسرائيلى . (وقلت له) ان التوصل الى حل فى كامب دافيد يستمد ضرورته من هذا الهدف ، لأن ذلك سوف يطلق سراح قسم كبير من القوات المسلحة المصرية التى تحتشد الآن على طول قنـاة السويس فى مواجهة اسرائيل ، وكذلك سوف يعطى دفعة جديدة للسعى العام نحو السلام . وبينت له ان لديه فى الوقت الحالى خمس فرق من جيشه تحتشد فى مواجهة اسرائيل ، وان عقد معاهدة سلام سوف يجعل اصدقائه فى السعودية والسودان ، وكذلك اعدائه المحتملين

فى ليبيا واثيوبيا ، يحسبون حساب هذه القدرة المصرية الجديدة على التحرك عسكريا اذا كان ذلك ضروريا)) .

((تأثر الســادات بحججى ، ولكنه سرعان ما انتقــل الى الموضوع الأصلى الذى قدم لزيارتى من اجله . وقال انه قد اصبح من الواضح ان اسرائيل لن تواصل المفاوضات بروح طيبة ، وانها لا تنوى التوقيع على اتفاق ، وانه بينما نحن ، اى الولايات المتحدة، تسعى سعياً حثيثا من اجل ارضاء المطالب الاسرائيلية ، بحثا عن التسوية السلمية المراوغة ، فاننا نتقدم بمقترحات سوف تثير غضب العالم العربى بأكمله ، وان ذلك سوف يكون بمثابة دق اســفين فى العلاقات بين مصر والولايات المتحدة ، برغم كل ما نبــذله ، انا وهو ، من جهــود)) .

((وطلبت منه ان يضرب لى مثلا ، فاشار الى مشكلة الصياغة الخاصة بالقدس . وكنت اعرف ان ذلك قد اصبح الآن يسبب قلقا بالغا لبيجين ايضا . كذلك كان السادات قلقا بشأن الاشــارات الواردة فى نص المقترحات بخصوص الفلسطينيين . وذكرته بأن الصياغة الواردة فى وثيقتنا هى نفسها بالضبط التى قمنا ، انا وهو، باعدادها فى اسوان ، وانه ، هو وزعيم المعارضــة الاسرائيلية شيمون بيريز استخدما ، فى بيانهما الصادر فى فيينا ، صياغة مماثلة لصياغتنا فيما يتعلق بالحدود . وقــد اقر بذلك كله ، ولكنه كان لا يزال ميالا الى التراجع عن هذه الصياغة)) .

((وقلت له ، وبقدر من الحزن : ان هذا سيضعنى فى موقف بالغ الصعوبة ، لأن الأمر يتعلق بكلمة شرف التزمنا بها . وانه بعد التوصل الى اتفاق معك بشأن هذه الصياغة الحاسمة ، قمت بابلاغ اسرائيل اننا سوف نلتزم بهذه الصياغات نفســها ، وانه من غير المقبول ان تتطلب الآن التراجع عما تعهدت بالالتزام به)) .

« ورد على قائلا : ان الوثيقة يجب ان تكون شـيئا يوافق عليه كل من الطرفين ، ويمكن أيضا للدول العربية الأخرى أن تقبله فيما بعـد ، حتى ولو فعلت ذلك بعـد قدر متوقع من التـردد والاحجام » .

« وكان يبدو عليه القلق ، بشكل خاص ، من رد الفعـل السعودى ، فوعدته أن أدعو الأمير فهد الى واشنطون فى وقت مبكر ، ومراجعة الاتفاق معه . ولم يزل هذا الوعد سوى جزء من قلقه فقط . فذكرته بأنه قد اجتاز بالفعل جسر الادانة العربية عنـدما قام بزيارته للقدس . وان ذلك كان أكثر الأعمال التى رأيت زعيما سياسيا يقدم عليها بسالة فى حياتى ، وان العرب يعرفون بالفعل صياغات أسوان وفيينا ، وان سخطهم لن يزيد لمجرد ترديد نفس هذه العبارات هنا فى كامب دافيد ، وخاصـة اذا أدركوا ان ذلك سوف يحرره من مشاغله المحلية ، ويجعله يركز جهوده فى معالجة المشاكل الحادة التى يعانى منها العرب المعتدلون فى كافة أنحـاء الشرق الأوسط » .

« ويبدو ان ما قلته قد أحدث التأثير المنشود فى نفسـه . وسرعان ما غادرنى السادات ، وهو لا يزال قلقا ، بالرغم من ذلك . ولكنه ، على الأقل ، لم يخطرنى برسـالته المميتة حول الفشـل والرحيل » . (كارتر ، « مذكرات رئيس » ، ص ٣٨٣ — ٣٨٥) .

... ...

(١١) تختلف رواية كارتر ، بعض الشىء ، عن الرواية التى يقدمها المؤلفون عن هذا الاجتماع بين كارتر وبيجين الذى انعقد فى مساء اليوم الثامن من ايام كامب دافيد ، الموافق ليوم الثلاثاء ١٢ سبتمبر ١٩٧٨ . وتمضى رواية كارتر على النحو التالى :

« تناولت طعام العشاء مع الوفد الاسرائيلى فى قاعة الطعام . واثناء تناول الطعام ، قال لى بيجين انه يريد الاجتماع بى فى أقرب

وقت ممكن ، وذلك لاجراء أخطر مباحثات دارت بيننا حتى الآن » .

« وحضر (بيجين) الى كوخى حوالى الساعة الثامنة مساءا ، وقال مرة اخرى : سوف يكون ذلك اخطر حديث اجريته فى حياتى ، باستثناء ذلك الذى ناقشت فيه مستقبل اسرائيل مع جابوتنسكى (جابوتنسكى هو استاذ بيجين السياسى وقائده اثناء نضال اسرائيل من اجل الاستقلال — كارتر) . ثم شرع بعد ذلك فى القاء خطاب حماسى حول استخدام صياغات قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ فى نصوص اتفاق كامب دافيد » .

« واقر (بيجين) ان حكومته قد وافقت على القرار ، وانها اكدت مرارا قابليته للتطبيق ، ولكنه لم يكن مستعدا لاستخدامه فى وثيقة اطار السلام . ثم قدم لى بضع قصاصات من صحف قديمة ، مختلفة الجنسية ، نشر فيها قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ، بدون ديباجته التى تحوى عبارة عدم جواز الاستحواذ على الأراضى عن طريق الحرب . وكنت واثقا ان هذا الحذف قد جاء اما نتيجة السهو او الايجاز ، ولكن ذلك كان ، بالنسبة اليه ، مبررا كافيا لحذف هذه العبارة الحاسمة الآن . واختتم هذا الجزء من حديثه قائلا :

ان اسرائيل لا يمكن ان تقبل ، تحت اى ظرف من الظروف ، وثيقة تتضمن هذه العبارة ، ولن اوقع عليها » .

« وبعد ان أمضى نحو ساعة أخرى فى الحديث عن مستوطنات سيناء ، أصبح بالغ العاطفية . وحين جاء ذكر القدس ذات مرة ، اقتبس لى فقرة من المزامير فى العهد القديم تقول : اذا نسيتك يا أورشليم ، فلتنس يدى اليمنى دهاءها . وبعد ذلك ظل يقول : الأفضل ان تفقد يدى اليمنى دهاءها على ان اوقع مثل هذه الوثيقة » .

« وقرب النهاية ، اخرج من جيبه بيـانا موجزا مكتوبا على الآلة الكاتبة ، وقرأه على . كان البيان يقول اننا قـد اجتمعنا فى كامب دافيد ، وان مصر واسرائيل يشعران بالتقدير تجاه الدعوة التى تلقوها من الولايات المتحـــدة . وكبديل لهذا البيــــان ، قال اننا يمكن أن نضع قائمـــة بالمسائل التى تم الاتفــــاق بشأنها ، وأخـــرى بتلك التى لم نتمكن من الوصـــول الى اتفــــاق بشأنها ، وأن نذيع هــاتين القـــائمتين كدليـــــل على اننا قد حققنا بعض التقدم . وادعى انه كان يرجو مخلصا ان يتمكن من التوقيع على مقترحاتى ، ولكنه يجب أن يكون ممثلا لارادة الشعب الاسرائيلى بوصفه رئيسا لوزرائه » .

« وأوضحت أننى باطلاعى على استطلاعات الرأى العام كل أسبوعين أو ثلاث أسابيع ، وجـــدت ان غالبية كبيرة من الشعب الاسرائيلى على استعداد لقبول معاهدة سلام تتضمن ايقـــاف المستوطنات واجلاء المستوطنين الاسرائيليين من سيناء ، والتنازل عن أجزاء كبيرة من أراضى الضفة الغربية الواقعة تحت الحــكم العسكرى الاسرائيلى . ولأنى كنت أحس بالأسى من موقفه ، قلت ـــ ربما مخطئا ـــ ان موقفى يمثل الشعب الاسرائيلى أفضل مما يمثله موقفه » .

« أثارت اشارتى السابقة الى خطته بشأن الحكم الذاتى فى الضفة الغربية بأنها خدعة حنقه البالغ ، وادعى برزيزنسكى أيضا قد قال ان المصريين والعرب الآخرين ينظرون الى الاسرائيليين باعتبارهم قوة استعمارية تحكم الفلسطينيين حكما عسكريا » .

« كان النقاش حادا وكريها ومكررا . ونهضت واقفا كى يغادر الكوخ ، واتهمته بأنه مستعد لأن يطرح جانبا اقرار سلام مع أقوى أعدائه ، واقامة علاقات تجارية حرة ، والحصول على اعتراف دبلوماسى من مصر ، وحرية الملاحة فى الممرات الدولية ، وقبـــول العرب لعدم تقسيم القدس والأمن الدائم لاسرائيـــل ـــ كل ذلك

يطرحه جانبــا من اجل ابقاء بضع مســتوطنين غير شرعيين على الأراضي المصرية)) .

((وبينما هو يستعهد لمغادرة الكوخ ، قال شيئا يثير الاهتمام، وهو ان اسرائيل لم تكن تريد أراضي في ســيناء ولا اية ازاضي في الضفة الغربية في الخمسة أعوام الأولى)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٨٥ — ٣٨٧) .

... ...

(١٣) أنظر الملحق رقم ((١)) ، الفقرة الأخيرة من اليــوم الثامن ، ١٢ سبتمبر ١٢٧٨ .

... ...

(١٣) انظر الملحق رقم ((١)) ، الفقرة الأولى من اليــوم التاسع ، ١٣ سبتمبر ١٩٧٨ .

... ...

(١٤) لا يحدد المؤلفون مصدرا لمعلوماتهم عن الأستاذ اسامة البــاز . ورغم ان الأستاذ البــاز ربما كان معروفا في الدوائر الدبلوماسية بكفاءته الدبلوماسية والوظيفية العالية ، الا انه لاشك انه من قبيل المبالغة وصفه بأنه كان ((أحد إعلام الحياة السياسية والقانونية في مصر)) في عام ١٩٧٧ . كذلك ، فانه حسب ما هو متوفر من معلومات ، فانه لا توجد في مصر مؤسسة تعليمية عامة تحمل اسم ((معهد الدراسات الفلسطينية والاسرائيلية)) ، حتى يعمل الأستاذ الباز مستشارا له . وأخيرا ، فقد كان الأستاذ الباز يشغل ، عـــام ١٩٧٧ ، منصب الوكيل الأول لوزارة الخارجيــة المصرية .

... ...

(١٥) يعلق وزير الخارجية المصرية الأسبق محمــد ابراهيم كامل على المقترحات الأمريكية قائلا :

((عندما تلقينــا المشروع الأمريكي في صــباح اليوم التالي

١١ سبتمبر (ايلول) ، كان بعيدا كل البعد عن تصوراتنا . فمن ناحية ، لم يتضمن او يعكس المواقف الأمريكية المعلنة والثابتة بشأن تسوية النزاع العربى الاسرائيلى ، ولا هو تضمن غالبية النقاط التى عرضها علينا فانس فى الاجتماع المصرى الأمريكى الذى تم يوم الجمعة الماضى . وكانت بصمات التشاور الاسرائيلى واضحة جلية على المشروع ككل ، وعلى فلسفته ولغته ونصوصه واصطلاحاته . وبعد دراسة سريعة ، تبين ان صيغة اسوان لحل القضية الفلسطينية قد خرقت وشوهت ، واحيطت الاشارة الى حق تقرير المصير بالغموض . ولم ينص (المشروع الامريكى) على الانسحاب من سيناء ، ولا على الانسحاب من الضفة مع تعديلات طفيفة . كما لم يشر الى الانسحاب من القدس العربية ، ولا هو تضمن اية اشارة الى مصير المستوطنات ، سواء فى سيناء او فى الضفة الغربية وغزة)) .

((ويعطى المشروع لاسرائيل دورا رئيسيا ، وسلطات واسعة فى الضفة الغربية وغزة ، خلال الفترة الانتقالية . بينما يجعل دور مصر والأردن ثانويا فيها ، بل ويكاد يقتصر على توفير الحماية لاسرائيل . كما لم يعالج المشروع موضوع عودة اللاجئين والنازحين معالجة مؤثرة ، وجعل ترتيبات الأمن لاسرائيل وحدها ، وليس للأطراف جميعا)) .

((والى جانب كل ذلك ، تضمن المشروع نصا غريبا واستفزازيا مفاده انه اذا لم تشارك الأردن فى المفاوضات ، فستمضى مصر واسرائيل وسكان الضفة الغربية وغزة فى انشاء سلطة الحكم الذاتى ، والاشراف على ادارتها)) .

((وبالاختصار ، كان المشروع اسرائيليا لحما ودما ، ولكن يحمل الجنسية الأمريكية . وبعد الغذاء ، اجتمعنا بالجانب الأمريكى بناء على طلبه . وكانوا يرغبون فى مناقشة مشروعهم معنا على

الفور . فأجبناهم بأن قراءتنا الأولية توضح وجود أوجــه نقص عديدة فى المشروع ، واننا نحتاج لدراسته بدقة وعمق ، وحتى نكون مستعدين لمناقشته ، وتقديم صياغات بديلة . فقالوا اننا نستطيع الاجتماع من جديد بعد العشاء . ولكننا أصررنا على تأجيل ذلك الى اليوم التالى . وقلنا ان عليهم اعطاءنا الفرصة الكافية ، كما فعلوا مع اسرائيـــل)) .

((وفى نهاية الاجتماع ، سألت فانس عن المقصود بالمــادة الخاصة بحالة عـــدم اشتراك الأردن فى المفاوضات . فقـــال : المقصود ان تحل مصر محل الأردن فى الدور الذى كانت ستقوم به الأخيرة فى الضفة الغربية . فقلت : اذا لم تشترك الأردن ، فلن تشترك مصر بدورها . فقال فانس : اسأل الرئيس السادات ، فانه هو الذى قرر ذلك واشار به . وكتمت غيظى ، وقلت : ان هـــذا النص مهين للملك حسين ، وهو بمثابة استفزاز له ، حتى يرفض الاشتراك فى المفاوضات ، وهـــذا ما تسعى اليه اسرائيل منذ البداية ، ومصر غير مفوضة فى القيام بمثل هذا الدور ، ولا هى مؤهلة له)) .

((وتوجهت الى استراحة الرئيس السادات ، فوجـــدته جالسا مع حسن التهامى على التراس . وسألنى السادات عمـــا تم فى الاجتماع ، فقلت : ان المشروع الأمريكى سىء للغـــاية ، وقد طلبنا تأجيل مناقشته الى الغد ، حتى نســـتعد للرد عليه . وهو على كل حال ملىء بالثغرات ، وسنتصـــدى له بكل قوة ، والمهم أن نتعرف على حقيقة النوايا الأمريكية من خلال مناقشـــاتنا للمشروع معهم . ثم أشرت الى المـــادة التى تضـــمنها المشروع الأمريكى بشأن قيـــام مصر بتحمل مسؤوليات الأردن فى الضـــفة الغربية ، اذا رفضـــت الأردن الاشتراك فى المفاوضات . فقـــال الرئيس : هذا صحيح ، فانا لا استطيع أن أعلق مصير مبـــادرة

السلام على مزاج الملك حسين ، الذى يريد ان يتسلم الضفة الغربية على طبق من الفضة دون ان يفعل شيئا)) .

((فقلت : ان موقف الملك حسين هو انه لن يتردد فى الدخول فى المفاوضات ، اذا ما اعلنت اسرائيل موافقتها على تنفيذ الانسحاب من الضفة الغربية ، او تعهدت الولايات المتحدة رسميا بذلك ، وهو موقف طبيعى ومنطقى ، بل هو موقفنا . فما معنى استمرارنا فى المباحثات ، اذا لم نعرف الى ماذا سوف ننتهى بالتحديد ؟ ، وان دور الأردن حيوى خلال الفترة الانتقالية ، وهو ما ينص عليه مشروعنا ، والا فما هى الجهة التى ستتولى الاشراف على ادارة الضفة فى الوقت الذى ترفض فيه اسرائيل (اقامة) اى دولة لمنظمة التحرير الفلسطينية ؟ .)) .

((فقال السادات باصرار : اذا رفض الملك حسين ، فساقوم انا بهذا الدور)) .

((فقلت : ان هذا مستحيل عمليا ، وعلى اى اساس ؟ . وماذا نعلم عن الضفة الغربية ؟ . ثم ان علاقاتنا بالمنظمة مقطوعة ومتوترة ، وقد يؤدى تدخلنا فى الضفة الى الاصطدام بها ، فماذا سيكون الوضع ؟)) . .

((واجاب السادات بعنجهية : سارسل قوات مصرية الى الضفة الغربية . وانا اعلم انه قد يقتل عدد من افرادها ، ولكنهم سيقتلون عشرة من افراد المنظمة ، فى مقابل كل مصرى يقتل)) .

((وقال حسن التهامى : انا اعرف الضفة الغربية مثل كف يدى . ولدينا مجموعة من الضباط الذين يعرفون الضفة الغربية عن ظهر قلب ، (منذ) وقت القيادة العربية المشتركة)) .

((وقلت للسادات ، وانا اكبح جماح غضبى : ماذا تقول ؟ . ان هذا جنون . ان عدونا هو اسرائيل ، وليس الشعب الفلسطينى ،

الذى قمت بمبادرتك لحل مشكلته . فهل سيصل الأمر الى حد ان نتقاتل مع الفلسطينيين تحت سمع اسرائيل وبصرها ؟ . وما هـو الهدف ؟ . اتريد أن نتورط فى الضفة الغربية كما تورطنا فى اليمن ؟. أو كما تورطت سوريا فى لبنان ؟ ؟)) . (كامل « السلام الضائع »، ص ٥٤٣ ــ ٥٤٦) .

... ...

يقول وايزمان عن هذا اللقاء الذى عقده مع السادات فى كامب دافيـــد :

« طيلة ذلك الوقت ، ظل السادات منفردا بنفسه داخل كوخه. بل إن اعضاء الوفد المصرى كانوا يتجنبون الاقتراب من الكوخ ، وقد لاحظت ان وزير الخارجية (محمد ابراهيم) كامل كان متوترا أكثر من المعتاد ، وكان نادرا ما يفتح فمه فى الاجتماعات المشتركة ».

« وفى يوم السـبت (٩ سـبتمبر ١٩٧٨) ذهبت الى كوخ السادات مصطحبا معى الجنرال تامير .. وبدأ حديثنا بالتحيات المعتادة والمجاملات التقليدية ونحن نحتسى القهوة » .

« وبدأ السادات منشغل البال شيئا ما . وسألت نفسى اذا كان نفاذ صبره سوف يدفعه لأن يأمر الوفد المصرى بالعودة الى القــاهرة . فلم يكن السادات بالرجل الذى يستطيع ان يبــذل جهده واهتمامه من اجل مايعتقد انه مجرد تفاصيل صغيرة لا شأن لها . وكان دائمــا يصرح قائلا : انا أفكر على مستوى كبـ ـــ يـ ـــ ير » .

« وقلت له : سيادة الرئيس ، يجب ان نحرز تقدما » .

« وأجاب : بالتأكيد ، يجب ان نفعل ذلك » .

« ــ لقد تولد لدى انطباع بأن الأمور لا تتحرك بسبب دوافع سيكلوجية ، وليس لأسباب عملية » .

« وقال السادات موافقا : بالطبع . انا واثق ان ٩٠٪ من الأمر هو مشكلة سيكلوجيـــة » .

« ـــ قبل كامب دافيد ، كنت آمل أن تعقد مباحثات مباشرة وصريحة مع بيجين ، وانكما سوف تتوصلان الى اتفـــاق ، وعلى الأقل الى تفاهم بشأن النقاط الاساسية فى النزاع » .

« وكان أسفى لعدم حدوث ذلك واضحا » .

« وقال السادات مفسرا : ان الجانب الرسمى هو الصعوبة الاساسية . فالسلام لا يتوقف فقط على معاهدة الصلح ، وانما يتوقف أيضا على العلاقات التى سوف تنتج عنها . وهناك أشياء تحدث ، ليست بالضرورة على المستوى الرســـمى » .

« كنت ، فيما يتعلق بهذه النقطة على الأقل ، اتفق تمـــاما مع السادات » .

« وقلت ، مشيرا الى مسالة قديمة : انا اقترح أن تتحدث مع دايان » .

« وقال السادات : نعم ، بالطبع . انا أريد دعوته الى هنا » .

« وخاطبته فى جسارة ، محاولا استكشاف ما اذا كان ينتوى قطع المباحثات : انك لا تستطيع ، ياسيادة الرئيس ، ان توقف ما بدأته فى العام المـــاضى . إنت لا تستطيع ان تعود الى الوراء » .

« وأجاب قائلا : لن اعود الى الوراء . من المستحيل ان اعود الى الوراء . وسوف اواصل مبادرتى » .

« ادخلت اجابتــــه السرور على نفسى . ولكننى قلت ملحا : لا يزال هناك عدد من المشاكل الأساسية . واود ان اعرف كيف تتصور حلها . وليس هناك جدال حول ان سيناء جزء من بلادك . ولكن الكثير من الأمور حدثت خلال الـ ٣٠ عاما المـــاضية . ويجب ان تفهم عقلية شعبنا . فهم ، من ناحية ، لم يصدقوا ابدا إن زعيما

عربيا — وعلى وجه التأكيد ليس زعيم أكبر وأقوى دولة عربية — يمكن أن يأتى الى القدس . ولكن الاسرائيليين لازالوا مقتنعين بأن اى خطأ قمين بأن يؤدى الى اصابتهم بكارثة قاتلة . وهـذا هو السبب فى ان عنصر الوقت يمثل عنصرا حاسما بالنسبة لنا . وهو السبب أيضا فى الأهمية الحيوية للسيطرة الاسرائيلية.ولذا فاننا اذا قررنا ان نتقدم صوب عقد اتفاق ، فيجب أن نستخدم فهمنا وصبرنا من اجل التغلب على الخلافات . واسمح لى ان أعرض بعضا منها: بالنسبة الى مشكلة سيناء ، فيجب أن نجـد طريقة لحلها بدون المساس بسيادتكم عليها ، وبدون أن نحتاج الى الأمم المتحـدة كى تشرف على نزع سلاحها وتخفيف القوات المتمركزة فيها » .

« وقاطعني السادات قائلا : انت تعرف رأيى . أنا مستعد ان أمضى قدما بدون الامم المتحدة . ويمكن أن يتم الاشراف عن طريق لجان مشتركة » .

« كنت قد اخترت عمدا ان ابدأ بنقاط الاتفـاق . ولكن كان على ان اتعرض الآن لأكثر المشاكل صعوبة : مشكلة مستوطنات سيناء . وقلت : هل تذكر اقتراحى بضم منطقة ياميت الى قطاع غزة ، بحيث ان أى وضع يتم الاتفاق عليه بشأن غزة ، يمكن ، عندئذ ، تطبيقه على ياميت أيضا ؟ . اننى أؤكد الآن ، مرة أخرى ، انه يجب التوصل الى حل لمسألة المستوطنات هذه ، لأن شـعبنا يعارض بالاجماع اجلاؤها » .

« وقال السادات ، وقد ازدار تعبير وجهة جهامة : ايزر ، أنا لا أضع حدودا ، لقد فكرت فى الأمر ، ولكننى لن اضم المنطقـة المحيطة برفح الى قطاع غزة . وقد أبلغت كارتر اننى لن أستطيع أن أوافق على بقاء مستوطنات على الأرض المصرية تحميها القوات الاسرائيلية بعد عقد اتفـاق سلام . كيف أستطيع ان أظهر وجهى للدول العربية الأخرى اذا كان ذلك هو الثمن الذى سوف ادفعه لقاء السلام ؟ . أنا ارفض بقاء هـذه المستوطنات تحت الحماية

الاسرائيلية . ولن استطيع الحصول على موافقة شعبى على ذلك. بل اننى ، انا نفسى ، لا اوافق . فسوف يثير ذلك مشاكل فيما بيننا فى المستقبل . وقد اثار بيجين غضبى عندما قدم مشروعا للسلام يقول ببقاء مستوطناتكم فى سيناء فى حماية قوة عسكرية اسرائيلية)).

((وقلت ، مجربا حظى : والمطارات ؟)) .

((فأجاب السادات : يجب اجلاؤها خلال سنتين)) .

((حطمت اجابته الآمال التى كنت اتعلق بها)) .

((وقلت ، محاولا انقاذ ما يمكن انقاذه : اننى اقترح أن احاول أنا والجمسى العثور على حل يمكن تنفيذه عبر فترة زمنية اطول . وأن نجد أيضا حلا دائما لمشكلة مطار انتزيون . وكما قلت لك ، فان الجدول الزمنى يتوقف على كم من الوقت سوف يستغرقه اقامة قواعد جوية جديدة)) .

((وقال السادات على الفور : انا على استعداد لاقامتها لكم خلال ستة شهور . ولقد فعلت شيئا مماثلا فى مدة اقل من ذلك. وقد رأيت مطار جناكليس)) .

((وسألته : وماذا عن مراحل الانسحاب ؟)) .

((— لقد قلت لبيجين اننى مستعد للموافقة على أن يكون الانسحاب على مراحل ، على أن تكون المرحلة الأولى هى الانسحاب الى خط العريش — رأس محمد . ولقد قلت له أشياء اخرى لم يفهمها من قبل . اعتراف كامل ؟ . نعم . حرية الملاحة الدولية فى مضايق تيران ؟ . نعم)) .

((كانت علامة سيئة انه لم يشر الى العلاقات الدبلوماسية . وكان السادات قد اعطانى وعده الشخصى باقامتها فى مباحثات سابقة)) .

« وقلت ، مذكرا اياه : لقد اتفقنا على العلاقات التجـارية والدبلوماسية » .

« وقال السادات : هذا حق من حقوق السيادة التى اتمتع بهـا . ويجب ان اختار لها الوقت المناسب . وانا اعرف اننى قد تحدثت معك بشأنها . وقد كنت أعنى ما اقول . واستطيع ان اقول لك اننى اريد اقامتها . ولكن بيجين قال فى الكنيسيت : لن إعطى شيئا دون ان احصل على شىء فى مقابله . وسوف أتصرف بنفس الطريقة » .

« ـ وماذا عن الحدود المفتوحة ؟ » .

« ـ نعم ، سوف يكون ذلك جزءا من علاقاتنا السلمية » .

« وقلت : يجب ان تقابل بيجين فى منتصف الطريق فيما يتعلق بهذه النقاط التى ذكرتها . ونحن نحتاج هنا ، فى كامب دافيد ، الى ما هو اكبر من النجاح الجزئى . ما الذى تريد انجـــازه هنـــا ؟ » .

« وقال السادات فى بطء : اريد الوصول الى اتفـاق حـول الاطار . وبعد ذلك يجلس مستشارونا معـا ويتفقوا على تفاصيل الاطار . ولن نكون فى عجلة من أمرنا ، فسوف يكون فى مقـدورنا ان نقيم اتصـالا مباشرا ، وان نواصل عقد المباحثات حتى نتوصل الى حلول » .

« وعدت مرة اخرى الى احد العقبات الأساسية ، وقلت : ان يهودا والسامرة لم تكونا ابدا تحت سيادة احد . ولدينا فيها حقوق اكثر مما لدى الاردن » .

« وكان وجه السادات متجهما وهـو يقول : لقد قلت لكارتر انه لا انتم ولا (الملك) حسين لكم حق السـيادة على الضـفة الغربية . ان المنطقة ملك سكانها » .

« وقلت ، مذكرا اياه : لقد قلنا ان القوات الاسرائيلية سوف تبقى فى يهودا والسامرة وغزة » .

« ـ اقول لك ـ نعم . ولازلت اعتقد ذلك . وســوف تكون هناك اماكن مخصصة لهــا فى الفترة الانتقالية . وبعــد ذلك ، عندما يقرر الفلسطينيون مستقبلهم ، ســوف يكون من الضرورى اتخاذ الترتيبات لاعادة توزيع هذه القوات . وقد اوصيت باقامة صلة بينها وبين الأردن » .

« وسألته مرة اخرى :هل تتوقع ان ينضم الملك حسين الى المفاوضات ؟ » .

« وقال السادات مؤكدا : اعتقد انه سيفعل . واذا لم يفعل ، فسأمضى بمفردى . وانا مستعد للذهاب بكل ما معى ، بما فى ذلك ارسال قوات مصرية » .

« وقلت وانا انهض على قدمى : يكفى هذا لهذا الصباح . وسوف ابلغ رئيس الوزراء بما دار بيننا . ولا تنسى انه من المهــم الى اقصى حد ان تقــابل دايان » . (وايزمان ، «معركة السلام» ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٢) .

٢٣

أطول الأيـــام

كانت السحب الرمادية القاتمة ، المنذرة بالمطر ، تطبق على ولاية « ماريلاند » ، وتزيد من الاحساس بالكآبة الذى كان يخيم على « كامب دافيد » . وأحجم أعضاء الوفود عن الخــروج من أكواخهم ، أو استخدام وسائل الترفيه والتسلية المتنوعة فى كامب دافيد ، تخوفا من المطر . كذلك خلق المطر مشاكل أخرى من نوع مختلف . فقد تعود أعضاء الوفود عقد مشاوراتهم وهم يتنزهون على الأقدام فى الغابات ، وذلك لتجنب أجهزة التصنت التى كانوا يتوقعون أن تضعها أجهــزة الأمن الأمريكية فى الأكواخ . بل ان بعضهم كان يعقد مثل هذه المشاورات فى المطار المخصص لطائرات الهليوكبتر ، تخوفا من أن تكون هنـــاك أجهزة للتصنت ملصقة بأشجار الغابة . وهكذا اضطر أعضاء الوفود الى البقـــاء فى أكواخهم ، واكتفوا بتناول القهوة والشطائر التى كان الســقاه يحملونها اليهم .

استيقظ الرئيس الأمريكى فى الرابعة والنصـــف صباحا ، مبكرا عن عادته ، واستدعى مستشاره للأمن القومى ، « زبجنيو

برزيزنسكى » ، الذى قدم بعد عدة دقائق مهوش الشعر نابت اللحية . وكان القلق الشديد يبدو واضحا على وجه كارتر . فقد كان قد وصل الى علمه ، أثناء الليل ، ان الرئيس المصرى ينوى مغادرة كامب دافيد هذا اليوم ، أو اليوم التالى على الأكثر . كذلك كان وزير الخارجية الاسرائيلى قد ألمح أيضا الى رغبته فى العودة الى بلاده . وهكذا فان مخاوف كارتر من انهيار المؤتمر كادت توشك أن تتحقق . وكان عليه أن يفعل شيئا ما لتجنب ذلك(١) .

ولم يمض سوى وقت قصير حتى تجمع باقى أعضاء الوفد الأمريكى فى كوخ الرئيس ، وأخذوا يعيدون دراسة المقترحات الأمريكية التى لم يبق من صورتها الأصلية غير النذر اليسير ، بعد التعديلات التى أدخلها الطرفان عليها .

*	*	*

وفى كوخ الوفد الاسرائيلى ، صاح « وايزمان » بصوت عال : « لقد كانت حماقة منى ان جئت الى كامب دافيد » ، فقد كان مقتنعا بأن المؤتمر مقضى عليه بالفشل . وقد كان هو من ناحيته على استعداد لاخلاء المستوطنات فى مقابل السلام . وقد تحادث مع « دايان » فى هذا الأمر ، ولكن وزير الخارجية فضل عدم الاصطدام مع « بيجين » حول هذا الموضوع . ولكن وايزمان لم يقنع بالصمت ، وانما قال مرة أخرى بصوت عال :

ــ « اذا كنا نريد السلام فيجب علينا الجلاء عن المستوطنات » . ورد عليه رئيس الوزراء غاضبا :

ــ « لقد سمعت ما قلته ، وأنا لا أعتقد ان هناك زعيما عربيا واحدا سوف يوقع على معاهدة سلام تنتقص شيئا من أراضيه (!) » .

وأنقذ رنين جرس التليفون الموقف . وكان المتحدث على الطرف الآخر هو « صمويل لويس » ، سفير الولايات المتحدة

فى اسرائيل ، الذى قال ان كارتر يود الاجتماع مع « دايان » و « باراك » ، مرة أخرى ، فى العاشرة والنصف .

وانضم « وايزمان » الى « دايان » و « باراك » . ورحب بهم الرئيس الأمريكى والقلق والتوتر واضحان بجلاء فى عينيه .

قال الرئيس الأمريكى مستهلا حديثه فى حدة :

ـــ « لابد أن توافق اسرائيل على اخلاء مستوطنات سيناء، وبهذه الطريقة سوف نتوصل الى معاهدة سلام » .

وكان « دايان » و « وايزمان » ينصتان باهتمام ، ولكن لم يكن لدى أى منهما سلطة تغيير الخط الاسرائيلى الرسمى . وبالرغم من ذلك ، فقد كان « دايان » يود أن يشير لكارتر ان من رأيه ان تغييرا قد حدث فعلا فى السياسة الاسرائيلية ، ولكنه قال :

ـــ « اننا لا نستطيع أن نفعل ذلك هنا ، فلابد لنا من الحصول على موافقة مجلس الوزراء والكنيسيت أيضا » .

والواقع ان كارتر ومساعديه كانوا قد حدسوا حدوث تعديل فى السياسة الاسرائيلية . كما كانوا على علم أيضا بموقف «وايزمان» . ولذا فلم يكن أمامهم سوى محاولة اقناع «بيجين» باتخاذ نفس موقف وزيريه الهامين . ولكن كارتر لم يكن ليكتفى بذلك ، واخذ يحث « دايان » و « وايزمان » على أن توافق اسرائيل على الامتناع عن اقامة مستوطنات أخرى فى الضفة الغربية وقطاع غزة . وقد عارض « دايان » ذلك بشدة ، بينما لم ينطق « وايزمان » بكلمة واحدة .

وحين كانوا على وشك مغادرة الكوخ ، فاجأهم « كارتر » بمطلب مصرى جديد :

ـــ « ان الســادات يريد رفــع علم عربى علــى الأماكن الاسلامية المقدسة فى القــدس » .

ولم يوضح لهما كارتر ما هــو العلم العربى الذى يعنيــه الرئيس المصرى .

ولم يقل أى من « وايزمان » و « دايان » شــيئا . ولكن احساسا بخيبة الأمل كان يخيم عليهما وهما يقفلان ورائهما باب الكوخ(٢) .

... ...

واتصل « حسن أحمد كامل » بكوخ « دايان » كى يبلغه برغبة السادات فى الاجتماع به . وبعد برهة ، اتصل به « محمــد حسن التهامى » مرة أخرى كى يوجه اليه نفس الدعوة . وقــد كانت تلك أول مــرة يبدى فيها الســادات رغبته فى لقــاء وزير الخارجية الاسرائيلى(٣) .

وكان السادات ينفق جزءا كبيرا من وقته بمفرده فى كوخه ، فقد كان نادرا ما يقــوم أحد أعضاء الوفــد المصرى بزيارته . وكان يقوم بالتنزه سيرا على الأقدام عدة مرات فى اليوم الواحد، متحاشــيا ، قدر الامكان ، الالتقاء بأحــد من أعضاء الوفــد الاسرائيلى . وكان الاسرائيلى الوحيد الذى التقى بالسادات فى هــذه الفترة عدة مرات هو « وايزمان » ، الذى عجز عن اقناع الرئيس المصرى بتغيير موقفه(٤) .

وكان الرئيس الأمريكى قد دعا السادات فى صباح هــذا اليوم لمشاركته فى نزهة على الأقدام . وقد أبلغ السادات الرئيس الأمريكى ـــ حين لم يبلغه الأخير بحدوث أية تطورات جديدة ـــ بعزمه على مغادرة كامب دافيد فى نفس ذلك اليوم . ولكن كارتر طلب منه أن لا يقــدم على شىء قد يدمر آخر فرصــة لتحقيــق

السلام . ووافق السادات على ابقاء كجميل شخصى للرئيس الأمريكى(٥) .

***

التقى السادات و « دايان » بعد الظهر ، وذلك للمرة الأولى ، دون وجود مساعدين أو مستشارين . وحاول السادات أن يكون مجاملا وصبورا مع ضيفه ، الذى يمثل بالنسبة له وبالنسبة لغالبية المصريين رمزا لانتصارات اسرائيل وهزائم مصر .

وقد بدأ الحديث بتبادل الذكريات عن الحرب ، ثم نقل السادات الحديث الى الأمور الجارية قائلا :

ـ « لقد طلبت منك القدوم هنا لأننى ، وبعد أن قضينا هنا نحو عشرة أيام ، لا أرى أى بادرة حل تلوح فى الأفق . وأود أن أعرف ما الذى يمكن عمله فى رأيك » .

دايان : « أنا أصدقك . ولقد عودتنا على انك رجل ذو وجه واحد . ورغم ان بيجين زعيم قوى ، الا انه لا يستطيع معارضة الكنيسيت والشعب الاسرائيلى ، وخاصة فيما يتعلق بموضوع المستوطنات ، الذى لا نستطيع تقديم أية تنازلات بشأنه » .

ثم شكا السادات من ان الوفد الاسرائيلى قد استغل التنازلات التى قدمها الى كارتر لتقديم موعد تطبيع العلاقات ولارجاء تحديد الوضع النهائى للضفة الغربية . ثم استطرد الرئيس المصرى قائلا :

ـ « قل لبيجين انه لا داعى لتعذيب كارتر أكثر من ذلك ، اذا لم يكن الشعب الاسرائيلى قد خولكم فى اجلاء المستوطنات » .

وزاود « ديان » شعور بأن النهاية قد قربت ، فعبر عن أمله فى أن يسفر المؤتمر عن اتفاقية جزئية ، اذ ما استحال التوصل الى اتفاقية شاملة .

وكان رد السـادات :

ــ « هذا أمر مرفوض تماما » !(٦) .

... ...

وكان « بيجين » قد قرر ، بعد اجراء مشاورات مع أعضاء وفده ، دعوة « فانس » لعقد اجتماع أخير .

والتقى « فانس » و « بيجين » فى ساعة مبكرة من المساء . وكان الحزن والاكتئاب باديان بوضـوح على وزير الخارجيـة الأمريكى .

قال « بيجين » :

ــ « لقد خيبتم آمالنا ، ولم تعيروا تفسيراتنا وتنـازلاتنا ومواقفنا الحاسمة أى اعتبار » .

وكان « بيجين » يحاول دق أسفين بين الولايات المتحـدة ومصر ، بعد أن علم بشكل مؤكد ان كارتر ومساعديه قـد زادوا قربا من الموقف المصرى . وكان « بيجين » ، وكذلك كل المشتركين فى المؤتمـر ، يعلمون جيدا ــ ليلة الخميس هـذه ــ ان الوقت لا يسير فى مصلحة أى من الأطراف ، ولكن الجميع كانوا يتجنبون تحمل مسؤولية فشـل المؤتمر .

وفى المساء ، اجتمع كارتر مرة أخرى مع « أسامة الباز » ، ولكن الاجتماع لم يحقق أى تقـدم ، فى الوقت الذى أعلن فيـه السادات انه سوف يستقل طائرة هليوكبتر كى تنقله الى قاعدة « أندروز » الجوية حيث تقف طائرته الخاصـة على استعداد للاقلاع فى أى وقت (٧) .

وكان « وايزمان » يشاهد فيلما سينمائيا . وقبل أن ينتهى العرض ، اندفع خارجا من الكوخ فى غضب وهو يصيح بصوت كالرعد . فقد علم أن عددا من كبار موظفى البيت الأبيض قـد

اجتمعوا ببعض الصحفيين وابلغوهم ان المؤتمر يوشك على الانهيار بسبب تصلب وعناد الموقف الاسرائيلى .

ولم يكن التوتر واختلاف الرأى قاصرين على الوفد الاسرائيلى ، وانما امتدا ايضا الى الوفد المصرى . وكان القلق يستبد بوزير الخارجية المصرى ، محمد ابراهيم كامل ، منذ اللحظة التى بدأت فيها المباحثات . وكان « ابراهيم كامل » كثيرا ما يستيقظ اثناء الليل ، ويوقظ رفيقه فى الكوخ ، الدكتور « بطرس غالى » كى يسأله :

— « ما هى ضرورة وجودنا هنا ! ؟ ان هذا الرجل ، السادات ، يدفعنى الى الجنون ! »(٨) .

كذلك كان « كامل » يطلب مقابلة السادات بمفرده ، من وقت لآخر ، كى يبلغه بتحفظاته . وكان يحذر الرئيس المصرى من تقديم تنازلات كبيرة قد تثير ضده عاصفة من الاتهامات بالخيانة والاستسلام لاسرائيل . وكان السادات يطالبه دائما بالصبر .

وفى تلك الليلة ، فقد « كامل » السيطرة على أعصابه . فقد كان يعارض موافقة السادات فى اللحظة الأخيرة على مطالبة اسرائيل بتبادل السفراء بين البلدين بعد تسعة أشهر من توقيع معاهدة السلام ، كما كانت لديه أيضا انتقادات جدية للفقرة الخاصة بالمستوطنات . وكان الحديث بين الرجلين يتسم بالانفعالية البالغة :

كامل : « لا يجوز تبادل السفراء والعلم الاسرائيلى لا يزال مرفوعا فى سيناء . وبالاضافة الى ذلك ، فانه لو حدث ذلك ، فلن يكون لدينا ما يضمن أن تقوم اسرائيل بالانسحاب خلال ثلاث سنوات . وما الذى يمكن أن يحدث اذا قامت مظاهرة ضد السفير الاسرائيلى فى القاهرة ، واعتبرها السفير عملا عدوانيا

يخل بمعاهدة السلام ، الأمر الذى يبرر توقف اسرائيل عن اتمام الانسحاب ؟ .

السادات : « انك لا تستطيع انتزاع أوراق بيجين كلها بالقوة . ولكنك تستطيع أن تأخذها بالهدوء . كذلك فانه من الخطأ أن نبتعد عن الخطة الأمريكية التى تريد اعطاء اسرائيل بديلا عن ربط معاهدة السلام بالحكم الذاتى للفلسطينيين . ان مشكلتنا الرئيسية فيما يتعلق باسرائيل هو تنسيق مواقفنا مع مواقف الولايات المتحدة ، وذلك حتى لا نقدم لاسرائيل فرصة التهرب من التوقيع على الاتفاقية » .

كامل : « ان تعبير الحكم الذاتى تعبير أجوف . والخطة الاسرائيلية لا تتناول سوى الادارة الذاتية فى الأمور اليومية فقط . وانا أفضل أن نصر على حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم . كذلك فانه يمكن تفسير الحكم الذاتى على عدة أوجه . بل ان كارتر نفسه وافق على حق تقرير المصير » .

السادات : « اذا انحنينا لبيجين فى موضوع الأسماء والألقاب فى مقابل وعد صريح منه بانهاء الحكم العسكرى فى الضفة الغربية وغزة ، فما هى العوائق التى سوف تقف أمام حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم ؟ وأنت نفسك كنت تقول دائما انه اذا أراد الفلسطينيون الخروج من دائرة المغامرات العسكرية المفرغة فان عليهم أن يقبلوا مبدأ التقدم التدريجى : من الادارة الذاتية الى الحكومة الذاتية ، ومن الحكومة الذاتية الى تقرير المصير . ويستطيع « بيجين » أن يحنث بوعده بانهاء الحكم العسكرى فقط اذا لم ينجح الفلسطينيون فى اقناعه بأن أمن اسرائيل لا يتعرض لأى تهديد من جراء ذلك . اسمع ، يا محمد .... ان الخوف من السلام مع اسرائيل غير مبرر بسبب قوة العرب . ان قوتنا تزيد ، لا بسبب قدراتنا أو مهارتنا السياسية ، وانما بسبب الأهمية البالغة للمنطقة العربية . وهكذا ، فانه اما

أن نخرج بفائدة ما من أهمية منطقتنا ، أو نترك ذلك لاسرائيل كي تبيع هذه العلاقات للولايات المتحدة ، كما ظلت تفعل حتى الآن » .

أثار هذا الحديث حنق وزير الخارجية المصرى . وعندما عاد الى كوخه ، حاول أن ينام ولكنه لم يستطع . وبعد أن ظل نحو الساعة يذرع غرفته جيئه وذهابا ، ايقظ « بطرس غالى » وقال له :

ــ « لقد انتهى الأمر . وقد قررت أن أستقيل » .

ثم اتصل تليفونيا بالرئيس المصرى وطلب تحديد موعد عاجل لمقابلته وكان الرئيس المصرى يقف على باب كوخه عندما وصل « محمد ابراهيم كامل » ، الذى أوضح له انه كان يود تأجيل استقالته حتى ينتهى المؤتمر ، ولكنه لم يعد يستطيع أن يتحمل أكثر من ذلك :

ــ « ... انا لا أستطيع أن اتحمل اكثر من ذلك .... ان عيناى لا تغمضان طيلة الليل » .

وقال السادات :

ــ « أنت على حق . وأنا اقبل استقالتك . ولكن الأيام القادمة سوف تثبت انك قد اخطأت »(٩) .

ولم يعرف الجانبان ، الاسرائيلى والأمريكى ما حدث فى الاكواخ المخصصة للوفد المصرى تلك الليلة .

وفى صباح يوم الجمعة ، خيم جو « النهاية الحزينة » على أعضاء الوفود . وبدأ بعض الموظفين الملحقين بالوفود فى حزم الوثائق والملفات . ومن ناحية أخرى ، وصل الى « كامب دافيد » ، « هارولد براون » ، وزير الدفاع الأمريكى بعد استدعائه للمساعدة فى محاولات الجانب الأمريكى أحداث صدع فى جدار

التصلب والعناد الذى اقامه الجانبان(١٠) . وهكذا فقد كان جميع كبار رجال الادارة الأمريكية حاضرين : « كارتر » و « مونديل » ، و « فانس » ، و « براون » « برزيزنسكى » . ذلك ان مكانة الرئيس ومكانة ادارته كانت الميزان ، وكانت الكفة الخاسرة توشك على الرجحان .

وكان « بيجين » قد أمضى ليلة مضنية ، لم يزر النوم فيها عينيه الا لماما . وكان يشعر ان عليه أن يتخذ قرارا خطيرا لا مفر منه . وقد ألمح ، اثناء جلسة المشاورات التى عقدها الوفد الاسرائيلى فى الصباح ، الى استعداده لاعادة النظر فى موضوع المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء .

وغادر « دايان » كوخ الوفد الاسرائيلى كى يجتمع مع « كارتر » . وابلغ الوفد ، لدى عودته ، ان الرئيس الأمريكى ينوى انهاء المؤتمر ليلة الأحد التالى ، وانه قرر الاجتماع بمجلسى الكونجرس فى جلسة مشتركة ، ثم يقابل رجال الاعلام عقب ذلك مباشرة ، وذلك لابلاغهم بالتطورات التى حدثت فى المؤتمر . وكان التهديد الذى يقصده كارتر واضحا . ذلك ان الوفد الاسرائيلى كان يعلم ان الرئيس الأمريكى سوف يلقى بمسؤولية فشل المؤتمر على اسرائيل .

واثناء ذلك كله ، كان « وايزمان » مجتمعا مع السادات فى كوخه . وقال الرئيس المصرى :

— « ... ان كل شىء يتهاوى ! » .

فقال « وايزمان » محاولا بعث الثقة فى نفس السادات :

— « لا ، سوف يتم حل كل شىء فى النهاية » .

ولكن تشاؤم السادات لم تخفت حدته حتى حين اجتمع مع

« فانس » بعـــد ذلك . وكان السادات يتكلم فى بطء حتى يتيح لضيفه استيعاب ما يقول :

ـــ « أريد أن أخبرك اننا قد حددنا موقفنا . لقد وافقت على عدد من النقاط التى اقترحتها الولايات المتحدة ، ورفضت بعضها الآخر . وأخشى أن يستغل الطرف الاخـــر النقاط التى وافقت عليها فى المباحثات التى قد تعقد فيما بيننا فى المســـتقبل ، وذلك فى حالة فشل مؤتمر كامب دافيد . ولذلك فاننى أريد أن أوضح ، بشكل لا يعتوره أى غموض ، اننى لم أوافق على هـــذه النقاط الا لتسهيل مهمة الرئيس كارتر . . . . ولذلك فانه لا يمكن استخدام موافقتى تلك كأساس لمفاوضـــات قد تجرى فى المســـتقبل مع الطرف الآخر . وأريد أن يكون ذلك واضحا تماما ، ذلك أنه اذا لم يتم التوصل الى اتفاق ، فان مصر لن تكون ملتزمة بما وافقت عليه للولايات المتحدة ، اذا ما استؤنفت المفاوضات مرة أخرى » .

فانس : « يجب أن أبلغ الرئيس كارتر بذلك » .

وبعد خمس دقائق من مغـــادرة « فانس » لكوخ الرئيس المصرى ، دق جرس التليفون . وكان المتحدث هو كارتر ، الذى طلب من السادات أن يلتقى به فورا . .

وكرر السادات للرئيس الأمريكى ، عند حضوره ، ما قاله لوزير خارجيتـــه :

السادات : « لقد قضينا عشرة أيام هنا ، بدا الطرف الآخر أثناءها وكأنه لا يوافق على أى شىء . ان الهوة تتسع » .

(وكان « كارتر » و « فانس » قد لاحظا من قبـــل ، أن السادات لم يعـــد يذكر اسرائيل بالاسم ، مفضلا أن يشير اليها باسم : « الطرف الآخـــر ») .

كارتر : « انا متفق معك . وقــد قــررت انه اذا أنتهت المفاوضات بالفشل ، فاننى سوف اذيع الموقف المصرى بكامله ، والموقف الاسرائيلى بكامله ، وكذلك موقفنا أيضا . وأنا أؤكد لك أنه ليس هناك ما يلزمك طالما لم تنجح اسرائيل فى التوصـــل الى اتفـــاق معك » .

فانس : « وبالنسبة الى المستوطنات ، فأنا أقترح التأجيل لمدة ٤٨ ســـاعة . فاليوم هو الجمعة ، وسوف أتحــدث مع « دايان » قبل يوم الأحـــد » .

الســادات : « لابأس » .

فانس : « لقد قلت اننا ظللنا نعمل معا طيلة عشرة أيام ، فلنضف اليهم يومين آخــرين » .

السادات : « اوكى ، فأنا لست خائفا » .

ثم اصطحب السادات « كارتر » الى كوخ الرئيس الأمريكى، ثم كر عائدا الى كوخه(١١) .

وكان يوم الجمعة خاليـــا من الاحداث بالنسبة الى الوفـــد الإسرائيلى . وكان « بيجين » ينوى حضور حفل موسيقى تقيمه الأوركسترا الفلهارمونى الاسرائيلى فى واشنطون يوم السبت . وكان قد قرر دعـــوة الرئيس المصرى لحضور الحفل . وقـــد توقفا ، أثناء تناول الطعام ، بجانب مائدة الوفـــد المصرى ودعا أعضاؤه لحضور الحفل الموسيقى ، وطلب منهم ايصال دعوته الى الرئيس المصرى .

ولكن الأمور سارت بشكل مختلف . فقد قام نائب الرئيس الأمريكى « مونديل » بزيارة « بيجين » بعد الظهر ، حاملا معـــه

رسالة من « كارتر » يدعو فيها الوفود الى بذل المزيد من الجهد ، والتركيز على المباحثات . وفهم « بيجين » ما يقصده « كارتر » ، وعدل عن حضور الحفل الموسيقى(١٢) .

ولم تجر مفاوضات نهار يوم السبت ، وذلك فيما عدا اجتماع عقده « دينتز » و « باراك » مع « فانس » نجحا أثناءه فى اقناعه بلا معقولية الطلب المصرى برفع علم عربى فوق الأماكن الاسلامية المقدسة فى القدس(١٣) .

ثم تقابل « بيجين » مع « برزيزنسكى » بعد غروب الشمس للعب مباراة فى الشطرنج ، خسرها « بيجين » .

وفى حوالى الساعة الثامنة مساءا ، غادر « بيجين » و « دايان » و « باراك » كوخ الوفد الاسرائيلى لعقد اجتماع مع « كارتر » . وكان ينتابهم شعور قوى بأن هذا الاجتماع سوف يكون حاسما . وقال « بيجين » وهو يغادر الكوخ :

ـ « لدى أمل فى اننا سوف نتلقى أخبارا طيبة . ولكن انتظروا حتى أعود » .

واستمر اجتماع « كارتر » مع الاسرائيليين وقتا طويلا . وحاول بقية أعضاء الوفد الاسرائيلى معرفة ما يدور فى كوخ الرئيس الأمريكى ، ولكنهم فشلوا فى معرفة أى شىء . وفجأة ، فتح باب كوخ « كارتر » ، وخرج منه كل من « مونديل » « برزيزنسكى » ، واتجها الى الكوخ المخصص لتناول الطعام ، وعلى وجهيهما ملامح الغبطة . وعندما دخلا الكوخ ، تجمع حولهما أعضاء الوفد المصرى وهم يضحكون فى مرح .

وقال أحد أعضاء الوفد الاسرائيلى :

— « اذا كان المصريون يضـــحكون ، فربما كان ذلك يعنى ان علينا أن نبدأ فى الشـــعور بالقلق » .

... ...

بدأ الاجتماع بين « كارتر » و « بيجين » وزميله باعلان من « بيجين » قلب مفاوضات « كامب دافيد » رأسا على عقب . قال « بيجين » :

— « اذا كانت مستوطنات سيناء هى التى تقف حجر عثرة فى طريق السلام ، فاننى سوف أحيل الأمر الى الكنيسيت . وسوف أحترم قرار الكنيسيت . وسوف أوصى باعفــاء أعضاء الكنيسيت من الالتزام الحزبى عند التصويت على هذه المسألة الحساسة . ولا أستطيع ان أفعل الكثر من ذلك » .

قال كارتر : « وما الذى تنوى أن تقـــوله للكنيسيت ، يا مستر بيجين ؟ » .

فأجاب بيجين : « لم أتخذ قرارا بشأن ذلك بعد . انه قرار صعب » .

وادرك بيجين ، باستمرار المحادثات ، ان عليـــه أن يقرر الآن فورا ، ما اذا كان يريد المطارات أو السلام . ومثلما فعـــل وايزمان ودايان ، اختار رئيس الوزراء السلام ، بعد أن تنـــازل عن اثنين من المطارات الثلاث فى ربيع عام ١٩٧٨ . كذلك وافـــق على ادخال فقرة فى اتفاق الاطار الشامل ، لم تقبلها اسرائيل من قبل أبدا ، وهى : « الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى فى انشاء دولة مستقلة على أرض اسرائيل » . واتفق كارتر وبيجين على معالجة القضايا التى لاتزال موضعا للخلاف ، فى خطـــابات ملحقة ، وعدم تضمينها فى اتفاقية الاطار الشامل(١٤) .

... ...

انتهى الاجتماع فى منتصف الليل . وهرع كارتر الى السادات حتى يبلغه بآخر التطورات . وذهب بيجين الى فراشه . وقد قال فيما بعد : سوف أظل أحمل فى قلبى آثار القرار المؤلم الذى اتخذته باجلاء مستوطنات سيناء » .

كان الجو ، صباح اليوم التالى ، غائما وممطرا . ولكن الصفو والصحو كانا يرتسمان على وجوه الوزراء الاسرائيليين . وكان يسود بيجين ووايزمان وديان ومساعدوهم شعور بأنهم انجزوا عملا تاريخيا . كانوا يشعرون بأن السلام قد أصبح على الأبواب . وكان الجو ممتلئا بالبشر والابتهاج . ولكن وجوه بعض أعضاء الوفد المصرى كانت مفعمة بالكآبة ، ولم يظهر ابراهيم كامل . وأعلن اسامة الباز اعتراضات محددة على الاتفاقيتين اللتين كانا يتم كتابتهما على الآلة الكاتبة فى مكاتب الوفد الامريكى(١٥) .

... ...

وطلب وايزمان ، بعد اجراء مشاورات داخلية بين أعضاء الوفد الاسرائيلى ، مقابلة السادات ، الذى وافق على الفور . وكان السادات يبدو فى حالة طيبة ذلك الصباح ، ورحب بوزير الدفاع الاسرائيلى فى حرارة .

وقال وايزمان : لقد تقرر ، فى اتفاقية الاطار الشامل ، اخضاع اسرائيل للمناطق المنزوعة السلام على طول حدودها . ولكن المساحة المحددة على جانبنا ، صغيرة جدا ، ومن الصعب على اسرائيل الموافقة على ذلك . ونحن نود زيادة عدد القوات المسموح بتواجدها فى المناطق المنزوعة السلاح » .

وسأله السادات : « كم عدد الكتائب موضع الخلاف ؟ » .

« ــ ثلاث كتائب من حرس الحدود » .

وقال السادات : « حسنا يا وايزمان ، من أجلك ، سوف أجعلهم أربعة كتائب . فلم يعد لدى عقد منذ حرب أكتوبر (١٥) » .

... ...

أعد الجانب الامريكى خطابا من الرئيس (الامريكى) حول القدس . وكان قد تقرر الحاق هذا الخطاب باتفاقية الاطار الشامل . وتم ابلاغ بيجين بمضمون هذا الخطاب . ولكنه عندما طلب الاطلاع على الخطاب نفسه ، لم يلب احد طلبه . ولما كان الامريكيون يبدو أنهم يراوغون ، فقد أمر بيجين روسينه بأن يطلب نسخة منه . ولكن الجانب الامريكى رفض ذلك بصراحة .

وعند الظهر ، وصل صمويل لويس كى يتحدث مع بيجين ، واطلع بيجين وسيمحا دينتز على مسودة الخطاب . وروع دينتز . فلأول مرة فى مباحثات كامب دافيد ، تقدم الجانب الامريكى بمقترحات لا ترتكز على شىء قاله الجانبين . وهكذا ، فقد كان يطلب من اسرائيل الموافقة على خطاب أمريكى يقرر بدقة أن القدس الشرقية جزء من الأراضى المحتلة . واسترعى دينتز انتباه بيجين الى الصياغة التى لم يطالب بها حتى المصريين .

ودرس بيجين الخطاب . كان يتميز غيظا . وصاح : « لن أوقع على شىء كهذا . مطلقا . وأنا مستعد لقطع المباحثات عند هذا الحد » .

كانت اسرائيل تعتبر مشكلة عاصمتها القدس ، اكثر المسائل حساسية واهمها على الاطلاق .

وأعلن بيجين : « سوف نعود الى بلادنا » .

وغادرهما صمويل لويس ، وهرع الى كابين كارتر . وكان وجهه شاحبا .

وفى الخارج ، التقى روسنة وروبنشتين ـــ أحد مساعدى

دايان — بهاملتون جوردان . وقالا له : « اننا نحذركم . ان كل شيء سوف ينهار بسبب هذا الأمر » .

وقال جوردان : « سوف أبلغ موندال أو كارتر بذلك الآن على الفــور » .

التقى موندال ، عقب ذلك ، بدايان ووايزمان على الفــــور تقريبا . فقبل عدة ساعات قليلة من انتهـــاء مؤتمر كامب دافيد ، وبينما كانت الوفود تقف على عتبة انتصار كبير ، كان المؤتمر على وشك الانهيار . وأحس أعضاء الوفد الاسرائيلي انهم قد خدعوا . فقد ترك الجانب الامريكى اكثر المسائل اثارة للحساسيات حتى الدقيقة الأخيرة ، حتى لا يعطوا الجانب الاسرائيلي سوى مجــال ضئيل للاختيار . وكان الإسرائيليون فى حــالة ذهــول . وكانت الأوصاف التى اطلقوها على كارتر وعلى الوفد الامريكى قاســية وعنيفة . وكانوا واثقين ان هذه الحــركة قد خطط لهـــا بعناية مقــدما ، من أجل انتزاع مدينة القدس القــديمة من أيديهــم .

... ...

فى الساعة الثالثة وسبع وعشرون دقيقة من بعد الظهر ، دق كارتر على باب بيجين . كان يرتدى ملابس رياضية، ويمسك فى يده بمضرب تنس . وأحضر معه صورا فوتوغرافية موقع عليها منه ، كهدية لأحفــاد بيجين . كان بيجين حانقا اشد الحنق . وقال : « لن توقع يدى على هذا الاتفــاق . لن يظهر توقيعى على مثــل هذه الاتفاقية التى تحوى خطابا يقرر أن القدس مدينة محتلة » .

وحاول كارتر أن يهدىء من روع بيجين ، وقال : « ســوف نجد مخرجا . سوف نصيغ الخطاب بحيث لا يكون عقبة . سوف نحــاول البحث عن صياغة تقبلها » .

ولكن نبرات صوته كشفت انه ، هو أيضا ، كان يائسا . ولم يدم اللقــاء غير بضع دقائق قليلة .

وبعد ذلك مباشرة ، انضم كارتر الى اجتماع مونديل مع دايان ووايزمان .

قال دايان : « اذا قدمتم لنا خطابا كهذا ، فسوف نحزم حقائبنا ونرحل على الفور » .

واوضح كارتر لهما انه اضطر لكتابة هذا الخطاب بشأن القدس بناءا على طلب السادات ، من اجل ايضاح الموقف الامريكى بشأن هذه المسألة .

ـ « اذا كان الأمر كذلك،فان نزاعا حادا سوف يثور بيننا . ما الذى تريدونه ؟ . اننا نريد أن نتوصل الى اتفاق مع مصر ، وليس أن نقوم بمواجهة مع الموقف الامريكى . ما الذى حدث هنا ؟. ان لدينا ، الأول مرة فى المفاوضات ، موقفا أمريكيا واضحا . انكم تتدخلون فى المفاوضات بيننا وبين المصريين.وعلى حين غرة ، نجد انفسنا فى جدال مع الامريكيين بدلا من المصريين . ليس ذلك هو ما قدمنا من أجله الى كامب دافيد » .

وقاطعه كارتر قائلا : « لقد اصدر الكنيسيت قانونا بضم القدس . ولكن الولايات المتحدة ، كما قد تعرف ، لم توافق على ذلك » .

ورد عليه دايان قائلا : « ولكننا لم نتقدم الى هنا فى كامب دافيد كى نتجادل معكم حول هذا الأمر . ولم نكن لنأت ، اذا كنا نعرف انكم تنتوون اعلان موقفكم بشأن القدس » .

وقال مونديل : « ان السادات يضغط بشدة بخصوص مسألة القدس ، وقد وعده الرئيس باصدار خطاب يوضح موقفنا » .

وتساءل دينتز : « هل الحى اليهودى فى المدينة القديمة أرض محتلة ؟ . أو جامعة جبل ؟ . أو مستشفى الهاداساه ؟ » .

... ...

وفى أثناء ذلك ، كانت الأمور تصبح أكثر تعقيدا . فقد جدد السادات مطلبه برفع علم عربى على الأماكن الاسلامية المقدسة فى القدس . وقد كان برزيزنسكى هو الذى ابلغ بيجين بتجديد هذا المطلب . وقفز بيجين واقفا على قدميه ، وتساءل فى سخرية مريرة : « أين يريد المستر السادات رفع هذا العلم ؟ » .

وأجابه برزيزنسكى : «على مسجد عربى فوق جبل المعبد» .

وقال بيجين : « ان جبل المعبد هو أكثر الأماكن قداسة فى القدس . واسرائيل لا ترفع أية أعلام هناك » .

وقال دايان هازئا : « ربما كان السادات يريد رفع علم عربى فوق مبنى الكنيسيت أيضا » .

وقال بيجين : اذا تحقق السلام فى الشرق الاوسط ، فسوف يكون فى مقدور العرب رفع اعلامهم فى القدس » .

ثم صمت بيجين بشكل درامى ، واضاف : « سوف يكون فى استطاعتهم رفع علم عربى على كل سفارة يفتتحونها فى القدس » .

وانتهت المحادثات باقتراح توفيقى : ان اسرائيل مستعدة لقبول الاشارة الى موقف الولايات المتحدة بشأن القدس كما تم تقديمه الى الأمم المتحدة . وكان كارتر يأمل فى ان ينجح فى اقناع السادات بالاكتفاء بذلك ، حتى لا يتسبب فى انهيار المؤتمر فى اللحظات الأخيرة .

... ...

هرع كارتر لرؤية السادات لابلاغه بآخر التطورات . وفى

مجرى الحديث الذى دار بينهما ، وبدت الفكرة التى أدت الى التوصل الى حل : سوف يكتب الرئيس المصرى خطابا الى الرئيس الامريكى يحدد فيه الموقف المصرى بشأن القدس ، وسوف يكتب بيجين خطابا مماثلا يوضح فه الموقف الاسرائيلى ، وسوف يكون خطاب كارتر الذى يرد فيه على خطابى القائدين مرتكزا على البيانات التى صدرت بشأن القدس ، والتى أدلى بهما سفيرا الولايات المتحدة الى الأمم المتحدة : آرثر جولدبرج وتشارلز يوست . ووجدت الفكرة قبولا لدى كل من السادات وبيجين . وعكف فانس وباراك وروسنه والباز على صياغة هذه الخطابات.

... ...

وفى الساعة الخامسة واثنتان وثلاثون دقيقة بعد الظهر ، رن جرس التليفون فى كوخ بيجين . كان باراك هو المتحدث ، ولم يقل سوى جملتين فحسب : « لقد انتهينا من النقاط الأخيرة ، يا سيدى . لدينا الآن اتفاقية » .

نظر بيجين حوله . كان معه فى الغرفة موظفى مكتبه : كاديشاى وبوران وباتير وروبنشتين ومصور فوتوغرافى ورجلين من رجال الأمن .

واعلن لهم بيجين فى ابتهاج : « لقد توصلنا الى اتفاق ، يا أطفالى » .

واتصل بيجين بييجال يادين فى اسرائيل كى يبلغه الأخبار الطيبة . وأحاط نائب رئيس الوزراء الاسرائيلى علما بعدد من التفاصيل ، وانه سوف يتم التوقيع على معاهدة السلام فى غضون ثلاثة أشهر ، وحذره من ابلاغ هذه الأنباء الى أى واحد(١٦) .

... ...

هبت على كامب دافيد عاصفة رعدية . وانهمر وابل من المطر

الغزير يقرع الأشـجار والأكواخ ، وتساقط البرد ، وانطلقت الرعود والبروق تمزق الفضاء . ووقع بيجين على عدة خطابات . وفى الساعة السادسة وأربعون دقيقة ، اتصل تليفـونيا بكابين السادات . وهنأه بيجين على الاتفاقية ، وقـال انه يرغب فى زيارته .

وقال السادات : « أرجوك أن تفعل ذلك » .

وبعد ١٨ دقيقة ، انتهت العاصفة . ومضى بيجين الى كوخ السادات ، وهز يده فى حراره . كان ذلك أول لقـاء بينهما منـذ زارا جيستسبورج منذ عشرة أيام مضت . ولم يدم لقائهما طويلا ، ولكنهما افترقا وكأن لم يكن بينهما خلاف فى الرأى .

وبعد ذلك ، وبينما كانت الأمتعة الشخصية يتم حزمها فى غرفة بيجين ، وصل السادات دون موعد سابق كى يرد زيـارة بيجين ، مصطحبا عددا من خدمه الشخصيين فقط . واسـتدعى بيجين وزراءه بسرعة ، وصب وايزمان النبيذ للجميع بما فيهـم السادات . فقد أنست الفرحة وايزمان ان السادات ، بوصـفه مسلما ورعا ، لم يكن يشرب الكحوليات .

وقال له السادات مقرعا : « أنا لست كافرا مثلك ، يا أيزر . سوف أشرب عصير الفاكهة »(١٧) .

ورفع الجميع كؤوسهم ، بنبيذها وعصيرها ، وتبـادلوا التهنئة والتحية . وبحث بيجين فى حقيبته ، وعاد ومعه ميداليـة عليها نقش يصـور حلم السـلام ، وقدمها كهدية الى السادات .

... ...

حل الليل على جبال كاكوكتين . وقبل ان يتفرق الجمـع ، طلب روسنه وروبشتين من الحاضرين التوقيـع على خريطـة لكامب دافيد . ولم يكن ينقص هذه التوقيعات سوى توقيعـات

موظفى وزارة الخارجية المصرية . وقد التقى روسنه وروبنشتين بهم ، فيما بعد ، وهم يتنزهون على أقدامهم فى الممر . وطلب منهم روبشتين اضافة توقيعاتهم الى الخريطة .

فأجابوا : « بالقطع لا . لن نوقع ، حتى يحل السلام فعلا » .

وفشل روبشتين فى اقناعهم . وقد أدرك هو وروسنه أن شيئا ما قد حدث . وبعد ذلك بوقت قصير ، قيل لهما أن هناك استقالات واسعة النطاق بين أعضاء الوفد المصرى : الوزير كامل ، واثنان من مساعديه هما : عبد الرؤوف الريدى ونبيل العربى . وطوال المفاوضات ، كان المساعدون يتخذون موقفا متطرفا . وقد رفض موظفوا وزارة الخارجية المصرية أيضا الاشتراك فى احتفال التوقيع الذى كان من المقرر عقده بعد عدة ساعات قليلة فى البيت الأبيض .

... ...

لم يكن ما تم التوصل اليه معاهدة سلام كاملة ، ولكن اتفاقيتان اطاريتان ، كان على الجانبين أن يقوما باستكمالهما فى غضون ثلاثة أشهر ... اتفاقيتان تضعان ارشادات معيارية للمستقبل . ولكنه كان واضحا ، منذ البداية ، أن هناك عددا من المسائل قد أبقى مفتوحا عمدا . وكلما اقترب الجانبان من نهاية المفاوضات ، كلما زادت المسائل غموضا . وكان واضحا لكلا الجانبين ، انه حتى بعد التوقيع على اتفاق السلام ، سوف تكون هناك نقاط دقيقة سوف يفضل كل جانب بصددها تفسيره الخاص .

وكان أكثر الاتفاقيتان بساطة هى اتفاقية اطار السلام بين مصر واسرائيل . وقد تنازلت اسرائيل عن سيناء بأكملها ، بمستوطناتها ومطاراتها . وقد مدت الولايات المتحدة هنا يد

المساعدة بتعهدها بأن تبنى لاسرائيل مطارين بدلا من مطـــارات سيناء ، وباكمال بنائهما قبل موعد انسحاب القوات الاسرائيلية . ولكن الولايات المتحـــدة لن تقـــوم بدور الحكم فى المســـتقبل . فسوف يتم فك المحطة الامريكية للانذار المبكر فى سيناء ، كمـــا ستتوقف أيضا طلعات الطيران الاستطلاعية فى اجواء ســـيناء . ولكن قوات الامم المتحدة سوف تبقى . وعلى عكس ما مضى ، فلن يكون من المسموح به سحبها ، الا بموافقة الطرفين معـــا ، وموافقة أعضاء مجلس الأمن . ولن يتم نزع سلاح ســـيناء ، كما كانت اسرائيل تحلم . ولكن لن يكون من المسموح به القيـــام بطلعات جوية من جانب الطـــائرات المقـــاتلة . وسوف تكون هناك مناطق عازلة شاسعة المساحة تفصل بين جيشى الدولتين .

وكانت المساهمة المصرية هى : تطبيع العلاقات مع اسرائيل فى وقت يسبق بكثير الوقت الذى كان مقترحا فى البداية ، وسوف تفتح الملاحة فى قنـــاة السويس أمام السفن الاسرائيلية بمجـــرد التوقيع على معاهدة السلام . وبعد ذلك بتسعة أشـــهر ، وعند انتهـــاء المرحلة الأولى من الانسحاب ، ســـوف تتبادل الدولتان الســـفراء .

وكانت الاتفاقية الثانية ، والأكثر تعقيدا ، هى اتفاقية اطار السلام فى الشرق الأوسط . وكانت تغطى عمليـــة السلام بين اسرائيل وجميع البلدان العربية ، بما فيهـــا مصر ، ولكنها كانت تتعلق اساسا بالضفة الغربية وقطـــاع غزة . ورغم ان مشروع السلام الاسرائيلى لم يرد ذكره فى هذه الاتفاقية ، فانه كان بمثابة الأساس لهـــا .

وقد اعترفت مصر ، بمقتضى هذه الاتفاقية ـــ الوثيقة ، بأن اسرائيل تحتاج الى ضمانات أمنية فى هاتين المنطقتين . وتعهدت اسرائيل باعطاء سكان الضفة الغربية وغزة حكما ذاتيـــا كاملا ،

ووافقت على تعريفات وتعبيرات لم تكن توافـــق عليهـــا من قبل . كذلك وافق الطرفان على أن الحكم الذاتى سوف يكون صالحـــا فقط فى فترة الخمس ســـنوات الانتقالية . ولكن اسرائيل احتفظت بسلطة الاعتراض (الفيتو) فيما يتعلق بعدد من الأمور المحورية ، منها حق المطالبة بالسيادة على هذه الأراضى .

وكانت هذه الاتفاقية ، أكثر من الاتفاقية الأولى ، تترك غالبية المسائل مفتوحة ، كى يتم اقرارها فى مفـــاوضات مقبلة . وقد افترق الطرفان وهما يدركان انه ليس من المحتمل أن ينجحـــا فى التوصل الى اتفاق بشأن عدد من المسائل البالغة الحساسية ، مثل وضع القدس والمستوطنات الاسرائيلية .

... ...

استقل الرؤساء وأعضاء الوفود طـــائرات الهليكوبتر الى واشنطون . واتصل كارتر تليفونيا من الطـــائرة بسلفه جيرالد فورد ، وقال له : لقد أكملت عبور الطريـــق الذى بدأته أنت » . وكان الرئيس فورد هو أول رئيس أمريكى ينجح فى التقريب بين موقفى مصر واسرائيل ، وذلك بعقد اتفـــاقية ١٩٧٥ الانتقـــالية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وهنأ فورد ، الذى غمرته البهجـــة ، كل من بيجين والسادات وكارتر على انجازهم العظيم .

وكانت أعلام اسرائيل ومصر والولايات المتحدة قد رفعت بالفعل فى الغرفة الشرقية من البيت الابيض . وتجمع كل من ذكرت أسمائهم فى معجم الاعلام فى تلك الليلة كى يعلنوا ترحيبهم بهذا الانتصار العظيم فى احتفال قصير مفعم بالبهجة . واستقبل الزعماء بالتصفيق المدوى .وكان كارتر يرسم ابتسامة عريضة على شفتيه .

وفى الســـاعة العاشرة .ثمان وخمســـون دقيقـــة بتوقيت واشنطون ــ الفجر بتوقيت القاهرة والقدس ، وضعت اتفاقيتنا

اطار السلام على المائدة أمام بيجين والسادات . وكان كارتر موجودا بوصفه شـاهدا .

... ...

كان الاتفاق مفاجأة كبرى للجميع . فقد كانت الصحف قـد أفادت ، أثناء المؤتمر ، ان هناك ازمات خطيرة تعترض المباحثات. ولم يكن المراسلون يعرفون ، على وجـه الدقة ، ما يدور خلف أسوار كامب دافيد المكهربة . وكان تقديرهم ان المؤتمر على وشك الانهيار بشكل كامل . ولذلك فقـد أذهل النجاح النهائي وسـائل الاعلام ، كما أذهل بقية العـالم كله .

وفى القاهرة والقـدس وتل أبيب ، كانت التليفونات تدق فى كثير من المنازل قبل شروق الشمس .

وانتشرت أنباء الاتفاق كالحريق . واستمع الملايين من مواطنى الدولتين الى أنباء الاتفاق من الاذاعة ، كما شاهدوا حفل التوقيع على شاشات التليفزيون .

وفى صـوت يغالبه الانهاك ، قال بيجين : أيها المواطنون الاسرائيليون ، سوف تسمعوننى فى الساعات الأولى من الصباح ، عندما تسطع الشمس على أرض أجدادنا وابنائنا . هـل سيكون فى مقدورنا أن نقدم اليكم بعد عدة أيام كى نشدو بالأغانى سويا؟. هل جلبنا لكم السلام ؟. أستطيع أن أقول لكم : كما أننا قد بذلنـا حتى الآن كل جهد انسانى ممكن من أجل أن نجلب لكم السلام ، فسوف نواصل جهودنا من أجل أن يأتى ذلك اليوم الذى يستطيع فيه كل منا أن يقول : لقد أتى السلام الى شعبنا والى أرضـنا ، ليس فقط بالنسبة الى هذا الجيل ، وانما بالنسـبة الى الأجيال القادمة أيضـا » .

وتحدث السادات أيضا قائلا : « اننى آمل وأعتقـد اننى

سوف أستطيع أن أشارك رئيس وزراء اسرائيل فى آماله ودعواته بأن تحــل لحظة التوقيع على معاهدة الســلام الكامل بين مصر واسرائيل . سوف ننسى المـــاضى ونركز بجهودنا على المستقبل .

وانتهى الاحتفـال . ونزع موظفوا البيت الأبيض الاعلام . وآوى المحتفلون الى فراشـــهم .

وقال موشى دايان : فى الاسابيع المقبلة ، سوف يقوم كل منا باستعراض الموقف ، وسوف يفكر فى نفســــه ، وفى عـائلته ، وفى أطفاله . ســـوف تكون تلك لحظات عظيمة فى حيـــاة دولة اسرائيل ، تقوم فيها بمحاكمة الذات ، وتقييم المســـتقبل » .

هوامش الفصل الثالث والعشرون

(١) يقول كارتر عن الظروف المحيطة بهذه الواقعة :

« ... قررت ان اركز جهودى فى العمل فى المسودة الجديدة لاطار التسوية ، وان اعمل مباشرة مع إهارون باراك وأسامة الباز . فقد كان يبدو ان باراك يحوز ثقة بيجين ، كما ان اسامة الباز – الذى كان اكثر المصريين تطرفا – كان يمثل ، بقدر كبير من الدقة ، الموقف العربى . فاذا وافق الباز على شىء ، فسوف يوافق عليه المصريون الآخرون . وكنت استطيع تجاوزه ، اذا اقتضى الأمر ، واتصل بالسادات مباشرة . وفى نفس الوقت كنت أستطيع الاعتماد على باراك فى التأثير على بيجين . وكان كلا الرجلان من كتاب الصياغة اللامعين ، كما كان يجيدان الانجليزية اجادة تامة ، ويفهمان ظلال ودلالات الجمل الصعبة التى كان علينا أن نتعامل معها . وقد بقى سيروس فانس معى خلال هذه الجلسات الطويلة وتمكنا نحن الأربعة من انجاز تقدم بطىء ، ولكن مطرد ، فيما يتعلق بالوثيقة الرئيسية . وفى نفس الوقت ، كان زبيج (بريزنسكى) وباقى أعضاء الوفد (الأمريكى) يعملون مع وزيرا الخارجية وكبار اعضاء الوفدين الآخرين . وكانوا ، بهذا الشكل ،

بينون على ما نقدمه لهم ، ويقدمون لنا ، فى نفس الوقت ، أفكارا لحل الخلافات)) .

((وكنا نجلس لساعات طويلة حول المكتب الموضـوع فى غرفة مكتبى نتساوم حول النقاط المتتالية . وعلى سبيل المثال ، فقد كان علينا أن نحل الخلاف ، الذى وصل الى طريق مسدود ، حول عبارة : عـدم جواز الاستحواذ على الأراضى عن طـريق الحرب . واقترحت أن نحذف هـذه العبارة ، وان نلحق قـرار الأمم المتحدة بأكمله بالاتفاقية ، وأن نقرر ان كلا الطرفين قد وافق على قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بكل أجزاءه . ووافق باراك ، ولكن الباز كان مترددا . وعرضت عليه أن أدعه يحذف من هـذا الجزء من النص أى عبارة لا تعجبه . فاختار عبارة : وقرر الطرفان انه ان تكون هناك حروب أخرى بينهما . فقد كان يرى ان الحرب قد تكون ضرورية اذا لم ينسحب الاسرائيليون من سـيناء . ولم يعترض باراك . وهكذا تم عقد الصفقة)) .

((وقد تجسدت مشاكلنا فى استخدامات العبارات المختلفة . فالضفة الغربية ، بالنسـبة الينا والى المصريين ، كانت يهودا والسامرة بالنسبة الى بيجين . كما ان الفلسطينيين او الشـعب الفلسطينى ، بالنسبة الينا ، كانت بالنسـبة الى بيجين : العرب الفلسـطينيين . وأخيرا قررنا أن نستخدم عبـاراتنا فى النصين الانجليزى والعربى ، وان نستخدم عبارات بيجين فى النص العبرى، وان أقوم أنا اما بكتابة خطاب علنى الى بيجين ، او ان نضـيف هامشا يوضح هـذه الفروق)) .

((وقد وافق باراك والباز على كثير من المقترحات التى كنا ، أنا وفانس ، نتوقع أن يعترضا عليها ...)) .

((... وقد انفقنا قدرا كبيرا من الجهد حول الفقرة الخاصة بالقدس ، والتى كانت تشير الى المدينة بوصفها مدينة السـلام

ووضع تقديس الديانات اليهودية والمسيحية والاسلام ، وتقرر ان من حق الجميع التمتع بحرية دخولها ، وحرية ممارسة شعائرهم الدينية ، وحق زيارة الأماكن المقدسة بها دون تمييز أو تفرقة . ووافقنا ان لا تصبح القدس ابدا مدينة مقسمة ، وأن توضع الأماكن المقدسة لكل دين تحت الادارة والسلطة الكاملتين لممثلى هذا الدين ، وأن يتولى مجلس بلدى ، يتم اختياره من سكان المدينة ، بالاشراف على مرافقها الأساسية ... الخ . وقد امتلأنا بالسرور عندما وافق كل من بيجين والسادات على هذا النص » .

« ولكن كانت هناك خلافات أخرى لم نستطع التوصل الى حلها . فقد رفض باراك مناقشة مسألة المستوطنات الاسرائيلية على وجه الاطلاق ، قائلا ان هذا الموضوع لا يستطيع معالجته سوى بيجين وحده . كما رفض الباز ، بتأييد من السادات ، اضافة فقرة تقرر التزام مصر بفتح الحدود وبالاعتراف الدبلوماسى الكامل » .

« وفى ذلك اليوم ، بقينا معا نحو احدى عشر ساعة ، وكنا راضين عن عملنا . ولكن قرب نهاية الجلسة ، وقعت حادثة مزعجة . فقد فاجأنى الباز باصراره على أن موقف مصر هو ان اسرائيل لن تكون طرفا فى القرارات المتعلقة بعودة اللاجئين الى الضفة الغربية . ولما سألته ، وأنا غير مصدق ، اذا كان السادات قد نكص عن موقفه بشأن هذه النقطة ، اعترف اسامة (الباز) فى النهاية بانه لم يقم حتى بمناقشة هذه المسألة مع السادات ، وان هذه فكرته هو ، ولكنه يظن ان السادات سوف يوافق عليها . فانتابنى الغضب ، واتهمته بتضليلى وبعدم الولاء للسادات ايضا . وشرعت فى انهاء الاجتماع ، ولكن سأى (فانس) اقنعنى بالبقاء لبضع دقائق أخرى ، حتى تنتهى الجلسة » .

« وسألت الباز ان يخطر السادات باننى اريد ان اراه على

الفور . ولكن ، بعد بضع دقائق ، أبلغنى المصريون ان السادات قد آوى الى فراشه طالبا ان لا يزعجه احـــد » .

« وسرت على قدمى الى كوخ بيجين كى اشكره على السلوك البناء للجانب الاسرائيلى خلال الجلسات . وشرحت له الخطـوط العريضــة للشروط العامة لاتفاقية ســيناء ، وأبلغته ان نانسى وبرزيزنسكى قدما صورة منها الى دايان ووايزمان. وكما توقعت، فقد قال ان لن يقبل اى صيغة تطالب اسرائيل باجلاء مستوطناتها. وكما هو متوقع ، أيضا ، فقد قلت له انه لا يمكن عقد اتفــاقية بدون هذا الشرط . وافترقنا بعد ان تصافحنا فى ود » .

« آويت الى فراشى فى وقت متأخر ، متعبا ولكن سعيدا ... ولكننى ، لسبب ما ، لم استطع النوم . وكان نادرا ما يحدث لى ذلك . فلم يكن النوم يصعب على حتى فى أوقات اشد الأزمات . ولكننى كنت قلقا بشأن سلامة الرئيس السادات . فقد كنا نعالج بعضا من اكثر المسائل اثارة لعواطف العرب ، وكان من الواضح ان بعضا من اكثر مستشاريه تطرفا يلتزم التزاما عميقا بأهــداف منظمة التحرير الفلسطينية وباقى الجماعات الراديكالية الأخرى . وقد اتخذ السادات قرارات ، كما انه فى سبيله لاتخــاذ قرارات اخرى يعارضها (هؤلاء المستشارون) بقوة . ولم اكن اســتطيع نسيان المناقشة الحادة التى رأيتها تدور فى شرفة كوخ السادات (انظر هوامش الفصــل رقم ٢٢) . وتذكرت انه فى مساء ذلك اليوم ، قام أحد مستشارى السادات الأساسيين بعرض آراءه بشكل مضلل ، رغم انه لم يكن قــد قام حتى بمناقشة المسألة مع رئيسه . وتذكرت اننى عندما طلبت مقابلة السادات هذه الليلة ، ابلغنى مساعدوه انه ، على غير عادته ، قد آوى مبكرا الى فراشه طالبا عدم ازعاجه . وغادرت فراشى ، وكانت الساعة قد بلغت الرابعة صباحا ، واتصلت بضباط الشرطة السرية وببرزيزنسكى،

واصدرت التعليمات بتشديد اجراءات الأمن حول كوخ السادات. وقد ادركت ، فيما بعد ، ان مخاوفى لم يكن لها اساس ، ولكننى ، فى نفس الوقت ، شعرت بارتياح كبير عندما رايت السادات فى كامل صحته فى اليوم التالى » . (كارتر « مذكرات رئيس » ، ص ٣٨٧ — ٣٨٩) .

... ...

(٢) يقول محمد ابراهيم كامل :

« فى اليوم التالى ، ذهبت الى الرئيس السادات ، وكان معه حسن التهامى ، وكان حديثهما يدور حول القدس . وفى الحقيقة ، فقد كان حسن التهامى لا يكل ولا يمل من ترديد وجوب استعادة القدس العربية من براثن اسرائيل . وبطبيعة الحال ، كان موضوع استعادة القدس على راس قائمة اهتماماتنا جميعا . ولكنه كان لا يجلس فى مكان ، الا ويتناولها بالتخصيص من بين المشاكل الأخرى » .

« وفجأة ، قال السادات : انه يكون شيئا عظيما حقا ، لو استطعنا تنفيذ فكرة الميل المربع . وسألته عن ماهية حكاية الميل المربع ، فقال التهامى : ان تنسحب اسرائيل من مساحة ميل مربع من القدس ، ونرفع عليها علما عربيا او اسلاميا . غير ان التهامى او الرئيس السادات لم يفسر لى سر هذا الميل المربع ولا منطقه. ولم يسمح لى تزاحم الأحداث ، بعد ذلك ، بمعاودة الاستفسار. ومازالت قصة هذا الميل المربع تشكل بالنسبة لى ، لغزا محيرا وسرا مغلقا . فلماذا ميل مربع ؟ . هل لا تتجاوز مساحة القدس هذا القدر ؟ . وان كانت لا تتجاوزها، فهل من المعقول ان تكون هذه المدينة التاريخية البالغة القدم قد اقيمت ، هندسيا ، فى نطاق ميل مربع ؟ . واذا لم تكن كذلك ، فماذا عن النتوءات او الاحياء التى تكون خارج حدود هذا الميل هنا او هناك ؟ » .

« المهم ، اننى استنتجت فى النهاية انها من بنات افكار حسن التهامى . وقال التهامى : فقط ارجوك ياريس أن تكون عند اتفاقنا بتعيينى حاكما عاما على القدس (الميل مربع) ، فأنا لم أطلب منك فى حياتى شيئا ، وليس لى مطلب آخر ، فهذا هو حلم حياتى ، الذى أدعو الله أن يحققه قبل مماتى » .

« وتمتم السادات بشىء لم أفهمه . وابتلعت حيرتى وسكت .
ولا أدرى لماذا عادت الى ذاكرتى ، فى هذه اللحظة ، القصة التى رواها التهامى لى ولأحمد ماهر ، عندما كنا نتناول العشاء فى فوشل بالنمسا ، بشأن الاتفاق الذى جرى بين اليهود وربهم حول عودتهم الى أورشليم ، كبرهان على قبول توبتهم ، ثم يذبحون تكفيرا عن عصيانهم . ونظرت الى حسن التهامى ، وتداعت الى خيالى صورته ، وهو يرتدى زى الحاكم العام ، ويجلس على كرسيه وسط الميل المربع ، والجموع تحتشد من حوله ، تلتمس تنفيذ الحكم الالهى . وسرت فى جسمى قشعريرة ، وطردت هذا الخاطر بعيدا » . (كامل ، « السلام الضائع » ، ص ٥٦٥ و ٥٦٦) .

... ...

(٣) يقول وزير الخارجية المصرى الأسبق محمد ابراهيم كامل :

« فى صباح يوم الخميس ١٤ سبتمبر ، زار وايزمان الرئيس السادات ، وأمضى معه بعض الوقت . ويبدو انه استطاع اقناعه ، فى النهاية ، بمقابلة موشى دايان . فقد دعاه الرئيس السادات لمقابلته بعد ظهر اليوم نفسه » . (كامل ، « السلام الضائع » ، ص ٥٦٩) .

... ...

(٤) يقول محمد ابراهيم كامل معلقا على علاقة السادات بوايزمان :

« ... وكان وايزمان قد زار السادات قبل ذلك بيومين ، ولم يفصح لى السادات عما دار بينهما .

والواقع انى كنت لا أرتاح لمقـابلات وايزمان المنفردة مـع السادات ، وأتوجس منها شرا وخطرا . وسبق أن أوردت أمثلة عما نتج عن مثل هذه الاجتماعات من مشاكل وتعقيدات . كمـا حدث بسبب لقائهما فى مصر فى شهر مارس المـاضى ، بينما كان الجيش الاسرائيلى يغزو لبنان ، وكان الوزراء العرب مجتمعين فى القاهرة . ثم ما ترتب على لقائهما فى النمسا فى أوائل شهر يوليو (تموز) من مضاعفات » .

« ولقد كان السادات يصف علاقته بوايزمان بأنها صداقة . وفى تصورى ، ان السادات كان يشعر ، بالفعل ، بنوع من الألفة والود تجـاه وايزمان ، وان ذلك يعود الى عـدة عوامل ، منها شخصية وايزمان المفتوحة المرحة ، على خلاف الطبيعة الاسرائيلية المغلقة الحذرة . ومنها انه ـ اى وايزمان ـ كان يبدو متحمسا حقيقة لتحقيق السلام . ولا اعلم المدى الذى كان مستعدا للذهاب اليه فى هذا الشأن . ولكنه كان يبدو ، وبالقطع ، مرنا بالمقارنة الى تصلب بيجين ، الذى كان يريد أن يحصل على السـلام ، ويحتفظ بالأراضى المحتلة معا . ومنها انه كان من الشائع ان علاقة وايزمان سيئة بموشى دايان لاعتبارات شـخصية تعود الى وقت ان كان دايان متزوجا من شـقيقة وايزمان ، واساءته معاملتها ، الى أن تركها وتزوج بغيرها . وكان السادات يكن كراهية لدايان ونفورا منه لا أدرى سببه . ربما لأنه كان علما على هزيمة ١٩٦٧م. فكان يتحاشى مقابلته والحـديث معه ، وكلما ذكر اسمه أمامه ، نعته بالصلف والكذب والغرور . ولعـل السادات كان يعتقد ان عدو عدوه يكون صـديقه » .

« بالاضافة الى ما سبق ، كان السادات يعتقد انه يستطيع ان يستغل وايزمان بشكل او بآخر سواء فى نقل فكره الى بيجين ،

أو جس نبض ما يدور فى الفكر الاسرائيلى . كما كان يحتفظ به كشعرة معاوية ، اذا تأزمت الأمور مع مناحم بيجين . وأضيف الى ما سبق ، ان السادات كان يراوده الأمل دائما فى سقوط بيجين بسبب سياسته الجامدة ، أو فى وفاته أو اعتزاله بسبب سوء حالته الصحية . وكان يأمل أن يخلفه وايزمان فى رئاسة الحكومة الاسرائيلية ، أو أن يشغل مركزا مؤثرا ، مما تصبح معه العلاقة بينه وبين اسرائيل أكثر سلاسة ، واحتمالات الاتفاق معها أكثر قربا)) .

((أما عن حقيقة مشاعر وايزمان نحو السادات ، فلا ادعى انى أعرفها . وكل ما كان يعنينى فى الأمر ، انى كنت أشعر بخطورة كبيرة فى أن يكون للعدو الاسرائيلى منفذ مباشر الى ما يدور فى فكر الرئيس ، وما يعتمل فى أعماق نفسه . وما أخطر من أن يكون متاحا لوزير الحرب الاسرائيلى أن يقابل الرئيس المصرى ويختلى به فى عقر داره ، فى جو من الألفة والود تظللهما مظلة الصداقة ، ويدور حديثهما تحت شعار تحقيق السلام والأمن . فيقضى معه الساعات الطوال ، يسأل ويجيب ، ويحكى ويسمع ، ويضحك ويغضب ، ويحاور ويداور ، ويصول ويرقب ، ويسجل ، ثم يعود فيغذى الكمبيوتر الاسرائيلى بكل ما رأى وسمع)) . (ككامل ، ((السلام الضائع)) ، ص ٥٢٥ ــ ٥٢٧) .

... ...

(٥) يقدم كارتر رواية مختلفة بشأن هذا اللقاء . يقول الرئيس الأمريكى السابق :

((كنت فى انتظار السادات عندما خرج من كوخه . وانضممت اليه فى نزهته الصباحية على الاقدام ، والتى دامت نحو الساعة . ولم أشر له بقلقى على سلامته فى الليلة الماضية (انظر هامش رقم ((١))) .

((وكما كانت عادته كل صباح ، فقد سرنا بخطوة عسكرية

سريعة نحو أربعة كيلو مترات . وكانت المودة تسود علاقتنا ، وقررت أن أقدم له عرضا مجانيا بأن نقوم باقامة طريق برى رئيسى يصل بين الأردن وبين سيناء بالقرب من ايلات . وراقته الفكرة . فتطوع من تلقاء نفسه بابداء استعداده لابقاء قاعدة اتزيون الجوية كى تستعمل فى خدمة (ميناء) ايلات ، على شرط أن يقوم المصريون وحدهم بتشغيلها . وقال السادات انه يمكن ان يقبل المقترحات الخاصة بالقدس باكملها ، اذا تضمنت نصا يتيح رفع علم الاسلام (؟؟ — المترجم) على الأماكن الاسلامية المقدسة ، ولكنه اعترف بأن بيجين يمكن أن يرفض ذلك ، بسبب ما يعكسه هذا من رمز للسيادة)) .

((... وعندما عدت من هذه النزهة على الاقدام ، وجدت باراك فى انتظارى . وكان لا يزال متفائلا بسبب الروح الايجابية التى كانت تسود بيجين وأعضاء الوفد الاسرائيلى الآخرون . واقترح ان اناقش المسائل المتعلقة بسيناء مع دايان ، الذى كان أكثر منه المساما بهذا الموضوع . وقدم دايان وايزمان لمقابلتى ، وسرعان ما وصلت المناقشة الى موضوع المستوطنات . ووعدت ، يائسا ، باعادة صياغة المسودة بحيث يترك الموضوع مفتوحا لمدة ثلاثة اشهر على الأقل ، ثم يتم اقراره فى المستقبل دون شروط مسبقة . وهكذا ، ربما أمكن اساغة الأمر للسادات)) .

((ولكن ذلك لم يتحقق . فعندما عرضت مسودتى الجديدة السادات ، أعلن على الفور ان هناك شروطا مسبقة — اولها هو القواعد الجوية ، والثانى هو المستوطنات — وانه يمكن ان يتفاوض حول متى يتم اجلاؤها ، وليس حول اذا كان يمكن اجلاؤها)) .

((وسألته : ماهو الاجراء الذى تقترحه اذا لم يوافق الاسرائيليون على اجلاء المستوطنات ؟)) .

« فأجاب : سوف أوقع على الوثيقة الأمريكية على أية حال، لأنها سـوف تعبر عن موقفى » .

« قد يضع هـذا الطريق المسـدود النهاية لجهودنا لاقامة السلام . ولم أستطع العثور على اية طريقة يمكن بها حل هـذه الخلافات الأساسـية بين المصريين والاسرائيليين . فلـم يكن بيجين يقف وحيدا بين اعضاء وفده فيما يتعلق بمسألة المستوطنات. وحسب معلوماتى ، فقد كان الاسرائيليون موحدون فى ايمانهم بعدم اجـلاء المستوطنين . وظللت طيلـة اليـوم أتشاور مع فانس وبرزيزنسكى واعضاء الوفد (الأمريكى) الآخرين . كما تحدثت مع باراك عدة مرات . ولكنه كان واضحا اننا لم نستطع التوصل الى اجابة ترضى الطرفين » .

« وشرعنا فى اعداد الخطط لانهـاء المفـاوضات . وأبلغت نائب الرئيس (الأمريكى) بأن يلغى كافة ارتباطاته فى اجازة نهـاية الأسبوع . فقد كنا فى ورطة حقيقية ، وكنت فى حاجة اليه كى يأتى لمساعدتى فى تقليل حجم الخسائر » .

« وذهبت الى دايان وسألته عن أفضل طريقة يمكن بهـا انهاء المباحثات التى وصلت الى طريق مسدود . فقال انه يفضل اصدار ورقة تضم قائمة بفقرات (المقترحات الامريكية) مع ذكر الخلافات بين الجانبين بشأنها . ذلك انه على الأقل لن تكون العشرة ايـام من العمل الشاق قد ضاعت سدى ، وسوف يعرف العالم اننـا قد حاولنا » .

« وفى ذلك المساء بدأت فى اعداد قائمة بنقاط الخـلاف بين الدولتين ، وتحطم قلبى عندما رأيت كم كانت قليلة الشـأن حقـا اذا ما قورنت بمزايا السلام الكبيرة . وجلست فى الشرفة الخلفية حتى وقت متأخر من الليل ، ولكننى لم اهتد الى اية طريقة لاحـراز

اى تقدم . وكان قرارى الوحيد هـــو أننا جميعا يجب أن نعمل معا كى نترك كامب دافيد فى جو يسوده أكبـــر قـــدر ممكن من الروح الايجابية ممتنين لمـــا استطعنا أن نحققه ، وعاقدين العزم على مواصلة جهودنا المشتركة من اجل التوصل الى هـــذا الاتفــــاق المراوغ » . (كارتر ، «مذكرات رئيس» ، ص ٣٨٩ ـــ ٣٩١) .

... ...

(٦) يقـــول محمد ابراهيم كامل :

« بدأ كل من الرئيس كارتر ، ووزير الحرب الاسرائيلى وايزمان يلحان على الرئيس السادات بأن يقابل موشى دايان ـــ الذى كان ينفر منه ويتحاشى لقاء ـــ كما أسلفت . وقد يكون هذا الالحـــاح بنـــاء على اتفـــاق بينهما ، او قد يكون مجرد توارد خواطـــر » .

(كامل ، «السلام الضائع» ، ص ٥٦٨) .

... ...

* ويقـــول موشى دايان عن مقابلته مع السادات فى كامب دافيـــد :

« منذ بدء مؤتمر كامب دافيد ، كان ايزر وايزمان يريد أن التقى أنا والسادات كى نجرى محادثات خاصة . وكان يعرف أن للرئيس المصرى تحفظات على عقد مثل هذا الاجتماع ، وتحفظـــات بالنسبة لى أنا شخصيا ، وانه كان يشك فى اننى أحاول خداعه بأن أحصل على السلام دون أن أدفع شيئا فى مقـــابل ذلك .

... ...

« ومع ذلك،فقد استجاب (السادات) فى النهاية لطلب وايزمان، ودعانى لتناول الشاى يوم الخميس ١٤ سبتمبر . وطلب منى كارتر، الذى كان يعلم بلقائى المنتظر مع السادات ، ان آتى لمقابلته،واقترح على أن لا أناقش مع السادات القضايا موضع الخلاف بيننا . وقال ان مثل هذه المناقشة لن تكون مجدية ، بل قد تكـــون ضـــارة اذا ما تخندق كل منا فى موقفه ، الأمر الذى سوف يؤدى الى زيادة حدة

التوتر بين وفدينا . ووعدت الرئيس (الأمريكى) بأن لا أتحدث سوى عن الجمال واشجار النخيل » .

« قابلنى السادات بابتسامة مهذبة ، وأحضر لنا خادمه الخاص أكوابا صغيرة من الشاى المسكر والمعطر ، الذى كان شغوفا به . وعندما انصرف الخادم الخاص ، دخل السادات مباشرة فى مشاكل المؤتمر . وقال ان المؤتمر على وشك الانتهاء دون التوصل الى أى اتفاق ، وان السبب الأساسى فى ذلك هو تشبثنا بالابقاء على مستوطناتنا فى سيناء . وسألنى : الم تكن فكرة بناء مدينة ياميت فى الركن الشمالى الشرقى من سيناء هى فكرتك ، ألم تكن كذلك ؟ . ما الذى كنت تظنه ؟ . هل تظن اننا سوف نسلم بوجودها ؟ » .

« واختفت الجمال واشجار النخيل ، وقلت : كنت انا الذى اقترحت انشاء مدينة ياميت . ولكننا اتصلنا بكم ، قبل الشروع فى بنائها ، وعرضنا عليكم ان نعيد لكم سيناء بأكملها ، على أن يكون ذلك فى اطار معاهدة للسلام . وقد كانت هذه الفكرة أيضا فكرتى . وماذا كانت اجابتكم ؟ . لا سلام ، لا مفاوضات ، لا اعتراف باسرائيل . وقلتم : ان ما أخذ بالقوة ، يسترد بالقوة . لقد كان ذلك هو القرار الذى اتخذه مؤتمر الخرطوم بمبادرة من عبدالناصر . ما الذى كنتم تظنون اننا فاعلون ؟ . انجلس واذرعنا معقودة، بينما تعلنون انكم لن تسلموا بوجود اسرائيل ، وانكم تريدون أخذ سيناء لا بالسلم ، بل عن طريق الحرب ؟ » .

« ولم يسر مجرى الحوار على هوى السادات . فقد اختفت الابتسامة ، وجلس امامى رجل غاضب تتناابه الهموم . وقال (السادات) ان وزير خارجيته محمد ابراهيم كامل قلق ويريد أن يحذو حذو سلفه (اسماعيل) فهمى ويستقيل ، وان مستشاره أسامة الباز يعارض بشدة عقد معاهدة سلام مع اسرائيل ، وان

انفجاراته تنشر السموم بين اعضاء الوفد وتدعم شكوكهم ، وانـــه اذا لم يحدث تغير في المفاوضات لصالحه ، فسوف يضطر الى العودة الى مصر والاعتراف بانه قد فشل ، وان علينا (اى اسرائيل) أن نفتح صفحة جديدة ، وان ننسحب من شبه جزيرة سيناء بأكملها ونعيدها الى السيادة المصرية ، وقال : ان شعبى لن يوافق على تواجد اى نظـــام اجنبى على ارضه ، ولن يوافــق حتى على تواجد قوات أمريكية فى مطارات سيناء ، ولن يوافق على ابقاء مستوطناتكم، ولا واحدة منها ، ولو كان ذلك لفترة قصيرة . واذا كنتم تريدون السلام معنا ، فيجب تنظيف المـــائدة . لقد حاربنا كى نتخلص من الاحتلال البريطانى ، ثم حاربنا فيما بعد كى تظل قنـــاة السويس تحت سيطرتنا وحدنا . وانا الآن مستعد لاقامة السلام معكم .. سلام حقيقى وشامل ، وان اتجاهل معارضة الدول العربية ، ولكن يجب أن تخرجوا كل مواطنيكم من سيناء .. قوات جيشكم والمدنيين ايضا ، وأن تفكوا معسكرتكم الحربية وتجلوا مستوطناتكم)) .

((لم أرى أية جدوى من المناقشة ، كما لم أر فائدة كبيرة فى اثارة القضايا القديمة ـــ الحروب التى شنتها مصر ضدنا ، بينما كان رؤساء حكوماتنا يعرضون عليها السلام . ولم يكن هناك شك فى تمسكه بموقفه بشأن سيناء ، واذا لـــم نكن علـــى اســـتعداد للانسحاب ، فان مؤتمر كامب دافيد لن ينتهى بعقد اتفاق للسلام)) .

((وقلت للسادات اننى سوف أخطـــر رئيس الوزراء بيجين بما دار فى اجتماعنا ، ووقفت كى انصرف . ورافقنى الى الباب ، وابرز لى ابتسامته المهذبة ، ونحن نتبـــادل مع بعضنا ((الشالومات)) و ((السلامات)) . ولكنه كان من المؤكد ان اى توقع لأن يضيق اجتماعنا الفجوة التى تفصل بين موقفينا ، أو أن تقرب بيننا علـــى المستوى الشخصى ، لم تتحقق)) . (دايان ، ((الاختراق)) ، ص ١٧١ ، ١٧٢) .

... ...

* ولكن تعليــق محمد ابراهيم كامل على مقــابلة السادات مع دايان ــ والتي علم بأمرها من اسامة الباز ــ توضح أمرين : الأول : ان السادات لم يخطــر وزير خارجيته بما دار فى اجتماعه مع دايان ، والثانى ، ان رواية السادات لهــذا اللقاء تختلف عن رواية دايان . يقــول وزير الخارجية المصرى الأسبق :

((... والمفهوم مما ذكره دايان ، انه كان ينوى الالتزام بوعده للرئيس كارتر قبل مقابلته للرئيس السادات بعدم اثارة المســائل المختلف عليها . الا أن الرئيس السادات هــو الــذى بادر باثارة موضوع المستوطنات فى سيناء ، وان دايان اكتفى بالقــول بأنــه سينقل ما قاله السادات الى مناحم بيجين)) .

((ولم يشر لى الســادات بكلمة عن مقابلته لدايان من قريب أو بعيد . ولكنه بعد انتهــاء المقــابلة ، استدعى أسامة البــاز الى مقابلته . وقد اخبرنى اسامة ، بعد عودته ، بأنه وجد السادات متبرما ساخطا ، وانه روى له حديث دايان معــه على النحــو التــالى :

((قال دايان للرئيس السادات : انك رجل شجاع وصريح ، ولذا سأحدثك بدورى بمنتهى الصراحة . انك تعتقد أن المشــكلة هى فى حل القضية الفلسطينية . ولكن حل المشــكلة الفلسطينية يعتبر هينا بالنسبة لمشكلة المستوطنات والمطارات الاسرائيلية فى سيناء . ويجب أن تعلم انه لا مناحم بيجين ، ولا شيمون بيريز ، ولا اى زعيم اسرائيلى آخر يستطيع التخلى عن المستوطنات والمطارات بأى حال . والمسألة لا ترجع الى رغبة فى التوسع عن طريق الاحتفاظ بتلك المستوطنات . وانما تتعلــق بالأمن . اذ تشــكل هــذه المستوطنات حزاما دفاعيا لاسرائيل . وقد صممت واقيمت على هذا الأساس . فالشعب الاسرائيلى لا يخشى من بين الدول العربيــة الا مصر . فهى الدولة الوحيدة القــادرة على تهديد اسرائيل تهديدا

حقيقيا . وقد اكدت حرب اكتوبر (تشرين اول) هذا الشعور . وبالتالى ، فان الشعب الاسرائيلى ، وبالتالى الكنيسيت لن يقبل على الاطلاق التخلى عن المستوطنات والمطارات فى سيناء . وعلى ذلك ، يجب أن تعلم انه حتى ولو وافق بيجين ، جدلا ، على اخلاء المستوطنات من حيث المبدأ ، فلن يستطيع تنفيذ ذلك قبل مدة لا تقل عن خمس أو ست سنوات ، بعد توقيع اتفاقية سلام بين مصر واسرائيل ، قد يمكن بعدها اقناع الراى العام الاسرائيلى من خلال ممارسته لعلاقات السلام مع مصر فى هذه المدة بصدق نوايا مصر فى الحفاظ على سلام دائم ، وان المسألة ليست مجرد مناورة مرحلية)) .

((وقال السادات : وماذا عن ترتيبات الأمن التى اقترحتها)) .

((ورد دايان : ان ذلك وحده لن يوفر للشعب الاسرائيلى الشعور بالأمان)) .

((ورد السادات : وهل تتخيلون انه من الممكن ان اعقد اتفاق سلام معكم لا يشمل ازالة المستوطنات ونقل المطارات ، واستعيد سيناء منقوصة السيادة ؟)) .

((ورد دايان : ان لم تفعل ، فستستمر فى احتلال سيناء ، وفى ضخ البترول)) .

((وقال السادات : ولماذا لم تقولوا ذلك من البداية ؟ . ولماذا حضرتم الى هنا اذن ؟ . لكى تضيعوا وقتى ووقتكم ووقت الرئيس كارتر ؟)) .

((واجاب دايان : بل لقد قلنا ، منذ البداية ، ولكنكم لم تريدوا أن تصدقوا . ولقد اردت أن اشرح لك حقيقة الأمر بصراحة ووضوح ، حتى لا تعلقوا آمالا خادعة على شىء يستحيل أن يوافق عليه بيجين ، فى الوقت الحالى على الأقل)) .

« وذكر لى أسامة البــاز فى النهــاية ان الرئيس الســادات قد كلفه باعــداد مذكرة « تقدير موقف » على ضوء حديث دايــان معه ، وانه يعتقد انه سوف يصل الى نفس النتيجـــــة التى توصلنا اليها فى المذكرة التى قدمناها للسادات يوم ١٢ سبتمبر (أيلول)١٩٧٨ (انظر الملاحق) ، على اساس التفاهم مع الرئيس على انهــاء المؤتمر دون التوقيــع على اتفاقيات محددة » .

« ولست اشك فى ان الرواية التى رواها الرئيس السادات لأسامة البــاز حــول ما دار بينه وبين دايان هى حقيقة ما جرى، وليس ما أورده دايان فى كتابه . ذلك ان موضوع مستوطنات سيناء لم يكن يشغل باله على الاطلاق ، وكان يراه أمرا بديهيـــا مفروغا منه . وحتى لو كان لديه أدنى شك ، فلقــد كان واثقــا أن الرئيس كارتر يستطيع أن يحله ببساطة ، وكما أكد له منــذ البداية . وبالتالى ، فلم يكن هناك ما يدفع السادات الى عــوة دايان لمقــابلته ليحدثه فى موضوع مستوطنات سيناء . وانمــا كان القصد ان يتحدث معــه فى موضــوع الضفة الغربية وغزة ، الذى كان يشكل الصعوبة الحقيقية فى التوصــل الى اتفـــاق على اطار للسلام الشامل . وهذا واضح مما ذكره الســادات من ان دايان قال له فى بداية حديثه انه يتصور ـــ اى السادات ـــ ان حل المشكلة الفلسطينية هو العقبة ، فى حين أن ذلك يعتبر أمرا هينا بالنسبة لحل مشكلة سيناء » .

« ولا شك ان اسرائيل كانت قد تجمعت لديهــا دراســة تحليلية كاملة لشخصية السادات وسيكلوجيته ، شارك فى تكوينها ما زودها به هنرى كسنجر منذ مفاوضاته المكوكية فى سنتى ١٩٧٤ و ١٩٧٥ ، ودراستها لتصريحات السادات واحاديثه وتصرفاته، وما كان ينقله اليهــا عزرا وايزمان من خلال اجتماعاته المنفــردة واحاديثه المطــولة مع السادات ، الى غير ذلك من المصادر » .

« والواقع ان ما قاله دايان للسادات لم يكن أمرا غريبـــا غير متوقع . فهو لا يخـــرج عن كونه تنفيذا للخطة الاسرائيلية الموضوعة سلفا من استخدام ورقة سيناء المقايضة عليهـــا ، بأن تخرج مصر من حلبة النزاع العربى الاسرائيلى ، مقـــابل اطـــلاق يد اسرائيل فى الضفة الغربية وغزة ، وهما بيت القصيد . ولكن كان يكمن الدهاء الشيطانى فى ترتيب هذه المقابلة فى نقطتين :

« الأولى: اختيار موشى دايان بالذات. فلو أن الذى قال ما قاله دايان للسادات هو مناحم بيجين مثلا ، لما كان له نفس الأثر المخرب على السادات . ولكن أن يتحالف كارتر ووايزمان — وكلاهما فى اعتقاد السادات صديق يخلص له النصيحة — ويلحان عليه فى وجوب مقابلة دايان ، باعتبار انه لم يسبق له تجـربة التفـــاهم المباشر معه ، رغم كونه وزيرا لخارجية اسرائيل ، وباعتبـــاره فى رأيهما معـــا ، شخصا يتميز بالمرونة وبالتفكير الخصب والرغبة الصادقة فى تحقيـــق السلام مع العرب ، فضلا عن أن له مكانة خاصة عند بيجين تمكنه من التأثير عليـــه . فيوافقهما السادات على لقائه ، متطلعا الى جديد ، ثم يسمع منه ما سمع ، فكان أمرا مخيبا للآمال ، مثبطا للعزيمة ولا شك » .

« الثانية : هى التوقيت الذى اختير لاجـــراء هذا اللقاء . كانت قد مضت عشرة أيام على بداية المؤتمر ، دون أن تبدو بادرة أمل فى التوصل الى شىء . وكانت أعصاب السادات قد بـــدأت تهتز ، وصبره أوشك على النفاذ ، والقلق والخوف يستبدان به من جراء جمود الموقف الاسرائيلى ، الذى كلمـــا اصطدم به الرئيس كارتر — الشريك الكامل — عاد مهرولا اليه ، ومستغيثا به فى انقاذ مستقبله السياسى من الضياع ، والذى يتوقف على ابداء السادات شيئا من المرونة والكرم فى هذه النقطة أو تلك . ولم يكن يغيب عن السادات أن المؤتمر لا يمكن أن يستمر اكثر من ذلك كثيرا ،

وان احتمالات تحقيق آماله قد تلاشت ، وان لحظة مواجهة الحقيقة قد حانت » .

« وفى تقديرى ، ان حديث دايان مع السادات ، الـــذى استغرق أقل من الســـاعة ، كان هو القشة التى قصمت ظهـــر البعير ، ونقطة التحول نحو تورطـــه فى قبـــول سلسلة من التنازلات ، وصلت الى حد الاستسلام الكامل ، وقيامه بالتوقيع فى النهاية على ما لم يكن يراود الاسرائيليين فى أكثر أحلامهم تفاؤلا ، أن يقبل التوقيع عليه ». (كامل ، « السلام الضائع » ، ص ٥٧٠ ــ ٥٧٤) .

... ...

(٧) تجدر الاشارة هنا بأن الكتب الأخرى التى أصـــدرها عدد من الذين شاركوا فى مفاوضات كامب دافيد ، تختلف فيما بينها بشأن ترتيب الأحداث التى وقعت أثنـــاء هذه المفاوضات . وذلك بمعنى أن كاتبا معينا يقول أن حدثا ما قد وقع فى يوم معين ، بينما يقـــول كاتب آخـــر انه حدث فى يوم آخـــر . ولكن ذلك لا يمنع انهم يتفقون على حدوث هذه الوقائع بالفعل . وفيما يتعلق باعلان السادات عن عزمه على مغـــادرة كامب دافيد ، فانه بينما يقـــول المؤلفون ان ذلك حدث يوم الخميس ١٤ سبتمبر ، فان كارتر يضع هذه الحادثة بين الأحـــداث التى وقعت يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ، بعد أن أخطره دايان بفشل لقـــائه مع الســادات . وتمضى رواية الرئيس الأمريكى السابق على النحو التالى :

« بينما كنت أستعد للقاء فانس وبراون (لمناقشة مســـألة أمريكية داخلية) ، ابلغنى دايان انه قد عقد اجتماعا غير مرضى مع الســـادات . وكان وايزمان قد رتب هذا الاجتماع بأمل أن يتمكن الرجلان من العثور على أساس ما لمواصلة المباحثات . ثم ابلغنى فانس ان السادات قد ارسل يستدعيه » .

« وبعد مرور نحـــو عشرين دقيقة على اجتماعى بهارولد « براون — وزير الدفاع الامريكى آنذاك » ، اندفع فانس الى الغرفة ، شاحب الوجـــه ، وقال : ان السادات سوف يرحل . وقد حزم مساعدوه حقائبهم بالفعل . وقد طلب منى أن أعد له طائرة هليوكبتر » .

« كانت تلك لحظة فظيعة . ذلك انه حتى أمالى فى تنسـيق مغادرتنا لكامب دافيد قد تبددت الآن . وجلست فى هدوء كى اقــوم بتقييم هذا التطور الجدد : حـــدوث شرخ فى العلاقات بينى وبين السادات ، ونتـــائج ذلك بالنسبة الى بلادى ، وبالنسبة الى ميزان القوى فى الشرق الاوسط . ورأيت بعينى التحالف الذى سوف تعقده غالبية الدول العربية ، فى النهـــاية ، مع الإتحـــاد السوفيتى ، والذى ربما تنضم مصر اليه بعد مرور عدة اشـــهر فقط . وقلت لفانس ان افضل ما يمكن ان نفعله الآن هو محـــاولة انقاذ ما يمكن انقاذه ، واننا سوف نرفض التوقيع على اية وثيقة مع اى من البلدين — اى ان ننهى المباحثات فقط ، وأن نعلن اننا بذلنا كل ما فى وسعنا ، ولكننا فشلنا » .

« ثم طلبت من براون وفانس أن يتركانى . وعندما رحلا ، ظللت وحيدا فى غرفة المكتب الصغيرة هذه ، التى دارت فيهـــــا معظم المفاوضات . ووقفت بجـــــوار النافذة انظر الى جبـــــال كاتوكين ، وصليت بحرارة لبضع دقائق من أجل ان نقيـــم السلام بشـــكل ما » .

« ثم ، لسبب ما ، استبدلت ملابسى بأخرى اكثر رسمية قبل أن اذهب لمقـــابلة السادات ، الذى كان يجلس فى شرفة كوخـــه مع خمس أو ست من وزراءه ، وكان معهم فانس وبراون اللذان كانا يقومان بوداعهم » .

« وهززت لهـــم راسى ، ثم دخلت الى الـــكوخ . وتبعنى

السادات . وشرحت له النتـائج البالغة الخطورة التى سوف تترتب على قيامه بمفرده بقطع المفاوضات ، وأن تصرفه هذا سوف يسىء الى العلاقات بين مصر والولايات المتحدة ، وانه بهذا الشكل يكون قد حنث بالوعد الشخصى الذى قطعه لى على نفسه ، وان مسؤولية الفشل سـوف تقع على كتفيه ، ووصفت له احتمالات المستقبل فيما يتعلق بمجرى تحالفات مصر وصداقاتها : من الولايات المتحدة الى العرب المعتدلين ثم الى العرب الراديكاليين ، ومن ثم الى الاتحـاد السوفيتى . وقلت له ان ذلك سوف يدمر واحـدا من أثمن ما امتلكه ، وهـو صداقتى به ، وثقتنا المتبـادلة احدنا بالآخـر » .

« ولكنه كان وكأنه قد قد من صخر (فتأمل) . ولكننى كنت جادا الى اقصى حد . وكان هـو يعرف ذلك . ولم أكن فى حيـاتى كلهـا اكثر جدية مما كنت عليـه آنذاك . وأعدت على مسامعه بعض الحجج الدامغة ، والتى كنت قد استخدمتها من قبل عنـد اجتماعنا ، أنا وهو ، بجـوار حمام السباحة : انه أن فعل ذلك يكون قد انتهك علنا بعضا من الالتزامات التى قطعها على نفسه ، وانه يدمر سمعته كأكبر داعية للسـلام فى العـالم بأكمله (فتأمل مرة أخرى) ، وانه بذلك يقر بلا جدوى زيارته الشـهيرة للقدس ، وسوف يثبت ان اسوأ اعدائه فى العـالم العربى كانوا على حق فى ادعائهم انه قد ارتكب خطأ يتميز بالحماقة » .

« وقلت للسادات انه يجب أن يبقى معى لفترة يومين أو ثلاثة أيام أخرى . وبعد ذلك ، اذا لم تتحسن الظـروف ، فسوف نقوم جميعا بفعل ما ينوى أن يفعله الآن » .

« وقد شرح لى السبب الذى يدفعه للرحيل : فقد قـال له دايان ان الاسرائيليين لن يوقعوا على أية اتفاقية . وقد أثار ذلك غضب السادات . وقد اتهم دايان بأنه اضاع وقتنا بالقدوم الى

كامب دافيد فى المقـــام الأول . وقد بين له مستشاروه مخــــاطر التوقيع على اتفاقية مع الولايات المتحدة وحدها . ذلك انه اذا حدث واستؤنفت المباحثات المباشرة مع الاسرائيلين ، فانهم سوف يقولون: ان المصريين قد وافقوا بالفعل على كل هذه النقاط ، وســوف نستغل ، الآن ، ما وقعوه بوصفه نقطة الانطــلاق فى المفاوضات القادمة . وكانت تلك حجة دامغة . وفكرت بسرعة ، ثم قلت له اننا سوف نتفق جميعا اتفاقا كاملا انه اذا رفضت دولة أى جزء من الاتفاقيات ، فان المقترحات كلها تصبح معدومة الأثر .

((وقف السادات صامتا فترة طويلة ، ثم نظر الى ، وقال : اذا اعطيتنى هذا التأكيد ، فاننى سوف ابقى معك الى النهاية)) .

((كانت هذه الكلمات فى سمعى احلى من العسل . وعدت الى كوخى ، وأخبرت روزالين وفريتز وفانس وهارولد (براون) وزبيج (برزيزنسكى) بأن كل شىء قد أصبح على مايرام ، وتعهدنا أمام أنفسنا أن نبقى الأمر سرا ، وعدنا الى العمل . لقد كان وقتا عصيبا)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٩١ — ٣٩٣) .

....

اما وزير الخارجية المصرى الأسبق ((محمد ابراهيم كـــامل فانه يضع واقعة اعلان السادات عن عزمه على مغادرة كامب دافيد بعد لقـــاء دايان معه . وتمضى رواية محمد ابراهيم كامل علـــى النحو التـــالى :

((فى الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التـــالى (الجمعة ١٥ سبتمبر ١٩٧٨) ، كنت اتنــاول القهوه مع حســـن كامل وبطرس غالى وأشرف غربال ، عندما دخل علينـــا فوزى عبد الحافظ ، رئيس سكرتارية الرئيس الخاصة ، وأخبـــرنا ان الرئيس قد اتصل به تليفـــونيا فى الســـاعة السابعة صباحا فى

واشنطون ــ حيث كان يقيم ــ وطلب حضوره الى كامب دافيد على الفور ، وانه عند وصوله ، ابلغه بأن يتخذ الترتيبات لمغادرة الوفد المصرى لكامب دافيد ، وأن يعد له طائرة هليوكبتر لتنقله الى واشنطن ظهر اليوم نفسه . وطلب منا فوزى عبد الحافظ أن نعد حقائبنا على هذا الأساس » .

« وقد أدهشنا هذا القرار المفاجىء ، ولم نفهم سره .خاصة، واننا كنا معه حتى منتصف ليلة أمس ،ولم يشر الى مثل هذا من قريب أو بعيد . وكنت أهم بالذهاب اليه لاستعلم عما حدث ، عندما دق جرس التليفون ، وكان المتكلم (هو) الرئيس السادات .. وطلب منى أن اتوجه ، مع أشرف غربال ، لمقابلته على الفور » .

« وحين دخل علينا فى صالونه ، كان يبدو فى حالة غير طبيعية ومضطربة . وما أن رآنا حتى قال : أين فانس ؟ اطلبوا من فانس أن يحضر الى مقابلتى حالا . وسألته : ماذا حدث ؟ . قال : لقد قررت أن انسحب من مؤتمر كامب دافيد ، واصدرت تعليماتى بذلك ، وسوف اسافر الى واشنطن لأجتمع بلجنة الشئون الخارجية فى الكونجرس ، ثم اعقد مؤتمرا صحفيا ، وأتحدث فى التليفزيون لأوضح ما حدث ، ثم أعود الى مصر . وتذكرت ما قاله لى أسامة (الباز) عن مقابلته لدايان أمس ، وأعدت سؤالى من جديد : ولكن ماذا حدث ، حتى تتخذ هذا القرار المفاجىء ؟ » .

وقال السادات : ان التفاهم مع بيجين من رابع المستحيلات . انه يلعب بكارتر الساذج المسكين . وهو يريد أن نوقع على ما يروق له . ونترك الباقى للمستقبل . وقد قررت الا أوقع على أى شىء فى كامب دافيد مع الرئيس كارتر ، حتى لا يصبح ما نوقع عليه أساسا للتفاوض فيما بعد ، يخضع بدوره للمساومة » .

« ولم افهم ما يقصده تماما (انظر رواية كارتر للواقعة) .

والحقيقة انى كنت قد أصبحت فى نظــر السادات ، خاصة خلال الأيام الأخيرة ، العقبة فى التوصل الى اتفــاق . وكنت قد أصبحت أيضا شخصا غير مرغوب فيه لدى الرئيس كارتر ، وبطبيعة الحال لدى اسرائيل (أيضا) منذ بداية البداية . ولعل هذا كان من بين الأسباب التى حدت بالرئيس كارتر الى تولى المفاوضات بنفسه ، والاتصال بالرئيس السادات رأسا ، وليس عن طريــق الوفــد المصرى . ولم يكن السادات يحيطنى علما بما يدور بينه وبين كارتر أو وايزمان ، فيما عدا ما يعتقد انى لن أعترض عليه . وان كان أسامة الباز يخبرنى ببعض التنازلات التى وافق السادات عليها ، والتى كان يحاول تداركها فى الصياغة ، الى حد انه كان يصطدم بالرئيس كارتر بعنف ، وكان الأخير يقــول له : ليس هذا هو ما وافق عليه الرئيس السادات ، فيرد عليه أسامة (البـــاز) : بل هذه هى تعليماته ، وأنا أنفذها (انظر الهامش رقم (١)) .

((وبدا لى أن السبب فى ثورة السادات ، وتفكيره فى مغادرة كامب دافيد ، هو انه أدرك انه قــدم تنــازلات كثيرة بالنســبة الى الضفة الغربية وغزة تحت الحاح الرئيس الأمريكى ، واستجابة لوعوده المعسولة فى تحقيق تسوية شاملة فى النهاية . ثم تبين له أن صديقه ، والشريك الكامل ، قد عجز تماما عن استخلاص أى مقــابل لمــا تنازل عنه من مناحم بيجين . وأفاق على الواقــــع المزرى الأليم ، وهو انه حتى سيناء ليس هنــاك ما يضمن له أن يستعيدها خالية من المستوطنات والمطارات . فيكون بذلك قــد خيب آمال المصريين بعد أن خسر العرب ، وخــرج من المولــد صفر اليدين)) .

((وقلت للرئيس السادات : انى أوافقك مائة فى المــائة على عدم التوقيع على أية وثيقة فى كامب دافيد ، ما لم تحدد بوضـــوح الانسحاب الاسرائيلى من الضفة الغربية وغزة وحق الشــــعب

الفلسطيني في تقرير مصيره ، واتفق معك ايضا أن الرئيس كارتر قد أبدى ضعفا متناهيا وعجزا كاملا في مواجهة بيجين ، ولكن لابد أن تقابله وتشرح له موقفك ، حتى لا تستغل اسرائيل ذلك في الوقيعة بيننا وبين الولايات المتحدة ، وتصور الأمور على أننا لم نعط التفاوض حقه كما فعلت عندما قررت سحب الوفد المصرى من اجتماعات اللجنة السياسية فى القدس ، وسأعد لك فى أقل من ساعة بيانا تقترح على كارتر اصداره — أو شيء منه — حتى لا يبدو أمام الرأى العام الأمريكى انه فشل بالكامل فى مؤتمر كامب دافيد ، على أساس أن المفاوضات قد حققت بعض التقدم ، الا أن الهوة مازالت واسعة بين الطرفين للتوصل الى اتفاق ، وانه — أى الرئيس كارتر — سيوالى الاتصال بكل من الطرفين لتحقيق تقدم فى المستقبل . وكان السادات يستمع الى فى هدوء)) .

((وعندما انتهيت من حديثى ، بدأ أشرف غربال يتكلم — ولا أدرى لماذا اختار أن يفعل ذلك باللغة العربية الفصحى — وقال: ان انسحاب الرئيس من المؤتمر بهذا الشكل ، بعض أن خصص له الرئيس كارتر كل هذا الوقت ، سيكون ضربة محرجة للرئيس كارتر ، وسيستغله الاسرائيليون)) .

وهنا صاح السادات : اسكت ، كل كلامك غلط فى غلط . اتصل بفانس كى يحضر على التو)) .

((وقام أشرف (غربال) بالاتصال تليفونيا ، فقالوا له : ان فانس مجتمع بالرئيس كارتر وموشى دايان ، وانهم سيبلغونه الرسالة على الفور)) .

((وبعد دقائق ، وصل فانس ، وجلس معنا . وقال الرئيس السادات : لقد وضح ان مؤتمر كامب دافيد لن ينتهى الى نتيجة ، فقد مضى على انعقاده اثنى عشر يوما (الصواب : احدى عشر يوما) ولم يتحقق أى تقدم بسبب جمود بيجين وتشبثه بمواقفه

البالية ، ولذا فقد قررت وقف التفاوض والسفر الى واشنطون حيث التقى برجال الاعلام ورجال الكونجرس ، وأوضح لهم الموقف المصرى والموقف الاسرائيلى ، ومن الذى تسبب فى فشل المؤتمر ، ثم اعود الى مصر » .

« وقال فانس بلهجة حازمة : السيد الرئيس ، انى لا انصحك بهذا . فانك ان فعلت ذلك ، فستسبب خيبة امل واحراجا بالغا للرئيس كارتر ، ولن تجنى من وراء ذلك شيئا ، وسيكون المستفيد من ذلك هو اسرائيل » .

« وبدا على الرئيس السادات بعض الارتباك والتردد ، ثم قال : أنت تعلم انى وافقت على تنازلات كثيرة حتى اسهل مهمة الرئيس كارتر فى التوصل الى اتفاق ، ولكن بيجين لم يتزحزح سنتيمترا واحدا ، وهو السبب فى افشال المؤتمر ، والاتجاه الآن الى توقيع ما تم الاتفاق عليه ، ومعنى هذا ان أوقع على تنازلات لم أكن لأقدم عليها الا لمساعدة الرئيس كارتر ، حتى لا ينسب اليه فشل المؤتمر ويضار من جراء ذلك ، وانا لا استطيع أن اوقع على شىء ما لم يكن اتفاقا نهائيا متكاملا ـ وهو ما يبدو مستحيلا بسبب تعنت بيجين ـ والا فسيعنى ذلك انه فى أى مفاوضات مقبلة فسيعتبر مناحم بيجين أو من يخلفه فى رئاسة الوزراء ان ما وقعت عليه حق مكتسب له ويضعه فى جيبه ، ويسعى الى الحصول على تنازلات جديدة فيما تبقى من الموضوعات دون حل على اساس التوصل الى حل وسط ، وهذا ما لا استطيعه ولا اوافق عليه اطلاقا ، ويجب أن يكون مفهوما لكم ان ما قدمته من تنازلات قدمته من اجل الولايات المتحدة والرئيس كارتر شخصيا ، وليس من أجل اسرائيل ومناحم بيجين ، وعلى هذا فانا أرفض التوقيع عليها » .

((وكنت أستمع بمرارة الى حديثه عن هذه التنازلات التى لم يشر اليها من قبل ذلك من قريب او بعيـد)) .

((وقال فانس : السـيد الرئيس ، انك تستطيع التحدث الى الرئيس كارتر فى هذا الأمر ، وأنا واثق انه يعمل ما فى وسعه لكى تكون راضيا ، وسأبلغه برغبتك فى مقابلته)) .

((وغادر فانس الاستراحة ، وخرجت مع اشرف (غربال) مع السادات الى التراس الخارجى ، حيث وجدنا باقى أعضاء الوفـد واقفين ، يحدوهم حب الاستطلاع لمعـرفة ما الذى دفع الرئيس السادات الى التفكير فى الانسحاب من المؤتمر . وجلسـنا معهم ، وظل السادات ساكتا ، فلم يفه بكلمة . ورأيت من المناسب أن أقول شيئا ــ وكان هدفى فى الحقيقة هـو تشجيع السادات على فكرة انسحابه من المؤتمر ــ فقلت : ان الرئيس قد قرر انهاء التفاوض بعد أن بات من المؤكد اننا لن نصل الى اتفاق مقبول لنا ، وسيجتمع بالرئيس كارتر للاتفاق معه على اخراج ذلك بطريقة لا تكون محرجة للرئيس الأمريكى)) .

((وأيد أغلب الحاضرين فكرة السـفر)) .

((بعد ربع ساعة عاد فانس ومعه هارولد براون وزير الدفاع الأمريكى ، وجلسـنا معا ، وقال فانس للرئيس السـادات : ان الرئيس كارتر سيزوره فى خلال عشر دقائق . ودار حديث عام لم يمس مجريات المؤتمر . ولم يلبث ان حضر الرئيس كارتر ، فقمنا لاستقباله . وكنت ارغب فى حضور مقابلتهما ، الا ان السادات لم يلبث ان أخذه من يده ، ودخل الى الصالون ، واغلق الباب عليهما . وانصرف فانس وبراون ، وعـدت مع باقى أعضاء الوفـد الى استراحتنا ننتظر بصبر نافذ انتهاء المقابلة)) .

((وبعد حوالى نصف ساعة ، أرسل السادات يستدعينا الى

مقابلته . وجدناه منتعشا ، تبدو عليه دلائل السرور والفخر (راجع سبب ذلك فى رواية كارتر) . وجلسنا حوله وكلنا آذان صاغية ، فقال : ان الرئيس كارتر رجل عظيم ، وذو ذكاء خارق . لقــد حل المشكلة ببساطة شديدة ، وأراحنى تماما » .

« وقلنا : كيف ؟ » .

« قال : لقد قال لى انى أستطيع ان اعلق الالتزام باى اتفــاق نوقع عليه على موافقة المؤسسات الدستورية فى مصر واسرائيــل (راجع ايضا ما قاله كارتر فى روايته)» اى مجلس الشعب عندنا والكنيسيت فى اسرائيل ، بحيث اذا رفضه كلاهما او احدهما ، فان جميع ما اشتمل عليه الاتفاق من التزامات على الجانبين يســقط ، ويصبح غير ملزم لنا فى اية مفاوضات مستقبلية » .

وقلت : المهم ما هو الاتفاق الذى سنوقع عليه ؟ » .

« واجاب السادات : ســأوقع على اى شىء يقترحه الرئيس كارتر دون ان اقرأه » .

« وساد الصمت برهــة ، ثم قلت ، وانا اغالب نفسى لكى اتمالك اعصابى : ولمــاذا ياريس توقع عليه دون ان تقرأه ؟ . اذا اعجبنا فعلنا ، والا فلا نوقع » .

« وهب الســادات واقفا ، وقال بصوت ملؤه التحــدى : بل ساوقع عليه دون ان اقرأه » .

« واستدار ، وغادر التراس الى داخـــــل استراحته » .
(كامل ، « السلام الضائع » ، ص ٥٧٦ ــ ٥٨١) .

... ...

(٨) يؤكد محمد ابراهيم كامل حــدوث ذلك مــع اختلاف فى التفاصيل . ولا شك ان ذلك يدفع الى الذهن بسؤال عن كيف عرف

المؤلفون بهذه الواقعة التى حدثت فى غرفة نوم الوزيرين الخاصة والمغلقة عليهما ولا تخـرج الاجـابة عن امرين : اما ان يكون احد الوزيرين قد أفضى للمؤلفين ، أو لأحد مصادرهم بما حدث ، أو أن يكون مصدر معلومات المؤلفين هى أجهزة التصنت التى قد تكون أجهزة الاستخبارات الامريكية او الاسرائيلية قد وضعتها فى الأكواخ المخصصة للوفد المصرى . ولا اهمية هنا لمعـرفة اى من هذين الجهازين قد قام بذلك نظـرا لوجود اتفـاقية تقضى بتبـادل المعلومات بين الجهازين . وعلى أية حال ، فان روايـة وزير الخارجية المصرى الاسبق تمضى على النحو التالى :

((كانت الساعة قد جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل عندما عـدت مع بطرس غالى الى غرفة نومنا بعـد انتهاء الاجتـماع (مع كارتر) . واستبدلنا ملابس النوم بملابسـنا ، الا ان النوم كان بعيدا عن جفوننا . وجلست على سريرى، وجلس بطرس غالى على سريره المقابل . وشرعت فى الكلام ، أو بالأحـرى فى التفكير بصوت عال . قلت : انى قلق للغاية مما حفلت به الأربعة والعشرون الماضية . فها هو السادات قد قدم مشروعنا (اطار السـلام) الى كارتر وبيجين ، وناقشه معهما فى بداية المؤتمـر . ورغم انى نصحته بغير ذلك ، الا ان هـذا هو حقه ، ولا أستطيع أن أفرض عليه رأيى ، فقد اكون مخطئا . وفى روايته لنا أمس عما دار خلال اجتماعه مع كارتر وبيجين ، أعطانا الانطباع بأنه قـد نجح امام الرئيس الأمريكي فى التصدى لانتقادات بيجين للمشروع وفى الدفاع عنه . ولو انى من واقع التجربة لا أعول على روايته تماما . فكثيرا ما كان السادات يغفل الاشارة الى نقاط كثيرة ، إما لأنه نسيها ، أو لأنه يراها قليلة الأهمية ، أو لأنها لا تروق له ، أو لأنه عجز عن حاجـة ما ، أو وهو الأخطر — لأنه تورط فى بعض التنـازلات لكارتر أو لبيجين أو لكليهما معا)) . ...

((وها هو يبدو من حديث كارتر فى الاجتماع انه قـد استبعد

المشروع المصرى كأساس للتفاوض (راجع رواية كارتر عن راى السادات فى المشروع المصرى) . وهو وان لم يقل ذلك صراحة ، الا ان المفهوم ضمنا من تصريحه ، بأنه قرر التقدم بمشروع أمريكى لمعالجة الهوة بين المواقف المصرية والمواقف الاسرائيلية . ثم ها هو ذا كارتر يعرض علينا الأفكار التى تدور فى رأسهم حــول مضمون المشروع الأمريكى ، وكلها تــدور فى فلك التخطيط الاسرائيلى : تأجيل بحث القضايا الرئيسية كالسيادة على الضفة وغزة ، التفرقة بين وضع المستوطنات فى سيناء وفى الأراضى المحتلة الأخــرى ، عدم الاكتراث بمشاركة الأردن فى المحادثات ، جر مصر الى تواجد لتتحدد طبيعته ـــ فى الضفة الغربية ، عدم الخوض فى التفاصيل . بدعوى عدم وجود من يحق له التحدث باسم الفلسطينيين ، أن يتم الانسحاب وتحديد الحدود على أساس صيغة السادات ـــ بيريز فى فيينا ، وفرض ما يتفق عليه على باقى الودل العربية ولو كان حلا ناقصا أو جزئيا . الم يجد كارتر مبدأ واحـــدا أو فكرة واحــدة يقتبسها من المشروع المصرى ؟ . ثم ها هــو فانس يتــكلم على المكشوف ، ويقــول انهم يقترحون أن يكون مشروع بيجين للحــكم الذاتى ـــ الذى قدمه فى الاسماعيلية ـــ هو أساس التسوية . ان ما قاله كارتر وفانس يوحى بأن أمريكا ستقوم بدور الشريك الكامل لاسرائيل ضد مصر ، وليس بأن تقــدم أفكارها الذاتية بما يتفــق مع مسؤولياتها الدولية . كل هــذا يمكن تصــوره ، ولكن اللغز والمصيبة والفضيحة هو موقف السادات . فهو يستمع الى كل ذلك ، فلا يغضب ولا يزمجر ولا يعـــارض ولا يفنــد ولا يجـــادل ولا يشرح . أين اذن وعده ـــ أو وعيده ـــ وهو يصيح فى وجهى ، على مسمع ومرأى من أعضاء مجلس الأمن القومى : بأنه سـيقدم مشروعه فى بداية المؤتمر ، فان لم يقبل أساسا للتفاوض ، فسينسف المؤتمر ويعود الى مصر فى خـــلال ٤٨ ساعة ؟ . وهــو ما عاد ، وكرره لى أثنــاء حديثى معه فى الطائرة ، وهى على قيد ساعات

قليلة من كامب دافيد . ثم يصل الأمر الى حد ان يطرح الرئيس الامريكى ، فى وضوح وبلا مواربة ، فكرة عقد تحالف استراتيجى امريكى — اسرائيلى — مصرى ، فيخرس السادات ولا ينطق . ماذا دهاه ؟ . لقد كنت اموت خجلا وكمدا وقرفا وانا اتابع هذه المأساه ... » .

« وقال بطرس غالى : انه يشاركنى مشاعرى ، وانه فى دهشة من موقف السادات فى الاجتماع . وربما كان شارد الذهن ، او متعبا ، او لم يع ما قاله الرئيس كارتر ، فلقد كان يوما طويلا مجهدا . وربما قصد كارتر بما قاله اختبار مدى تصلبنا ، وطرح افكار لا يتبناها بالفعل ، ولكن ليستمع الى راينا وملاحظاتنا ، ويعدل فيها على اساسها . ولقد احسنت فى ردك على كارتر ، وكنت موفقا ، ولابد انه سيأخذ ما قلت بعين الاعتبار » .

« وقلت : ولكن ما قيمة كلامى فى ظل صمت الرئيس ؟ . اليس السكوت (من علامات) الرضاء ؟ . ثم الم نلاحظ اشارة كارتر الماكرة ، عند رده على التهامى ، عندما قال ان الشائع هو ان الرئيس معتدل ، بينما معاونوه متشددون ؟ . انه يعنينا نحن . اتظن ان الرئيس كارتر سيعيد كلامى الالتفات ويقدمه على كلام السادات ، او — بالاحرى — عدم كلامه ؟ . سيقول كارتر ان موقف الرئيس يجب (اى يلغى) موقف وزير خارجيته ، ولن يستطيع احد ان يلومه على ذلك » .

« وقال بطرس غالى : على كل حال ، فان اجتماع اليوم كان للاستطلاع . وهم بسبيل الاعداد لمشروعهم ، وليس ما قالوه يمثل ، بالضرورة ، افكارهم النهائية . ولن نعرف ما انتهوا اليه ، حتى يفرغوا من مشروعهم ويقدموه لنا ونرى ما فيه . فدع حتى وقتها ، ولننم بعض الوقت ، فقد اوشك الفجر على البزوغ » .

« وقلت : معك حق . تصبح على خير . واطفات النور » .

« كانت علاقتى ببطرس غالى طيبة للغاية . وكنا نتفاهم

على الكثير من المسائل ، ونصل الى نفس الحلول ، او الى حلول متقاربة فى معظم الاحيان . ولكن الخلاف الرئيسى بيننا ، كان فى فهم كل منا لمهمته ، والواجب المنوط به ، وعلاقة العمل بالرئيس السادات . كان بطرس يؤمن بطاعة الرئيس ، وان علينا ان ننفذ ما يقرره ، وتزين اخراجه ، وننمق صياغته فى القالب الدبلوماسى او السياسى او الاعلامى ، ونلتزم به . فالرئيس يرى من مركزه الشمولى ما لا نراه ، ويقدر ما ليس فى حسابنا ان نقدره . وان جاز لنا اقتراح راى او فكرة على الرئيس — اذا كان مزاجه طيبا — فيجب الا يتجاوز الامر حد الاقتراح الى الجدل او المناقشة (معاذ الله ؟ .) . وكنت ارى غير ذلك تماما ، وان واجبنا ومهمتنا تتعدى ذلك الى النصح والمشورة وتبصيره فيما يقدم على اتخاذه من قرارات او خطوات ، بما قد يشوبها من نقص او عيب او تجاوز او خطر . فنحن وزراؤه ومستشاروه ، ونحن لا نعمل فى مزرعته الخاصة او اموره الشخصية . وانما نعمل فى قضية مصيرية معقدة متشابكة ، لا يستطيع اى فرد ، مهما اوتى من طاقة ومقدرة وذكاء ، الاضطلاع بها وحده على الوجه الامثل . ولا يعنى هذا فرض راينا على رأيه . فهو الرئيس ، والراى الاخير له . فقط ، يكون قد الم بما له ، وما عليه ، واحاط بكل جوانبه وبمزاياه وبمثالبه وبعواقبه)) . (كامل ، ((السلام الضائع)) ، ص ٥١٣ — ٥١٦) .

... ...

(٩) مرة اخرى ، لا تختلف رواية محمد ابراهيم كامل ، فى جوهرها وفى تحديد تاريخها ، لواقعة استقالته عن رواية المؤلفين الاسرائيليين ، الامر الذى يثير نفس التساؤلات التى اثارتها واقعة حديثة مع بطرس غالى والتى اوردناها فى الهامش السابق .

((فى الساعة الحادية عشر (من صباح يوم السبت ١٦ سبتمبر) ذهبت الى استراحة الرئيس السادات ، وكان جالسا فى

التراس ومعه الدكتور بطرس غالى والدكتور اشرف غربـــال . وجلست معهم نتبـــادل أحاديث خفيفة . الا أن بقاءهما طال . وكنت أتوق الى انصرافهما ، حتى أتكلم مع الرئيس — على انفراد — قبل ان يطرأ ما يحول دون اتاحة فرصة ذلك لى . واخيرا دخلت الى صالون السادات — الذى ينفتح على التراس — وأصبح ظهر السادات لى ، فلوحت بيدى باشارة الى (غربال) كى يأخذ بطرس غالى وينصرفا ، ثم عدت وجلست (معهم) . وبالفعل ، بعـــدها بدقائق ، قام اشرف واستأذن من الرئيس فى الانصراف ، وصحب بطرس غالى ومضيا » .

« وحملت مقعدى بالقرب من حيث يجلس السادات ، وقلت فى هدوء : انى ارغب فى أن اتحدث اليك ، لا بوصفى وزيرا للخارجية يتحدث الى رئيس الجمهورية ، ولكن بوصفى صديقا وأخـا أصغر لك ، أكلنا معـا العيش والملح فى السجن منذ ثلاثة وثلاثين عاما ، وأنت تعلم مدى إخلاصى لك وللحق ، وانى حريص على الا نقدم على شىء نندم عليه فيما بعد » .

« وقال السادات بصوت هادىء : وهل بينى وبينك حجاب ، يا محمد ؟ . قل ما تريد ، ولا تتردد » .

« محمد كامل : لقد اطلعت على المشروع الذى قدمه لك الرئيس كارتر باطار السلام ، وقد وجدته بعيدا كل البعد عن تحقيق السلام الشامل الذى نستهدفه ، والذى حددت معالمه بحق ووضـــوح فى خطابك فى الكنيسيت الاسرائيلى عند زيارتك للقدس . فالمشروع الامريكى رسم الطريق الى سلام كامل بين مصر واسرائيل مســتقلا تماما عما يجرى فى الضفة الغربية وغزة ، فلا رابطة بينهما تضـــمن التزامن بين حل مشـــكلة سيناء وحل المشـــكلة الفلسطينية — وهى الأصل . وستكون النتيجة ان ينتهى الأمر الى معاهدة ســلام بين مصر واسرائيل ، بينما تبقى الضفة الغربية وغزة تحت قبضـــة اسرائيل ، تمارس فيهـــا تنفيذ تخطيطها لضم هـــذه الاراضى فى

النهاية . وفيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة ، فالمشروع الامريكى يعكس فلسفة بيجين فى مشروعه للحكم الذاتى ، ويابى طلبـــه فى تعليـــق السيادة على هذه الأراضى . وقد صيغ عمدا بالميوعة والغموض ، وحفل بالثغرات، مما يجعل التوصل الى هدفنا بانسحاب اسرائيل من تلك الاراضى ، وممارسة الشعب الفلسطينى لحقـــه فى تقرير المصير ، من رابع المستحيلات. ويمكن أن تستمر المفاوضات والمراوغات الاسرائيلية الى عشرات السنين ، فى حين اننا نعـــلم ان كل ما تحتـــاج اليه اسرائيل هو ســـنوات قليلة لتكون قـــد مكنت نفسها من الاستحواذ على الاراضى من الناحية العمليـــة . وقد زود المشروع الامريكى اسرائيل بحق الفيتو (الاعتراض) فى كل خطوة ، وعلى أى اجراء قد تراه معوقا لهدفها الواضح فى ضـــم تلك الأراضى . فمهما اجمع الجانب المصرى والأردنى وسلطة الحكم الذاتى الفلسطينى على أمر، فلن يتحقق . اذ يشترط المشروع اجماعا كاملا ، يتضمن موافقة اسرائيل . وهناك نقطتان هامتان فى هـــذا الصدد . الأولى . إننا غير مفوضين من ممثلى الشعب الفلسطينى صاحب الشأن ولا من الدول العربية ـــ المشاركة جميعا فى تحمل مسؤولية حل المشكلة الفلسطينية فى الموافقة والتوقيع على تسوية لهذه المشـــكلة . والمشروع الامريكى بأحكامه وصياغته لن يجتذب الاردن بحال الى المشاركة فى الفترة الانتقالية . كما انه لن يحظى بموافقة أى من الدول العربية الأخرى . ولا بطبيعة الحال بموافقة منظمة التحرير الفلسطينية . والنقطة الثانية هى أن الاحتـــلال الاسرائيلى لأراضى الضفة الغربية وغزة سيظل دائما احتـــلالا غير مشروع لأراضى الغير ، ليس له من سند الا العدوان والقـــوة الغاشمة وهـــو لن يكسب اسرائيل حقا مهما طال امـــده . بينما المشروع الامريكى يحـــاول ان يضفى على هذا الاحتلال ـــ علـــى الأقل خلال فترة السنوات الخمس ـــ صيغة من الشرعية مظهرها مشاركة صورية مصرية اردنية فلسطينية ـــ المجلس الادارى الذى

يباشر الحكم الذاتي ـ وصحيح ان هذه الصيغة الشرعية مطعون فيها بطبيعة الحال ، لاننا غير مفوضين من اصحاب الشأن ، ولكنك تعلم جبروت الدعاية الصهيونية الذى سيصور ان وجود السلطة الاسرائيلية وقواتها انما يستند الى صك واتفاق وقعت عليه مصر كبرى الدول العربية ودعت اليه الأردن . ولم يعد مجرد احتلال غير مشروع لا يسانده الا القوة والبطش والعدوان . وسيؤدى ذلك الى تمييع القضية وبعثرة التأييد الدولى على مستوى الدول والراى العام العالمى الذى جاهدنا طويلا فى بنائه ويضعف الضغوط على اسرائيل .

لذلك ارجوك واستحلفك ان ترفض التوقيع على مثل هذا الاتفاق المدمر .

السادات : انك لا تعلم شيئا عن العرب ، اسألنى انا ! انهم لو تركوا وشأنهم فلن يحلوا او يربطوا .وسيظل الاحتلال الاسرائيلى قائما الى ان ينتهى الى التهام الاراضى العربية المحتلة ، دون ان يحرك العرب ساكنا غير الجعجعة واطلاق الشعارات الفارغة ، كما فعلوا منذ البداية ، ولن يجمعوا على حل ابدا .

محمد كامل : انى لا اشارك الراى فيما قلته ، وهو ليس صحيحا على اطلاقه . فقد اجتمعت كلمة العرب واتحدوا على يديك انت نفسك وحققوا تضامنا وتكاتفا عظيما ، عسكريا وسياسيا واقتصاديا فى حرب اكتوبر (تشرين الا) ١٩٧٣ وبعدها . وهذه حقيقة واقعة لايمكن انكارها . ولم يبذر بذور الشقاق والتفتت العربى من جديد غير مجىء كيسنجر الى المنطقة وتوقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانية بين مصر واسرائيل . والآن وقد ظهر العجز والتخاذل الامريكى عن تحقيق السلام العادل الشامل ، الا ترى ان نعود الى العرب من جديد . ونبذل جهدا معهم لاستعادة التضامن الذى كان من جديد . وسيكون موضوعه هذه المرة ليس الحرب بل الحل السلمى كما اشارت اليه مقررات مؤتمر القمة العربى

فى الرباط . انك ستعود اليهم حاملا رصيدا ضخما من التـأييد الدولى والوعى العـالمى بعدالة القضية العربية حققته مبادرتك . وستنقشع الخلافات كسحابة صيف ، وسيلتفون حولك على السلام كما التفوا على الحرب ، وهذه مسؤولية مصر بوصفها الدولة الأم الرائدة ، ونحن متفاهمون ومتفقون مع السعودية والاردن بالفعـل على هذه الاستراتيجية وهم رهن الاشارة ليبدأوا مساعيهم ، فلتعد الى العرب ، ولتقم بمبادرة نحوهم كما قمت بمبادرة نحو اسرائيل ، ثم لتعد اليها من جديد على رأس مبادرة عربية شاملة على نفس الاسس التى حددتها فى مبادرتك السابقة ، ولكن تحمل ثقـل الامكانيات العربية الضخمة الهائلة ولن تقوى اسرائيل هـذه المرة على اجهاضها ولا أمريكا على الانحراف بها .

وسكت السادات برهة طالت . وعيناه شاخصتان الى الهواء لا تنمان عن شىء ثم قال :

السادات : ان مشروع الحكم الذاتى سيؤدى الى الغـاء الحكومة العسكرية الاسرائيلية فى الضفة وغزة ، وسيؤدى ذلك الى رفع المعاناة عن كاهل الفلسطينيين . وقد أصر الرئيس كارتر على اضافة وصف ((الكامل)) لعبارة الحكم الذاتى رغم معارضة بيجين الشديدة حتى تكون سلطة الحكم الذاتى كاملة لكل شىء ما عـدا بعض المسائل كالأمن . ولن يكون الفلسطينيون وحدهم . فسنكون معهم وكذلك الاردن فى خلال الفترة الانتقالية . واذا لم يقبـل الفلسطينيون بالحل الذى تنتهى اليه الفترة الانتقالية فسيكون لهـم حـق ((الفيتو)) لأنهم سيصوتون على هـذا الحل . وقد قال لى الرئيس كارتر ان لغـة المشروع وصياغته ربما فيها غموض ولكن ليس هذا ذا اهمية . فالمهم انه سيكون معنا فى مفاوضات الحـكم الذاتى كشريك كامل . وقد اكد لى الرئيس كارتر انه عندما يعـاد انتخابه رئيسا للفترة الثانية فسيكون فى وضع قوى جدا ، يمكنه من الضغط على اسرائيل ، ويستطيع عندئذ تدارك العيوب والنقص

فى اللغة والصياغة التى لم يتمكن فى الوقت الحالى من التوصل الى أحسن منها بسبب جمود بيجين ، وحرص كارتر الا يفشل المؤتمر ويقضى على عملية التفاوض بين مصر واسرائيل الى الأبد ، وتعود احتمالات قيام حرب جديدة . وقد اكد لى كارتر مرارا وتكرارا انه يحس بأن عليه التزاما ادبيا وشخصيا نحو عمل شىء للفلسطينيين وان هذا ما ستمكنه اعادة انتخابه من أن يقوم به .

محمد كامل : اننا نخدع انفسنا اذا فكرنا ان هذا المشروع سينتهى بتحقيق حل عادل للقضية الفلسطينية . انه سيكون سند اسرائيل وأداتها لتصفية هذه القضية وفقا لنواياها التوسعية ، وهذا راى كل مستشارى وفدنا بالاجماع . ولماذا تظن بيجن يحارب ويدقق فى كل كلمة يتضمنها المشروع ؟ لأنه متى وقعنا عليه فسيكون هذا هو الاساس الذى يجرى عليه التفاوض، ولن يستطيع كارتر او غيره ان يخرج عن نطاق النصوص والصياغات . ثم ما يدرينا بأن كارتر سيعاد انتخابه فترة جديدة وينفذ وعوده لك ؟

السادات : لا لا . لقد قال لى الرئيس كارتر ان نجاح مؤتمر كامب ديفيد فى التوصل الى اتفاقيات بشأن اطار السلام الشامل سيؤكد نجاحه فى الانتخابات القادمة بسهولة ويسر . وانا واثق بأنه سينفذ وعوده لى لأنه رجل قيم ومبادىء .

محمد كامل : ولكن هذه الاتفاقية وفقا للمشروع الأمريكى لن تؤدى الى حل شامل ، بل ستنتهى الى صلح منفرد بين مصر واسرائيل.بينما تظل الضفة الغربية وغزة والجولان تحت السيطرة والاحتلال الاسرائيلى ، وسيؤدى ذلك الى عواقب وخيمة اخطرها عزل مصر وانعزالها عن العالم العربى ، وما سيؤدى اليه ذلك من اطلاق يد اسرائيل فى المنطقة . لماذا لا تصر على ما كنت تنادى به دائما من وجود رابطة بين الانسحاب من سيناء والانسحاب من الضفة الغربية وغزة ، بحيث يسيران جنبا الى جانب ، وتعلق كل خطوة فى سيناء على خطوة مقابلة فى الضفة الغربية و غزة .

السادات : ها أنت تردد كالببغاء ما يقوله الاتحاد السوفيتى عن صلح منفرد . كيف يكون صلحا منفردا اذا كنت سأظل ملتزما بأن أقوم بدور فى الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة خلال فترة السنوات الخمس الانتقالية وحتى تحل القضية الفلسطينية من جميع وجوهها ؟ وما معنى أن أبقى سيناء تحت السيطرة الاسرائيلية حتى تحل المشكلة الفلسطينية لتعمرها اسرائيل بمستوطنات جديدة يوما بعد يوم ؟ أليس هذا من الغباء ؟ انك تتكلم لأنك لا تعرف شيئا عن أحوال مصر الداخلية . لقد ترك لي عبد الناصر تركة مثقلة بالهموم والمشاكل ، وان أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية فى غاية السوء، وكل مرافق البلد منهارة، ولن تستطيع مصر ان تخرج من احوالها المتردية الا اذا حصلت على السلام، وكرست كل مواردها للتنمية . وعندئذ ستكون مصر فى مركز اقوى لمساعدة الفلسطينيين فى حل مشكلتهم .

محمد كامل : ولكنك لم تقم بمبادرتك على هذا الأساس . لقد بنيتها على اساس الحل الشامل ، ولو كان الأمر هو استعادة سيناء واقامة سلام بين مصر واسرائيل فقط لما كان هناك حاجة الى كل هذا اللف والدوران . ولهرع الى القاهرة مناحم بيجن باشارة منك ليوقع مثل هذا الاتفاق ويعيد سيناء الى مصر ويقبل ظهر يدك ووجهها ويعود الى اسرائيل راضيا قرير العين . وانا لا ادعى انى أعلم كثيرا عن مشاكل مصر الداخلية فأنت الرئيس وأنت أدرى بها . ولكن اذا كان الأمر كما تقول ، فلماذا محاولة التظاهر بأنك تحل النزاع العربى الاسرائيلى حلا شاملا عادلا دائما ، وتعطى لاسرائيل سندا مزيفا خداعا يتيح لها اغتيال الضفة الغربية وغزة والقضاء على القضية الفلسطينية تحت ستار حل هذه القضية نفسها حلا كريما عادلا ؟ ان رأيى لا يزال هو عدم التوقيع على شىء ، والعودة الى العرب والعمل معهم من خلال جبهة واحدة كما اسلفت .. ولكن اذا كنت تقدر ان ظروفنا تحتم علينا التوصل الى حل مرحلى فورى

مع اسرائيل ، فلماذا لاتعلن ذلك صراحة ؟ . وفى الامكان ان تصدر بيانا تقول فيه .. ان مصر — وقد تحملت الشطر الأعظم من التضحيات البشرية والمالية والاقتصادية من جراء تصديها للعدوان الاسرائيلى على الدول العربية فى اربع حروب — قد استنفدت كل امكانياتها وطاقاتها وجهودها ، وان ظروفها الاقتصادية والاجتماعية قد تدهورت الى اوضاع لا تستطيع معها المضى فى حالة اللا سلم والا حرب . لذا فقد قررت ابرام اتفاق مرحلى مع اسرائيل تنهى به انتهاء حالة الحرب مع اسرائيل . وانها ستواصل مع باقى الدول العربية والمجتمع الدولى مساعيها السلمية لتحقيق انسحاب اسرائيل من كافة الأراضى العربية المحتلة . واقامة السلام العادل الشامل فى المنطقة .

السادات (مقاطعا) : ماذا جرى لك ؟ اتريد ان اتعرض لشماتة الاتحاد السوفيتى وحافظ الأسد والقذافى ، فيقولون : ان ما ادعوه على مبادرتى منذ البداية من انها كانت ترمى الى حل منفرد كان صحيحا .

محمد كامل : انك اذا وقعت على اتفاقية على اساس المشروع الامريكى فستكون حلا منفردا بكل المعايير ، ولن تنجح فى خداع احد بغير ذلك ، وافضل لنا واشرف ان نقول ذلك صراحة على ان نتستر وراء مسرحية الحكم الذاتى كما وردت فى المشروع .

السادات : بل انى اسير على استراتيجية بعيدة المدى ستنتهى بالحل الشامل فى الشرق الاوسط وسيكون معنا الرئيس كارتر وستنضم الينا السعودية والملك حسين .

محمد كامل : اذا وقعت مثل هذا الاتفاق فلن يستطيع كارتر عمل شىء ، وان يجذب ذلك السعودية والاردن بحال . ارجو منك مرة ثانية ان تعيد النظر فى الامر ، ولنعد الى مصر ونجرى مشاورات مع الدول العربية لنرى ماذا تكون خطوتنا التالية .

السادات : لا ، انا أعلم ما افعله ، وسامضى فى مبادرتى الى النهـــاية .

محمد كامل : اذن فارجو ان تقبل استقالتى .

السادات : كنت إعلم من البداية انك تلف وتدور لتقــول هذا فى النهـــاية .

محمد كامل : لا لقد حاولت اقناعك بما اراه وفشلت ، فـلم يبق امامى الا هذا المخرج ، فانا لا استطيع ان اوافـق على شىء يبدو لى من المؤكد خطؤه وخطره ، ولا انا استطيع أن أغشك واغش نفسى وضميرى ، فانه كامن داخلى يعيش معى ليل نهار .

السادات : اذا كان هذا يريحك ، فانى اقبل استقالتك ، وكلما اطلبه منك هو أن تدعها بيننا فى الوقت الحالى لا تخبر احدا بأمرها حتى نعود الى مصر .

محمد كامل : سافعل ذلك ، فليس قصدى احراجك .

الســـادات : اذن اتفقنا ، ولتهدأ وتريح اعصابك ، وسيكون كل شىء على ما يرام فى النهاية (كامل ، السلام الضائع ، ص ص ٥٩٠ — ٥٩٩) .

... ...

(٩) يقــول كارتر ان ((هارولد براون طلب مقابلتى اليــوم (الجمعة ١٥ سبتمبر ١٩٧٨) لكى يناقش معى امورا تتعلق بقواتنا المسلحة)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٩١) .

... ...

(١٠) انظر الهامش رقم ((٧)) لهذا الفصل .

... ...

(١١) لا يذكر كارتر شيئا عن هــذه الرسالة فيما اورده من وقائع اليوم الحادى عشر من ايام كامب دافيد ، الموافق يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ١٩٧٨ . ولا يزيد ما يذكره من اتصالات بين الجانبين

الأمريكى والاسرائيلى عن انه : « فى المســاء ، اجــرى فانس وبرزيزنسكى مفاوضــات مع الاسرائيليين حول المســتوطنات ، ولكنهمــا لم يحرزا أى تقــدم » • (كارتر ، « مذكرات رئيس ، ص ٣٩٤) •

... ...

(١٢) يدل ما يذكره كارتر عن وقائع هذا اليوم ـ الثانى عشر من أيام كامب دافيد ، الموافق يوم السبت ١٦ سبتمبر ١٩٧٨ ـ على ان الجانب الأمريكى أجرى مباحثات مع الجانب الاسرائيلى فى ذلك اليوم • اذ يقول كارتر :

« ذهبت ، فيما بعد ، سيرا على الأقدام الى كوخ « هولى »، حيث كانت تجرى مباحثات بين الجانبين الأمريكى والاسرائيلى ، وتناقشت حول نفس الموضوع (مستوطنات سيناء) مع دايان • وكان افضل ما استطعت أن اخــرج به من نقاشى معه هو انه ، شخصيا ، مستعد لاجلاء المستوطنين بعد ٢٠ عاما • وقال ان بيجين لن يوافق حتى على إجلائهم بعد هذه الفترة الطويلة ، اذا كان هناك التزام نهائى على اسرائيل باجلائهم • وفيما يتعلق بالضفة الغربية، قال دايان انه مستعد للموافقة على عدم اقامة مستوطنات جديدة، على أن يتم تحديد ذلك فى خطابات متبادلة بينى وبين رئيس الوزراء بيجين • وقال ان بيجين يشعر انه قد اقصى عن عملية المفاوضات الى حد ما ، لأننى لم التق به مؤخرا ، واقترح ان القاه هو وباراك وحدهما هذا المساء ، لأن وايزمان التقى بالسادات فى صباح هــذا اليوم » •

. . . .

« ثم ذهبت لمقابلة وايزمان لكى أعرف منه ما دار فى لقــائه مع السادات • • • وقال لى ان السادات مستعد الآن تتضمن اتفاقية سيناء نصا يقضى بأن تتم تسوية مسألة المستوطنات الاسرائيلية فى مفاوضات تعقد فى المستقبل • وذهلت • فان ذلك لم يكن ما أبلغنى اياه السادات منذ قليل على الاطلاق • وكنت إعرف ان وايزمان

متفائل بشكل عام ، وان التفاؤل ، فى كامب دافيد ، لسوء الحظ ، كان مستعدا لاجلائها بعــد فترة طويلة من الوقت ، ووايزمان كان بأن الكنيسيت سوف يصوت لصالح اجلاء المســتوطنات . وكان دايان قد قال لى عكس ذلك » .

« وعند هذه النقطة ، وفيما يتعلق بالمستوطنات ، كانت لدينا تقارير متضاربة من الرئيس المصرى وثلاث مستويات من المعارضة فى الوفد الاسرائيلى : فبيجين لم يكن يريد الالتزام بالإجلاء ، ودايان كان مستعدا لاجلائها بعد فترة طويلة من الوقت ، ووايزمان كان يعتقد ان المستوطنين يجب اجلائهم اذا وافق الكنيسيت على ذلك» .
(كارتر ، « مذكرات رئيس » ، ص ٣٩٤ و ٣٩٥) .

... ...

ومن ناحية اخــرى ، فان كارتر يقول أيضــا انه التقى مع السادات مرتين فى ذلك اليوم . وعن اللقاء الأول ، يقول الرئيس الأمريكى الســابق :

« استيقظت فى وقت مبكر عن المعتــاد ، وقمت بتدوين كافة الفقرات فى اتفاقيــة ســيناء التى قــد لا يوافق عليهــا الجــانب الاسرائيلى ... ثم قمت بنزهة طويلة على الأقدام مــع الرئيس السادات . وعندما سألته عما اذا كان هناك شيء يمكن أن افعله له شخصيا ، أو لشعبه ، اذا تمكنا من تحقيق السلام ، قال : أريد أن تقوم أنت وزوجتك روزالين بزيارة مصر . ووعدته ان افعل ذلك» .

« ثم سعيت جاهدا ، بدون نجاح ، فى البحث عن ثغرة يمكن عن طريقها حل مسألة مستوطنات سيناء . وكان السادات مستعدا لأن يوافق على عدم تفكيك المبانى ، وان يسمح لقوات الأمم المتحدة بالتمركز فى المنطقة ، وان ينتظر ثلاث سنوات بعد توقيع معاهدة السلام لاجلاء المستوطنين . ولكنهم كانوا لا مفر أمامهم من الجلاء. كان ذلك أمرا حتما » (كارتر ، « مذكرات رئيس » ص ٣٩٤) .

... ...

اما عن اللقاء الثانى ، فيقول كارتر :

((عندما قدم السادات مع الباز لمقابلتى انا وفانس بعد الظهر، ابلغته بما قاله وايزمان ، وطلبت منه ان يوضح موقفه فيما يتعلق بمسالة المستوطنات . فقال ان ما قاله وايزمان كان خاطئا تماما ، وانه قد حدد موقفه لى بدقة اثناء نزهتنا هذا الصباح)) .

((وقمت بتعداد المزايا التى سوف تعود على مصر من عقـد اتفاق السـلام)) .

((ثم قمنا باستعراض المقترحات الأكثر تحديداً بشان سيناء ، ووجدنا انه ليست هناك اختلافات تستحق الذكر ، اللهم الا فيما يتعلق بمسالة المستوطنات الاسرائيلية . ولم يكن بينى وبين السادات اى خلافات على الاطـلاق)) .

((وفيما يتعلق باتفاق الاطار الأكثر شمولا ، كانت آراءنا ، انا والســادات ، متقاربة جـدا . ووافقت ، فيما يتعلق بسـلطة الفلسطينيين فى الضفة الغربية ، ان اجد عبارة مترادفة لـ : الحكومة الذاتية — فقد كان السادات يعتقد ان هذه العبارة تتشابه كثيرا مع عبارة بيجين : الحكم الذاتى . واقنعته ، بعد ضغوط شديدة ، بان يقبل الصياغة التى توصلنا اليها بشان القـدس ، بشرط ان يكون هناك تبـادل للخطابات بيننا يعيد تاكيـد الموقف التاريخى للولايات المتحدة بان القدس الشرقية جزء من الضـفة الغربية . ووافق السادات على ان يحتفظ اليهود وحدهم ، وبشكل دائم ، بحائط المبكى)) .

((وقلت له انه لا يوجـد بديل لأن اقـوم بمعالجة مسـألة المستوطنات ، بشكل مباشر وشخصى ، مع رئيس الوزراء بيجين ، الذى سوف يقدم الى كوخى فى غضون بضع دقائق ... وشعرنا ، انا وفانس ، بالارتياح البالغ من هذا اللقاء)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٩٥) .

... ...

(١٣) يقـول كارتر عن اجتماعه هـذا مع بيجين ودايان وباراك ، والذى انعقد فى مساء اليوم الثانى عشر من أيام كامب دافيد ، الموافق ١٦ سبتمبر ١٩٧٨ :

« قدم بيجين وبصحبته دايان وباراك . وكان ذلك أمرا يبعث على السرور . فقد كان هذان الرجلان هما وحدهما فى كامب دافيد اللذان كانا يستطيعان التأثير على بيجين » .

« وبينما كنت ، أنا وفانس ، نأكل الخبز الجاف والجبن ، قمت بتعداد الفوائد التى سوف تعود على اسرائيل من الاتفاق المقترح . ثم شرع بيجين يتحدث ، مرة اخرى ، عن المستوطنات المباركة . ولكننى أصررت على أن نقوم باستعراض الوثيقتين بطريقة منظمة ، وفقرة فقرة . فقد كنت أريد أن يدرك الاسرائيليون كم كان ضئيلا حجم الخلافات الخاصة بسيناء ، وكان واضحا لى ان السـادات سوف يكون مستعدا لقبول كل ما يقترح الجانب الاسرائيلى ادخاله من تعديلات تقريبـا . ولم يكن الباقى بذى أهمية كبيرة لبيجين ، وكنت واثقا انه لن يصر عليها » .

« ثم انتقلنا الى موضوع المستوطنات مرة أخـرى . وأصر بيجين على أن يقوم بالتفاوض مع السادات حول كافة ما تبقى من امور ، خلال ثلاثة اشهر ، لمحاولة التوصل الى معاهدة سـلام نهائية ، وتسـوية كافة الخلافات المتبقية . فاذا ما صادفت تلك الجهود نجاحا كاملا ، فسوف يحيل مسالة اجلاء المستوطنات الى الكنيسيت . وقلت له ، المرة بعد الأخرى ، ان هذا الاقتراح لن يجد قبولا لـدى السادات ، الذى كان يصر على أن يلتزم الجانب اسرائيلى باجلاء كافة المستوطنين الاسرائيليين من اراضيه قبـل اجراء اية مفاوضات اخـرى » .

« وظننت ان النقاش لن ينتهى ابدا . وكان واضحا ان الأمر مؤلم جدا لرئيس الوزراء بيجين ، الذى كان يصرخ بعبارات مثل :

مطالب متطرفة ، وانذار ، وانتحار سياسى . ولكنه وعد أخيرا ، على اية حال ، أن يتقدم الى الكنيسيت بالسؤال التالى ، وذلك فى غضون أسبوعين : اذا تم التوصل الى اتفاق حول كافة القضايا المتعلقة بسيناء ، فهل يتم اجلاء المستوطنين ؟)) .

((واعتقدت ان هذا التنازل سوف يكون كافيا للسادات . لقد حدث الاختراق)) .

((وسألت بيجين اذا كان سوف يتخذ موقفا حياديا أثناء مناقشة الكنيسيت لهذه القضية ، ولكنه لم يعد بشىء . ولكنه وافق ، على اية حال ، على تجميد الانضباط الحزبى ، وان يدع كل عضو فى الكنيسيت يدلي بصوته كفرد مستقل . واكد لى ان نفس الشىء سوف ينطبق على أعضاء مجلس الوزراء . وسألت دايان عن رأيه ، ولكنه لم يقدم لى وعدا حاسما بتأييد ما أريد)) .

((واتفقنا جميعا على ان ما قررناه ، الآن يمثل خطوة كبيرة الى الأمام)) .

((ثم دار بيننا نقاش ودى ، بشكل يثير الدهشة ، حول اطار السلام . وكانت الآراء باراك فائدة كبيرة ونحن نراجع النص المقترح بأكمله . وكان دايان مستجيبا تماما فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية . وقد قال بشىء من الحماس : سوف ندع الفلسطينيين ينضمون الى الأردنيين أثناء التفاوض حول معاهدة السلام مع اسرائيل . واستجابة لطلب السادات ، بحثنا عن بديل لـ : الحكم الذاتى للفلسطينيين . وأخيرا عثرنا على : كيف سوف يحكم الفلسطينيون أنفسهم . ولم يكن هناك فرق ظاهر بين الصياغتين ، ولذا فان ضررا ما لم يحق بأحد)) .

((وقد كان لدى مساحة واسعة للمناورة فيما يتعلق بمشاكل الضفة الغربية وغزة . ذلك انه من حسن الحظ ان السادات لم

يكن مهتما ، بشكل خاص ، بالصياغة التفصيلية لاطار السلام . كذلك ، فانه فيما عدا مسألة المستوطنات فان بيجين لم يكن يولى تفاصيل اتفاق سيناء اهتماما كبيرا)) .

((وفيما يتعلق بالقدس ، فقد أخبرت القادة الاسرائيليين ان السادات قد وافق على لفقرة (لخاصة بها) كما وردت فى مسودة نص اتفاقية الاطار ، ولكنه يريد تبادل خطابات حولها بشكل منفصل ، حتى يمكن لكل دولة ان تعلن رايها المختلف كجزء من السجل الرسمى . ويمكن للاسرائيليين ، اذا ارادوا ، ان لا يشاركوا فى تبادل الخطابات هذا ، وأن يعلنوا رأيهم بطريقة اخرى ، اذا شاءوا)) .

((وفيما يتعلق بمستوطنات الضفة الغربية ، توصلنا ، أخيرا ، الى صياغة مرضية ، وهى : ان لا تتم اقامة اية مستوطنات اسرائيلية جديدة بعد التوقيع على اتفاقية اطار السلام ، وأن يتم التوصل الى حل لمسألة اقامة مستوطنات جديدة خلال المفاوضات المقبلة ، وان ذلك سوف يتم تقريره فى خطاب علنى يرسله بيجين الى — وقد انكر بيجين ، فيما بعد ، انه قد وافق على ذلك ، وادعى انه وعد فقط بالتوقف عن اقامة مستوطنات جديدة خلال فترة الثلاثة أشهر . ولكن المذكرات التى كنت ادونها واضحة فيما يتعلق بذلك ، وهى تقول انه قد تم الاتفاق على تجميد المستوطنات الى نهاية المفاوضات . كما ان فانس يؤكد تفسيرى هذا)) .

((وبعد ان غادرنا القادة الإسرائيليون ، اتفقنا ، أنا وفانس ، على اننا قد توصلنا الى تسوية ، على الأقل فيما يتعلق بكامب دافيد . ولم يكن هناك شك فى ان السادات سوف يقبل توصياتى فيما يتعلق بالقضايا التى تمت مناقشتها مع بيجين الآن)).

(كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٩٥ — ٣٩٧) .

... ...

(١٤) انظر الهامش رقم ((٩)) ، فيما يتعلق بالجو السائد بين أعضاء الوفــد المصرى .

ومن ناحية أخرى ، فان كارتر يقول انه عقــد صباح ذلك اليوم (الثالث عشر من أيام كامب دافيد ، الموافق يوم الأحــد ١٧ سبتمبر ١٩٧٨) اجتماعا مع السادات . وتمضى رواية كارتر لوقائع هذا الاجتماع على النحو التالى :

((كنت أتوق لمقابلة الرئيس السادات. وسرعان ماالستعرضنا، أنا وهو ، المقترحات الخاصة بالصياغة النهائية . وكنت متأكدا ان التغييرات التى كان يريد ادخالها سوف تكون مقبولة من جانب الاسرائيليين . وكانت المشكلة الخطيرة الوحيــدة هى رغبته فى حذف الفقرة الخاصة بالقدس بأكملها . وكنت أعلم ان الاسرائيليين يريدون نفس الشىء ، ولكننى أعترف بأننى لم ابلغ السادات بذلك. فقد كنت أريد الاحتفاظ بهذا التنازل كورقة مساومة قــد احتاج لاستخدامها فيما بعد)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس ، ص ٣٩٧).

... ...

(١٥) تتطابق رواية وايزمان عن هذا اللقاء مع الرواية التى يقدمها المؤلفون ، الأمر الذى يشير الى ان مصدر معلومات المؤلفين هو وايزمان نفسه ، أو أحد موظفى مكتبه . وتمضى رواية وايزمان للقائه هذا مع السادات على النحو التالى :

((ومع ذلك ، فقد كانت لا تزال هناك بضع قضــايا ثانوية دون حل . فقد اتضح ان الاتفاقية تقضى بأن تقوم اسرائيل بنزع سلاح منطقة تمتد على طول حدودها ، ولكنها اصــغر حجما من المنطقــة المصرية المنزوعة السلاح . ومع ذلك ، فقــد كان من الصعب على اسرائيل أن توافق على هذا الأمر . وكنا نريد زيادة حجم القوة التى ســوف يسمح لنا بتمركزها فى هذه المنطقة .

وذهبت الى الســادات لأرى ان كنت استطيع ان احصــل على موافقته على ذلك)) .

((وسألنى السادات : كم كتيبة تريدها هناك ؟)) .

((واجبت : ثلاث كتائب من حرس حدودنا)) .

((وقال السادات فى سخاء ، حســنا يا ايزر ، من اجلك ، سوف نجعلهم اربعة كتائب . منذ حرب اكتوبر ، لم يعد لدى عقد)).

(وايزمان ، ((معركة السلام)) ، ص ٣٧٣ و ٣٧٤) .

... ...

(١٦) يقول كارتر عن هذه الأزمة التى نشبت حــول مسألة الخطابات المتبادلة بشأن القــدس :

((... نشبت مشكلة خطيرة مع الجانب الاسرائيلى . فقــد كان فانس قد اطلعهم على نسخة من مسودة الخطاب الذى سوف ابعث به الى السادات ، الذى يعيد تقرير موقف الولايات المتحدة بشأن القدس ، والذى كان ، بدوره ، قد تحدد رسميا فى مناقشات الأمم المتحدة عبر ســنوات طويلة . وحدثت ضــجة لا اول لها ولا آخر ، واعلن بيجين انه لن يوقع على اية وثيقة ، اذا ارسلنا اية خطاب الى السادات بشأن القــدس)) .

((واتصــل بى هاميلتون جــوردان تليفونيــا ليبلغنى ان الاعتراضات الاسرائيلية على خطاب القدس خطيرة الى اقصى حد، وان الاسرائيليين عازمين على رفض التوقيــع على اية اتفاقيــة على الاطلاق . وأكد لى فانس ما ابلغنى به هاميلتون جوردان ، وقال ان اى من الاسرائيليين لم يفهم اننا سوف نكتب خطابا ((ننتقد فيه اسرائيل لاحتلالها القدس الشرقية)) ، حتى بعد ان شرحنا لهم مسألة الخطابات المتبادلة الليلة المــاضية)) .

((وعدت الى كوخ هولى ، حيث عقدت اجتماعا غير مرضى مع دايان ووايزمان وباراك ومونديل وفانس وبرزيزنســكى . وطلبت نصوص البيانات التى ادلى بها سفراء امريكا الى الأمم المتحــدة

اثناء المناقشات التى دارت هناك حول القدس . وكان السفراء تشارلز يوست وآرثر جولدبرج ووليام سكرانتون ، قد ادلوا ببيانات حول هذا الموضوع ، ولكننى لم اكن قد قرأت نصوص هذه البيانات بالفعل)) .

((ثم طلبت من باراك أن يعود معى الى كوخى لكى نستعرض معا مسودة الخطاب المقترح ، لكى نجد الصياغة المقبولة . وقد اتخذ موقفا متصلبا ، مثله مثل باقى الاسرائيليين ، وأصر ان الموقف اصبح ميؤسا منه . ولكننى اقترحت ، على اية حال ، أن نحذف الاقتباسات الواردة من نصوص بيانات الأمم المتحدة ، وأن نقول ان موقف الولايات المتحدة بهذا الشأن هو نفسه الموقف الذى عبر عنه السفراء الأمريكيين الثلاثة فى بياناتهم التى ادلوا بها فى الأمم المتحدة . ووافق كل من دايان وباراك على مناقشة هذا الاقتراح مع بيجين)) .

((وكانت سكرتيرتى ، سوزان كلوخ ، قد احضرت لى ، من قبل ، صورا فوتوغرافية لبيجين وللسادات ولى . وكان الرئيس السادات قد وقع على هذه الصور . وكان بيجين قد طلب منى أن اكتب كلمة لأحفاده على هذه الصور . واقترحت سوزان أن تحصل على أسماء احفاد بيجين ، لكى اوجه ما اكتبه لكل منهم باسمه . وقد فعلت ذلك ، وذهبت بهم الى كوخ بيجين . وكان يجلس فى الشرفة الأمامية وهو فى اقصى حالات التوتر العصبى بسبب انهيار المباحثات فى اللحظة الأخيرة)) .

((واعطيته الصور الفوتوغرافية . فأخذهم وشكرنى . ثم نظر الى الصور ، ورأى اننى كتبت اسم حفيدته على الصورة العلوية . فنطق اسمها بصوت عال ، ثم اخذ يردد أسماء احفاده المكتوبة على باقى الصور . وارتعشت شفتاه ، وترقرقت الدموع فى عينيه ، واخذ يحكى لى عن كل طفل ، وخاصة عن من كان يبدو انه حفيده المفضل . كان كلانا فى حالة عاطفية بالغة (فتأمل))) .

« ... ثم طلب منى الدخــول معه الى الكوخ ، وطلب من الحاضرين مغــادرة الغرفة . وكان هادئا ، وودودا بشكل يثير الذهول . وقال — دون أن يدلى بأى معلومات تاريخيــة — ان مسألة القــدس هم أهم المسائل جميعا ، وانه أســف ، ولكنه لا يستطيع أن يقبل خطابنا الى مصر . وقلت له اننى قد وضعت صورة جديدة للخطاب ، وسلمتها الى دايان وباراك . ولم يكن قد رآها بعد . واقترحت عليه أن يقرأها ، وأن يبلغنى بعــد ذلك بقــراره . وقلت له اننى لا أســتطيع البتة نقض ما التزمت به للسادات حول الخطابات المتبادلة ، وان مســتقبل أية مباحثات حول السلام فى المستقبل يتوقف على مدى تقييمه ، هو والسادات، لنزاهتى ، واننى لا استطيع ان انتهك وعدا قطعته على نفسى » .

« وعدت الى كوخى محبطا لأقصى حد . وكان السادات هناك ومعه اسامة الباز . وكلان كلاهما يرتدى ملابسه الكاملة استعدادا للرحيل الى واشــنطون . وطلبت من الجميع مغادرة الغرفة ، ثم ابلغت السادات بما يحدث . وأدركنا اننا ، جميعا ، بذلنا أقصى ما نستطيع ، ولكن الاحتمالات لا تبعث على التفاؤل » .

« ثم اتصل بى بيجين تليفونيا ، وقال : سوف اقبل الخطاب الذى أرسلت لى مسودته بشأن القدس . واطلقت تنهيدة ارتياح . فقد بدأ الآن آن آخر العقبات قد أزيلت من الطريق » .

« ... ثم قــدم باراك يحمل مسودة صــياغة بيجين للفقرة الخاصة بمستوطنات الضــفة الغربية واقتراع الكنيسيت . وكان كلاهما غير مرضى ، ويتناقض مع ما كنا قد اتفقنا عليه من قبل . وقرأت لباراك ما كتبته فى مذكراتى التفصيلية حول ما تم الاتفــاق عليه ، وطلبت منه اعادة الخطابات الى رئيس الوزراء . وقد أكد باراك دقة صياغتى » .

« وبعد بضع دقائق ، اتصل بى بيجين تليفونيا ، وقال انه لا يستطيع قبول صياغتى بشأن الاقتراع فى الكنيسيت ، لأنها تمثل

تهـديدا لاستقلال المجلس النيابى . وكان من الصعب على فهم ما يقول ، ولكن الأمر كان بالغ الأهمية . ذلك ان استعداد السادات للتفاوض كان مشروطا بقبـول الكنيسيت اجـلاء المسـتوطنين الاسرائيليين . وكان بيجين يريد أن تقول هذه الفقرة : ان مفاوضات السلام سـوف تبدأ بعد اقتراع الكنيسيت . ولكننى أصررت أن تقول الفقرة : ان مفاوضات السلام لن تبـدأ الا بعد أن يجرى الكنيسيت الاقتراع . وبعـد شىء من الجدال ، وافق باراك على صياغتى . وكتبت هذه الصياغة على قطعة من الورق واعطيتها لونديل كى يطلع عليها القائدين ، ويحصل على موافقتهما . وبعد عدة دقائق ، ذهبت الى غرفتى الأمامية ، ودهشت عندما وجـدت ونديل هناك . فقال ان القائدين مجتمعان فى كوخ السـادات ، وانه احجم عن قطع حديثهما . وقررت ان اذهب الى هناك بنفسى ، لأننى ظننت ان من المهم أن اتدخل بنفسى اذا كانا يتجادلان » .

« جريت الى كوخ السـادات ، ورأيت بيجين على وشك مغادرته ومعه باراك . وكان سعيدا جدا وهو يقول لى انهمـا ، هو والسـادات ، تناولا وليمة حافلة من الحب والمـودة ! وان السادات قد وافق على صياغة بيجين بشأن اقتراع الكنيسيت . وعرفت ان ذلك لا يمكن أن يكون صحيحا ، وسألت باراك ان يقول لى بالضبط ما قاله السادات . ولكنه كلما كان يبدأ فى الاجابة ، كان بيجين يقاطعه كى يقول شيئا آخر . واخيرا ، طلبت من رئيس الوزراء فى صراحة ان يدع باراك يجيب على سؤالى » .

« وروى لى بيجين ما دار من حـديث . فقـد سال بيجين السادات : هل تعتقـد انه يصح الضغط على الكنيسيت عنـد الاقتراع . وأجاب السـادات : لا ، لا يجب ان تكون هناك اية ضـغوط على الكنيسيت . وكان ذلك هو كل شىء . وقـد فسر بيجين ذلك بأنه يعنى انه يمكنه ان يضع اية صـياغة تعجبه كى يضمن حرية ارادة الكنيسيت عند الاقتراع » .

((وطلبت من باراك ان ياتى معى الى كوخى ... وراجعت الصياغة الاسرائيلية بدقة بالغة . كانت نقطة تثير الارتباك الى اقصى حد . وكنا جميعا منهكون تماما . ولكن فجأة ، وجدت تفكيرى يصفو ، وعثرت على طريقة لصياغة الخطابات النهائية الثلاث كلها بشكل يرضى كل من السادات وبيجين . وكتبت سوزان هذه الصياغة على الآلة الكاتبة ، وارسلت نسخة الى كل من القائدين، والى جميع اعضاء وفدنا ، بعد ان كتبت عليها التعليمات التالية : هذه هى الصياغة المضبوطة التى يجب استخدامها . لا تستخدم صياغة اخرى ، سواء كان ذلك بشكل رسمى او لا)) .

((وعندئذ فقط ، ادركت اننا قد نجحنا)) . (كارتر ، ((مذكرات رئيس)) ، ص ٣٩٨ — ٤٠١) .

... ...

(١٧) يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل :

((... وليس سرا ان الرئيس السادات كان يشرب (الكحوليات) بانتظام . وكان يقول ان ذلك بناءا على نصيحة الأطباء ، بعد تعرضه ، فى شبابه ، لعارض قلبى . وكان ، قبل الظهر ، يفضل الفودكا . وكان يشرب منها كأسا واحدا أو كأسين، قبل ان يبدأ مقابلاته عند الظهر . وكان تفضيله للفودكا يرجع الى اعتقاده بأنها لا تترك رائحة فى فم من يشربها . وعندما تصبح الساعة الثانية والنصف (بعد الظهر) ، يفرغ السادات من العمل ، وتعود الفودكا ، مرة ثانية ، الى الظهور)) .

((ويضيف الأستاذ هيكل ، ان السادات كان يبدأ سهراته برؤية افلام المغامرات الأمريكية ، وانه : ((خلال عرض الفيلم ، كان ، عادة ، يتناول قدحا ، أو اثنين ، من الويسكى)) . (هيكل ، ((خريف الغضب)) ص ٣٧٠ و ٣٧١) .

٢٤

السلام .. السلام ولكن ليس هناك سلام

تنقسم اتفاقية كامب دافيد الى قسمين . القسم الأول : يمثل اطارا لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل ، والقسم الثانى : يمثل اطارا لتحقيق السلام فى منطقة الشرق الأوسط . ويحوى القسم الأول بنودا تنص على انسحاب اسرائيل انسحابا كاملا من سيناء ـ بما فى ذلك الجلاء عن المستوطنات والمطارات ـ ونزع سلاح أجزاء من شبه الجزيرة ، مع اقامة مراكز للمراقبة تابعة للأمم المتحدة هناك . كما تقضى البنود الواردة فى القسم الأول أيضا بحق اسرائيل فى المرور من قناة السويس ومضايق تيران باعتبارهم ممرات دولية ، وبأن يتم انسحاب اسرائيل على مرحلتين رئيسيتين تنتهيان بعد مرور ثلاثة أعوام على التصديق على الاتفاقية . وبالاضافة الى ذلك ، تنص بنود القسم الأول على أن تعترف مصر اعترافا كاملا باسرائيل ، وأن تقيم علاقات دبلوماسية معها بعد اتمام المرحلة الأولى من الانسحاب (أى بعد مرور تسعة أشهر على التصديق على الاتفاقية ، وعندما تصل الحدود المؤقتة الى خطا : العريش ـ رأس محمد) . كذلك قبلت مصر بمقتضى الاتفاقية

ان تلتزم باقامة علاقات اقتصـــادية وثقافية واعلامية بينها وبين اسرائيـــل .

أما القسم الثانى فانه يضع خطوط ارشاد لاقامة ســـلطة حكم ذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ويدعو كل من اسرائيل ومصر والأردن الى الموافقة على اقامة حكم ذاتى كامل . كذلك تسمح البنود الواردة فى هـــذا القسم لمصر والأردن بضم ممثلين للفلسطينيين فى وفديهما . ويعتبر هذا القسم بمثابة ترتيب مؤقت لمدة لا تزيد عن خمسة أعوام ، تجرى خلالها مفاوضات حـــول الوضع النهائى لهذه الأراضى . كذلك تقضى بعض البنود بسحب القوات الاسرائيلية وتمركزها فى نقاط محددة ، وكذلك « سحب » الادارة العسكرية الاسرائيلية ، واجراء انتخابات لمجلس ادارى فلســـطينى .

وقد وعدت الولايات المتحـــدة من جانبها بمساعدة اسرائيل على اقامة مطارين جديدين فى صحراء النقب .

ويمكن القول ، بشكل عام ، ان اتفاقيتى كامب دافيد تتيح للأطراف المعنيـــة التحرك قدما نحـــو ابرام معاهدة ثنائية ـــ تتم صياغتها خلال ٩٠ يوما ـــ فى الوقت الذى تترك فيه حل المشـــكلة الفلسطينية الى مرحلة لاحقـــة .

... ...

كانت أياما عصيبة ـــ بالنسبة لكل من « بيجين » والسادات ـــ تلك التى أعقبت توقيع اتفاقيتى كامب دافيد .

ذلك انه بالنسبة للكثير من الاسرائيليين ، فان الانســـحاب الى حدود عام ١٩٦٧ والتخلى عن مستوطنات منطقة رفح ، كان يعنى تدمير الأسطورة التى تربى جيل كامل على الايمان بها ، والتى تقول ان الحدود الآمنة لابد وان تكون جزءا جوهريا فى اية تسوية

سلمية . وقد كانت كافة التيارات السياسية فى اسرائيل تطالب بالحدود الآمنة وباقامة مناطق عازلة .

وكان « فك » مستوطنات سيناء باعثا على الألم بوجه خاص . ذلك ان سكان منطقة « رفح » ظلوا يلقنون ، أعواما عديدة ، أن يعتبروا انفسهم روادا لبوا دعوة الحكومة للتضحية بالحياة المرفهة فى المدن الكبيرة من أجل تعمير الصحراء القاحلة . ولذلك فقد كان قرار التخلى عن مستوطنات سيناء بمثابة صدمة عنيفة لعدد كبير من المواطنين فى اسرائيل . وقد تزعم عدد من أقرب أصدقاء « بيجين » وأخلص تلامذته حملة المعارضة التى اتسمت بالعنف والمرارة .

ولم يكن السادات أيضا أفضل حالا . فقد طار من الولايات المتحدة الى الرباط ، على أمل أن يحصل على العزاء والتأييد من الملك الحسن ، الذى اتسم موقفه — على عكس ماتوقع السادات — بالحذر ورفض الالتزام بشىء ، وتجنب تأييد الرئيس المصرى أو ادانته علانية . وبالاضافة الى ذلك ، فقد دعا السادات العاهل الأردنى للاجتماع به فى المغرب ، كى يبلغه بما دار فى كامب دافيد ، ومن أجل اقناعه بالاشتراك فى المفاوضات القادمة . ولكن الملك الأردنى رفض الحضور الى المغرب بشكل قاطع . واضطر الرئيس المصرى الى الاكتفاء بعقد مؤتمر صحفى ظهر فيه فى حالة من العزلة الرائعة !

وبسبب الطبيعة الشمولية للنظام المصرى ، فقد كان لابد أن تتخذ معارضة اتفاقيتى كامب دافيد شكل الهمس والعمل السرى . ولكن الاخوان المسلمون عارضوا الاتفاقيتين علنا ، وذلك عن طريق توزيع شرائط تسجيل (كاسيت) تحوى خطبا وبيانات للشيخ كشك ، أحد الشخصيات الدينية المرموقة (١) .

تحييد المسيحيين (اذا كانت من حق المسلمين اقامة دولة فلماذا لا يكون ذلك من حق اليهود !) .

وكلما زادت الجهود التى يبذلها السادات من أجل الحصول على تأييد لسياسته فى العالم العربى ، كلما زادت خيبة أمله ، وكلما ازداد تدهور موقع مصر السياسى . وقد رفض الملك «خالد» ، حاكم المملكة العربية السعودية، تأييد اتفاقيتى كامب دافيد علنا(٢) .

وكان الملك خالد قد طار الى الولايات المتحدة ، عقب مؤتمر كامب دافيد بقليل ، لاجراء عملية جراحية فى قلبه بمستشفى « كليفلاند » بولاية « أوهيو » . وبعد أن تمت العملية بنجاح ، طلب الرئيس الأمريكى مقابلة الملك . ذلك ان « كارتر » كان يضع اهمية كبيرة على الفوز بتأييد المملكة السعودية للسادات ولاتفاقيتى كامب دافيد ، الأمر الذى يحول دون أن تتحمل الولايات المتحدة بمفردها الأعباء المالية المترتبة على الاتفاقيتين .

وقد اتصل « بيل كوانت » ، عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى ، تليفونيا بأحد أبناء العاهل السعودى ، وذلك من أجل الاتفاق على القضايا التى سوف يتم بحثها فى الاجتماع المرتقب . وقد قال ابن الملك :

ـ « من الأفضل أن لا يتحدثا كثيرا عن اتفاقيتى كامب دافيد، فقد يؤدى ذلك الى الاضرار بصحة جلالة الملك . وكلما قل الحديث حول هذا الموضوع ، كلما كان ذلك أفضل لكل من جلالة الملك والرئيس . وأنا أنصح بتركيز الحديث حول مسائل أخرى » .

كوانت : « وهل هناك موضوع يهم جلالة الملك بشكل خاص ؟ » .

ابن الملك : « نعم ، بالتأكيد . ان جلالة الملك يجب الحديث عن صيد الحبارى بالعقبان » .

وأصيب « كوانت » بالدهشة ، فهو لم يكن يعرف شيئا عن هذا الأمر ، كما كان يعتقد أيضا ان كارتر نفسه يجهل تماما أى شىء يتعلق بطائر الحبارى أو بالصقور . ولهذا ، فانه قبل أن يصل العاهل السعودى الى واشنطون ، كلف أحد موظفى « مجلس الأمن القومى » بالبحث فى المراجع الموجودة بالمكتبات العامة حول هذا الموضوع ، وكتابة تقرير واف عنه !!

• • • • • • • • •

وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٨ ، صدق الكنيسيت — بعد يومين من المناقشات — على اتفاقيتى كامب دافيد بأغلبية ٨٦ صوتا ضد ١٩ صوتا معارضا .

وكان قد اتفق فى كامب دافيد على أن يقوم الجانبان ، فى بحر ثلاثة شهور ، بالتوصل الى حلول للمشاكل التى كانت لا تزال قائمة بينهما ، والتوقيع على معاهدة سلام . وكان كل من السادات و « بيجين » قد أعلنا ، بعد عودتهما الى بلديهما ، بأن المشاكل التى لم يتم بعد حلها لا تمثل أكثر من ٢٪ من تلك التى تم حلها . ولكن مشاكل جديدة كانت تطفو كل يوم على السطح . فقد شب النزاع بين البلدين حول الموعد النهائى لاقامة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة . كذلك كانت هناك مشكلة اعطاء اتفاقيتى كامب دافيد الأسبقية على الأحلاف الدفاعية التى أبرمتها مصر مع البلدان العربية الأخرى ، والتى كانت اسرائيل تعتبر انها موجهة ضدها . كما كانت هناك أيضا مشكلة ازالة الربط بين الاتفاقية المصرية — الاسرائيلية ، وبين الترتيبات الجديدة فى الضفة والقطاع .

وبمرور الوقت ، تعاظم التوتر فى منطقة الشرق الأوسط . وعلم الاسرائيليون ان « أندرو يونج » ، سفير الولايات المتحدة الى الأمم المتحدة آنذاك ، قد دلى للصحفيين بتصريح — ليس للنشر — قال فيه ان الملك خالد قد حصل من الرئيس كارتر على تأكيدات بأن القدس الشرقية سوف تعاد للحكم العربى فى المستقبل .

كذلك لم تؤد الزيارة التى قام بها « هارولد سوندرز » — وكيل وزارة الخارجية الأمريكية — لكل من السعودية والأردن الى تحسين الجو . فقد كان استقباله فى عمان يتسم بالفتور ، كما ان دعوته للملك حسين للاشتراك فى المفاوضات قوبلت بالرفض .

كذلك ابلغه المسؤولون فى الرياض انهم يريدون حلا أفضل من ذلك للمشكلة الفلسطينية ، بالاضافة الى اعادة القدس الشرقية الى الحكم العربى .

وكان استقبال « سوندرز » فى القدس خاليا أيضا من الحرارة . ذلك ان القادة الاسرائيليين لم ينسوا ان « سوندرز » كان هو الذى أعلن — أيام كان يعمل مساعدا لهنرى كسينجر — ان المشكلة الفلسطينية تمثل القلب بالنسبة للصراع الدائر فى الشرق الأوسط .

وأثناء عشاء عمل أقيم فى دار السفير الأمريكى فى اسرائيل ، « صمويل لويس » ، واجه « سوندرز » هجوما حادا . وكانت الدعوة قد وجهت الى عدد من زعماء المعارضة ، والذين كان « سوندرز » يأمل فى الحصول على قدر من التأييد من جانبهم . ولذا فقد اصابته الدهشة حين رأى زعماء المعارضة يشنون هجوما عنيفا على الولايات المتحدة . وعندما فرغ ايجال آلون من تعداد الوعود التى لم تف بها الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٥ ، لم يجد « سوندرز » مفرا من أن يرد عليه فى حدة قائلا :

ـ « وماذا عن العشرة مليارات من الدولارات التى تلقتها اسرائيل ؟ الا يعد ذلك شيئا ؟ » .

وقال احد المدعوين من الاسرائيليين انه كان من الافضل لو ان اسرائيل اجرت المفاوضات مباشرة مع مصر بدون تدخل من الولايات المتحدة . ورد عليه « صموين لويس » قائلا :

ـ « اننا نرحب بذلك تماما . اذا كان ذلك فى مقدوركم ، فلماذا لا تفعلون ذلك ؟ ! .

ولم تؤد لقاءات « سوندرز » ايضا مع بعض ممثلى سكان الضفة الغربية الى اية نتيجة . وقد قال « سوندرز » ملخصا انجازات جولته :

ـ « كنت اشعر كما لو كنت احاول بيع سيارة مستعملة فسد محركها وفرغ الهواء من اطاراتها ، ولا نجد مشتريا واحدا » .

وقد وردت الحكومة الاسرائيلية بغضب على ما اعتبرته تدخلا فى الشئون الداخلية الاسرائيلية الحساسة . فبينا كانت طائرة « سوندرز » لا تزال فى طريقها الى الولايات المتحدة ، اصدر مجلس الوزراء الاسرائيلى قرارا دراميا بتكثيف المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية ، ونقل مكتب « بيجين » الى القدس الشرقية .

وقد ابلغ المسؤولون الاسرائيليون الصحفيين ، بشكل غير رسمى ، ان هذه الاجراءات هى رد اسرائيل على ما قاله « سوندرز » للقادة الاردنيين من ان حكومة الولايات المتحدة تعتبر تلك الاجزاء التى استولت عليها اسرائيل فى القدس الشرقية جزءا من الاراضى المحتلة .

وقد سكب « سوندرز » ، دون قصد ، زيتا على نيران التمرد فى الاراضى المحتلة : ورفع العلم الفلسطينى فى بعض الأماكن ، كما دعا بعض الفلسطينيين الى اقامة دولة فى الأراضى الاسرائيلية.

. . . .

وفى مقابلة هــذه الخلفية من الاضــطراب العام ، افتتح فى «بلير هاوس» فى واشنطون ، مؤتمر امريكى ـ اسرائيلى ـ مصرى بغرض وضع خطوط الارشاد الواردة فى اتفاقيتى « كامب دافيد » موضع التنفيذ ، وصياغتها فى معاهدة سلام تفصيلية ، بحيــث يستطيع الطرفان التوقيع عليها فى بحر الثلاثة الأشهر المنصــوص عليها فى الاتفاقيتين .

. . . .

فى بداية شهر اكتوبر ١٩٧٨ ، كان موقف الفريق « عبد الغنى الجمسى » أقوى مما كان عليه أبدا . وفى يوم ٤ اكتوبر ١٩٧٨ ، وهو اليوم الذى ادلى فيه السادات ببيان حول « كامب دافيد » فى مجلس الشعب المصرى ، تأخر الفريق « الجمسى » عن الوصــول الى مقر المجلس بسبب انفجار ماسورة مياه فى حى مصر الجديدة ، الأمر الذى ادى الى حــدوث اضطراب كبير فى حركة المرور الى وسط المدينة . وحين دخل وزير الحربية قاعة المجلس ، لم يجلس فى الصف المخصص للوزراء ، وانما جلس فى مقاعد الاعضــاء . وقد اعتذر الجمسى فيما بعد عن تأخره للسادات، الذى قال له : ان لا يهتم بالأمر . . وبعد انتهاء الجلســة ، دعا « الجمسى » مجموعة من الصحفيين الاسرائيليين لحضور العرض العسكرى الذى يقام بمناسبة حرب يوم الغفران فى ٦ أكتوبر . وفى مساء نفس اليوم ، دعا عددا من القواد العسكرية لتناول العشاء فى منزله . وقــد ذكر « الجمسى » للحاضرين ، فى مسار الحديث ، الاســباب التى دعته الى تأييد اتفاقيتى كامب دافيد ، بالرغم من ان احدا لم يطلب استشارته بشأنهما قبل التوقيع عليهما .

وفى صباح اليـوم التالى ، استدعى الرئيس المصرى وزير حربيته الى مكتبه ، وأبلغه نبأ اقالته من منصبه ، وذلك قبل دقائق قليلة فقط ، من قيام وكالة الأنباء المصرية الرسمية باذاعة النبأ ، مصـحوبا بتعريف مختصر بوزير الحربية المصرى الجديد ، اللواء « كمال حسن على » .

ولأن « الجمسى » لم يكن على علم بذلك ، فقـد اشار على السادات أن يستدعى اللواء « كمال حسن على » على الفور كى يسند اليه منصب وزير الحربية . ولكن السادات فاجأ « الجمسى » قائلا :

. . . .

ــ « لا ضرورة لذلك ، فهو يجلس الآن فى مكتبك فعلا ! » .

ولم يكن المسؤولون المصريون يخفون عدم ثقتهم فى «بيجين» وفى حكومته وفى ممثليه فى « بلير هاوس » أيضا . ذلك انهم اخذوا ، بعد انقشاع نشوة الابتهاج بابرام اتفاقيتى كامب دافيد ، يعاودون التفكير ، ويحاولون اثارة الشكوك ، وايجاد الثغرات فى الاتفاقيتين ، وذلك تخوفا من المخاطر الكامنة فى الاتفاقيتين . كذلك عبر القـادة المصريون عن شكهم فى قيام حكومة « بيجين » بتنفيذ خطة الحكم الذاتى بكاملها ، وكما تم الاتفاق عليها فى « كامب دافيد » . وقد زاد من انعدام الثقة هذه ، قرار الحكومة الأمريكية بربط معاهدة السلام بخطة الحكم الذاتى . **والغريب انه فى العديد من المناسبات ، كان المسؤولون الأمريكيون يتخذون مواقف اكثر تطرفا من مواقف الوفد المصرى نفسـه . وقد وصل الأمر الى حد ان الوفـدين المصرى والاسرائيلى فى مؤتمر « بلير هاوس » كانا ، بين الحين والآخر ، يختبئا من اعضاء الوفد الأمريكى ، حتى يستطيعا اجراء مباحثات حول نقاط معينة ، دون تدخل من الولايات المتحدة .**

وقد قاومت اسرائيل بشدة محاولات مصر والولايات المتحدة اقامة صلة قوية بين اتفاقيتى سيناء والضفة الغربية . وكان « دايان » و « وايزمان » ، اللذان كانا يمثلان اسرائيل فى مؤتمر « بلير هاوس » ، يحتجان بأنه من غير المعقول جعل عملية تحقيق السلام تتوقف على استعداد أطراف أخرى ، سواء كانت اردنية أو فلسطينية ، تعارض عملية السلام ذاتها ، وترفض الاتفاقيتين اللتين تم التوصل اليهما فى « كامب دافيد » . وكما قال « دايان » :

— « أن فى مقدور الفلسطينيين والأردنيين أن يدمروا عمدا عملية السلام » .

ورد عليه الفريق « كمال حسن على » الذى حل محل « الجمسى » فى منصب وزير الحربية ، وفى رئاسة الوفد المصرى فى « بلير هاوس » :

— « اننا لا نريد أن نبيع الفلسطينيين اسفل النهر . واذا لم يتعاون الأردن فى اقامة الحكم الذاتى ، فسوف نتحمل نحن هذه المسؤولية » .

دايان : « وما هو الوضع اذا لم يأت الفلسطينيون ؟ وما هو الموقف اذا رفضوا الاشتراك فى المفاوضات ؟ » .

ورد عليه « أشرف غربال » ، السفير المصرى فى واشنطون، قائلا :

— **« عندئذ فليذهب الفلسطينيون الى الجحيم ! »** .

كذلك اثيرت امكانية أن يرفض سكان الضفة الغربيةالتعاون فى مسألة الحكم الذاتى . واقترح المصريون ارسال وفد مصرى الى الأراضى المحتلة لمحاولة اقناع سكانها باهتبال الفرصة ، وقبول الحكم الذاتى .

وقد رد « دايان » على هذا الاقتراح المصرى قائلا :

ـ « انكم ترتكبون خطأ فادحا اذا اعتقدتم انهم سوف يستقبلونكم بأذرع مفتوحة . فمن المؤكد انهم سوف يقذفونكم بالطماطم الفاسدة ، بل وربما بالحجارة ايضا ! » .

ولضمان الربط بين قسمى الاتفاقية ، وللتأكد من تنفيذ الجزء الخاص بالحكم الذاتى ، أدخلت مصر والولايات المتحدة شروطا ثانوية ، مثل وضع موعد محدد يتعين اقامة الحكم الذاتى قبل حلوله . وخلال الأيام والليالى التى استغرقتها مؤتمر « بلير هاوس » ، تجول « الموعد المحدد » من موضوع الى موضوع آخر : فقد وضع « موعد محدد » لاقامة الحكم الذاتى ، و « موعد محدد » آخر لاجراء الانتخابات ، « وموعد محدد » ثالث للانتهاء من المفاوضات ... الخ .

ولكن الجو كان اقل توترا فى جلسات مجموعة العمل العسكرية ، التى كانت تحاول اعداد الملاحق العسكرية لمعاهدة السلام . وكان « البريجادير » « افراهام تامير » واللواء « طه المجدوب » يناقشان — تحت اشراف الجنرال «لورانس» الأمريكى — كافة التفصيلات . ومن النقاط التى اثارت نقاشا طويلا بين الرجلين : كمية السلاح الذى سوف يسمح لمصر بادخاله الى سيناء بعد توقيع معاهدة السلام . فقد كانت المناقشات التفصيلية تدور حول كل مدفع وكل دبابة . وكانت اسرائيل تهدف ، بطبيعة الحال ، الى التقليل ، والى اقصى حد ممكن ، من كمية السلاح المسموح بها ، وذلك من اجل خلق منطقة منزوعة السلاح جزئيا . وقد علق الوفد الاسرائيلى اهمية كبيرة على منع دخول الطائرات المقاتلة ، وبطاريات الصواريخ المضادة للطائرات ، من ذلك النوع الذى اسقط عددا كبيرا من الطائرات الاسرائيلية اثناء حرب يوم الغفران . وكان

الوفـد المصرى ، من جانبه ، يصر على السماح لمصر بادخال بطاريات الصواريخ هذه الى شبه جزيرة سيناء :

قال اللواء « طـه المجدوب » :

ـ « ان بطاريات هـذا النوع من الصواريخ جزء لا يتجزأ من تسليح كل فرق الجيش المصرى » .

ورد عليه البريجادير « أموس لابيروث » الضابط بسلاح الجو الاسرائيلى قائلا :

ـ « ولكن تقارير مخابراتنا تقول عكس ذلك ، وانه لا توجد بطاريات صواريخ فى جميع فرق الجيش المصرى » .

المجدوب : « ولكننى اقول لك ان ما قلته أنا هو الصحيح » .

لابيروث : « لم يكن الأمر هكذا حتى الأسبوع الماضى ، حين غادرت اسرائيـل » .

المجدوب : « حسنا ، انه هكذا الآن ! » .

وقد كتب الجنرال « لورانس » تقريرا الى الجهات المسؤولة يقول :

« اثبتت التحريات ان تسليح فرق الجيش المصرى لا يشمل بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات(٢) .

. . . .

وبينما كانت المناقشات تدور فى « بلير هاوس » فى واشنطون، فوجىء السادات بأنباء غير سارة . فقد قررت « دول الرفض » الاجتماع فى بغداد لمناقشة الاجراءات التى يتعين اتخاذها ضد مصر وضد معاهدة السـلام .

وكانت بغداد هي التي بادرت بالدعوة لعقد مؤتمر القمة هذا . فقد كان العراق يريد انهاء سنوات عزلته الطويلة ، وان يفوز بزعامة العالم العربي ، وان يمد نفوذه الى سوريا ، التي كانت اتفاقيتي « كامب دافيد » بمثابة ضربة عنيفة موجهة اليها .

وحتى اللحظة الأخيرة ، كان السادات يعتقد ان المملكة السعودية لن تؤيد عقد مؤتمر دعى اليه العراق الراديكالي . ولكن المملكة السعودية كانت تعتقد ان امكانية حدوث تصالح بين سوريا والعراق هي امكانية مستبعدة ، كما كان قادتها واثقين من قدرتهم على منع انزال عقوبات بمصر أو عزلها .

كذلك كانت العلاقات بين الرئيس المصري وبين الأمير « فهد » ، حاكم المملكة السعودية الحقيقي ، قد تدهورت بشكل شيء . وقد سمع المبعوثون المصريون الأمير « فهد » وهو يشكو ، في مرارة ، من التنازلات التي قدمها السادات فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، والتي زادت عما كان قد تم الاتفاق عليه بينهما قبل مؤتمر « كامب دافيد » . ورغم ان السعوديين كانوا يؤيدون الاتفاقيتين سرا ، فانهم كانوا يحثون السادات على اشتراط ثمن أكثر ارتفاعا بالنسبة للمسألة الفلسطينية .

وقد انتهى مؤتمر قمة بغداد بشن هجوم عنيف على اتفاقيتي «كامب دافيد» ، ودعوة مصر الى الامتناع عن توقيع معاهدة السلام . وطالب المؤتمر ايضا بأن تنسحب اسرائيل انسحابا كاملا من الأراضي المحتلة . كما اتخذ المؤتمرون قرارات سرية تتعلق بالعقوبات التي سوف يتم ايقاعها بمصر اذا ما وقعت على معاهدة سلام مع اسرائيل . وتشمل هذه العقوبات وقف المعونات المالية العربية لمصر ، وقطع العلاقات الدبلوماسية معها ، ونقل مقر الجامعة العربية من القاهرة ، ووقف عضوية مصر بها ، ومقاطعة الشركات والمؤسسات المصرية التي تتعامل مع اسرائيل .

كذلك أنشأ المؤتمر صندوقا لتقديم الدعم المالى الى سوريا والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية والأراضى المحتلة .

. . . .

وهكذا وقف العالم العربى صفا واحدا ضد السادات .

وقد كان لذلك الجو المعادى تأثيره على الرأى العام المصرى ، وعلى الحكومة المصرية ، التى حاولت أن تثبت أنها لم تعقد صلحا منفردا مع اسرائيل . كذلك كان لهذه الأحداث تأثير خطير على المفاوضات التى كانت تجرى فى « بلير هاوس » فى « واشنطون » . فقد زاد تصلب المواقف التى يتخذها الوفد المصرى ، الذى بدا وكأنه قد عقد العزم على أن لا يقدم أى تنازل مهما كان . ! — المترجم) كما ان الوفد الاسرائيلى — الذى كان يدرك أسباب التصلب المصرى — اتخذ أيضا موقفا حازما . فقد أعلنت مصر فجأة أن تبادل السفراء مع اسرائيل يتوقف على الخطوات التى سوف تتخذ فى الضفة الغربية . وزعمت مصر انها اتخذت هذا الموقف بسبب رفض اسرائيل تقسيم مراحل انسحابها من سيناء الى مراحل ثانوية . ولم تكن اسرائيل تريد الموافقة على ربط تبادل السفراء بالخطوات التى سوف تتخذ فى الضفة الغربية . كذلك أصبح واضحا ان مصر تريد الحصول على نتائج سريعة يمكن تقديمها للراى العام المصرى وللعالم العربى ، مثل تقديم موعد انسحاب اسرائيل من مدينة « العريش » ، عاصمة شبه جزيرة سيناء ، ومن آبار البترول المحيطة بخليج السويس ، وكذلك من دير « سانت كاترين » .

وقد رفضت اسرائيل ، بحزم ، كل هذه المطالب المصرية .

كذلك دارت مناقشات مطولة حول مسالة اعطاء معاهدة السلام المصرية — الاسرائيلية أسبقية على التحالفات الدفاعية

التى ابرمتها مصر مع بلدان عربية اخرى . وكانت اسرائيل تريد ضمانا بأن مصر لن تشترك فى حرب ضد اسرائيل تشنها الـــدول العربية الأخرى . ولكن مصر كانت تحتج بأن اتفاقياتها الدفاعية مع البـــلدان العربية الأخرى تستهدف اغراضا اخرى ، وانهـــا لابد من أن تظل قائمة ونافذة المفعــــول طالمـــا لم يتم تحقيـــق الســـلام الشامل فى منطقة الشرق الأوسـط . وبعد جدال طـــويل ومرير تخلت اسرائيل عن مطالبتها بالغـــــاء الالتزامات المصرية تجـــاه البلدان العربية .. واكتفى الوفد الاسرائيلى بالمطالبة بأن تصدر مصر رســالة تعلن فيهـــا انها لن تهاجم اسرائيل اذا هاجمتها دولة عربية اخرى .

وقد زاد الوفد الأمريكى الأمور تعقيـــــدا . فقد كان راى المستشار القانونى لوزارة الخارجية الأمريكية انه لا يوجد ما يحول بين مصر وبين ان تخف لمعونة دولة عربية ارتبطت معها باتفـــاقية دفاع ثنائية او جماعية ، اذا ما تعرضت هذه الـــدول العربيـــة لعدوان من جانب دولة اخرى .

ومما زاد من صعوبة المباحثات التى كانت تجرى فى « بلير هاوس » ان أيا من ممثلى اسرائيل ــ «دايان» و «وايزمان » ــ لم يكن يمتلك سلطة اتخـــاذ قرار فورى بالنسبة لأكثر المسائل تفاهة . وكان ذلك يثير غضبهما بطبيعة الحال . وقد قال «دايان» لـــ « وايزمان » ذات مرة اثنـــاء المباحثات :

ــ « لو كان بن جوريون حيا ؛ لتحقق الســـلام منذ شهور عديدة ! » .

وفى الواقـــع ان مجلس الوزراء فى القدس هو الـــذى كان يدير المفاوضات فى « واشنطون » . وكان «بيجين» وباقى الوزراء يتلقون تقـــاريرا شبه يومية عن سير المفاوضات وعن المقتـــرحات

التي قدمها الطرفان الآخران . وبطبيعة الحال ، فقد كان من السهل على مجلس الوزراء الاسرائيلي ، وهو على بعد آلاف الأميال من واشنطون ، أن يرفض المقترحات المصرية الأمريكية أيضا . كما أن قبضة « بيجين » على مجلس الوزراء كانت قد خفت كثيرا في ذلك الوقت ، بحيث انه لم يعد يقود المجلس ، وانما كان على العكس من ذلك يترك مجلس الوزراء يقوده هو نفسه . وقد آثار رفض عدد من المقترحات غضبا شديدا في واشنطون . وذات مرة ، عندما طار « وايزمان » الى القدس للتشاور في امر يتعلق بالمفاوضات الجارية في واشنطون ، قوبل بالسؤال التالي : « ما الذي قمت ببيعه اليوم ؟ » .

أما بالنسبة الى مصر ، فقد كانت عملية اتخاذ القرار اكثر بساطة : فالسادات وحده هو الذى يزن الأمور ، وهو وحده أيضا الذي يتخذ القرار .

وانتهى مؤتمر « بلير هاوس » دون التوصل الى اتفاق . وبدا السلام بعيدا . ولم يكن أحدا اتوقيع ان يتم التوقيع على معاهدة السلام بعد مرور ثلاثة اشهر على التوقيع على اتفاقيتي «كامب دافيد» . بل ان قرار منح كل من السادات و «بيجين» بجائزة نوبل للسلام لم ينجح في تخفيف مرارة الوضع .

هوامش الفصــل الرابع والعشرون

(١) يلاحظ ان المؤلفين قد قصروا معارضة اتفاقيتى كامب دافيد على حركة الاخوان المسلمين الدينية،التى اتسمت معارضتها لهاتين الاتفاقيتين بالفتور وعدم الاستمرار ، وتغافلوا عن معارضة حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، وباقى قطاعات اليسار فى مصر ، لهما ، رغم اتسام هذه المعارضة بالاستمرارية والحملة. كما تغافل المؤلفون ايضا عن البيــان الذى اصدره حزب الوفــد الجديد ــ والذى كان يقال انه يضم آنذاك نحــو المليون عضو ــ والذى انتقد فيهــا الاتفاقيتين انتقادا عنيفا ويعكس هذا الاغفال المتعمد ، من جانب المؤلفين ، تكتيكا معروفا اتبعته الحــــركة الصهيونية منذ قيامها ، يهدف الى طمس الطابع الســــياسى البحت للحركة ــ بوصفها حركة استيطان استعمارى عميلة ــ وتقديم الصراع العربى ــ الاسرائيلى بوصفه صراعا دينيــا بين المسلمين ((المتطرفين)) وبين اليهود . ويعود هذا التكتيك بفوائد عديدة بالنســة على هذه الحركة ، من بينها تحييد معتنقى الــدين المسيحى فى العــالم العربى ، وفى العــالم الغربى بصفة خاصة ، بحجة ان لا مصلحة لهم فى هذا الصراع ، وبانه اذا كان من حــق المسلمين ((المتطرفين)) اقامة دولة اسلامية ، تقــوم بتمثيــل

المسلمين فى العـــالم كله ، فلماذا لا يتمتع اليهود بهذا الحق ايضا.
كذلك فان هذا التكتيك يتيح للحركة الصهيونية ازالة الاختلافات الجوهرية بين الحركة الصهيونية ـ كحركة سياسية صرفة ـ وبين اليهود بوجـه عام ـ بوصـــفهم يعتنقون احـد الأديـــان السماوية ، الأمر الذى يدعم ادعائها بانها الممثل الوحيد ليهود العالم . (انظر ايضا الهامش رقم «٣» للفصل رقم ٨) .

... ...

(٢) كان مجلس الوزراء السعودى بعد اجتماع عقده برئاسة الملك خالد ، عقب زيارة السادات للقدس قد اصدر بيـــانا اعلن فيه معارضة المملكة لسياسة رئيس النظـــام المصرى .

... ...

(٣) يكشف ذلك عن احد الاهـــداف الرئيسية التى ترمى اليها اسرائيل من وراء ما يسمى بـ « عملية السلام » ، وهــو اضعاف قدرات الجيش المصرى فى الدفـــاع عن الأمن المصرى ، والعربى بالتبعية ، كما يكشف ، ايضا ، عن فجر ادعاءات اسرائيل بان كل ما تسعى اليه هو مجــرد ضمان امن حدودها . ذلك ان الصواريخ المضادة للطائرات هى ـ بحكم طبيعتها ذاتهـــا ـ من الأسلحة الدفاعية البحتة .

المفاوضـــة على الطريقة الساداتية

كان مقررا أن يتقدم صلاح عيسى لهذه الترجمة بدراســـة بعنوان المفاوضـة على الطريقة الساداتية ، ولكن تضخم حجم الكتاب حال دون نشرها ، ووعـــد صاحبها بنشرها فى كتاب مستقل فى فرصـــة قريبة .

فهـــرس

فى الأعـداد القادمة من

كتاب الأهالى

ـ مدرسة السادات السياسية واليسار المصرى

تأليف : لطفى الخولى

ـ مدخل الى الاشـتراكية

تأليف : د. فؤاد مرسى

ـ الطلاب والحركة الوطنية المصرية

تأليف : د. احمد عبد الله

ترجمة : اكرام يوسـف

ـ الزعيمان (سعد زغلول ومصطفى النحاس)

تأليف : د. رفعت السعيد

ـ حكايات من مصر

تأليف : صلاح عيسى

تصـدر تباعا

كتاب الأهالى

دليـــل المواطن لمشــاكل الوطن وهموم الأمن وفكر العصر

صـــدر منهـــا :

١ ــ مستقبل الديمقراطية فى مصر ــ **خالد محى الدين**
٥٠ قرشـــا

٢ ــ الأسس القرآنية للتقدم ــ **د. محمد احمد خلف الله**
٥٠ قرشـــا

٣ ــ فى اصلاح ما أفسده الانفتاح ــ **د. ابراهيم العيسوى**
جنيه واحـــد

٤ ــ محنة التعليم فى مصر ــ **د. سعيد اسماعيل على**
٧٥ قرشـــا

٥ ــ دعم الأغنياء ودعم الفقراء ــ **تقرير التجمع عن مشكلة الدعم**
٥٠ قرشـــا

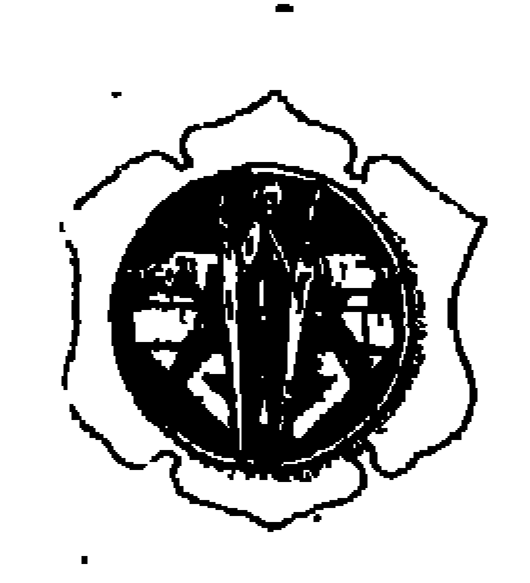
٦ ــ هل نهدم السد العـــالى ــ **فليب جـــلال**
٥٠ قرشـــا

٧ ــ بنـــوك وباشـــاوات **ترجمة : عبد العظيم أنيس**
١٢٥ قرشـــا

٨ ــ انهم يخربون التعليم **د. سعيد اسماعيل على**
١٢٥ قرشـــا

تطلب الأعداد الســابقة من : مقـــر الأهـــالى (٢٣ شـــارع عبد الخالق ثروت شقة ١٨ ــ القاهرة) . المقر المركزى للتجمع (١ شـــارع كريم الدولة متفرع من ميدان طلعت حرب بالقاهرة) . دار الثقافة الجديدة (٣٢ شـــارع صبرى أبو علـــم) . مكتبـــة مدبولى (٨ ميدان طلعت حرب) .

رقم الايداع ٨٦/٤٥٠٨



شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع
إخوان مورافتلي سابقاً
تأسست سنة ١٨٩٨
١٦ شارع محمد رياض - أرض شريف - عابدين - القاهرة تليفون : ٩٠٤٠٩٦٠

يروى هذا الكتاب القصة السرية لمبادرة السلام الساداتية على لسان ثلاثة من الصحفيين الاسرائيليين ، الذين اتيح لهم ، ان يطلعوا على كثير من اسرار ماجرى بين السادات ومعاونيه ، وبين الطرفين الآخرين فى اتفاقيات كامب ديفيد وهما جيمى كارتر .. ومناحم بيجين ..

واحد هؤلاء المؤلفين ، وهو «ايتان هابر» هو المراسل العسكرى لصحيفة «يديعوت إحرانوت» ومؤلف أهم كتاب صدر عن حياة «مناحيم بيجين» والثانى وهو «زيف شيف» هو المحلل العسكرى لصحيفة «ها ارتس» وهو الذى كتب تاريخ الجيش الاسرائيلى ، أما ثالث المؤلفين «ايهود يعارى» فهو رئيس قسم الشئون العربية فى التليفزيون الاسرائيلى . ومعنى هذا انهم جميعا كانوا فى الموقف الذى يتيح لهم الحصول على معلومات موثقة من الجانب الاسرائيلى .

ومع ان الكتاب ، تضمن حقائق مذهلة تكشف عن حجم التفريط البشع فى الحقوق المصرية والعربية ، الذى انتهى إلى مانحن فيه من مهانة واذلال ، بعد ان انتقلت أكبر الدول العربية ، إلى الدخول فى حلف استراتيجى مع العدوين التقليديين للامة العربية وهما اسرائيل وامريكا ، الا ان مترجم الكتاب - الاستاذ «ابراهيم منصور» - اثر ان يوثق الرواية الاسرائيلية ، بروايات أهم الشخصيات التى كانت على مسرح الاحداث ، فقارن رواية المؤلفين بما كتبه اثنان من وزراء خارجية مصر هما «اسماعيل فهمى».. و«محمد ابراهيم ثلاثة من المسئولين الامريكيين هم : جيمى كارتر ووليا و«بريزنسكى» واثنان من المسئولين الاسرائيليين هما ديان» و«ايزر فايتسمان» وبذلك ، يمكن اعتبار هذه الطبع الروايات توثيقا لما جرى فى «كامب ديفيد»

وبهذا الكتاب يبدأ «كتاب الاهالى» فى تخصيص فرع من باسم «مكتبة كامب ديفيد» هدفه تذكير الذين نسوا أو تناسوا مانعيش فيه من هموم ، ليس فى مصر وحدها .. بل فى الا